

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

رسالة ابن بطوطه

المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار
وعجائب الأسفار

الجزء الأول

سنة ١٩٥٨ م — سنة ١٣٧٧ هـ

رُوِّجَتْ وَصَحِّحَتْ عَلَى عَدَدِهِ نَسْخَ صَحِيحَةِ
بِمَعْرِفَةِ لَجْنَةِ مِنَ الْأَدْبَاءِ

يَطْلُبُ مِنْ
الْمَكْتَبَةِ التَّجَارِيَةِ الْكُبْرَى
بِمَصْرٍ ص. ب. ٥٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه العالم الثقة الناسك الأبر وقد الله المعتمر شرف الدين المعتمد في سياحته على رب العالمين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ثم الطنجي المعروف بابن بطوطه رحمه الله ورضي عنه وكرمه آمين .

الحمد لله الذي ذلل الأرض لعباده ليسلكوا منها سبيلا فجاء . وجعل منها وإليها تاراتهم الثلاث نباتا وإعادة وإخراجا . دحاها بقدرته فكانت مهاد للعباد . وأرساها بالأعلام الراسيات والأطواد ورفع فوقها سمك السماء بغير عماد . وأطلع السكواكب هداية في ظلمات البر والبحر . وجعل النمر نورا والشمس سراجا . ثم أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد الممات . وأنبت فيها من كل الثمرات . وفطر أقطارها بصنوف النبات وفجر البحرين عذبا فراتا . وملحها أجاجا . وأكمل على خلقه الأنعام بتدليل مطايا الأنعام . وتسخير المنشئات كالأعلام لتمتطوا من صهوة الفقر ومتن البحر أثباجا وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي أوضح للخلق منهاجا . وطلع نور هدايته وهاجا . بعثه الله تعالى رحمة للعالمين واختاره خاتما للنبيين وأمكن صوارمه من رقاب المشركين حتى دخل الناس في دين الله أفواجا ، وأيده بالمعجزات الباهرات وأطلق بتصديقه الجمادات وأحيا بدعوته الذمم الباليات وفجر من بين أنامله ماء ثجاجا ، ورضى الله تعالى عن المتشرفين بالانتماء إليه أصحابا وآلا وأزواجا ، المقيمين تقاة الدين فلا تحشى بعدهم اعوجاجا ، فهم الذين ازروه على جهاد الأعداء وظاهروه على إظهار الملة البيضاء وقاموا بحقوقها السكرينة من الهجرة والنصرة والايواء واقتحموا دونه نار البأس حامية وخاضوا بحر الموت عجاجا ، ونستوهب الله تعالى لمولانا الامام الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين المجاهد في سبيل الله المؤيد بنصر الله - أبي عثمان فارس ابن موالينا الأئمة المهتدين الخلفاء الراشدين نصرا يوسع الدنيا

وأهلها ابتهاجا * وسعدا يكون لزمانه علاجا * كما وهبه الله بأسا وجودا لم يدع
 طاغيا ولا محتاجا * وجعل بسيفه وسيفه لكل ضيقة انفراجا (وبعد) فقد قضت العقول
 وحكم المعقول والمنقول * بأن هذه الخلافة العلية . المجاهدة المتوكة الفارسية . هي
 ظل الله الممدود على الأنام وحبله الذي به الاعتصام وفي سلك طاعته يجب الانظام
 فهي التي أبرأت الدين عند اعتلاله وأغمدت سيف العدوان عند انسلاله وأصلحت
 الأيام بعد فسادها ونفقت سوق العلم بعد كسادها وأوضحت طرق البر عند انهاجها
 وسكنت أقطار الأرض عند ارتجاجها وأحيت مدن المسكارم بعد مماتها وأماتت رسوم
 الظالم بعد حياتها وأخمدت نار الفتنة عند اشتعالها وانقضت حكام البغي عند استقلالها
 وشادت مباني الحق على عماد التقوى واستمسكت من النوكل على الله بالسبب الأقوى
 فلها العز الذي عقد تاجه على مفرق الجوزاء والمجد الذي جر أذياله على مجرة السماء
 والسعد الذي رد على الزمان غض شبا به والعدل الذي على أهل الإيمان مديد أطنا به
 والجلود الذي قطر سحابه اللجين والنضار والباس الذي فيه غمامه الدر الموار والنصر
 الذي تفض كتائبه الأجل والتأييد الذي يعرض غنائمه الدول والبطش الذي سبق
 سيفه العدل والأناة التي لا يمل عندها الأمل والحزم الذي يسد على الأعداء وجوه
 المسارب والعزم الذي يفل جموعها قبل قراع السكتائب والحلم الذي يجني العفو من
 ثمر الذنوب والرفق الذي جمع على محبته بنات القلوب والعلم الذي يجلو نوره دياجي
 المشكلات والعمل المقيد بالاخلاص والأعمال بالنيات .

(ولما كانت حضرة العلية) مطمح الآمال ومسرح همم الرجال ومحط رحال الفضائل
 ومثابة أمن الخائف ومنية السائل توخى الزمان خدمتهما ببدايع تحفه ورائع طرفه
 فاثال عليها العلماء اثياله جودها على الصفات وتسابق إليها الأدباء تسابق عزماها
 إلى العادات وحمم العارفون حرماها الشريف وقصد السائحون استطلاع معناها المنيف
 ولجأ الخائفون إلى الامتناع بعز جنابها واستجارت الملوك بخدمة أبوابها فهي القطب
 الذي عليه مدار العالم وفي القطع بتفضيلها تساوت بديهة عقل الجاهل والعالم وعن مأثرها
 الفارقة يسند صحاح الآثار كل مسلم وباكال محاسنها الرائقة يفصح كل معلم وكان ممن
 وفد على بابها السامى وتعدى أوشال البلاد إلى بحرها الطامى الشيخ الفقيه السائح الثقة
 الصدوق جوال الأرض ومخترق الأقاليم بالطول والعرض أبو عبد الله محمد بن عبد الله
 ابن محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطه المعروف في بلاد الشرقية بشمس
 الدين وهو الذي طاف الأرض معتبرا وطوى الأمصار مختبرا وباحث فرق الأمم وسبر

سير العرب والعجم ثم ألقى عصا التسيار بهذه الحضرة العليا لما علم أن لها منية الفضل دون شرط ولا ثنيا وطوى المشارق إلى مطلع بدرها بالغرب وآثرها على الأقطار إيثار التبر على التبر اختيارا بعد طول اختبار البلاد والخلق ورغبة اللحاق بالطائفة التي فغمره من إحسانه الجزيل وامتنانه الحفي الخفيل ما أنساه الماضي بالحال وأغناه عن طول الترحال وحقر عنده ما كان من سواه يستعظمه وحقق لديه ما كان من فضله يتوهمه ففسى ما كان ألفه من جولان البلاد وظفر بالمرعى الخصب بعد طول الارتداد ونفذت الإشارة السكرية بأن يملى ما شاهده في رحلته من الأمصار وما علق بحفظه من نوادر الأخبار ويذكر من لقيه من ملوك الأقطار وعلمائها الأخيار وأوليائها الأبرار فأملى من ذلك ما فيه نزهة الخواطر . وبهجة المسامع والنواظر . من كل غريبة أفاد باجتماعها . وعجيبة أطراف باتاحتها . وصدر الأمر العالي لعبد مقامهم الكريم المنقطع إلى بابهم المتشرف بخدمة جنابهم . محمد بن محمد بن جزي الكلبي أعانه الله على خدمتهم . وأوزعه شكر نعمتهم أن يضم أطراف ما أملاه الشيخ أبو عبد الله من ذلك مشتملا في تصنيف يكون على قوائمه مشتملا . ولئيل مقاصده مكمل متوخيا تنقيح الكلام وتهذيبه معتمدا لإيضاحه وتقريبه ليقع الاستمتاع بتلك الطرف ويعظم الانتفاع بدرها عند تجريده من الصدف ، فامثل ما أمر به مبادرا وشرع في منهله ليسكون بمعونة الله عن توفية الغرض منه صادرا ونقلت معاني كلام الشيخ أبي عبد الله بالفاظ موفية للمقاصد التي قصدتها موضحة للمناحي التي اعتمدها ، وربما أوردت لفظه على وضعه فلم أخل بأصله ولا فرع ، وأوردت جميع ما أورده من الحكايات والأخبار ولم أعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار ، على أنه سلك في إسناد صحاحها أفوم المسالك وخرج عن عهد سائر ما بها يشعر من الألفاظ بذلك وقيد المشكل من أسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط ليكون أنفع في التصحيح والضبط وشرحت ما أمكنني شرحه من الأسماء العجمية لأنها تلتبس بعجمتها على الناس ويخطئ في فك معماها معهود القياس وأنا لارجو أن يقع ما قصدته من المقام العلي أيده الله بمحل القبول وأبأن من الأعضاء عن تقصيره المأمول فعوائدهم في السماح جميلة ، ومكارمهم بالصفوح عن الهفوات كفيلة والله تعالى يديم لهم عادة النصر والتمكين ويعرفهم عوارف التأيد والفتح المبين .

(قال الشيخ أبو عبد الله) كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر

الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام . منفردا عن رفيق أنس بصحبته وراكباً كون في جملته لباعث على النفس شديد العزائم وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازم . فجزمت أمرى على هجر الأحباب من الأناث والذكور . وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور . وكان والدى بقميد الحياة فتحملت لبعدهما وصبا ولقيت كالمقيما من الفراق نصبا وسنى يومئذ ثنتان وعشرون سنة قال ابن جزى أخبرني أبو عبد الله بمدينة غرناطة أن مولده بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث وسبعائة .

(رجع) وكان ارتحالي في أيام أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين الذي رويت أخبار جوده موصولة الإسناد بالاسناد ، وشهرت آثار كرمه شهرة واضحة الإشهاد . وتحملت الأيام بحلى فضله . وترتع الأنام في ظل رفقه وعدله . الإمام المقدس أبو سعيد ابن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين الذي قل حد الشرك صدق عزائم وأطفأت نار الكفر جداول صارمه . وفكت بعباد الصليب كتابته . وكرمت في إخلاص الجهاد مذهبه . الإمام المقدس أبو يوسف بن عبد الحق جدد الله عليهم رضوانه وسقى ضرائحهم المقدسة من صوب الحيا طله وتنهاته . وجزاهم أفضل الجزاء عن الاسلام والمسلمين . وأبقى الملك في عقبهم إلى يوم الدين فوصلت مدينة تلمسان وسلطانها يومئذ أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمر أسن بن زيان . ووافقت بها رسول ملك إفريقية السلطان أبي يحيى رحمه الله وهما قاضى الأنكحة بمدينة تونس أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي بن إبراهيم النفزواي . والشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله القرشي الزبيدي - بضم الزاي نسبة إلى قرية بساحل المهدية - وهو أحد الفضلاء وفاته عام أربعين وفي يوم وصولي إلى تلمسان خرج عنها الرسولان المذكوران فأشار على بعض الإخوان بمرافقتهم فاستخرت الله عز وجل في ذلك وأقمت بتلمسان ثلاثا في قضاء مآربي وخرجت أجد السير في آثارهما فوصلت مدينة مليانة وأدركتهما بها وذلك في إبان القيظ فلحق الفقيهين مرض أقمنا بسببه عشرة ثم ارتحلنا وقد اشتد المرض بالقاضى منهما فأقمنا ببعض المياه على مسافة أميال من مليانة ثلاثا وقضى القاضى تحبه ضحى اليوم الرابع فعاد ابنه أبو الطيب ورفيقه أبو عبد الله الزبيدي إلى مليانة فقبروه بها وتركتهما هنالك وارتحلت مع رفقة من تجار تونس منهم الحاج مسعود بن المنتصر والحاج العدولي ومحمد بن الحاجر فوصلنا مدينة الجزائر وأقمنا بخارجها أياما إلى أن قدم الشيخ أبو عبد الله وابن القاضى فنوجها جميعا على منبجة جبل الزان ثم وصلنا إلى مدينة بجاية فنزل الشيخ أبو عبد الله بدار قاضيا أبي عبد الله

الزواوي ونزل أبو الطيب ابن القاضي بدار الفقيه أبي عبد الله المفسر وكان أمير بجاية
إذ ذاك أبا عبد الله محمد بن سيد الناس الحاجب وكان قد توفي من تجار تونس الذين
صحبته من مليانة محمد بن الحجير الذي تقدم ذكره وترك ثلاثة آلاف دينار من الذهب
وأوصى به الرجل من أهل الجزائر يعرف بأبن حديدة ليوصلها إلى ورثته بتونس فأتته
خبره لابن سيد الناس المذكور فانتزعها من يده وهذا أول ما شاهدته من ظلم عمال
الموحدين وولاتهم ، ولما وصلنا إلى بجاية كما ذكرناه أصابتني الحمى فأشار على أبو
عبد الله الزبيدي بالإقامة فيها حتى يتمكن البرء مني فأبيت وقلت إن قضى الله عز وجل
بالموت فتسكون وفاتي بالطريق وأنا قاصد أرض الحجاز فقال لي أما إن عزمت
فبيع دابتك وثقل المتاع وأنا أعيرك دابة وخياء وتصحبنا خفيفا فأننا نجد السير
خوف غارة العرب في الطريق ففعلت هذا وأعارني ما وعد به جزاء الله خيرا وكان ذلك
أول ما ظهر لي من الاطراف الالهية في تلك الوجهة الحجازية وسرنا إلى أن وصلنا
مدينة قسطنطينة فنزلنا خارجها وأصابنا مطر جود اضطربنا إلى الخروج عن الأضيحة
ليلا إلى دور هنالك فلما كان من الغد تلقانا حاكم المدينة وهو من الشرفاء الفضلاء
يسمى بأبي الحسن فنظر إلى ثيابي وقد لوثها المطر فأمر بغسلها في داره وكان الاحرام
منها خلقا فبعث مكانه إحراما بعلبكيا وصر في أحد طرفيه دينارين من الذهب فكان
ذلك أول ما فتح به علي وجهي ورحلنا إلى أن وصلنا مدينة بونة ونزلنا بداخلها وأقننا
بها أياما ثم تركنا بها ما كان في صحبتنا من التجار لأجل الخسوف في الطريق وتجر دنا
للسير وواصلنا الجد وأصابتني الحمى فسكنت أشد نفسي بعامة فوق السرج خوفا
السقوط بسبب الضعف ولا يمكنني النزول من الخوف إلى أن وصلنا إلى مدينة تونس
فبرز أهلها للقاء الشيخ أبي عبد الله الزبيدي ولقاء أبي الطيب ابن القاضي أبي عبد الله
النفزاوي فأقبل بعضهم على بعض بالسلام والسؤال ولم يسلم على أحد لعدم معرفتي
بهم فوجدت من ذلك النفس مالم أملك معه سوابق العبرة واشتد بكائي فشمع بحالي
بعض الحجاج فأقبل على بالسلام والايئاس وما زال يؤنسني بحديثه حتى دخلت
المدينة ونزلت منها بمدرسة الكتبيين - قال ابن جزى أخبرني شيخني قاضي الجماعة
أخطب الخطباء أبو البركات محمد بن محمد إبراهيم السلي هو ابن الحاج البلقيني أنه
جرى له مثل هذه الحكاية قال قصدت مدينة بلش من بلاد الأندلس في ليلة عيد
برسم رواية الحديث المسلسل بالعيد عن أبي عبد الله ابن السكاد وحضرت المصلي
مع الناس فلما فرغت الصلاة والخطبة أقبل الناس بعضهم على بعض بالسلام وأنا

في ناحية لا يسلم على أحد فقصد إلى شيخ من أهل المدينة المذكورة واقبل على بالسلام والأيمناس وقال نظرت إليك فرأيتك منتبذا عن الناس لا يسلم عليك أحد فعرفت أنك غريب فأحببت إيناسك جزاء الله خيرا (رجع)

(ذكر سلطان تونس)

وكان سلطان تونس عند دخولي إليها السلطان أبي يحيى ابن السلطان أبي زكريا يحيى ابن السلطان أبي اسحاق ابراهيم ابن السلطان أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص رحمه الله. وكان بتونس جماعة من اعلام العلماء منهم قاضى الجماعة بها ابو عبد الله محمد بن قاضى الجماعة ابي العباس احمد بن محمد بن حسن بن محمد الأنصارى الخزرجى البلمندى الأصل ثم التونسى هو ابن الفهاز، ومنهم الخطيب أبو اسحق ابراهيم بن حسين ابن على بن عبد الرقيق وولى ايضا قضاء الجماعة فى خمس دول ومنهم الفقيه ابو على عمر ابن على بن قداح الهوارى وولى ايضا قضاءها وكان من اعلام العلماء ومن عوائده انه يستند كل يوم جمعة بعد صلاتها إلى بعض اساطين الجامع الأعظم المعروف بجامع الزيتونة ويستفتيه الناس فى المسائل فلما اُفتى فى اربعين مسألة انصرف عن مجلسه ذلك واظننى بتونس عيد الفطر فحضرت المصلى وقد احتفل الناس لشهود عيدهم وبرزوا فى اجمل هيئة واكمل شارة ووافى عيد السلطان ابو يحيى المذكور راكبا وجميع اقاربه وخواصه وخدم مملوكته مشاة على اقدامهم فى ترتيب عجب وصليت الصلاة وانقضت الخطبة وانصرف الناس إلى منازلهم وبعد مدة تعين لركب الحجاز الشريف شيخه يعرف بأبى يعقوب السوسى من أهل اقل من بلاد إفريقية واكثره المصادمة فقدموا فى قاضيا بينهم وخرجنا من تونس فى اواخر شهر ذى القعدة سالكين طريق الساحل فوصلنا إلى بلدة سوسة وهى صغيرة حسنة مبنية على شاطئ البحر بينها وبين مدينة تونس اربعون ميلا ثم وصلنا إلى مدينة صفاقس وبخارج هذه البلدة قبر الإمام ابو الحسن اللخمى المالكي مؤلف كتاب التبصرة فى الفقه قال ابن جزى فى بلدة صفاقس يقول على بن حبيب التنوخى

(كامل)

سقىا لأرض صفاقس ذات المصانع والمصلى
محمى القصير إلى الخليج فقصرها السامى المعلى
بلد يكاد يقول حين تزوره اهلا وسهلا
وكأنه والبحر يحسب نارة عنه ويملا

صب يريد زيارة فاذا رأى الرقباء ولى
وفى عكس ذلك يقول الأديب البارع أبو عبد الله محمد بن أبي تميم وكان من المجيدين
المسكثرين (رجز)

صفاقس لاصفا عيش لساكنها ولا سقى أرضها غيث إذا انسكبها
ناهيك من بلدة حل ساحتها عانى بها العاديين الروم والعربا
كم ضل في البر مسلوبا بضاعته وبات في البحر يشكو الأسر والعطيا
فدع عين البحر من لوم لقاطنها فسكلما هم أن يدنو لها هربا

(رجع) ثم وصلنا إلى مدينة قابس ونزلنا بداخلها وأقننا بها عشرةا لتوالى نزول
الأمطار قال ابن جزى في ذكر قابس يقول بعضهم (رجز)
لهفى على طيب ليال خلت بجانب البطحاء من قابس
كأن فلي عند تذكارها جذوة نار يسد قابس

(رجع) ثم خرجنا من مدينة قابس قاصدين طرابلس وصحبنا في بعض المراحل
إليها نحو مائة فارس أو يزيد وكان بالركب قوم رماة فها بهم العرب وتحامت مكانهم
وعصمنا الله منهم وأظلمنا عيد الأضحى في بعض تلك المراحل وفي الرابع بعده وصلنا
إلى مدينة طرابلس فأقننا بها مدة وكنت عقدت بصفاقس على بذت لبعض أمماء تونس
فبنيت عليها بطرابلس ثم خرجت من طرابلس أو آخر شهر الحزم من عام ستة وعشرين
ومعى أهلى وفي صحبتى جماعة من المصامدة وقدر فعت العلم وتقدمت عليهم وأقام الركب
في طرابلس خوفا من البرد والمطر وتجاوزنا - مسلاتة ومسرارة وقصور سرت - وهنالك
أرادت طوائف العرب الإيقاع بنا ثم صرفتهم القدرة وحالت دون مراموه من إذائتنا
ثم توسطنا الغابة وتجاوزناها إلى قصر برصيصا العابد إلى قبة سلام وأدركنا هنالك
الركب الذين تخلفوا بطرابلس ووقع بينى وبين صهرى مشاجرة أوجبت فراق بنته
وتزوجت بنتا لبعض طلبة فاس وبنيت بها بقصر الزعافية وأولمت ولية - حبست لها
الركب يوما وأطعمتهم ثم وصلنا في أول جمادى الأولى إلى مدينة الإسكندرية حرسها الله
وهى الثغر المحروس والفطر المأنوس العجيبة الشأن الأصيلية البنيان بها ماشئت من
تحسين وتحصين وما أوردنيا ودين ؛ كرمت مغانيها واطفت معانيها وجمعت بين الضخامة
والاحكام مبانها ، فهى الفريدة فى تجلى سناها ، والخريدة تجلى فى حلالها ، الزاهية إيجالها
المغرب والجامعة لمفترق المحاسن لتوسطها بين المشرق والمغرب ، فكل بديعة بها اختلاؤها

وكل طرفة فإليها انتهأوها . وقد وصفها الماس فأطنبوا . وصنفوا في عجائبها فأعربوا وحسب المشرف إلى ذلك ما سطره أبو عبيد في كتاب المسالك .

﴿ ذكر أبوابها ومرساها ﴾

ولمدينة الاسكندرية أربعة أبواب . باب السدرة واليسه يشرع طريق المغرب . وباب رشيد . وباب البحر . والباب الأخضر وليس يفتح إلا يوم الجمعة فيخرج الناس منه إلى زيارة القبور ولها المرسى العظيم الشأن ولم أر في مرسى الدنيا مثله إلا ما كان من مرسى كولم وقاليقوت ببلاد الهند ومرسى الكفار بسراق ببلاد الأتراك ومرسى الزيتون ببلاد الصين وسيقع ذكرها .

﴿ ذكر النار ﴾

قصدت المنار في هذه الوجهة فرأيت أحد جوانبه متهماً . وصفته أنه بناء مربع ذاهب في الهواء وبابه مرتفع على الأرض وإزاء بابه بناء بقدر ارتفاعه وضعت بينهما ألواح خشب يعبر عليها إلى بابه فإذا أزيلت لم يكن له سبيل ودخل الباب موضع الجلوس حارس المنار ودخل المنار بيوت كثيرة وعرض الممر بداخله تسعة أشبار وعرض الحائط عشرة أشبار وعرض المنار من كل جهة من جهاته الأربع مائة وأربعون شبراً وهو على تل مرتفع . ومسافة ما بينه وبين المدينة فرسخ واحد في بر مستطيل يحيط به البحر من ثلاث جهات إلى أن يتصل البحر بسور البلد فلا يمكن التوصل إلى المنار في البر إلا من المدينة وفي هذا البر المتصل بالمنار مقبرة الاسكندرية وقصدت المنار عندي عودى إلى بلاد المغرب عام خمسين وسبع مائة فوجدته قد استولى عليه الخراب بحيث لا يمكن دخوله ولا الصعود إلى بابه . وكان الملك الناصر رحمه الله قد شرع في بناء منار مثله بإزائه فعاقه الموت من إتمامه .

﴿ ذكر عمود السواري ﴾

ومن غرائب هذه المدينة عمود الرخام الهائل الذي بخارجها المسمى عندهم بعمود السواري وهو متوسط في غابة نخل وقد امتاز عن شجراتها سمواً وارتفاعاً وهو قطعة واحدة محكمة النحت قد أقيم على قواعد حجارة مربعة أمثال الدكاكين العظيمة ولا تعرف كيفية وضعه هنالك ولا يتحقق من وضعه . قال ابن جزى أخبرني بعض أشياخي الرحالين أن أحد الرماله بالاسكندرية صعد إلى أعلى ذلك العمود وبعده قوسه وكنائنه واستقر هنالك وشاع خبره فاجتمع الجمل الغفير لمشاهدته وطال العجب منه وخفي على الناس وجهه احتياله وأظنه كان خائفاً أو طالب حاجة فأتبع له فعله الوصول

إلى قصده لغرابة ما أتى به . وكيفية احتياله في صعوده أنه رمى بنشابة قد عقد فوقها خيطاً طويلاً وعقد بطرف الخيط حبلاً وثيقاً فتجاوزت النشابة أعلى العمود معترضة عليه ووقعت من الجهة الموازية للرأى فصار الخيط معترضا على أعلى العمود فجذبه حتى توسط الحبل أعلى العمود مكان الخيط فأوسطه من إحدى الجهتين في الأرض وتعلق به صاعداً من الجهة الأخرى واستقر بأعلاه وجذب الحبل واستصحب من احتمله فلم يمتد الناس لحيلته وعجبوا من شأنه (رجع) وكان أمير الاسكندرية في عهد وصولها إليها يسمى بصالح الدين وكان فيها أيضاً في ذلك العهد سلطان أفريقية المخلوع وهو زكرياء أبو يحيى بن أحمد بن أبي حفص المعروف باللحياني وأمر الملك الناصر بإزالته بدار السلطنة من اسكندرية وأجرى له مائة درهم في كل يوم . وكان معه أولاده عبد الواحد ومصرى واسكندري وحاجبيه أبو زكريا بن يعقوب ووزيره أبو عبدالله بن ياسين . وبالاسكندرية توفي اللحياني المذكور وولده الاسكندري وبقى المصرى بها . قال ابن جزى من الغريب ما اتفق من صدق الزجر في اسمي ولدى اللحياني الاسكندري والمصرى فأت الاسكندري بها وعاش المصرى دهرأ طويلاً بها وهي من بلاد مصر (رجع) وتحول عبد الواحد لبلاد الأندلس والمغرب وأفريقية وتوفي هنالك بجزيرة جربة

ذكر بعض علماء الاسكندرية

فمنهم قاضها عماد الدين السكندى إمام من أئمة علم اللسان وكان يعتم بعامة خرقت المعتاد للعلماء لم أر في مشارق الأرض ومغاربها عمامة أعظم منهارأته يوماً قاعداً في صدر محراب وقد كادت عمامته أن تملأ المحراب ومنهم نضر الدين بن الريخي وهو أيضاً من القضاة بالاسكندرية فاضل من أهل العلم

(حكاية)

يذكر أن جد القاضي نضر الدين الريخي من أهل ريغة واشتغل بطلب العلم ثم رحل إلى الحجاز فوصل الاسكندرية بالعشى وهو قليل ذات اليد فأحب أن لا يدخلها حتى يسمح فالأ حسناً فقعد قريباً من بابها إلى أن دخل جميع الناس وجاء وقت سد الباب ولم يبق هنالك سواه فاغتاط الموكل بالباب من لبطائه وقال متكباً أدخل يا قاضى فقال قاض لمن شاء الله ودخل إلى بعض المدارس وألزم القراءة وسلك طريق الفضلاء فعظم صيته وشهر اسمه وعرف بالزهد والورع واتصلت أخباره بملك مصر واتفق أن توفي قاضى الاسكندرية وبها إذ ذاك الحليم الغفير من الفقهاء والعلماء وكلهم متشوف المولاية وهو من بينهم لا يتشوف لذلك فبعث إليه السلطان بالتقليد وهو ظهير القضاء وأناه البريد بذلك

فأمر خديمه أن ينادى في الناس من كانت له خصومة فليحضر لها وقعد لفصل بين الناس فاجتمع الفقهاء وسواهم إلى رجل منهم كانوا يظنون أن القضاء لا يتعداه وتفاوضوا في مراجعة السلطان في أمره ومخاطبته بأن الناس لا يرتضونه وحضر لذلك أحد الخذاق من المنجمين فقال لهم لا تفعلوا ذلك فاني عدلت طالع ولايته وحقيقته فظهر لي أنه يحكم أربعين سنة فأضربوا عما هموا به من المراجعة في شأنه وكان أمره على ما ظهر بالمنجم وعرف في ولايته بالعدل والنزاهة ومنهم وجيه الدين الصنهاجي من قضاتها مشتهر بالعلم والفضل ومنهم شمس الدين ابن بنت التنبسي فاضل شهير الذكر ومن الصالحين بها الشيخ أبو عبد الله الفاسي من كبار أولياء الله تعالى يذكر أنه كان يسمع رداً للسلام عليه إذا سلم من صلاته ومنهم الإمام العالم الزاهد الخاشع الورع (خليفة) صاحب المكاشفات

(كرامة له)

أخبرني بعض الثقات من أصحابه قال رأى الشيخ خليفة رسول الله ﷺ في النوم فقال يا خليفة زرنا فرحل إلى المدينة الشريفة وأتى المسجد الكريم فدخل من باب السلام وحيا المسجد وسلم على رسول الله ﷺ وقعد مستنداً إلى بعض سواري المسجد ووضع رأسه على ركبتيه وذلك يسمى عند المتصوفة الترفيق فلما رفع رأسه وجد أربعة أرغفة وآنية فيها لبن وطبقاً فيه تمر فأكل هو وأصحابه وانصرف عائداً إلى الاسكندرية ولم يحج تلك السنة. ومنهم الامام العالم الزاهد الورع الخاشع برهان الدين الأعرج من كبار الزهاد وأفراد العباد لقيته أيام مقامي بالاسكندرية وأقيمت في ضيافته ثلاثاً

(ذكر كرامة له)

دخلت عليه يوماً فقال لي أراك تحب السياحة والجولان في البلاد فقلت له نعم إنني أحب ذلك ولم يكن حينئذ بخاطرى التوغل في البلاد القاصية من الهند والصين فقال لا بد لك إن شاء الله من زيارة أخى فريد الدين بالهند وأخى ركن الدين زكرياء بالسند وأخى برهان الدين بالصين فإذا بلغتهم فبلغهم معنى السلام فعمجت من قوله وألقي في روعي التوجه إلى تلك البلاد ولم أزل أجدول حتى لقيت الثلاثة الذين ذكرهم وأبلغتهم سلامه ولما وادعته زودني دراهم لم تزل عندي محوطة ولم أحتاج بعد إلى إنفاقها إلى أن سلمها مني كفقار المنود فيما سلموه لي في البحر ومنهم الشيخ ياقوت الحبشي من أفراد الرجال وهو تلميذ أبي العباس المرسى وأبو العباس المرسى تلميذ ولي الله تعالى أبي الحسن الشاذلي الشهير ذي الكرامات الجليلة والمقامات العالية

(كرامة لأبي الحسن الشاذلي) أخبرني الشيخ ياقوت عن شيخه أبي العباس المرسى

أن أبا الحسن كان يحج في كل سنة ويجعل طريقه على صعيد مصر ويجاور بمكة شهر رجب وما بعده إلى انقضاء الحج ويزور القبر الشريف ويعود على الدرب الكبير إلى بلده فلما كان في بعض السنين وهي آخر سنة خرج فيها قال لخدمته استصحب فاسا وقفة وحنوطا وما يحجز به الميت فقال له الخديم ولم ذا يا سيدي فقال له في حميثرا سوف ترى وحميثرا في صعيد مصر في صحراء عذاب وبها عين ماء زعاق وهي كثيرة الضباع فلما بلغا حميثرا اغتسل الشيخ أبو الحسن وصلى ركعتين وقبضه الله عز وجل في آخر سجدة من صلاته ودفن هناك وقد زرت قبره وعليه تبرية مكتوب فيها اسمه ونسبه متصلا بالحسن بن علي رضي الله عنه .

(ذكر حزب البحر المنسوب إليه) كان يسافر في كل عام كما ذكرناه على صعيد مصر وبحر جدة فكان إذا ركب السفينة يقرؤه في كل يوم وتلاذذته إلى الآن يقرؤه في كل يوم وهو هذا - يا الله يا على يا عظيم يا حليم يا عليم أنت رب وعلمك حسبي فتعهم الرب ربى . ونعم الحسب حسبي تنصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم . نسألك العصمة في الحركات والسكنات والكلمات والإرادات والخطرات من الشكوك والظنون والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب فقد ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ليقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا فثبتنا وانصرنا وسخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى عليه السلام وسخرت النار لإبراهيم عليه السلام وسخرت الجبال والحديد لداود عليه السلام وسخرت الريح والشياطين والجن لسلیمان عليه السلام وسخر لنا كل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والمملوك وبحر الدنيا وبحر الآخرة وسخر لنا شيء يأمن بيده مملوك كل شيء كهيئهم حم عسق انصرنا فيك خير الناصرين وافتح لنا فيك خير الفاتحين واغفر لنا فانك خير الغافرين وارحمنا فانك خير الراحمين وارزقنا فيك خير الرازقين واهدنا ونجنا من القوم الظالمين وهب لنا ربحا طيبة كما هي في علمك انشرها علينا من خزائن رحمتك واجعلنا بها جمل السكراة مع السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا والسلامة والعافية في ديننا ودنيانا وكن لنا صاحبا في سفرنا وخليفة في أهلنا لاطمئنا على وجوه أعدائنا وامسحهم على مكائهم فلا يستطيعون المضى ولا المجئ لئلا ينالوا نساء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون ولو نشاء لمسنهم على مكائهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون يس إلى فهم لا يبصرون شامت الوجوه وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلاما طمطم حم عسق مرج البحرين يلتقيان بينهما

وما جرى بمدينة الاسكندرية سنة سبع وعشرين وبلغنا خبر ذلك بمكة شرفها الله
أنه وقع بين المسلمين وتجار النصارى مشاجرة وكان الى الاسكندرية رجلا يعرف بالكركى
فذهب الى حماة الروم وأمر المسلمين فحضروا بين فصيلي باب المدينة وأغلق دونهم
الأبواب نكالا لهم فأناكر الناس ذلك وأعظموه وكسروا الباب وثاروا الى منزل الوالى
فقتضن منهم وقتلهم من أعلاه وطير الخمام بالخبر الى الملك الناصر فبعث أميرا يعرف
بالجمالى ثم اتبعه أميرا يعرف بطوغان جبار قاسى القلب منهم فى دينه يقال أنه كان
يعبد الشمس فدخل الاسكندرية وقبضا على كبار أهلها وأعيان التجار بها كأولاد الكوبك
وسواهم وأخذ منهم الأموال الطائلة وجعلت فى عنق عماد الدين القاضي جماعة حديد
ثم أن الأميرين فتلا من أهل المدينة ستة وثلاثين رجلا وجعلوا كل رجل قطعتين وصلبوه
صفين وذلك فى يوم جمعة وخرج الناس على عادتهم بعد الصلاة لزيارة القبور وشاهدوا
مصارع القوم فعمظت حسرتهم وتضاعفت أحرانهم وكان فى جملة أولئك المصلوبين
تاجر كبير الفدر يعرف بابن رواحة وكان له قاعة معدة للسلاح فتى كان خوف أو قتال
جهاز منها المائة والمائتين من الرجال بما يكفيهم من الأسلحة وبالمدينة قاعات على هذه الصورة
لكثير من أهلها فزل لسانه وقال للأميرين أنا أضمن هذه المدينة وكل ما يحدث فيها أظاالب به
وأحوط على السلطان مرتبات العساكر والرجال فأناكر الأميران قوله وقالوا إنما تريد
الثورة على السلطان وقتلاه وإنما كان قصده رحمه الله إظهار النصيح والخدمة للسلطان فكان
فيه حنقه وكنت سمعت أيام إقامتى بالاسكندرية بالشيخ الصالح العابد المنقطع المتفق من
السكون أنى عبد الله المرشدى وهو من كبار الأولياء المكاشفين أنه منقطع بمنية بنى مرشد

له هنالك زاوية هو مشفرد فيها لا خديم له ولا صاحب ويقصده الأمراء والوزراء وتأتية الوفود من طوائف الناس في كل يوم فيطعمهم الطعام وكل واحد منهم ينوي أن يأكل عنده طعاما أو فاكهة أو حلوى فيأتى لكل واحد بما نواه وربما كان ذلك في غير إبانته ويأتية الفقهاء لطلب الخطبة فيؤلى ويعزل وذلك كله من أمر مستفيض متواتر وقد قصده الملك الناصر مرات بموضعه فخرجت من مدينة الاسكندرية قاصداً هذا الشيخ نفعنا الله به ووصلت قرية تروجه (وضبطها بفتح الفاء الفوقية وواو وجم مفتوحة) وهى على مسيرة نصف يوم من مدينة الاسكندرية قرية كبيرة بها قاض ووال وناظر وأهلها مكارم أخلاق ومروءة صحبت قاضها صفي الدين وخطيبها نحر الدين وفاضلا من أهلها يسمى بمبارك وبنعت زين الدين ونزلت بها على رجل من العباد الفضلاء كبير القدر يسمى عبد الوهاب وأضافنى ناظرها زين الدين بن الواعظ وسألتى عن بلدى وعن مجباه فأخبرته أن مجباه نحو اثني عشر ألفا من دينار الذهب فعجب وقال لى رأيت هذه القرية فإن مجباه اثنا وسبعون ألف دينار ذهباً وإنما عظمت مجاى ديار مصر لأن جميع أملاكها لبنت المال ثم خرجت من هذه القرية فوصلت مدينة دمنهور وهى مدينة كبيرة جبايتها كثيرة ومحاسنها أثيرة أم مدن البحيرة بأسرها وقطبها الذى عليه مدار أمرها (وضبطها بدال مهملة وميم مفتوحتين ونون ساكنة وهاء مضمومة وواو وراء) وكان قاضها فى ذلك العهد نحر الدين بن مسكين من فقهاء الشافعية وتولى قضاء الاسكندرية لما عزل عنها عماد الدين السكندى بسبب الواقعة التى قصصناها وأخبرنى الثقة أن ابن مسكين أعطى خمسة وعشرين ألف درهم وصرفها من دنانير الذهب الفدينار على ولاية القضاء بالاسكندرية ثم رحلنا إلى مدينة قوا وهذه المدينة عجيب المنظر حسنة الخبر بها البساتين الكثيرة والغوائد الخطيرة الأثيرة (وضبطها بالفاء والواو المفتوحين مع تشديد الواو) بها قبر الشيخ الولى أبى النجاة الشهير الاسم خير تلك البلاد وراوية الشيخ أبى عبد الله المرشدى الذى قصده بمقربة من المدينة يفصل بينها خليج هنالك فلما وصلت تعديتها ووصلت إلى زاوية الشيخ المذكور قبل صلاة العصر وسلمت عليه ووجدت عنده الأمير سلف الدين يملك وهو من الخاصكية وأول اسمه ياء وآخر الحروف ولامه الأولى مسكنة والثانية مفتوحة مثل الميم والعامية تقول فيه الملك فيخطون ونزل هذا الأمير بعسكره خارج الزاوية ولما دخلت على الشيخ رحمه الله قام إلى وعانقنى وأحضر طعاما فواكفنى وكانت عليه جبة صوف سوداء فلما حضرت صلاة العصر قدمنى للصلاة

إماما وكذلك لكل ما حضرني عنده حين إقامتي معه من الصلاة ولما أردت النوم قال لي اصعد إلى سطح الزاوية فقم هنالك وذلك اوان القيسط فقلت للامير بسم الله فقال لي وما منا لاله مقام معلوم فصعدت السطح فوجدت به حصيرا ونظعا وآنية للوضوء وجرة ماء وقدحا للشرب فنمت هناك

﴿كرامة لهذا الشيخ﴾ رأيت ليلتي تلك وأنا نائم بسطح الزاوية كأنني على جناح طائر عظيم يطير بي في سميت القبلة يتيامن ثم يشرق ثم يذهب في ناحية الجنوب ثم يبعد الطيران في ناحية الشرق وينزل في أرض مظلمة خضراء ويتركني بها فعجبت من هذه الرؤيا وقلت في نفسي إن كاشفني الشيخ برؤياي فهو كما يحكي عنه فلما غدوت لصلاة الصبح قدمني إماما لهذا ثم أناه الأمير يملك فوادعه وانصرف ووادعه من كان هناك من الزوار وانصرفوا أجمعين من بعد أن زودهم كعيكات صغاراً ثم سبحت سبعة الضحى ودعاني وكاشفني برؤياي فقصصتها عليه فقال سوف تحج وتزور النبي ﷺ وتجول في بلاد اليمن والعراق وبلاد الترك وتبقى بها مدة طويلة وستلقى بهسا داشاد الهندي ويخلصك من شدة تقع فيها ثم زودني كعيكات وذراهم ووادعته وانصرفت ومنذ فارقت لم ألق في أسفاري إلا خيرا وظهرت على بركاتي ثم لم ألق فيمن لقيته مثله إلا الولي سيدي محمد آقبا الموله بأرض الهند ثم رحلنا إلى مدينة النحرارية وهي رحبة الفناء حديثة البناء أسواقها حسنة الرؤيا (وضبطها بفتح النون وحاء مهمل مسكن وراءين) وأميرها كبير القدر يعرف بالسعدى وولده في خدمة ملك الهند وسند كره وقاضيه صدر الدين سليمان المالكي من كبار المالكية سافر عن الملك الناصر إلى العراق وولى قضاء البلاد الغربية وله هيئة جميلة وصورة حسنة وخطيبها شرف الدين السخاوى من الصالحين ورحلت منها إلى مدينة ابيار وهي قديمة البناء أرجة الأرجاء كثيرة المساجد ذات حسن زائد (وضبط اسمها بفتح الهمزة وإسكان الباء الموحدة وياء آخر الحروف والفاء وراء) وهي بمقربة من النحرارية ويفصل بينها النيل وتصنع بابيار ثياب حسان تعلو قيعتها بالشام والعراق ومصر وغيرها ومن الغريب قرب النحرارية منها والشياب التي تصنع بها غير معتبرة ولا مستحسنة عند أهلها ولقيت بابيار قاضيهما عز الدين المليجي الشافعي وهو ريم الشمانل كبير القدر حضرت عنده مرة يوم الركبة وهم يسمون ذلك يوم ارتقاب هلال رمضان وعادتهم فيه أن يجمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضى ويقف على الباب تقيب المتعظمين وهو ذو شارة وهيئة حسنة فاذا أتى أحد الفقهاء أو الوجوه تلقاه ذلك

النقيب ومشى بين يديه قائلا بسم الله سيدنا فلان الدين فيسمع القاضي ومن معه فيقومون له ويجلسه النقيب في موضع يليق به فاذا تكاملوا هنالك ركب القاضي وركب من معه أجمعين وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان وينتھون إلى موضع مرتفع خارج المدينة وهو مرتقب الهلال عندهم وقد فرش ذلك الموضع بالبسط والفرش فينزل فيه القاضي ومن معه فيرتقبون الهلال ثم يعودون إلى المدينة بعد صلاة المغرب وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس ويوقد أهل الحوانيت بجوانيتهم الشمع ويصل الناس مع القاضي إلى داره ثم ينصرفون هكذا فعلهم في كل سنة ثم توجهت إلى مدينة المحلة الكبيرة وهي جميلة المقدار حسنة الآثار كثير أهلها جامع بالمحسن شمالها واسمها بين ول هذه المدينة قاضي القضاة ووالي الولاية وكان قاضي قضاتها أيام وصولي إليها في فراش المرض ببستان له على مسافة فرسخين من البلد وهو عز الدين بن الأشمرين فقصدت زيارته صحبة نائبه الفقيه أبي القاسم بن بنون المالك التونسي وشرف الدين الدميري قاضي محلة منوف وأقمنا عنده يوما وسمعت منه وقد جرى ذكر الصالحين أن على مسيرة يوم من المحلة الكبيرة بلاد البراس ونسترو وهي بلاد الصالحين وبها قبر الشيخ مرزوق صاحب المكاشفات فقصدت تلك البلاد ونزلت بزاوية الشيخ المذكور وتلك البلاد كثيرة النخل والثمار والطير البحري والحوت المعروف بالبوري ومدينتهم تسمى ملطين وهي على ساحل البحيرة المجتمعة من ماء النيل وماء البحر المعروفة ببخيرة تنيس ونسترو بمقربة منها نزلت هنالك بزاوية الشيخ شمس الدين القلوي من الصالحين وكانت تنيس بلدا عظيما شهيرا وهي الآن خراب قال ابن جزى (تنيس بكسر التاء المثناة والنون المشددة وياء وسين مهملة) ولعله ينسب الشاعر المجيد أبو الفتح بن وكيع وهو القائل في خليجها (بسيط)

قم فاستقني والخليج مضطرب والريح ثلثي ذوائب القصب
كانها والرياح تعطفها صب قمنا سندسية العذب
والجو في حلة ممسكة قد طررتها البروق بالذهب

(ونسترو بفتح النون واسكان السين وراء مفتوحة وواو مسكن) — والبراس بياء موحدة وراء وآخره سين مهملة وقيد بعضهم بضم حروفه الأول الثلاث وتشديد اللام وقيد به أبو بكر بن نقطة بفتح الأولين — وهو على البحر ومن غريب ما اتفق به ما حكاه أبو عبد الله الرازي عن أبيه أن قاضي البرلس وكان رجلا صالحا خرج ليلة إلى النيل فبينما اسبح الوضوء وصلى على ماشاء أن يهلى إذ سمع قائلا يقول :

لولا رجال لهم سر يصومونا وآخرون لهم ورد يقومونا
 ازأزلت أرضكم من تحتكم سحرا لأنكم قوم سوء لا نبالونا
 قال فتجاوزت في صلاتي وأدرت طرفي فما رأيت أحدا ولا سمعت حسا فعلبت أن ذلك
 زاجر من الله تعالى (رجع) ثم سافرت في أرض رملة إلى مدينة دمياط وهي مدينة فسيحة
 الأقطار متنوعة الثمار عجيبة الترتيب آخذة من كل حسن بنصيب والناس يضبطون اسمها بهم
 باعجام الذال وكذلك ضبطه الامام أبو محمد عبد الله بن علي الرشاطي وكان شرف الدين
 الامام العلامة أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي امام المحدثين يضبطها باهمال الدال
 ويتبع ذلك بأن يقول خلاف الرشاطي وغيره وهو أعرف بضبط اسم بلده ومدينة
 دمياط على شاطئ النيل وأهل الدور الموالية يستقون منه الماء بالدلاء وكثير من دورها
 بها دركات ينزل فيها إلى النيل وشجر الموز بها كثير يحمل ثمره إلى مصر في المراكب
 وغنمها سائمة هملا بالليل والنهار ولهذا يقال في دمياط سورها حلوى وكلاهما غنم وإذا
 دخلها أحد لم يكن له سبيل إلى الخروج عنها إلا بطابع الوالي فن كان من الناس معتبرا طبع
 له في قطعة كاغد يستظهر به لحراس بابها وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به والظير
 البحري بهذه المدينة كثير متناهي السمن وبها الألبان الجماء وسية التي لا مثل لها في
 عذوبة الطعم وطيب المذاق وبها الحوت البوري يحمل منها إلى الشام وبلاد الروم ومصر
 وبخارجها جزيرة بين البحرين والنيل تسمى البرزخ بها مسجد وزاوية اقيمت بها شيخها
 المعروف بابن قفل وحضرت عنده ليلة جمعة ومعه جماعة من الفقهاء الفضلاء المتعبدين
 الأخيار قطعوا ليلتهم صلاة وقراءة وذكرًا ، ودمياط هذه حديثة البناء والمدينة
 القديمة هي التي خربها الأفرنج على عهد الملك الصالح وبها زاوية الشيخ جمال الدين
 الساوي قدوة الطائفة المعروفة بالقرندرية وهم الذين يخلقون لحاهم وحواجبهم
 ويسكن الزاوية في هذا العهد الشيخ فتح التكروري

(حكاية)

يذكر أن السبب الداعي للشيخ جمال الدين الساوي إلى حاق لحيته وحاجبيه أنه كان جميل
 الصورة حسن الوجه فعلق به امرأة من أهل ساوة وكانت ترأسه وتعارضه في الطرق
 وتدعوه لنفسها وهو يمتنع ويتهاون فلما أعيأها أمره دست له عجوزا تصدت له آزاء دار على
 طريقه إلى المسجد وبسدها كتاب مختم قلبا مر بها قالت له ياسيدي أتحسن القراءة قال
 نعم قالت له السكتاب وجهه إلى ولدي وأحب أن تقرأه على فقال لها نعم فلما فتح
 الكتاب قالت له ياسيدي ان لو لذي زوجة وهي باسطوان الدار فلو تفضلت بقراءته بين

باني الدار بحيث تسمعها فأجابها لذلك فلما توسط بين البابين غلقت العجوز الباب وأخرجت المرأة جواربها فتعلقن به وأدخلته إلى داخل الدار وراودته المرأة عن نفسه فلما رأى أن لا خلاص له قال لها اني حيث تريدن فاريني بيت الخلاه فأرته إياه فأدخل معه الماء وكانت عنده موسى جديدة فخلق لحيته وحاجبيه وخرج عليها فاستقبحت هيئته واستنكرت فعله وأمرت بإخراجه وعصمه الله بذلك فبقى على هيئته فيما بعد وصار كل من يسلك طريقته أن يخلق رأسه ولحيته وحاجبيه

(كرامة لهذا الشيخ) يذكر أنه لما قصد مدينة دمياط ازم مقبرتها وكان بها قاض يعرف بابن العميد فخرج يوما إلى جنازة بعض الأعيان فرأى الشيخ جمال الدين بالمقبرة فقال له أنت الشيخ المبتدع فقال له وأنت القاضي الجاهل تمر بداتك بين القبور وتعلم أن حرمة الانسان ميتا كحرمة حيا فقال له القاضي وأعظم من ذلك حلقك للحيتك فقال له إياي تعنى وزعق الشيخ ثم رفع رأسه فاذا هو ذو لحية سوداء عظيمة فعجب القاضي ومن معه ونزل اليه عن بغلته ثم زعق ثانيا فاذا هو ذو لحية بيضاء حسنة ثم زعق ثالثا ورفع رأسه فاذا هو بلا لحية كهيئته الأولى فقبل القاضي يده وتلذذ له وبقي له الزاوية حسنة وصحبه أيام حياته حتى مات الشيخ فدفن بزاويته ولما حضرت القاضي وفاته أوصى أن يدفن بباب الزاوية حتى يكون كل داخل إلى زيارة الشيخ يطأ قبره ، وبخارج دمياط المزار المعروف بشهلا (بفتح الشين المعجمة والطاء المهملة) وهو ظاهر البركة يقصده أهل الديار المصرية وله أيام في السنة معلومة لذلك وبخارجها أيضا بين بساينها موضع يعرف بالمنية فيه شيخ من الفضلاء يعرف بابن النعمان قصدت زاويته وبت عنده وكان بدمياط أيام إقامتي بها وال يعرف بالمحسن من ذوى الإحسان والفضل بنى مدرسة على شاطئ النيل بها كان نزولي في تلك الأيام وتأكدت بيني وبينه مودة ثم سافرت إلى مدينة فارسكور وهي مدينة على ساحل النيل (والسكاف الذى اسمها مضموم) ونزلت بخارجها ولحقني هنالك فارس وجهه إلى الأمير المحسنى فقال لي إن الأمير سأل عنك وعرف بسيرتك فبعث إليك بهذه النفقة ودفع إلى جملة دراهم جزاء الله خيرا ثم سافرت إلى مدينة أشمون الرمان (وضبط اسمها بفتح الهمزة وإسكان الشين المعجم) ونسبت إلى الرمان لسكنته بها ومنها يحمل إلى مصر وهي مدينة عتيقة كبيرة على خليج من خليج النيل وطاقتة خشب ترسو المراكب عندها فاذا كان العصر رفعت تلك الخشب وجازت المراكب صاعدة ومنحدرة وهذه البلد قاضى القضاة والى الولاية ثم سافرت عنها إلى مدينة سمندود وهي على شاطئ

النيل كثيرة المراكب حسنة الأسواق وبينها وبين المحلة الكبيرة ثلاثة فراسخ (وضبط
اسمها بفتح السين المهملة والميم وتشديد النون وضمها وواو ودال مهمل) ومن هذه
للمدينة ركبت النيل مصعداً إلى مصر ما بين مدائن وقرى منتظمة المتصل بعضها ببعض
ولا يفتقر راكب النيل إلى استئجار صاحب الزاد لأنه مهتماً أراد النزول بالشاطئ نزل للوضوء
والصلاة وشراء الزاد وغير ذلك والأسواق متصلة من مدينة الاسكندرية إلى مصر ومن
مصر إلى مدينة أسوان من الصعيد ثم وصلت إلى مدينة مصر هي أم البلاد وقرارة
قرعون ذى الأوتاد ذات الأقاليم العريضة والبلاد الأريضة المتناهية في كثرة
العمارة المتناهية بالحسن والنضارة وجمع الوارد والصادر ومحط رحل الضعيف
والقادر وبها ماشئت من عالم وجاهل وجاد وهازل وحليم وسفيه ووضع ونبيه
وشريف ومشروف ومنكر ومعروف تروج موج البحر بسكانها وتكاد تضيق بهم
على سعة مكانها ولمكانها شبابها يجد على طول العهد وكوكب تعديها لا يبرح عن
منزل السعد قهرت قاهرها الأمم وتمسكنت ملوكها نواصي العرب والعجم ولها
خصوصية النيل الذى جل خطرها وأعناها عن أن يستمد القطر قطرها وأرضها
مسييرة شهر لمجد السير كريمة التربة مؤنسة لدوى العربى قال ابن جزى وفيها يقول
الشاعر :

لعمرك ما مصر بمصر وإنما هى الجنة الدنيا لمن يتبصر
فأولادها الولدان والخور عينها وروضها الفردوس والنيل كثر

وفيها يقول ناصر الدين بن ناهض :

شاطيء مصر جنة ما مثاها من بلد
لا سيما مذ زخرفت بنيلها المطرد
والرياح فوقه سوابغ من زرد
مسرودة ما مسها داودها بمبرد
سائلة هواؤها يرعد عارى الجسد
والفلك كالأفلاك بسين حاد ومصعد

(رجع) ويقال أن بمصر من السقائين على الجمال اثني عشر ألف سقاء وأن بها ثلاثين
ألف مكار وأن بنيلها من المراكب ستة وثلاثين ألفا للسلطان والرعية تمر صاعدة إلى
الصعيد ومنحدرة إلى الاسكندرية ودمياط بأنواع الخيرات والمرافق وعلى ضفة النيل

عما يواجه مصر الموضع المعروف بالروضة وهو مكان النزعة والتفرج وبه البساتين
الكثيرة الحسنة وأهل مصر ذو طرب وسرور ولهو شاهدت بهامرة فرجة بسبب بره
الملك الناصر من كسر أصاب يده فزين كل أهل سوق سوقهم وعلقوا بحوائثهم الحبل
والحلى وثياب الحرير وبقوا على ذلك أياما

(ذكر مسجد عمرو بن العاص والمدارس والمؤسسات والزوايا)

ومسجد عمرو بن العاص مسجد شريف كبير القدر شهير الذكر تقام فيه الجمعة والطريق
يعترضه من شرق إلى غرب وبشرقه زاوية حيث كان يدرس الامام أبو عبد الله الشافعي
وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها - وأما المؤسسات التي بين القصرين
عند تربة الملك المنصور قلاوون فيعجز الوصف عن محاسنها وقد أعد فيه من المرافق
والادوية ما لا يحصر - يذكر أن مجباه ألف دينار كل يوم - وأما الزوايا فكثيرة وهم
يسمونها الخوانق واحدها خانقة والامراء بمصر يتنافسون في بناء الزوايا وكل زاوية
بمصر معينة لطائفة من الفقراء أو أكثرهم الأعاجم وهم أهل أدب ومعرفة بطريقة التصوف
ولكل زاوية شيخ وحارس وترتيب أمورهم عجيب * ومن عوائدهم في الطعام أنه يأتي
خديم الزاوية إلى الفقراء وصباحا فيعين له كل واحد ما يشتهي من الطعام فإذا اجتمعوا
اللاكل جعلوا لكل إنسان خبزة ومرفقة في إناء على حدة لا يشاركه فيه أحد وطعامهم مرتان في
اليوم ولهم كسوة الشتاء وكسوة الصيف ومرتب شهري من ثلاثين درهما للواحد في الشهر إلى
عشرين ولهم الخلاوة من السكر في كل ليلة الجمعة والصاؤون لغسل أثوابهم والأجرة لدخول
الحمام والزيت للاستصباح وهم أعزب وللبزوجين زوايا على حدة ومن المشترك عليهم
حضور الصلوات الخمس والمبيت بالزاوية واجتماعهم بقبة داخل الزاوية * ومن عوائدهم
أن يجلس كل واحد منهم على سجادة مختصة به وإذا صلاوا صلاة الصبح قرأوا سورة الفتح
وسورة الملك وسورة عم يؤتى بنسخ من القرآن العظيم مجزأة فيأخذ كل فقير جزءا ويختمون
القرآن ويندكرون ثم يقرأ القراء على عادة أهل المشرق ومثل ذلك يفعلون بعد صلاة العصر *
ومن عوائدهم مع القادم أنه يأتي باب الزاوية فيقف به مشدود الوسط وعلى كاهله سجادة
وبيمينه الكماز ويسراه الأبريق فيعلم البواب خديم الزاوية مكانه فيخرج اليه ويسأله من
أى البلاد أتى وبأى الزوايا نزل في طريقه ومشيخته فإذا عرف صحة قوله أدخله الزاوية وفرش
له سجادة في موضع يليق به وأراه موضع الطهارة فيجدد الوضوء وبأنى إلى سجادته فيحجل
وسطه ويصلي ركعتين ويصافح الشيخ ومن حضر ويقعد معهم * ومن عوائدهم أنهم إذا

كان يوم الجمعة أخذ الخادم جميع سجاجيدهم فيذهب بها المسجد ويفرشها لهم هنالك ويخرجون مجتمعين ومعهم شيخهم فيأتون المسجد ويصلي كل واحد على سجادة فاذا فرغوا من الصلاة قرؤوا القرآن على عادتهم ثم ينصرفون مجتمعين إلى الزاوية ومعهم شيخهم .

﴿ ذكر قرافة مصر ومزاراتها ﴾

ولمصر القرافة العظيمة الشأن في التبرك بها وقد جاء في فضلها أثر أخرجه القرطبي وغيره لأنها من جملة الجبل المقطم الذي وعد الله أن يكون روضة من رياض الجنة وهم يبنون بالقرافة القباب الحسنة ويجعلون عليها الحيطان فتكون كالدير ويبنون بها البيوت ويرتبون القراء يقرؤون ليلاً ونهاراً بالأصوات الحسان ومعهم من يبنى للزاوية والمدرسة إلى جانب التربة ويخرجون كل ليلة جمعة إلى المبيت بأولادهم ونسائهم ويطوفون على الأنواق بصنوف المساكين . ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي عليهما السلام وعليه رباط ضخم عجيب البناء على أبوابه حلق الفضة وصفايحها أيضاً كذلك وهو موفى الحق من الإجلال والتعظيم ومنها تربة السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام وكانت مجابة الدعوة مجتهدة في العبادة وهذه التربة أنيقة البناء مشرفة الضياء عليها ورباط مقصود ومنها تربة الامام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه وعليها رباط كبير ولها جارية ضخمة وبها القبة الشهيرة البديعة الإتقان العجيبة البنيان المتناهية الاحكام المقرطة السمو وسعتها أزيد من ثلاثين ذراعاً وبقرافة مصر من قبور العلماء والصالحين مالا يضبطه الحصر وبها عدد جم من الصحابة وصدور السلف والخلف رضي الله تعالى عنهم مثل عبد الرحمن بن القاسم وأشهب بن عبد العزيز وأصبغ بن الفرج وأبني عبد الحكم وأبي القاسم بن شعبان وأبي محمد عبد الوهاب لكن ليس لهم بها اشتها ولا يعرفهم إلا من بهم عناية والشافعي رضي الله عنه ساعده الجسد في نفسه وأتباعه وأصحابه في حياته ومماته فظهر من أمره مصداق قوله (كامل)

الجديد في كل أمر شائع والجديد يفتح كل باب مغلق

﴿ ذكر نيل مصر ﴾

ونيل مصر يفضل أنهار الأرض عذوبة مذاق واتساع قطر وعظم منفعة والمدن والقرى بصفتيه منتظمة ليس في المعمور مثلاً ولا يعلم نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل

وليس في الارض نهر يسمى بحر غيره قال الله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم فسماه يما وهو البحر وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ وصل ليلة الاسراء إلى سدرة المنتهى فاذا في أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فسأل عنها جبريل عليه السلام فقال أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وفي الحديث أيضا النيل والفرات وسيحون وجميعون كل من أنهار الجنة ويجرى النيل من الجنوب إلى الشمال خلافا لجميع الأنهار * ومن عجائبه ان ابتداء زيادته في شدة الحر عند نقص الأنهار وجفوفها وابتداء نقصه حين زيادة الأنهر وفيضها ونهر السند مثله في ذلك وسيأتي ذكره وأول ابتداء زيادته في حزيران وهو يونيو فاذا بلغت زيادته ستة عشر ذراعا تم خراج السلطان فان زاد ذراعا كان الخصب في العام والصالح الثام فان بلغ ثمانية عشر ذراعا أضر بالضياع وأعقب الوباء وان نقص ذراعا عن ستة عشر نقص خراج السلطان وان نقص ذراعين استسقى الناس وكان الضرر الشديد والنيل أحد أنهار الدنيا الخمسة السكبار وهي النيل والفرات والدجلة وسيحون وجميعون وتماثلها أنهار خمسة أيضا نهر السند ويسمى ينجاب ونهر الهند ويسمى السكنك واليه تهب الهنود واذا حرقوا أمواتهم رموا برماهم فيه ويقولون هو من الجنة ونهر الجون بالهند أيضا ونهر اتل بصحراء قفجق وعلى ساحله مدينة السرا ونهر السرو بأرض الخطا وعلى ضفته مدينة خان باق ومنها ينحدر إلى مدينة الخنسا ثم إلى مدينة الزيتون بأرض الصين وسيدكر ذلك كله في مواضعه ان شاء الله والنيل يفترق بعد مسافة من مصر على ثلاثة أقسام ولا يعبر نهر منها إلا في السفن شتاء وصيفا وأهل كل بلد لهم خلجان تخرج من النيل فاذا مد أترعها فاضت على المزارع .

﴿ ذكر الأهرام والبراني ﴾

وهي من العجائب المذكورة على مر الدهور وللناس فيها كلام كثير وخوض في شأنها وأولية بنائها ويزعمون أن العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت من هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى ويسمى اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وانه أول من تكلم في الحركات الفلسفية والجواهر العلوية وأول من بنى الهيكل ومجد الله تعالى فيها وانه أئذ الناس بالطوفان وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الأهرام والبراني وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة ويقال ان دار العلم والملك بمصر مدينة منف وهي على يريد من القسطنطينية بنيت الاسكندرية انتقل الناس إليها وصارت دار العلم والملك إلى أن أتى الاسلام فاحتفظ عمرو بن العاص رضي الله

عنه مدينة القسطنطينية فبنى قاعدة مصر إلى هذا العهد والاهرام بناء بالحجر الصلد المنحوت متناهى السمو مستدير متسع الأسفل ضيق الأعلى كالشكل المخروط ولا أبواب لها ولا تعلم كيفية بنائها ومما يذكر في شأنها أن ملكا من ملوك مصر قبل الطوفان رأى رؤياها لله وأوجبت عنده أنه بنى تلك الاهرام بالجانب الغربى من النيل لتكون مستودعا للعلوم واجتة الملوك وأنه سال المنجمين هل يفتح منها موضع فاخبروه أنها تفتح من الجانب الشمالى وعينوا له الموضع الذى تفتح منه ومبلغ الإنفاق فى فتحه فأمر أن يجعل بذلك الموضع من المال قدر ما أخبروه أنه ينفق فى فتحه واشتد فى البناء فأتته فى ستين سنة كتب عليها بنينا هذه الاهرام فى ستين سنة فابعد منها من يريد ذلك فى ستائة سنة فإن الهدم أيسر من البناء فلما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين المأمون أراد هدمها فأشار عليه بعض مشايخ مصر أن لا يفعل فاج فى ذلك وأمر أن تفتح من الجانب الشمالى فكانوا يوقدون عليها النار ثم يرشونها بالخل ويرمونها بالمنجنيق حتى فتحت الثلمة التى بها إلى اليوم ووجدوا بإزاء النقب مالا أمر أمير المؤمنين بوزنه فحصر ما أنفق فى النقب فوجدوا سواء فظال عجبهم من ذلك ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعا .

{ ذكر سلطان مصر }

وكان سلطان مصر على عهد دخولى إليها الملك الناصر أبو الفتح محمد بن المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى وكان قلاوون يعرف بالآفى لأن الملك الصالح اشتراه بالف دينار ذهباً وأصله من قمجق والملك الناصر رحمه الله السيرة الكريمة والفضائل العظيمة وكفاه شرفاً انتأوه لخدمة الحرمين الشريفين وما يفعله فى كل سنة من أفعال البر التى تعين الحجاج من الجمال التى تحمل الزاد والماء للبقطين والضعفاء وتحمل من تأخر أو ضعف عن المشى فى الدربين المصرى والشامى وبنى زاوية عظيمة بسرياقص خارج القاهرة لسكران الزاوية التى بناها مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين وكهف الفقراء والمساكين خليفة الله فى أرضه القائم من الجهاد بنقله وفرضه أبو عنان أيد الله امره وأظهره وسقى له الفتح المبين ويسره بخارج حضرته العلية المدينة البيضاء حرسها الله لا نظير لها فى المعمور فى إتقان الوضع وحسن البناء والنقش فى الجص بحيث لا يقدر أهل المشرق على مثله وسيأتى ذكر ما عمره أيد الله من المدارس والمريستان والزوايا ببلاده حرسها الله وحفظها بدوام ملكه .

(ذكر بعض أمراء مصر)

منهم ساقى الملك الناصر وهو الأمير بكتمور (وضبط اسمها بضم الباء الموحدة وكاف مسكن وتاء معلومة مضمومة وآخره راء) وهو الذى قتله الملك الناصر بالسم وسيدكر ذلك ، ومنهم نائب الملك الناصر ارغون الدودار وهو الذى بلى بكتمور فى المنزلة (وضبط اسمه بفتح الهضمة واسكان الراء وضم الغين المعجمة) ومنهم طشيط المعروف بمحص أخضر (واسمه بطاء بن مهملين مضمومين وبينهما شين معجم) وكان من خيار الأمراء وله الصدقات الكثيرة على الأيتام من كسوة ونفقة وأجرة لمن يعلمهم القرآن وله الإحسان العظيم للحرافيش وهم طائفة كبيرة أهل صلالة وجاه ودعارة . وسجنه الملك الناصر مرة فاجتمع من الحرافيش آلاف ووقفوا بأسفل القلعة ونادوا بلسان واحد يا أخرج النجس يعنون الملك الناصر أخرجه فأخرجه من محبسه وسجنه مرة أخرى ففعل الأيتام مثل ذلك فأطلقه * ومنهم وزير الملك الناصر يعرف بالجمالى بفتح الجيم . ومنهم بدر الدين بن البابه . ومنهم جمال الدين نائب السكر . ومنهم تقردمور (واسمه بضم التاء المعلولة وضم القاف وزاء مسكن ثم دال مضموم وميم مثله وآخره راء) ودمور بالتركية الحديد . ومنهم بهادر الحجازى (واسمه بفتح الباء الموحدة وضم الدال المهمل وآخره راء) ومنهم قوصون (واسمه بفتح القاف وصاد مهمل مضموم) . ومنهم بشتك (واسمه بفتح الباء الموحدة واسكان الشين المعجم وتاء معلولة مفتوحة) وكل هؤلاء يتنافسون فى أفعال الخيرات وبناء المساجد والزوايا . ومنهم ناظر جيش الملك الناصر وكاتبه فخر الدين القبطى وكان نصرانيا من القبط فأسلم وحسن إسلامه وله المسكرم العظيمة والفضائل الثامة ودرجته من أعلى الدرجات عند الملك الناصر وله الصدقات الكثيرة والاحسان الجزيل . ومن عادته أن يجلس عشى النهار فى مجلس له باسطوان داره على النيل ويليه المسجد فإذا حضر المغرب صلى فى المسجد وعاد إلى مجلسه وأوقى بالطعام ولا يمنع حينئذ أحد من الدخول كائنا من كان فمن كان ذا حاجة تكلم فيها فقضاها له ومن كان طالب صدقة أمر مملوكا له يدعى بدر الدين واسمه أوأو يصبحبه إلى خارج الدار وهناك خازنه معه صرر الدراهم فيعطيه ما قدر له ويحضر عنده فى ذلك الوقت الفقهاء ويقرأ بين يديه كتاب البخارى فإذا صلى العشاء الأخيرة انصرف الناس عنه

(ذكر القضاة بمصر فى عهد دخولى إليها)

فمنهم قاضى القضاة الشافعية وهو أعلام منزلة وأكبرهم قدرا واليه ولاية القضاة بمصر وعزله وهو القاضى الإمام العالم بدر الدين بن جماعة وابنه عز الدين هو الآن متولى ذلك

* ومنهم قاضى القضاة المالكية الامام الصالح تقي الدين الاخنائى . ومنهم قاضى القضاة الحنفيه الامام العالم شمس الدين الحريرى وكان شديد السطوة لا تأخذه فى الله لومة لائم وكانت الأمراء تخافه ولقد ذكر لى ان الملك الناصر قال يوما لجلسائه إني لأخاف من أحدا إلا من شمس الدين الحريرى . ومنهم قاضى القضاة الحنبلية ولا أعرفه الآن إلا أنه كان يدعى بعز الدين .

﴿ حكاية ﴾

كان الملك الناصر رحمه الله يقعد للنظر فى المظالم ورفع قصص المتشكين كل يوم اثنين وخميس ويقعد القضاة الأربعة عن يساره وتقرأ القصص بين يديه ويعين من يسأل صاحب القصة عنها وقد سلك مولانا أمير المؤمنين ناصر الدين أيدته الله فى ذلك مسلكا لم يسبق لآلئه ولا من يدي العدل والتواضع عليه وهو سؤاله بذاته السكرية لكل متظلم وعرضه بين يديه المستقيمة أى الله أن يحضرها سواء أدام الله أيامه . وكان رسم القضاة المذكورين أن يكون أعلامهم منزلة فى الجلوس قاضى الشافعية ثم قاضى الحنفيه ثم قاضى المالكية ثم قاضى الحنبلية فلما توفى شمس الدين الحريرى وولى مكانه برهان الدين عبد الحق الحنفى أشار الأمراء على الملك الناصر بأن يكون مجلس المالكية فوقه وذكروا أن العادة جرت بذلك قديماً إذ كان قاضى المالكية زين الدين بن مخلوف يلى قاضى الشافعية تقي الدين بن دقيق العيد فأمر الناصر بذلك فلما علم به قاضى الحنفيه غاب عن شهود المجلس أنفة من ذلك فأسكر الملك الناصر مغيبه وعلم ما قصده فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه أخذ الحاجب بيده وأقعده حيث نفذ أمر السلطان مما يلى قاضى المالكية واستمر حاله على ذلك

﴿ ذكر بعض علماء مصر وأعيانها ﴾

فمنهم شمس الدين الاصهبانى إمام الدنيا فى المعقولات ومنهم شرف الدين الزواوى المالكي ومنهم برهان الدين بن بنت الشاذلى نائب قاضى القضاة بحامع الصالح ومنهم ركن الدين بن القوبيع التونسى من الأئمة فى المعقولات ومنهم شمس الدين بن عدلان كبير الشافعية ومنهم بهاء الدين بن عقيل فقيه كبير ومنهم أبيير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الغرناطى وهو أعلمهم بالنحو ومنهم الشيخ الصالح بدر الدين عبد الله المنوفى ومنهم برهان الدين الصفهائى ومنهم قوام الدين السكرمانى وكان سكنا على سطح الجامع الأزهر وله جماعة من الفقهاء والقراء يلازمونه ويدرسون فنون العلم ويفتى فى المذاهب والباسه عبادة صوف خشنة وعمامة صوف سوداء ومن عاداته أن يذهب بعد صلاة العصر إلى موضع الفرج والنزاهات منفرداً عن أصحابه ومنهم السيد الشريف شمس الدين بن بنت الصاحب تاج الدين

ابن حناء ومنهم شيخ شيوخ القراء بديار مصر مجدد الدين الاقصر اثنى نسبة إلى أقصر امن بلاد الروم ومسكنه سرياقص ومنهم الشيخ جمال الدين الخويزاني والخويزاني على مسيرة ثلاثة أيام من البصرة ومنهم نقيب الأشراف بديار مصر السيد الشريف المعظم بدر الدين الحسيني من كبار الصالحين ومنهم وكيل بيت المال المدرس بقية الامام الشافعي مجدد الدين بن حرمي ومنهم المحتسب بمصر نجم الدين السمرقاني من كبار الفقهاء وله بمصر رئاسة عظيمة وجاه

(ذكر يوم المحمل)

وهو يوم دوران الجمل يوم مشهود وكيفية ترتيبهم فيه أنه يركب فيه القضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب وقد ذكرنا جميعهم ويركب معهم أعلام الفقهاء وأمناء الرؤساء وأرباب الدولة ويقصدون جميعاً باب القلعة دار الملك الناصر فيخرج إليهم المحمل على جمل وأمامه الأمير المعين لسفر الحجاز في تلك السنة ومعه عسكره والسقاؤون على جمالهم ويجتمع لذلك أصناف الناس من رجال ونساء ثم يطوفون بالمحمل وجميع من ذكر نامعه بمدينة القاهرة ومصر والحدادة يحدون أمامهم ويكون ذلك في رجب فعند ذلك تهيج العزيمات وتنبعث الأشواق وتتحرك البواعث ويلقى الله تعالى العزيمة على الحج في قلب من يشاء من عباد الله فيأخذون في التاهب لذلك والاستعداد ثم كان سفرى من مصر على طريق الصعيد برسم الحجاز الشريف فبت ليلة خرجى بالرباط الذى بناه صاحب تاج الدين بن حناء بدير الطين وهو رباط عظيم بناء على مفاخر عظيمة واثار كريهة ودعافيه وهى قطعة من قصعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والميل الذى كان يكتحل به والدرفش وهو الاشفا الذى كان يخصف به نعله ومصحف أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى بخط يده رضى الله عنه ويقال ان صاحب اشترى ما ذكرناه من الآثار السكرية النبوية بمائة ألف درهم وبني الرباط وجعل فيه الفحام الوارد والصادر والجرارية لخدمة تلك الآثار الشريفة نفقه الله تعالى بقصده المبارك ثم خرجت من الرباط المذكور ومررت بمنية القائد وهى بلدة صغيرة على ساحل النيل ثم سرت منها إلى مدينة بوش (وضبطها بضم الباء الموحدة واحدة شين معجم) وهذه المدينة أكثر بلاد مصر كثانا ومنها يجلب إلى سائر الدنيا المصرية وإلى إفريقية ثم سافرت منها فوصلت إلى مدينة دلاص (وضبط اسمها بفتح الدال المهملة وآخره صاد مهملة) وهذه المدينة كثيرة السكتان أيضاً كمثل التى ذكرناها قبلها ويحمل أيضاً منها إلى ديار مصر وإفريقية ثم سافرت منها إلى مدينة بنا (وضبط اسمها بباء ين موحدتين أو لاهما مكسورة) ثم سافرت منها إلى مدينة البهنسا وهى مدينة كبيرة وبساتينها كثيرة (وضبط

اسمها بفتح الموحدة وإسكان الهاء وفتح النون والسين) وتصنع بهذه المدينة ثياب الصوف الجيدة ومن لقيته بها قاضيها العالم شرف الدين وهو كريم النفس فاضل ولقيت بها الشيخ الصالح أبا بكر العجمي ونزلت عنده وأضافني ثم سافرت منها إلى مدينة منية ابن خصيب وهي مدينة كبيرة الساحة متسعة المساحة مبنية على شاطئ النيل وحق حقيق لها على بلاد الصعيد التفضيل بها المدارس والمشاهد والزوايا والمساجد وكانت في القديم منية عامل مصر الخصيب

(حكاية خصيب)

يذكر أن أحد الخلفاء من بني العباس رضى الله عنهم غضب على أهل مصر فآلى أن يولى عليهم أحقر عبيده وأصغرهم شأنًا قصدًا لإرذالهم والتكليل بهم وكان خصيب أحقرهم لذكأن يتولى تسخين الحمام يفلح عليه وأمره على مصر وظنه أنه يسير فيهم سيرة سوء ويقصدهم بالاذاية حسبا هو المهود ممن ولى عن غير عهد بالعز فلما استقر خصيب بمصر سار في أهلها أحسن سيرة وشهر بالكرم والإيثار فكان أقارب الخلفاء وسواهم يقصدونه فيجزل العطاء لهم ويعودون إلى بغداد شاكرين لما أولاهم وأن الخليفة افتقد بعض العباسيين وغاب عنه مدة ثم أتاه فسأله عن مغيبه فأخبره أنه قصد خصيبًا وذكر له ما أعطاه خصيب وكان عطاء جزيلًا فغضب الخليفة وأمر بسمل عيني خصيب وإخراجه من مصر إلى بغداد وأن يطرح في أسواقها فلما ورد الأمر بالقبض عليه حيل بينه وبين دخوله منزله وكانت بيده ياقوتة عظيمة الشأن نجباها عنده وخاطبها في ثوب له ليلا وسلمت عيناه وطرح في أسواق بغداد فر به بعض الشعراء فقال له يا خصيب إني كنت قصدك من بغداد إلى مصر مادحا لك بقصيدة فوافقت انصرافك عنها وأحب أن تسمعها فقال كيف بسماعها وأنا على ما تراه فقال إنما قصدى سماعك لها وأما العطاء فقد أعطيت الناس وأجزلت جزاك الله خيرا قال فافعل فأنشد (كامل)

أنت الخصيب وهذه مصر فتدققا فكلكما بحس

فلما أتى على آخرها قال له افترق هذه الخياطة ففعل ذلك فقال له خذ الياقوتة فأني فأقسم عليه أن يأخذها فأخذها وذهب بها إلى سوق الجوهريين فلما عرضها عليهم قالوا له إن هذه لا تصالح إلا للخليفة فرفعوا أمرها إلى الخليفة فأمر الخليفة بإحضار الشعراء واستفهمه عن شأن الياقوتة فأخبره بخبرها فتأسف على ما فعله بخصيب وأمر بمشواله بين يديه وأجزل له العطاء وحكمه فيما يريد فرغب أن يعطيه المنية ففعل ذلك وسكنها خصيب إلى أن توفى وأورثها عقبه إلى أن انقرضوا وكان قاضي هذه المنية أيام دخول اليبسا

نغر الدين النويرى المالكى ووالها شمس الدين أمير خير كريم دخلت يوما الحمام بهذه البلدة فرأيت الناس بها لا يستترون فعظم ذلك على وائتته فأعلمته بذلك فأمرنى لأبرح وأمر بإحضار المسكنين للحمامات وكتبت عليهم العقود انه متى دخل أحد الحمام دون مئزر فإنهم يؤخذون على ذلك واشتد عليهم أعظم الاشتداد ثم انصرفت عنه وسافرت من منية ابن خصيب إلى مدينة منلوى وهى صغيرة مبنية على مسافة ميلين من النيل (وضبط اسمها بفتح الميم وإسكان النون وفتح اللام وكسر الواو) وقاضها الفقيه شرف الدين الدميرى (بفتح الدال المهملة وكسر الميم) الشافعى وكبارها قوم يعرفون ببني فضيل بنى احدى جامعا أنفق فيه صميم ماله وهذه المدينة إحدى عشرة معصرة للسكر ومن عوائدهم أنهم لا يمنعون فقيرا من دخول معصرة منها فيأتى الفقير بالخبزة الحارة فيطرحها فى القدر التى يطبخ السكر فيها ثم يخرجها وقد امتلأت سكرأ فينصرف بها وسافرت من منلوى المذكورة إلى مدينة منفلوط وهى مدينة حسن وواؤها مؤنق بناؤها على ضفة النيل شهيرة البركة (وضبط اسمها بفتح الميم وإسكان النون وفتح الفاء وضم اللام وآخرها طاء مهملة)

(حكاية) أخبرنى أهل هذه المدينة أن الملك الناصر رحمه الله أمر بعمل منبر عظيم بحكم الصنعة بديع الانشاء برسم المسجد الحرام زاده الله شرفا وتعظيما فلما تم عمله أمر أن يصعد به فى النيل ليحجز إلى بحر جدة ثم إلى مكة شرفها الله فلما وصل المركب الذى احتمله إلى منفلوط وحاذى مسجدها الجامع وقف وامتنع من الجرى مع مساعدة الريح فعجب الناس من شأنه أشد العجب وأقاموا أياما لا ينهض بهم المركب فكاتبوا بخبره إلى الملك الناصر رحمه الله فأمر أن يجعل ذلك المنبر بجامع مدينة منفلوط ففعل ذلك وقد عاينته بها ويصنع فى هذه المدينة شبه العسل يستخرجه من القمح ويسمونه النيداء يباع بأسواق مصر وسافرت من هذه المدينة إلى مدينة أسيوط وهى مدينة رفيعة أسواقها بديعة (وضبط اسمها بفتح الهمزة والسين المهملة والباء آخر الحروف وواو وطاء مهملة) وقاضها شرف الدين ابن عبد الرحيم الملقب (بحاصل مائتم) لقب اشتهر به وأصله أن القضاة بديار مصر والشام يبايهم الأوقاف والصدقات لأبناء السبيل فإذا أتى فقير لمدينة من المدن قصد القاضى بها فيعطيه ما قدر له فكان القاضى إذا أتاه الفقير يقول له حاصل مائتم أى لم يبق من المال الحاصل شئ فلقب بذلك ولزمه وبها من المشايخ الفضلاء الصالح شهاب الدين ابن الصياغ أضافنى بزوايته وسافرت منها إلى مدينة اخميم وهى مدينة عظيمة أصيلة البنين عجيبة الشأن بها البرنى المعروف باسمه وهو مبنى بالحجارة فى داخله نقوش وكتابة

للاوائل لا تفهم في هذا العهد وصور الأفلاك والكواكب ويزعمون أنها بنيت والنسر الطائر ببرج العقرب وبها صور الحيوانات وسواها وعند الناس في هذه الصور أكاذيب لا يعرج عليها وكان بانخيم رجل يعرف بالخطيب أمر على هدم بعض هذه البرابي وابتقى بجارتها مدرسة وهو رجل موسر معروف باليسار ويزعم حساده أنه استفاد ما بيده من المال من ملازمته لهذه البرابي ونزلت من هذه المدينة بزواية الشيخ أبي العباس بن عبد الظاهر وبها تربة جده عبد الظاهر وله من الأخوة ناصر الدين ومحمد الدين وواحد الدين ومن عادتهم أن يجتمعوا جميعاً بعد صلاة الجمعة ومعهم الخطيب نور الدين المذكور وأولاده وقاضى المدينة الفقيه مجلس وسائر أهلها فيجتمعون للقرآن ويذكرون الله إلى صلاة العصر فإذا صلوا قرأوا سورة الكهف ثم انصرفوا وسافرت من انخيم إلى مدينة (هو) مدينة كبيرة بساحل النيل (وضبطها بضم الهاء) نزلت منها بمدرسة تقي الدين بن السراج ورأيتهم يقرأون بها في كل يوم بعد صلاة الصبح حزبا من القرآن ثم يقرأون أورااد الشيخ أبي الحسن الشاذلى وحزب البحر وبهذه المدينة السيد الشريف أبو محمد عبد الله الحسنى من كبار الصالحين (كرامة له) دخلت إلى هذا الشريف متبركا برؤيته والسلام عليه فسألت عن قصدى فأخبرته إنى أريد البيت الحرام على طريق جدة فقال لى لا يحصل لك هذا فى هذا الوقت فارجع وإنما تحج أول حجة على الدرب الشامى فانصرفت عنه ولم أعمل على كلامه ومضيت فى طريقى حتى وصلت إلى عيذاب فلم يتمكن لى السفر فعدت راجعاً إلى مصر ثم إلى الشام وكان طريقى فى أول حجأتى على الدرب الشامى حسباً أخبرنى الشريف نفع الله به ثم سافرت إلى مدينة قنا وهى صغيرة حسنة الأسواق (وضبط اسمها بقاف مكسورة ونون) وبها قبر الشريف الصالح الولى صاحب البراهين العجيبة والكرامات الشيرة عبد الرحيم القناوى رحمة الله عليه ورأيت بالمدرسة السيفية حفيدة شهاب الدين احمد وسافرت من هذا البلد إلى مدينة قوص (وهى بضم القاف) مدينة عظيمة لها خيرات عجيبة بساكنتها مورة وأسواقها مونة ولها المساجد الكثرية والمدارس الأثيرة وهى منزل ولاية الصعيد وبخارجها زواية الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار وزواية الافرم وبها اجتماع الفقراء المتجردين فى شهر رمضان من كل سنة ومن علمائها القاضى جمال الدين بن السديد والخطيب بها فتح الدين بن دقيق العيد أحد الفصحاء البلغاء الذين حصل لهم سبق فى ذلكم أرمين يماثله لإلا خطيب المسجد الحرام بهاء الدين الطبرى وخطيب مدينة خوارزم حسام الدين الشاطلى وسيقع ذكرهما ومنهم الفقيه بهاء الدين عبد العزيز المدرس بمدرسة المالكية ومنهم الفقيه برهان الدين ابراهيم الأندلسى له زوايه عالسة ثم

سافرت إلى مدينة الأقصر (وضبط اسمها بفتح الهمزة وضم الصاد المهمل) وهي صغيرة حسنة وبها قبر الصالح العابد أبي الحجاج الأقصري وعليه زاوية وسافرت منها إلى مدينة أرمنت (وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون الراء وميم مفتوحة ونون ساكنة وتاء فوقية) وهي صغيرة ذات بساطين مبنية على ساحل النيل أضافني قاضيها وأنسيت اسمه ثم سافرت منها إلى مدينة أسنا (وضبط اسمها بفتح الهمزة وإسكان السين المهمل ونون) مدينة عظيمة متسعة الشوارع ضخمة المنافع كثيرة الزوايا والمدارس والجوامع لها أسواق حسان وبساتين ذات أفنان قاضيها قاضي القضاة شهاب الدين بن مسكين أضافني وأكرمني وكتب إلى نوابه بإكرامى وبها من الفضلاء الشيخ صالح نور الدين على والشيخ الصالح عبد الواحد المسكناسى وهو على هذا العهد صاحب زاوية بقوص ثم سافرت منها إلى مدينة أدفو (وضبط اسمها بفتح الهمزة وإسكان الدال المهمل وضم الغاء) وبينها وبين مدينة أسنا مسيرة يوم وليلة في صحراء ثم جزنا النيل مدينة أدفو إلى مدينة العطاوى ومنها أكثرنا الجمال وسافرنا مع طائفة من العرب تعرف بدغيم (بالعين المهجمة) في صحراء لاعمارها بها إلا أنها آمنة السيل وفي بعض منازلها نزلنا حميرا حيث قبر ولى الله أبى الحسن الشاذلى وقد ذكرنا كرامته في أخباره أنه يموت بها وأرضها كثيرة الضباع ولم نزل ليلة مبيتنا بها نحارب الضباع ولقد قصدت رحلى ضبع منها فزقت عدلا كان به واجترت منه جراب تمر وذهبت به فوجدنا لما أصبحنا بمزقاً مأكولاً معظم ما كان فيه ثم لما سرنا خمسة عشر يوماً وصلنا إلى مدينة عينذاب وهي مدينة كبيرة كثيرة الخوت واللبن ويحمل إليها الزرع والتمر من صعيد مصر وأهلها البهجة وهم سود الألوان يلتحفون بملاحف صفراء ويشدون على رؤسهم عصائب يكون عرض العصاية أصبعا وهم لا يوروثون البنات وطلعاهم ألبان الإبل ويركبون المهارى ويسعون بها الصهب وثالث المدينة الملك الناصر وثلاثه لملك البهجة وهو يعرف بالحدري (بفتح الحاء المهمل وإسكان الدال وراء مفتوحة وباء موحدة وياء) بمدينة عينذاب مسجد ينسب للقسطلاني شهير البركة رأيتُه وتبركت به وبها الشيخ الصالح موسى والشيخ المسن محمد المراكشى زعم أنه ابن المرتضى ملك مراکش وأن سنة خمس وتسعون سنة ولما وصلنا إلى عينذاب وجدنا الحدري سلطان البهجة يحارب الأتراك وقد خرق المراكب وهرب الترك أمامه فتعذر سفرنا في البحر فبقينا ما كنا أعدداً من الزاد وعدنا مع العرب الذين أكثرنا الجمال منهم إلى صعيد مصر فوصلنا إلى مدينة قوص التي تقدم ذكرها وانحدرنا منها في

النبيل وكان أوان مده فوصلنا بعد مسيرة ثمان من قوص إلى مصر فبت بمصر ليلة واحدة وقصدت بلاد الشام وذلك في منتصف شعبان سنة ست وعشرين فوصلت إلى مدينة بلبيس (وضبط اسمها بفتح الموحدة الأولى وفتح الثانية ثم ياء آخر الحروف مسكنة وسين مهملة) وهى مدينة كبيرة ذات بساتين كثيرة ولم ألق بها من يجب ذكره ثم وصلت إلى الصالحية ومنها دخلنا الرمال ونزلنا منازلها مثل السوادة والورادة والمطيلب والعريش والخروبة بكل منزل منها فندق وهم يسمونه الخان ينزله المسافرون بدواهم وبخارج كل خان ساقية للسبيل وحانوت يشتري منها المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته ومن منازلها قطيا المشهورة وهى (بفتح القاف وسكون الطاء وياء آخر الحرف مفتوحة وألف والناس يبدلون ألفها هاء تأنيث وبها تؤخذ الزكاة من التجار وتفتش أمتعتهم ويبحث عما لديهم أشد البحث وفيها الدواوين والعمال والسكرتار ، والشهود ومجباها في كل يوم ألف دينار من الذهب ولا يجوز عليها أحد من الشام إلا برامة من مصر ولا إلى مصر إلا برامة من الشام احتياطاً على أموال الناس وتوقيها من الجواسيس العراقيين وطريقها في ضمان العرب قد وكلوا بحفظه فإذا كان الليل مسحوا على الرمل حتى لا يبقى به أثر ثم يأتى الأمير صباحاً فينظر إلى الرمل فإن وجد به أثر طالب العرب بإحضار مؤثره فينهبون في طلبه فلا يفوتهم فيأتون به الأمير فيعاقبه بما شاء وكان بها في عهد وصولي إليها عز الدين أستاذ الداراقارى من خيار الأمراء أضافنى وأكرمنى وأباح الجواز لمن كان معى وبين يديه عبد الجليل المغربي والوقاف وهو يعرف المغاربة وبلادهم فيسأل من ورد منهم من أى البلاد هو مثلاً يلبس عليهم فإن المغاربة لا يعترضون جوازهم على قطيا . ثم سرنا حتى وصلنا إلى مدينة غزة وهى أول بلاد الشام مما يلى مصر مقسمة الأفطار كثيرة العمارة حسنة الأسواق بها المساجد العديدة والأسوار عليها وكان بها جامع حسن والمسجد الذى تقام الآن به الجمعة فيها بناء الأمير المعظم الجاوى وهو أنيق البناء محكم الصنعة ومنبره من الرخام الأبيض وقاضى غزة بدر الدين السلخى الحورانى ومدرسها علم الدين ابن سالم وبنو سالم كبراء هذه المدينة ومنهم شمس الدين قاضى القدس ثم سافرت من غزة إلى مدينة الخليل صلى الله على نبيينا وعليه وسلم تسليماً وهى مدينة صغيرة الساحة كبيرة المقدار مشرقة الأنوار حسنة المنظر عجيبه الخبز فى بطن وادومسجدها أنيق الصنعة محكم العمل بديع الحسن سامى الارتفاع مبنى بالصخر المنحوت فى أحد أركانته صحرة أحد أقطارها سبعة وثلاثون شبراً ويقال إن سلاجان عليه السلام أمر الجن ببنائه

وفي داخل المسجد الغار المكر المقدس فيه قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب صلوات الله على نبينا وعليهم وبقائها قبور ثلاثة هي قبور أزواجهم وعن يمين المنبر بلصق جدار القبلة موضع مهبط منه على درج رخام محكمة العمل إلى مسلك ضيق يفضى إلى ساحة مفروشة بالرخام فيها صور القبور الثلاثة ويقال إنها محاذية لها وكان هنالك مسلك إلى الغار المبارك وهو الآن مسدود وقد نزلت بهذا الموضع مرات ومما ذكره أهل العلم دليلا على صحة كون القبور الثلاثة الشريفة هنالك ما نقله من كتاب علي بن جعفر الرازي الذي سماه المسفر للقلوب عن صحة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب أسند فيه إلى أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى في إلى بيت المقدس مرني جبريل على قبر إبراهيم فقال انزل فصل ركعتين فإن هنا قبر أبيك إبراهيم ثم مرني على بيت لحم وقال انزل فصل ركعتين فإن هنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ثم أتني الصخرة وذكر بقية الحديث ولما لقيت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الإمام الخطيب برهان الدين الجعفي أحد الصالحاء المرضين والأئمة المشهورين سأله عن صحة كون قبر الخليل عليه السلام هنالك فقال لي كل من لقينته من أهل العلم يصححون أن هذه القبور قبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب على نبينا وعليهم السلام وقبور زوجاتهم ولا يطعن في ذلك إلا أهل البدع وهو نقل الخلف عن السلف لا يشك فيه * ويذكر أن بعض الأئمة دخل إلى الغار وقف عند قبر سارة فدخل شيخ فقال له أي هذه القبور هو قبر إبراهيم فأشار له إلى قبره المعروف ثم دخل شاب فسأله كذلك فأشار له إليه ثم دخل صبي فسأله أيضا فأشار له إليه فقال الفقيه أشهد أن هذا قبر إبراهيم عليه السلام لاشك ثم دخل إلى المسجد فصلى به وارتحل من الغد وبداخل هذا المسجد أيضا قبر يوسف عليه السلام وبشرقي حرم الخليل تربة لوط عليه السلام وهي تل مرتفع يشرف منه غور الشام وعلى قبره أبنته حسنة وهو في بيت منها حسن البناء مبني ولا ستور عليه وهنالك بحيرة لوط هي أجاج يقال أنها موضع ديار قوم لوط بمقربة من تربة لوط مسجد اليقين وهو على تل مرتفع له نور وإشراق ليس لسواه ولا يجاوره إلا دار واحدة يسكنها قيمة وفي المسجد بمقربة من بابه موضع منخفض في حجر صلد قد هيء فيه صورة محراب لا يسع إلا مصليا واحدا ويقال أن إبراهيم سجد في ذلك الموضع شكر الله تعالى عند هلاك قوم لوط فتحرك موضع سجوده وساخ في الأرض قليلا وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن علي عليهما السلام وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام في أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع بسم الله الرحمن الرحيم الله العزة والبقاء وله ما ذرأ وبرأ وعلى خلقه كتب الفناء وفي رسول الله أسوة هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضي الله عنه

وفي اللوح الآخر منقوش صنعه محمد بن أبي سهل النقاش بمصر وتحت ذلك هذه الايات
 اسكنت من كان في الاحشاء مسكنه بالرغم منى بين الترب والحجر
 يا قهر فاطمة بنت ابن فاطمة بنت الائمة بنت الانجم الزهر
 يا قهر مافيك من دين ومن ورع ومن عفاف ومن صون ومن خفر
 ثم سافرت من هذه المدينة إلى القدس فزرت في طريق اليه تربة يونس عليه السلام وعليها
 بنية كبيرة ومسجد وزرت ايضا بيت لحم موضع ميلاد عيسى عليه السلام وبه اثر جذع
 النخلة وعليه عماره كثيرة والنصارى يعظمونه اشد التعظيم ويضيفون من نزل به ثم وصلنا
 إلى بيت المقدس شرفه الله ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل ومصدر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم تسليما ومعرجه إلى السماء والبلدة كبيرة منيفة بالصخر المنحوت وكان
 الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن أيوب جزاه الله عن الاسلام خيرا لما فتح
 هذه المدينة هدم بعض سورها ثم استنقض الملك الظاهر هدمه خوفا ان يقصدها الروم
 فيتمنعوا بها ولم يكن بهذه المدينة نهرا فيما تقدم وجلب لها الماء في هذا العهد الامير سيف
 الدين تمكين امير دمشق .

(ذكر المسجد المقدس)

وهو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن يقال إنه ليس على وجه الارض مسجدا كبر
 منه وان طوله من شرق إلى غرب سبع مائة وثلثان وخمسون ذراعا بالذراع الماسكية وعرضه
 من القبلة إلى الجوف اربع مائة ذراع وخمس وثلثاؤون ذراعا وله ابواب كثيرة في جهاته
 الثلاث واما الجهة القبالية منه فلا أعلم بها إلا بابا واحدا وهو الذى يدخل منه
 الامام والمسجد كله فضاء وغيره مسقف الا المسجد الاقصى فهو مسقف في النهاية من احكام
 لفعل واتقان الصنعة موه بالذهب والاصبغة الرائقة وفي المسجد مواضع سواء مسقفة

(ذكر قبة الصخرة)

هى من أعجب المباني وأقننها وأغربها شكلا قد توفى حظها من المحاسن وأخذت من كل
 ديدة بطرف وهى قائمة على نثر في وسط المسجد يصعد اليها في درج رخام ولها أربعة
 بواب والدائر بها مقروش الرخام أيضا محكم الصنعة وكذلك داخلها وفي ظاهرها وباطنها
 ن أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الوصف واكثر ذلك مغشى بالذهب ففى
 الأتلا نوار أو تلمع لمعان البرق يحار بصبر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائتها عن تمثيلها
 في وسط القبة الصخرة السكرية التي جاء ذكرها في الآثار فان النبي صلى الله عليه وسلم

خرج منها إلى السماء وهي صخرة صماء ارتفاعها نحو قامة وتحتها مغارة مقدار بيت صغير ارتفاعها نحو قامة أيضا ينزل منها على درج وهناك شكل محراب وعلى الصخرة شبا كان اثنان يحكما العمل يخلقان عليهما أحدهما وهو الذي يلي الصخرة من حديد بديع الصنعة والثاني من خشب وفي القبة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك والناس يزعمون أنها درقة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه .

﴿ ذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف ﴾

فمنها بعدوة الوادى المعروف بوادى جهنم في شرقى البلد على تل مرتفع هنالك بنية يقال انها مصعد عيسى عليه السلام إلى السماء ومنها أيضا قبر رابعة البدوية منسوبة إلى البادية وهي خلاف رابعة العدوية الشهيرة وفي بطن الوادى المذكور كنيسة يعظمها النصارى ويقولون أن قبر مريم عليها السلام بها وهنالك أيضا كنيسة أخرى معظمة يحجها النصارى وهي التي يكذبون عليها ويعتقدون أن قبر عيسى عليه السلام بها وعلى كل من يحجها ضريبة معلومة للمسلمين وضروب من الاهانة يتحملها على رغم انقه وهنالك موضع مبهمة عيسى عليه السلام يتبرك به

﴿ ذكر بعض فضلاء القدس ﴾

فمنهم قاضيه العالم شمس الدين محمد بن سالم الغزى (بفتح الغين) وهو من أهل غزة وكبرائها ومنهم خطيبه الصالح الفاضل عماد الدين النابلسي ومنهم المحدث المقتى شهاب الدين الطبرى ومنهم مدرس المالكية وشيخ الخانقاه الكريمة أبو عبد الله محمد بن مشيت الغرناطى تنزيل القدس ومنهم الشيخ الزاهد أبو على حسن المعروف بالحجوب من كبار الصالحين ومنهم الشيخ الصالح العابد كمال الدين المراغى ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبد الرحيم عبد الرحمن ابن مصطفى من أهل ارز الروم وهو من تلامذه تاج الدين الرفاعى صفيته وليست منه خرقه التصوف ثم سافرت من القدس الشريف برسم زيارة نجر عسقلان وهو خراب قد عاد رسوما طامسة واطلالا دارسة وقل بلد جمع من المحاسن ما جمعت عسقلان اتقاننا وحسن وضع واصله مكان وجمعا بين مرافق البر والبحر وبها المشهد الشهير حيث كان رأس الحسين ابن على عليه السلام قبل أن يتقل إلى القاهرة وهو مسجد عظيم ساسى العلو فيه جب الماء أمر ببنائه بعض العبيد وكتب ذلك على بابه وفي قبلة هذا المزار مسجد كبير يعرف بمسجد عمر لم يبق منه الا حيطانه وفيه أساطين رخام لا مثل لها في الحسن وهي ما بين قائم وحصيد ومن جملة ما استوطنت حرم عجيبة يزعم الناس أن النصارى احتملوا إلى بلادهم ثم فقدوها فوجدت في موضعها بعسقلان وفي القبلة من هذا المسجد بئر تعرف ببئر إبراهيم عليه السلام ينزل إليها في

درج متسعة ويدخل منها إلى بيوت وفي كل ناحية من جهاتها الأربع تخرج من أسراب
 مطوية بالحجارة وماؤها عذب وليس بالغزير ويذكر الناس من فضائلها كثيرًا وبظاهر
 عسقلان وادى النمل ويقال إنه المذكور في السكتاب العزيز وبجبانة عسقلان من قبور
 الشهداء والاولياء ما لا يحصر لكثيرته أو قفنا عليهم قيم المزار المذكور وله جارية يحرمها له ملك
 مصر مع ما يصل إليه من صدقات الزوار ثم سافرت منها إلى مدينة الرملة وهي فلسطين مدينة
 كبيرة كثيرة الخيرات حسنة الأسواق وبها الجامع الأبيض ويقال إن في قبلته ثلاثمائة من
 الأنبياء مدفونين عليهم السلام وفيها من كبار الفقهاء مجد الدين النابلسي ثم خرجت منها
 إلى مدينة نابلس وهي مدينة عظيمة كثيرة الأشجار مطردة الأنهار من أكثر بلاد الشام
 زيتونا ومنها يحمل الزيت إلى مصر ودمشق وبها تصنع حلواء الخروب وتجلب إلى دمشق
 وغيرها (وكيفية عملها) أن يطبخ الخروب ثم بعصر ويؤخذ ما يخرج منه من الرب فتصنع منه
 الحلواء ويجلب ذلك الرب أيضا إلى مصر والشام وبها البطيخ المنسوب إليها وهو طيب عجيب
 والمسجد الجامع في نهاية من الاتقان والحسن وفي وسطه بركة ماء عذب- ثم سافرت منها إلى
 مدينة عجلون (وهي بفتح العين المهملة) وهي مدينة حسنة لها أسواق كثيرة وقلة خطيرة
 ويشقها نهر ماؤه عذب- ثم سافرت منها بقصد اللاذقية فمرت بالغور وهو وادي بين
 تلأل به قبر أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأرض رضى الله عنه زناه وعليه زاوية فيها
 الطعام لآبناء السبيل- وبتنا هناك ليلة- ثم وصلنا إلى القصير وبه قبر معاذ بن جبل رضى الله
 عنه تبركت أيضا بزيارته ثم سافر على الساحل فوصلت إلى مدينة عمة وهي خراب وكانت
 عكة قاعدة بلاد الفرنج بالشام ومرسى سفنهم وتشبه قسطنطينية العظمى وبشرقيها عين ماء
 تعرف بعين البقر يقال إن الله تعالى أخرج منها البقر لآدم عليه السلام وينزل إليها
 في درج وكان عليها مسجد بقي منه محرابه وهذه المدينة قبر صالح عليه السلام- ثم سافرت
 منها إلى مدينة صور وهي خراب وبخارجها قرية معدورة وأكثر أهلها أرفاض ولقد
 قزلت بهامرة على بعض المياه أريد الوضوء فأتى بعض أهل تلك القرية ليتوضأ فبدأ بغسل
 وجهه ثم غسل وجهه ولم يتمضمض ولا استنشق ثم مسح بعض رأسه فأخذت عليه في
 فعله فقال لي إن البناء إنما يكون ابتداءه من الأساس ومدينة صور هي التي يضرب بها
 المثل في الحصانة والمنعة لأن البحر يحيط بها من ثلاث جهاتها ولها بابان أحدهما للبر
 والثاني للبحر ولبابها الذي يشرع للبر أربعة فصلات كلها في ستائر محيطة بالباب وأما الباب
 الذي للبحر فهو بين برجين عظيمين وبنائها ليس في بلاد الدنيا أعجب ولا أغرب شأنا

منه لان البحر محيط بها من ثلاث جهاتها وعلى الجهة الرابعة سور تدخل السفن تحت السور وترسو هنالك وكان فيما تقدم بين البرجين سلسلة حديد معترضة لا سبيل إلى الداخل هنالك ولا إلى الخارج إلا بعد حطها وكان عليها الحراس والأمناء فلا يدخل داخل ولا يخرج خارج إلا على علم منهم وكان لعسكة أيضا ميناء مثلها ولكنها لم تكن تحمل إلا السفن الصغار - ثم سافرت منها إلى مدينة صيدا وهي على ساحل البحر حسنة كثيرة الفواكه يحمل منها التين والزبيب والزيت إلى بلاد مصر نزلت عند قاضها كمال الدين الأشموني المصري وهو حسن الأخلاق كريم النفس - ثم سافرت منها إلى مدينة طبرية وكانت فيما مضى مدينة كبيرة ضخمة ولم يبق منها الا رسوم تنبئ عن ضخامتها وعظم شأنها وبها الحمامات العجيبة لها بيتان أحدهما للرجال والثاني للنساء وماؤها شديد الحرارة ولها البحيرة الشهيرة طولها نحو ستة فراسخ وعرضها ازيد من ثلاثة فراسخ وبطبرية مسجد يعرف بمسجد الأنبياء فيه قبر شعيب عليه السلام وبنته زوج موسى الكليم عليه السلام وقبر سليمان عليه السلام وقبر يهوذا وقبر روبيل صلوات الله وسلامه على نبيينا وعليهم وقصدنا منها زيارة الحب الذي اتى فيه يوسف عليه السلام وهو في صحن مسجد صغير وعليه زاوية والجب كبير عميق شربنا من مائه المجتمع من ماء المطر وأخبرنا قديمه أن الماء ينبع منه أيضا ثم سرنا إلى مدينة بيروت وهي صغيرة حسنة الاسواق وجامعها بديع الحسن ويحجب منها إلى ديار مصر الفواكه وقصدنا منها زيارة أبي يعقوب يوسف الذي يزعمون أنه من ملوك المغرب وهو بموضع يعرف بكر ك نوح من بقاع العزيز وعليه زاوية يطعم بها الوارد ويقال أن السلطان صلاح الدين وقف عليها الاوقاف وقيل السلطان نور الدين وكانوا من الصالحين ويذكر انه كان ينسج الحصر ويقتات بثمنها .

(حكاية أبي يعقوب يوسف المذكور)

يحكى أنه دخل مدينة دمشق فرض بها مرضا شديدا وأقام مطروحا بالأسواق فلما برى من مرضه خرج إلى ظاهر دمشق ليلتمس بستانا يكون حارسا له فاستقجر لحراسة بستان للملك نور الدين وأقام في حراسته ستة أشهر فلما كان في أوان الفاكهة أتى السلطان إلى ذلك البستان وأمر وكيل البستان أبا يعقوب أن يأتي برمان يأكل منه السلطان فأقام برمان فوجده حامضا فأمره أن يأتي بغيره ففعل ذلك فوجده أيضا حامضا فقال له الوكيل أتكون في حراسة هذا البستان منذ ستة أشهر ولا تعرف الحلو من الحامض فقال إنما أستأجرني على الحراسة لا على الأكل فأتى الوكيل إلى الملك فأعلمه بذلك فبعث اليه الملك

وكان قد رأى في المنام انه يجتمع مع أبي يعقوب وتحصل له منه فائدة فتفرس انه هو فقال له أنت أبو يعقوب قال نعم فقام اليه وعانقه اجلسه إلى جانبه ثم احتمله إلى مجلسه فاضافه بضيافة من الحلال المسكتسب بكد يمينه وأقام عنده أياما ثم خرج من دمشق فأرأى بنفسه في أوان البرد الشديد فأتى قرية من قراها وكان بها رجل من الضعفاء فعرض عليه النزول عنده ففعل وصنع له مرققة وذبح دجاجة فأتاه بها وبخبز شعير فاكل من ذلك ودعا للرجل وكان عنده جملة أولاد منهم بنت قد آن بناء زوجها عليها ومن عواندهم في تلك البلاد ان البنات يحجزها أبوها ويكون معظم الجهاز أو أواني النحاس وبه يتفاخرون وبه يتبايعون فقال أبو يعقوب للرجل هل عندك شيء من النحاس قال نعم قد اشتريت منه لتجهيز هذه البنت قال انتبى به فأتاه به فقال له استع من جيرانك ما أمسكتك منه ففعل وأحضر ذلك بين يديه فأوقد عليه النيران وأخرج صرة كانت عنده فيها الاكسير فطرح منه على النحاس فعماد كله ذهباً وتركه في بيت مقفل وكتب كتابا إلى نور الدين ملك دمشق يعلمه بذلك ويطلبه على بناء مارستان للبرضى من الغرباء ويوقف عليه الاوقاف ويبنى الزوايا بالطرق ويرضى أصحاب النحاس ويعطى صاحب البيت كفايته وقال له في آخر الكتاب وان كان ابراهيم ابن أدهم قد خرج عن ملك خراسان فانا قد خرجت من ملك المغرب وعن هذه الصنعة والسلام وفر من حينه وذهب صاحب البيت بالكتاب إلى الملك نور الدين فوصل الملك إلى تلك القرية واحتمل الذهب بعد أن أَرْضَى أصحاب النحاس وصاحب البيت وطلب أبا يعقوب فلم يجده أثارا ولا وقع له على خبر فعماد إلى دمشق وبني المارستان المعروف باسمه الذي ليس في المعمور مثله — ثم وصلت إلى مدينة طرابلس وهي إحدى قواعد الشام وبلدانها الضخام تخترقها الانهار وتحفها البساتين والأشجار ويكتنفها البحر بمرافقة العميمة والبربخيرات المقيمة . ولها الاسواق العجيبة . والمسارح الخصيبة . والبحر على ميلين منها وهي حديثة البناء وأما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر وتمسكها الروم زمانا فلما استرجعها الملك الظاهر خربت واتخذت هذه الحديثة وهذه المدينة نحو أربعين من أمراء الاتراك وأميرها طيلان الحاجب المعروف بملك الامراء ومسكنه منه بالدار المعروفة بدار السعادة ومن عوانده أن يركب في كل يوم اثنين وخميس ويركب معه الامراء والعساكر ويخرج إلى ظاهر المدينة فإذا عاد إليها وقارب الوصول إلى منزله ترجل الامراء ونزلوا عن دوابهم ومشوا بين يديه حتى يدخل منزله وينصرفون وتضرب الطبلخانة عند دار كل أمير منهم بعد صلاة المغرب من كل يوم وتوقد المشاعل ويمن كان بها من الاعلام كانت السر بهاء

الدين بن غانم احد الفضلاء الحسباء معروف بالسخاء والكرم وأخوه حسام الدين هو شيخ
القدس الشريف وقد ذكرناه وأخوهما علاء الدين كاتب السرب دمشق . ومنهم وكيل بيت
المال قوام الدين بن مكين من أكابر الرجال . ومنهم قاضى قضاتها شمس الدين بن النقيب
من اعلام علماء الشام وهذه المدينة حمامات حسان منها حمام القاضى القرمى وحمام سندمور
وكان سندمور أمير هذه المدينة ويذكر عنه أخبار كثيرة فى الشدة على أهل الجنايات
منها ان امرأة شكت اليه بأن أحد عماليسكة الخواص تعدى عليها فى ابن كانت تبيعه
فشر به ولم تسكن لها بيعة فأمر به فوسط نخرج اللبن من مصراته . وقد اتفق مثل هذه الحكاية
للعترس أحد أمراء الملك الناصر أيام إمارته على عذاب واتفق مثلها للملك كبك سلطان
تركستان ثم سافرت من طرابلس إلى حصن الاكراد وهو بلد صغير كثير الاشجار والانهار
بأعلى تل وبه زاوية تعرف بزاوية الابراهيمى نسبة إلى بعض كهراء الامراء ونزلت عند
قاضيها ولا أحق الآن اسمها ثم سافرت إلى مدينة حمص وهى مدينة مليحة أرجاؤها مونة
واشجارها مورقة وانهارها متدفقة واسواقها فسيحة الشوارع وجامعها متميز بالحسن
الجامع وفى وسطه ماء وأهل حمص عرب لهم فضل وكرم وبخارج هذه المدينة قبر خالد
ابن الوليد سيف الله ورسوله وعليه زاوية ومسجد وعلى القبر كسوة سوداء وقاضى هذه
المدينة جمال الدين الشريشى من أجمل الناس صورة وأحسنهم سيرة ثم سافرت منها إلى
مدينة حماة إحدى أمهات الشام الرفيعة ومداتها البديعة ذات الحسن الراق والجبال
الفائق تحفها البساتين والجنات عليها النواعير كالافلاك الدائرات يشقها النهر العظيم المسمى
بالعاصى ولها ربض سمي بالمنصورية اعظم من المدينة فيه الاسواق الخافلة والحمامات
الحسان وبجماة الفواكه الكثيرة ومنها المشمش اللوزى إذا كسرت نواته وجدت فى
داخلها لوزة حلوة قال ابن جزى وفى هذه المدينة ونهرها ونواعيرها وبساتينها يقول
الاديب الرحال نور الدين ابو الحسن على بن موسى بن سعيد العيسى الهامى الغرناطى
نسبة لهمار بن ياسر رضى الله عنه

(طويل)

وحى الله من حماة مناظرا	وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغنى حمام أو تميل خمائل	وتزهى مباني تمنع الواصف الوصفا
يلومنى أن أعصى الصون والنهى	وأطيع السكاس واللهو والقصفا
إذا كان فيها النهر عاص فكيف لا	أحاكيه عصيانا وأشربها صرفا
وأشد ولدى تلك النواعر شدوها	وأغلبها رقصاً وأشبهها غرقا

ثَن وتذرى دمعا فساكنها نهم برآها وتسأها العطفما

ولبعضهم في نواخيرها ذاهبا مذهب التورية (طويل)
وناورة رقت لعظم خطيئتي وقد عاينت قصدي من المنزل القاصي
بكت رحمة لي ثم راحت بشجوها وحسبك ان الخشب تبكى على العاصي
ولبعض المتأخرين فيها ايضا من التورية (كامل)
ياسادة سكنوا حماة وحقكم ماحلت عن تقوى وعن اخلاص
والطرف بعدكم اذا اذكر اللقاء يجرى المدامع طائعا كالعاصي

(رجع) - ثم سافرت إلى مدينة المعرة التي ينسب اليها الشاعر أبو العلاء المعري وكثير سواه من الشعراء قال ابن جزى وانما سميت بمعرة النعمان لأن النعمان بن بشير الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي له ولد أيام امارته على حصص فدفعه بالمعرة فعرفت به وكانت قبل ذلك تسمى ذات القصور وقيل ان النعمان جبل مطل عليها سميت به (رجع) - والمعرة مدينة كبيرة حسنة اكثر شجرها التين والفسق وقيل يحمل إلى مصر والشام ويحارجها على فرسخ منها قبر امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولازوية عليه ولا خديم له * وسبب ذلك أنه وقع في بلاد صنف من الرافضة ارجاس يبغيضون العشرة من الصحابة رضى الله عنهم ولعن مبغضهم ويبغيضون كل من اسمه عمر وخصوصا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما كان من فعله في تعظيم على رضى الله عنه - ثم سرنا منها إلى مدينة سرمين وهي حسنة كثيرة البساتين واكثر شجرها الزيتون بها يصنع الصابون الأجرى ويحلب إلى مصر والشام ويصنع بها أيضاً الصابون المطيب لغسل الأيدي ويصبغونه بالحمرة والصفرة ويصنع بها أبواب قطن حسان تنسب اليها واهلها سبابون يبغيضون العشرة ومن العجب انهم لا يذكرون لفظ العشرة وينادى سياسرتهم بالاسواق على السلع فإذا بلغوا إلى العشرة قالوا تسعة وواحد وحضرها بعض الانراك يومما فسمعهم يساراً يتنادى تسعة وواحد فضر به بالدبوس على رأسه وقال قل عشرة بالدبوس وبها مسجد جامع فيه تسع قبائل ولم يجعلوها عشرة قياما بمذهبهم القبيح - ثم سرنا إلى مدينة حلب المدينة الكبرى والقاعدة العظمى قال ابو الحسين بن جبير في وصفها قدرها خطير وذكرها في كل زمان يطير خطاياها من الملوكة كثير ومحلها من النفوس اثير فكم حاجت من كفاح وسل عليها من بيض الصفاح لها قلعة شهيرة الامتياح بائنة الارتفاع تنزهت حصانة من ان يرام أو تستطاع منحوتة الاجزاء موضوعة على نسبة اعتدال واستواء قد طاولت الايام

والاعوام ووسعت الخواص والعوام اين امرأها الحمدانيون وشعراؤها فني جميعهم
ولم يبق إلا بناؤها فيناججا لبلاد تبق ويذهب ملاكها ويهلكون ولا يقضى هلاكها
وتخطف بعدهم فلا يتعذر املاكها وتراهم فيتيسر بأهون شيء ادراكها هذه حلب كم
ادخلت ملوكها في خبر كان ونسخت صرف الزمان بالمسكان انث اسمها فتحت بحماية
الفوان وانت بالعدر فيمن دان وانجحت عروسا بعد سيف دولتها ابن حمدان هيهات
سيهرم شبابها ويعدم خطابها ويسرع فيها بعد حين خرابها وقلعة حلب تسمى الشهباء
وبداخلها جبلان ينبع منهما الماء فلا تخاف الظل ويطيف بها سوران وعليها خندق عظيم
ينبع منه الماء وسورها متداني الابراج وقد انتظمت بها العلالي العجيبة المفتحة
الطيقة وكل برج منها مسكون والطعام لا يتغير بهذه القلعة على طول العهد وبها مشهد
يقصده بعض الناس يقال ان الخليل عليه السلام كان يتعبده وهذه القلعة تشبه قلعة رحية
مالك ابن طوق التي على الفرات بين الشام والعراق ولما قصد قازان طاغية التتر مدينة حلب
حاصر هذه القلعة اياما ونكص عنها خائبا قال ابن جزى وفي هذه القلعة يقول الخالدي
شاعر سيف الدولة

وخرقاء قد قامت على من يرومها
يجر عليها الحواجيب غمامة
إذا ما سري برق بدت من خلالها
فكم من جنود قد ماتت بغصة
بمراقبها العالي وجانبها الصعب
ويلبثها عقدا بانجمه الشهب
كما لاحت العذراء من خلل السحب
وذى سطوات قد أبانت على عقب

(بسيط)

وفيهما يقول أيضاً وهو من بديع النظم

وقلعة عائق العنقاء سافلها
لا تعرف القطر إذ كان الغمام لها
إذا الغمامة راحت غاض ساكنها
يعد من انجم الافلاك مراقبها
وجاز منطقة الجوزاء عاليها
أرضا توطأ قطريه مواشيتها
حياضها قبل ان تهوى عواليها
لو أنه كان يجري في مجاريها
ونصرت لدواهيهم دواهيها

(كامل)

وفيهما يقول جمال الدين علي بن أبي المنصور

كدادت لبون سموها وعلوها
وردت قواطنها الحجرة منها
ويظل صرف الدهر منها خائفا
تستوقف الفلك المحيط الدائر
ورعت سوابقها النجوم زواها
وجلا فما يمسى لديها حاضرا

(رجع) ويقال في مدينة حلب حلب إبراهيم لأن الخليل صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه كان يسكنها وكانت له الغنم الكثيرة فكان يسقى الفقراء والمساكين والوارد والصادر من البانها فكانوا يجتمعون ويسألون حلب إبراهيم فسميت بذلك وهي من أعز البلاد التي لا نظير لها في حسن الوضع وإتقان الترتيب واتساع الأسواق وانتظام بعضها ببعض وأسواقها مسقفة بالخشب فأهلها دائماً في ظل بمدود وقيساريته لا تماثل حسنا وكبرا وهي تحيط بمسجدها وكل سماء منها محاذ لباب من أبواب المسجد ومسجدها الجامع من أجل المساجد في صحته بركة ماء ويطيف به بلاط عظيم الاتساع ومنبرها بديع العمل مرصع بالهراج والآبنوس وبالقرب جامعها مدرسة مناسبة له في حسن الوضع وإتقان الصنعة ينسب لأمرأى بنى حمدان وبالبلد سواها ثلاث مدارس وبها مارستان وأما خارج المدينة فهو بسيط أبيض عريض به المزارع العظيمة وشجرات الأعناب منتظمة به والبساتين على شاطئ نهرها وهو النهر الذي يمر بحماه ويسمى العاصي وقيل انه سمي بذلك لأنه يخيل لناظره أن جريانه من أسفل إلى علو والنفس تجدد في خارج مدينة حلب انشراحا وسرورا وأنشاطها لا يكون في سواها وهي من المدن التي تصلح للخلافة قال ابن جزى اطنبت الشعراء في وصف محاسن حلب وذكر دخلها وخارجها وفيها يقول أبو عبادة البحرى (كامل)

يأبرق أسفر عن فوق مطالي حلب فاعلى القصر من بطياس
عن منبت الورد المعصفر صيغة في كل ضاحية ومجنى الآس
أرض إذا استوحشتكم بذكر حشدت على فأكثر أيتامى
وقال فيها الشاعر المجيد أبو بكر الصنوبرى (مقارب)

سقى حلب المزن مغنى حلب فلكم وصلت طربا بالطرب
وكم مستطاب من العيش لذ بها إذ بها العيش لم يستط
إذا نشر الزهر أعلامه بها ومطارفه والعذب
غدا وحواشيه من فضة تروق وأوساطه من ذهب

وقال فيها أبو العلاء المعرى :

حلب للوارد جنة عدن وهي للغادرين نار سمير
والعظيم العظيم يكبر في عينييه منها قدر الصغير الصغير
ففويق في انفس القوم بحر وحصاة منه مكان ثبير

وقال فيها أبو الفتيان بن جهوس :

يا صاحبي إذا أعيانا سقمي فلقيناني نسيم الريح من حلب
من البلاد التي كان الصبا سكنها فيها وكان الهوا العزري من أربي
وقال فيها أبو الفتح كشاجم :

وما أمتعت جارها بلدة كما أمتعت حلب جارها
بها قد تجمع ما تشتهي فزرها فطوبى لمن زارها
وقال فيها أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطى العنسى .

(خفيف)
حادي العيس كم تنبغ المطايا سق بروحي من بعدهم في سيات
حلب لأنها مقر غرامى ومرامى وقبلة الأشواق
لك خلا جوشن بطياس والعبد ومن كل وابل غيداق
كم بها مرتع لطرف وقلب فيه سقى المنى بكاس دهاق
وتغنى طيورها لارتياح وتثنى غصونها للعناق
وعلو الشهباء حيث استدارت انجم الأفق حولها كالنطاق

(رجع) وبجلب ملك الأمراء أرغون الدوادار أكبر أمراء الملك الناصر وهو من الفقهاء
موصوف بالعدل لكنه بخيل والقضاة بحلب أربعة للمذاهب الأربعة فمنهم القاضى كمال
الدين بن الزملى كان شافعى المذهب على الهمة كبير القدر كريم النفس حسن الأخلاق متفهم
بالعلوم وكان الناصر قد بعث إليه ليؤديه قضاء القضاة بحضرة ملكه فليقض له ذلك وتوفى
بيلبيس وهو متوجه إليها ولما ولى قضاء حلب قصده الشعراء من دمشق وسواها وكان فيمن
قصده شاعر الشام شهاب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ المحدث شمس الدين أبي عبد الله محمد بن
نباته القرشى الأموى الفارقى فامتدحه بقصيدة طويلة حافلة أولها

أسفت لفقدك جلق الفيحاء وتباشرت لقدومك الشهباء
وعلى دمشق وقد رحلت كابة وعلا ربا حلب سنا وسناء
قد أشرفت دار سكنت فناءها حتى غسدت ولورها لآلاء
ياسائرا سقى المسكارم والعلى بمن ييخل عنده السكرماء
هذا كمال الدين لذ بجنا به تنعم فم الفضل والنعاء
قاضى القضاة أجل من أيامه تعنى بها الآيتام والفقراء
قاض زكا أصلا وفرعا فاعتلى شرفت به الأدباء والأبناء
من الاله على بنى حلب به لله وضع الفضل حيث يشاء

كشفت المعنى فهمه وبيانه فكأنما ذاك الذكاء ذكاه
يا حاكم الحكام قدرك سابق عن أن تسرك رتبة شماء
إن المناصب دون همتك التي في الفضل دون محلها الجوزاء
لك في العلوم فضائل مشهورة كالصباح شق له الظلام ضياء
ومناقب شهد العدو بفضلها والفضل ماشهدت به الأعداء

وهي أزيد من خمسين بيتا وأجازه عليها بكسوة ودراهم وانتقد عليه الشعراء ابتداءه
بلفظ اسفقت قال ابن جزى وليس كلامه في هذه القصيدة بذلك وهو في المقطعات أجود
منه في القصائد وإليه انتهت الرئاسة في الشعر على هذا العهد في جميع بلاد المشرق وهو
من ذرية الخطيب أبي يحيى عبد الرحيم بن نباتة من مشي الخطب الشهيرة ومن يديع مقطعاته
في الثورية قوله (كامل)

علقتها غيداء حالية العلى تجنى على عقل المحب وقلبه
بخلت بلواؤا نغرها عن لائى فغدت مطوقة بما بخلت به
(رجع) ومن قضاة حلب قاضى قضاة الحنفية الامام المدرس ناصر الدين بن العديم
حسن الصورة والسيرة أصيل مدينة حلب (كامل)
تراه إذا ماجئته متمللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ومنهم قاضى قضاة المالكية لأذكره كنان من الموثقين بمصر وأخذ الخطة عن غير
استحقاق ومنهم قاضى قضاة الحنابلة لأذكر اسمه وهو من أهل صالحية دمشق ونقيب
الأشراف بحلب بدر الدين بن الزهراء ومن فقهاء شرف الدين بن العجمى وأقاربهم
كبراء مدينة حلب - ثم سافرت منها إلى مدينة تبريز وهي على طريق قنسرين (وضبط
اسمها بتمام معلومة مكسورة ويا مد وزاى مكسورة ويا مد ثانية ونون) وهي حديثة اتخذها
التركان واسواقها حسان ومساجدها فى نهاية من الاتقان وقاضيا بدر الدين العسقلاني
وكانت مدينة قنسرين قديمة كبيرة ثم خربت ولم يبق إلا رسومها ثم سافرت إلى مدينة
انطاكية وهي مدينة عظيمة أصلية وكان عليها سور يحكم لا نظير له فى أسوار بلاد الشام
فلما فتحها الملك الظاهر دهم سورها وانطاكية كثيرة العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة
الأشجار والمياه وبخارجها نهر العاصى وبها قبر حبيب النجار رضى الله عنه وعليه زاوية
فيها الطعام للوارد والصادر شيخها الصالح المعمر محمد بن على سنة ينف على المائة وهو تمتع
بقوته دخلت عليه مرة فى بستان له وقد جمع خطبا ورفع على كاهله لياأتى به منزله بالمدينة

ورأيت ابنه قد أناف على الثمانين إلا أنه محدودب الظهر لا يستطيع النهوض ومن يراهما يظن الوالد منهما ولدا والولد والدا - ثم سافرت إلى حصن بغراس (وضبط اسمه بباء موحدة مضمومة وغين معجمة مسكنة وراء وآخره سين مهملة) وهو حصن منيع لا يرام عليه البساتين والمزارع ومنه يدخل إلى بلاد سيس وهي بلاد كفار الأرمن وهم رعية للملك الناصر يؤدون إليه مالا ودراهم فضة خالصة تعرف بالغبلية وبها تصنع الثياب الدبزية وأمير هذا الحصن صارم الدين بن الشيباني وله ولد فاضل اسمه علاء الدين وابن أخ اسمه حسام الدين فاضل كريم يسكن الموضع المعروف بالرصص (بضم الراء والصاد المهمل الأول) ويحفظ الطريق إلى بلاد الأرمن.

(حكاية)

شكا الأرمن مرة إلى الملك ناصر من الأمير حسام الدين وزوروا عليه أمور لا تليق فنفذ أمره لأمير الأمراء بحلب أن يخنقه فلما توجه الأمير بلغ ذلك صديقه له من كبار الأمراء فدخل على الملك الناصر وقال يا خوندان الأمير حسام الدين هو من خيأ الأمراء ينصح المسلمين ويحفظ الطريق وهو من الشجعان والأرمن يريدون الفساد في بلاد المسلمين فيمنعهم ويقهرهم وإنما أرادوا إضعاف شوكة المسلمين بقتله ولم يزل به حتى انفذ أمرائنا بسراجه والخلع عليه وردعه لموضعه ودعا الملك الناصر بريديا يعرف بالآفوش وكان لا يبعث إلا في مهم أمره بالأسراع والجد في السير فسار من مصر إلى حلب في خمس وهي مسيرة شهر فوجد أمير حلب قد أحضر حسام الدين وأخرجه إلى الموضع الذي يخنق به الناس ثقله الله تعالى وعاد إلى موضعه ولقيت هذا الأمير ومعه قاضي بغراس شرف الدين الحموي بموضع يقال له العمق متوسط بين انطاكية وجزين وبغراس ينزله التركان بمواشيهم لخصبه وسعته ثم سافرت إلى حصن القصير تصغير قصر وهو حصن حسن أميره علاء الدين السكردي وقاضيه شهاب الدين الأرمني من أهل الديار المصرية - ثم سافرت إلى حصن الشجر بكاس (وضبط اسمه بضم الشين المعجم وإسكان الغين المعجم وضم الراء والباء الموحدة وآخره سين مهملة) وهو منيع في الرأس شاهق أميره سيف الدين الطنطاش فاضل وقاضيه جمال الدين بن شجرة من أصحاب ابن تيمية - ثم سافرت إلى مدينة صهيون وهي مدينة حسنة بها الأنهار المطردة والأشجار المورقة ولها قلعة جيدة وأميرها يعرف بالابراهيمى وقاضيه يحيى الدين الحمصي ويخار جهازا وية في وسط بستان فيها الطعام للوارد والصادر وهي على قبر الصالح العابد عيسى البدوي رحمه الله وقد زرت قبره ثم سافرت منها فمررت بحصن القدموس (وضبط اسمه بفتح القاف وإسكان الدال المهمل

وضم الميم وآخره سين مهملة (ثم بحصن المينقة (وضبط اسمه بفتح الميم واسكان الياء وفتح النون والقاف) ثم بحصن العليقة واسمه على لفظ واحدة العليق ثم بحصن مصياف (وصاده مهملة) ثم بحصن السكف وهذه الحصون لطائفة يقال لهم الاسماعيلية ويقال لهم الفداوية ولا يدخل عليهم أحد من غيرهم وهم سهام الملك الناصر بهم يصيب من يعدو عنه من أعدائه بالعراق وغيرها ولهم المرتبات وإذا أراد السلطان أن يبعث أحدهم إلى اغتيال عدو له أعطاه دينه فان سلم بعد تأتى ما يراد منه فمضى له وإن أصيب فمضى لولده ولهم سكان مسمومة يضربون بها من يبعثوا إلى قتلهم بما لم تصح حيلهم فقتلوا كما جرى لهم مع الأمير قراستقور فانه لما هرب إلى العراق بعث إليه الملك الناصر جملة منهم فقتلوا ولم يقدرُوا عليه لآخذه بالحزم .

(حكاية)

كان قراستقور من كبار الامراء ومن حضر قتل الملك الاشرف أخى الملك الناصر وشارك فيه ولما تمهد الملك للملك الناصر وقربه القرار واشتدت اواخى سلطانه جعل يتتبع قتلة أخيه فيقتلهم واحدا واحدا إظهاراً للأخذ بثأر أخيه وخوفاً أن يتجاسروا عليه بما تجاسروا على أخيه وكان قراستقور أمير الامراء بحلب فسكتب الملك الناصر إلى جميع الامراء أن ينهروا بعساكرهم وجعل لهم ميعادا يكون فيه اجتماعهم بحلب ونزولهم عليها حتى يقبضوا عليه فلما فعلوا ذلك خاف قراستقور على نفسه وكان له ثمانمائة مملوك فركب فيهم وخرج على العساكر صباحاً فاخترقهم وأعجزهم سبقاً وكانوا في عشرين الفا وقصد منزل أمير العرب مهنا بن عيسى وهو على مسيرة يومين من حلب وكان مهنا في قنص له فقصد بيته ونزل عن فرسه وألقى العمامة في عنق نفسه ونادى الجوار يا أمير العرب وكانت هناك أم الفضل زوج مهنا وبنت عمه فقالت له قد اجرناك واجرنا من معك فقال إنما أطلب أولادى ومالى فقالت له لك ماتحب فانزل في جوارنا ففعل ذلك وأتى مهنا فاحسن نزله وحكمه في ماله فقال إنما أحب أهلى ومالى الذى تركته بحلب فدعاه مهنا بأخوته وبني عمه فشاورهم في امره فممن من أجابه إلى ما اراد ومنهم من قال كيف نحارب الملك الناصر ونحن في بلاده بالشام فقال لهم مهنا أما أنا فافعل لهذا الرجل ما يريد واذهب معه إلى سلطان العراق وفى اثناء ذلك ورد عليهم الخبر بان أولاد قراستقور سيروا على البريد إلى مصر فقال مهنا لقراستقور اما أولادك فلاحيلة فيهم واما مالك فمجتهد في خلاصه فركب فيمن أطاعه من أهله واستنفر من العرب نحو خمسة وعشرين الفا وقصدوا حلب فاحرقوا باب قلعتها وتغابوا عليها واستخلصوا منها مال قراستقور ومن بقى من أهله ولم

يتعدوا إلى سوى ذلك وقصدوا ملك العراق وصحبهم أمير حمص الأفرم ووصلوا إلى الملك محمد خدا بنده سلطان العراق وهو بموضع مصيفه تسمى قرا باغ (بفتح القاف والراء والباء الموحدة والغين المعجمة) وهو ما بين السلطانية وتبريز فأكرم نزلهم وأعطى منها عراق العرب وأعطى قرا سنقور مدينة مراغة من عراق العجم وتسمى دمشق الصغيرة وأعطى الأفرم همدان وأقام وعنده مدة مات فيها الأفرم وعاد منها إلى الملك الناصر بعد موافيق وعمودا أخذها منه وبقي قرا سنقور على حاله وكان الملك الناصر يبعث له الفداوية مرة بعد مرة فمنهم من يدخل عليه داره فيقتل دونه ومنهم من يرمى بنفسه عليه وهو راكب فيضربه وقتل بسببه من الفداوية جماعة وكان لا يفارق الدرع أبدا ولا ينام إلا في البيت العود والحديد فلما مات السلطان محمد وولى ابنه أبو سعيد وقع ما سنذكره من أمر الجوبان كبير أمرائه وفرار ولده الدمر طاش إلى الملك الناصر ووقعت المراسلة بين الملك الناصر وبين أبي سعيد وانفقا على أن يبعث أبو سعيد إلى الملك الناصر برأس قرا سنقور ويبعث إليه الملك الناصر برأس الدمر طاش فبعث الملك الناصر برأس الدمر طاش إلى أبي سعيد فلما وصله أمر بحمل قرا سنقور إليه فلما عرف قرا سنقور بذلك أخذ خاتما كان له مجوفا في داخله سم نافع فنزع فحسه وامتص ذلك السم فمات لحينه فعرف أبو سعيد بذلك الملك الناصر ولم يبعث له برأسه ثم سافرت من حصون الفداوية إلى مدينة جبلة وهي ذات أنهار مطردة وأشجار البحر على نحو ميل منها وبها قبر الولي الصالح الشهير إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه وهو الذى نبذ الملك وانقطع إلى الله تعالى حسبا شهر ذلك ولم يكن إبراهيم من بيت ملك كما يظنه الناس إنما ورث الملك عن جده أبي أمه وأما أبوه أدهم فكان من الفقراء الصالحين السائحين المتبعدين الورعين المنتهضين

(حكاية أدهم)

يذكر أنه مر ذات يوم ببساتين مدينة بخارى وتوضأ من بعض الأنهار التي تتخللها فإذا بتفاحة يحملها ماء النهر فقال هذه لا خطر لها فأكلها ثم وقع في خاطره من ذلك وسواس فعزم على أن يستحل من صاحب البستان فقصر باب البستان فخرجت إليه جارية فقال أدعى لى صاحب المنزل فقالت أنه لا امرأة فقال استأذنى لى عاها ففعلت فأخبر المرأة بخبر التفاحة فقالت له إن هذا البستان نصفه لى ونصفه للسلطان والسلطان يومئذ بباغ وهى على مسيرة عشرة من بخارى وأحلتها المرأة من نصفها وذهب إلى بباغ فاعترض السلطان فى موكبها فأخبره الخبر واستحله فأمره أن يعود إليه من الغد وكان للسلطان بنت بارعة الجمال قد خطبها أبناء الملوك فتمنع

وحببت إليها العبادة وحب الصالحين وهي تحب أن تتزوج من ورع زاهد في الدنيا فلما عاد السلطان إلى منزله أخبر ابنه بخبر أدهم وقال ما رأيت أروع من هذا يأتي من بخارى إلى بلخ لأجل نصف تفاحة فرغبت في تزوجه فلما أتاه من الغد قال لأهلك إلا أن تتزوج ببنتي فانقاد لذلك بعد استعصاء وتمنع فتزوج منها فلما دخل عليها وجدها متزينة والمبيت مزين بالفرش وسواها فعمد إلى ناحية من البيت وأقبل على صلاته حتى أصبح ولم يزل كذلك سبع ليالٍ وكان السلطان ما أحله قبل فبعث إليه أن يحله فقال لأهلك حتى يقع اجتماعك بزوجتك فلما كان الليل واقعها ثم اغتسل وقام إلى الصلاة فصاح صبيحة وسجد في مصلاه فوجد ميتا رحمه الله وحملت منه فولدت لإبراهيم ولم يكن لجده ولد فاستند الملك إليه وكان من تخليه عن الملك ما اشتهر وعلى قبر إبراهيم بن أدهم زاوية حسنة فيها بركة ماء وبها الطعام للصادر والوارد وخادمها إبراهيم الجمحي من كبار الصالحين والناس يقصدون هذه الزاوية ليلة النصف من شعبان من سائر أقطار الشام ويقيمون بها ثلاثا ويقوم بها خارج المدينة سوق عظيم فيه من كل شيء ويقدم الفقراء المتجردون من الآفاق بحضور هذا الموسم وكل من يأتي من الزوار لهذه التربة يعطى لخدمها شئعة فيجتمع من ذلك قناطير كثيرة وأكثر أهل هذه السواحل هم الطائفة النصيرية الذين يعتقدون أن علي ابن أبي طالب له وهم لا يصلون ولا يتطهرون ولا يصومون وكان الملك الظاهر الزمهم ببناء المساجد بقرامهم فبنوا بكل قرية مسجدا بعيسدا عن العبادة ولا يدخلونه ولا يعمرونه وربما أوت إليه مواشيهم ودوابهم وربما وصل الغريب إليهم فينزل بالمسجد ويؤذن إلى للصلاة فيقولون لا تنهق عنك يا نبيك وعددهم كثير

(حكاية)

ذكر لي أن رجلا مجهولا وقع ببلاد هذه الطائفة فادعى الهداية وتكاثروا عليه فوعدهم بتملك البلاد وقسم بينهم بلاد الشام وكان يعين لهم البلاد يأمرهم بالخروج إليها ويعطيهم من ورق الزيتون ويقول لهم استظفروا بها فإنها كالأوامر لكم فإذا خرج أحدكم إلى بلد حضره أميرها فيقول له إن الإمام المهدي أعطاني هذا البلد فيقول له أين الأمر فيخرج ورق الزيتون فيضرب ويحبس ثم إن أمرهم بالتجهيز لقتال المسلمين وإن يبدأوا بمدينة جبلية وأمرهم أن يأخذوا عوض السيوف قضبان الآس ووعدهم أنها تصير في أيديهم سيوف فاعند القتال فغدروا مدينة جبلية وأهلبها في صلاة الجمعة فدخلوا الدور وهتكوا الحريم وثار المسلمون من مسجدهم فأخذوا السلاح وقتلوهم كيف شاءوا وتصل الخبر باللاذقية فأقبل أميرها يهادر عبد الله

بعساكره وطيرت الحمام إلى طرابلس فأنى أمير الأمراء بعساكره واتبعوهم حتى قتلوا منهم نحو عشرين الفا وتحصن الباقيون بالجبال وراسلوا ملك الأمراء والتزموا أن يعطوه دينارا عن كل رأس أن هو حاول ابقائهم وكان الخبر قد طير به الحمام إلى الملك الناصر وصدر جوابه أن يحمل عليهم السيف فراجعهم ملك الأمراء والقي له أنهم عمال المسلمين في حراسة الأرض وأنهم ان قتلوا ضعف المسلمون لذلك فامر بالابقاء عليهم - ثم سافرت إلى مدينة اللاذقية وهى مدينة عتيقة على ساحل الحذر يزعمون أنها مدينة الملك الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا وكنت إنما قصدتها لزيارة الولى الصالح عبد المحسن الأسكندرى فلما وصلتها وجدته غائبا بالحجاز الشريف فلقيت من أصحابه الشيخين الصالحين سعيد البجائى ويحيى السلاوى وهما بمسجد علاء الدين ابن البهاء أحد فضلاء الشام وكبرائها صاحب الصدقات والمكارم وكان قد عمر لها زاوية بقرب المسجد وجعل بها الطعام للوارد والصادر وقاضيا الفقيه الفاضل جلال الدين عبد الحق المصرى المالكي فاضل كريم تعلق بطيلاق ملك الأمراء فولاه قضاءها

(حكاية)

كان باللاذقية رجل يعرف بابن المؤيد هجاء لايسلم احد من لسانه متهم فى دينه مستخف يتكلم بالقبايح من الاحاد فعرضت له حاجة عند طيلاق ملك الأمراء فلم يقضها له فقصد مصر وتقول امورا اشنيعة وعاد إلى اللاذقية فسكرت طيلاق إلى القاضى جلال الدين ان يتحيل فى قتله بوجه شرعى فدعاه القاضى إلى منزله وباحثه واستخرج كامن الحادة فتكلم بعظائم ايسرها بوجوب القتل وقد اعد القاضى الشهود دخلف الحجاب ليسكتبوا عقدا بمقاله وثبت عند القاضى وسجن واعلم ملك الأمراء بقضيته ثم اخرج من السجن وخنق على بابه ثم لم يلبث ملك الأمراء طيلاق ان عزل عن طرابلس وولياها الحاج قرطية من كبار الأمراء ومن تقدمت له فيها الولاية وبينه وبين طيلاق عداوة فجعل يتبع سبقاته وقام لديه أخوة ابن المؤيد شاكين القاضى جلال الدين فامر به وبالشهود الذين شهدوا على ابن المؤيد فاحضروا وأمر بخنقهم واخرجوا إلى ظاهر المريضة حيث يخنق الناس واجلس كل واحد تحت مخنقته ونزعت عماثمهم ومن عادة امراء تلك البلاد انه متى امر احدهم بقتل احد من الناس يمر الحاكم من مجلس الأمير سيقا على فرسه إلى حيث المأمور بقتله ثم يعود إلى الأمير فيكرر استئذنا به يفعل ذلك ثلاثا فإذا كان بعد الثلاث انفذ الامر فلما فعل الحاكم ذلك قامت الأمراء فى المرة الثالثة وكشفوا رؤسهم وقالوا ايها الأمير هذه سبة فى الاسلام يقتل القاضى والشهود فقبل الأمير شفاعتهم وخلي سيبلهم

وبخارج اللاذقية الدير المعروف بدير الفاروص وهو أعظم دير بالشام ومصريسكنه
الرهبان ويقصده النصارى من الافاق وكل من نزل به من المسلمين فالنصارى يضيقونه
وطعامهم الخبز والخبز والزيتن والخل والبسكروميثاء هذه المدينة عليها سلسلة بين برجين
لا يدخلها أحد ولا يخرج منها حتى تحط له السلسلة وهي من أحسن المراسى بالشام - ثم
سافرت إلى حصن المرقب وهو من الحصون العظيمة يماثل حصن الكرك وميثاء على جبل
شامخ وخارجة ربض ينزله الغرباء ولا يدخلون قلعته وافتتحه من يدى الروم الملك
المنصور قلاوون وعليه ولد ابنه الملك الناصر وكان قاضيه برهان الدين المصرى من
أفاضل القضاة وكرمائهم ثم سافرت إلى الجبل الاقارع وهو أعلى جبل بالشام وأول
ما يظهر منها من البحر وسكانه التركان وفيه العيون والأنهار وسافرت منه إلى جبل لبنان
وهو من أخصب جبال الدنيا فيه أصناف الفواكه وعيون الماء والظلال الوافرة ولا يخلو
من المنقطعين إلى الله تعالى والزهاد والصالحين وهو شہير بذلك ورأيت به جماعة من
الصالحين قد انقطعوا إلى الله تعالى عن لم يشتر اسمه

(حكاية)

أخبرنى بعض الصالحين الذين لقيتهم به قال كنا بهذا الجبل مع جماعة من الفقراء
أيام البرد الشديد فأوقدنا نارا عظيمة وأحدقنا بها فقال بعض الحاضرين يصلح لهذه
النار ما يشوى فيها فقال أحد الفقراء ممن تزدرى الأعين ولا يعبأ به لى كنت عند
صلاة العصر بمتعبد لإبراهيم بن أدهم فرأيت بمقربة منه حمار وحش قد أحدق الشج به
من كل جانب وأظنه لا يقدر على الحراك فلو ذهبتم اليه لقد رتم عليه وشويتم لحمه في
هذه النار قال فقمنا اليه في خمسة رجال فلقيناه كما وصف الينا فقبعضناه وأتيناه به أصحابنا
وذبحناه وأشويناه لحمه في تلك النار وطلبنا الفقير الذى نبه عليه فلم نجده ولا وقعنا له
على أثر فطال عجبنا منه ثم وصلنا من جبل لبنان إلى مدينة بعلبك وهى حسنة قديمة
من أطيب مدن الشام تحديق بها البساتين الشريفة والجنات المنيقة وتحترق أرضها الأنهار
الجارية وتضاهى دمشق في خيراتها المتناهية وبها من حب الملوك ما ليس في سواها وبها
يصنع الدبس المنسوب اليها وهو نوع من الرب يصنعونه من العنب ولحم تربة يضعونها
فيه فيجمدو وتسكس القلة التى يكون بها فيبقى قطعة واحدة وتصنع منه الحلواء ويجعل
فيها الفستق واللوز ويسمونها حلواء بالملبن ويسمونها أيضا بجلد الفرس وهى كثيرة
الآلبان وتجلب منها إلى دمشق وبينهما مسيرة يوم البجد وأما الرفاق فيخرجون من
بعلبك فيببسون ببلدة صغيرة تعرف بالزبدانى كثيرة الفواكه ويفقدون منها إلى دمشق *

ويصنع بعلبك الثياب المنسوبة اليها من الاحرام وغيره ويصنع بها أواني الخشب وملاعقه التي لا نظير لها في البلاد وهم يسمون الصحف بالدسوت وربما صنعوا الصحيفة وصنعوا صحيفة أخرى تسع في جوفها وأخرى في جوفها إلى أن يبلغوا العشرة يخيل لرائها أنها صحيفة واحدة وكذلك الملاعق يصنعون منها عشرة واحدة في جوف واحدة ويصنعون لها غشاء من جلد ويمسكها الرجل في حزامه وإذا حضر طعاما مع أصحابه أخرج ذلك فيظن رائيه أنها ملعقة واحدة ثم يخرج من جوفها تسعة وكان دخول بعلبك عشية النار وخرجت منها بالغد وفرط اشتياقي إلى دمشق وصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين إلى مدينة دمشق الشام فنزلت منها بمدينة المالكية المعروفة بالشرايشية ودمشق هي التي تفضل جميع البلاد حسنا وتقدمها جمالا وكل وصف وإن طال فهو قاصر عن محاسنها ولا ابدع مما قاله أبو الحسين ابن جبير رحمه الله تعالى في ذكرها قال وأما دمشق فهي جنة المشرق ومطلع نورها المشرق وخاتمة بلاد الاسلام متى استقر بناها . وعروس المدن التي اجتمعناها . قد تحلت بأزاهير الرياحين وتجلت في حلل سندسية من البساتين . وحلت موضع الحسن بالمكان المسكين . وتزينت في منصتها أجمل تزيين . وتشرفت بأن آوى المسيح عليه السلام وأمه منها إلى ربوة منها ذات قرار معين . وظل ظليل . وماء سلسبيل . تنساب مذابحه انسياب الأراقم بكل سبيل . ورياض يحيى النفوس نسيمها العليل . تبرز لناظرهما بمجئتي صقيل وتناديهن هادوا إلى معرس للحسن ومقيل . وقد سئمت أرضها كثرة الماء . حتى اشتاقت إلى الظاء . فتكاد تناديك بها الصم والصلاب . اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب وقد احذقت البساتين بها لأحداق الهالة بالقمر والآكام بالثر . وامتدت بشرقها غوطتها الخضراء امتداد البصر . وكل موضع لحظت بجوانبها الأربع نضرتة اليانعة قيد البصر . والله صدق القائلين عنها . ان كانت الجنة في الأرض فدمشق لاشك فيها . وإن كانت في السماء فهي تساميا وتحاذيا ، قال ابن جزى وقد نظم بعض شعرائها في هذا المعنى فقال :

ان تسكن جنة الخلود بأرض فدمشق ولا تسكون سواها
أو تسكن في السماء فهي عليها قد أبدت هواها وهواها
بلد طيب ورب غفور فاغتنمها عشية وضحاها

وذكرها شيخنا المحدث الرجال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن حسان القيسي الوادي أشي نزيل تونس ونص كلام ابن جبير ثم قال ولقد أحسن فيما وصف

منها وأجاد ، وتوق الأنفس للتطلع على صورتها بما أفاد . هذا وإن لم تسكن له بها إقامة .
 فيعرب عنها بحقيقة علامة . ولا وصف ذهبيات أصيلا . وقد حان من الشمس غروبها
 ولا أزمان جفوها المنوعات ، ولأوقات شروها المنهات ، وقد اختص من قال الفيتها
 كما تصف الألسن . وفيها ما تشبهه النفس وتلد الأعين . قال ابن جزي والذي قالته
 الشعراء في وصف محاسن دمشق لا يحصر كثرة وكان والذي رحمه الله كثيرا ما ينشد في
 وصفها هذه الأبيات وهي لشرف الدين بن محسن رحمه الله تعالى (طويل)

دمشق بنا شوق إليها مبرح وإن لج واش أو ألح عدول
 بلادها الخصباء درر وترها عبير وأنفاس الشمال شمول
 تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق وصح نسيم الروص وهو عليل

وهذا من النظم العالی من الشعر وقال فيها عرقلة الدمشقي الکلبی (کامل)
 الشام شامة وجنة الدنيا كما لإنسان مقلتها الغضبيضة جلاق
 من آسها لك جنة لا تنقضي ومن الشقيق جهنم لا تحرق
 وقال أيضا فيها :

أما دمشق فجنات معجلة للطالعين بها الولدان والخور
 ماصح فيها على أوتاره قر إلا يغنيه قمرى وشجرورى
 ياحبذا ودروع الماء تنسجها أنامل الريح إلا أنها زور

وله فيها أشعار كثيرة سوى ذلك وقال فيها أبو الوحش سبع بن خلف الاسدى (رجز)

سقى دمشق الله غيثا حسنا من مستهل ديمة دهاقها
 مدينة ليس يضاهي حسنها فى سائر الدنيا ولا آفاقها
 تود زوراء العراق أنها منها ولا تعزى الى عراقها
 فأرضها مثل السماء بهجة وزهرها كالزهر فى اشراقها
 نسيم روضها متى ما قد سرى فانك اخا الهموم من وثاقها
 قدر تبع الربيع فى ربوعها وسيقت الدنيا الى أسواقها
 لا تسام العيون والأنوف من رؤيتها يوما ولا استنشاقها

ومما يناسب هذا للقاضى الفاضل عبد الرحمن البيسانى فيها من قصيدة وقد نسبت
 أيضا لابن المنير (كامل)

يا برق هل لك فى احتمال تحية عذبت فصارت مثل ما تلك سلسلا

باكر دمشق بمشق الحيا زهر الرياض مرصعاً ومكلا
 واجري جبرون ذبولك واختصص مغنى تأزر بالعلل وتسربلا
 حيث الحيا الربعى محلول الحيا والوايل الربعى مغرى الكلا
 وقال فيها أبو الحسن علي بن موسى سعيد العنسى الغرناطى المدعو نور الدين (بسيط)

دمشق منزلنا حيث النعم بدا مكلا وهو فى الآفاق مختصر
 القصب راقصة والطير صادحة والزهر مر تفع والماء منحد
 وقد تجلت من اللذات أوجها لسكرها بظلال الدوح تستر
 وكل واد به موسى يفجره وكل روض على حافات الخضر

وقال أيضا فيها

خيم بجلق بين الكاس والوتر فى جنة هى ملء السمع والبصر
 ومتع الطرف فى مرأى محاسنه وروض الفكر بين الروض والنهر
 وانظر إلى ذهبيات الأصيل بها واسمع الى نغمات الطير فى الشجر
 وكل لمن لام فى لذاته بشرا دعنى فانك عندى من سودة البشر

وقال أيضا فيها

(كامل)

أما دمشق فجنة ينسب بها الوطن الغريب
 لله أيام السبوت بها ومنظرها العجيب
 انظر بعينك هل ترى الا محبسا أو حبيب
 فى موطن غنى الحمام به على رقص القصيب
 وغدت أزاهر روضه تختال فى فرح وطيب

وأهل دمشق لا يعملون يوم السبت عملا انما يخرجون إلى المتنزهات وشطوط الأنهار
 ودوحات الأشجار بين البساتين النضرة والمياه الجارية فيسكونون بها يومهم إلى الليل
 وقد طال بنا السلام فى محاسن دمشق فليرجع إلى كلام الشيخ أبى عبد الله

(ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بنى أمية)

وهو اعظم مساجد الدنيا احتفالا وأتقنها صناعة وابدعها حسنا وبهجة وكالا ولا يعلم له
 نظير ولا يوجد له شبيهه وكان الذى تولى بنائه ولا تقا نه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن
 مروان ووجه الى ملك الروم بقسطنطينية يأمره ان يبعث اليه الصنائع فبعث اليه اثني عشر
 ألف صانع وكان موضع المسجد كنيسة فلما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد

رضى الله عنه من إحدى جهاتها بالسيف فانتهى إلى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه من الجهة الغربية صلحاً فانتهى إلى نصف الكنيسة فصنع المسلمون من نصف الكنيسة الذى دخلوه عنوة مسجداً وبقي النصف الذى صالحوا عليه كنيسة فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة فى المسجد طلب من الروم ان يبيعوا له كنيستهم تلك بما شاءوا من عوض فأبوا عليه فانتزعها من ايديهم وكانوا يزعمون ان الذى يهدمها يجن فذكروا ذلك للوليد فقال انا اول من يجن فى سبيل الله وأخذ الفأس وجعل يهدم بنفسه فلما رأى المسلمون ذلك تناهوا على الهدم والكذب الله زعم الروم وزين هذا المسجد بفصوص الذهب المعروفة بالفسفساء ثم اعطاه أنواع الأصبغة الغربية الحسن وذرع المسجد فى الطول من الشرق إلى الغرب مائتا خطوة وهى ثلاثمائة ذراع وعرضه من القبلة إلى الجوف مائة وخمس وثلاثون خطوة وهى مائتا ذراع وعدد شمسات الزجاج الملونة التى فيه أربع وسبعون وبلاطاته ثلاثة مستطيلة من شرق إلى غرب سعة كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة وقد قامت على أربع وخمسين سارية وثمانى أرجل حصية تتخللها وست أرجل مرصعة بالرخام الملون قد صرر فيها أشكال محاريب وسواها وهى ثقل قبة الرصاص التى أمام المحراب المسماة بقبة النسر كأنهم شبهوا المسجد نسراً طائراً والقبة رأسه وهى من أعجب مباني الدنيا .

ومن أى جهة استقبلت المدينة بدت لك قبة النسر ذاهبة فى الهواء منيفة على جميع مباني البلد وتستدير بالصحن بلاطات ثلاثة من جهاتها الشرقية والغربية والجوفية سعة كل بلاط منها عشر خطاً وبها من السوارى ثلاث وثلاثون ومن الأرجل أربع عشرة وسعة الصحن مائة ذراع وهو من أجمل المناظر وأتمها حسناً وبها يجتمع اهل المدينة بالعشايا فمن فارىء ومحدث ذاهب ويكون انصرافهم بعد العشاء الأخيرة وإذا لقي أحد كبارهم من الفقهاء وسواهم صاحباً له اسرع كل منهما نحو صاحبه وحط رأسه وفى هذا الصحن ثلاث من القباب إحداها فى غربيه وهى اكبرها وتسمى قبة عائشة ام المؤمنين وهى قائمة على ثمان سوار من الرخام مزخرفة بالفصوص والأصبغة الملونة مسقفة بالرصاص .

ويقال ان مال الجامع كان يختزن بها وذكروا ان فوائد مستغلات الجامع وجبايته نحو خمسة وعشرين ألف دينار ذهباً فى كل سنة والقبة الثانية من شرق مصحن على هيئة الأخرى إلا انها اصغر منها قائمة على ثمان من سوارى الرخام وتسمى قبة زين العابدين والقبة الثالثة فى وسط الصحن وهى صغيرة مثمثة من رخام عجيب محكم الاصاق قائمة على أربع سوارى من الرخام الناصع وتحتها شبالك حديد فى وسطه انبوب

نحاس يمج الماء إلى علو فيرفع ثم ينثني كأنه قضيب لجين وهم يسمونهم قفص الماء ويستحسن الناس وضع أفواههم فيه للشرب وفي الجانب الشرقى من الصحن باب يفصل إلى مسجد بديع الوضع يسمى مشهد على بن أبو طالب رضى الله عنه ويقابله من الجهة الغربية حيث يلتقى البلاطان الغربى والجوفى موضع يقال ان عائشة رضى الله عنها سمعت الحديث هنالك .

وفي قبلة المسجد المقصورة العظمى التى يؤم فيها امام الشافعية وفى الركن الشرقى منها إزاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذى وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى الشام وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على ائتم ذلك المصحف الكريم وهنالك يحلف الناس غرماهم ومن ادعوا عليه شيئا وعن يسار المقصورة محراب الصحابة ويذكر أهل التاريخ انه أول محراب وضع فى الاسلام وفيه يؤم امام المالكية وعن يمين المقصورة محراب الحنفية وفيه يؤم امامهم ويليه محراب الحنابلة وفيه يؤم امامهم ولهذا المسجد ثلاث صوامع لإحداها بشرقيه وهى من بناء الروم وبابها داخل المسجد وبأسفلها مطهرة وبيوت للوضوء يغتسل فيها المعتكفون والملتزمون بالمسجد ويتوضئون .

والصومعة الثانية بغربيه وهى أيضا من بناء الروم .

والصومعة الثالثة بشماله وهى من بناء المسلمين وعدد المؤذنين به سبعون مؤذنا وفى شرقى المسجد صومعة كبيرة فيها صهريج ماء وهى لطائفة الزيا لعة السودان وفى وسط المسجد قبر زكريا عليه السلام وعليه تابوت معترض بين اسطوانتين مكسو بشوب حرير أسود معلم فيه مكتوب بالابيض (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) وهذا المسجد شهير الفضل وقرأت فى فضائل دمشق عن سفيان الثورى ان الصلاة فى مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة وفى الأثر عن النبى ﷺ أنه قال يعبد الله فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة ويقال ان الجدار القبلى منه وضعه نبى الله هود عليه السلام وان قبره به وقد رأيت على مقربة من مدينة ظفار اليمن بموضع يقال له الاحقاف بنية فيها قبر مكتوب عليه هذا قبر هود بن عابر ﷺ ومن فضائل هذا المسجد انه لا يخلو عن قراءة القرآن والصلاة إلا قليلا من الزمان كما سنده كره والناس يجتمعون به كل يوم أثر صلاة الصبح فيقرأون سبعاً من القرآن ويجتمعون بعد صلاة العصر لقراءة تسعى الكوثرية يقرأون فيها من سورة الكوثر إلى آخر القرآن وللمجتمعين على هذه القراءة مراتب تجرى لهم وهم نحو ستمائة انسان ويدور عليه كاتب الغيبة فمن غاب منهم قطع له عند دفع المرتب بقدر غيبته وفى هذا المسجد جماعة كبيرة من المجاورين لا يخرجون منه مقبلون على الصلاة والقراء والذكر لا يفترقون

عن ذلك ويتوضئون من المطاهر التي بداخل الصومعة الشرقية التي ذكرناها وأهل البلد يعينونهم بالمطاعم والملابس من غير أن يسألوهم شيئا من ذلك ، وفي هذا المسجد أربعة أبواب باب قبلي يعرف بباب الزيادة وبأعلاه قطعة من الرمح الذي كانت فيه راية خالد بن الوليد رضي الله عنه ، ولهذا الباب دهليز كبير متسع فيه حوانيت السقاطين وغيرهم ومنه يذهب إلى دار الخيل وعن يسار الخارج منه سماط الصفارين وهي سوق عظيمة تمتد مع جدار المسجد القبلي من أحسن أسواق دمشق وبموضع هذه السوق كانت دار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ودور قومه وكانت تسمى الخضراء فهدمها بنو العباس رضي الله عنهم وصار مكانها سوقا ، وباب شرقي وهو أعظم أبواب المسجد ويسمى بباب جيرون وله دهليز عظيم يخرج منه إلى بلاط عظيم طويل أمامه خمسة أبواب لها ستة أعمدة طوال وفي جهة اليسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين رضي الله عنه وبازائه مسجد صغير ينسب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبه ماء جار وقد انتظمت أمام البلاط درج ينحدر فيها إلى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل بباب عظيم الارتفاع تحته أعمدة كالخدوع طوال وبجانب هذا الدهليز أعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها دكاكين البازين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيها حوانيت الجوهريين والكتبيين وصناع أواني الزجاج العجيبة وفي الرحبة المتصلة بالباب الأول دكاكين لكبار الشهود ، منها دكانا للشافعية وسائرهما لأصحاب المذاهب يكون في الدكان منها الخمسة والستة من العدول والعافد للانسكحة من قبل القاضي وسائر الشهود مفترقون في المدينة وبمقربة من هذه الدكاكين سوق الوراقين الذين يبيعون السكاغد والأقلام والمداد وفي الدهليز المذكور حوض من الرخام كبير مستدير عليه قبة لاسقف لها ثقلها أعمدة رخام وفي وسط الحوض أنبوب نحاس يزعج الماء بقوة فيرتفع في الهواء أزيد من قامته الإنسان يسمونه الفوارة منظره عجيب وعن يمين الخارج من باب جيرون وهو باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صغار مفتحة لها أبواب على عدد ساعات النهار والأبواب مصبوغ باطنها بالخضرة وظاهرها بالصفرة فإذا ذهبت ساعة من النهار انقلب الباطن الأخضر ظاهراً والظاهر الأصفر باطناً ويقال أن بداخل الغرفة من يتولى قلبها بيده عند مضي الساعات والباب الغربي يعرف بباب البريد وعن يمين الخارج منه مدرسة الشافعية وله دهليز فيه حوانيت للشماعين وسماط لبيع الفواكه وبأعلاه باب يصعد إليه في درج له أعمدة سامية في الهواء وتحت الدرج سقايتان عن يمين وشمال مستديرتان والباب الجوفي يعرف بباب

النفطانيين واه دهلير عظيم وعن يمين الخارج منه خانقاة تعرف بالشميعانية في وسطها صهريج ماء ولها مظاهر يجرى فيها الماء ويقال أنها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وعلى كل باب من أبواب المسجد الأربعة دار وضوء يكون فيها نحو مائة بيت تجرى فيها المياه الكثيرة .

﴿ ذكر الأئمة بهذا المسجد ﴾

وأئمة ثلاثة عشر إماماً أولهم الشافعية وكان في عهد دخولي إليها إمامهم قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني من كبار الفقهاء وهو الخطيب بالمسجد وسكنه بدار الخطابة ويخرج من باب الحديد إزاء المقصورة وهو الباب الذى كان يخرج منه معاوية وقد تولى جلال الدين بعد ذلك قضاء القضاة بالديار المصرية بعد أن أدى عنه الملك الناصر نحو مائة ألف درهم كانت ديناً عليه بدمشق وإذا سلم إمام الشافعية من صلانه أقام للصلاة إمام مشهد على ثم إمام مشهد الحسين ثم إمام مشهد الكلاسة ثم إمام مشهد أبى بكر ثم إمام مشهد عثمان رضى الله عنهم أجمعين ثم إمام المالكية وكان إمامهم فى عهد دخولي إليها الفقيه أبو عمر بن الوليد بن الحاج التجيبي القرطبي الأصل الغرناطى المولد نزيل دمشق وهو يتناوب الإمامة مع أخيه رحهما الله ثم إمام الحنفية وكان إمامهم فى عهد دخولي إليها الفقيه عماد الدين الحنفى المعروف بابن الرومى وهو من كبار الصوفية وله شياخة الخانقاه الخانوتية وله أيضاً خانقاه بالشرف الأعلى ثم إمام الحنابلة وكان ذلك العهد الشيخ عبد الله السكفيى أحد شيوخ القراء بدمشق ثم بعد هؤلاء خمسة أئمة لقضاء الفوائت فلانزال الصلاة فى هذا المسجد من أول النهار إلى ثلث الليل وكذلك قراءة القرآن وهذا من مفاخر الجامع المبارك .

﴿ ذكر المدرسين والمعلمين به ﴾

ولهذا المسجد حلقات للتدريس فى فنون العلم والمحدثون يقرءون كتب الحديث على كراسى مرتفعة وقراء القرآن يقرءون بالأصوات الحسنة صباحاً ومساءً وبه جماعة من المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم إلى سارية من سوارى المسجد يلقن الصبيان ويقرئهم وهم لا يكتبون القرآن فى الألواح تنزيهاً لكتاب الله تعالى وإنما يقرءون القرآن تلقيناً ومعلم الخط غير معلم القرآن يعلمهم بكتب الأشعار وسواها فيصرف الصبي من التعليم إلى التكتيب وبذلك جاد خطه لأن المعلم للحظ لا يعلم غيره ومن المدرسين بالمسجد المذكور العالم الصالح برهان الدين بن الفركاح الشافعى ومنهم العالم الصالح نور الدهن أبو اليسر بن الصائغ من المشتهرين بالفضل والصلاح ولما ولى القضاء بمصر

جلال الدين القزويني وجه إلى أبي اليسر الخلعة والأمر بقضاء دمشق فامتنع من ذلك ومنهم الإمام العالم شهاب الدين أبو جهميل من كبار العلماء هرب من دمشق لما امتنع أبو اليسر من قضائها خوفاً من أن يقلد القضاء فاتصل ذلك بالملك الناصر فولى قضاء دمشق شيخ الشيوخ بالديار المصرية قطب العارفين لسان المتكلمين علاء الدين القونوي وهو من كبار الفقهاء ومنهم الإمام الفاضل بدر الدين علي السخاوي رحمه الله عليهم أجمعين

﴿ ذكر قضاء دمشق ﴾

قد ذكرنا قاضي القضاة الشافعي بها جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني وأما قاضي المالكية فهو شرف الدين خطيب الفيوم حسن الصورة والهيئة من كبار الرؤساء وهو شيخ شيوخ الصوفية والثائب عنه في القضاء شمس الدين بن القفصي ومجلس حكمه بالمدرسة الصمصامية وأما قاضي قضاء الحنفية فهو عماد الدين الحوراني وكان شديد السطوة وإليه يتحاكم النساء وأزواجهن وكان الرجل إذا سمع اسم القاضي الحنفي انصف من نفسه قبل الوصول إليه وأما قاضي الحنابلة فهو الإمام الصالح عز الدين بن مسلم من خيار القضاة ينصرف على حمار له ومات بمدينة رسول الله ﷺ لما توجه للحجاز الشريف

﴿ حكاية ﴾

وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم في الفنون إلا أن في عقله شيا وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم ويعظمهم على المنبر وتكلم مرة بأمر أنكره الفقهاء ورفعوه إلى الملك الناصر فأمر بأشخصه إلى القاهرة وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر وتكلم شرف الدين الزواوي المالكي وقال إن هذا الرجل قال كذا وكذا وعدد ما أنكر على ابن تيمية وأحضر العقود بذلك ووضعها بين يدي قاضي القضاة وقال قاضي القضاة لا بن تيمية ما تقول قال لا إله إلا الله فأعاد عليه فأجاب بمثل قوله فأمر الملك الناصر بسجنه فسجن أعواماً وصنف في السجن كتاباً في تفسير القرآن سماه البحر المحيط في نحو أربعين مجلداً ثم إن أمه تعرضت للملك الناصر وشكت إليه فأمر بإطلاقه إلى أن وقع منه مثل ذلك ثانية وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي ههنا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية

حرير فأنكروا عليه لباسها واحتملوه إلى دار عز الدين بن مسلم قاضى الحنابلة فأمر بسجنه وعزره بعد ذلك فأنكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره ورفعوا الأمر إلى ملك الأمراء سيف الدين تنكيز وكان من خيار الأمراء وصلحائهم فكتب إلى الملك الناصر بذلك وكتب عقداً شرعياً على ابن تيمية بأمر منسكرة ، منها أن المطلق بالثلاث في كفة واحدة لا يلزمه إلا المطلقة واحدة ومنها المسافر الذى ينوى بسفره زيارة القبر الشريف زاده الله طيباً لا يقصر الصلاة وسوى ذلك ما يشبهه وبعث العقد إلى الملك الناصر فأمر بسجن ابن تيمية بالقلعة فسجن بها حتى مات فى السجن .

(ذكر مدارس دمشق)

اعلم أن للشافعية بدمشق جملة من المدارس أعظمها العادلية وبها يحكم قاضى القضاة وتقابلها المدرسة الظاهرية وبها قبر الملك الظاهر وبها جلوس نواب القاضى ومن نوابه نقر الدين القبطى وكان والده من كتاب القبط وأسلم ومنهم جمال الدين بن جملة وقد تولى قضاء قضاة الشافعية بعد ذلك وعزل لأمر أوجب عزله .

(حكاية)

كان بدمشق الشيخ الصالح ظهير الدين العجمى وكان سيف الدين تنكيز ملك الأمراء يتلذذه ويعظمه فحضر يوماً بدار العدل عند ملك الأمراء وحضر القضاة الأربعة فحكى قاضى القضاة جمال الدين بن جملة حكاية فقال له ظهير الدين كذبت فأف القاضى من ذلك وامتنع له فقال للأمير كيف يكذبى بحضورك فقال له الأمير احكم عليه وسلمه إليه وظنه أنه يرضى بذلك فلا يناهه بسوء فأحضره القاضى بالمدرسة العادلية وضربه ما تى سوطوطيف به على حمار فى مدينة دمشق ومناد ينادى عليه فتى فرغ من ندائه ضربه على ظهره وضربه وهكذا العادة عندهم فبالغ ذلك ملك الأمراء فأنكروه أشد الإنكار وأحضر القضاة والفقهاء فأجمعوا على خطأ القاضى وحكمه بغير مذهبه فإن التعزير عند الشافعية لا يبلغ به الحد وقال قاضى المالكية شرف الدين قد حكمت بتفسيقه فكتب إلى الملك الناصر بذلك فعزله وللحنفية مدارس كثيرة وأكبرها مدرسة السلطان نور الدين وبها يحكم قاضى الحنفية والمالكية بدمشق ثلاث مدارس لإحداها الصمصامية وبها سكن قاضى قضاة المالكية وقعوده للأحكام والمدرسة النورية عمرها السلطان نور الدين محمود بن زنكى والمدرسة الشراشبية عمرها شهاب الدين الشراشبي التاجر وللحنابلة مدارس كثيرة أعظمها النجمية .

« (ذكر أبواب دمشق) »

ولمدينة دمشق ثمانية أبواب منها باب الفراديس ومنها باب الجابية ومنها الباب الصغير وفيها بين هذين البابين مقبرة فيها العدد الجرم من الصحابة والشهداء فمن بعدهم قال محمد بن جزى لقد أحسن بعض المتأخرين من أهل دمشق في قوله

دمشق في أوصافها جنة خلد راضيه
أما ترى أبوابها قد جعلت ثمانية

« (ذكر بعض المشاهد والمزارات بها) »

فمنها بالمقبرة التي بين باب الجابية والباب الصغير قبر أم حنيفة بنت أبي سفيان أم المؤمنين وقبر أخيها أمير المؤمنين معاوية وقبر بلال مؤذن رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين وقبر أويس القرني وقبر كعب الأحبار رضي الله عنهما ووجدت في كتاب المعلم في شرح صحيح مسلم للقرطبي أن جماعة من الصحابة صحبهم أويس القرني من المدينة إلى الشام فتوفي في أثناء الطريق في بركة لا عمارة فيها ولا ماء فتحيروا في أمره فنزلوا فوجدوا حنوطا وكفنوا وماء فحججوا من ذلك وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه ثم ركبوا فقال بعضهم كيف نترك قبره بغير علامة فعادوا للموضع فلم يجدوا للقبر من أثر قال ابن جزى ويقال أن أويسا قتل بصفين مع علي عليه السلام وهو الأصح إن شاء الله ويلى باب الجابية باب شرقي عنده جبانة فيها قبر أبي بن كعب صاحب رسول الله ﷺ وفيها قبر العابد الصالح أرسلان المعروف بالباز الأشهب .

« (حكاية في سبب تسميته بذلك) »

يحكى أن الشيخ الوالى أحمد الرفاعي رضي الله عنه كان مسكنه بأم عبيدة بمرية من مدينة واسط وكانت بين ولى الله تعالى أبي مدين شعيب بن الحسين وبينه مؤاخاة ومراسلة ويقال إن كل واحد منهما كان يسلم على صاحبه صباحا ومساء فإرد عليه الآخر وكانت للشيخ أحمد نخیلات عند زاويته فلما كان في إحدى السنين جندھا على عادته وترك عندھا منها وقال هذا برسم أخى شعيب فحج الشيخ أبو مدين تلك السنة واجتمعا بالموقف الكريم بعرفة ومع الشيخ أحمد خديمه أرسلان فتفاوضا الكلام وحكى الشيخ حكاية العنق فقال له أرسلان عن أمرک یاسیدی آتیه به فاذن له فذهب من حينه وأتاه به ووضعہ بین أيديهما فاخبر أهل الراوية أنهم رأوا عشيبة يوم عرفة بازاً أشهب قد انقض على النخلة فقطع ذلك العنق وذهب به في الهوام وبغري دمشق جبانة تعرف بقبور الشهداء فيها قبر أبي الدرداء وزوجه أم الدرداء وقبر فضالة بن عبيد وقبر وائلة بن الأسقع وقبر سهل بن حنظلة من

الذين بايعوا تحت الشجرة رضى الله عنهم أجمعين وبقرية تعرف المنبيحة شرق دمشق وعلى أربعة أميال منها قبر سعد بن عباد رضى الله عنه وعليه مسجد صغير حسن البناء وعلى رأسه حجر مكتوب هذا قبر سعد بن عباد رأس الخزرج صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وبقر به قبلى البلد وعلى فرسخ منها مشهد أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة عليهم السلام ويقال ان اسمها زينب وكنياها النبی ﷺ أم كلثوم لشبهها بخالتها أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وعليه مسجد كبير وحوله مساكن وله أوقاف ويسميه أهل دمشق قبر الست أم كلثوم وقبر آخر يقال انه قبر سكينه بنت الحسين بن علي عليه السلام وبجامع الثيرب من قرى دمشق في بيت بشرقه قبر يقال انه قبر أم مريم عليها السلام وبقرية تعرف بداريا غرب البلد وعلى أربعة أميال منها قبر أبي مسلم الخولاني وقبر أبي سليمان الداراني رضى الله عنهما ومن مشاهد دمشق الشهيرة البركة مسجد الاقدام وهو في قبلى دمشق على ميلين منها على قارعة الطريق الأعظم الآخذ إلى الحجاز الشريف والبيت المقدس وديار مصر وهو مسجد عظيم كثير البركة وله أوقاف كثيرة ويعظمه أهل دمشق تعظيما شديدا والاقدام التي ينسب اليها هي أقدام مصورة في حجر هناك يقال انها أثر قدم موسى عليه السلام وفي هذا المسجد بيت صغير فيه حجر مكتوب عليه كان بعض الصالحين يرى المصطفى ﷺ في النوم فيقول له ها هنا قبر أخى موسى عليه السلام وبقرية من هذا المسجد موضع يعرف بالكثيب الأخضر وبقرية من بيت المقدس واريحاء موضع يعرف بالكثيب الأحمر تعظمه اليهود .

(حكاية)

شاهدت أيام الطاعون الأعظم بدمشق في أواخر ربيع الثاني سنة تسع وأربعين من تعظيم أهل دمشق لهذا المسجد ما يعجب منه وهو أن ملك الأمراء نائب السلطان أرغون شاه أمر مناديا ينادى بدمشق أن يصوم الناس ثلاثة أيام ولا يطبخون بالسوق فقام الناس ثلاثة أيام متوالية كان آخرها يوم الخميس ثم اجتمع الأمراء والشرفاء والقضاة والفقهاء وسائر الطبقات على اختلافها في الجامع حتى غص بهم وباتوا ليلة الجمعة ما بين مصل وذاكر وداع — ثم صلوا الصبح وخرجوا جميعا على أقدامهم وبأيديهم المصاحف والأمراء حفاة وخرج جميع أهل البلد ذكورا وإناثا صغارا وكبارا وخرج اليهود بتوراتهم والنصارى بانجيلهم ومعهم النساء والولدان وجميعهم باكون متضرعون إلى

الله بكتبه وأنبيائه وقصدوا مسجد الاقدام وأقاموا به في تضرعهم ودعاتهم إلى قرب الزوال وعادوا إلى البلد وصلوا الجمعة وخفف الله تعالى عنهم ما انتهى عدد الموتى إلى ألفين في اليوم الواحد وقد انتهى عددهم بالقاهرة ومصر إلى أربعة وعشرين ألفا في يوم واحد وبالباب الشرقي من دمشق منارة بيضاء يقال انها التي ينزل عيسى عليه السلام عندها حسبما ورد في صحيح مسلم .

(ذكر أرباض دمشق)

وتدور بدمشق من جهاتها ماعدا الشرقية أرباض فسيحة الساحات دواخلها أملح من داخل دمشق لأجل الضيق الذي في سككها وبالجبهة الشمالية منها ربض الصالحية وهي مدينة عظيمة لها سوق لانظير لحسنه وفيها مسجد جامع ومارستان وبها مدرسة تعرف بمدرسة ابن عمر موقوفة على من أراد أن يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والسكحول وتجري لهم ولبن يعلمهم كفايتهم من الماء كل والملابس وبداخل البلد أيضا مدرسة مثل هذه تعرف بمدرسة ابن منجا وأهل الصالحية كلهم على مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه

(ذكر قاسيون ومشاهده المباركة)

وقاسيون جبل في شمال دمشق والصالحية في سفحه وهو شهر البركة لأنه مصعد الانبياء عليهم السلام ومن مشاهده الكريمة الغار الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام وهو غار مستطيل ضيق عليه مسجد كبير وله صومعة عالية ومن ذلك الغار رأى السكوكب والقمر والشمس حسبما ورد في الكتاب العزيز وفي ظهر الغار مقامه الذي كان يخرج اليه وقد رأيت ببلاذ العراق قرية تعرف ببرص (بضم الباء الموحدة وآخرها صاد مهملة) ما بين الحلة وبغداد يقال ان مولد ابراهيم عليه السلام كان بها وهي بمقرقة من بلد ذى الكفيل عليه السلام وبها قبره ومن مشاهده بالغرب منه مغارة الدم وفوقها بالجبل دم هابيل بن آدم عليه السلام وقد أبقى الله منه في الحجارة أنرا حمرا وهو الموضع الذي قتله أخوه به واجتره الى المغارة ويذكر أن نلك المغارة صلى فيها ابراهيم وموسى وعيسى وأيوب ولوط صلى الله عليهم أجمعين وعليها مسجد متقن البناء يصعد اليه على درج وفيه بيوت ومرافق للسكنى ويقفح في كل يوم اثنين وخميس والشمع والمرج توقد في المغارة ومنها كهف بأعلى الجبل ينسب لآدم عليه السلام وعليه بناء وأسفل منه مغارة تعرف بمغارة الجوع يذكر أنه آوى اليها سبعون من الانبياء عليهم السلام وكان عندهم رغيف فلم يزل يدور عليهم وكل منهم يؤثر صاحبه به حتى ماتوا جميعاً صلى الله عليهم وعلى هذه المغارة مسجد

مبنى والسرّج توقد فيه ليلا ونهارا ولكل مسجد من هذه المساجد أوقاف كثيرة معينة
ويذكر أن فيا بين باب الفرياديس وجامع قاسيون مدفن سبعة نبي وبعضهم يقول سبعة
ألفا وخارج المدينة المقبرة العتيقة وهي مدفن الأنبياء والصالحين وفي طرفها مما يلي
البساتين أرض منخفضة غاب عليها الماء يقال انها مدفن سبعة نبياء وقد عادت قرارا للماء
ونزهت من أن يدفن فيها أحد

﴿ ذكر الربوة والقرى التي تواليها ﴾

وفي آخر جبل قاسيون الربوة المباركة المذكورة في كتاب الله ذات القرار المعين ومأوى
المسيح عيسى عليهما السلام وهي من أجمل مناظر الدنيا ومنزهاتها وبها القصور المشيدة
والمباني الشريفة والبساتين البديعة والمأوى المبارك مغارة صغيرة في وسطها كالجيت
الصغير وازاءها بيت يقال انه مصلى الخضر عليه السلام يبادر الناس إلى الصلاة فيها
وللمأوى باب حديد صغير والمسجد يدور به وله شوارع دائرة وساقية حسنة ينزل لها
الماء من علو وينصب في شاذروان في الجدار يتصل بحوض من رخام ويقع فيه الماء
ولا نظير له في الحسن وغرابة الشكل وقرب ذلك مظاهر للوضوء يجري فيها الماء وهذه
الربوة المباركة هي رأس بساتين دمشق وبها منابع مياهها وينقسم الماء الخارج منها على
سبعة أنهار كل نهر أخذ في جهة ويعرف ذلك الموضع بالمقاسم وأكبر هذه الأنهار
النهر المسمى بتورة وهو يشق تحت الربوة وقد نحت له مجرى في الحجر الصلد كالغار
الكبير وربما انغمس ذو الجسارة من العوامين في النهر من أعلى الربوة واندفع في
الماء حتى يشق مجراه ويخرج من أسفل الربوة وهي مخاطرة عظيمة وهذه الربوة تشرف
على البساتين الدائرة بالبلد ولها من الحسن واتساع مسرح الأبصار ما ليس لسواها وتلك
الأنهار السبعة تذهب في طارق شتى فتجاري الأعين في حسن اجتماعها واقتراقها واندفاعها
وانصبابها وجمال الربوة وحسنها التام أعظم من أن يحيط به الوصف ولها الاوقاف
الكثيرة من المزارع والبساتين والرباع تقام منها وظائف الامام والمؤذن والصادر
والوارد وبأسفل الربوة قرية الثيرب وقد تكاثرت بساتينها وتكاثفت ظلالها وتدانّت
أشجارها فلا يظهر من بنائها إلا ماسما ارتفاعه ولها حمام مليح ولها جامع بديع مفروش
صحته بفصوص الرخام وفيه سقاية رائعة الحسن ومطهره فيها بيوت عدة يجري فيها
الماء وفي القبلي من هذه القرية قرية المزة وتعرف بمزة كلب نسبة إلى قبيلة كلب بن وبرة بن
ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكانت اقطاء لهم واليها ينسب الامام حافظ
الدنيا جمال الدين يوسف بن الزكي الكلبى المزي وكثير سواء من العلماء وهي من أعظم

قرى دمشق بها جامع كبير عجيب وسقاية معينة وأكثر قرى دمشق فيها الحمامات والمساجد الجامعة والأسواق وسكانها كأهل الحاضرة في مناحيهم وفي شرق البلد قرية تعرف ببليت الالهة وكانت فيها كنيسة يقال إن آزر كان يجلب فيها الأصنام فيكسرها الخليل عليه السلام وهي الآن مسجد جامع بديع مزين بقصوص الرخام الملونة المنظمة بأعجب نظام وأزين التثام

(ذكر الأوقاف بدمشق وبعض فضائل أهلها وعوائدهم)

والأوقاف بدمشق لا تحصر أنوعها ومصارفها لكثرتها فمنها أوقاف على العاجزين عن الحج يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته ومنها أوقاف على تجهيز البتات إلى أزواجهن وهي اللواتي لا قدرة لاهلن على تجهيزهن ومنها أوقاف لفكك الأسارى ومنها أوقاف لآبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم ومنها أوقاف على تعديل الطريق ورصفها لأن أزقة دمشق لسكل واحد منها رصيفان في جنبيه يمر عليهما المترجلون ويمر الركبان بين ذلك ومنها أوقاف لسوى ذلك من أفعال الخير

(حكاية)

مررت يوما ببعض أزقة دمشق فرأيت بهاموكا صغيرا قد سقطت من يده صحيفة من الغنخار الصيفى وهم يسمونها الصحن فتسكرت واجتمع عليه الناس فقال له بعضهم اجمع شقفها واحملها معك لصاحب أوقاف الا واني فجمها وذهب الرجل معه اليه فأراه لياها فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن وهذا من أحسن الاعمال فان سيد الغلام لابد له أن يضربه على كسر الصحن أو ينهره وهو أيضا ينكسر قلبه ويتغير لاجل ذلك فكان هذا الوقف جبرا للقلوب جزى الله خيرا من تسامت همته في الخير إلى مثل هذا وأهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد والزوايا والمدارس والمشاهد وهم يحسنون الظن بالمغاربة ويطمئنون اليهم بالاموال والاهلين والاولاد وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لابد أن يتأتى له وجه من المعاش من إمامة مسجد أو قراءة مدرسة أو ملازمة مسجد يحجى اليه فيه رزقه أو قراءة القرآن أو خدمة مشهد من المشاهد المباركة أو يكون كجملة الصوفية بالخوانق تجرى له النفقة والسكوة فن كان بها غريبا على خير لم يزل مصونا عن بذل وجهه محفوظا عما يرمى بالمرومة ومن كان من اهل المهنة والخدمة فله أسباب آخر من حراسة بستان أو أمانة طاحونة أو كفالة صبيان يغدو معهم إلى التعليم ويروح ومن اراد طلب العلم أو التفرغ للعبادة وجد الإعانة التامة على ذلك ومن فضائل أهل دمشق انه لا يفطر أحد منهم في ليالى رمضان وحده البتة فن كان من الامراء والقضاة

والكبراء فإنه يدعو أصحابه والفقراء يفطرون عنده ومن كان من التجار وكبار السوقة صنع مثل ذلك ومن كان الضعفاء والبادية فانهم يجتمعون كل ليلة في دار أحدهم أو في مسجد ويأتى كل أحد بما عنده فيفطرون جميعا ولما وردت دمشق وقعت بيني وبين نور الدين السخاوي مدرس المالكية صحبتة فرغب مني أن أفطر عنده في ليالي رمضان فحضرت عنده أربع ليالي ثم أصابتني الحمى فغبت عنه فبعث في طلبي فاعتذرت بالمرض فلم يسعني عذرا فرجعت إليه وبث عنده فلما أردت الانصراف بالغد منعني من ذلك وقال لي احسب داري كأنها دارك أودار أبيك أو أخيك وأمر بإحضار طبيب وأن يصنع لي بداره كل ما يشتهي الطبيب من دواء أو غذاء وأقمت كذلك عنده إلى يوم العيد وحضرت المصلى وشغاني الله تعالى بما أصابني .

وقد كان ما عندي من النفقة نقد فعلم بذلك فاكترى لي جمالا وأعطانى الزاد وسواه وزادني دراهم وقال لي تكون لما عسى أن يعثر بك من أمر مهم جزاء الله خيرا وكان بدمشق فاضل من كتاب الملك الناصر يسمى عماد الدين القيسراني من عاداته أنه متى سمع أن مغربيا وصل إلى دمشق بحث عنه وأضافه وأحسن إليه فان عرف منه الدين والفضل أمره بملازمته وكان يلزمه منهم جماعة وعلى هذه الطريقة أيضا كاتب السر الفاضل علاء الدين بن غانم وجماعة غيره

وكان بها فاضل من كبرائهم وهو صاحب عز الدين القلانسي له مآثر ومكارم وفضائل وإيثار وهو ذو مال عريض وذكروا أن الملك الناصر لما قدم دمشق أضافه وجميع أهل دولته ومماليكه وخواصه ثلاثة أيام فسماه إذ ذاك بالصاحب وما يؤثر من فضايلهم أن أحد ملوكهم السالفين لما نزل به الموت أوصى أن يدفن بقبلة الجامع المسكرم ويخفي قبره وعين أو قافا عظيمة لقراء يقرؤون سبعاً من القرآن الكريم في كل يوم لأثر صلاة الصبح بالجمعة الشرقية من مقصورة الصحابة رضى الله عنهم حيث قبره فصارت قراءة القرآن على قبره لا تنقطع أبداً وبقي ذلك الرسم الجميل بعده مغلداً ومن عادة أهل دمشق وسائر تلك البلاد أنهم يخرجون بعد صلاة العصر من يوم عرفه فيقفون بصحون المساجد كبيت المقدس وجامع بني أمية وسواها ويقف بهم أئمتهم كاشفي رؤسهم داعين خاضعين خاشعين ملتزمين البركة ويتوخون الساعة التي يقف فيها وقد أتى تعالى وحجاج بيته بعرفات ولا يزالون في خضوع ودعاء وإتهال وتوسل إلى الله تعالى بحجاج بيته إلى أن تغيب الشمس فينفرون كما ينفر الحاج باكين على ما حرموه من ذلك الموقف الشريف بعرفات داعين إلى الله تعالى أن يوصلهم إليها ولا يخيبهم من بركة القبول فيما فعلوه ولهم أيضا في اتباع الجنائز رتبة عجيبة وذلك أنهم يمشون

أمام الجنائز والقراء يقرؤون القرآن بالأصوات الحسنة والتلاحين المبكية التي تكاد النفوس تطير لها رقة وهم يصلون على الجنائز بالمسجد الجامع قبالة المقصورة فإن كان الميت من أئمة الجامع أو مؤذنيه أو خدامه أدخلوه بالقراءة إلى موضع الصلاة عليه وإن كان من سواهم قطعوا القراءة عند باب المسجد وادخلوا الجنائز وبعضهم يجتمع له بالبلاط الغربي من الصحن بمقربة من باب البريد فيجلسون وإمامهم ربعات القرآن يقرءون فيها ويرفعون أصواتهم بالتداء لكل من يصل للعزاء من كبار البلدة وأعيانها ويقولون بسم الله فلان الدين من كمال وجهال شمس وبدر وغير ذلك فإذا أتموا القراءة قام المؤذنون فيقولون افتسكروا واعتبروا صلاتكم على فلان الرجل الصالح العالم ويصفونه بصفات من الخير ثم يصلون عليه ويذهبون به إلى مدفنه ولاهل الهند رتبة عجيبة في الجنائز ايضاً زائدة على ذلك وهي أنهم يجتمعون بروضة الميت صبيحة الثالث من دفنه وتفرس الروضة بالثياب الرقيقة ويكسى القبر بالأكسية الفاخرة وتوضع حوله الرايحين من الورد والنسرين والياسمين وذلك النوار لا ينقطع عندهم ويأتون بأشجار الليمون والاترج ويجعلون فيها حبوبها إن لم تكن فيها ويجعلون صيوان يظلل الناس نحوه ويأتى القضاة والأمراء ومن يماثلهم فيقعدون ويقام بهم القراء ويؤتى بالربعات السكرام فيأخذ كل واحد منهم جزءاً فإذا تمت القراءة من القراء بالأصوات الحسان يدعو القاضى ويقوم قائماً ويخطب خطبة معدة لذلك ويذكر فيها الميت ويرثيه بآيات شعر ويذكر أقرار به ويعزيهم عنه ويذكر السلطان داعياله وعند ذكر السلطان يقوم الناس ويحيطون رؤسهم إلى سمت الجهة التي بها السلطان ثم يقعد القاضى ويأتون بماء الورد فيصب على الناس صبا يبدأ القاضى ثم من يليه كذلك إلى أن يعصم الناس أجمعين ثم يؤتى بأواني السكر وهو الجلاب محلولا بالماء فيسقون الناس منه ويبدؤن بالقاضى ومن يليه ثم يؤتى بالتنبول وهم يعظمونه ويكرمونه ويأتى لهم به فإذا أعطى السلطان أحداً منه فهو أعظم من إعطاء الذهب والخلع وإذا مات الميت لم يأكل أهله التنبول إلا في ذلك اليوم فيأخذ القاضى أو من يقوم مقامه أوراقاً منه فيعطىها لولى الميت فيأكلها وينصرفون حينئذ وسيأتى ذكر التنبول إن شاء الله تعالى .

(ذكر سماعى بدمشق ومن اجازنى من اهلها)

سمعت بجامع بنى أمية عمره الله بذكره جميع صحيح الإمام ابى عبد الله محمد بن اسمعيل الجعفى للبخارى رضى الله عنه على الشيخ المعمر رحلة الافاق ملحق الأصاغر بالا كابر شهاب الدين أحمد بن أبى طالب بن ابى النعم بن حسن بن على بن بيان الدين (٥ - رحلة أول)

مقرىء الصالحى المعروف بابن الشحنة الحجازى فى اربعة عشر مجلساً ولها يوم الثلاثاء
منصف شهر رمضان المعظم سنة ست وعشرين وسبعمائة وآخرها يوم الاثنين الثامن
والعشرين منه بقراءة الإمام الحافظ مؤرخ الشام علم الدين أبى محمد القاسم بن محمد بن
يوسف البرزالى الاشبيلى الأصل الدمشقى فى جماعة كبيرة كتب اسماءهم محمد بن طغر بل
ابن عبد الله بن الغزال الصيرفى سماع الشيخ أبى العباس الحجازى لجميع الكتائب من الشيخ
الإمام سراج الدين أبى عبد الله الحسين بن أبى بكر المبارك بن محمد بن يحيى بن على بن
المسيح بن عمران الربيعى البغدادى الزبيدى الحنبلى فى أوخرشوال وأوائل ذى القعدة
من سنة ثلاثين وستائة بالجامع المظفرى بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق وباجازته فى
جميع الكتاب من الشيخين أبى الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن الحلف
القطيمى المؤرخ وعلى بن أبى بكر بن عبد الله بن روبة القلانسى العطار البغدادى ومن
باب غير النساء ووجدتهن إلى آخر الكتاب من أبى المنجا عبد الله بن عمر بن على بن
زيد بن اللتى الخراعى البغدادى بسماع اربعتهم من الشيخ شديد الدين أبى الوقت عبد
الأول بن عيسى بن شعيب بن ابراهيم السجزى الهروى الصوفى فى سنة ثلاث وخمسين
وخمسمائة ببغداد قال اخبرنا الإمام جمال الإسلام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر
ابن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ بن سهل بن الحسك الدوادى قراءة عليه وانا اسمع
ببوشنج سنة خمس وستين واربعمائة قال اخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حوية بن
يوسف بن ايمان السرخسى قراءة عليه وانا اسمع فى صفر سنة لحدى وثمانين وثلاثمائة
قال اخبرنا عبد الله بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر بن ابراهيم الفربرى قراءة
عليه ونا اسمع سنة ست عشرة وثلاثمائة بقرى قال اخبرنا الإمام أبو عبد الله بن محمد بن
اسماعيل البخارى رضى الله عنه سنة ثمان واربعين ومائتين بقرى ومرة ثانية وبعدها سنة
ثلاث وخمسين ومن اجازنى من اهل دمشق اجازة عامة الشيخ أبو الباس الحجازى
المذكور سبق إلى ذلك وتلفظلى به - ومنهم الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الله
ابن أحمد بن محمد المقدسى ومولده فى ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وستمائة - ومنهم
الشيخ الإمام الصالح عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن النجدى - ومنهم امام
الأئمة جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن يوسف المازنى السكلى
حافظ الحفاظ ومنهم الإمام علاء الدين على بن يوسف بن محمد بن عبد الله
الشافعى والشيخ الإمام الشريف محيى الدين بن يحيى بن على العلوى ومنهم الشيخ

الإمام المحدث مجد الدين القاسم بن عبد الله بن أبي عبد الله بن المعلى الدمشقي ومولده سنة أربع وخمسين وستائة . ومنهم الشيخ الإمام العالم شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن فلاح بن محمد الاسكندري . ومنهم الشيخ الإمام ولي الله تعالى شمس الدين بن عبد الله ابن تمام والشيخان الإخوان شمس الدين محمد وكال الدين عبد الله ابنا إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي والشيخ العابد شمس الدين محمد بن أبي الزهراء بن سالم الهكاري ، والشيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت محمد بن مسلم بن سلامة الجرائي . والشيخة الصالحة رحلة الدنيا زينب بنت كال الدين أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي كل هؤلاء اجازني إجازة عامة في سنة ست وعشرين بدمشق ولما استهل شوال من السنة المذكورة خرج الراكب الحجازي إلى خارج دمشق ونزلوا القرية المعروفة بالسكوة فاخذت في الحركة معهم وكان أمير الراكب سيف الدين الجوبان من كبار الأمراء وقاضيه شرف الدين الأذاعي الحوراني وحج في تلك السنة مدرس المائكية صدر الدين العامري وكان سفرى مع طائفته من العرب تدعى العجاردة أميرهم محمد بن رافع كبير القدر في الأمراء وارتحلنا من السكوة إلى قرية تعرف بالصنمين عظيمة ثم ارتحلنا منها إلى بلدة زرعوة وهي صغيرة من بلاد حوران نزلنا بالقرب منها ثم ارتحلنا إلى مدينة بصرى وهي صغيرة ومن عادة الركبان يقيم بها أربعة ليالحق بهم من تخلف بدمشق لقضاء ما ربه وإلى بصرى وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعث في تجارة خديجة وبها مبرك ناقته قد بنى عليه مسجد عظيم ويجتمع أهل حوران لهذه المدينة ويتزود الحاج منها ثم يرحلون إلى بركة زيرة (زيرا) ويقيمون عليها يوما ثم يرحلون إلى اللجون وبها الماء الجاري ثم يرحلون إلى حصن السكر وهو من أعجب الحصون وأمنعها وأشهرها ويسمى بحصن الغرب والوادي يطيف به من جميع جهاته وله باب واحد قد نحت المدخل إليه في الحجر الصلد ومدخل دهليزه كذلك وبهذا الحصن يتحصن الملوك واليه يلجئون في النوائب وله لجأ الملك الناصر لأنه ولي الملك وهو صغير السن فاستولى على التدبير بملوكه سلاسل نائب عنه فاضطر الملك الناصر أنه يريد الحج ووافقه الأمراء على ذلك فتوجه إلى الحج فلما وصل عقبه أبله لجا إلى الحصن واقام به أعواما إلى أن قصده أمراء الشام واجتمعت عليه المايليك وكان الملك في تلك المدة مبيرس الششكبير وهو أمير الطعام وتسمى بالملك المظفر وهو الذي بنى الخانقاه البيبرسية بمقربة من خانقاه سعيد السعداء التي بناها صلاح الدين بن أيوب فقصده الملك الناصر بالعساكر ففر بيبرس إلى الصحراء فتبعته العساكر وقبض عليه وأتى به إلى الملك الناصر

فأمر بقتله فقتل وقبض على سلاور وحبس في جبب حتى مات جوعاً ويقال انه اكل جيفة من الجوع نعوذ بالله من ذلك واقام الركب بخارج السكرك أربعة أيام بموضع يقال له الثانية وتجهزوا لدخول البرية . ثم ارتحلنا إلى معان وهو آخر بلاد الشام ونزلنا من عقبة الصوان إلى الصحراء التي يقال فيها داخلها مفقود وخارجها مولود وبعد مسيرة يومين نزلنا ذات حرج وهي حسيان لاعمارة بها . ثم إلى وادي بلدح ولأما به . ثم إلى تبوك وهو الموضع الذي غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها عين ماء كانت تبض بشيء من الماء فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضأ منها جادت بالماء المعين ولم يزل إلى هذا العهد يركه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن عادة حجاج الشام إذا وصلوا منزل تبوك أخذوا أسلحتهم وجردوا سيوفهم وحملوا على المنزل وضربوا النخل بسيفهم ويقولون هكذا دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزل الركب العظيم على هذه العين فيروى منها جميعهم ويقسمون أربعة أيام للراحة وإرواء الجمال واستعداد الماء للبرية الخوفة التي بين العلا وتبوك ومن عادة السقائين انهم ينزون على جوانب هذه العين ولهم أحواض مصنوعة من جلود الجواميس كالصهاريج الضخام يسقون منها الجمال ويملأون الروايا والقرب والسكل أمير أو كبير حوض يسقى منه جماله وجمال أصحابه ويملأ رواياهم وسواهم من الناس يتفق مع السقائين على سقى جملة ومليء قربته بشيء معلوم من الدراهم ثم يرحل الركب من تبوك ويجدون السير ليلاً ونهاراً خوفاً من هذه البرية وفي وسطها الوادي الأخضر كراً نهوادي جهنم اعادنا الله منها واصاب الحجاج به في بعض السنين مشقة بسبب ريح السموم التي تهب فانتشفت المياه وانتهت شربة الماء إلى ألف دينار ومات مشربها وباتعها وكتب ذلك في بعض صخر الوادي ومن هنالك ينزلون بركة المعظم وهي ضخمة نسبتها إلى الملك المعظم من أولاد أيوب ويجتمع بها ماء المطر في بعض السنين وربما جف في بعضها وفي الخامس من ايام رحيلهم عن تبوك يصلون إلى بئر الحجر حجر ثمود وهي كثيرة الماء ولكن لا يردّها أحد من الناس مع شدة عطشهم اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بها في غزوة تبوك فاسرع براجلته وامران لا يسقى منها أحد ومن عجن به اطعمه الجمال وهنالك ديار ثمود في جبال من الصخر الأحمر منحوتة لها عقب منقوشة يظن رأتها أنها حديثة الصنعة وعظامهم نخرة في داخل تلك البيوت لأن في ذلك لعبرة ومبرك ناقة صالح عليه السلام بين جبليْن هنالك وبينهما اثر مسجد يصلى الناس فيه وبين الحجر والعلا نصف يوم او دونه والعلا قرية كبيرة حسنة لها بساتين

النخل والمياه المعينة يقيم بها الحجاج أربعا يتزودون ويغسلون ثيابهم ويدعون بها ما يكون عندهم من فضل زاد ويستصحبون قدر الكفاية وأهل هذه القرية أصحاب أمانة والها ينتهى تجار نصارى الشام لا يتعدونها ويباعون الحجاج الزاد وسواه ثم يرحل الراكب من العلا فينزلون فى غد رحيلهم الوادى المعروف بالعطاس وهو شديد الحر تهب فيه السموم المهلكة هبت السنين على الراكب فلم يخلص منها إلا اليسير وتعرف تلك السنة سنة الأمير الجالقي ومنه ينزلون هدية وهى حسيان ماء بواد يحفرون به فيخرج الماء وهو زعاق وفى اليوم الثالث ينزلون بظاهر البلد المقدس الكريم الشريف .

(طبيعة مدينة رسول الله ﷺ وشرف وكرم)

وفى عشى ذلك اليوم دخلنا الحرم الشريف واتهينا إلى المسجد الكريم فوقفنا بباب السلام مسلمين وصلينا بالروضة الكريمة بين القبر والمنبر الكريم واستلمنا القطعة الباقية من الجذع الذى حن الى رسول الله ﷺ وهى ملصقة بعمود قائم بين القبر والمنبر عن يمين مستقبل القبلة وأدينا حق السلام على سيد الاولين والآخرين وشفييع العصاة والمذنبين الرسول النبى الهاشمى الأبطحى محمد ﷺ تسليما وشرف وكرم وحق السلام على ضجيعيه وصاحبيه أبى بكر الصديق وأبى حفص عمر الفاروق رضى الله عنهما وانصرفنا إلى رحلتنا مسرورين بهذه النعمة العظمى مستبشرين بنيل هذه المنة الكبرى حامدين الله تعالى على الباعث إلى معاهد رسوله الشريفة ومشاهده العظيمة الثمينة داعين ان لا يجعل ذلك آخر عهدنا بها وأن يجعلنا ممن قبلت زيارته وكتبت فى سبيل الله سفرته .

(ذكر مسجد رسول الله ﷺ وروضته الشريفة)

المسجد المعظم مستطيل تحفه من جهاته الأربع بلاطات دائرية ووسطه صحن مفروش بالحصى والرمل ويدور بالمسجد الشريف شارع مباط بالحجر المنحوت والروضة المقدسة صلوات الله وسلامه على ساكنها فى الجهة القبليّة مما يلي الشرق من المسجد الكريم وشكلها عجيب لا يتأتى تمثيله وهى منورة بالرخام البديع المنحت الراقق النعت قد علاها تضميخ المسك والطيب مع طول الازمان وفى الصفة القبليّة منها مسجرفضة هو قبالة الوجه الكريم وهنالك يقف الناس مستقبلين الوجه الكريم مستبشرين القبلة فيسلمون وينصرفون يميننا الى وجه ابى بكر الصديق ورأس ابى بكر رضى الله عنه عند قدمى رسول الله ﷺ ثم ينصرفون الى عمر بن الخطاب ورأس عمر عند كتفى ابى بكر رضى الله عنهما

وفي الجوفى من الروضة المقدسة زادها الله طيبا حوض صغير مرخم في قبلته شكل محراب يقال انه كان بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تسليما ويقال أيضا هو قبرها والله أعلم وفي وسط المسجد الكريم دفة مطبقة على وجه الأرض مقفلة على سرداب له مدرج يفضى إلى دار أبى بكر رضى الله عنه خارج المسجد وعلى ذلك السرداب كان طريق عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها إلى داره ولا شك أنه هو الخوخة التي ورد ذكرها في الحديث وأمر النبي ﷺ بإبقائها وسد ماسواها وبازاء دار أبو بكر رضى الله عنه دار عمر ودار ابنه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وبشرقي المسجد الكريم دار امام المدينة أبى عبد الله مالك بن أنس رضى عنه وبمقربة من باب السلام سقاية ينزل إليها على درج ماؤها معين وتعرف بالعين الزرقاء .

﴿ ذكر ابتداء بناء المسجد الكريم ﴾

قدم رسول الله ﷺ تسليما المدينة الشريفة دار الهجرة يوم الاثنين ليلة الثالث عشر من شهر ربيع الاول فنزل على بنى عمرو بن عوف وأقام عندهم ثنتين وعشرين ليلة وقيل أربع عشرة ليلة وقيل أربع ليال ثم توجه إلى المدينة فنزل على بنى النجار بدار أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه وأقام عنده سبعة أشهر حتى بنى مساكنه ومسجده وكان موضع المسجد مر بدأ سهل وسهيل ابنى رافع بن أبى عمر بن عائد بن ثعلبة بن غانم بن مالك بن النجار وهما يتييمان في حجر أسعد بن زرارى رضى الله عنهما أجمعين وقيل كانا في حجر أبى أيوب رضى الله عنه فابتاع رسول الله ﷺ ذلك المربد وقيل بل أرضهما أبو أيوب عنه وقيل اتها وهما رسول الله ﷺ فبنى رسول الله ﷺ المسجد وعمل فيه مع أصحابه وجعل عليه حائطا ولم يجعل له سقفا ولا أساطين وجعله مر بها طوله مائة ذراع وعرضه مثل ذلك وقيل ان عرضه كان دون ذلك وجعل ارتفاع حائطه قدر القامة فلما اشتد الحر تكلم أصحابه في تسقيفه فأقام له أساطين من جذوع النخل وجعل سقفه من جريدتها فلما أمطرت السماء وكف المسجد فكلم أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ في عمله بالطين فقال كلا عريش كعريش موسى أو ظلة كظلة موسى والأمر أقرب من ذلك .

قيل : وما ظلة موسى قال ﷺ كان إذا قام أصاب السقف رأسه .

وجعل المسجد ثلاثة أبواب ثم سد باب الجنوب منها حين حوت القبلة وبقى المسجد على حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وحياة أبى بكر رضى الله

عنه فلما كانت أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه زاد في مسجد رسول الله ﷺ وقال لولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول ينبغى أن نزيد في المسجد ما زدت فيه فأنزل أساطين الخشب وجعل مكانها أساطين اللبن وجعل الأساس حجارة إلى القامة وجعل الأبواب ستة منها في كل جهة ماعدا القبلة بابان وقال في باب منها ينبغى أن يترك هذا للنساء فأرى فيه حتى لقي الله عز وجل وقال لو زدنا في هذا المسجد حتى يسلمخ الجبانة لم يزل مسجد رسول الله ﷺ وأراد عمر أن يدخل في المسجد موضعها للعباس عثم رسول الله ﷺ ورضى عنهما ، فمنعه منه وكان فيه ميزاب يصب في المسجد فنزعه عمر وقال انه يؤذى الناس فنازعه العباس وحكما بينهما أنى بن كعب رضى الله عنهما فأتيا داره فلم يأذن لهما إلا بعد ساعة ثم دخلا إليه فقال كانت جاريتي تغسل رأسى فذهب عمر ليتكلم فقال له أنى دع ابا الفضل يتكلم لمكانه من رسول الله ﷺ فقال العباس خطبة خطبها لى رسول الله ﷺ وبنيها معه وما وضعت الميزاب إلا ورجلاى على عاتق رسول الله ﷺ فجاء عمر فطرحه وأراد إدخالها في المسجد فقال انى إن عندى من هذا علما سمعت رسول الله ﷺ يقول أراد داود عليه السلام أن يبني بيت الله المقدس وكان فيه بيت ليعقوبين فرأودهما على البيع فأبيا ثم رأودهما فباعاه ثم قاما بالغين فردا البيع واشتراه منهما ثم رداء كذلك فاستعظم داود الثمن فأوحى الله إليه إن كنت تعطى من شىء هو لك فأنت أعلم وإن كنت تعطى من رزقنا فأعطاه حتى يرضيا وإن اغنى البيوت عن مظلة بيت هو لى وقد حرمت عليك بناءه .

قال يا رب فأعطاه سليمان فأعطاه سليمان عليه السلام فقال عمر من لى بأن رسول الله ﷺ قاله نخرج أنى لى قوم من الأنصار فأثبتوا له ذلك فقال عمر رضى الله عنه إما أنى لو لم أجد غيرك أخذت قولك واسكننى أحببت أن اثبت ثم قال للعباس رضى الله عنه والله لا ترد الميزاب إلا وقدماك على عاتقى ففعل العباس ذلك ثم قال إما إذا اثبتت لى فهى صدقة لله ، فهدمها عمر وادخلها في المسجد ثم زاد فيه عثمان رضى الله عنه وبناه بقوة وباشره بنفسه فكان يظل فيه نهاره ويبيضه واثقن محله بالحجارة المنقوشة ووسعه من جهاته إلا جهة الشرق منها وجعل له سوارى حجارة مثبته بأعمدة الحديد والرصاص وسقفه بالساج وصنع له محراباً .

وقيل إن مروان هو اول من بنى المحراب وقيل عمر بن عبد العزيز فى خلافة الوليد — ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك تولى ذلك عمر بن عبد العزيز فوسعه

وحسنه وبالعنف في اتقانه وعمله بالرخام والساج المذهب وكان الوليد بعث إلى ملك الروم
أريد أن ابني مسجد نبينا ﷺ فاعنى فيه فبعث إليه الفعلة وثمانين ألف مثقال من
الذهب وأمر الوليد بإدخال حجر ازواج النبي ﷺ فيه فاشترى عمر من الدور
ما زاد في ثلاث جهات من المسجد فلما صار إلى القبلة امتنع عبيد الله بن عبد الله بن عمر من
من يسع دار حفصة ودار بينهما السلام حتى ابتاعها عمر على أن لهما بقى منها وعلى أن
يخرجوا من باقيها طريقا إلى المسجد وهي الخوخة التي في المسجد وجعل عمر للمسجد
أربع صوامع في أربعة أركانه وكانت إحداها مطلة على دار مروان فلما حج سليمان بن
عبد الملك نزل بها فأطل عليه المؤذن حين الأذان فأمر بهدمها وجعل عمر للمسجد محرابا.

ويقال هو أول من أحدث المحراب ثم زاد فيه المهدي بن أبي جعفر المنصور وكان
أمرهم بذلك ولم يقض له وكتب إليه الحسن بن زيد يرغبه في الزيارة فيه من جهة
الشرق ويقول أنه أن زيد في شرقيه توسطت الروضة الكريمة المسجد الكريم فأتهمه
أبو جعفر بأنه إنما أراد هدم دار عثمان رضى الله عنه فكتب إليه إنى قد عرفت الذى
أردت فاكشف عن دار عثمان وأمر أبو جعفر أن يظل الصحن أيام القيظ بستور تنشر
على جبال ممدودة على خشب تكون في الصحن لتسكن المصلين من الحر وكان طول
المسجد في بناء الوليد مائتي ذراع فبلغه المهدي إلى ثلاثمائة ذراع وسوى المقصورة
بالأرض وكانت مرتفعة عنها بمقدار ذراعين وكتب اسمه على مواضع من المسجد ثم
أمر الملك المنصور قلاوون ببناء دار للوضوء عند باب السلام فتولى بناءها الأمير
الصالح علاء الدين المعروف بالأقر وأقامها متسعة الفناء تستدير بها البيوت وأجرى
إليها الماء وأراد أن يبنى بمكة شرفها الله تعالى مثل ذلك فلم يتم له فبناه ابنه الملك الناصر بين
الصفى والمروة وسيدكر أن شاء الله قبلة مسجد رسول الله ﷺ قبلة قطع لأنه ﷺ أقامها
وقيل أقامها جبريل عليه السلام وقيل كان يشير جبريل له إلى سمتها وهو يقيمها وروى
أن جبريل عليه السلام أشار إلى الجبال فتواضعت فتشحت حتى بدت السكعبة فكان ﷺ
يبنى وهو ينظر إليها عيانا وبكل اعتبار فهي قبلة قطع وكانت القبلة أول ورود النبي ﷺ
المدينة إلى بيت المقدس ثم حولت إلى السكعبة بعد ستة عشر شهرا وقيل بعد سبعة
عشر شهرا .

(ذكر المنبر الكريم)

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كان يخطب إلى جذع نخلة

بالمسجد فلما صنع له المنبر وتحول اليه حن الجدد حنين الناقة إلى حوارها وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما نزل اليه فالتزمه فسكن وقال لو لم التزمه لحن إلى يوم القيامة واحتلفت الروايات فيمن صنع المنبر الكريم فروى ان تميا الدارى رضى الله عنه هو الذى صنعه وقيل ان غلاما للعباس رضى الله عنه صنعه وقيل غلام لامرأة من الانصار وورد ذلك في الحديث الصحيح وصنع من طرفاء الغابة وقيل من الائل وكان له ثلاث درجات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد على علياهن ويضع رجله السكريتين في وسطاهن فلما ولى ابو بكر الصديق رضى الله عنه قعد على وسطاهن وجعل رجله على اولاهن فلما ولى عمر رضى الله عنه جلس على اولاهن وجعل رجله على الارض وفعل ذلك عثمان رضى الله عنه صدرا من خلافته ثم ترقى الى الثالثة ولما ان صار الامر إلى معاوية رضى الله عنه اراد نقل المنبر إلى الشام فضج المسلمون وعصفت ريح شديدة وخسفت الشمس وبدت النجوم نهارا واظلمت الارض فكان الرجل يصادم الرجل ولا يتبين مسلك فلما رأى ذلك معاوية تركه وزاد فيه ست درجات من اسفله فبلغ تسع درجات .

(ذكر الخطيب والامام المسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم)

وكان الامام بالمسجد الشريف في عهد دخولى إلى المدينة بهاء الدين بن سلامة من كبار اهل مصر وينوب عنه العالم الصالح الزاهد بغية المشايخ عز الدين الواسطى نفع الله به وكان يخطب قبله ويقضى بالمدينة الشريفة سراج الدين عمر المصرى (حكاية) يذكر ان سراج الدين هذا اقام في خطبة القضاء بالمدينة والخطابة بها نحو اربعين سنة ثم انه اراد الخروج بعد ذلك إلى مصر فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ثلاث مرات في كل مرة يهاجمه عن الخروج منها واخبره باقتراب اجله فلم ينته عن ذلك وخرج فمات بموضع يقال له سويس على مسيرة ثلاث من مصر قبل ان يصل اليها نعوذ بالله من سوء الخاتمة وكان بنوب عنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرحون رحمة الله وابتاؤه الآن بالمدينة الشريفة أبو محمد عبد الله مدرس المالكية ونائب الحكم وأبو عبد الله محمد واصحابهم من مدينة تونس ولهم بها حسب واصالة وتولى الخطابة والقضاء بالمدينة الشريفة بعد ذلك جمال الدين الأسيوطى من أهل مصر وكان قبل ذلك قاضيا بحصن السكر .

(ذكر خدام المسجد الشريف والمؤذنين به)

وخدام هذا المسجد الشريف وسدنته فتيان من الاحايش وسواهم وهم على هيات

حسان وصور نظاف وملابس ظراف وكبيرهم يعرف بشيخ الخدام وهو في هيئة الامراء
الكبار ولهم المرتبات بديار مصر والشام ويؤتي اليهم بها في كل سنة ورئيس المؤذنين بالحرام
الشريف الامام المحدث الفاضل جمال الدين المطري من مطرية قرية بمصر وولده الفاضل
عفيف الدين عبد الله والشيخ المجاور الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الغرناطي المعروف
بالتراس قدسهم المجاورة وهو الذي حب نفسه خوفا من الفتنة ﴿حكاية﴾

يذكر أن أبا عبد الله الغرناطي كان خديما لشيخ يسمى عبد الحميد العجمي وكان الشيخ
حسن الظن به يطمئن اليه باهله ويتركه متى سافر بداره فسافر مرة وتركه على عادته بمنزله
فعلقت به زوجة الشيخ عبد الحميد وراودته عن نفسه فقال أني أخاف الله ولا أخون من
اتمنى على أهله وماله فلم تزل تراوده وتعارضه حتى خاف على نفسه الفتنة فحب نفسه وغشى
عليه ووجده الناس على تلك الحالة فعالجوه حتى برىء وصار من خدام المسجد الكرام
ومؤذنا به ورأس الطائفتين وهو باق بقاء الحياة إلى هذا العهد .

﴿ ذكر المجاورين بالمدينة الشريفة ﴾

منهم الشيخ الصالح الفاضل أبو العباس أحمد بن محمد مرزوق كثير العبادة والصوم
والصلاة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم نسلم اصابرا محتسبا وكان بمجاورة بمكة المعظمة
رأيتها في سنة ثمان وعشرين وهو أكثر الناس طوافا وكنيت أعجب من ملازمته الطواف
مع شدة الحر بالمطاف والمطاف مفروش بالحجارة السوداء يصير بحر الشمس كأنها الصفائح
الحماة ولقد رأيت السقائين يصبون الماء عليها فما يجاوز الموضع الذي يصب فيه الا ويلتهب
الموضع من حينه وأكثر الطائفتين في ذلك الوقت يلبسون الجوارب وكان أبو العباس بن
مرزوق يطوف حافي القدمين ورأيتها يوما يطوف فاحببت أن أطوف معه فوصلت المطاف
واردت استلام الحجر الاسود فلحقني لهب تلك الحجارة وارتدت الرجوع بعد تقبيل
الحجر فما وصلته الا بعد جهد عظيم ورجعت فلم أطف ورجعت أجعل نجادي على الأرض
وأمشي عليه حتى بلغت الرواق وكان في ذلك العهد بمكة وزير غرناطة وكبيرها أبو القاسم محمد
ابن محمد بن الفقيه أبي الحسن سهل بن مالك الازدي وكان يطوف كل يوم سبعين أسبوعا ولم
يكن يطوف في وقت القائلة لشدة الحر وكان ابن مرزوق يطوف في شدة القائلة ريادة
عليه ومن المجاورين بالمدينة كرمها الله الشيخ الصالح العابد سعيد المراكشي السكيفي
ومنهم أبو مهدي بمكة عيسى بن حزون المسكناسي .

﴿ حكاية ﴾

جاء الشيخ أبو مهدي بمكة سنة ثمان وعشرين وخرج إلى جبل حراء مع جماعة

من المجاورين فلما صعدوا الجبل ووصلوا لمتعب النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً ونزلوا عنه تأخر أبو مهدي عن الجماعة ورأى طريقاً في الجبل فظنه قاصراً فسلك عليه ووصل أصحابه إلى أسفل الجبل فانتظروه فلم يات فتطلّعوا فيما جوفهم فلم يروا له أثراً فظنوا أنه سبقهم فمضوا إلى مكة شرفها الله تعالى ومر عيسى على طريقه فأفضى به إلى جبل آخر وتاه عن الطريق وأجده العطش والحرق وتمزقت نعله فكان يقطع من ثيابه ويلف على رجليه إلى أن ضعف عن المشي واستظل بشجرة أم غيلان فبعث الله أعرابياً على جبل حتى وقف عليه فأعلمه بحاله فأركبه وأوصله إلى مكة وكان على وسطه هميان فيه ذهب فسلبه إليه وأقام نحو شهر لا يستطيع القيام على قدميه وذهبت جلدتهما ونبئت لهما جلدة أخرى وقد جرى مثل ذلك لصاحبلي أذكره إن شاء الله من المجاورين بالمدينة الشريفة أبو محمد الشروى من القراء المحسنين وجاور بمكة في السنة المذكورة وكان يقرأها كتاب الشفاء للقاضي عياض بعد الظهر وأم في التراويح وبها من المجاورين الفقيه أبو العباس الفاسي مدرس المالكية بها وتزوج ببنت الشيخ الصالح شهاب الدين الزرندى * (حكاية) * يذكر أن أبا العباس الفاسي تسكلم يوم ما مع بعض الناس فأنهى به السلام إلى أن تسكلم بعضهم أرتكب فيها بسبب جهله بعلم النسب وعدم حفظه للسانه مركباً صعباً عفا الله عنه فقال الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام لم يفتح يعقب كلامه إلى أمير المدينة هلقيل ابن منصور بن جواز الحسني فأنكر كلامه وبحق إنكاره وأراد قتله فكلّم فيه فنداء عن المدينة ويذكر أنه بعث من اغتاله وإلى الآن لم يظهر له أثر نعوذ بالله من عثرات اللسان وزله

*(ذكر أمير المدينة الشريفة) *

كان أمير المدينة كبيشي بن منصور بن جواز وكان قد قتل عمه مقبلاً ويقال أنه تواضاً بدمه ثم أن كبيشاً خرج سنة سبع وعشرين إلى الفلاة في شدة إلى الحر ومعه أصحابه فادركتهم القائلة في بعض الأيام ففترقوا تحت ظلال الأشجار فما راعهم إلا وابناء مقبل في جماعة من عبيدهم ينادون بالاثارات مقبل فقتلوا كبيش بن منصور صبراً لعق وادمه وتولى بعده أخوه هلقيل بن منصور الذي ذكرنا أنه نفي أبا العباس الفاسي .

*(ذكر بعض المشاهد السكرية بخارج المدينة الشريفة) *

فمنها بقبيص العرق وهو بشر في المدينة المسكرمة ويخرج إليه على باب يعرف بباب البقيص فأول ما يلقى الخارج إليه على يساره عند خروجه من الباب قبر صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنهما وهي عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وأم الزبير بن العوام رضي الله عنه

وأمامها قبر امام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس رضى الله عنه وعليه قبة صغيرة مختصرة البناء وأمامه قبر السلالة الطاهرة المقدسة النبوية الكريم ابراهيم بن رسول الله ﷺ وعليه قبة بيضاء وعن يمينها تربة عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وهو المعروف بأبي شحمة وبازائه قبر عقيل بن أبي طالب رضى الله عنهما وبازائهم روضة قبور أمهات المؤمنين بها رضى الله عنهن ويليهما روضة فيها قبر العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهي قبة ذاتية في الهواء بديعة الاحكام عن يمين الخارج من باب البقيع ورأس الحسن إلى رجل العباس عليهما السلام وقبراهما مرتفعان عن الأرض متسعان مغشيان بألواح بديعة الالتصاق مرصعة بصفائح الصفر البديعة العمل وبالبقيع قبور المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة رضى الله عنهم إلا أنها لا يعرف أكثرها وفي آخر البقيع قبر أمير المؤمنين أبي عمر عثمان بن عفان رضى الله عنه وعليه قبة كبيرة وعلى مقربة منه قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب رضى الله عنها وعن ابنها .

ومن المشاهد السكرية قباه وهو قبلى المدينة على نحو ميلين منها والطريق بينهما فى حدائق النخل وبه المسجد الذى أسس على التقوى والرضوان وهو مسجد مربع فيه صومعة بيضاء طويلة تظهر على البعد وفى وسطه مبرك الناقة بالنبي صلى الله عليه وسلم يتبرك الناس بالصلاة فيه ، وفى الجهة الشمالية من صحنه محراب على مصطبة هو أول موضع ركع فيه النبي ﷺ وفى قبلى المسجد دار كانت لأبي أيوب الأنصارى ويلها دور تنسب لأبي بكر وعمر وفاطمة وعائشة رضى الله عنهم وبازائه بشر اريس وهى التى عاد ماؤها عذبا لما تفل فيه النبي ﷺ بعد أن كان اجاجا وفيها وقع الخاتم الكريم من عثمان رضى الله عنه .

ومن المشاهد فيه حجر الزيوت بخارج المدينة الشريفه يقال أن الزيت رشع من حجر هنالك للنبي ﷺ . وإلى جهة الشمال منه بشر بضاعة . وبازائها جبل الشيطان حيث صرخ يوم احد وقال قد قتلت نبيكم وعلى شفيع الخندق الذى حفره رسول الله ﷺ عند تحزب الأحزاب حصن خرب يعرف بحصن العرب يقال أن عمر بناء لعزاب المدينة وأمامه إلى جهة الغرب بشر رومه التى اشترى امير المؤمنين عثمان رضى الله عنه نصفها بعشرين الفا ، ومن المشاهد السكرية أحد وهو الجبل المبارك الذى قال فيه رسول الله ﷺ تسليما لآل أحداء جبل يحبنا ونحبه وهو بجوار

المدينة الشريفة على نحو فرسخ منها وبازائه الشهداء المسكرون رضى الله عنهم وهنالك قبر حمزة عم رسول الله ﷺ ورضى الله عنه وحوله الشهداء المستشهدون في احد رضى الله عنهم وقبورهم لقبلى أحد وفي طريق احد مسجد ينسب لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ومسجد ينسب إلى سلمان الفارسي رضى الله عنه ومسجد الفتح حيث أنزلت سورة الفتح على رسول الله ﷺ وكانت إقامتنا بالمدينة الشريفة في هذه الوجبة أربعة أيام وفي كل ليلة نهيت بالمسجد الكريم والناس قد حللوا في صحنه حللوا وأوقدوا الشمع الكبير وبينهم ربعات القرآن الكريم يتلونه وبعضهم يذكرون الله وبعضهم في مشاهدة التربة الطاهرة زادها الله طيبا والحدادة بكل جانب يترنمون بمدح رسول الله ﷺ وهكذا دأب الناس في تلك الليالي المباركة ويجودون بالصدقات الكثيرة على المجاورين والمحتاجين وكان في صحبتي في هذه الوجبة من الشام إلى المدينة الشريفة رجل من أهلها فاضل يعرف بمنصور بن شكل وأضافني بها واجتمعنا بعد ذلك بحلب وبخاري وكان في صحبتي أيضا قاضي الزيدية شرف الدين قاسم بن شنان وصحبي أيضا أحد الصالحاء الفقراء من أهل غرناطة يسمى بعلى بن حجر الأموي .

(حكاية)

لما وصلنا إلى المدينة كرمها الله على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام ذكر لي على بن حجر المذكور انه رأى تلك الليلة في النوم قائلا يقول له اسمع مني واحفظ عني (هلويل)

هنيئا لكم يا زائرين ضريحه امنتم به يوم المعاد من الرجم

وصلتم إلى قبر الحبيب بطيية فطوبى لمن يضحي بطوبة او يمسي

وجاور هذا الرجل بعد صحبه بالمدينة ثم رحل إلى مدينة دهلي قاعدة بلاد الهند في سنة ثلاث واربعين فنزل في جوارى وذكرت حكاية رؤياه بين يدي ملك الهند فأمر بإحضاره فحضر بين يديه وحكى له ذلك فأعجبه واستحسنه وقال له كلاما جميلا بالفارسية وأمر بإزاله واعطاه ثلاثمائة تنكة من ذهب ووزن التنكة من دنانير المغرب ديناران ونصف دينار واعطاه فرسا محلى السرج واللجام وخلعة وعين له مرتبا في كل يوم وكان هنالك فقيه طيب من أهل غرناطة ومولده ببجاية يعرف هنالك بجمال الدين المغربي فصحبه على بن حجر المذكور وواعده على ان يزوجه بنته وانزله بدويرة خارج داره واشترى جارية وغلاما وكان يترك الدنانير في مفرش ثياب به ولا يطعمن بها لأحد فاتفق الغلام والجارية على اخذ ذلك الذهب واخذاه وهربا فلما اتى الدار لم يجد لهما اثرأ ولا

للذهب فامتنع من الطعام والشراب واشتد به المرض أسفا على ما جرى عليه فعرضت قضيته بين يدي الملك فأمر أن يخلف له ذلك فيبعث اليه من يعمله بذلك فوجدوه قد مات رحمه الله تعالى وكان رحيلنا من المدينة نريد مكة شرفها الله تعالى فنزلنا بقرب مسجد ذي الخليفة الذي أحرم منه رسول الله ﷺ وبالمدينة منه على خمسة أميال وهو منتهى حرم المدينة وبالقرب منه وادي العقيق وهناك تجردت من خيط الثياب واغتسلت ولبست ثوب احرامى وصليت ركعتين وأحرمت بالحج مفردا ولم أزل ملبيا في كل سهل وجبل وصعود وحدور إلى أن أتيت شعب على عليه السلام وبه نزلت تلك الليلة .

ثم رحلنا منه ونزلنا بالروحاء وبها بشر تعرف ببشر ذات العلم ويقال ان عليا عليه السلام قاتل بها الجن .

ثم رحلنا ونزلنا بالصفراف وهو واد معمور فيه ماء ونخل وبنيان وقصر يسكنه الشرفاء الحسينيون وسواهم وفيها حصن كبير وتواليه حصون كثيرة وقرى متصلة .

ثم رحلنا منه ونزلنا ببدر حيث نصر الله ﷺ رسوله ﷺ وأنجز وعده الكريم واستأصل صناديد المشركين وهي قرية فيها حدائق نخل متصلة وبها حصن مشيع يدخل اليه من بطن واد بين جبال ووبدر عين فواره يجرى ماؤها موضع القلبيب الذي سحب به أعداء الله المشركون هو اليوم بستان وموضع الشهداء رضى الله عنهم خلقه وجبل الرحمة الذي نزلت به الملائكة على يسار الداخل منه إلى الصفراف وبازائه جبل الطبول وهو شبه كئيب الرمل ممتد ويزعم أهل تلك البلدة انهم يسمعون هناك مثل اصوات الطبول في كل ليلة جمعه وموضع عريش رسول الله ﷺ الذي كان به يوم بدر يناشد ربه جل وتعالى متصل بسفح جبل الطبول وموضع الوقعة وامامه وعند نخل القلبيب مسجد يقال له مبرك نافذة رسول الله ﷺ وبين بدر والصفراف نحو برير في واد بين جبال تطرد فيه العيون وتتصل حدائق النخل .

ورحلنا من بدر إلى الصحراف المعروفة بقاع البرواء وهي برية يضل بها الدليل . ويذهل عن خيلته الخليل . مسيرة ثلاث وفي منتهى وادي رابع يتكون فيه المطر غدردان يبقى بها الماء زمانا طويلا ومنه يحرم حجاج مصر والمغرب وهو دون الجحفة وسرنا من رابع ثلاثا إلى خليص ومررنا بعقبة السويق وهي على مسافة نصف يوم من خليص كثيرة الرمل والحجاج يقصدون شرب السويق بها ويستصحون منه من مصر والشام برسم ذلك ويسقونه الناس مغلط بالسكر والأمراء يملأون منه الأحواض ويسقونها الناس ويذكرون أن رسول الله ﷺ مر بها ولم يكن مع اصحابه طعام فاخذ من رملها فاعطاهم لباة فشر به .

سويقاً ثم نزلنا بركة خليف وهي في بسيط من الأرض كثيرة حدائق النخل لها حصن مشيد في قمة جبل وفي البسيط حصن خرب وبها عين فوارة ضمنت لها أخاديد في الأرض وسربت إلى الضياع وصاحب خليص شريف حسنى النسب وعرب تلك الناحية يقيمون هنالك سوقاً عظيمة يجلبون إليها الغنم والتمر والادام ثم رحلنا إلى عسفان وهي في بسيط من الأرض بين جبال وبها آبار ماء معين تنسب لإحداها إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه والمدرج المنسوب إلى عثمان أيضاً على مسافة نصف يوم من خليص وهو مضيق بين جبليين وفي موضع منه بلاط على صورة درج وأثر عمارة قديمة وهنالك بئر تنسب إلى علي عليه السلام ويقال إنه أحدثها بعسفان حصن عتيق وبرج مشيد قد أوهنه الخراب وبه من شجر المقل كثير ثم رحلنا من عسفان ونزلنا بطن مر ويسمى أيضاً مر الظهران وهو واد مخصب كثير النخل ذو عين فوارة سيالة تسقى تلك الناحية ومن هذا الوادى تجلب الفواكه والخضر إلى مكة شرفها الله تعالى ثم أدينا من هذا الوادى المبارك وأنفوس مستبشرة ببلوغ آمالها مسرورة بحالها ومآلها فوصلنا عند الصباح إلى البلد الأمين مكة شرفها الله تعالى فوردنا منها على حرم الله تعالى ومبداً خليله إبراهيم وصفيه محمد ﷺ ودخلنا البيت الحرام الشريف الذى من دخله كان آمناً من بنى شعبة وشاهدنا السكبة الشريفة زادها الله تعظماً وهي كالعروس تجلى على منصة الجلال وترقى في برود الجمال محفوفة بوفود الرحمن موصلة إلى جنة الرضوان وطفناً بها طواف القدوم واستلمنا الحجر الكريم وصلينا ركعتين بمقام إبراهيم وتعلقنا بأستار السكبة عند المنتزم بين الباب والحجر الأسود حيث يستجاب الدعاء وشربنا من ماء زمزم وهو لما شرب له حسبها ورد عن النبي ﷺ تسليماً ثم سعيينا بين الصفا والمروة ونزلنا هنالك بداء بمقربة من باب إبراهيم والحمد لله الذى شرفنا بالوفادة على هذا البيت الكريم وجعلنا من بلغنا دعوة الخليل عليه الصلاة والتسليم ومتع أعيننا بمشاهدة السكبة الشريفة والمسجد العظيم والحجر الكريم وزمزم والحطيم .

ومن عجائب صنع الله تعالى أنه طبع القلوب على النزوع إلى هذه المشاهد المنيفة والشوق إلى المشول بمعاهدها الشريفة وجعل حبها متمكناً في القلوب فلا يحلها أحد إلا أخذت بمجاميع قلبه ولا يفارقها إلا أسفاً لفراقها متولها لبعادة عنها شديد الحنين إليها ناوياً لتكرار الوفاة عليها فأرضنا المباركة نصب الاعين ومحبته حشو القلوب حكمة من الله بالغة وتصديقاً لدعوة خليله عليه السلام .

والشوق يحضرها وهي نائية ويمثلها وهي غائبة ويهون على قاصدها ما يلقاه من المشاق

ويعانيه من العناء وكمن ضعيف يرى الموت عيانا دونها ويشاهد التلف في طريقها فإذا جمع الله بها شمله تلقاها مسرورا مستبشرا كأنه لم يذق لها مرارة ولا كابد محنة ولا نصباً أنه لأمر إلهي وصنع رباني ودلالة لا يشوبها لبس ولا تغشاها شبهة ولا يطررها تمويه وتعز في بصيرة المستبصرين وتبدو في فكرة المتفكرين ومن رزقه الله تعالى الحلول بتلك الأرجاء والمثول بذلك الفناء فقد أنعم الله عليه النعمة الكبرى وخوله خير الدارين الدنيا والآخرة فحق عليه أن يكسر الشكر على ما خوله ويديم الحمد على ما أولاه جعلنا الله تعالى ممن قبلت زيارته وربحت في قصدها تجارتها وكتبت في سبيل الله آثاره وبحيت بالقبول أوزاره بمنه وكرمه .

(ذكر مدينة مكة المعظمة)

وهي مدينة كبيرة متصلة بالنيان مستطيلة في بطن واد تحف به الجبال فلا يراها قاصدها حتى يصل إليها وتلك الجبال المطلة عليها ليست بمفرطة الشموخ والاختشبان من جبالها هما جبل أبي قبيس وهو في جهة الجنوب منها وجبل قميعة عان وهو في جهة منها وفي الشمال منها الجبل الأحمر ومن جهة أبي قبيس أجياد الأكبر وأجياد الأصغر وهما شعبان والحندمة وهي جبل وستدكر (والمناسك كلها منى وعرفة والمزدلفة) بشرقي مكة شرفها الله وللمكة من الأبواب ثلاثة : باب المعلى بأعلاها وباب الشبيكة من أسفلها ويعرف أيضا بباب العمرة وهو إلى جهة المغرب وعليه طريق المدينة الشريفة ومصر والشام وجدة ومنه يتوجه إلى التنعيم وسيدكر ذلك وباب المسفل وهو من جهة الجنوب ومنه دخل خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم الفتح ومكة شرفها الله كما أخبر الله في كتابه العزيز حاكيا عن نبيه الخليل بواد غير ذي زرع ولكن سبق لها الدعوة المباركة فكل طريقة تجلب إليها وثمرات كل شيء تجي لها ولقد أكلت بها من الفواكه العنب والتين والخوخ والرطب ما لا نظير له في الدنيا وكذلك البطيخ المجلوب إليها لا يماثله سواء طيبا وحلاوة واللحوم بها سمان لذيزات الطهوم وكل ما يفترق في البلاد من السلع فيها اجتماعه وتجلب لها الفواكه والخضر من الطائف ووادي نخلة وبطن من أطراف من الله بسكان حرمه الأمين وبجأوري بيته العتيق

(ذكر المسجد الحرام شرفه الله وكرمه)

والمسجد الحرام في وسط البلد وهو متسع الساحة طوله من شرق إلى غرب أزيد من أربع مائة ذراع حتى ذلك الأذرق وعرضه يقرب من ذلك والسكبة العظمى في وسطه

ومنظره بديع ومرآه جميل لا يتعاطى اللسان وصف بدائعه ولا يحيط الوصف بحسن كماله وارتفاع حيطانه نحو عشرين ذراعا وسقفه على أعمدة طوال مصطفة ثلاثة صفوف بأقن صناعة واجملها وقد انتظمت بلاطانه الثلاثة انتظاما عجيبا كأنها بلاط واحد وعدد سواريه الرخامية أربعائة واحد و تسعون سارية ماعدا الجصية التي في دار الندرة المزينة في الحرم وهي داخلة في البلاط الآخذ في الشمال ويقابلها المقام مع الركن العراقي وقضاؤها متصل يدخل من هذا البلاط اليه ويتصل بجدار هذا البلاط مساطب تحت قسى حنايا يجلس بها المقرؤن والنساخون والخطاطون وفي جدار البلاط الذي يقابله مساطب تماثلها وسائر البلاطات تحت جدرانها مساطب بدون حنايا وعند باب ابراهيم مدخل من البلاط الغربي فيه سوارى جصية وللخليفة المهدي بن الخليفة ابي جعفر المنصور رضى الله عنهما آثار كريمة في توسيع المسجد الحرام وإحكام بنيانه وفي أعلى جدار البلاط الغربي مكتوب أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين أصاحه الله بتوسعة المسجد الحرام لحاج بيت الله وعماراته في سنة سبع وستين ومائة .

(ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زادها الله تعظيما وتكريما)

والكعبة مائلة في وسط المسجد وهي بنية مربعة ارتفاعها في الهواء من الجهات الثلاث ثمان وعشرون ذراعا ومن الجهة الرابعة التي بين الحجر الأسود والركن اليماني تسع وعشرون ذراعا وعرض صفحتها التي من الركن العراقي الى الحجر الأسود أربعة وخمسون شبرا وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن اليماني الى الركن الشامي وعرض صفحتها التي من الركن العراقي الى الركن الشامي من داخل الحجر ثمانية وأربعون شبرا وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن الشامي الى الركن العراقي وأما خارج الحجر فانه مائة وعشرون شبرا والطواف إنما هو خارج الحجر وبناؤها بالحجارة الصم السمير قد الصقت بأبدع الإلصاق وأشدّه فلا تغيرها الايام ولا تؤثر فيها الأزمان وباب الكعبة المعظمة في الصفح الذي بين الحجر الأسود والركن العراقي وبينه وبين الحجر الأسود عشرة أشبار وذلك الموضع هو المسمى بالملتزم حيث يستجاب الدعاء وارتفاع الباب عن الأرض احد عشر شبرا ونصف شبر وسبعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبرا وعرض الحائط الذي ينطوى عليه خمسة أشبار وهو مصفح بصفايح الفضة بديع العسمة وعضاداته وعتبته العليا مصفحات بالفضة وله تقارنان كبيرتان من فضة عليهما قفل ويفتح الباب الكريم في كل يوم جمعة بعد الصلاة ويفتح في يوم مولد النبي ﷺ ورسمهم (٦ - رحلة - أول)

في فتحه ان يضعوا كرسيا شبه المنبر له درج وقوائم خشب لها أربع بكرات يجرى الكرسي عليها ويلصقونه الى جدار الكعبة الشريفة فيكون درجه الأعلى متصلا بالعتبة الكريمة ثم يصعد كبير الشيبين وبيده المفتاح الكريم ومعه السدنة فيمسكون الستر المسبل على باب الكعبة المسمى بالبرقع بخلال ما يفتح رئيسهم الباب فاذا فتحه قبل العتبة الشريفة ودخل البيت وحده وسد الباب وأقام قدر ما يركع ركعتين ثم يدخل سائر الشيبين ويسدون الباب أيضا ويركعون ثم يفتح الباب ويبادر الناس بالدخول وفي أثناء ذلك يقفون مستقبليين الباب الكريم بأبصار خاشعة وقلوب ضاربة وأيد مبسوطة إلى الله فاذا فتح كبروا ونادوا اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ومغفرتك يا أرحم الراحمين وداخل الكعبة الشريفة مفروش بالرخام المجزوع وحيطانه كذلك وله أعمدة ثلاثة طوال مفرطة الطول من خشب الساج بين كل عمود منها وبين الآخر أربع خطا وهي متوسطة في الفضاء داخل الكعبة الشريفة يقابل الأوسط منها نصف عرض الصفيح الذي بين الركنين العراقي والشامي وستور الكعبة الشريفة من الحرير الأسود مكتوب فيها بالأبيض وهي تتلأأ عليها نورا وإشراقا وتكسو جميعها من الأعلى الى الأرض ومن عجائب الآيات في الكعبة الشريفة ان بابها يفتح والحرم العاص بأمر لا يحصيها إلا الله الذي خلقهم ورزقهم فيدخلونها اجمعين ولا تضيق عنهم ومن عجائبها انها لا تخلو عن طائف أبدا ليلا ولا نهارا ولم يذكر أحد انه رآها قط دون طائف ومن عجائبها ان حمام مكة وسواه من الطير لا ينزل عليها ولا يعلوها في الطيران وتجد الحمام يطير على أعلى الحرم كله فاذا حاذى الكعبة الشريفة خرج عنها إلى إحدى الجهات ولم يعلها ويقال لا ينزل عليها طائر إلا إذا كان به مرض فاما ان يموت لحينه او يبرأ من مرضه فسبحان الذي خصها بالشرىف والتكريم وجعل لها المهابة والتعظيم.

(ذكر الميزاب المبارك)

والميزاب في أعلى الصفيح الذي على الحجر وهو من الذهب وسعته شبر واحد وهو بارز بمقدار ذراعين والموضع الذي تحت الميزاب مظنة استجابة الدعاء وتحت الميزاب في الحجر هو قبر اسماعيل عليه السلام وعليه رخامة خضراء مستطيلة على شكل محراب متصلة برخامة خضراء مستديرة وكتاهما سعتهما مقدار شبر وكتاهما غريبة الشكل رائقة المنظر وإلى جانبه مما يلي الركن العراقي قبر أمه هاجر عليها السلام وعلامته رخامة خضراء مستديرة سعتهما مقدار شبر ونصف وبين القبرين سبعة أشبار .

(ذكر الحجر الأسود)

وأما الحجر الأسود فارفعه عن الأرض ستة أشبار فالطويل من الناس يتطامن لتقبيله والصغير يتناول اليه وهو ملصق في الركن الذي إلى جهة المشرق وسعته ثلثا شبر وطوله شبر وعقد ولا يعلم قدر ما دخل منه في الركن وفيه أربع قطع ملصقة ويقال إن القمر مطى لعنه الله كسره وقيل إن الذي كسره سواه ضربه بدبوس فكسره وتبادر الناس إلى قتله وقتل بسببه جماعة من المغاربة وجوانب الحجر مشدودة بصفيحة من فضة يلوح بيضاء على سواد الحجر الكريم فتنجلى منه العيون حسنا باهرا ولتقبيله لذة يتنعم بها الفم ويود لا ثمة أن لا يفارق ثمة خاصية مودعة فيه وعناية ربانية به وكفى قول النبي ﷺ أنه يمين الله في أرضه نفعنا الله باستلامه ومصافحته وأوفد عليه كل شيق إليه وفي القطعة الصفيحة من الحجر الأسود مما يلي جانب الموالى ليمين مستله نقطة بيضاء صغيرة مشرقة كأنها خال في تلك الصفيحة البهية وترى الناس إذا طافوا بها يتساقط بعضهم على بعض ازدحاماً على تقبيله فقلما يتمكن أحد من ذلك إلا بعد المزاحمة الشديدة وكذلك يصنعون عند دخول الحرم ومن عند الحجر الأسود ابتداء الطواف وهو أول الأركان التي يلتقها الطائف فإذا استله تقمقر عنه قليلاً وجعل الكعبة الشريفة عن يساره ومضى في طوافه ثم يلقى بعده الركن العراقي وهو إلى جهة الشمال ثم يلقى الركن الشامي وهو إلى جهة الغرب ثم يلقى الركن اليمني وهو إلى جهة الجنوب ثم يعود إلى الحجر الأسود وهو إلى جهة الشرق .

(ذكر المقام الكريم)

لأعلم أن بين باب الكعبة شرفها الله وبين الركن العراقي موضعاً طوله اثنا عشر شبراً وعرضه نحو النصف من ذلك وارتفاعه نحو شبرين وهو موضع المقام في مدة إبراهيم عليه السلام ثم صرفه النبي ﷺ إلى الموضع الذي هو الآن مصلى وبقى ذلك الموضع شبه الخوض واليه ينصب ماء البئيت الحرام إذا غسل وهو موضع مبارك يزحم الناس للصلاة فيه وموضع المقام الشريف يقابل ما بين الركن العراقي والباب الشريف وهو إلى الباب أميل وعليه قبة تحتها شبك حديد متجاف عن المقام الشريف قدر ما تصل أصابع الإنسان إذا أدخل يده من ذلك الشباك إلى الصندوق والشباك مقفل ومن ورائه موضع محو قد جعل مصلى لركعتي الطواف وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما دخل المسجد أتى البيت فطاف به سبعاً ثم أتى المقام فقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وركع خلفه ركعتين وخلف المقام مصلى لإمام الشافعية في الخطب الذي هنالك .

(ذكر الحجر والمطاف)

ودور جدار الحجر تسع وعشرون خطوة وهي أربعة وتسعون شهرا من داخل الدائرة وهو بالرخام البديع المجزع المحكم الإصااق وارتفاعه خمسة أشبار ونصف شهر وسعته أربعة أشبار ونصف شهر وداخل الحجر بلاط واسع مفروش بالرخام المنتظم المعجز الصنعة البديع الإتقان وبين جدار السكبة الشريفة الذي تحت الميزاب وبين ما يقابله من جدار الحجر على خط استواء أربعون شهرا وللحجر مدخلان أحدهما بينهما وبين الركن العراقي وسعته ستة أذرع وهذا الموضع هو الذي تركته قریش من البيت حين بنته كما جاءت الآثار الصحاح والمدخل الآخر عند الركن الشامي وسعته أيضا ستة أذرع وبين المدخلين ثمانية وأربعون شهرا وموضع الطواف مفروش بالحجارة السود محكمة الإصااق وقد اتسعت عن البيت بمقدار تسع خطا إلا في الجهة التي تقابل المقام الشريف فإنها امتدت إليه حتى اجاملت به وسائر الحرم مع البلاطات مفروش برمل أبيض وطواف النساء في آخر الحجارة المفروشة .

(ذكر زمزم)

وقبة بئر زمزم تقابل الحجر الأسود وبينهما أربع وعشرون خطوة والمقام الشريف عن يمين القبة ومن ركنها إليه عشر خطا وداخل القبة مفروش بالرخام الأبيض وتدور البئر المباركة في وسط القبة ماثلًا إلى الجدار المقابل للسكبة الشريفة وهو من الرخام البديع الإصااق مفروغ بالرصاص ودوره أربعون شهرا وارتفاعه أربعة أشبار ونصف شهر وعمق البئر إحدى عشرة قامة وهم يذكرون أن ماءها يتزايد في كل ليلة جمعة وباب القبة إلى جهة الشرق وقد استدارت بداخل سقاية سعتها شهر وعمقها مثل ذلك وارتفاعها عن الأرض نحو خمسة أشبار تملأ ماء للوضوء وحولها مسطبة يقعد الناس عليها للوضوء ويلى قبة زمزم قبة الشراب المنسوبة إلى العباس رضى الله عنه وبابها إلى جهة الشمال وهي الآن يجعل بها ماء زمزم في قلل يسمونها الدوارق وكل دورق له مقبض واحد وتترك بها ليبرد فيها الماء فيشربه الناس وبها اختزان المصاحف الشريفة والكتب التي للحرم الشريف وبها خزانة تحتوى على تابوت بسوط متسع فيه مصحف كريم بخط زيد بن ثابت رضى الله عنه منسوخ سنة ثمان عشرة من وفاة رسول الله ﷺ تسليما وأهل مكة إذا أصابهم قحط أو شدة أخرجوا هذا المصحف الشريف وفتحوا باب السكبة ووضعوه على العتبة الشريفة ووضعوه في مقام إبراهيم عليه السلام واجتمع الناس كاشفين رؤسهم داعين متضرعين متوسلين بالمصحف العزيز والمقام الشريف فلا ينفصلون إلا وقد تداركهم الله برحمته وتغمدهم بحلقه ويلى قبة العباس رضى الله تعالى عنه

على انحراف منها القبة المعروفة بقبة اليهودية .

(ذكر أبواب المسجد الحرام وما دار به من المشاهد الشريفة)
وأبواب المسجد الحرام شرفه الله تعالى تسعة عشر بابا وأكثرها مفتحة على أبواب كثيرة فمنها باب الصفا وهو مفتوح على خمسة أبواب، وكان قديما يعرف بباب بنى مخزوم وهو أكبر أبواب المسجد ومنه يخرج إلى المسمى ويستحب للوافد على مكة أن يدخل المسجد الحرام شرفه الله من باب بنى شيبه ويخرج بعد طوافه من باب الصفا جاعلا طريقه بين الاسطواناتين اللتين أقامهما أمير المؤمنين المهدي رحمه الله علما على طريق رسول الله ﷺ إلى الصفا ومنها باب اجياد الأصغر مفتوح على بابين ومنها باب الخياطين مفتوح على بابين ومنها باب العباس رضى الله عنه مفتوح على ثلاثة أبواب ومنها باب النبي ﷺ مفتوح على بابين ومنها باب بنى شيبه وهو في ركن الجدار الشرق من جهة الشمال امام باب الكعبة الشريفة متياسرا وهو مفتوح على ثلاثة أبواب وهو باب بنى عبد شمس ومنه كان دخول الخلفاء ومنها باب صغير ازاء باب بنى شيبه لا اسم له وقيل يسمى باب الرباط لأنه يدخل منه لرباط السدرة ومنها باب الندوة ويسمى بذلك ثلاثة أبواب اثنان منتظران والثالث في الركن الغربي من دار الندوة ، ودار الندوة قد جعلت مسجدا شارعا في الحرم مضافا اليه وهي تقابل الميزاب ومنها باب صغير لدار العميلة محدث ومنها باب السدرة واحد وباب العمرة واحد وهو من أجامل أبواب الحرم وباب ابراهيم واحد والناس يختلفون في نسبته فبعضهم ينسبه إلى ابراهيم الخليل عليه السلام والصحيح أنه منسوب إلى ابراهيم الخوذي من الأعاجم وباب الحزوة مفتوح على بابين وباب ثالث ينسب اليه مفتوح على بابين ويتصل لباب الصفا ومن الناس من ينسب البابين من هذه الأربعة المنسوبة لأجياد إلى الدقاقين .

وصوامع المسجد الحرام خمس إحسدها من على ركن أبي قبيس عند باب الصفا والأخرى على ركن باب بنى شيبه والثالثة على باب دار الندوة والرابعة على ركن باب السدرة والخامسة على ركن اجياد وبمقربة من باب العمرة مدرسة عمرها السلطان المعظم يوسف بن رسول ملك اليمن المعروف بالملك المظفر الذي تنسب اليه الدراهم المظفرية باليمن وهو كان يكسو الكعبة إلى أن غلبه على ذلك الملك المنتصور قلاوون ويخرج باب ابراهيم زارية كبيرة فيها دار امام المالكية الصالح أبي عبيد الله محمد بن عبد الرحمن المدعو بخليل وعلى باب ابراهيم قبة عظيمة مفرطة السمو قد صنع في داخلها غرائب صنع الجهنم ما يعجز عنه الوصف وبأزاء هذا الباب عن يمين الداخل اليه

كان يقعد الشيخ العابد جلال الدين محمد بن احمد الأفشهرى وخارج باب ابراهيم بر
تنسب كنسبته وعنده أيضاً دار الشيخ الصالح دانيال العجمى الذى كانت مسكنات
العراق فى أيام السلطان ابى سعيد تاتى على يديه وبمقره منه رباط الموفق وهو من
أحسن الرباطات ، سكنته ايام مجاورتي بمكة المعظمة وكان به فى ذلك العهد الشيخ الصالح
الطيّار سعادة الجرائى ودخل يوماً إلى بيته بعد صلاة العصر فوجد ساجداً مستقبلاً السكينة
الشريفة ميتاً من غير مرض كان به رضى الله عنه وسكن به الشيخ الصالح شمس الدين محمد
الشامى نحواً من أربعين سنة وسكن به الشيخ الصالح شعيب المغربي من كبار الصالحين
دخلت عليه يوماً فلم يقنع بصرى فى بيته على شيء سوى حصير فقلت له فى ذلك فقال لى استر
على مارأيت .

وحول الحرم الشريف دور كثيرة لها مناظر وسطوح يخرج منها إلى سطح الحرم
وأهلها فى مشاهدة البيت الشريف على الدوام ودرر لها ابواب تقضى إلى الحرم ، منها دار
زبيدة زوجة الرشيد أمير المؤمنين ومنها دار العجلة ودار الثرائى وسواها ، ومن المشاهد
المقدسة بمقره من المسجد الحرام قبة الوحي وهى فى دار خديجة أم المؤمنين رضى الله
عنها بمقره من باب الرسول ﷺ وفى البيت قبة صغيرة حيث ولدت فاطمة عليها
السلام بمقره منها دار أبى بكر الصديق رضى الله عنه ويقابلها جدار مبارك قيمه
حجر مبارك بارز طرفه من الحائط يستلمه الناس ويقال انه كان يسلم على النبى ﷺ
ويذكر أن النبى ﷺ سأل عن رجل فنطق ذلك الحجر وقال يا رسول الله انه ليس بمحاضر .

(ذكر الصفا والمروة)

ومن باب الصفا الذى هو من ابواب المسجد الحرام إلى الصفا ست وسبعون خطوة
وسعة الصفا سبع عشرة خطوة وله أربع عشرة درجة عليها كنائس مسطبة وبين الصفا
والمروة اربعمائة وثلاث وتسعون خطوة منها من الصفا إلى الميل الأخضر ثلاث وتسعون
خطوة ومن الميل الأخضر إلى الميلين الأخضرين خمس وسبعون خطوة ومن الميلين
الأخضرين إلى المروة ثلاثمائة وخمس وعشرون خطوة للمروة خمس درجات وهى ذات
قوس واحد كبير وسعة المروة سبع عشرة خطوة والميل الأخضر هو سارية خضراء
مشبهة مع ركن الصومعة التى على الركن الشرقى من الحرم عن يسار الساعى إلى المروة
والميلان الأخضران هما ساريتان خضراوان ازاء باب على من ابواب الحرم أحدهما فى
جدار الحرم عن يسار الخارج من الباب والاخرى تقابلها وبين الميل الأخضر والميلين

الأخضرين يكون الرمل ذاهبا وعائدا وبين الصفا والمروة مسيل فيه سوق عظيمة يباع فيها الحبوب واللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه والساعون بين الصفا والمروة لا يكادون يخلصون لاذحام الناس على حوانيت الباعة وليس بمكة سوق منتظمة سوى هذه إلا البزازون والعطارون عند باب شيبية وبين الصفا والمروة دار العباس رضى الله عنه وهى الآن رباط يقطنه المجاورون عمره الملك الناصر رحمه الله وبني أيضاً دار وضوء فما بين الصفا والمروة سنة ثمان وعشرين وجعل لها بابين أحدهما فى السوق المذكور والآخري فى العطارين وعليها ربيع يسكنه خدامها وتولى بناء ذلك الأمير علاء الدين بن هلال وعن يمين المروة دار أمير مكة سيف الدين عطيفة بن أبى نعيم وسند كره

﴿ ذكر الجبانة المباركة ﴾

وجبانة مكة خارجة باب المعلى ويعرف ذلك الموضع بالحجون وإياه عنى الحارث ابن مضاض الجرهمي بقوله
(طويل)

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يستمر بمكة سامر
بسلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العوائر
وبهذه الجبانة مدفون الجرم الغدير من الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين والأولياء
إلا أن مشاهدهم دثرت وذهب عن أهل مكة علمها فلا يعرف منها إلا القليل فمن المعروف
منها قبر أم المؤمنين ووزير سيد المرسلين خديجة بنت خويلد أم أولاد النبي ﷺ
كلهم مآعدا إبراهيم وجدة السبطين السكريين صلوات الله وسلامه على النبي ﷺ
وعليهم أجمعين وبمقربة منه قبر الخليفة أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور عبد الله بن
محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم أجمعين وفيها الموضع الذى صلب فيه
عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وكان به بنية هدمها أهل الطائف غيرهم لما كان
يلحق حججاجهم المبير من اللعن وعن يمين مستقبل الجبانة مسجد خراب يقال إنه المسجد
الذى بايعت الجن فيه رسول الله ﷺ وعلى هذه الجبانة طريق الصاعد إلى عرفات
وطريق الذهاب إلى الطائف وإلى العراق .

﴿ ذكر بعض المشاهد خارج مكة ﴾

فمنها الحجون وقد ذكرناه ويقال أيضاً أن الحجون هو الحبل المائل على الجبانة
ومنها المحصب وهو أيضاً الأبطح وهو إلى الجبانة المذكورة وفيه خيف بنى كنانة الذى

نزل به رسول الله ﷺ ومنها ذو طوى وهو واد يهبط على قبور المهاجرين التي بالحصاحص دون ثنية كداء ويخرج منه إلى الأعلام الموضوعة حجرا بين الحل والحرم وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنه إذا قدم مكة شرفها الله تعالى يبيت بذي طوى ثم يغتسل منه ويغدو إلى مكة ويذكر أن رسول الله ﷺ فعل ذلك ومنها ثنية كدى (بضم الكاف) وهى بأعلى مكة ومنها دخل رسول الله ﷺ فى حجة الوداع إلى مكة ومنها ثنية كداء (يفتح الكاف) ويقال لها الثنية البيضاء وهى بأسفل مكة ومنها خرج رسول الله ﷺ عام الوداع وهى بين جبلين وفى مضيقها كوم حجارة موضوع على الطريق وكل من يمر به يرحمه بحجر ويقال انه قبر أنى لهب وزوجه حمالة الحطب وبين هذه الثنية وبين مكة بسيط سهل ينزله الراكب إذا صعدوا عن مئى وبمقربة من هذا الموضع على نحو ميل من مكة شرفها الله مسجد بازائه حجر موضوع على الطريق كأنه مسطبة يعلوه حجر آخر كان فيه نقش فذكر اسمه يقال ان النبي ﷺ قعد بذلك الموضع مستريحا عند مجيئه من عمرته فيترك الناس بتقبيله ويستندون اليه ومنها التنعيم وهو على فرسخ من مكة ومنه يعتمر أهل مكة وهو أدنى الحل إلى الحرم ومنه اعتمرت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حين بعثها رسول الله ﷺ فى حجة الوداع مع اخيها عبد الرحمن رضى الله عنه وأمره ان يعمرها من التنعيم وبنيت هنالك مساجد ثلاثة على الطريق تنسب كلها إلى عائشة رضى الله عنها وطريق التنعيم طريق فسيح والناس يتحرون كنسه فى كل يوم رغبة فى الأجر والثواب لأن من المتعمرين من يمشى فيه حافيا وفى هذا الطريق الآبار العذبة التى تسمى الشبيكة ومنها الزاهر وهو على نحو ميلين من مكة على طريق التنعيم وهو موضع على جانبي الطريق فيه أثر دور وبساتين وأسواق .

وعلى جانب الطريق دكان مستطيل تصف عليه كيزان الشرب وأوانى الوضوء يملؤها خديم ذلك الموضع من آبار الزاهر وهى بعيدة القعر جداً والخديم من الفقراء المجاورين وأهل الخير يعينونه على ذلك لما فيه من المرفقة للمعتمرين من الغسل والشرب والوضوء وذو طوى يتصل بالزاهر .

(ذكر الجبال المطيفة بمكة)

فمنها جبل أبى قبيس وهو فى جهة الجنوب والشرق من مكة حرسها الله وهو احد الأخشين وأدنى الجبال من مكة شرفها الله ويقابل ركن الحجر الأسود وبأعلاه مسجد وائر رباط وعمارة وكان الملك الظاهر رحمه الله أراد أن يعمره وهو مظل على الحرم الشريف وعلى

جميع البلد ومنه يظهر حسن مكة شرفها الله وجمال الحرم واتساعه والسكينة المعظمة
ويذكر ان جبل ابى قبيس هو أول جبل خلقه الله تعالى وفيه استودع الحجر زمان الطوفان
وكانت قریش تسميه الامين لانه أدى الحجر الذى استودع فيه الخليل ابراهيم عليه
السلام ويقال ان قبر آدم عليه السلام به وفي جبل ابى قبيس موضع موقف النبي
ﷺ حين انشق له القمر ومنها قعيقعان وهو أحد الاخشبين ومنها الجبل الاحمر وهو
في جهة الشمال من مكة شرفها الله ومنها الخندمة وهو جبل عند الشعبين المعروفين باجياد
الاكبر واجياد الاصغر ومنها جبل الطير وهو على اربعة عن جهتي طريق التنعيم يقال
انها الجبال التي وضع عليها الخليل عليه السلام أجزاء الطير ثم دعاها حسبا نص الله في
كتابه العزيز عليه أعلام من حجارة ومنها جبل حراء وهو في الشمال من مكة شرفها الله
تعالى على نحو فرسخ منها وهو مشرف على منى ذاهب في الهواء على القنطرة وكان رسول
الله ﷺ يتعبد فيه كثيرا قبل المبعث وفيه اتاه الحق من ربه وبدأ الوحي وهو الذي
اهتز تحت رسول الله ﷺ فقال ﷺ إني نبي وصاديق وشهيد
واختلف فيمن كان معه يومئذ ، وروى ان العشرة كانوا معه .

وقد روى أيضا أن جبل ثبير اهتز تحته أيضا ومنها جبل ثور وهو على قدر فرسخ
من مكة شرفها الله تعالى على طريق اليمن وفي الغار الذي أوى اليه رسول الله ﷺ
حين خروجه مهاجرا من مكة شرفها الله ومعه الصديق رضی الله عنه حسبا ورد في
الكتاب العزيز ذكر الأذرق في كتابه ان الجبل المذكور نادى رسول الله ﷺ
وقال إلى يا محمد إلى إلى فقد آويت قبلك سبعين نبيا فلما دخل رسول الله ﷺ الغار
واطمأن به وصاحبه الصديق معه نسجت العنكبوت من حينها على باب الغار وصنعت
الجمامة عشا وفرخت فيه بإذن الله تعالى فانتهى المشركون ومعهم قصاص الأثر إلى
الغار فقالوا هاهنا انقطع الأثر ورأوا العنكبوت قد نسج على فم الغار والحمام مفرخة
فقالوا ما دخل أحد هنا وانصرفوا فقال الصديق يا رسول الله لو ولجوا علينا منه قال
كننا نخرج من هنا وأشار بيده المباركة الى الجانب الآخر ولم يكن فيه باب فانفتح فيه
باب بقدره الملك الوهاب .

والناس يقصدون زيارة هذا الغار المبارك فيرومون دخوله من الباب الذي دخل
منه النبي ﷺ تبركا بذلك فمنهم من يتأق له ومنهم من لا يتأق له وينشب فيه حتى يتناول
بالجذب العنيف ومن الناس من يصلي أمامه ولا يدخله واهل تلك البلاد يقولون انه من

كان لرشدة دخله ومن كان لزنية لم يقدر على دخوله ولهذا يتحاماه كثير من الناس لأنه مخجل فاضح قال ابن جزى اخبرني بعض أشياخنا الحجاج الأكياس ان سبب صعوبة الدخول اليه هو ان بداخله مما يلي هذا الشق الذي يدخل منه حجرا كبيرا معترضا فن دخل من من ذلك الشق منبطحا على وجهه وصل رأسه الى ذلك الحجر فلم يمكنه التولج ولا يمكنه ان ينطوى الى العلو ووجهه وصدره يليان الارض فذلك هو الذي ينشب ولا يخلص إلا بعد الجهد والجذب الى خارج من ودخل منه مستلقيا على ظهره أمكنه لأنه إذا وصل رأسه الى الحجر المعترض رفع رأسه واستوى قاعدا فكان ظهره مستندا الى الحجر المعترض وأوسطه في الشق ورجلاه من خارج الغار ثم يقوم قائما بداخل الغار (رجع)

(حكاية)

وما اتفق بهذا الجبل لصاحبين من اصحابي احدهما الفقيه المسكرم ابو محمد عبد الله ابن فرحان الأفرقي التوزري والآخر أبو العباس احمد الأندلسي الوادي أشي أنهما قصدا (الغار) في حين مجاورتهما بمكة شرفها الله تعالى في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وذهبا منفردين لم يستصحبيا دليلا عارفا بطريقه فتاهما وضلا طريق الغار وسلكا طريقا سواها منقطعة وذلك في أوان اشتداد الحر وحى القيظ فلما نفدما كان عندهما من الماء وهما لم يصلا الى الغار أخذنا في الرجوع الى مكة شرفها الله تعالى فوجدنا طريقا فاتباعاه وكان يقضى الى جبل آخر واشتد بهما الحر وأجهدهما العطش وعائنا الهلاك وعجز الفقيه أبو محمد فرحان عن المشي جملة وألقى بنفسه الى الأرض ونجا الأندلسي بنفسه وكان فيه فضل قوة ولم يزل يسلك تلك الجبال حتى افضى به الطريق الى اجياد فدخل الى مكة شرفها الله تعالى وقصصني واعلمني بهذه الحادثة وبما كان من امر عبد الله التوزري وانقطاعه في الجبل وكان ذلك في آخر النهار ولعبد الله المذكور ابن عم اسمه حسن وهو من سكان وادي نخلة وكان إذ ذاك بمكة فأعلمته بما جرى على ابن عمه وقصصت الشيخ الصالح الامام ابا عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بخليل إمام المالكية نفع الله به فأعلمته بخبره فبعث جماعة من اهل مكة عارفين بتلك الجبال والشعاب في طلبه وكان من أمر عبد الله التوزري انه لما فارقه رفيقه لجأ الى حجر كبير فاستظل بظله وأقام على هذه الحالة من الجهد والعطش والغربان تطير فوق رأسه وتنتظر موته فلما انصرم النهار وأتى الليل وجد في نفسه قوة ونعشه برد الليل فقام عند الصباح تلي قدميه ونزل من الجبل الى بطن واد حبيبت الجبال عنه الشمس فلم يزل ماشيا الى ان بدت له دابة فقصص

قصدها فوجد خيمة للعرب فلما رأها وقع إلى الأرض ولم يستطع النهوض فرأته صاحبة الخيمة وكان زوجها قد ذهب إلى ورد الماء فسقته ما كان عندها من الماء فلم يرو وجاء زوجها فسقاه قربة ماء فلم يرو واركبه حمارا له وقدم به مكة فوصلها عند صلاة العصر من الثاني متغيراً كأنه قام من قبر.

(ذكر اميرى مكة)

وكانت إمارة مكة في عهد دخولى إليها للشريفيين الأجاليين الأخوين اسد الدين رميشة وسيف الدين عطيفة ابني الأمير أبي نبي بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسينيين ورميشة أكبرهما سناً ولكنهما كان يقدم اسم عطيفة في الدعاء له بمكة لعده له ورميشة من الأولاد أحمد وعجلان وهو أمير مكة في هذا العهد وتقيه وسند وأم قاسم ولعطيفة من الأولاد محمد ومهازك ومسعود ودار عطيفة عن يمين المروة ودار أخيه رميشة برباط الشرايى عند باب بنى شيبية وتضرب الطبول على باب كل واحد منهما عند صلاة المغرب من كل يوم

(ذكر اهل مكة وفضائلهم)

ولأهل مكة الأفعال الجميلة والمكارم الثابتة والأخلاق الحسنة والإيثار إلى الضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء ومن مكارمهم أنهم متى صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها بالطعام الفقراء المنقطعين المجاورين ويستدعيهم بتلطف ورقق وحسن خاق ثم يطعمهم وأكثر المساكين المنقطعين يكونون بالأفراى حيث يطبخ الناس اخبازهم فاذا طبخ أحدهم خبزاً واحتمله إلى منزله فينتبه المساكين فيعطى لكل واحد منهم ما قسم له ولا يردهم خائبين ولو كانت له تجربة واحدة فانه يعطى ثلثها أو نصفها طيب النفس بذلك من غير صجر ومن أفعالهم الحسنة ان الأيتام الصغار يجمعون بالسوق ومع كل واحد منهم قفطان كبرى وصغرى وهم يسمون القفظة مكتلاً فيأتى الرجل من اهل مكة إلى السوق فيشتري الحبوب واللحم والخضر ويعطى ذلك الصبي فيجعل الحبوب فى إحدى قفتيه واللحم والخضر فى الأخرى ويوصل ذلك إلى دار الرجل ليبيعاً له طعامه منها وينهب الرجل إلى طوافه وحاجته فلا يذكر ان أحداً من الصبيان خان الأمانة فى ذلك قط بل يؤدى ما حمل على اتم الوجوه ولهم على ذلك اجرة معلومة من فلوس اهل مكة لهم ظرف ونظافة فى الملابس وأكثر لباسهم البياض فترى ثيابهم أبداً ناصعة ساطعة ويستعملون الطيب كثيراً ويكثرون السواك بعيدان الأراك الأخضر ونساء مكة فائقات الحسنة بارعات الجمال ذوات صلاح وعفاف وهن يكثرون التطيب حتى ان إحداهن اتبعت طاوية وثبثت بقوتها طاييا وهن يقصدن الطواف

بالبيت في كل ليلة جمعة فيأتين في أحسن زى وتغلب على الحرم رائحة طيبين وتذهب المراقمة من فيبقى أثر الطيب بعد ذهابها عبقا ولاهل مكة عوائد حسنة وغيره ستذكرها إن شاء الله تعالى إذا فرغنا من ذكر فضائلها ومجاوريها

(ذكر قاضى مكة وخطيبها وامام الموسم وعلماؤها وصلحاتها)

قاضى مكة العالم الصالح العابد نجم الدين محمد بن الامام العالم محي الدين الطبرى وهو فاضل كثير الصدقات والمواساة لمجاورين حسن الاخلاق كثير الطواف والمشاهدة للكهبة الشريفة يطعم الطعام الكثير في المواسم المعظمة وخصوصا في مولد رسول الله ﷺ فانه يطعم فيه شرفاء مكة وكبراءها وفقراءها وخدام الحرم الشريف وجميع المجاورين وكان سلطان مصر الملك الناصر رحمه الله يعظمه كثيرا وجميع صدقاته وصدقات امرائه يجرى على يديه وولده شهاب الدين فاضل وهو الآن قاضى مكة شرفها الله وخطيب مكة الامام بمقام ابراهيم عليه السلام الفصيح المصقع وحيد عصره بهام الدين الطبرى وهو أحد الخطباء الذين ليس بالمعمورة مثلهم بلاغة وحسن بيان وذكرى انه ينشئ لكل جمعة خطبة ثم لا يكررها فيما بعد وامام الموسم وامام المالكية بالحرم الشريف هو الشيخ الفقيه العالم الصالح الخاشع الشهير أبو عبد الله محمد بن الفقيه الامام الصالح الورع أبو زيد عبد الرحمن وهو المشتهر بخليل نفع الله به وامتنع ببقائه واهله من تلاد الجريد من افرقية ويعرفون بها ببني حيون من كبارها ومولده ومولد أبيه بمكة شرفها الله وهو أحد الكبار من اهل مكة بل واحدا وقطبا باجماع الطوائف على ذلك مستغرق العبادة في جميع اوقاته حي كريم النفس حسن الاخلاق كثير الشفقة لا يرد من سألها خائبا .

(حكاية مباركة)

رأيت أيام مجاورتى بمكة شرفها الله وانا إذ ذاك ساكن منها بالمدرسة المظفرية النبوية ﷺ في النوم وهو قاعد بمجلس التدريس في المدرسة المذكورة بجانب الشباك الذى تشاهد منه الكهبة الشريفة والناس يبايعونه فكنت أرى الشيخ أبا عبد الله المدعو بخليل قد دخل وقعد القرفصاء بين يدي رسول الله ﷺ وجعل يده في يد رسول الله ﷺ وقال أبايعك على كذا وكذا وعدد أشياء منها وان لا أرد من بيتي مسكينا خائبا وكان ذلك آخر كلامه فكنت أعجب من قوله وأقول في نفسي كيف يقول هذا ويقدر عليه مع كثرة فقراء مكة واليمن والزيالة والعراق والعجم ومصر والشام وكنت أراه حين ذلك لابسا جبة بيضاء قصيرة من ثياب القطن المدعوة

بالقبطان كان يلبسها في بعض الأوقات فلما صليت الصبح غدوت عليه وأعلمته برؤياي فسرها وبكى وقال لي تلك الحجة أهداها بعض الصالحين لجدي فأنا البسها تبركا وما رأيت به بعد ذلك يردسا مالا خائبا وكان يأمر خدامه يخزنون الخبز ويطبخون الطعام ويأتون به إلى بعد صلاة العصر من كل يوم وأهل مكة لا يأكلون في اليوم إلا مرة واحدة بعد العصر ويقتصرون عليها إلى مثل ذلك الوقت ومن أراد الأكل في سائر النهار أكل التمر ولذلك صحت أبدانهم وقلت فهم الأمراض والعاهات وكان الشيخ خليل متزوجا بنت القاضي نجم الدين الطبري فشك في طلاقها وفارقها وتزوجها بعده الفقيه شهاب الدين النويري من كبار المجاورين وهو من صعيد مصر وأقامت عنده أعواما وسافر بها إلى المدينة الشريفة ومعهما أخوها شهاب الدين فثبت في يمين بالطلاق ففارقها على ضمانته بها وراجعها الفقيه خليل بعد سنين عدة ومن اعلام مكة امام الشافعية شهاب الدين بن البرهان ومنهم امام الحنفية شهاب الدين احمد بن علي من كبار أئمة مكة وفضلاتها يطعم المجاورين وابناء السبيل وهو اكرم فقهاء مكة ويدان في كل سنة أربعين ألف درهم وخمسين ألفا فيؤديها الله عنه وأمره الأتراك يعظمونه ويحسبون الظن به لأنه امامهم ومنهم امام الحنابلة المحدث الفاضل محمد بن عثمان البغدادي الاصل المسكي المولد وهو نائب القاضي نجم الدين والمحاسب بعد قتل تقي الدين المصري والناس يهابونه لسطوته .

(حكاية)

كان تقي الدين المصري محتسبا بمكة وكان له دخول فيما يعنيه وفيما لا يعنيه فاتفق في بعض السنين ان اتى امير الحاج بصبي من ذوى الدعارة بمكة قد سرق بعض الحجاج فأمر بقطع يده فقال له تقي الدين ان لم تقطعها بحضرتك ولا تغلب أهل مكة خدامك عليه فاستنقذوه منهم وخلصوه فأمر بقطع يده في حضرته فقطعت وحققها لتقي الدين ولم يزل يترصد به الدوائر ولا قدرة له عليه لأن له حسبا من الأميرين رمية وعظيمة والحسب عندهم ان يعطى احدهم هدية من عمامة او شاشية بمحضرة الناس تكون جوار المن اعطيته ولا تزول حرمتها معه حتى يريد الرحلة والتحول عن مكة فأقام تقي الدين بمكة أعواما ثم عزم على الرحلة وودع الأميرين وطاف طواف الوداع وخرج من باب الصفا فلقبه صاحبه الأقطع وتشكى له ضيق حاله وطلب منه ما يستعين به على حاجته فانتهره تقي الدين وزجره فاستل خنجر آلته يعرف عندهم بالجنينية وضرب بهضربة واحدة كان فيها حثفته ومنهم الفقيه الصالح زين الدين الطبري شقيق نجم الدين المذكور من اهل الفضل والإحسان للمجاورين ومنهم الفقيه المبارك محمد بن فهد القرشي من فضلاء مكة وكان ينوب عن القاضي نجم الدين بعد وفاة الفقيه

محمد بن عثمان الحنبلي ومنهم العدل الصالح محمد بن البرهان زاهد ورع مهتلي بالوسواس رأته يوماً يتوضأ من بركة المدرسة المظفرية فيغسل ويكرر ولما مسح رأسه أعاد مسحه مرات ثم لم يقنعه ذلك فغطس رأسه في البركة وكان إذا أراد الصلاة بما صلى الإمام الشافعي وهو يقول نويت نويت فيصلي من غيره وكان كثير الطواف والاعتبار والذكر .

(ذكر المجاورين بمكة)

فمنهم الامام العالم الصالح الصوفي المحقق العابد عفيف الدين عبد الله بن اسعد اليماني الشافعي الشهير باليا فعي كثير الطواف آناء الليل واطراف النهار وكان إذا حلف من الليل يصعد إلى سطح المدرسة المظفرية فيقعد مشاهداً للسكينة الشريفة إلى ان يغلبه النوم فيجعل تحت رأسه حجر او ينام يسيراً ثم يحدد الضوء ويعود لحاله من الطواف حتى يصلي الصبح وكان متزوجاً ببنت الفقيه العابد شهاب الدين بن البرهان وكانت صغيرة السن فلا تزال تشكو إلى ابها حالها فيأمرها بالصبر فأقامت معه على ذلك سنين ثم فارقتهم ومنهم الصالح العابد نجم الدين الأصفوني كان قاضياً ببلاد الصعيد فانتقل إلى الله تعالى وجاور بالحرم الشريف وكان يعتمر في كل يوم من التمتع ويعتمر في رمضان مرتين في اليوم اعتماداً على ما في الخبر عن النبي ﷺ انه قال عمرة في رمضان تعدل حجة معي ومنهم الشيخ الصالح العابد شمس الدين محمد الحلبي كثير الطواف والتلاوة من قدما المجاورين توفي بمكة ومنهم الصالح ابو بكر الشيرازي المعروف بالصامت كثير الطواف اقام بمكة اعواماً لا يتكلم فيها ومنهم الصالح خضر العجمي كثير الصوم والتلاوة والطواف والشيخ الصالح برهان الدين العجمي الواعظ كان ينصب له كرسي تجاه السكينة الشريفة فيعظ الناس ويذكرهم بلسان فصيح وقلب خاشع يأخذ بهجامع القلوب والصالح المجدود برهان الدين ابراهيم المصري مقرئ مجيد ساكن رباط السدرة ويقصده اهل مصر والشام بصدقاتهم ويعلم الايتام كتاب الله تعالى ويقوم بمقنعتهم ويكسوهم، والصالح العابد عز الدين الواسطي من اصحاب الأموال الطائلة يحمل اليه من بلده المال السكثير في كل سنة فيبتاع الحبوب والتمر ويفرقها على الصعفاء والمساكين ويتولى حملها إلى بيوتهم بنفسه ولم ينل ذلك دأبه إلى ان توفي ، والفقيه الصالح الزاهد ابو الحسن علي بن رزق الله الانجری من اهل قطر طنجة من كبار الصالحين جاور بمكة سنيناً وبها وفاته وكانت بينه وبين والدي صهبة قدمة ومضى إلى بلده طنجة نزل عندنا وكان له بيت بالمدرسة المظفرية يعلم العلم فيها نهاراً وأياً بالليل إلى مسكنه برباط ربيع وهو من احسن

الرباطات بمكة بداخله بئر عذبة لا تماثلها بئر بمكة وسكانه الصالحون وأهل ديار الحجاز يعظمون هذا الرباط تعظيماً شديداً وينذروا له النذور ومن أهل الطائف يأتيونه بالفواكه ومن عاداتهم أن كل من له بستان من النخيل والعنب والفرسك وهو الخوخ والتين وهم يسمونه الخط يخرج منه العشر لهذا الرباط ويوصلون ذلك إليه على جمائهم ومسيرة ما بين مكة والطائف يومان ومن لم يف بذلك نقصت فواكه في السنة الآتية وأصابها الجوائح .

(حكاية في فضيلة)

أتى يوما غلبان الأمير أبي نعيم صاحب مكة إلى هذا الرباط ودخلوا بخيل الأمير وسقوها من تلك البئر فلما عادوا بالخيل إلى مرابطها أصابها الأوجاع وضربت بأفخاذها الأرض برؤسها وأرجلها واتصل الخير بالأمير أبي نعيم فأتى باب الرباط بنفسه واعتذر إلى المساكين الساكنين واستصحب واحداً منهم فمسح على بطون الدواب بيده فأراقت ما كان في أجوافها من ذلك الماء وبرئت عما أصابها ولم يتعرضوا بعدها للرباط إلا بالخير ومنهم الصالح المبارك أبو العباس الغباري من أصحاب أبي الحسن بن رزق الله وسكن رباط ربيع ووفاته بمكة، ومنهم الصالح أبو يعقوب يوسف من بادية سبتة كان خديماً للشيخين المذكورين فلما توفيا صار شيخ الرباط بعدهما ومنهم الصالح الساجج السالك أبو الحسن علي بن فرغوس التلمساني ومنهم الشيخ سعيد الهندي شيخ رباط كلاله .

(حكاية)

كان الشيخ سعيد قد قصد ملك الهند محمد شاه فأعطاه مالا عظيماً فقدم به مكة فسيجنه الأمير عطيفة وطلبه بأداء المال فامتنع فعذب بعصر رجله فأعطى خمسة وعشرين ألف درهم نقرة وعاد إلى بلاد الهند ورأيت بها ونزل بدار الأمير سيف الدين غدا ابن هبة الله بن عيسى بن مهدي أمير عرب الشام وكان غدا ساكناً ببلاد الهند متزوجاً بأخت ملكها وسيد كرامه فأعطى ملك الهند للشيخ سعيد جملة مال وتوجه صحبه حاج يعرف بوشل من ناس الأمير غدا وجهه الأمير المذكور ليأتيه ببعض ناسه ووجه معه أموالاً وتحفاً منها الخلعة التي خلعها عليه ملك الهند ليلة زفافه بأخته وهي من الحرير الأزرق مزركشة بالذهب ومرصعة بالجواهر بحيث لا يظهر لونها لغلبة الجوهر عليها وبعث معها خمسين ألف درهم ليشتري له الخيل العتاق فسافر الشيخ سعيد صحبة وشل واشترى سلماً بما عند همامن الأموال فلما وصل إلى جزيرة سقطرة المنسوب إليها الصبر السقطري خرج عليهما لصوص الهند في مراكب كثيرة فقتلواهم قتلاً شديداً مات فيه من الفريقين جملة وكان وشل رامياً قتل

منهم جماعة ثم تغلب السراق عليهم وطمعنوا وسلا طعنة مات منها بعد ذلك وأخذوا ما كان عندهم وتركوا لهم مركبهم بألة سفره وزاده فذهبوا إلى عدن ومات بها وشل وعادة هؤلاء السراق أنهم لا يقتلون أحد إلا حين القتال ولا يغرقونه وإنما يأخذون ماله ويتركونه يذهب بمركبه حيث شاء ولا يأخذون الما ليك لأنهم من جنسهم وكان الحاج سعيد قد سمع من ملك الهند أنه يريد إظهار الدعوة العباسية ببلده كمثل ما فعله ملوك الهند من تقدمه مثل السلطان شمس الدين للشب و اسمه (بفتح اللام الأولى ولمسكن الثانية وكسر الميم وشين معجم) وولده ناصر الدين ومثل السلطان جلال الدين فيروز شاه والسلطان غياث الدين بلبن وكانت الخلع تأتي إليهم من بغداد فلما توفي وشل قصد الشيخ سعيد إلى الخليفة أبي العباس ابن الخليفة أبي الربيع سليمان العباسي بمصر وأعلمه بالامر فكتب له كتابا بخطه بالثيابة عنه ببلاد الهند فاستصحب الشيخ سعيد السكتاب وذهب إلى اليمن واشترى بها ثلاث خلع سودا وركب البحر إلى الهند فلما وصل كتبهايت وهى على مسيرة أربعين يوما من دهلي حضرة ملك الهند كتب صاحب الخبر إلى الملك يعلمه بقدم الشيخ سعيد وأن معه امر الخليفة وكتابه فورد الامر ببعثه إلى الحضرة مكرما فلما قرب من الحضرة بعث الأمراء والقضاة والفقهاء لتلقيه ثم خرج هو بنفسه لتلقيه فتلقاه وعانقه ودفع له الأمر فقبله ووضع على رأسه ودفع له الصندوق الذى فيه الخلع فاحمله الملك على كاهله خطوات ولبس إحدى الخلع وكسى الاخرى الامير غياث الدين محمد بن عبد القادر بن يوسف بن عبد العزيز الخليفة المنتصر العباسي وكان مقما عنده وسيذكر خبره وكسا الخلع الثالثة الامير قبوله الملقب بالملك الكبير وهو الذى يقوم على رأسه ويشرد عنه الذباب وأمر السلطان بخلع على الشيخ سعيد ومن معه وأركبه على الفيل ودخل المدينة كذلك والسلطان أمامه على فرسه وعن يمينه وشماله الاميران اللذان كساهما الخلعين العباسيين والمدينة قد زينت بأنواع الزينة وصنع بها إحدى عشرة قبة من الخشب كل قبة منها أربع طبقات فى كل طبقة طائفة من المغنيين رجالا ونساء والراقصات وكلهم عماليك السلطان والقبة مزينة بثياب الحرير المذهب أعلاها وأسفلها وداخلها وخارجها وفى وسطها ثلاثة أحواض من جلود الجواميس مملوءة ماء قد حل فيه الجلاب يشرب به كل وارد وصادر لا يمنع منه أحد وكل من يشرب منه يعطى بعد ذلك خمس عشرة ورقة من أوراق التنبول والفوفل والنورة فيأكلها فتطيب نكهته وتزيد فى حمرة وجهه ولثاته وتقمع عنه الصفراء وتهضم ما أكل من الطعام ولما ركب الشيخ سعيد على الفيل فرشت له ثياب الحرير بين يدي الفيل

يأتوا عليها الفيل من باب المدينة إلى دار السلطان وانزل بدار تقرب من دار الملك وبعث له أموالا طائلة وجميع الاثواب المتعلقة والمفروشة بالقباب والموضوعة بين يدي الفيل لا تعود إلى السلطان بل يأخذها أهل الطرب وأهل الصناعات الذين يصنعون القباب وخدام الاحواض وغيرهم وهكذا فعلهم من قدم السلطان من سفر وأمر الملك بكتاب الخليفة أن يقرأ على المنبر بين الخطبتين في كل يوم جمعة وأقام الشيخ سعيد شهر اثم بعث معه الملك هدايا إلى الخليفة فوصل كتبهايت وأقام بها حتى تسرت أسباب حركته في البحر وكان ملك الهند قد بعث أيضا من عنده رسولا إلى الخليفة وهو الشيخ رجب البرقي أحد شيوخ الصوفية وأصله من مدينة القرم من صحراء قنجن وبعث معه هدايا للخليفة منها حجر ياقوت قيمته خمسون ألف دينار وكتب له يطلب منه أن يعقد له النياحة عنه ببلاد الهند والسند وبعث له سواه من يظهر هكذا نص عليه كتابه اعتقاد منه في الخلافة وحسن نية وكان للشيخ رجب أخ بديار مصر يدعى بالأمير سيف الدين الكاشف فلما وصل رجب إلى الخليفة أبى أن يقرأ الكتاب ويقبل الهدية إلا بحضور الملك الصالح اسماعيل بن الملك الناصر فأشار سيف الدين على أخيه رجب ببيع الحجر فباعه واشترى بهمنه وهو ثلاثمائة ألف درهم أربعة أحجار وحضر بين يدي الملك الصالح ودفع له الكتاب واحد الأحجار ودفع سائر المراته وانفقوا على أن يكتب الملك الهند بما طالب فوجروا الشهود إلى الخليفة وأشهد على نفسه أنه قدومه نائب عنه ببلاد الهند وما يليها وبعث الملك الصالح رسولا من قبله وهو شيخ الشيوخ بمصر ركن الدين العجمي ومعه الشيخ رجب وجماعة من الصوفية وركبوا بحر فارس من الأبله إلى هرمز وسلطانها يومئذ قطب الدين تمتهن طوران شاه فأكرم مشواهم وجهز لهم مركبا إلى بلاد الهند فوصلوا مدينة كتبهايت والشيخ سعيد بها وأميرها يومئذ مقبول التلثي أحد خواص ملك الهند فاجتمع الشيخ رجب بهذا الأمير وقال له إن الشيخ سعيد إنما جاءكم بالزور والخلع التي ساقها إنما اشتراها بعدن فينبغي أن تثقفوه وتبعثوه لخوند عالم وهو السلطان فقال له الأمير الشيخ سعيد معظم عند السلطان فما يفعل به هذا إلا بأمره ولست أرى فيه السلطان رأيه وكتب الأمير بذلك كله إلى السلطان وكتب به أيضا صاحب الاخبار فوقع في نفس السلطان تعين وانقبض عن الشيخ رجب لسكونه تكلم بذلك على رؤوس الأشهاد بعد ما صدر من السلطان للشيخ سعيد من الإكرام ما صدر فتنع رجب من الدخول عليه وزاد إكرام الشيخ سعيد ولما دخل شيخ الشيوخ على السلطان قام إليه وعانقه وأكرمه

وكان متى دخل اليه يقوم اليه وبقى الشيخ سعيد المذكور بارض الهند معظمها مكرما وبها تركته سنة ثمان وأربعين وكان بمكة ايام مجاورتي بها حسن المغربي المجنون وامره غريب وشانه عجيب وكان قبل ذلك صحب العقل خديما لولى الله تعالى نجم الدين الاصمباني ايام حيااته

﴿ حكاية ﴾

كان حسن المجنون كثير الطواف بالليل وكان يرى في طوافه بالليل فقيرا يكثر الطواف ولا يراه بالنهار فلقبه ذلك الفقير ليلة وسأله عن حاله وقال يا حسن ان أمك تبكي عليك وهي مشتاقة إلى رؤيتك وكانت من إمام الله الصالحات افتحبان تراه قال له نعم ولكن لا قدرة لي على ذلك فقال له تجتمع هاهنا في الليلة المقبلة ان شاء الله تعالى فلما كانت الليلة المقبلة وهي ليلة الجمعة وجده حيث وعده فطافا بالبيت ماشاء الله ثم خرج وهو في اثره إلى باب المعلى فامر ان يسد عينيه ويمسك بشو به ففعل ذلك ثم قال بعد ساعة اتعرف بلدك قال نعم قال هاهو هذا ففتح عينيه فاذا به على دار أمه فدخل عليها ولم يعلمها بشيء مما جرى واقام عندها نصف شهر واطن ان بلده مدينة اسفى ثم خرج إلى الجبانة فوجد الفقير صاحبه فقال له كيف انت فقال ياسيدى انى اشتقت إلى رؤية الشيخ نجم الدين وكنت خرجت على عادتي وغبت عنه هذه الايام واحب ان تردني اليه فقال له نعم وواعده الجبانة ليال فلما وافاه امره ان يفعل كفعله في مكة شرفها الله من تغميض عينيه والإمساك بذيله ففعل ذلك فإذا به في مكة شرفها الله وأوصاه ان لا يحدث نجم الدين بشيء مما جرى ولا يحدث به غيره فلما دخل على نجم الدين قال له اين كنت يا حسن في غيبتك فأبى أن يخبره فعزم عليه فاخبره بالحكاية فقال ارنى الرجل فأتى معه ليلا وأتى الرجل على عادته فلما مر بهما قال له ياسيدى هو هذا فسمعه الرجل فضرب بيده على فمه وقال اسكت اسكتك الله فخرس لسانه وذهب عقله وبقى بالحرم مولها يطوف بالليل والنهار من غير وضوء ولا صلاة والناس يتبركون به ويكسونه وإذا جاع خرج إلى السوق التي بين الصفا والمروة فيقصد حانوتا من الحوازيت فيأكل منها ما أحب لا يصدده احد ولا يمنعه بل يسر كل من أكل له شيئا وتظهر له البركة والنماء في بيعه وربحه ومتى أتى السوق تطاول اهلهما باعنا قهيم اليه كل منهم يحرص على ان يأكل من عنده لما جربوه من بركته وكذلك فعله مع السقائين متى أحب ان يشرب ولم يزل دأبه كذلك إلى سنة ثمان وعشرين فخرج فيها الأمير سيف الدين بلبل فاستصحبه معه إلى ديار مصر فاقطع خبره فنعى الله تعالى به

﴿ ذكر عادة اهل مكة في صلواتهم ومواضع انتمهم ﴾

فمن عادتهم ان يصلى أول الأئمة لإمام الشافعية وهو المقدم من قبل أولى الأمر وصلاته

خلف المقام الكريم مقام إبراهيم الخليل عليه السلام في حطيم له هنالك بديع وجمهور
الناس بمكة على مذهبه والخطيم خشبتان موصول ما بينهما بأذرع شبه السلم تقابلهما خشبتان
على صفتهما وقد عقدت على أرجل مجصصة وعرض على أعلى الخشب خشبة أخرى
فيها خطا حليف حديد يعلق منها قناديل زجاج فإذا صلى الإمام الشافعي صلى بعده إمام
المالكية في محراب قبالة الركن اليماني ويصلي إمام الحنبلية معه في وقت واحد مقابلا ما بين
الحجر الأسود والركن اليماني ثم يصلي إمام الحنفية قبال الميزاب المسكرم تحت حطيم له
هنالك ويوضع بين يدي الأئمة في محاريبهم الشمع وترتيبهم هكذا في الصلوات الأربع وأما
صلاة المغرب فانهم يصلونها في وقت واحد كل إمام يصلي بطائفته ويدخل على الناس من
ذلك سهو وتخليط فربما ركع المالكي بركوع الشافعي وسجد الحنفي بسجود الحنبلي وتراهم
مصينحين كل واحد إلى صوت المؤذن الذي يسمع طائفة لا يدخل عليه السهو

(ذكر عاداتهم في الخطبة وصلاة الجمعة)

وعاداتهم في يوم الجمعة أن يلصق المنبر المبارك إلى صفح السكبة الشريفة فيما بين الحجر الأسود
والركن العراقي ويكون الخطيب مستقبلا المقام الكريم فإذا خرج الخطيب أقبل لا بساوثب
سواد معتما بعمامة سوداء وعليه طيلسان أسود كل ذلك من كسوة الملك الناصر وعليه
الوقار والسكينة وهو يتهدى بين رايتين سوداوين يعسكهما رجلان من المؤذنين وبين
يديه أحد القومة في يده الفرقة وهي عود في طرفه جلد رقيق مقبول ينفضه في الهواء
فيسمع له صوت عال يسمعه من بداخل الحرم وخارجه فيكون لإعلاما بخروج الخطيب
ولا يزال كذلك إلى أن يقرب من المنبر فيقبل الحجر الأسود ويدعو عنده ثم يقصد
المنبر والمؤذن الزمزمي وهو رئيس المؤذنين بين يديه لا بسا السواد وعلى عاتقه السيف
ممسكاه بيده وتركز الرايتان عن جانبي المنبر فإذا صعد أول درج من درج المنبر قلده
المؤذن السيف فيضرب بتصل السيف ضربة في الدرج يسمع بها الحاضرين ثم يضرب في
الدرج الثاني ضربة ثم في الثالث أخرى فإذا استوى في عليها الدرجات ضرب ضربة رابعة
ووقف داعيا بدعاء خفي مستقبل السكبة ثم يقبل على الناس فيسلم عن يمينه وشماله ويرد
عليه الناس ثم يقعد ويؤذن المؤذنون في أعلى قبة زمزم في حين واحد فإذا فرغ الأذان
خطب الخطيب خطبة يكثر فيها من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في أثنائها
اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ما طاف بهذا البيت طائف ويشير بأصبعه إلى البيت
الكريم اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ما وقف بعرفة ويرضى عن الخلفاء

الاربعة وعن سائر الصحابة وعن النبي صلى الله عليه وسلم وسبطيه وامهما وخديجة جديهما على جميعهم السلام ثم يدعو للملك الناصر ثم للسلطان المجاهد نور الدين على ابن الملك المؤيد داود ابن الملك المظفر يوسف بن علي بن رسول ثم للسيد الشريفي الحسين اميرى مكة سيف الدين عطيفة وهو اصغر الاخوين ويقدم اسمه لعدله واسد الدين رميثة ابني ابني بن ابي سعيد بن علي بن قتادة وقد دعا لسلطان العراق مرة ثم قطع ذلك فلما فرغ من خطبته وانصرف والرايتان عن يمينه وشماله والفرقة امامه اشعارا بانقضاء الصلاة ثم يعاد المنبر الى مكانه الكريم

(ذكر عاداتهم في استهلال الشهور)

وعاداتهم في ذلك ان يأتى أمير مكة في أول يوم من الشهر وقواده يحفون به وهو لايس البياض معتم متقلد سيفاً وعليه السكينة والوقار فيصلى عند المقام الكبير ركعتين ثم يقبل الحجر ويشرع في طواف اسبوع ورئيس المؤذنين على أعلى قبة زمزم فعند ما يكمل الأمير شوطا واحدا يقصد الحجر لتقبيله يشدفع رئيس المؤذنين بالدعاء له والتهنئة بدخول الشهر رافعا بذلك صوته ثم يذ كر شعر في مدحه ومدح سلفه الكريم ويفعل به هكذا في السبعة اشواط فإذا فرغ منها ركع عند الملتزم ركعتين ثم ركع خلف المقام أيضا ركعتين ثم انصرف ومثل هذا سواء يفعل إذا أراد سفر أو إذا قدم من سفر أيضا

(ذكر عاداتهم في شهر رجب)

وإذا هل هلال رجب أمر أمير مكة بضرب الطبول والبوقات اشعارا بدخول الشهر ثم يخرج في أول يوم منه راكباً ومعه أهل مكة فرسانا ورجالا على ترتيب نجيب وكلمهم بالأسلحة يلعبون بين يديه والفرسان يجولون ويحرون والرجال يتواثبون ويرمون بحجرهم الى الهواء ويلقفونها والأمير رميثة والأمير عطيفة معهما أولادهما وقوادهما مثل محمد بن ابراهيم وعلى وأحمد ابني صليح وعلى بن يوسف وشداد بن عمر وعامر الشرق ومنصور بن عمر وموسى المزرق وغيرهم من كبار أولاد الحسن وجوه القواد وبين ايديهم الرايات والطبول والداداب وعليهم السكينة والوقار ويصرون حتى ينتهوا الى الميقات ثم يأخذون في الرجوع على معهود ترتيبهم الى المسجد الحرام فيطوف الأمير بالبيت والمؤذن الزمزمى بأعلى قبة زمزم يدعو له عند كل شوط على ما ذكرناه من عاداته فإذا طاف صلى ركعتين عند الملتزم وصلى عند المقام وتمسح به وخرج الى المسعى فسعى راكباً والقواد يحفون به والحراة بين يديه ثم يسير الى منزله وهذا اليوم عندهم عيد من الاعياد يلبسون فيه أحسن

الثياب ويتنافسون في ذلك

(ذكر عمرة رجب)

وأهل مكة يحتفلون لعمرة رجب الاحتفال الذي لا يعهد مثله وهي متصلة ليلاً ونهاراً وأوقات الشمر كله معمورة بالعياد وخصوصاً أول يوم منه ويوم خمسة عشر والسابع والعشرين فإنهم يستعدون لها قبل ذلك بأيام شاهدتهم في ليلة السابع والعشرين منه وشوارع مكة قد غصت بالهوادج عليها كساء الحرير والسكتان الرقيق كل واحد يفعل بقدر استطاعته والجمال مزينة مقلدة بقلائد الحرير وأستار الهوادج ضافية تكاد تمس الأرض فهي كالقباب المضروبة ويخرجون إلى ميقات التمتع فتسيل أباطح مكة بتلك الهوادج والنيران مشعلة يجتنب الطريق والشمع والمشاعل أمام الهوادج والجمال تجيب بصداها لإهلال المهللين فترق النفوس وتعمل الدموع فإذا قضوا العمرة وطافوا بالبيت خرجوا إلى السحى بين الصفا والمروة بعد مضي شئ من الليل والمسعى مثقلاً السرج غاص بالناس والساعات على هوادجهم والمسجد الحرام يتلألأ نواً وهم يسمون هذه العمرة بالعمرة الأكبية لأنهم يحرمون بها من أكمة مسجد عائشة رضي الله عنها بمقدار غسوة على مقربة من المسجد المنسوب إلى علي رضي الله عنه والأصل في هذه العمرة أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما لما فرغ من بناء الكعبة المقدسة خرج ماشياً حافياً معتمراً ومعه أهل مكة وذلك في اليوم السابع والعشرين من رجب وانتهى إلى الأكمة فأحرم منها وجعل طريقه على ثنية الحجون إلى المعلى من حيث دخل المسلمون يوم الفتح فبقيت تلك العمرة سنة عند أهل مكة إلى هذا العهد وكان عهد عبد الله مذكوراً اهتدى فيه بدنا كبيرة وأهدى أشراف مكة وأهل الاستطاعة منهم وأقاموا أياماً يطعمون ويطعمون شكر الله على ما وهبهم من التيسير والمعونة في بناء بيته الكريم على الصفة التي كانت عليها في أيام الخليل صلات الله عليه ثم لما قتل ابن الزبير نقض الحجاج الكعبة وردها إلى بنائها في عهد قريش وكانوا قد اقتصروا في بنائها وأبقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك لحد ثمان عهدهم بالسيف ثم أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يعيدها إلى بناء ابن الزبير فنهاء مالك رحمه الله عن ذلك وقال يا أمير المؤمنين لا تجعل البيت ملعبة للبلوك متى أراد أحدهم أن يغير فعل فتركه على حاله سد الذريعة وأهل البلاد الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب ويحلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب والزيت واللوز فترخص الأسعار بمكة ويرغد عيش أهلها وتعمم المرافق ولولا أهل هذه البلاد لكان أهل مكة في شظف من العيش ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم ولم يأتوا بهذه الميرة أجدهت بلادهم

ووقع الموت في مواشيهم ومقارصلوا الميرة أخصبت بلادهم وظهرت فيها البركة ونمت أموالهم فهم إذا حان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها اجتمعت نساقهم فأخرجتهم وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الأمين وبلاد السروات التي يسكنها بجيلة وهران وغامد وسواهم من القبائل خصبة كثيرة الأعتاب وافرة الغلات وأهلها فصحاء بالالسن لهم صدق نية وحسن اعتقادهم إذا طافوا بالسكبة يتطارحون عابها لا تدين بجوارها متعلقين بأستارها داعين بأدعية يتصعدع لرةتها القلوب وتدمع العيون الجامدة فتري الناس حولهم باسطي أيديهم مؤمنين على أدعيتهم ولا يتمكن لغيرهم الطواف معهم ولا استلام الحجر لتزاحمهم على ذلك وهم شجعان أنجاد ولباسهم الجلود وإذا وردوا مكة هابت أعراب الطريق مقدمهم وتجنبوا اعتراضهم ومن صحبهم من الزوار حمد صحبتهم وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكرهم وأثنى عليهم خير أو قال علوهم الصلاة يعلموكم الدعاء وكفاهم شرفا دخولهم في عموم قوله صلى الله عليه وسلم الإيمان يمان والحكمة يمانية وذكر أن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما كان يتحري وقت طوافهم ويدخل في جملتهم تبركا بدعائهم وشأنهم عجيب كله وقد جاء في أثر زاحوهم في الطواف فإن الرحمة تنصب عليهم صبا

(ذكر عادتهم في ليلة النصف من شعبان)

وهذه الليلة من الليالي المعظمة عبد أهل مكة يبادرون فيها الى اعمال البر من الطواف والصلاة جماعات وافذاذا والاعتبار ويجتمعون في المسجد الحرام جماعة لكل جماعة أمام ويوقدون السرج والمصابيح والمشاعل ويقابل ذلك ضوء القمر ينال الأرض والسماء نوراً ويصلون مائة ركعة يقرؤون في كل ركعة بأمر القرآن وسورة الإخلاص يكررونها عشر وبعض الناس يصلون في الحجر منفردين وبعضهم يطوفون بالبيت الشريف وبعضهم قد خرجوا للاعتبار

(ذكر عادتهم في شهر رمضان المعظم)

وإذا أهل هلال رمضان تضرب الطبول والدفادب عند أمير مكة ويقع الاحتفال بالمسجد الحرام من تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعل حتى ينال الحرم نورا ويسطع بهجة واشراقا وتتفرق الأئمة فرقا وهم الشافعية والحنبلية والحنفية والزيدية وأما المساكية فيجتمعون على أربعة من القراء يتناوبون القراءة ويوقدون الشمع ولا تبقى في الحرم زاوية ولا ناحية الا وفيها قارئ يصلي بجماعة فيرتج المسجد لأصوات القراء وترق النفوس وتحضر القلوب وتهمل الأعين ومن الناس من يقتصر على الطواف والصلاة في

الحجر منفردا والشافعية أكثر الأئمة اجتهدا وعاداتهم أنهم إذا كملوا التراويح المعتادة وهي عشرون ركعة يطوف إمامهم وجماعته فإذا فرغ من الأسبوع ضربت الفرقة التي ذكرناها أن تكون بين يدي الخطيب يوم الجمعة كان ذلك إعلاما بالعودة إلى الصلاة ثم يصلي ركعتين ثم يطوف أسبوعا هكذا إلى أن يتم عشرون ركعة أخرى ثم يصلون الشفع والوتر وينصرفون وسائر الأئمة لا يزيدون على العادة شيئا وإذا كان وقت السحور يتولى المؤذن الرزمى التسميع في الصومعة التي بالركن الشرقي من الحرم فيقوم داعيا ومذكرا ويحرضنا على السحور في سائر الصوامع فإذا تكلم أحد منهم أجابه صاحبه وقد نصبت في أعلى كل صومعة خشبة على رأسها ودمعترض قد علق فيه قنديلان من الزجاج كبيران يقدان فإذا قرب الفجر وقع الأيذان بالقطع مرة بعد مرة حط القنديلان وابتدأ المؤذنون بالأذان وأجاب بعضهم بعضا ولديار مكة شرفها الله سطوح فن بعدت داره بحيث لا يسمع الأذان يبصر القنديلين المذكورين فيتمسحون حتى إذا لم يبصرهما أقبل عن الأكل وفي ليلة وتر من ليالي العشر الأواخر من رمضان يختتمون القرآن ويحضر الختم القاضي والفقهاء والكبراء ويكون الذي يختم بها أحد أبناء كبراء أهل مكة فإذا ختم نصب له منبر مزين بالحريز وأوقد الشمع وخطب فإذا فرغ من خطبته استدعى أبوه الناس إلى منزله فأطعمهم الأطعمة الكثيرة والحلاوات وكذلك ينصعون في جميع ليالي الوتر أعظم من تلك الليالي عندهم ليلة سبع وعشرين واحتفالهم لها أعظم من احتفالهم لسائر الليالي ويختتم بها القرآن العظيم خلف المقام الكريم وتقام لزاء حطيم الشافعية خشب عظام توصل بالخطيم وتعرض بينها ألواح طوال وتجعل ثلاث طابقات وعليها الشمع وقنديل الزجاج فيسكاد يغشى الأبصار شعاع الأنوار ويتقدم الإمام فيصلي فريضة العشاء الآخرة ثم يبتدىء قراءة سورة القدر وإليها يكون انتهاء قراءة الأئمة في الليلة التي قبلها وفي تلك الساعة يمسك جميع الأئمة عن التراويح تعظيما لختمة المقام ويحضرونها متبركين فيختتم الإمام في تسليمتين ثم يقوم خطيبا مستقبلا المقام فإذا فرغ من ذلك عاد الأئمة إلى صلاتهم وانفض الجميع ثم يكون الختم ليلة تسع وعشرين في المقام المسالكى في منظر مختصر وعن المباهة منزله موقر فيختتم ويخطب

(ذكر عاداتهم في شوال)

وعاداتهم في شوال وهو مفتتح أشهر الحج المعلومات أن يوقدوا المشاعل ليلة استهلاله ويسرجون المصابيح والشمع على نحو فعلهم في ليلة سبع وعشرين من رمضان وتوقد السرج في الصوامع من جميع جهاتها ويوقد سطح الحرم كله وسطح المسجد الذي بأعلى

أبى قبيس ويقم المؤذنون في ليالتهم تلك في تهليل وتسكبير وتسبيح والناس ما بين طواف وصلاة وذكر ودعاء فإذا صلوا صلاة الصبح أخذوا في أهبة العيد ولبسوا أحسن ثيابهم وبادروا لأخذ مجالسهم بالحرم الشريف به يصلون صلاة العيد لأنه لا موضع أفضل منه ويكون أول من يبكر إلى المسجد الشيبانيون فيفتحون باب الكعبة المقدسة ويقعد كبيرهم في عتبتها وسائرهم بين يديه إلى أن يأتي أمير مكة فيتلقونه ويطوف بالبيت أسبوعاً والمؤذن الزمزمي فوق سطح قبة زمزم على العادة رافعا صوته بالثناء عليه والدعاء له ولأخيه كما ذكر ثم يأتي الخطيب بين الرايتين السوداوين والفرقة أمامه وهو لا لبس السواد فيصلي خلف المقام الكريم ثم يصعد المنبر ويخطب خطبة بليغة ثم إذا فرغ منها أقبل الناس بعضهم على بعض بالسلام والمصافحة والاستغفار ويقصدون الكعبة الشريفة فيدخلونها أفواجا ثم يخرجون إلى مقبرة باب المعلى تبركا بمن فيها من الصحابة وصدور السلف ثم ينصرفون

(ذكر احرام الكعبة)

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر ذي القعدة تشر أستار الكعبة زادها الله تعظيما إلى نحو ارتفاع قامه ونصف من جهاتها الأربع صونا لها من الأيدي أن تنتهبها ويسمون ذلك احرام الكعبة وهو يوم مشهود بالحرم الشريف ولا تفتح الكعبة المقدسة من ذلك اليوم حتى تنقضى الوقفة بعرفة

(ذكر شعائر الحج وأعماله)

وإذا كان في أول يوم شهر ذي الحجة تضرب الطبول والبادب في أوقات الصلوات بكرة وعشية اشعارها بالموسم المبارك ولا تزال كذلك إلى يوم الصعود إلى عرفات فإذا كان اليوم السابع من ذي الحجة خطب الخطيب أثر صلاة الظهر خطبة بليغة يعلم الناس فيها مناسكهم ويعلمهم بيوم الوقفة فإذا كان اليوم الثامن بكر الناس بالصعود إلى منى وأمرام مصر والشام والعراق وأهل العلم يبيتون تلك الليلة بمعنى وتقع المباحاة والمفاخرة بين أهل مصر والشام والعراق في إيقاد الشمع ولسكن الفضل في ذلك لأهل الشام دائما فإذا كان اليوم التاسع رحلوا من منى بعد صلاة الصبح إلى عرفة فيمرون في طريقهم بوادي محسر ويهرولون وذلك سنة ووادي محسر هو الحد ما بين مزدلفة ومنى ومزدلفة بسيط من الأرض فسيح بين جبلين وحولها مصانع وصهاريج الماء مما بذته زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد وبين منى وعرفة خمسة أميال وكذلك بين منى ومكة أيضا خمسة أميال وعرفة ثلاثة أسماء وهي عرفة وجمع والمعشر الحرام وعرفات

بسيط من الأرض فسيح أفيح تحديق به جبال كثيرة وفي آخر بسيط عرفات جبل الرحمة وفيه الموقف وفيما حوله والعلمان قبله بنحو ميل وهما الحد ما بين الحل والحرم بمقربة منهما بما يلي عرفة بطن عرنة الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالارتفاع عنه ويجب التحفظ منه ويجب أيضا الإمساك عن النفور حتى يتمكن سقوط الشمس فإن الجمالين ربما استحثوا كثير من الناس وحذروهم الزحام في النفور واستدجروهم إلى أن يصلوا بهم بطن عرفة فيبطل جهنهم وجبل الرحمة الذي ذكرناه قائم وسط بسيط جمع منقطع عن الجبال وهو من حجارة منقطع بعضها عن بعض وفي أعلاه قبة تنسب إلى أم سلمة رضي الله عنهما وفي وسطها مسجد يتزاحم الناس للصلاة فيه وحوله سطح فسيح يشرف على بسيط عرفات وفي قبله جدار فيه محاريب منصوبة يصلي فيه الناس وفي أسفل هذا الجبل عن يسار المستقبل للسكينة دار عتيقة البناء تنسب إلى آدم عليه السلام وعن يسارها الصخرات التي كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم عندها وحول ذلك صهاريج وجباب الماء بمقربة منه الموضع الذي يقف فيه الامام ويخطب ويجمع بين الظهر والعصر وعن يسار العلمين للمستقبل أيضا وادي الارك وبه ارك اخضر يمتد في الأرض امتدادا طويلا وإذا حان وقت النفور أشار الامام المالكى بيده ونزل عن موقفه فوقع الناس بالنفور دفعة ترتج لها الأرض وترجف الجبال فياله موقفًا كريمًا ومشهدًا عظيمًا ترجو النفوس حسن عقباة وتطمح الآمال إلى فتحات رحمة جملتنا الله بمن خصه فيه برضاه وكانت وقفتي الأولى يوم الخميس سنة ست وعشرين وأمير الركب المصري يؤمئذ أرغون الدوادار نائب الملك الناصر وحجت في تلك السنة ابنة الملك الناصر وهي زوجة أبي بكر بن أرغون المذكور وحجت فيها زوجة الملك الناصر المسماة بالخوندرة وهي بنت السلطان المعظم محمد أوزبك ملك السراوخوارزم وأمير الركب الشامي سيف الدين الجوابان ولما وقع النفور بعد غروب الشمس وصلنا من دلفة عند العشاء الآخر فصلينا بها المغرب والعشاء جمعًا بينهما حسبما حرت سنة رسول الله عليه وسلم ولما صلينا الصبح بمن دلفة غدونا منها إلى منى بعد الوقوف والدعاء بالمشعر الحرام ومن دلفة كل ما وقف إلا وادي محسر ففيه تقع الهرولة حتى يخرج عنه ومن من دلفة يستصحب أكثر الناس حصيات الجار وذلك مستحب ومنهم من يلقطها حول مسجد الخيف والأمر في ذلك واسع ولما انتهى الناس إلى منى بادروا لرمي جمره العقبة ثم نحروا وذبحوا ثم خلعوا وحلوا من كل شيء إلا النساء والطيب حتى يطوفوا طواف الافاضة ورمى هذه الجمرة عند طلوع الشمس من يوم النحر لما

رموها توجه أكثر الناس بعد أن ذبحوا وحلقوا إلى طواف الافاضة ومنهم من أقام إلى اليوم الثاني وثاليوم الثاني رمى الناس عند زوال الشمس بالجمرة الأولى سبع حصيات وبالوسطى كذلك ووقفوا للدعاء بهاتين الجمرتين اقتداءً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان اليوم الثالث تعجل الناس الانحدار إلى مكة شرفها الله بعد أن كمل لهم رمى تسع وأربعين حصاة وكثير منهم أقام اليوم الثالث بعد يوم النحر حتى رمى سبعين حصاة

{ ذكر كسوة الكعبة }

وفي يوم النحر بعثت كسوة الكعبة الشريفة من الركب المصري إلى البيت الكريم فوضعت في سطحه فلما كان اليوم الثالث بعد يوم النحر أخذ الشيعيون في اسبائها على الكعبة الشريفة وهي كسوة سوداء حالكة من الحرير مبطنة بالسكتان وفي أعلاها طراز مكتوب فيه بالبياض جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما الآية وفي سائر جهاتها طراز مكتوب بالبياض فيها آيات من القرآن وعليها نور لائح مشرق من سوادها ولما كسيت شمرت أذيالها صوتا من أيدي الناس والملك الناصر هو الذي يتولى كسوة الكعبة السكريمة ويعتبر مرتبات القاضي والخطيب والأئمة والمؤذنين والفرشين والقومة وما يحتاج له الحرم الشريف من الشمع والزيت في كل سنة وفي هذه الأيام تفتح الكعبة الشريفة في كل يوم للعراقيين والخراسانيين وسواهم ممن يصل مع الركب العراقي ويتم يقيمون بمكة بعد سفر الركبين الشامي والمصري أربعة أيام فيسكنون فيها الصدقات على المجاورين وغيرهم ولقد شاهدتهم يطوفون بالحرم ليلا فمن لقوه في الحرم من المجاورين أو المسكين أعطوه الفضة والسياب وكذلك يعطون للمشاهدين الكعبة الشريفة وربما وجدوا انسانا نائما فجعلوا في فيه الذهب والفضة حتى يفيق ولما قدمت معهم من العراق سنة ثمان وعشرين فعلاوا من ذلك كثيرا وأكثروا الصدقة حتى رخص سوم الذهب بمكة وانتهى صرف المئقال إلى ثمانية عشر درهما نقرة لكثرة ما تصدقوا به من الذهب وفي هذه السنة ذكر اسم السلطان أبي السعيد ملك العراق على المنبر وقبة زمزم

{ ذكر الانفصال عن مكة شرفها الله تعالى }

وفي المؤفي عشرين لذي الحجة خرجت من مكة صحبة أمير ركب العراق البهلوان محمد الخويج بجاهين مهملين وهو من أهل الموصل وكان يلي إمارة الحاج بعد موت الشيخ شهاب الدين قلندر وكان شهاب الدين سخيا فاضلا عظيم الحرمه عند سلطانه بحاق لحيته وحاجبيه على طريقة القلندرية ولما خرجت من مكة شرفها الله تعالى في صحبة الأمير

البهلون المذكور اكرتلى شقة محارة إلى بغداد ودفع إجارتهما من ماله وأنزلنى فى جواره وخرجنا بعد طواف الوداع إلى بطن مرفى جمع من العراقيين والخراسانيين والفارسيين والاعاجم لا يحصى عديدهم تموج بهم الأرض موجا ويسرون سير السحاب المتراكم فمن خرج عن الركب لحاجة ولم تكن له علامة يستدل بها على موضعه ضل عنه لكثرة الناس وفى هذا الركب نواضح كثيرة لأبناء السبيل يستقون منها الماء وجمال لرفع الزاد للصدقة ورفع الأدوية والأشربة والسكر لمن يصيبه مرض وإذا نزل الركب طبخ الطعام فى قدور نحاس عظيمة تسمى الدسوت وأطعمهم منها أبناء السبيل ومن لازاد معه وفى الركب جملة من الجمال يحمل عليها من لافدرة له على المشى كل ذلك من صدقات السلطان أبى سعيد ومكارمه قال ابن جزى كرم الله هذه السكنية الشريفة فما أعجب أمرها فى الكرم وحسبك بمولانا ببحر المسكارم ورافع رايات الجود الذى هو آية الندى والفضل أمير المسلمين أبى سعيد ابن مولانا قانع الكفار والأخذ للإسلام بالثار أمير المسلمين يوسف قدس الله أرواحهم الكريمة وأبقى الملك فى عقبهم الطاهر إلى يوم الدين (رجع) وفى هذا الركب الأسواق الخافلة والمرافق العظيمة وأنواع الأطعمة والفواكه وهم يسرون بالليل ويوقدون المشاعل أمام القطار والمحارات فترى الأرض تتألقان نوراً والليل وقد عاد نهارا ساطعا ثم رحلنا من بطن مر إلى عسفان ثم إلى خليص ثم رحلنا أربع مراحل ونزلنا وادى السمك ثم رحلنا خمسا ونزلنا فى بدر وهذه المراحل ثلثان فى اليوم احدهما بعد الصبح والاخرى بالعشى ثم رحلنا من بدر فنزلنا الصفراء واقمتنا بها يومين ومنها إلى المدينة الشريفة مسيرة ثلاث ثم رحلنا فوصلنا إلى طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصلت لنا زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم نائيا واقمتنا بالمدينة كرمها الله تعالى ستة أيام واستمتعنا منها الماء لمسيرة ثلاث ورحلنا عنها فنزلنا فى الثالثة بوادى العروس فنزلنا منه الماء من حسيات يحفرون عليها فى الأرض فينبطون ماء عذبا مهيئا ثم رحلنا من وادى العروس ودخلنا أرض نجد وهو بسيط من الأرض مد البصر فتناشعنا نسيجه الطيب الأرج ونزلنا بعد أربع مراحل على ماء يعرف بالعسيلة ثم رحلنا عنه ونزلنا ماء يعرف بالثقرة فيه آثار مصانع كالصهاريج العظيمة ثم رحلنا إلى ماء يعرف بالقارورة وهى مصانع بماء المطار بما صنعتته زبيدة ابنة جعفر رحما لله ونفعها وهذا الموضع هو وسط أرض نجد فسيح طيب النسيم صحيح الهواء نقي التربة معتدل فى كل فصل ثم رحلنا من القارورة ونزلنا بالحاجر وفيه مصانع للماء وربما جفت تخفر عن الماء فى الجفار

ثم رحلنا ونزلنا سميرة وهي أرض غائرة في بسيط فيه شبه حصن مسكون وماؤها كثير في آبار إلا أنه زعاق ويأتي عرب تلك الأرض بالغنم والسمن واللبن فيبيعون ذلك من الحجاج بالثياب الخام ولا يبيعون بسوى ذلك ثم رحلنا ونزلنا بالجبل المخروق وهو في بيداء من الأرض وفي أعلاه ثقب نافذة تخرقه الريح ثم رحلنا منه إلى وادي السكروش ولأما به ثم اسرنا ليلا وصبحنا حصن فيد وهو حصن كبير في بسيط من الأرض يدور به سور وعليه روض وساكنوه عرب بتعيشون مع الحاج في البيع والتجارة وهناك يترك الحجاج بعض أزدادهم حين وصولهم من العراق إلى مكة شرقها الله تعالى فإذا عادوا وجدوه وهو نصف الطريق من مكة إلى بغداد ومنه إلى السكوفة مسيرة اثني عشر يوما في طريق سهل به المياه في المصانع ومن عادة الركب أن يدخلوا هذا الموضع على تعبئة وأهبة للحرب أرها باللعرب المجتمعين هنالك وقطعا لا طاعهم عن الركب وهنالك لقينا أمير العرب وهما فياض وحيار واسمه (بكسر الحاء وهما له ويا آخر الحروف) وهما أبناء الأمير مهدي بن عيسى ومعهما من خيل العرب ورجالهم من لا يحصون كثرة فظهر منهما المحافظة على الحاج والرحال والخروطة لهم وأتى العرب بالجمال والغنم فاشترى منهم الناس ما قدروا عليه ثم رحلنا ونزلنا الموضع الأجفر ويشتهر باسم العاشقين جميل وبثينة ثم رحلنا ونزلنا بالبيداء ثم نزلنا زود وهي بسيط من الأرض فيه رمال منهالة وبه دور صغار قد أداروها شبه الحصن وهنالك آبار ماء ليست بالعذبة ثم رحلنا ونزلنا الثعلبية ولها حصن خرب بازائه مصنع هائل ينزل إليه في درج وبه من ماء المطر ما يعم الركب ويجمع من العرب بهذا الموضع جمع عظيم فيبيعون الجمال والغنم والسمن واللبن ومن هذا الموضع إلى السكوفة ثلاث مراحل ثم رحلنا فنزلنا ببركة المرجوم وهو مشهد على الطريق عليه كوم عظيم من حجارة وكل من مر به رجحه ويذكر أن هذا المرجوم كان رافضيا فسافر مع الركب يريد الحج فوقع يده بين أهل السنة من الأتراك المشاجرة فسب بعض الصحابة فقتلوه بالحجارة وهذا الموضع بيوت كثيرة للعرب ويقصدون الركب بالسمن واللبن وسوى ذلك وبه مصنع كبير يعم جميع الركب بما ينه زبيدة رحمة الله عليها وكل مصنع أو بركة أو بشر بهذه الطريق التي بين مكة وبغداد فهي من كريم آثارها جزاها الله خيرا ووفي لها أجرها ولو لا عنايتها بهذا الطريق ما سلكها أحد ثم رحلنا ونزلنا موضعها يعرف بالمشقوق فيه مصنعان بهما الماء العذب الصافي وأراق الناس ما كان عندهم من الماء وتزودوا منهما ثم رحلنا ونزلنا موضع يعرف بالثنايز وفيه مصانع تليء بالماء ثم اسرنا منه

واجتازنا ضحوة بن مالتو هي قرية معمورة بها قصر للعرب ومصنعان للماء وآبار كثيرة وهي من مناهل هذا الطريق ثم رحلنا فنزلنا الهيشمين وفيه مصنعان للماء ثم رحلنا فنزلنا دون العقبة المعروفة بعقبة الشيطان وصعدنا العقبة في اليوم الثاني وليس بهذا الطريق وعرسواها على أنها ليست بصعبة ولا طائلة ثم نزلنا موضعاً يسمى واقصة فيه قصر كبير ومصانع للماء معمور بالعرب وهو آخر مناهل هذا الطريق وليس فيما بعده إلى الكوفة منهل مشهور الأماشع ماء الفرات وبه يتلقى كثير من أهل الكوفة الحاج ويأتون بالدقيق والخبز والتمر والفواكه ويهني الناس بعضهم بعضاً بالسلامة ثم نزلنا موضعاً يعرف بلورة فيه مصنع كبير للماء ثم نزلنا موضعاً يعرف بالمساجد فيه ثلاث مصانع ثم نزلنا موضعاً يعرف بمنارة القرون وهي منارة في بیداء من الأرض بائنة الارتفاع مجللة بقرون الغزلان ولا عمارة حولها ثم نزلنا موضعاً يعرف بالعذيب وهو واد مخضب عليه عمارة وحواله فلاة خصبة فيها مسرح للبصر ثم نزلنا القادسية حيث كانت الوقعة الشهيرة على الغرس التي أظهر الله فيها دين الإسلام واذل المجوس عبدة النار فلم يبق منها إلا المقادير قرية كبيرة وفيها حدائق النخل وبها مشاعر من ماء الفرات ثم رحلنا منها فنزلنا مدينة مشهد على أبي طالب رضى الله عنه بالنجف وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة من أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً وأتقنها ببناء ولها أسواق حسنة نظيفة دخلناها من باب الحضرة فاستقبلنا سوق البقالين والطيّارين والحجازيين ثم سوق الفاكهة ثم سوق الخياطين والقسارية ثم سوق العطارين ثم الحضرة حيث القبر الذي يزعمون أنه قبر علي عليه السلام وبازائه المدارس والزوايا والخانات معمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشاني وهو شبه الزليج عندنا سكن لو نه أشرق ونقشه أحسن

(ذكر الروضة والقبور التي بها)

ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر مرتين في اليوم ومن تلك المدرسة يدخل إلى باب القبة وعلى بابها الحجاب والنقباء والطواشية فعندما يصل الزائر يقوم إليه أحدهم أو جميعهم وذلك على قدر الزائر فيقفون معه على العتبة ويستأذنون له ويقولون عن أمركم يا أمير المؤمنين هذا العهد الضعيف يستأذن على دخوله الروضة العلية فإن اذتم له والارجيع وإن لم يكن أهلاً لذلك فاتم أهل المسكارم الستة ثم يأمرونه بتقبيل العتبة وهي من الغضة وكذلك

العضادتان ثم يدخل القبة وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه وبها قناديل الذهب والفضة منها السكبار والصغار وفي وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحيطة العمل مسطرة بمسامير الفضة قد غابت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء وارتفاعها ودون القامة وفوقها ثلاثة من القبور يزعمون ان احدها قبر آدم عليه الصلاة والسلام والثاني قبر نوح عليه الصلاة والسلام والثالث قبر علي رضي الله تعالى عنه وبين القبر طلست ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب يغمس الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه تبركا للقبة باب آخر عتيته أيضا من الفضة وعليه ستور الحرير الملون يفضى إلى مسجد مفروش بالبسط الحسان مستورة جيطائه وسقته بستور الحرير وله أربعة أبواب عتباتها فضة وعليها ستور الحرير وأهل هذه المدينة كلهم رافضية وهذه الروضة ظهرت لها كرامات ثبت بها عندهم ان بها قبر علي رضي الله عنه فمنها ان في ليلة السابع والعشرين من رجب وتسمى عندهم ليلة الحيا يؤتى الى تلك الروضة بكل مقعد من العراقيين وخراسان وبلاد فارس والروم فيجتمع منهم الثلاثون والاربعون ونحو ذلك فاذا كان بعد العشاء الآخرة جعلوا فوق الضريح المقدس والناس ينتظرون قيامهم وهم ما بين مصل وذاكر وتال ومشاهد للروضة فاذا مضى من الليل نصفه او ثلثاه أو نحو ذلك قام الجميع اصحاء من غير سوء وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله على ولي الله وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من الثقة ولم احضر تلك الليلة لسكنى رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال أحدهم من أرض الروم والثاني من أرضها والثالث من خراسان وهم مقعدون فاستخبرتهم عن شأنهم فأخبروني انهم لم يدركوا ليلة الحيا وانهم منتظرون أو انها من عام آخر وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد ويقيمون سوقا عظيمة مدة عشرة أيام وليس بهذه المدينة مغرم ولا مكاس ولا وال ولا تما يحكم عليهم نقيب الاشراف وأهلها تجار يسافرون في الافطار وهم أهل شجاعة وكرم ولا يضام جارهم صحبتهم في الاسفار فخدمت صحبتهم لكانهم غلوا في علي رضي الله عنه ومن الناس في بلاد العراق وغيرها من يصيبه المرض فينذر الروضة نذرا إذا برىء ومنهم من يعرض رأسه فيصنع رأسا من ذهب أو فضة ويأتي به الى الروضة فيجعله للنقيب في الخزنة وكذلك اليد والرجل وغيرهما من الأعضاء وخزانة الروضة عظيمة فيها من الأموال مالا يضبط لسكنى

﴿ ذكر نقيب الاشراف ﴾

ونقيب الاشراف مقدم من ملك العراق ومكانه عنده مكين ومنزله رفيعة وله ترتيب

الأمراء السكبار في سفره وله الأعلام والأطبال وتضرب الطبلانة عند بابه مساء وصباحا
واليه حكم هذه المدينة ولاوا اليها سواه ولا مغرم فيها للسلطان ولا لغيره وكان النقيب في
عهد دخول اليها نظام الدين حسين بن تاج الدين الآوى نسبة الى بلده آوة من عراق العجم
أهلها رافضة وكان قبله جماعة يلى كل واحد منهم بعد صاحبه منهم جلال الدين بن الفقيه
ومنها قوام الدين بن طاووس ومنهم ناصر الدين مطهر بن الشريف الصالح شمس الدين محمد
الأوهري من عراق العجم وهو الآن بأرض الهند من ندما ملكها ومنهم أبو غرة بن سالم
ابن مهي بن جماز بن شبيحة الحسيني المدني

(حكاية)

كان الشريف أبو غرة قد غلب عليه في أول أمره العبادة وتعلم العلم واشتهر بذلك وكان
بالمدينة الشريفة كرمها الله في جوار ابن عمه منصور بن جماز أمير المدينة ثم انه خرج
عن المدينة واستوطن العراق وسكن منها بالحلة فمات النقيب قوام الدين بن طاووس
فاثفق اهل العراق على تولية ابى غرة نقابة الأشراف وكتبوا بذلك الى السلطان أبي سعيد
فامضاه ونفذ له الير ليسخ وهو الظهير بذلك وبعث له الخاكة والأعلام والطبول على عادة
النقباء ببلاد العراق فغلبت عليه الدنيا وترك العبادة والزهد وتصرف في الاموال
تصرفا قبيحا فرفع أمره الى السلطان فلما علم بذلك أعمل السفير مظهرأ أنه يريد خراسان
قاصدا لزيارة قبر على بن موسى الرضا بطوس وكان قصده الفرار فلما زار على بن موسى
قدم هراة وهى آخر بلاد خراسان وأعلم أصحابه أنه يريد بلاد الهند فرجع أكثرهم
عنه وتجاوز هو أرض خراسان الى السند فلما تجاوز وادى السند المعروف بدينج آب
ضرب طوله وأنفاره فراع ذلك أهل القرى وظنوا أن التتر أتوا للاغارة عليهم
وأجفلوا الى المدينة المسماة باوجا وأعلموا أميرها بما سمعوه فركب في عساكره واستعد
للحرب وبعث الطلائع فراوا نحو عشرة من الفرسان وجماعة من التجار والرجال من
صحب الشريف في طريقه معهم الأطبال والأعلام فسألوه عن شأنهم فأخبروهم أن
الشريف نقيب العراق أتى وافداً على ملك الهند فرجع الطلائع الى الأمير وأخبروه بكيفية
الحال فاستضعف عقل الشريف لرفعه العلامات وضربه الطبول في غير بلاده ودخل الشريف
مدينة أوجا وأقام بها مدة تضرب الأطبال على باب داره غدوة وعشية وكان مولعا بذلك
ويذكر أنه كان في أيام نقابته بالعراق تضرب الأطبال على رأسه فإذا أمسك النصار عن
الضرب يقول له زد نقرة يا نكار حتى لقب بذلك وكتب صاحب مدينة أوجا الى ملك الهند يخبر
الشريف بوضربه الأطبال بالطريق وعلى باب داره غدوة وعشيا ورفعه الأعلام وقادة أهل

الهند أن لا يرفع علمها ولا يضرب طبلا إلا من أعطاه الملك ذلك ولا يفعله إلا في السفر وأما في حال الإقامة فلا يضرب الطبل إلا على باب الملك خاصة بخلاف مصر والشام والعراق فإن الطبول تضرب على أبواب الأمراء فلما بلغ خبره ملك الهند كره فعله وأنكره وفعل في نفسه ثم خرج الأمير إلى حضرة الملك وكان الأمير كشيلى خان والخان عندهم أعظم الأمراء وهو الساكن بمثلان كرسى بلاد السند وهو عظيم القدر عند ملك الهند يدعو بالعم لأنه كان من أعان أباه السلطان غياث الدين تعلق شاه على قتال السلطان ناصر الدين خسرو شاه قد قدم على حضرة ملك الهند فخرج الملك إلى لقائه فاتفق أن كان وصول الشريف في ذلك اليوم وكان الشريف قد سبق الأمير بأميال وهو على حاله من ضرب الأعطال فلم يرعه إلا السلطان في موكبته فتقدم الشريف إلى السلطان فسلم عليه وسأله السلطان عن حاله وما الذى جاء به فأخبره ومضى السلطان حتى لقي الأمير كشيلى خان وعاد إلى حضرته ولم يلتفت إلى الشريف ولا أمر له بإزال ولا غيره .

وكان الملك عازما على السفر إلى مدينة دولة اباد وتسمى أيضا بالسكتك (بفتح الكافين والثاء المعلو التي بينهما) وتسمى أيضا بالدونجر (دو كير) وهى على مسيرة أربعين يوما من مدينة دهلى حضرة الملك .

فلما شرع الملك فى السفر بعث إلى الشريف بخمسمائة دينار دrahm وصرفها من ذهب المغرب مائة وخمسة وعشرون ديناراً وقال ارسله اليه قل له إن أراد الرجوع إلى بلاده فهذا زاده وإن أراد السفر معنا فهمى نفقته في الطريق وإن أراد الإقامة بالحضرة فهمى نفقته حتى نرجع فأغتم الشريف لذلك وكان قصده أن يجزله العطاء كما هى عادته مع أمثاله واختار السفر صحبة السلطان وتعلق بالوزير احمد بن اياس المدعو بخواجه جهان وبذلك سمى الملك وبه يدعو هو وبه يدعو سائر الناس فإن من عادتهم أنه متى سمي الملك احدا باسم مضاف إلى الملك من عماد أو ثقة أو قطب باسم مضاف إلى الختان من صدور غيره فبذلك يخاطبه الملك وجميع الناس ومن خاطبه بسوى ذلك ازمتته المعقوبة فأكدت المودة بين الوزير والشريف فأحسن اليه ورفع قدره ولاطف الملك حتى حسن فيه رأيه وأمر له بقريتين من قرى دور اباد وأمره أن تكون اقامته بها وكان هذا الوزير من أهل الفضل والمرومة ومكارم الأخلاق والمحبة في الغرباء والاحسان اليهم وفعل الخير وإطعام الطعام وعماراة الزوايا فأقام الشريف يستغل القريتين ثمانية أعوام وحصل من ذلك مالا عظيما ثم أراد الخروج فلم يمكنه فانه من خدم السلطان لا يمكنه الخروج إلا بإذنه وهو محبب في الغرباء فقليل ما يأذن لخدمهم في السراح فأراد الفرار .

من طريق الساحل فردمته وقدم الحضرة ورغب من الوزير ان يحاول قضية انصرافه
قتلطف الوزير في ذلك حتى أذن له السلطان في الخروج عن بلاد الهند وأعطاه عشرة
آلاف دينار من دراهمهم وصرفها من ذهب المغرب الفان وخمسمائة دينار فأتى بها في
بدرة فجعلها تحت فراشه ونام عليها لمحبتها في الدناير وفرح بها وخوفه ان يتصل لأحد من
اصحابه شئ منها فانه كان بخيلا فأصابه وجع في جنبه بسبب رقاده عليها ولم يزل يزايد
به وهو أخذ في حركة سفره إلى ان توفي بعد عشرين يوما من وصول البدرة اليه أوصى بذلك
المال للشریف حسن الجرائي فتصدق بحملته على جماعة من الشيعة المقيمين بدهلي من أهل
الحجاز والعراق واهل الهند لا يورثون بيت المال ولا يتعرضون لمال الغرباء ولا يسألون
عنه ولو بلغ ما عسى ان يبالغ وكذلك السودان لا يتعرضون لمال الأبيض ولا يأخذونه انما
يكون عند الكبار من اصحابه حتى يأتي مستحقه وهذا الشریف أبو غرة له اخ اسمه قاسم
سكن غر ناهلة مدة وبها تزوج بنت الشریف ابی عبد الله بن ابراهيم الشهير بالمسكي ثم
انتقل الى جبل طارق فسكنه الى ان استشهد بوادی كرة من نظر الجزيرة الخضراء وكان
يهمه من الهم لا يصطلي بناره خرق المعتاد في الشجاعة وله فيها اخبار شهيرة عند الناس
وترك ولدين هما في كفالة وبينهما الشریف الفاضل ابی عبد الله محمد بن ابی القاسم بن نفيس
الحسيني السكر بلأی الشهير ببلاد المغرب بالعراق وكان تزوج أمهما بعد موت أبيهما وهو
محسن لها جزاه الله خيرا .

ولما تحصلت لنا زيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام سافر الركب الى بغداد وسافرت
الى البصرة صحبة رفيقة كبيرة من عرب خفاجة وهم أهل تلك البلاد ولهم شوكة عظيمة
وبأس شديد ولا سميل للسفر في تلك الاقطار إلا في صحبتهم فاكثريت جملا على يد أمير تلك
القافلة شامر بن دراج الخفاجي وخرجنا من مشهد على عليه السلام فنزلنا الخورق موضع
سكنى النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بني ماء السماء وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة في
قضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات ثم رحلنا عنه فنزلنا موضعا يعرف بقائم الواثق
وبه أثر قرية خربة ومسجد خرب لم يبق منه إلا صومعته ثم رحلنا عنه أخذين مع
جانب الفرات بالموضع المعروف بالعدار وهو غابة قصب في وسط الماء يسكنها أعراب
يعرفون بالمعادى وهم قطاع الطريق رافضية المذهب خرجوا على جماعة من الفقهاء
تأخروا عن رفقتنا فسلبواهم حتى النعال والكشاكيل وهم يتحصنون بتلك الغابة ويمتنعون
بها ممن يريدهم والسباع بها كثيرة . ورحلنا مع هذا الغدار ثلاث مراحل ثم وصلنا
مدينة واسط .

(مدينة واسط)

وهي حسنة الاقطار كثيرة البساتين والاشجار بها أعلام يهدي الخبير شاهدهم وتهدى الاعتبار مشاهدهم وأهلها من خيار أهل العراق بل هم خيرهم على الاطلاق أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ويحيدون تجويده بالقراءة الصحيحة واليه يأتى أهل بلاد العراق برسوم تعلم ذلك وكان في القافلة الى وصلنا فيها جماعة من الناس أتوا برسوم تجويد القرآن على من بها من الشيوخ وبها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن عمرها الشيخ تقي الدين عبد المحسن الواسطي وهو من كبار أهلها وفقهاؤها ويعطى لكل متعلم بها كسوة في السنة ويجرى له نفقته كل يوم ويقعد هو وأخوانه وأصحابه لتعليم القرآن بالمدرسة وقد لقيته وأضافني وزودني تمرا ودرهما ولما نزلنا مدينة واسط أقامت القافلة ثلاثا بخارجها للتجارة فسبح لي زيارة قبر الولي أبي العباس أحمد الرفاعي وهو بقرية تعرف بام عبيدة على مسيرة يوم من واسط فطلبت من الشيخ تقي الدين أن يبعث معي من يوصلني اليها فبعث معي ثلاثة من عرب بني أسد وهم قطان تلك الجهة وراكبني فرساً له وخرجت ظهراً فيت تلك الليلة بحوش بني أسد ووصلنا في ظهر اليوم الثاني إلى الرواق وهو رباط عظيم فيه آلاف من الفقراء وصادفنا به قدوم الشيخ أحمد كوجك حفيد ولي الله أبي العباس الرفاعي الذي قصدنا زيارته وقد قدم من موضع سكناء من بلاد الروم برسوم زيارته قبر جده واليه انتهت الشياخة بالرواق ولما تقضت صلاة العصر ضربت الطبول والدفوف وأخذ الفقراء في الرقص ثم صلوا المغرب وقدموا السهاط وهو خبز الأرز والسمك واللبن والنمر فأكل الناس ثم صلوا العشاء الآخرة وأخذوا في الذكروا الشيخ أحمد قاعد على سجادة جده المذكور ثم أخذوا في السماع وقد أعدوا أحمالاً من الحطب فأججوها ناراً ودخلوا في وسطها يرقصون ومنهم من يتمرغ فيها ومنهم من ياكلها بغمه حتى أطفئوها جميعاً وهذا دأبهم وهذه الطائفة الأحمدية مخصوصون بهذا وفيهم من يأخذ الحمية العظيمة فيعض بأسنانه على رأسها حتى يقطعها

(حكاية)

كنت مررت بموضع يقال له افقانهور من عمالة هزارامروهاو بينها وبين دهلي حضرة الهند مسيرة خمس وقد نزلنا بها على نهر يعرف بنهر السورور وذلك في أوان الشكال والشكال عندهم هو المطر وينزل في لمان القيظ وكان السيل ينحد في هذا النهر من جبال قراجيل فكل من يشرب منه من إنسان أو بهيمة يموت لنزول المطر على الحشائش المسعومة فأقننا على النهر أربعة أيام لا يقر به أحد ووصل إلى هنالك جماعة من الفقراء في أعناقهم

أطواق الحديد وفي أيديهم وكبيرهم رجل اسود حالك اللون وهم من الطائفة المعروفة بالحيدرية فباتوا عندنا ليلة وطلب مني كبيرهم أن آتية بالخطب ليوقدوه عند رقصهم فكلفت والى تلك الجهة وهو عزيز المعروف بالخنار (وسياتى ذكره) ان يأتى بالخطب فوجه منه نحو عشرة أحمال فاضرموا فيه النار بعد صلاة العشاء الآخرة حتى صارت جمرًا وأخذوا في السماع ثم دخلوا في تلك النار فما زالوا يرقصون ويتمرغون فيها وطلب مني كبيرهم قيصا فأعطيته قيصا في النهاية من الرقة فلبسه وجعل يتمرغ به في النار ويضربها باكامه حتى طفت تلك النار وخذت وجاء الى القميص والنار لم تؤثر فيه شيئا البتة فطال عجبى منه ولما حصلت لي زيارة الشيخ ابي العباس الرفاعي نفخ الله به عدت الى مدينة واسط فوجدت الرقة التي كنت فيها قد رحلت فلحقها في الطريق ونزلنا ماء يعرف بالهضيب ثم رحلنا بوادي السكراع وليس به ماء ثم رحلنا ونزلنا موضعا يعرف بالمشيرب ثم رحلنا منه ونزلنا بالقرب من البصرة ثم رحلنا فدخلنا ضحوة النهار الى مدينة البصرة .

(مدينة البصرة)

فنزّلنا بهار باطمالك بن دينار وكنت رايت عند قدومي عليها على نحو ميلين منها بناء عاليا مثل الحصن فساءلت عنه فقيل لي هو مسجد على بن ابي طالب رضى الله عنه وكانت البصرة من اتساع الخطّة وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد في وسطها وبنيته الآن وبينهما ميلان وكذلك بينه وبين العراق الشبيرة الذكر في الآفاق مفسحة الأرجاء المونقة الافئذات البساتين السكثيرة والغواكه الاثيرة توفر قسمها من النضارة والخصب لما كانت تجمع البحرين الاجاج والعذب وليس في الدنيا اكثر نخلا منها فيبيع الثمر في سوقها بحساب أربعة عشر رحلا عراقية بدرهم ودرهمهم ثلث النقرة ولقد بعث الى قاضيها حجة الدين بقوصرة تمر يحملها الرجل على تكلف فأردت بيعها فبيعت بتسعة دراهم أخذ الخيال منها ثلثها عن أجرة حملها من المنزل الى السوق ويصنع بها من التمر غسل يسمى السيلان وهو طيب كما أنه الجلاب .

والبصرة ثلاث محلات احداها محلة هذيل وكبيرها الشيخ الفاضل علاء الدين بن الانير من السكرماء الفضلاء أضافني وبعث الى بثياب ودرهم والمحلة الثانية محلة بنى حرام كبيرها السيد الشريف محمد الدين موسى الحسيني ومكارم وفواضل أضافني وبعث الى التمر والسيلان والدرهم والمحلة الثالثة محلة المعجم كبيرها جمال الدين ابن اللوكي واهل البصرة لهم مكارم أخلاق وإناس للغريب وقيام بحقه فلا يستوحش فيما بينهم غريب

وهم يصلون الجمعة في مسجد أمير المؤمنين على رضى الله عنه الذى ذكرته ثم يسد فلاناً أو نه
إلا فى الجمعة وهذا المسجد من أحسن المساجد وصحته متناهى الانفساح مفروس
بالحصباء الحمراء التى يؤتى بها من وادى السباع وفيه المصحف الكريم الذى كان عثمان
رضى الله عنه يقرأ فيه لما قتل وأثر تغييره الدم فى الورقة التى فيها قوله تعالى (فسيكفونهم الله
وهو السميع العليم)

(حكاية اعتبار)

شهدت مرة بهذا المسجد صلاة الجمعة فلما قام الخطيب إلى الخطبة وسردها لحن فيها لحناً
كثيراً جليلاً فميجبت من أمره وذكرت ذلك للقاضى حجة الدين فقال لى ان هذا البلد لم
يبق به من يعرف شيئاً من علم النحو وهذه عبرة لمن تفكر فيها سبحانه معين الأشياء ومقلب
الأمور هذه البصرة التى إلى أهلها انتهت رئاسة النحو وفيها أصله وفرعه ومن أهلها إمامه
الذى لا ينكر سبقه لا يقيم خطيبها خطبة الجمعة على دؤبه عليها ولهذا الجامع سبع صوامع
إحداها الصومعة التى تتحرك بزعمهم عند ذكر على بن أبى طالب رضى الله عنه صعدت
إليها من أعلى سطح الجامع ومعى بعض أهل البصرة فوجدت فى ركن من أركانها مقبض
خشب مسمرأ فيها كانه مقبض مملسة البناء فجعل الرجل الذى كان معى يده فى ذلك
المقبض وقال بحق راس أمير المؤمنين على رضى الله عنه تحركى وهز المقبض فتحركت
الصومعة فجعلت أنا يدي فى المقبض وقلت له وأنا أقول بحق راس أبى بكر خليفة رسول
الله ﷺ تحركى وهززت المقبض فتحركت الصومعة فعجبوا من ذلك وأهل البصرة
على مذهب السنة والجماعة ولا يخاف من يفعل مثل فعلى عندهم ولو جرى مثل هذا بمشهد
الحسين أو بالحلة أو بالبحرين أو قم أو قاشان أو ساوة أو آوة أو طوس لهلك فاعله
لأنهم رافضة غالبية قال ابن جزى قد عاينت بمدينة برشانة من وادى المنصورة من بلاد
الأندلس حاطها الله صومعة تهتز من غير ان يذكر لها احد من الخلفاء أو سواهم وفى
صومعة الجامع الأعظم بها وبنائها ليس بالقديم وهى كأحسن ما أنت راع من الصوامع
حسن منظر واعتدالا وارتفاعا لا ميل فيها ولا زيج صعدت إليها مرة ومعى جماعة من
الناس فأخذ بعض من كان معى بجوانب جاورها وهزوها فاهتزت حتى أشرت إليهم
ان يكفوا فكفوا عن هزها (رجع)

(ذكر المشاهد المباركة بالبصرة)

فمنها مشهد طلحة بن عبد الله احد عشرة رضى الله عنهم وهو بداخل المدينة وعليه
قبة وجامع وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر وأهل البصرة يعظمونه تعظيماً شديداً

وحق له ومنها مشهد الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وابن عمته رضي الله عنهما وهو بخارج البصرة ولا قبة عليه وله مسجد وزاوية فيها الطعام لأبناء السبيل ومنها قبر حليلة السعدية أم رسول الله ﷺ من الرضاة رضي الله عنها ولما جازها قبر ابنها رضي عن رسول الله ﷺ ومنها قبر أبي بكر صاحب رسول الله ﷺ وعليه قبة وعلى ستة أميال منها بقرب وادي السباع قبر أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ولا سبيل لزيارته إلا في جمع كشيء لكثرة السباع وعدم العمران ومنها قبر الحسن ابن أبي الحسن البصري سيد التابعين رضي الله عنه وقبر عتبة الغلام رضي الله عنه وقبر مالك بن دينار رضي الله عنه وقبر حبيب العجمي رضي الله عنه وقبر سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه وعلى كل قبر منها قبة مكتوب فيها اسم القبر ووفاته وذلك كله داخل السور القديم وهي اليوم بينها وبين البلد نحو ثلاثة أميال وبها سوى ذلك قبور الجنم الغنم من الصحابة والتابعين والمستشهرين يوم الجمل وكان أمير البصرة حين ورودى عليها يسمى بركن الدين العجمي التوريزي أضافني فأحسن لي والبصرة على ساحل العرات والدجلة وبها المد والجزر كمثل ما هو بوادي سلا من بلاد المغرب وسواه والخليج المالح الخارج من بحر فارس على عشرة أميال منها فإذا كان المد غلب الماء المالح على العذب وإذا كان الجزر غلب الماء الحلو على الماء المالح فيستسقي أهل البصرة غير جيد لدورهم ولذلك يقال أن ماء هزعاقي قال ابن جزى وبسبب ذلك كان هوام البصرة ماء غير جيد ألوان أهلها مصفره كاسفة حتى ضرب بهم المثل وقال بعض الشعراء وقد احضرت بين يدي صاحب أترجة

(سريع)

لله اترج غدا بيننا
معبرا عن حال ذي عبره
لما كسا الله ثياب الضنا
أهل الهوى وساكني البصرة

(رجع) ثم ركبت من ساحل البصرة في صنبوق وهو القارب الصغير إلى الإبله وبينها وبين البصرة عشرة أميال في بساتين متصلتين ونخيل مظلة عن اليممين واليسار والبياعة في ظلال الاشجار يبيعون الحبز والسمك والشعر واللبن والفواكه وفيما بين البصرة والإبله متعبد سهل بن عبد الله التستري فإذا حاذاه الناس بالسفن تراه يشربون الماء بما يحاذيه من الوادي ويدعون عند ذلك تبركا بهذا الولي رضي الله عنه والنواتية يجر فون في هذه البلاد وهم قيام وكانت الإبله مدينة عظيمة يقصدها تجار الهند وفارس شربت وهي الآن قرية بها آثار قصور وغيرها دالة على عظمتها ثم ركبت في الخليج الخارج من بحر فارس

في مركب صغير لرجل من أهل الابلّة يسمى بمغامس وذلك فيما بعد المغرب فصبحنا عبادان وهي قرية كبيرة في سبخة لا عمارة بها وفيها مساجد كثيرة ومتعبدات ورباطات للصالحين وبينها وبين الساحل ثلاثة أميال قال ابن جزى عبادان كانت بلدا فيما تقدم وهي مجذبة لا زرع بها وإنما يجاب إليها والماء أيضاً بها قليل وقد قال فيها بعض الشعراء

(سريع)

من مبالغ اندلسا انى حلت عبادان أقصى الثرا
أوحش ما أبصرت لسكنى قصدت فيها ذكرها في الورى
الخيز فيها يتساونهم وشربة الماء بها تشتري

(رجع) وعلى ساحل البحر منها رابطة تعرف بالنسبة إلى الخضر والياس عليها السلام وبازائها زاوية يسكنها أربعة من الفقراء بأولادهم يخدمون الرابطة والزاوية ويتعيشون من فتوحات الناس وكل من يمر بهم يتصدق عليهم وذكر لى أهل هذه الزاوية أن بعبادان عابدا كبيرا القدر ولا أنيس له يأتي هذا البحر مرة في الشهر فيصطاد فيه ما يقوته شهرا ثم لا يرى إلا بعد تمام شهر وهو على ذلك منذ أعوام فلما وصلنا عبادان لم يكن لى شأن إلا طلبه فاشتغل من كان معى بالصلاة في المساجد والمتعبدات وانطلقت طالبا له فجئت مسجدا خربا فوجدته يصلى فيه فجلست في جانبه فأوجز في صلاته ولما سلم اخذ بيدي وقال لى بلغك الله مرادك في الدنيا والآخرة فقد بلغت بحمد الله مرادى في الدنيا وهو السياحة في الأرض وبلغت من ذلك ما لم يبلغه غيرى فيما أعلمه وبقيت الاخرى والرجاء قوى في رحمة الله وتجاوزت بلوغ المراد من دخول الجنة ولما أتيت أصحابى أخبرتهم خبر الرجل وأعلمتهم بموضعه فذهبوا اليه فلم يجدوه ولا وقعوا له على خبر فعمجوا من شأنه وعدنا بالعشى إلى الزاوية فبتنا بها ودخل علينا أحد الفقراء الأربعة بعد صلاة العشاء الآخرة ومن عادة ذلك الفقير ان يأتي عبادان كل ليلة فيسرج السرج بمساجدها ثم يعود إلى زاويته فلما وصل إلى عبادان وجد الرجل العابد فأعطاه سمكة صارية وقال له أوصل هذه إلى الضيف الذى قدم اليوم فقال لنا الفقير عند دخوله علينا من رأى منكم الشيخ اليوم فقلت له أنا رأيت فقال يقول لك هذه ضيافتك فشكرت الله على ذلك وطبخ لنا الفقير تلك السمكة فأكلنا منها اجمعون وما أكلت قط سمكا أطيب منها وهجس في خاطرى الإقامة بقية العمر في خدمة ذلك الشيخ ثم صرفتنى النفس للهوى عن ذلك ثم ركبنا البحر عند الصبح بقصد بلدة ماجول ومن عادتنى في سفرى ان لا أعود على طريق

سلكتها ما أمكنني ذلك وكنت أحب قصد بغداد العراق فأشار على بعض أهل البصرة بالسفر إلى أرض اللوز ثم إلى عراق العجم ثم إلى عراق العرب فعملت بمقتضى اشارته ووصلنا بعد أربعة أيام إلى بلدة ماجول على وزن فاعول وجيمها معقودة وهي صغيرة على ساحل الخليج الذي ذكرنا أنه يخرج من بحر فارس وأرضها سبخة لاشجر فيها ولا نبات ولها سوق عظيمة من أكبر الأسواق واقمت بها يوما واحدا ثم اكرت دابة لركوبي من الذين يجلبون الحبوب من رامزا إلى ماجول وسرنا ثلاثا في صحراء يسكنها الاكراد في بيوت الشعر ويقال أن اصلهم من العرب ثم وصلنا إلى مدينة رامزا وأول حروفا (راء وآخرها زاي وميمها مكسورة) وهي مدينة حسنة ذات فواكه وأنهار ونزلنا بها عند القاضي حسام الدين محمود ولقيت عنده رجلا من أهل العلم والدين والورع هندي الأصل يدعى بهاء الدين ويسمى اسماعيل وهو من اولاد الشيخ بهاء الدين أبي زكريا الملتاني وقرأ على مشايخ تورين وغيرها وأقامت بمدينة رامزا ليلة واحدة ثم رحلنا منها ثلاثا في بسيط فيه قرى يسكنها الاكراد وفي كل مرحلة منها رواية فيها للوارد الخبز واللحم والحلواء وحاولوا ثم من رب العنب مخلوط بالدقيق والسمن .

وفي كل زاوية الشيخ والإمام والمؤذنون والخدام للفقراء والعبيد يطبخون الطعام ثم وصلت مدينة تستر وهي آخر البسيط من بلاد اتابك وأول الجبال مدينة كبيرة رائقة فضرة وبها البساتين الشريفة والرياض المنيفة ولها المحاسن البارعة والأسواق الجامعة وهي قديمة البناء افتتحها خا الدين الوليد وإلى هذه المدينة ينسب سهل بن عبد الله ويحيط بها النهر المعروف بالارزق وهو عجيب في نهاية من الصفا شديدة البرودة في أيام الحر ولم أر كزرقته إلا نهر بالخرشان ولها باب وأحد للمسافرين يسمى دروازة دسبول والدروازة عندهم الباب ولها ابواب غير شارعة إلى النهر وعلى جانبي النهر البساتين والدواليب والنهر عميق وعلى باب المسافرين منه جسر على القوارب كجسر بغداد والحلة قال ابن جزى وفي هذا النهر يقول بعضهم

(كامل)

انظر لشاذروان تستر واعجب من جمعه ماء لرى بلاده
كميت قسوم جمعت امواله فغدا يفرقه على اجناده

والفواكح تستر كثيرة والخيرات متيسرة ولا مثل لأسواقها في الحسن وبخارجها تربة معظمة يقصدها أهل تلك الاقطار للزيارة وينذرون لها النذور ولها زاوية بها جماعة من الفقراء وهم يزعمون أنها تربة زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكان

نزولى من مدينة تستر فى مدرسة الشيخ الامام الصالح المتوفى شرف الدين موسى ابن الشيخ الصالح الامام العالم صدر الدين سليمان وهو من ذرية سهل بن عبد الله وهذا الشيخ ذو مكارم وفضائل جامع بين العلم والدين والصلاح والايتار وله مدرسة وزاوية وخدامها فتيان له اربعة سنبل وكافور وجوهر وسرور احدهم موكل بأوقاف الزاوية والثانى متصرف فيما يحتاج اليه من النفقات فى كل يوم والثالث خديم السماط بين ايدي الواردين ومرتب الطعام لهم والرابع موكل بالطباخين والسقائين والفراشين فأقامت عنده ستة عشر يوماً فلم أر أعجب من تربيته ولا ارغد من طعامه يقدم بين يدي الرجل ما يكفي الاربعة من الارز المغفل المطبوخ فى السمن والدجاج المقلّى والخبز واللحم والحلواء وهذا الشيخ من احسن الناس صورة واقومهم سيرة وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع ولما شاهدت مجالسه فى الوعظ صغر لدى كل واعظ رأيت قبله بالحجاز والشام ومصر ولم الق فيمن لقيته مثله .

حضرت يوماً عنده ببستان له على شاطئ النهر وقد اجتمع فقهاء المدينة وكبراؤها وأتى الفقهاء من كل ناحية فأطعم الجميع ثم صلى بهم صلاة الظهر وقام خطيباً وواعظاً بعد ان قرأ القرآن امامه باللاحين المبكية والنفحات المحركة المهيجة وخطب خطبة بسكية ووقار وتصرف فى فنون العلم من تفسير كتاب الله وايراد حديث رسول الله والتسليم على معانيه ثم ترامت عليه الرقاع من كل ناحية ومن عادة الاعاجم ان يكتبوا المسائل فى رقاع ويرموا بها الى الواعظ فيجيب عنها فلما رمى اليه بتلك الرقاع جمعها فى يده واخذ يجيب عنها واحدة بعد واحدة بأبدع جواب واحسنه وحان وقت صلاة العصر فصلى بالقوم وانصرفوا وكان مجلسه مجلس علم ووعظ وبركة وتبادر الناثبون فأخذ عليهم العهد وجز نواصبيهم وكانوا خمسة عشر رجلاً من الطلبة قدموا من البصرة برسم ذلك وعشرة رجال من عوام تستر .

(حكاية)

لما دخلت هذه المدينة أصابني مرض الحصى وهذه البلاد يحكم داخلها فى زمان الحركا يعرض فى دمشق وسواها من البلاد الكثرة الميساه والقواكه واصابت الحصى اصحابي ايضاً فأت منهم شيخ اسمه يحيى الحراساني وقام الشيخ بتجهيزه من كل ما يحتاج اليه الميت وصلى عليه وتركت بها صاحب يدعى بهاء الدين الحثني فأت بعد سفرى وكنت حين مرضى لا اشتهى الاطعمة التى تصنع لى بمدرسته فذكر لى العقبة شمس الدين السندى من طلبتها طعاماً فالشهيته ودفعت له دراهم وطبخ لى ذلك الطعام بالسوق وأتى به لى فأكلت منه وبلغ ذلك الشيخ فشق عليه وأنى لى وقال لى كيف تفعل هذا وتطبخ الطعام

في السوق وهلا أمرت الخدم أن يصنعوا لك ما تشتهي ثم أحضر جميعهم وقال لهم جميع ما يطلب منكم من أنواع الطعام والسكر وغيره فأتوه به واطبخوا له ما يشاء وأكده عليهم في ذلك أشد التأكيد ، جزاه الله خيراً .

ثم سافرنا من مدينة تستر ثلاثاً في جبال شاذغة وبكل منزل زاوية كما تقدم ذكر ذلك ووصلنا إلى مدينة لينج (وضبط اسمها بكسر الهمزة وياء مد وذل معجم مفتوح وجيم) وتسمى أيضاً مال الأمير وهي حضرة السلطان أتابك وعبد وصولي بها اجتمعت بشيخ شيوخها العالم الورع نور الدين السكرماني وله النظر في كل الزوايا وهم يسمونها المدرسة والسلطان يعظمه ويقصد زيارته وكذلك أرباب الدولة وكبراء الحضرة يزورونه غدرا وعشيا فأكرموني وأضافني وأنزاني زاوية تعرف باسم الدينوري وأقمت بها أياماً وكان وصولي في أيام القيظ وكنا نصلي صلاة الليل ثم ننام بأعلى سطحها ثم ننزل إلى الزاوية ضحوة وكان في صحبتي اثنا عشر فقيراً منهم إمام وقارئان مجيدان وخدام ونحن على أحسن ترتيب .

(ذكر ملك لينج وتستر)

وملك لينج في عهد دخولي بها السلطان أتابك أفراسياب بن السلطان أتابك أحمد وatabك عندهم سمة لجميع من يلي تلك البلاد من ملك وهي تسمى بلاد الور وولي هذا السلطان بعد أخيه أتابك يوسف وولي يوسف بعد أبيه أحمد وكان أحمد المذكور ملكاً صالحاً سمعت من الثمالة ببلاده أنه عمر أربعين سنة وستين زاوية ببلاده منها بحضرة لينج أربع وأربعون وقسم الخراج اثلاثاً ثلث للنفقة الزوايا والمدارس وثلث لمرتب المساكن وثلث للنفقة عياله وعبيده وخدامه وبعث منه هدية لملك العراق في كل سنة وربما وفد عليه بنفسه وشاهدت من آثاره الصالحة ببلاده أن أكثرها في جبال شاذغة وقد نحتت الطرق في الصخور وسويت ووسعت بحيث تصعد الدواب بأحمالها ، وطول هذه الجبال مسيرة سبعة عشر في عرض عشرة وهي شاهقة متصل بعضها ببعض تشققها الأنهار وشجرها البلوط وهم يصنعون من دقيقه الخبز وفي كل منزل من منازلها زاوية يسمونها المدرسة فإذا وصل المسافر إلى مدرسة منها أتى بما يكفيه من الطعام والعلف لدايته سواء طلب ذلك أو لم يطلبه فان عادتهم أن يأتي خدام المدرسة فيبعد من نزل بها من الناس ويعطى كل واحد منهم قرصين من الخبز ولحمًا وحلواء وجميعه من اوقاف السلطان عليها ، وكان السلطان أتابك أحمد زاهداً صالحاً كما ذكرناه يلبس تحت ثيابه بما يلي جسده ثوب شعر .

(حكاية)

قدم السلطان اتابك احمد مرة على ملك العراق ابي سعيد فقال له بعض خواصه إن اتابك احمد يدخل عليك وعليه الدرع وظن ثوب الشعر الذى تحت ثيابه درعا فأمرهم باختبار ذلك على جهة من الانبساط ليعرف حقيقته فدخل عليه يوما فقام اليه الأمير الجوان عظيم امراء العراق والأمير سويته أمير ديار بكر والشيخ حسن الذى هو الآن سلطان العراق وامسكوا بشيابه كأنهم يمازحونه فوجدوا تحت ثيابه ثوب الشعر ورآه السلطان ابو سعيد وقام اليه وعانقه واجلسه إلى جواره وقال له سن اطا بالتركية ومعناه انت ابي وعوضه عن هديته بأضعافها وكتب له اليرليخ وهو الظهير أن لا يطالبه بهدية بعدها هو ولا اولاده وفى تلك السنة توفى وولى ابنه اتابك يوسف عشرة أعوام ثم ولى اخوه افراسياب ولما دخلت مدينة لاذيق اردت رؤية افراسياب المذكور فلم يتأت لى ذلك بسبب انه لا يخرج إلا يوم الجمعة لإدانة على الخنز وكان له ابن هو ولى عهده وايس له سوا فمرض فى تلك الأيام وفى إحدى الليالى أتانى أحد خدامه وسألنى عن حالى فعرفته وذهب ثم جاء بعد صلاة المغرب ومعه حليقوران كبيران أحدهما بالطعام والآخر بالفاكهة وخريطة فيها دراهم ومعه اهل السماع بالأنهم وقال عملوا السماع حتى يزهد الفقراء ويدعون لابن السلطان فقلت له إن اصحابى لا يدرون بالسماع ولا بالرقص ودعونا للسلطان ولولده وقسمت الدراهم على الفقراء ولما كان نصف الليل سمعنا الصراخ وقد مات المريض المذكور وفى الغد دخل على شيخ الزاوية واهل البلد وقالوا إن كبيراء المدينة من القضاة والفقهاء والأشراف والأمراء قد ذهبوا إلى دار السلطان للعزاء فينبغى لك ان تذهب فى جمعتهم فأبيت أفعمز وما على فلم يكن لى بد من المسير وسرت معهم فوجدت مشور دار السلطان يمثلها رجالا وصبيانا من المماليك وابناء الملوك والوزراء والأجناد قد لبسوا التلايس وجلال الدواب وجعلوا فوق رؤسهم التراب والتين وبعضهم قد جز ناصيته وانقسموا فرقتين فرقة بأعلى المشور وفرقة بأسفله وتزحف كل فرقة إلى الأخرى وهم ضاربون بأيديهم على صدورهم قائلين خوند كار ما ومعناه مولاي أنا قرأيت من ذلك امراً هائلاً ومنظراً فظيماً لم اعهده مثله .

(حكاية)

ومن غريب ما اتفق لى يومئذ أنى دخلت فرأيت القضاة والخطباء والشرفاء قد استندوا إلى حيطان المشور وهو غاص بهم من جميع جهاته وهم بين باك ومتباك ومطرون وقد لبسوا فوق ثيابهم ثياباً خامة من غليظ القطن غير محكمة الخياطة بطائنها إلى أعلى ووجوهها مما يلي أجسادهم وعلى راس كل واحد منهم خرقه او مشرر اسود ، وهكذا يكون

فعلهم إلى تمام أربعين يوماً وهي نهاية الحزن عندهم وبعدها يبعث السلطان لسكل من فعل ذلك كسوه كاملة .

فلما رأيت مذبات المشور غاصة بالناس نظرت يميناً وشمالاً ارتاد موضعاً لجالوسي فرأيت هنالك سقيفة مرتفعة عن الأرض بمقدار شبر وفي إحدى زواياها رجل منفرد عن الناس قاعد عليه ثوب صوف مثل اللبد يلبسه بتلك البلاد ضعفاء الناس أيام المطر والثلج وفي الأسفار فتقدمت منه وانقطع عني أحماني لما رأوا إقدامي نحوه وعجبوا مني وأنا لا أعلم لى بشيء من حاله فصعدت السقيفة وسلمت على الرجل فرد على السلام وارتفع عن الأرض كأنه يريد القيام وهم يسمون ذلك نصف القيام وقعدت في الركن المقابل له ثم نظرت إلى الناس وقد رموني بأبصارهم جميعاً فعجبت منهم ، ورأيت الفقهاء والمشايع والأشراف مستندين إلى الحائط تحت السقيفة وأشار إلى أحد القضاة أن أحط إلى جانبه فلم أفعل وحينئذ استشعرت أنه السلطان فلما كان بعد ساعة أتى شيخ المشايخ نور الدين السكرماني الذي ذكرناه قبل فصعد إلى السقيفة وسلم على الرجل فقام إليه وجلس فيما بيني وبينه فحينئذ علمت أنه السلطان .

ثم جئنا بالجنائز وهي بين أشجار الأترج والليمون وقد ملؤا أغصانها بثمارها وهي بأيدي الرجال فسكان الجنائز تمشي في بستان والمشاغل في رماح طوال بين يديها والشجع كذلك فصلى عليها وذهب الناس معها إلى مدفن الملوك وهو بموضع يقال له هلافيجان على أربعة أميال من المدينة وهنالك مدرسة عظيمة يشقها نهر وبداخلها مسجد تقام فيه الجمعة ويخرجها حمام ويحف بها بستان عظيم وبها الطعام للوارد والصادر ولم أستطع أن أذهب معهم إلى المدفن لبعث الموضوع فعدت إلى المدرسة

فلما كان بعد أيام بعث إلى السلطان رسوله الذي أتاني بالضيافة أولاً يدعوني إليه فذهبت معه إلى باب يعرف بباب السر وصعدنا في درج كثيرة إلى أن انتهينا إلى موضع لا فرش به لأجل ما هم فيه من الحزن والسلطان جالس فوق نخدة وبين يديه آئتين قد غطيتا إحداهما من الذهب والأخرى من الفضة وكانت بالمجلس سجادة خضراء ففرشت لى بالقرب منه وقعدت عليها وليس بالمجلس إلا حاجبه الفقيه محمود ونديم له لا أعرف اسمه فسأني عن حاله وبلادي وسأني عن الملك الناصر وبلاد الحجاز فأجبت عن ذلك ثم جاء فقيه كبير هو رئيس فقهاء تلك البلاد ، فقال لي السلطان : هذا مولانا فضيل والفقيه ببلاد الأعاجم كلها إنما يخاطب بمولانا وبذلك يدعو السلطان وسواء ، ثم أخذ في الثناء على الفقيه المذكور ، وظهر لي أن السكر غالب عليه ، وكنت قد عرفت إدمانه على الخمر ثم قال لي باللسان العربي وكان يحسنه تكلم

فقلت له إن كنت تسمع منى أقول لك انت من أولاد السلطان أتابك أحمد المشهور بالزهد والصلاح وليس فيك ما يقدر في سلطنتك غير هذا وأشرت إلى الآيتين فجعل من كلامي وسكت وارتدت الانصراف فأمرني بالجلوس وقال لي الاجتماع مع أمثالك رحمة ثم رايته يتمايل ويريد النوم فأنصرفت وكنت تركت نعلي بالباب فلم أجده فنزل الفقيه محمود في طلبه وصعد الفقيه فضل يطلبه في داخل المجلس فوجده في طاق هنالك فأتى به فأخرجني بره واعتذرت اليه فقبل نعلي ووضعته على رأسه وقال لي بارك الله فيك هذا الذي قلته لسلطاننا لا يقدر احد ان يقوله له غيرك والله إنى لأرجو ان يؤثر ذلك فيه .

ثم كان رحيل من حضرة لا يذبح بعد ايام فنزلت بمدرسة السلاطين التي بها قبورهم واقتت بها اياما وبعث إلى السلطان بحملة دنانير وبعث بمثلها لأصحابي وسافرنا في بلاد هذا السلطان عشرة ايام في جمال شاحخة وفي كل ليلة نزل بمدرسة فيها الطعام فمعها ما هو في العماره ومنها ما لاعماره حوله ولسكن يحلب اليها جميع ما تحتاج اليه وفي اليوم العاشر نزلنا بمدرسة تعرف بمدرسة كرويو الخ وهي آخر بلاد الملك وسافرنا منها في بسيط من الأرض كثير المياه من عمالة مدينة اصفهان

ثم وصلنا إلى بلدة اشتركان (وضبط اسمها بضم الهمزة وإسكان الشين المعجم وضم التاء المعلولة وإسكان الراء وآخره نون) وهي بلدة حسنة كثيرة المياه والبساتين ولها مسجد بديع يشق النهر ثم رحلنا منها إلى مدينة فيروزان واسمها كأنه تشية فيروز وهي مدينة صغيرة ذات انهار واشجار وبساتين وصلناها بعد صلاة العصر فراينا أهلها قد خرجوا للتشيع جنازة وقد اوقدوا خلفها وامامها المشاعل واتبعوها بالمزامير والمغنيين بأنواع الأغاني المطربة ، فمعجبنا من شأنهم وبقننا بها ليلة وسررنا بالغد بقرية يقال لها نيلان وهي كبيرة على نهر عظيم وإلى جانبها مسجد على النهاية من الحسن تصعد اليه في درج وتحفه البساتين وسرنا يومنا فيما بين البساتين والمياه والقرى الحسان وابراج الحمام ووصلنا بعد العصر إلى مدينة اصفهان من عراق المعجم (واسمها يقال بالغاء الخالصة ويقال بالغاء المعقودة المخففة) ومدينة اصفهان من كبار المدن وحسانها إلا انها الآن قد خرب أكثرها بسبب الفتنة التي بين أهل السنة والروافض وهي متصلة بينهم حتى الآن فلا يزالون في قتال وبها الفواكة السكثيرة ومنها المشمش الذي لا نظير لها يسمونه بقمر الدائن وهم ييسونه ويدخرونه ونواه ينسكس عن لوز حلوا ومنها السفرجل الذي لا مثيل له في طيب المطعم وعظم الجرم والاعتاب الطيبة والبطيخ العجيب الشأن الذي لا مثيل له في الدنيا إلا ما كان من بطيخ بخاري وخوارزم وقشره

أخصر وداحله أحمر ويدخر كما تدخر الشريحة بالمغرب وله حلة شديدة ومن لم يكن ألف
أكلة فانه في أول أمره يسلمه وكذلك اتفق لي لما أكلته باصفهان وأهل أصفهان حسان الصور
والوانهم بيض زاهرة مشوبة بالحمرة والغالب عليهم الشجاعة والنجدة وفيهم كرم وتنافس
عظيم فيما بينهم في الاطعمة تؤثر عنهم فيه أخبار غريبة ومادعا أحدهم صاحبه فيقول له
أذهب معي لنأكل نان وماس والنان بلسانهم الخبز والماس اللبن فإذا ذهب معه اطعمه
أنواع الطعام العجيب مباهايه بذلك وأهل كل صناعة يقدمون على أنفسهم كبير أمنهم
يسمونه البكوة وكذلك كبار المدينة من غير أهل الصناعات وتسكون الجماعة من الشبان
الاعزاب وتفاخر تلك الجماعات ويضيف بعضهم بعضا مظهرين لما قدروا عليه من الامكان
مختلفين في الأطعمة وسواها الاحتفال العظيم ولقد ذكر لي أن طائفة منهم أضافت أخرى
فطبخوا طعامهم بنار الشمع ثم أضافها الأخرى فطبخوا طعامهم بالحرير وكان نزولي باصفهان
في زاوية تنسب للشيخ علي بن سهل تلميذ الجنيد وهي معظمة يقصدها أهل تلك الآفاق
ويتبركون بزيارتها وفيها الطعام لو اردوا الصادر وبها حمام عجيب مقروش بالرخام وحيطان
بالقاشاني وهو موقوف في السبيل لا يلزم أحدا في دخوله شيء وشيخ هذه الزاوية
الصالح العابد الورع قطب الدين حسين بن الشيخ الصالح ولي الله شمس الدين محمد بن
محمود بن علي المعروف بالرجاء واخوه العالم المفتي شهاب الدين أحمد أقمت عند الشيخ
قطب الدين بهذه الزاوية أربعة عشر يوما فرأيت من اجتهاده في العبادة وحبه في الفقراء
والمساكين وتواضعه لهم ما قضيت منه العجب بالغ في اكرامي واحسن ضيافتي وكساني
كسوة حسنة وساعة وصولي الزاوية بعث إلى الطعام وبثلاث بطيخات من البطيخ الذي
وصفناه آنفا ولم أكن رأيت قبل ولا أكلته ﴿كرامة لهذا الشيخ﴾

دخل علي يوما موضع نزولي من الزاوية وكان ذلك الموضع يشرف على بستان للشيخ
وكانت ثيابه قد غسلت في ذلك اليوم ونشرت في البستان ورأيت في جملتها جبة بيضاء مبطنة
تدعى عندهم هزرميني فاعجبته في وقت في نفسي مثل هذه كنت اريد فلما دخل علي الشيخ
نظر في ناحية البستان وقال لبعض خدامه اثني بذلك الثوب الهزرميني فاتوا به فكساني
لياه فاهويت إلى قدميه أقبلهما وطلبت منه أن يلبسني طاقية من رأسه ويحيزني في ذلك بما
أجاز به والده عن شيوخه فالبسني اياها في الرابع عشر لجمادى الاخيرة سنة سبع وعشرين
وسبعمائة بزأوته المذكورة كما لبس من والده شمس الدين ولبس من والده أبيه تاج
الدين محمود ولبس محمود من أبيه شهاب الدين على الرجاء ولبس علي من الإمام شهاب

الدين ابي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي ولبس عمر من الشيخ الكبير ضياء الدين ابي النجيب السهروردي ولبس ابو النجيب من عمه الامام وحيد الدين عمر ولبس عمر من والده محمد بن عبد الله المعروف بعمويه ولبس محمد من الشيخ أخى فرج الزنجاني ولبس اخو فرج من الشيخ احمد الدينوري ولبس احمد من الامام مشاد الدينوري ولبس مشاد من الشيخ المحقق علي بن سهل الصوفي ولبس علي ابي القاسم الجنيد ولبس الجنيد من سري السقطي ولبس سري السقطي من داود الطائي ولبس داود من الحسن بن ابي الحسن البصري ولبس الحسن بن ابي الحسن البصري من أمير المؤمنين علي بن ابي طالب قال ابن جزى هكذا أورد الشيخ أبو عبد الله هذا السند والمعروف فيه أن سريا السقطي صاحب معروف السكرخي وصاحب معروف داود الطائي وكذلك داود الطائي بينه وبين الحسن حبيب العجمي وأخوه فرج الزنجاني إنما المعروف أنه صاحب ابا العباس النهاوندي وصاحب النهاوندي ابا عبد الله بن خفيف وصاحب ابن خفيف ابا محمد وربما صاحب روجم ابا القاسم الجنيد واما محمد بن عبد الله عمويه فهو الذي صاحب الشيخ احمد الدينوري الاسود وليس بينهما احد والله اعلم والذي صاحب اخا فرج الزنجاني هو عبد الله بن ابن محمد بن عبد الله والد ابي النجيب (رجع) ثم سافرنا من اصفهان بقصد زيارة الشيخ محمد الدين بشيراز وبينها مسيرة عشرة ايام فوصلنا إلى بلدة كليل (وضبطها بفتح الكاف وكسر اللام وياء مد) وبينهما وبين اصفهان مسيره ثلاثة وهي بلدة صغيرة ذات انهار وبساتين وفواكه اريت التفاح يباع في سوقها خمسة عشر رحلا عراقية بدرهم ودرهمهم ثلث النقرة ونزلنا منها بزواية عمرها كبير هذه البلدة المعروف بخواجه كافى وله مال عريض قد اعانه الله على انفاقه وسبيل الخيرات من الصدقة وعمارة الزوايا والطعام الطعام لا بناء السبيل ثم سرنا من كليل يومين ووصلنا إلى قرية كبيرة تعرف بصوماء وبها زوايا فيها الطعام للوارد والصادر عمرها خواجه كان المذكور ثم سرنا منها إلى يزد خاص (وضبط اسمها بفتح الياء آخر الحروف واسكان الزاي وضم الدال المهملة وخاء معجم وألف وصاد مهملة) بلدة صغيرة متقنة العمارة حسنة السوق والمسجد الجامع بها عجيب مبنى بالحجارة مسقف بها والبلدة على صفة خندق فيه بساتينها ومياها وبخارجها باط ينزل به المسافرون عليه باب حديد وهو في النهاية من الحصانة والمنفعة وبداخله حوانيت يباع فيها كل ما يحتاجه المسافرون وهذا الرباط عمره الامير محمد شاه ينجو والد السلطان ابي اسحاق ملك شيراز وفي يزد خاص يصنع الجبن اليزد خاصي ولا تظهر له في طبيبه وزن الجبنه منه

من أوقيتين إلى أربع ثم سرنا منها على طريق دشت الروم وهى صحراء يسكنها
الأتراك ثم سافرنا إلى ماين (واسمها بباءين مسفولتين أو لاهما مكسورة) وهى بلدة
صغيرة كثيرة الأنهار والبساتين حسنة الأسواق وأكثر أشجارها الجوز ثم سافرنا منها
إلى مدينة شيراز وهى مدينة أصلية البناء فسيحة الأرجاء شهيرة الذكر منيفة القدر لها
البساتين الموقفة والأنهار المتدفقة والأسواق البديعة والشوارع الرفيعة وهى كثيرة
العمارة متقنة المباني عجيبة الترتيب وأهل كل صناعة فى سوقها لا يخاطهم غيرهم حسان
الصور نظاف الملابس وإيس فى المشرق بلدة تدانى مدينة دمشق فى حسن أسواقها وبساتينها
وأنهارها وحسن صور ساكنيها إلا شيراز وهى فى بساط من الأرض تحف بها
البساتين من جميع الجهات وتشققها خمسة أنهار أحدها النهر المعروف بركن آباد وهو عذب
الماء شديد البرودة فى الصيف سخن فى الشتاء فينبعث من عين فى سفح جبل هنالك يسمى
القلبعه ومسجدها الأعظم يسمى بالمسجد العتيق وهو أكبر المساجد ساحة وأحسنها
بناء وصحنه متسع مفروش بالمرمر ويفسل فى أوان الحر كل ليلة ويجتمع فيه كبار أهل
المدينة كل عشية ويصلون به المغرب والعشاء وبشماله باب يعرف بباب حسن يفضى
إلى سوق الفاكمة وهى من إبداع الأسواق وأنا أقول بتفضيلها على باب البريد من دمشق
وأهل شيراز أهل صلاح دين وعفاف وخصوصا نساؤها وهن يلبسن الخفاف ويخرجن
ماتحفات متبرعات فلا يظهر منهن شئ ولهن الصدقات والايثار ومن غريب حالهن انهن
يجمعن لسماع الواعظ فى كل يوم اثنين وخميس وجمعة بالجامع الأعظم فرما اجتمع منهن
الآلاف والآلاف بايديهن المراوح يروحن بها على انفسهن من شدة الحر ولم ار اجتماع
النساء فى مثل عددهن فى بلدة من البلاد وعند دخولى إلى مدينة شيراز لم يكن لى هم
إلا قصد الشيخ القاضى الامام قطب الأولياء فريد الدهر ذى الكرامات الظاهرة مجد
الدين اسماعيل بن محمد بن خداد ومعنى خداد عطية الله فوصلت إلى المدرسة المجدية
المنسوبة اليه وبها سكنها وهى من عمارته فدخلت اليه رابع اربعة من اصحابى ووجدت
الفقهاء وكبار أهل المدينة فى انتظاره فخرج إلى صلاة العصر ومعه محب الدين وعلاء الدين
ابنا اخيه شقيقه روح الدين احدهما عن يمينه والاخر عن شماله وهما نائباه فى القضاء لضعف
بصره وكبر سنه فسلمت عليه وعاثنى وأخذ يبدى لى أن وصل إلى مصلاه فارسل يدى
واوما إلى أن أصلى إلى جانبه ففعلت وصلى العصر ثم قرىء بين يديه من كتاب المصابيح
وشوارق الأنوار للصاغاني وطالعا نائباه بما جرى لديهما من القضايا وتقديم كبار

المدينة للسلام عليه وكذلك عادتهم معه صباحا ومساء ثم سألتني عن حالى وكيفية قدومى وسألتني عن المغرب ومصر والشام والحجاز فأخبرته بذلك وأمر خدامه فأنزلوني بدويرة صغيرة بالمدرسة وفي غد ذلك اليوم وصل اليه رسول ملك العراق السلطان أبي سعيد وهو ناصر الدين البرقندى من كبار الأمراء خراسانى الأصل فعند وصوله اليه نزع شاشيته عن راسه وهم يسمونها السكلا وقبل رجل القاضى وقعد بين يديه ممسكا اذن نفسه بيده وهكذا فعل امرأ التتر عند ملوكهم وكان هذا الأمير قد قدم فى نحو خمسمائة فارس من مماليكه وخدامه واصحابه ونزل خارج المدينة ودخل إلى القاضى فى خمسة نفر ودخل مجلسه وحده منفرداً ناديا .

(حكاية هى السبب فى تعظيم هذا الشيخ وهى من الكرامات الباهرة)

كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده قد صحبه فى حال كفره فقيه من الروافض الامامية يسمى جمال الدين بن مطهر فلما اسلم السلطان المذكور واسلمت باسلامه التتر زاد فى تعظيم هذا الفقيه فزين له مذهب الروافض وفضله على غيره وشرح له حال الصحابة والخلافة وقرلديه أن أباه بكر وعمر كانا وزيرين لرسول الله وان عليا ابن عمه وصهره فهو وارث الخلافة ومثل له ذلك بما هو مألوف عنده من أن الملك الذى بيده انما هو وارث عن أجداده وأقاربه مع حدثان عهد السلطان بالكفر وعدم معرفته بقواعد الدين فأمر السلطان بحمل الناس على الرضى وكتب بذلك إلى العراقيين وفازس وأذر بيجان واصفهان وكرمان وخراسان وبعث الرسل إلى البلاد فكان أول بلاد وصل إليها بغداد وشيراز واصفهان فأما أهل بغداد فامتنع أهل باب الأزج منهم وهم أهل السنة وأكثرتهم على مذهب الامام احمد بن حنبل وقالوا لاسمع ولا طاعة وأتوا المسجد الجامع فى يوم الجمعة ومعهم السلاح وبه رسول السلطان فلما صعد الخطيب المنبر قاموا إليه وهم اثني عشرة الفا فى سلاحهم وهم حاة بغداد والمشار اليهم فيها فحلفوا له أنه إن غير الخطبة المعتادة إن زاد فيها أو نقص منها فانهم قاتلوه وقاتلوا رسول الملك ومستسلمون بعد ذلك لما شاهده الله وكان السلطان امر بأن تسقط اسماء الخلفاء وسائر الصحابة من الخطبة ولا يذكر إلا اسم على ومن تبعه كعباد رضى الله عنهم تخاف الخطيب من القتل وخطب الخطبة المعتادة وفعل أهل شيراز واصفهان كفعول أهل بغداد فرجعت الرسل إلى الملك فأخبروه بما جرى فى ذلك فأمر أن يؤتى بقضاة المدن الثلاث فكان أول من أتى به منهم القاضى بجد الدين قاضى شيراز والسلطان اذ ذاك فى موضع يعرف بقراباغ وهو موضع مصيفه فلما وصل

القاضي أمر أن يرمى به إلى السكّاب التي عنده وهي كلاب ضخام في أعناقها السلاسل معدة لأكل بني آدم فإذا أوتي بمن يسلط عليه السكّاب جعل في رحبة كبيرة مطلقا غير مقيد ثم بعثت تلك السكّاب عليه فيفرأ ماها ولا مفرله فتدركه فتمزقه وتاكل لحمه فلما أرسات السكّاب على القاضي مجد الدين ووصلت اليه بصيصت اليه وحركت أذنانها بين يديه ولم تهجم عليه بشيء فباغ ذلك السلطان فخرج من داره حافي القدمين فأكب على رجلي القاضي يقبلهما وأخذ بيده وخلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب وهي أعظم كرامات السلطان عندهم وإذا خلع ثيابا به كذلك على أحد كانت شرفا له ولبنيه وأعقابا به يتوارثونه مادامت تلك الثياب أو شيء منها وأعظمها في ذلك السراويل ولما خلع السلطان ثيابا به على القاضي مجد الدين أخذ بيده وأدخله إلى داره وأمر نساءه بتعظيمه والتبرك به ورجع السلطان عن مذهب الرافض وكتب إلى بلاده أن يقر الناس على مذهب أهل السنة والجماعة وأجزل العطاء للقاضي وصرفه إلى بلاده مكرما معظما وأعطاه في جملة عطاياه مائة قرية من قرى جملان وهو خندق بين جبلين طوله أربعة وعشرون فرسخا يشقه نهر عظيم القرى منتظمة بجانيه وهو أحسن موضع بشيراز ومن قرأه العظيمة التي تضاهي المدن قرية إيمين وهي للقاضي المذكور ومما عجايب هذا الموضع المعروف بجمكان أن نصفه مما يلي شيراز وذلك مسافة اثني عشر فرسخا شديد البرد وينزل فيه الثايج وأكثر شجره الجوز والجزء الآخر مما يلي بلاد هنج وبال وبلاد اللار في طريق هرمز شديد الحر وفيه شجر النخيل .

وفد تسكرر إلى لقاء القاضي مجد الدين ثمانية حين خروجي من الهند قصدته من هرمز متبركا بلبقائه وذلك سنة ثمان وأربعين وبين هرمز وشيراز مسيرة خمسة وثلاثين يوما فدخلت عليه وهو قد ضعف عن الحركة فسلمت عليه فعرفني وقام إلى فعا نقني ووقعت يدي على مرفقه وجلده لاصق بالعظم لالحم بينهما وأنزاني بالمدرسة حيث أنزاني أول مرة وزرته يوما فوجدت ملك شيراز السلطان أبا إسحاق وسيقع ذكره قاعدا بين يديه ممسكا بإذن نفسه وذلك هو غاية الأدب عندهم ويفعله الناس إذا قعدوا بين يدي الملك وأتيته مرة أخرى إلى المدرسة فوجدت بابها مسدودا فسألت عن سبب ذلك فأخبرت أن أم السلطان وأخته نشأت بينهما خصومة في ميراث فصر فهما إلى القاضي مجد الدين فوصلتا إليه إلى المدرسة ونحا كتما عنده وفصل بينهما بواجب الشرع وأهل شيراز لا يدعونه بالقاضي وإنما يقولون له مولانا أعظم وكذلك يكتبون في التسميات والمعمود التي

تفتقر الى ذكر اسمه فيها وكان آخر عهدي به في شهر ربيع الثاني من عام ثمانية وأربعين وسبعمائة ولاحت على أنواره وظهرت لي بركاته نفخ الله به وبأمثاله

(ذكر سلطان شيراز)

وسلطان شيراز في عهد قدومي عليها الملك الفاضل ابو اسحاق بن محمد شاه ينجو سماه أبوه باسم الشيخ أبي اسحاق الكازروني نفخ الله به وهو من خيار السلاطين حسن الصورة والسيرة والهيئة كريم النفس جميل الأخلاق متواضع صاحب قوة وملك كبير وعسكره ينيف على خمسين الفا من الترك والأعاجم وبطائه الأذنون اليه اهل اصفهان وهو لا ياتمن أهل شيراز على نفسه ولا يستخدمهم ولا يقربهم ولا يبيع لأحد منهم حمل السلاح لأنهم أهل نجدة وبأس شديد وجراءة على الملوك ومن وجد بيده السلاح منهم عوقب ولقد شاهدت رجلا مرة تجره الجنادرة وهم الشرط الى الحاكم وقد ربطوه في عنقه فسألت عن شأنه فاخبرت انه وجدت في يده قوس بالليل فذهب السلطان المذكور الى قهر أهل شيراز وتفضيل الاصفهانيين عليهم لأنه يخافهم على نفسه وكان أبوه محمد شاه ينجو واليا على شيراز من قبل ملك العراق وكان حسن السيرة محببا الى أهلها فلما توفي ولي السلطان أبو سعيد مكانه الشيخ حسينا وهو ابن الجويان أمير الأمراء وسمي أتى ذكره وبعث معه العساكر الكثيرة فوصل الى شيراز وملسكها وضبط مجابها وهي من أعظم بلاد الله مجى . ذكر لي الحاج قوام الدين الطمغجي وهو والي المجي بها انه ضمنها بعشرة آلاف دينار دراهم في كل يوم وصرفها من ذهب المقرب الفان وخمسمائة دينار ذهباً وأقامها الأمير حسين مدة ثم أراد القدوم على ملك العراق فقبض على أبي اسحاق بن محمد شاه ينجو وعلى أخويه ركن الدين ومسعود بك وعلى والدته طاش خاتون وأراد حملهم الى العراق ليطلبوا بأموال أبيهم فلما توسطوا السوق بشيراز كشفت طاش خاتون وجهها وكانت متبرقة حياء أن ترى في تلك الحال فان عادة نساء الأتراك أن لا يغطين وجوههن واستغاثت بأهل شيراز وقالت أهكذا يا أهل شيراز أخرج من بينكم وأنا فلانة زوجة فلان فقام رجل من التجارين يسمى بهلوان محمود قد رأيته بالسوق حين قدومي على شيراز فقال لا نتركها تخرج من بلدنا ولا نرضى بذلك فتابعه الناس على قوله وثاروا عامتهم ودخلوا في السلاح وقتلوا كثير من العسكر وأخذوا الأموال ونخلصوا المرأة وأولادها وفر الأمير حسين ومن معه وقدم على السلطان أبي سعيد مهزوما فأعطاه العساكر الكثيفة وأمره بالعود الى شيراز والتحكم في أهلها بما شاء فلما بلغ أهلها ذلك علموا انهم لا طاقة لهم به فقصدها القاضي مجيد الدين وطلبوا منه أن يحقن دماء الغريقتين ويوقع الصلح فيخرج الى

الأمير حسن فترجل له الأمير عن فرسه وسلم عليه ووقع الصلح ونزل الأمير حسين ذلك اليوم خارج المدينة فلما كان من الغد برز أهلها للقائه في أجمل ترتيب وزينوا البلد وأوقدوا الشمع الكثير ودخل الأمير حسين في أبيه وحفل عظيم وسار فيهم بأحسن سيرة فلما مات السلطان أبو سعيد وانقرض عقبه وتغلب كل أمير على ما بيده خافهم الأمير حسين على نفسه وخرج عنهم وتغلب السلطان أبو اسحاق عليها وعلى أصفهان وبلاد فارس وذلك مسيرة شهر ونصف شهر واشتدت شوكته وطمحت همته إلى تملك ما يليه من البلاد فبدأ بالأقرب منها وهي مدينة ندمدينة حسنة نظيفة عجيبة الأسواق ذات انهار مطردة واشجار نضيرة وأهلها تجار شافعية المذهب خاضرها وتغلب عليها وتحصن الأمير ومظفر شاه ابن الأمير محمد شاه بن مظفر بقلعة على ستة أميال منها منيعة تحدد بها الرمال خاضرها بها فظهر من الأمير مظفر من الشجاعة ما خرق المعتاد ولم يسمع بمثله فكان يضرب على عسكر السلطان إلى اسحق ليلا ويقتل ما شاء ويحرق المضارب والفساطيط ويعود إلى قلعته فلا يقدر على النيل منه وضرب ليلة على دوار السلطان وقتل هنالك جماعة وأخذ من عتاق خيله عشرة وعاد إلى قلعته فأمر السلطان أن تتركب في كل ليلة خمسة آلاف فارس ويصنعون له السكائن وتلاحقت العساكر فقرا تلهم وخلص إلى قلعته ولم يصب من أصحابه إلا واحدا أتى به إلى السلطان إلى اسحاق فخرج عليه وأطلقه وبعت معه أما نالمظفر لينزل إليه فأبى ذلك ثم وقعت بينهما المراسلة ووقعت له محبة في قلب السلطان إلى اسحاق لما رأى من شجاعته فقال أريد أن أراه فإذا رأيته انصرفت عنه فوقف السلطان في خارج القلعة ووقف هو ببابها وسلم عليه فقال له السلطان أنزل على الأمان فقال له مظفر إني عاهدت الله أن لا أنزل إليك حتى تدخل أنت قلعتي وحينئذ أنزل إليك فقال له أفعل ذلك فدخل إليه السلطان في عشرة من أصحابه الخواص .

فلما وصل باب القلعة ترجل مظفر وقبل ركابه ومشى بين يديه مترجلا فأدخله داره واكل من طعامه ونزل معه إلى المحلة راكبا فأجلسه السلطان إلى جانبه وخلع عليه ثيابه واعطاه مالا عظيما ووقع الاتفاق بينهما أن تكون الخطبة باسم السلطان أبو اسحاق وتكون البلاد لمظفر وأبيه . وعاد السلطان إلى بلاده .

وكان السلطان أبو اسحاق طمع ذات مرة إلى بناء إيوان كايوان كسرى وأمر أهل شيراز أن يتولوا حفر أساسه فاخذوا في ذلك وكان أهل كل صناعة يباهون من عداهم فأنتهوا في المباهاة إلى أن صنعوا القفاف لنقل التراب من الجلود وكسوها ثياب الحرير المزركش وفعلموا

نحو ذلك في براذع الدواب واخراجها وصنع بعضهم الفؤس من الفضة وأوقدوا الشمع الكثير وكانوا حين الحفر يلبسون أجمل ملابسهم ويربطون فوطا الحرير على أوساطهم والسلطان يشاهد أفعالهم من منظره له وقد شاهدت هذا المبنى وقد ارتفع عن الأرض نحو ثلاثة أذرع ولما بنى أساسه رفع عن أهل المدينة التخديم فيه وصارت الفعلة تخدم فيه بالأجرة ويحشر لذلك آلاف منهم وسمعت والى المدينة يقول إن معظم مجباها يتفق في ذلك البناء وقد كان الموكل به الأمير جلال الدين بن الفلسكى التوريزى وهو من السكبار كان أبوه نائباً عن وزير السلطان أبى سعيد المسمى على شاه جيلان ولهذا الأمير جلال الدين الفلسكى أخ فاضل اسمه هبة الله ويلقب بهاء الملك وفد على ملك الهند حين وفودى عليه ووفد معنا شرف الملك امير بخت نخلع ملك الهند علينا جميعاً وقدم كل واحد في شغل يليق به وعين لنا المرتب والإحسان وسندكر ذلك وهذا السلطان ابو إسحاق يريد التشبه بملك الهند المذكور فى الإيثار وإجزال العطايا واسكن ابن الثرى من الثرى وأعظم ما تعارفنا من اعطيات ابى إسحاق انه اعطى الشيخ زاده الخراسانى الذى اتاه رسولاً عن ملك هراة سبعين ألف دينار واما ملك الهند فلم يزل يعطى اضعاف ذلك لمن لا يحصى كثرة من اهل خراسان وغيرهم .

(حكاية)

ومن عجيب فعل ملك الهند مع الخراسانيين انه قدم عليه رجل من فقهاء خراسان هروى المولد من سكان خوارزم يسمى بالأمير عبد الله بعثته الخاتون ترابك زوج الأمير قطلود مور صاحب خوارزم بهدية إلى ملك الهند المذكور فقبلها وكافأ عنها بأضعافها وبعث ذلك اليها واختار رسولها المذكور الإقامة عنده قصيره فى ندمائه فلما كان ذات يوم قال له ادخل إلى الخزانة فارفع منها قدر ما تستطيع أن تحمله من الذهب فرجع إلى داره فأتى بثلاث عشرة خريطة وجعل فى كل خريطة قدر ما وسعته وربط كل خريطة بعضو من اعضائه وكان صاحب قوة وقام بها فلما خرج من الخزانة وقع ولم يستطع النهوض فأمر السلطان بوزن ما خرج به فكان جملة ثلاث عشرة مثلاً يمينان دهلى والمن الواحد منها خمسة وعشرون رطلاً مصرية فأمره أن يأخذ جميع ذلك فأخذه .

(حكاية تناسبها)

اشتكى مرة امير بخت الملقب بشرف الدين الخراسانى وهو الذى تقدم ذكره آنفاً بحضرة ملك الهند فأتاه الملك عاتداً ولما دخل عليه اراد القيام فخلف له الملك أن لا ينزل عن كته والسكت: السرير ووضع للسلطان متكأة يسمونها المورة فقعد عليها ثم دعا بالذهب والميزان فأحضرا وامر المريض ان يقعد فى إحدى كفتى الميزان فقال يا خوند عالم

لوعلت أنك تفعل هذا للبت على ثيابا كثيرة فقال له البس الآن جميع ما عندك من الثياب
فليس ثيابه المعدة للبرد المحشوة بالقطن وقعد في كفة الميزان ووضع الذهب في الكفة
الأخرى حتى رجحه الذهب وقال له خذ هذا فتصدق به على رأسك وخرج عنه

(حكاية تناسبهما)

وفد عليه الفقير عبد العزيز الاردوبلي وكان قد قرأ علم الحديث بدمشق فتفقه فيه
فجعل مرتبه مائة دينار دراهم في اليوم وصرف ذلك خمسة وعشرون دينارا ذهباً وحضر
مجلسه يوماً فسأله السلطان عن حديث فسر له أحاديث كثيرة في ذلك المعنى فأعجبه
حفظه وحلف له برأسه أنه لا يزول من مجلسه حتى يفعل معه ما يراه ثم نزل الملك عن
مجلسه فقبل قدميه وأمر بإحضار صينية من ذهب وهي مثل الطيفور الصغير وأمر
أن يأتي فيها ألف دينار من الذهب وأخذها السلطان بيده فصبتها عليه وقال هي لك من
الصينية * ووفد عليه مرة رجل خراساني يعرف بأن الشيخ عبد الرحمن الأسفرايني
وكان أبوه نزل بغداد فأعطاه خمسين ألف دينار دراهم وخيلاً وعبيداً وخلعاً * وسندكر
كثيراً من أخبار هذا الملك عند ذكر بلاد الهند وإنما ذكرنا هذا لما قدمناه من
أن السلطان أبا إسحق يريد التشبيه به في العطايا وهو وإن كان كريماً فاضلاً فلا يالحق
بطبقة ملك الهند في الكرم والسخاء .

(ذكر بعض المشاهد بشيراز)

فمنها مشهد ابن موسى أخى على الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
ابن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم وهو مشهد معظم عند أهل شيراز يتبركون
به ويتوسلون إلى الله تعالى بفضلته وبنت عليه طائس خاتون أم السلطان أبي إسحق مدرسة
كبيرة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر والقراء يقرؤون القرآن على التربة دائماً من عادة
الخاتون أنها تأتي إلى هذا المشهد في كل ليلة اثنين ويجمع في تلك الليلة القضاة والفقهاء والشرفاء
وشيراز من أكثر بلاد الله شرفاء سمعت من الثقات أن الذين لهم بها المراتب من الشرفاء
الفوار بها ثمن نصف بين صغير وكبير ونقيصهم غصني الدين الحسيني فإذا حضر القوم بالمشهد
المذكور ختموا القرآن قراءة في المصاحف وقرأ القراء بالأصوات الحسنة وأتى بالطعام
والفواكه والحلواء فإذا أكل القوم وعظ الواعظون يكون ذلك كله بعد صلاة الظهر إلى
العشي والخاتون في غرفة مطلة على المسجد لها شبك ثم تضرب الطبول والنفار والبوقات
على باب التربة كما يفعل عند أبواب الملوك * ومن المشاهد بها مشهد الإمام القطب الولي أبي
عبد الله خفيف المعروف عندهم بالشيخ وهو قدوة بلاد فارس كلها ومشهد معظم عندهم
يأتون إليهم بكرة وعشياً فيتمسحون به وقد رأيت القاضي مجد الدين أنه زائر واستلمه

الختاتون إلى هذا المسجد في كل ليلة جمعة وعليه زاوية ومدرسة ويجتمع به القضاة والفقهاء
ويفعلون به كفعليهم في مشهد أحمد بن موسى وقد حضرت الموضوعين جميعاً وترى الأمير محمد
شاه بنجور والاسلطان انا اسحاق متصلة بهذه التربة والشيخ ابو عبد الله بن خفيف كبير القدر
في الأولياء شهير الذكر وهو الذي أظهر طريق جبل سرنديب بحزيرة سيلان من
أرض الهند .

﴿ كرامة لهذا الشيخ ﴾

يحكى انه قصد مرة جبل سرنديب ومعه نحو ثلاثين من الفقراء فأصابهم مجاعة
في طريق الجبل حيث لا عمارة وتاهوا عن الطريق وطلبوا من الشيخ ان يأذن لهم في
القبض على بعض الفيلة الصغار وهي في ذلك الحل كثيرة جداً ومنه تحمل إلى حضرة
ملك الهند فنأهم الشيخ عن ذلك فعاب عليهم الجوع فتعدوا قول الشيخ وقبضوا على
فيل صغير منها وذكوه وأكلوا لحمه وامتنع الشيخ عن أكله فلما ناموا تلك الليلة
اجتمعت الفيلة من كل ناحية وأتت اليهم فكانت تشتم الرجل منهم وتقتله حتى أتت
على جميعهم وشتمت الشيخ ولم تتعرض له وأخذته فيل منها ولف عليه خرطومه ورمى
به على ظهره وأتى به الموضوع الذي فيه العمارة فلما رأى أهل تلك الناحية عجبوا منه
واستقبلوه ليتعرفوا أمره فلما قرب منهم أمسكه الفيل بخرطومه ووضعته عن ظهره إلى
الأرض بحيث يرويه فجاءوا إليه وتمسكوا به إلى ملكهم فعرفوه خبره وهم كفار وأقام
عندهم أياماً وذلك الموضوع على خور يسمى خور الخيزران والخور هو النهر وبذلك الموضوع
مغاص الجواهر ويذكر ان الشيخ غاص في بعض الأيام بمحض ملكهم وخرج وقد ضم
يديه معاً وقال للملك اختر مالك في إحداهما فاختر ما في اليتي فرمى إليه بما فيها وكانت
ثلاثة أحجار من الياقوت لا مثل لها وهي عند ملوكهم في التاج يتوارثونها وقد دخلت جزيرة
سيلان هذه وهم مقيمون على الكفر إلا أنهم يعظمون فقراء المسلمين ويؤوّنهم إلى دورهم
ويطعمونهم الطعام ويكونون في بيوتهم ويقيمونهم وأولادهم خلافاً لساير كفار الهند فانهم
لا يقربون المسلمين ولا يطعمونهم في آنيتهم ولا يشقونهم فيها مع أنهم لا يؤذونهم ولا
يهجونهم ولقد كنا نضطر إلى ان يطبخ لنا بعضهم اللحم فيأتون به في قدورهم ويقعدون
على بعد منا ويأتون بأوراق الموز فيجعلون عليها الأرز وطعامهم يصنعون عليه الكوشال
وهو الإدام ويدهون فيها كل منه وما فضل علينا تاكله الكلاب والطيور وان أكل منه
الولد الصغير الذي لا يعقل ضربوه وأطعموه روث البقر وهو الذي يظهر ذلك في زعمهم
ومن المشاهد بها مشهد الشيخ الصالح القطب روض جهان القبلي من كبار الأولياء وقبره في مسجد

جامع يخطب فيه وبذلك الجامع يصلي القاضي مجد الدين الذي تقدم ذكره رضى الله عنه
وبهذا سمعت عليه كتاب مسند الامام ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي قال أخبرتنا
به وزيره بنت عمر بن المنجيا قالت اخبرنا ابو عبد الله الحسين بن ابي بكر بن المبارك
الزيدي قال اخبرنا زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي قال اخبرنا ابو الحسن المسكي
ابن محمد بن منصور بن علان العرضي قال اخبرنا القاضي ابو بكر احمد بن الحسن الجرشى عن
ابي عباس بن يعقوب الأصم عن الربيع بن سليمان المرادى عن الإمام ابي عبد الله الشافعي
وسمعت ايضا عن القاضي مجد الدين بهذا الجامع المذكور كتاب مشارق الانوار الامام
رضي الدين ابي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني بحق سماعه له من الشيخ
جلال الدين ابي هاشم محمد بن محمد بن احمد الهاشمي السكوفي بروايته عن الإمام نظام
الدين محمود بن عمر الهراوى عن المصنف ومن المشاهد بها مشهد الشيخ الصالح زركوب
وعليه زاوية لإطعام الطعام .

وهذه المشاهد كلها بداخل المدينة وكذلك معظم قبور أهلها فان الرجل منهم يموت
ولده او زوجته فيتخذ له تربة من بعض بيوت داره ويدفنه هناك ويفرش البيت
بالحصير والبسط ويجعل الشمع الكثير عند راس الميت ورجليه ويصنع للبيت بابا إلى
ناحية الزقاق وشباك حديد فيدخل منه القراء يقرؤن بالأصوات الحسان وليس في
معمور الأرض أحسن اصواتا بالقرآن من أهل شيراز ويقوم أهل الدار بالتربة
ويقرشونها ويوقدون السرج بها فكان الميت لم يبرح وذكر لى انهم يطبخون في كل
يوم نصيب الميت من الطعام ويتصدقون به عنه

(حكاية)

مررت يوما ببعض أسواق مدينة شيراز فرأيت بها مسجدة تعتن البنا جميل الفرش وفيه
مصاحف موضوعة في خرائط حرير موضوعة فوق كرسي وفي الجهة الشمالية من المسجد
زاوية فيها شباك مفتوح إلى جهة السوق وهناك شيخ جميل الهيئة واللباس وبين يديه مصحف
يقرأ فيه فسلمت عليه وجلست اليه فسألتني عن مقدمي فاخبرته وسألته عن شأن هذا المسجد
فاخبرني انه هو الذي عمره ووقف عليه أوقافا كثيرة للقراء وسواهم وان تلك الزاوية التي
جلست اليه فيها هي موضع قبره ان قضى الله موته بتلك المدينة ثم رفع بسطا كان تحته والقبر
مغطى عليه ألواح خشب وارانى صندوقا كان بازائه فقال في هذا الصندوق كفى وحنوطى
ودراهم كنت استأجرت بها نفسى فى - فخر بن لرجل صالح فدفع لى هذه الدراهم فتركتها
لتسكون نفقة موارانى وما فضل منها يتصدق بها فخرجت من شأنه وارتدت الانصرف لحف
على وأضافنى بذلك الموضع ومن المشاهد بخارج شيراز قبر الشيخ الصالح المعروف بالسعدى

وكان اشعر اهل زمانه باللسان الفارسي وربما المع في كلامه باعربى وله زاوية كان قد عمرها بذلك الموضع حسنة بداخلها بستان مليح وهي بقرب راس النهر الكبير المعروف بركن اباد وقد صنع الشيخ هنالك احواضا صغارا من المرمر لغسل الثياب فيخرج الناس من المدينة لزيارته وياكلون من سباطه ويغسلون ثيابهم بذلك النهر وينصرفون وكذلك فعلت عنده رحمه الله ومقربة من هذه الزاوية زاوية أخرى تتصل بها مدرسة مبنية على قبر شمس الدين السبكي وكان من الأمراء الفقهاء ودفن هنالك بوصية منه بذلك .

ومدينة شيراز من الفقهاء الشريف محمد الدين وامره في السكرم عجيب وربما جاد بكل ما عنده وبالثياب التي كانت عليه ويلبس مرقعة فيدخل عليه كباراء المدينة فيجدونه على تلك الحال فيسكنونه ومرتبته في كل يوم من السلطان خمسون دينار دراهم ثم كان خروجي من شيراز برسم زيارة قبر الشيخ الصالح ابي اسحاق السكازروني بكازرون وهي على مسيرة يومين من شيراز فنزلنا اول يوم ببلاذ الشول وهم طائفة من الأعاجم يسكنون البرية وفيهم الصالحون .

(كرامة لبعضهم)

كنت يوما ببعض المساجد بشيراز وقد عدت اتلوا كتاب الله عز وجل لأثر صلاة الظهر فخطرت بخاطري انه لو كان لي مصحف كريم لتلوت فيه فدخل على في اثناء ذلك شاب وقال لي بكلام قوى خذ فرغت راسي اليه فألقي في حجري مصحفا كريما وذهب عني ختمته ذلك اليوم قراءة وانتظرت له لأرده له فلم يعد إلى فسألت عنه فقيل لي ذلك بهلول الشول ولم أره بعد ووصلنا عشى اليوم الثاني الى كازرون فقصدنا زاوية الشيخ أبي اسحاق نفع الله به وبآلها تلك الليلة ومن عاداتهم ان يطعموا الوارد كائنا من كان من الهريسة المصنوعة من اللحم والسمن وتوكل بالرفاق ولا يتركون الوارد عليهم للسفر حتى يقيم في الضيافة ثلاثة ويعرض على الشيخ الذي بالزاوية حوائجهم ويذكرها الشيخ للفقراء الملازمين للزاوية وهم يزيدون على مائة منهم المتزوجون ومنهم الأعزاب المتجردون فيختصمون القرآن ويذكرون الذكر ويدعون له عند ضريح الشيخ أبي اسحاق فتعصى حاجته بإذن الله وهذا الشيخ ابواسحق معظم عند اهل الهند والصين ومن عادة الركاب في بحر الصين انهم اذا تغير عليهم الطواء وخافوا للصوم نذروا لأبي اسحق نذرا وكتب كل منهم على نفسه ما نذره فاذا وصلوا بر السلامة صعد خدام الزاوية الى المركب وأخذوا الزمام وقبضوا من كل ناذر نذره ومامن مركب يأتي من الصين أو الهند إلا وفيه آلاف من الدنانير فيأتي الوكلاء من جهة خدام الزاوية فيقبضون ذلك ومن الفقراء من يأتي طالبا

صدقة الشيوخ فمكتب لها امر بها وفيه علامة الشيخ منقوشة في قالب من الفضة فيضعون القالب في صمغ احمر ويلصقونه بالامر فيبقى اثر الطابع فيه ويكون مضمنه ان من عنده نذر للشيخ ابى اسحق فليسطمنه فلان كذا فيكون الامر بالالف والمائة وما بين ذلك ودونه على قدر الفقير فاذا وجد من عنده شئ من النذر قبض منه وكتب له رسماً في ظهر الامر بما قبضه ولقد نذر ملك الهند مرة للشيخ ابى اسحق بعشرة آلاف دينار فيبلغ خبرها إلى فقراء الزاوية فأتى أحدهم إلى الهند وقبضها وانصرف بها إلى الزاوية ثم سافروا من كازرون إلى مدينة الزيدى وسميت بذلك لأن فيها قبر زيد بن ثابت وقبر زيد بن ارقم الانصارين صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ورضى الله عنهما وهى مدينة حسنة كثيرة البساتين والمياه مليحة الأسواق عجيبة المساجد ولا لها صلاح وامانة وديانة ومن اهلها القاضى نور الدين الزيدانى وكان ورد على اهل الهند فولى القضاء منها بديعة المهمل وهى جزائر كثيرة ملكها جلال الدين بن صلاح الدين صالح وتزوج باخت هذا الملك وسيأتى ذكره وذكر بنيه خديجة التى تولت الملك بعده بهذه الجزائر وبها توفى القاضى نور الدين المذكور ثم سافروا منها إلى الحويزاء بالراى وهى مدينة صغيرة يسكنها العمجم بينها وبين البصرة مسيرة اربع وبينها وبين الكوفة مسيرة خمس ومن اهلها الشيخ الصالح العابد جمال الدين الحويزانى شيخ خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة ثم سافروا منها قاصدين الكوفة فى برية لا ماء بها الا فى موضع واحد يسمى الطرفاوى وردناه فى اليوم الثالث من سفرنا ثم وصلنا بعد اليوم الثانى من ورودنا عليه إلى مدينة الكوفة

(مدينة الكوفة)

وهى احدى امهات البلاد العراقية المتميزة فيها بفضل المزية مشوى الصحابة والتابعين ومنزل العلماء والصالحين وحضرة على بن ابي طالب أمير المؤمنين الآن الخراب قد استولى عليها بسبب أيدى العدوان التى امتدت اليها وفسادها من عرب خفاجه المجاورين لها فانهم يقطعون طرقهم ولا سور عليها وينافوا بالاجر وأسواقها حسان واكثر ما يباع فيها الثمر والسبك وجامعها الأعظم جامع كبير شريف بلاطاته سبعة قائمة على سوارى حجارة ضخمة منحوتة قد صنعت قطعاً ووضع بعضها على بعض وافرغت بالرصاص وهى مفرقة الطول وهذا المسجد اثار كريمة فمنها بيت ازام الخراب عن يمين مستقبل القبلة يتال إن الخليل صلوات الله عليه كان له مصلى بذلك الموضع وعلى مقربة منه محراب معلق عليه بأعواد الساج مرتفع وهو محراب على بن ابي طالب رضى الله عنه وهناك ضربه

الشيقي ابن ملجم والناس يقصدون الصلاة به وفي الزاوية من هذا البلاط مسجد صغير محلق عليه أيضا باعواد الساج يذكر أنه الموضع الذي فار منه الثنور حين طوفان نوح عليه السلام وفي ظهره خارج المسجد بيت يزعمون أنه بيت نوح عليه السلام وإزاءه بيت يزعمون أنه متعبد لإدريس عليه السلام ويتصل بذلك فضاء ويصل بالجدار القبلي المسجد يقال أنه موضع لإنشاء سفينة نوح عليه السلام وفي آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه والبيت الذي غسل فيه ويتصل به بيت يقال أيضا أنه بيت نوح عليه السلام والله أعلم بصحة ذلك كله وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت مرتفع يصعد إليه قبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه وبمقربة منه خارج المسجد قبر حاتكة وسكينة بنتا الحسين عليه السلام وأما قصر الأمانة بالسكوفة الذي بناه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فلم يبق إلا أساسه والفرات من السكوفة على مسافة نصف قرسخ في الجانب الشرقي منها وهو منتظم بحداثق النخل المتلفة المتصل بعضها بعض ورأيت بغربي جبانة السكوفة موضعا مسودا شديد السواد في بسيط أبيض فاخبرت أنه قبر الشيقي ابن ملجم وإن أهل السكوفة يأتون في كل سنة بالخطب الكثير فيوقدون النار على موضع قبره سبعة أيام وعلى قرب منه قبة أخبرت على أنها قبر المختار بن أبي عبيد .

ثم رحلنا ونزلنا بشر ملاحه وهي بلدة حسنة بين حدائق نخل ونزلت بخارجها وكرهت دخولي لها لأن أهلها روافض ورحلنا منها الصبح فنزلنا مدينة الحلة وهي مدينة كبيرة مستطيلة مع الفرات وهو بشرقها ولها أسواق حسنة جامعة للرافض والصناعات وهي كثيرة العمارة وحدائق النخل منتظمة بها داخلا وخارجا ودورها بين الحدائق ولها جسر عظيم معقود على مراكب متصلة منتظمة فيما بين الشطين تحف بها من جانبيها من سلاسل من حديد مربوطة في كلا الشطين إلى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل وأهل هذه المدينة كلها امامية اثنا عشرية وهم طائفتان احدهما تعرف بالأكراد والآخرى تعرف بأهل الجامعين والفتنة بينهم متصلة والقتال قائم بمقربة من السوق الأعظم بهذه المدينة مسجد على بابها ستر حرير مسدول وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ومن عاداتهم أن يخرج في كل ليلة مائة رجل من أهل المدينة عليهم السلام وبأيديهم سيوف مشهورة فيأتون أمير المدينة بعد صلاة العصر يأخذون منه فرسا مسرجا ملجما أو بغلة كذلك ويضربون الطبول والأنفار والبنوقات أمام تلك الدابة ويتقدمها خمسون منهم ويتبعها مثلهم ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ويأتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون باسم الله يا صاحب الزمان باسم الله

أخرج قد ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا أو ان خروجك فيفريق الله بك بين الحق والباطل ولا يزالون كذلك وهم يضربون الأبواق والأطبال والأنفار إلى صلاة المغرب وهم يقولون ان محمد بن الحسن العسكري دخل ذلك المسجد وغاب فيه وانه سيخرج وهو الإمام المنتظر عندهم وقد كان غلب على مدينة الحلة بعد موت السلطان أبي سعيد الأمير محمد بن رميثة بن أبي نعيم أمير مكة وحكمها أعواما وكان حسن السيرة يحمده أهل العراق إلى أن غلب عليه الشيخ حسن سلطان العراق فعدبه وقتله وأخذ الأموال والدخائر التي كانت عنده ثم سافرنا منها إلى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن علي عليهما السلام وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ويسقيها ماء الفرات والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر وعلى باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخل أحد إلا عن إذنهم فيقبل العتبة الشريفة وهي من الفضة وعلى الصريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الأبواب استار الحرير وأهل هذه المدينة طائفتان أولاد رخيص وأولاد فائز وبينهما القتال ابدوا وهم جميعا امامية يرجعون إلى أب واحد لاجل فتهم تحريت هذه المدينة ثم سافرنا منها إلى بغداد

(مدينة بغداد)

مدينة دار السلام ، وحضرة الاسلام ، ذات القدر الشريف ، والفضل المنيف ، مشوى الخلفاء ، ومقر العلماء وقال أبو الحسن بن جبير رضى الله عنه وهذه المدينة العتيقة وان لم تزل حضرة الخلافة العباسية . ومثابة الدعوة الإمامية القرشية فقد ذهب رسمها . ولم يبق إلا اسمها . وهي بالإضافة إلى ما كانت عليه قبل انحاء الحوادث عليها والنفات أعين النوائب اليها كاطلال الدارس . أو تمثال الخيال الشاخص . فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعى من المستوفر الغفلة والنظر . لإدراجتها التي هي بين شرفيها وغربها كالمرآة المجلوة بين صفحتين . أو العقد المنتظم بين لبتين فهي تردها ولا تظلم وتتطالع منها في امرأة صقيلة لا تصدأ . والحسن الحريرى بين هوائها ومائها ينشأ . قال ابن جزى وكان أبا تمام حبيب بن اوس اطلع على ما آكل اليه أمرها حين قال فيها (بسيط)

لقد أقام على بغداد ناعما فليبيكما لحراب الدهر باكيما
كانت على مائها والحرب موقدة والنار تطفأ حسنا في نواحيها
ترجى لها عودة في الدهر ضالحة فالآن اضمر منها الياس راجيها
مثل العجوز ولت شيبتيها وبان عنها جمال كان يحطياها

وقد نظم الناس في مدحها وذكر محاسنها فاطنوها * ووجدوا مكان القول ذاسعة فأطالوا
وأطابوا * وفيها قال الإمام القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي البغدادي
وأشدد نبيه والدي رحمه الله مرات

طيب الهواء ببغداد يشوقني قربا إليها وإن عاقت مقادير
وكيف أرحل عنها اليوم أذجمعت طيب الهواءين بمدود ومقصود
وفيها يقول أيضا رحمه الله تعالى ورضي عنه (هلويل)

سلام على بغداد في كل موطن وحق لها معنى السلام المضاعف
فوالله ما فارقتها عن قلبي لها واني بشطى جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت علي برحبها ولم تكن الأقدار فيها تساعف
وكانت كخيل كنت أهوى دنوه وأخلاقه تنأى به وتخالف
وفيها يقول أيضا غاضبا لها وأشدد نبيه والدي رحمه الله غير مامرة (بسيط)

بغداد دار لأهل المال واسعة وللصعاليك دار الضنك والضيق
ظلمت أمشي مضافا أزقتها كأنني مصحف في بيت زنديق
وفيها يقول القاضي أبو الحسن علي بن النبيه من قصيدة (خفيف)

آمنت بالعراق بدار منيرا فطوت غيها وخاضت هجيرها
واستطابت ربا نسائم بغداد دفكادت لولا البرى ان يطيرا
ذكرت من مسارح السكرخ روضا لم يزل ناظرا وماء تمسيرا
واجتنب من ربا المحول نورا واجتلت من مطالع التاج نورا
ولبعض نساء بغداد في ذكرها (كامل)

آها على بغدادها وعراقها وظباها والسحر في أحداقها
ومجالها عند الفرات باوجه تبدو اهلتها على اطوقها
مبتخرات في النعيم كأنما خلق الهوى العذرى من اخلاقها
نفسى الغداء لها فأي محاسن في الدهر تشرق من سنا لإشراقها

(رجع) ولبغداد جسران اثنان معقودان على نحو الصفة التي ذكرناها في جسر مدينة الحلة
والناس يعبرونهما ليلا ونهارا رجلا ونساء ففهم في ذلك في نزهة متصلة وبغداد من المساجد
التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجدا منها بالجانب الغربي ثمانية وبالجانب
الشرقي ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جدا وكذلك المدارس إلا أنها خربت وسامات بغداد

كثيرة وهى من أبداع الحمامات وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به فيخيل لرائيه أنه رخام أسود وهذا القار يجلب من عين بين السكوفة والبصرة تذع أبدأ به وبصير في جوارها كالصالح فيجرف منها ويحلب الى بغداد وفي كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار مطلى نصف حائطها وما إلى الأرض به والنصف الأعلى مطلى بالجص الأبيض الناصع فالضدان بها مجتمعان متقابل حسنهما وفي داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه أنبوبان أحدهما يجري بالماء الحار والآخر بالماء البارد فيدخل الإنسان الخلوة منها منفردا لا يشاركه أحد إلا إن أراد ذلك وفي زاوية كل خلوة أيضا حوض آخر للاغتسال فيه أيضا أنبوبان يجريان بالحار والبارد وكل داخل يعطى ثلاثا من القوط أحداها يتزر بها عند دخوله والآخرى يتزر بها عند خروجه والآخرى ينشف بها الماء عن جسده ولم أر هذا الاتقان كله في مدينة سوى بغداد وبعض البلاد تقاربها في ذلك

﴿ ذكر الجانب الغربى من بغداد ﴾

الجانب الغربى منها هو الذى عمر أولا وهو الآن خراب أكثره وعلى ذلك فقد بقي منه ثلاث عشرة محلة كل محلة كأنها مدينة بها الحمامان والثلاثة وفي ثمان منها المساجد الجامعة ومن هذه المحلات محلة باب البصرة وبها جامع الخليفة أبى جعفر المنصور ورحمته الله والمارستان فيما بين محلة باب البصرة ومحلة الشارح على الدجلة وهو قصر كبير خرب بقيت منه الآثار وفي هذا الجانب الغربى من المشاهد قبر معروف السكرخى رضى الله عنه وهو في محلة باب البصرة وبطريق باب البصرة مشهد حافل البناء فى داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب هذا قبر عون من أولاد على بن أبى طالب وفى هذا الجانب قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق والد على بن موسى الرضا وإلى جانبه قبر الجواد والقبران داخل الروضة عليهما دكانة ملبسة بالخشب عليه ألواح الفضة

﴿ ذكر الجانب الشرقى منها ﴾

وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الأسواق عظيمة الترتيب وأعظم أسواقها سوق يعرف بسوق الشلائى كل صناعة فيها على حدة وفى وسط هذا السوق المدرسة النظامية العجيبة التى صارت الأمثال تضرب بحسنتها وفى آخره المدرسة المستنصرية ونسبها إلى أمير المؤمنين المستنصر بالله أبى جعفر ابن أمير المؤمنين الظاهر ابن أمير المؤمنين الناصر وبها المذاهب الأربعة لكل مذهب إيوان فيه المسجد وموضع التدريس وجلس المدرس فى قبة من خشب صغيرة على كرسي عليه البسط ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار لا يسا

ثياب السواد معتمداً وعلى يمينه ويساره معبدان يعبدان كل ما يليه وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الأربعة وفي داخل هذه المدرسة الحمام للطلبة ودار الوضوء وهذه الجهة الشرقية من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة أحياناً جامع الخليفة وهو المتصل بقصور الخلفاء ودورهم وهو جامع كبير فيه سقايات ومظاهر كثيرة للوضوء والغسل لقيت بهذا المسجد الشيخ الإمام العالم الصالح مسند العراق سراج الدين أبا حفص عمر بن علي بن عمر القزويني وسمعت عليه فيه جميع مسند أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن الفضل بن بهرام الدارمي وذلك في شهر رجب الفرد عام سبعة وعشرين وسبعمائة قال أخبرتنا به الشبيخة الصالحة المسندة بنت الملوك فاطمة بنت العدل تاج الدين أبي الحسن علي ابن علي بن أبي البدر قالت أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن مسعود بن يروز الطيب المارستاني قال أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن شعيب التنجري الصوفي قال أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن المظفر الداودي قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي عن أبي عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي عن أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي والجامع الثاني جامع السلطان وهو خارج البلد وتتصل به قصور تنسب للسلطان والجامع الثالث جامع الرصافة وبينه وبين جامع السلطان نحو الميل .

(ذكر قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها)

وقبور الخلفاء العباسيين رضى الله عنهم بالرصافة وعلى كل قبر منها اسم صاحبه
قبر المهدي وقبر الهادي وقبر الأمين وقبر المعتصم وقبر الواثق وقبر المتوكل وقبر المنتصر
وقبر المستعين وقبر المعتز وقبر المهدي وقبر المستعد وقبر المعتضد وقبر المستنق وقبر المقتدر
وقبر القاهر وقبر الراضي وقبر المتقي وقبر المستكن وقبر المطيع لله وقبر الطائع وقبر القائم
وقبر القادر وقبر المستظهر وقبر المسترشد وقبر الراشد وقبر المقتفي وقبر المستنجد وقبر
المستضيء وقبر الناصر وقبر الظاهر وقبر المستنصر وقبر المستعصم وهو آخرهم وعليه دخل
النهر ببغداد بالسيف وذبحوه بعد أيام من دخولهم وانقطع من بغداد اسم الخلافة العباسية
وذلك في سنة أربع وخمسين وستائة وبقر الرصافة قبر الإمام أبي حنيفة رضى الله عنه
وعليه قمة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية يطعم
الطعام فيها ماعدا هذه الزاوية فسبحان مبيد الأشياء ومغيرها وبالقرب منها قبر الإمام
أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضى الله عنه ولاقبة عليه ويذكر أنها بنيت على قبره مراراً فهدمت
بقدره الله تعالى وقبره عند أهل بغداد معظم وأكثرهم على مذهبه وبالقرب منه قبر أبي

بكر الشبلي من أئمة المتصوفة رحمه الله وقبر سرى السقطي وقبر بشر الحافي وقبر داود الطائي وقبر القاسم الجنيد رضى الله عنهم أجمعين وأهل بغداد لهم يوم في كل جمعة لزيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخر يليه هكذا إلى آخر الأسبوع وبغداد كثير من قبور الصالحين والعلماء رضى الله عنهم وهذه الجهة الشرقية من بغداد ليس بها فواكه وإنما تجلب إليها من الجهة الغربية لأن فيها البساتين والحدائق ووافق وصولي إلى بغداد كون ملك العراق بها فلنذكره هاهنا

(ذكر سلطان العراقين وخراسان)

وهو السلطان الجليل أبو سعيد بهادرخان وخان عندهم الملك (وبهادر بفتح الباء الموحدة وضم الدال المهملة وآخره راء) ابن السلطان الجليل محمد خذائنده وهو الذى أسلم من ملوك التتر وضبط اسمه يختلف فيه فمنهم من قال إن اسمه خذائنده (بخاء معجمة مضمومة وذال معجم مفتوح) وبنده لم يختلف فيه (وهو بباء موحدة مفتوحة ونون مسكونة ودال مهملة مفتوح وهاء استراحة) وتفسيره على هذا القول عبيد الله لأن خذائ بالفارسية اسم الله عز وجل وبنده غلام أو عبيد أو مافى معناهما وقيل إنما هو خربنده (بفتح الخاء المعجمة وضم الراء المهملة) وتفسيره بالفارسية الخمار فغناء على هذا غلام الخمار فشد ما بين القولين من الخلاف على أن هذا الأخير هو المشهور وكان الأول غيره إليه من تعصب وقيل أن سبب تسميته بهذا الأخير هو أن التتر يسمون المولود باسم أول داخل على البيت عند ولادته فلما ولد هذا السلطان كان أول داخل الزمال وهم يسمونه خربنده فسمى به وأخوه خربنده هو قازعان الذى يقول فيه للناس قازان وقازغان هو القدر وقيل سمي بذلك لأنه ولد لما دخلت الجارية ومعها القدر وخذائنده هو الذى أسلم وقدمنا قصته وكيف أراد أن يحمل الناس لما أسلم على الرفض وقصة القاضي مجد الدين معه ولما مات ولي الملك ولده أبو سعيد بهادرخان وكان ملكاً فاضلاً كريماً ملكاً وهو صغير السن ورأيت به بغداد وهو شامل أجمل خلق الله صورة لا نبات يعارضه ووزيره إذ ذاك الأمير غياث الدين محمد بن خواجه رشيد وكان أبوه من مهاجرة اليهود واستوزع السلطان محمد خذائنده والد أبي سعيد رأيته يوماً بحراسة في الدجلة وتسمى عندهم الشيارة وهى شبه سلوكة وبين يديه دمشق خواجة ابن الأمير جو بان المتغلب على أفى سعيد وعن يمينه وشماله شبارتان فهما أهل الطرب والغناء ورأيت من مكارمه في ذلك اليوم أنه تعرض لجماعة من العميان فشكوا ضعف حاسم فأمر لكل واحد منهم بكسوة وغلام يقوده

ونفقة تجرى عليه ولما ولي السلطان أبو سعيد وهو صغير كاذكرناه استولى على أمره أمير الأمراء الجوابان وحجر عليه التصرفات حتى لم يكن بيده من الملك إلا الاسم ويذكر أنه احتاج في بعض الأعياد إلى نفقة ينفقها فلم يكن له سبيل إليها فبعث إلى أحد التجار فأعطاه من المال ما أحب ولم يزل كذلك إلى أن دخلت عليه يوم ما زوجة أبيه دنيا خاتون فقالت له لو كننا نحن الرجال ما تركنا الجوابان وولده على ما هما عليه فاستغفهما عن مرادها بهذا الكلام فقالت له لقد انتهى أمر دمشق خواجه ابن الجوابان أن يقتك بحرم أبيك وأنه بات البارحة عند طغى خاتون وقد بعث إلى وقال لي الليلة أبيت عندك وما الرأي إلا أن تجمع الأمراء والعساكر فإذا صعد إلى القلعة محتفياً برسم المبيت أمكنك القبض عليه وأبوه يكفى الله أمره وكان الجوابان إذ ذاك غائباً بخراسان فغلبته الغيرة وبات يدبر أمره فلما علم أن دمشق خواجه بالقلعة أمر الأمراء والعساكر أن بطيفوا به من كل ناحية فلما كان بالغد وخرج دمشق ومعه جندي يعرف بالحاج المصري فوجد سلسلة معرضة على باب القلعة وعليها قفل لم يمكنه الخروج ركباً فضرب الحاج المصري فوجد سلسلة بسيفه فقطعها وخرجاً معافاً حاطت بهما العساكر ولحق أمير من الأمراء الخاصكية يعرف بمصر خواجه وفي يعرف بأقوا دمشق خواجه فقتلاه وأنيا الملك أبو سعيد برأسه فموا به بين يدي فرسه وملك عاداتهم أن يفعلوا برأس كبار أعدائهم وأمر السلطان بنهب داره اقتل من قاتل من خدامه وبما ليك واتصل الخبر بأبيه الجوابان وهو بخراسان ومعه أولاده ومير حسن وهو الأكبر وطاش وجلو خان وهو أصغرهم وهو ابن اخت السلطان أبي سعيد من أمه ساطى بك بنت السلطان خدابنده ومعه عساكر التتر وحاميهما فاتفقوا على قتال السلطان أبي سعيد وزحفوا إليه فلما التقى الجمعان هرب التتر إلى سلطانهم وأفردوا الجوابان فلما رأى ذلك نكص على عقبيه وفر إلى صحراء سجستان وأوغل فيها وأجمع على اللحاق بملك هراة غياث الدين مستجير به ومتحصناً بمدينه وكانت له عليه أيدسا بقة فلم يوافق له ولده حسن وطاش على ذلك وقال له إنه لا ينبغي بالعمد وقد غدر فيروز شاه بعد أن لجأ إليه وقتله فأبى الجوابان إلا أن يباحق به ففارقته ولده وتوجه ومعه ابنه الصغير جلو خان فخرج غياث الدين لاستقباله وترجل له وادخله المدينة على الأمان ثم غدره بعد أيام وقتله وقتل ولده وبعث براسيهما إلى السلطان أبي سعيد وأما الحسن وطاش فإنهما قصدا خوارزم ووجهما إلى السلطان محمد أوزبك فأكرم مثواهما وأوزل لهما إلى أن صدر منهما ما أوجب قتلهما فقتلهما وكان للجوابان ولد رابع اسمه الدمراطاش فهرب إلى ديار مصر فأكرمه

الملك الناصر واعطاه الاسكندرية فابى من قبولها وقال انما أريد العساكر لأقاتل أبوسعيد وكان متى بعث اليه الملك الناصر بكسوة اعطى هو للذى يوصلها اليه أحسن منها ازرأه على الملك الناصر واطهر أمور أوجهت قتله فقتله وبعث برأسه الى أبى سعيد وقد ذكرنا قصته وقصة قراسنقور فيما تقدم ولما قتل الجوبان جىء به وبولده ميئين فوقف بهما على عرفات وحملوا الى المدينة ليدفنا في التربة التى اتخذها الجوبان بالقرب من مسجد رسول الله ﷺ فنزع من ذلك ودفن بالقيصع والجوبان هو الذى جلب الماء الى مكة شرفها الله تعالى ولما استقل السلطان أبوسعيد بالملك أراد ان يتزوج بنت الجوبان وكانت تسمى بغداد خاتون وهى من اجمل النساء وكانت تحت الشيخ حسن الذى تغلب بعد موت أبى سعيد على الملك وهو ابن عمته فأمره فنزل عنها وتزوجها أبوسعيد وكانت أحظى النساء لديه والنساء لدى الأثر الك والتبر لهن حظ عظيم وهم إذا كتبوا أمرا يقولون فيه عن أمر السلطان والخواتين واسكل خاتون من البلاد والولايات والمجانب العظيمة وإذا سافرت مع السلطان تكون في محلة على حدة وغلبت هذه الخاتون على أبى سعيد وفضلها على سواها وأقامت على هذه مدة أيام ثم تزوج امرأة تسمى بدلاشاد فأحبها حببا شديدا وهجر بغداد خاتون فغارت لذلك وسمته في منديل مسخته به بعد الجماع فمات وانقرض عقبه وغلبت امرأته على الجهات كما سند كره.

ولما عرف الأمراء ان بغداد خاتون التى سمته أجمعوا على قتلها وبدر لذلك إلفقى الرومى خواجه أواق وهو من كبار الأمراء وقدمائهم فأتاها وهى فى الحمام فضر بها بدبوسه وقتلها وطرحها هنالك اياما مستورة العورة بقطعة تليس واستقل الشيخ حسن بملك عراق العرب وتزوج دلشاد امرأة السلطان أبى سعيد كمثل ما كان أبوسعيد فعلمه من تزوج امرأته.

(ذكر المتغلبين على الملك بعد موت السلطان أبى سعيد)

فمنهم الشيخ حسن ابن عمته الذى ذكرناه آنفا تغلب على عراق العرب جميعا ومنهم إبراهيم شاه ابن الأمير سنيتيه تغلب على الموصل وديار بكر ومنهم الأمير ارتنا تغلب على بلاد التركان المعروفة أيضا ببلاد الروم ومنهم حسن خواجه بن الدمراطاش بن الجوبان تغلب على تبريز والسلطانية وهمدان وقم وقاشان والرى ورامين وفرغان والسكرج ومنهم الأمير طهيتور تغلب على بعض بلاد خراسان ومنهم الأمير حسن ابن الأمير غياث الدين تغلب على هراة ومعظم بلاد خراسان ومنهم ملك ديثار تغلب على بلاد مكران وبلاد كنج ومنهم محمد شاه (١٠ - رحلة - أول)

ابن مظفر تغلب على يزد وكرمان وورقو ومنهم الملك قطب الدين تمتهن تغلب على هرمز وكيش والقطيف والبحرين وقلعات ومنهم السلطان ابو اسحاق الذي نقدم ذكره تغلب على شيراز واصفهان وملك فارس وذلك مسيرة خمس واربعين ومنهم السلطان افراسياب انا بك تغلب على ايزج وغيرها من البلاد وقد تقدم ذكره (ولنعد إلى ما كنا بسبيله) ثم خرجت من بغداد في محلة السلطان ابي سعيد وغرضي ان اُشاهد ترتيب ملك العراق في رحيله ونزوله وكيفيته تنقله وسفره وعادتهم انهم يرحلون عند طلوع الفجر وينزلون عند الضحى وترتيبهم انه يأتي كل امير من الأمراء بعسكره وطبوله واعلامه فيقف في موضع لا يتعداه قد عين له امام في الميمنة او الميسرة فاذا توافوا جميعا وتكاملت صفوفهم ركب الملك وضربت طبول الرحيل وبوقاته وانفاره واتي كل امير منهم فسلم على الملك وعاد إلى موقفه ثم يتقدم امام الملك الحجاب والقباء ثم يليهم أهل الطرب وهم نحو مائة رجل عليهم الشياح الحسنة وتحتهم مراكب السلطان وامام اهل الطرب عشرة من الفرسان قد تقلدوا عشرة من الطبول وخمسة من الفرسان لديهم خمس صرنايات وهي تسمى عندنا بالغيطات فيضربون تلك الاطبال والصرنايات ثم امسكوا وغنى عشرة آخرون نوبتهم هكذا إلى أن اتم عشر نوبات فعند ذلك يكون النزول ويكون عن يمين السلطان وشماله حين سيره كبار الأمراء وهم نحو خمسين ومن ورائه أصحاب الاعلام والاطبال والانفار والبوقات ثم عماليك السلطان ثم الأمراء على مراتبهم وكل امير له اعلام وطبول وبوقات .

ويتولى ترتيب ذلك كله امير جنود وله جماعة كبيرة وعقوبة من تخلف عن التوجه وجماعته ان يؤخذ تماقه فيملا رملا ويعلق في عنقه ويمشي على قدميه حتى يبلغ المنزل فيؤتى به إلى الامير فيبطح على الأرض ويضرب خمسا وعشرين مقربة على ظهره سواء كان رفيعا أو ضيعا لا يحاشون من ذلك أحدا وإذا نزلوا ينزل السلطان وبما يليه في محلة على حدة وتنزل كل خاتون من خواتمه في محلة على حدة ولكل واحدة منهن الامام والمؤذن والقراء والسوق وينزل الوزراء والكتاب واهل الاشغال على حدة وينزل كل امير على حدة ويأتون جميعا إلى الخدمة بعد العصر ويكون انصرافهم بعد العشاء الأخيرة والمشاعل بين أيديهم .

فاذا كان الرحيل ضرب الطبل الكبير ثم يضرب طبل الخاتون الكبرى التي هي المدسكة ثم اطبال سائر الخواتين ثم طبل الوزير ثم اطبال الوزراء دفعة واحدة ثم يركب امير المقدمة في عسكره ثم يتبعه الخواتين ثم انقال السلطان وزاملته وانقال الخواتين ثم امير نان في عسكره ليمنع الناس من الدخول فيما بين الانقال والخواتين ثم سائر الناس وسافرت في هذه المحلة عشرة أيام بحجة الامير علاء الدين محمد إلى بلدة تبريز وكان من الأمراء السكبار الفضلاء

فوصلنا بعد عشرة أيام إلى مدينة تبريز وزلنا بخارجها في موضع يعرف بالشام وهناك قبر قازان ملك العراق وعليه مدرسة حسنة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر من الخبز واللحم والأرز المطبوخ بالسمن والحلواء وأنزلني الأمير بتلك الزاوية وهي ما بين أنهار متدفقة وأشجار مورقة .

وفي غد ذلك اليوم دخلت المدينة على باب يعرف بباب بغداد ووصلنا إلى سوق عظيمة تعرف بسوق قازان من أحسن أسواق بلاد الدنيا كل صناعة فيها على حدة لا تخلطها أخرى واجتازت بسوق الجواهر بين غار بصرى معاراً يتنه من أنواع الجواهر وهي بأيدي مماليك حسان الصور عليهم الثياب الفاخرة وأوساطهم مشدودة بمناديل الحرير وهم بين أيدي التجار يعرضون الجواهر على نساء الأتراك وهن يشتريه كثيرات ويتنافسن فيه فرأيت من ذلك كله فتنة يستعاذ الله منها ودخلنا سوق العنبر والمسك فرأينا مثل ذلك وأعظم ثم وصلنا إلى المسجد الجامع الذي عمره الوزير علي شاه المهر وف بجيلاان وبخارجه عن يمين مستقبل القلعة مدرسة وعن يساره زاوية وصحنه مفروش بالمرمر وحيطانه بالقشاني وهو شبه الزليج، يشقه نهر ماء وبه أنواع الأشجار ودوالي العنب وشجر يسمين ومن عاداتهم أنهم يقرأون به كل يوم سورة يس وسورة الفتح وسورة عم بعد صلاة العصر في صحن الجامع ويجتمع لذلك أهل المدينة ويتنأ ليلة تبريز ثم وصل بالأمير السلطان ابن سعيد إلى الأمير علاء الدين بان يصل إليه فعدت معه ولم أنق تبريز احدا من العلماء .

ثم سافرنا إلى ان وصلنا محلة السلطان فأعلمه الأمير المذكور بمكانى وأدخلني عليه فسألتني عن بلادى وكسائى واركبني وأعلمه الأمير انى أريد السفر إلى الحجاز الشريف فأمرنى بأزاد والركوب فى السبيل مع المحمل وكتب لى بذلك الى امير بغداد خووجه معروف فعدت إلى بغداد واستوفيت ما امر لى به السلطان وكان قد بقى لأوان سفر الركب أزيد من شهرين فظفر لى ان اسافر إلى الموصل وديار بكر لأشاهد تلك البلاد واعدت لى بغداد فى حين سفر الركب فأ توجه الى الحجاز الشريف فخرجت من بغداد إلى منزل على نهر دجيل وهو متفرع عن دجلة فيسقى قرى كثيرة ثم زلنا بعد يومين بقرية كبيرة تعرف بحربة مخصصة فسيحة ثم رحلنا فنزلنا موضعا على شط دجلة بالقرب من حصن يسمى المعشوق وهو مبنى على الدجلة وفى الجهة الشرقية من هذا الحصن مدينة سر من رأى وتسمى ايضا سامرا ويقال لها سام راه ومعناه يا لغارسية طريق سام وراه هو الطريق وقد استولى الخراب على هذه المدينة فلم يبق منها إلا القليل وهى معتدلة الهواء رائحة الحسن على بلائها ودروس معالمها وفيها ايضا مشهد صاحب الزمان كما بالحلة ثم سرنا منها مرحلة ووصلنا إلى مدينة تسكريت وهى مدينة

كبيرة فسيحة الأرجاء مليحة الأسواق كثيرة الجوامع واهلها موصوفون بحسن الاخلاق والدجلة في الجهة الشمالية منها ولها قلعة حصينة على شط الدجلة والمدينة عتيقة البناء عليها سور يطيف بها ثم رحلتنا منها مرحلتين ووصلنا قرية تعرف بالعقر على شط الدجلة وبأعلاها ربوة كان بها حصن وبأسفلها الخزان المعروف بخان الحديد له أبراج وبنائوه حافل والقرى والعمارة متصلة من هنالك الى الموصل ثم رحلتنا ونزلنا موضعاً يعرف بالقيارة بمقر به من دجلة وهنالك أرض سوداء فيها عيون تنبع بالقار ويصنع له أحواض ويجمع فيها فتراه شبه الصلصال على وجه الأرض حالك اللون صقيلاً رطاباً وله رائحة طيبة وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبه الطحلب الرقيق فتتدفقه إلى جوانبها فيصير أيضاً قاراً وبمقربة من هذا الموضع عين كبيرة فاذا أرادوا نقل القار منها أوقدوا عليها النار فتندف النار ما هنالك من رطوبة مائية ثم يقطعونه قطعاً وينقلونه وقد تقدم لنا ذكر العين التي بين السكوفة والبصرة على هذا النحو ثم سافرنا من هذه العيون مرحلتين ووصلنا بهما إلى الموصل .

(مدينة الموصل)

وهي مدينة عتيقة كثيرة الخصب وقلعتها المعروفة بالحدياب عظيمة الشأن شهيرة الامتاع عليها سور محكم البناء مشيد البروج وتتصل بهادور السلطان وقد فصل بينها وبين البلد شارع متسع مستطيل من أعلى البلد إلى أسفل وعلى البلد سوران اثنان وثيقتان أبراجهما كثيرة متقاربة وفي باطن السور بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره قد تمكن فتحها فيه لسعته ولم أر في أسوار البلاد مثله إلا السور الذي على مدينة دهلي حضرة ملك الهند والموصل ريف كبير فيه الجوامع والحمامات والفنادق والأسواق وبه مسجد جامع على شط الدجلة تدور به شبابيك حديد وتتصل به مساطب تشرف على دجلة في النهاية من الحسن والإتقان وامامه مارستان وبداخل المدينة جامعان أحدهما قديم والآخر حديث وفي سخن الحديث منهما قبة في داخلها خصة رخام مشعنة مرتفعة على سارية رخام يخرج منها الماء بقوة وانزاج فيرفع مقدار القامة ثم ينعكس فيكون له مرأى حسن وقسيارية الموصل مليحة لها أبواب حديد ويدور بها دكاكين وبيوت بعضها فوق بعض متقنة البناء وبهذه المدينة مشهد جريس النبي عليه السلام وعليه مسجد والقبر في زاوية منه عن يمين الداخل اليه وهو فيما بين الجامع الجديد وباب الجسر وقد حصلت لنا زيارته والصلاة بمسجده والحمد لله تعالى وهنالك قل يونس عليه السلام وعلى نحو ميل منه العين المنسوبة اليه يقال أنه أمر قومه بالتطير فيها ثم صعدوا التل ودعوا فدعوا فكشف الله عنهم العذاب

وبمقربة منه قرية كبيرة يقرب منها خراب يقال انه موضع المدينة المعروفة بنينوى مدينة
يونس عليه السلام وأثر السور المحيط بها ظاهر وموضع الأبواب التي هي متبينة وفي التل
بناء عظيم ورباط فيه بيوت كثيرة ومقاصر ومطاهر وسقايات يضم الجميع باب واحد وفي
وسط الرباط بيت عليه ستحرير وله باب مرصع يقال انه الموضع الذي به موقف يونس
عليه السلام ومحراب المسجد الذي بهذا الرباط يقال انه كان بيت متعبده عليه السلام
وأهل الموصل يخرجون في كل ليلة جمعة الى هذا الرباط يتعبدون فيه وأهل الموصل لهم
مكارم اخلاق ولين كلام وفضيلة ومحبة في الغريب وإقبال عليه وكان أميرها حين قدوس
عليها السيد الشريف الفاضل علاء الدين علي بن شمس الدين محمد الملقب بحيدر وهو من
الكرماء الفضلاء أنزاني بداره وأجرى على الاتفاق مئة مقامى عنده وله الصدقات
والإيثار المعروف .

وكان السلطان ابو سعيد يعظمه وفوض اليه أمر هذه المدينة وما يليها ويركب في
موكب عظيم من مماليكه وأجناده ووجوه أهل المدينة وكبرائها يأتون للسلام عليه
غدا وعشيا وله شجاعة ومهابة وولده في حين كتب هذا في حضرة فاس مستقر الغرباء
وماوى الفرق ومحط رحال الوفود زادها الله بسعادة أيام مولانا أمير المؤمنين بهجة
وإشراقا وحرس أرجاءها ونواحيها .

ثم رحلنا من الموصل ونزلنا قرية تعرف بعين الرصد وهي على نهر عليه جسر مبنى
وبها خان كبير ثم رحلنا ونزلنا قرية تعرف بالمويحة ثم رحلنا منها ونزلنا جزيرة
ابن عمر وهي مدينة كبيرة حسنة محيط بها الوادى ولذلك سميت جزيرة وأكثرها
خراب ولها سوق حسنة ومسجد عتيق مبنى بالحجارة بحكم العمل وسورها مبنى بالحجارة
أيضا وأهلها فضلاء لهم محبة في الغرباء ويرم نزلنا بها رأينا جبل الجودى المذكور في
كتاب الله عز وجل الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام وهو جبل عال مستطيل

ثم رحلنا من رحلتين ووصلنا الى مدينة نصيبين وهي مدينة عظيمة عتيقة متوسطة قد
خرب أكثرها وهي في بسيط أفصح فسيح فيه المياه الجارية والبساتين المنتفة والأشجار
المنتظمة والغواكه السكيرة وبها يصنع ماء الورد الذي لا نظير له في العطرة الطيب
ويدور بها نهر يعطى عليها انعطاف السوار منبعه من عيون في جبل قريب منها
وينقسم أنقساما فينتحل بساكنها ويدخل منه نهر الى المدينة فيجري في شوارعها
ودورها ويخترق صحن مسجدها الأعظم وينصب في صهيحين احدهما في وسط
الصحن والآخر عند الباب الشرقى وهذه المدينة مارسنتان ومدستان وأهلها

أهل صلاح ودين وصدق وأمانة ولقد صدق أبو نواس في قوله :
 طابت نصيبين لى يوما وطابت لها ياليت حظى من الدنيا نصيبين
 قال ابن جزى والناس يصفون مدينة نصيبين بفساد الماء والوخامة وفيها يقول بعض الشعراء
 لنصيبين قد عجبت وما فى دارها لى داع إلى العلات
 بعدم الورد أحمر فى دارها لسقام حتى من الوجنات
 ثم رحلنا إلى مدينة سنجار وهى مدينة كبيرة كثيرة الفواكه والأشجار والعيون المطردة
 والأنهار مبنية فى سفح جبل تشبه بدمشق فى كثرة أنهارها وبساتينها ومسجدها الجامع
 مشهور البركة يذكر أن الدعاء به مستجاب ويدور به نهر ماء ويشقه وأهل سنجار أكراد
 ولهم شجاعة وكرم وممن لقيته بها الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله الكردى أحد المشايخ
 الكبار صاحب كرامات يذكر عنه أنه لا يفطر إلا بعد أربعين يوما ويكون لإفطاره على
 نصف قرص من الشعير لقيته برابطة بأعلى جبل سنجار ودعاه إلى وزودنى بدرهم لم تزل عندي
 إلى أن سلبنى كفار الهنود ثم سافروا إلى مدينة دارا وهى عتيقة كبيرة بيضاء المنظر لها قلعة
 مشرفة وهى الآن خراب لا عمارة بها وفى خارجها قرية معمورة بها كان نزلنا ثم رحلنا
 منها فوصلنا إلى مدينة ماردين وهى عظيمة فى سطح جبل من أحسن مدن الاسلام وأبدعها
 وأتقنها وأحسنها أسواقا وبها تصنع الثياب المنسوجة إليها من الصوف المعروف بالمرعز
 ولها قلعة شماء من مشاهير القلاع فى قنة جبلها قال ابن جزى قلعة ماردين هذه تسمى الشهباء
 وإياها عفى شاعر العراق صفي الدين عبد العزيز بن سراى الحلى بقوله فى سمطه (سريع)
 فذبح ربوع الحلة الفيحاء وأزور بالعيس عن الزوراء
 ولا تقف بالموصل الخدباء أن شهاب القلعة الشهباء
 — محرق شيطان صروف الدهر —

وقلعة حلب تسمى الشهباء أيضا وهذه المسعطة بديعة مدح بها الملك المنصور ساطق
 ماردين وكان كريما شهيرا الصيت ولى الملك بها نحو خمسين سنة وأدرك أيام قازان ملك
 التتر وصاهر السلطان خدابنده بابنته دنيا خاتون .

(ذكر سلطان ماردين فى عهد دخولى إليها)

وهو الملك الصالح ابن الملك المنصور الذى ذكرناه آنفا ورث الملك عن أبيه وله المكارم
 الشهيرة وليس بأرض العراق والشام ومصر أكرم منه يقصده الشعراء والفقراء فيجزل
 لهم العطايا جريا على سنن أبيه قصده أبو عبيد الله محمد بن جابر الأندلسى المروى السكفيىف
 مادحا فأعطاه عشرين ألف درهم وله الصدقات والمدارس والزوايا لإطعام الطعام وله

وزير كبير القدر وهو الامام العالم وحيد الدهر وفريد العصر جمال الدين السنجاوى
وقرأ بمدينة تبريز وأدرك العلماء الكبار وقاضى قضائهم الامام الكامل برهان الدين
الموصلى وهو ينتسب إلى الشيخ الولي فتح الموصلى وهذا القاضى من أهل الدين والورع
والفضل يلبس الحشن من ثياب الصوف الذى لا تبلغ قيمته عشرة دراهم ويعتم بنحو
ذلك وكثيراً ما يجاس الاحكام بصحن مسجد خارج المدرسة كان يتعبد فيه فإذا رآه من
لا يعرفه ظنه بعض خدام القاضى وأعوانه .

(حكاية)

ذكر لى أن امرأة أتت هذا القاضى وهو خارج من المسجد ولم تكن تعرفه فقالت
له يا شيخ أين يجلس القاضى فقال لها وما تريدن منه فقالت إن زوجى ضربنى وله زوجة
ثانية وهو لا يعدل بيننا فى القسم وقد دعوته إلى القاضى فأنى وأنا فقيرة ايس عندى
ما أعطيه لرجال القاضى حتى يحضروه بمجلسه فقال لها وأين منزل زوجك فقالت بقرية
الملاحين خارج المدينة فقال لها أنا أذهب معك اليه فقالت والله ما عندى شىء أعطيك إياه
فقال لها لا آخذ منك شيئاً ثم قال لها اذهبي إلى القرية وانتظرينى خارجها فانى على أترك
فذهبت كما أمرها وانتظرت فوصل إليها وليس معه أحد وكانت عادته أن لا يدع احداً
يتبعه فجاءت به إلى منزل زوجها فلما رآه قال ما هذا الشيخ النحس الذى معك فقال له نعم
والله أنا كذلك واسكن ارض زوجك فلما طال الكلام جاء الناس فعرقوا القاضى
وسلبوا عليه وخاف ذلك الرجل وخجل فقال له القاضى لا عليك أصلح ما بينك وبين
زوجتك فأرضها الرجل من نفسه واعطاهما القاضى نفقة ذلك اليوم وانصرف

لقيت هذا القاضى وأضافنى بداره ثم رحلت عائداً إلى بغداد فوصلت إلى مدينة
الموصل التى ذكرناها فوجدت ركبها بخارجها متوجهين إلى بغداد وفيهم امرأة سالحة
عابدة تسمى بالسيدة زاهدة وهى من ذرية الخلفاء حجت مرارا وهى ملازمة الصوم
سبغت عليها وكنيت فى جوارها ومعها جملة من الفقراء يتخذونها وفى هذه الوجبة توفيت
رحمة الله عليها وكانت وفاتها بزود ودفنت هنالك ثم وصلنا إلى مدينة بغداد فوجدت
الحاج فى أهبة الرحيل فقصدت أميرها معروف خواججه فطلبت منه ما أمرى به السلطان
فمدنى لى شقة محارة وزاد أربعة من الرجال وماءهم وكتب لى بذلك ووجه إلى أمير الركب
الهلوان محمد الخويج فأرصادنى وكانت المعرفة بينى وبينه متقدمة فزادها تأكيدا ولم
أزل فى جواره وهو يحسن إلى ويزيدنى على ما أمر به وأصابنى عند دخروجننا من الكوفة
إسهال فسكانوا ينزلوننى من أعلى الحمل مرات كثيرة فى اليوم والامير يتفقد حالى
ويوصى بى ولم أزل مريضاً حتى وصلت مكة حرم الله تعالى زادها الله شرفاً وتعظيماً

وطفت بالبيت الحرام كرمه الله تعالى طواف القدوم وكنت ضعيفاً بحيث أودى
المسكوبة قاعدا فطفت وسعيت بين الصفا والمروة راكباً على فرس الأمير الحويح
المذكور ووقفنا تلك السنة يوم الإثنين فلما نزلنا منى أخذت في الراحة والاستقلال
من مرضى ولما انقضى الحاج أقمت بجاوراً بمكة تلك السنة وكان بها الأمير علاء الدين
ابن هلال مشيد (مشد) الدواوين مقيماً لعمارة دار الوضوء بظاهر العطارين من باب
ابن شيبه وجاور في تلك السنة من المصريين جماعة من كبارهم منهم تاج الدين بن السكويك
ونور الدين القاضي وزين الدين بن الأصيل وابن الخليلي وناصر الدين الأسيوطي
وسكنت تلك السنة بالمدرسة المظفرية وعافاني الله من مرضى فسكنت في أنعم عيش
وتفرغت للطواف والعبادة والاعتبار وأتى في أثناء تلك السنة حجاج الصعيد وقدم
معه الشيخ الصالح نجم الدين الأصمغوني وهي أول حجة حجها والآخران علاء الدين
علي وسراج الدين عمر ابنا القاضي الصالح نجم الدين الباسي قاضي مصر وجماعة غيرهم
في منتصف ذي القعدة وصل الأمير سيف الدين بلبلك وهو من الفضلاء ووصل في
صحبة جماعة من أهل طنجة بلدى حرسها الله منهم الفقيه أبو عبد الله بن عطاء الله
والفقيه أبو محمد عبيد الله الحضري والفقيه أبو عبد الله المرسى وأبو العباس بن الفقيه
ابن علي البلنسي وأبو محمد ابن القابلة وأبو الحسن البياري وأبو العباس بن نافوت
وأبو الصبر أيوب الفخار وأحمد بن حكامه ومن أهل القصر المجاز الفقيه أبو زيد
عبد الرحمن ابن القاضي أبي العباس بن خاوف ومن أهل القصر الكبير الفقيه أبو محمد
ابن مسلم وأبو إسحاق إبراهيم بن يحيى وولده ووصل في تلك السنة الأمير سيف الدين
تقزدمور من الخاصكية والأمير موسى بن قرمان والقاضي نحر الدين ناظر الجيش
كاتب المعاليك والتاج أبو إسحاق والست حديق مربية الملك الناصر وكانت لهم
صدقات عميمة بالحرم الشريف وأكثرهم صدقة القاضي نحر الدين وكانت وقفنا
في تلك السنة في يوم الجمعة من عام ثمان وعشرين ولما انقضى الحج أقمت بجاوراً
بمكة حرسها الله سنة تسع وعشرين وفي هذه السنة وصل أحمد بن الأمير رمية
ومبارك بن الأمير عطيفة من العراق صحبة الأمير محمد الحويح والشيخ زاده الحر باوي
والشيخ دانيال واتوا بصدقات عظيمة للمجاورين وأهل مكة من قبل السلطان أبي
سعيد ملك العراق وفي تلك السنة ذكر اسمه في الخطبة بعد ذكر الملك الناصر ودعوا
له بأعلى قبة زمزم وذكروا بعده سلطان اليمن الملك المجاهد نور الدين ولم يوافق الأمير

عطيفة على ذلك وبعث شقيقه منصوراً ليعلم الملك الناصر بذلك فأمر رميثة برده فرد
قبعة ثانية على طريق جدة حتى اعلم الملك الناصر بذلك ووقفنا تلك السنة وهى سنة
تسع وعشرين يوم الثلاثاء ، ولما انقضى الحج أقمت مجاوراً بمكة حرسها الله سنة ثلاثين
وفى موسمها وقعت الفتنة بين أمير مكة عطيفة وبين إيدمور أمير جنود الناصري وسبب
ذلك أن تجارا من أهل اليمن سرقوا فتشكوا إلى إيدمور بذلك فقال إيدمور لمبارك بن
الأمير عطيفة أنت بهؤلاء السراق فقال لا أعرفهم فكيف نأتى بهم وبعد فأهل اليمن
تحت حكمنا ولا حكم لك عليهم ان سرق لأهل مصر والشام شيء فاطلبنى به فشتمه إيدمور
وقال له يا قواد تقول لى هكذا وضربه على صدره فسقط ووقعت عمامته عن رأسه
وغضب له عبيده وركب إيدمور يريد عسكره فلحقه مبارك وعبيده فقتلوه وقتلوا ولده
ووقعت الفتنة بالحرم وكان به الأمير احمد بن عم الملك الناصر ورعى الترك بالشباب
فقتلوا امرأة قيل أنها كانت تعرض أهل مكة على القتال وركب من الركب من الأتراك
وأمرهم خاص ترك نخرج إليهم القاضي والأئمة والمجاورون وفوق رؤسهم المصاحف
وحاولوا الصلح ودخل الحجاج مكة فأخذوا ما لهم بها وانصرفوا إلى مصر وبلغ الخبر
إلى الملك الناصر فشق عليه وبعث العساكر إلى مكة ففر الأمير عطيفة وابنه مبارك
وخرج أخوه رميثة وأولاده إلى وادى نخلة فلما وصل العسكر إلى مكة بعث الأمير
رميثة أحداً أولاده يطلب له الأمان ولولده فأمنوا وآتى رميثة وكفنه في يده إلى الأمير
نفلح عليه وسلمت إليه مكة وعاد العسكر إلى مصر وكان الملك الناصر رحمه الله حليماً فاضلا
نفرجت تلك الأيام من مكة قاصداً بلاد اليمن فوصلت إلى حده (بالحاء المهملة المفتوح)
وهى نصف الطريق بين مكة وجدة (بالجيم المضموم) ثم وصلت إلى جدة وهى بلدة
قديمة على ساحل البحر يقال أنها من عمارة الفرس وبخارجها مصانع قديمة وبها
جباب الماء منقورة فى الحجر الصلد يتصل بعضها ببعض تغوت الاحصاء كثرة وكانت
هذه السنة قليلة المطر وكان الماء يجلب إلى جدة على مسيرة يوم وكان الحجاج يسألون
الماء من أصحاب البيوت .

(حكاية)

ومن غريب ما اتفق لى بجدة أنه وقف على بابى سائل اعمى يطلب الماء يقوده غلام
فسلم على وسمانى باسمى وأخذ بيدي ولم اكن عرفته قطولا عرفنى ففجبت من شأنه ثم
امسك أصبعى بيده وقال اين الفتحة وهى الخاتم وكنت حين خروجى من مكة لقينى بعض
الفقراء وسألنى ولم يكن عندى فى ذلك الحين شيء قد فعت له خاتمى فلما سألتى عنه هذا

الاعشى قلت له أعطيت له لفقيه فقال ارجع في طلبه فإن فيه أسماء مكتوبة فيها سر من الأسرار فطال تعجبي منه ومن معرفته بذلك والله اعلم بحاله، وبجدة جامع يعرف بجامع الآبوس معروف البركة يستجاب به الدعاء وكان الأمير بها أبا يعقوب بن عبد الرزاق وقاضيا وخطيبا الفقيه عبد الله من أهل مكة شافعي المذهب وإذا كان يوم الجمعة واجتمع الناس للصلاة أتى المؤذن وعد أهل جدة المقيمين بها فإن اكملوا أربعين خطب وصلى بهم الجمعة وإن لم يبلغ عددهم أربعين صلى ظهراً أربعاً ولا يعتبر من ليس من أهلها وإن كانوا عدداً كثيراً ثم ركبنا البحر من جدة في مركب يسمونه الجليلة وكان لرشيد الدين الألفي اليميني الحبشي الأصل وركب الشريف منصور بن أبي نهي في جليلة أخرى ورغب مني أن أكون معه فلم أقبل لكونه كان معه في جليلته الجبال تخفت من ذلك ولم اكن ركبنا البحر قبلها وكان هنالك جملة من أهل اليمن قد جعلوا زوادهم وأمتعتهم في الجلب وهم متأهبون للسفر .

(حكاية)

ولما ركبنا البحر أمر الشريف منصور غلاماً به أن يأتيه بعديلة دقيق وهي نصف حمل وبطة سم يأخذها من جلب أهل اليمن فأخذها وأتى بها إليه فأتى التجار بأكين وذكروا إلى أن في جوف تلك العديلة عشرة آلاف درهم نقرة ورغبوا مني أن اكلمه في ردها وأن يأخذ سواها فأتيته وكلمته في ذلك وقلت له أن للتجار في جوف هذه العديلة شيئاً فقال أن كان سكران فلا ارده اليهم وإن كان سوى ذلك فهو لهم ففتحوها ووجدوا الدراهم فردها عليهم وقال لي لو كان عجلاً ما ردها وعجلان هو ابن أخيه رميته وكان قد دخل في تلك الأيام دار تاجر من أهل دمشق قاصدا لليمن فذهب بمعظم ما كان فيها وعجلان هو أمير مكة على هذا العهد وقد صامح حاله وأظهر العدل والفضل ثم سافرنا في هذا البحر بالريح الطيبة يومين وتغيرت الريح بعد ذلك وصدتنا عن السبيل التي قصدناها ودخلت أمواج البحر معنا في المركب واشتد الميبد بالناس ولم نزل في أهوال حتى خرجنا في مرسى يعرف برأس دوائر فيما بين عيذاب وسواكن فنزلنا به ووجدنا بساحله عريش قصب على هيئة مسجد وبه كثير من قشور بيض النعام ملوثة ماء فشربنا منه وطبخنا ورأيت في ذلك المرسى عجبا وهو خور مثل الوادي يخرج من البحر فكان الناس يأخذون الثوب ويمسكون بأطرافه ويخرجون به وقد امتلأ سمكا كل سمكة منها قدر الذراع ويعرفونه بالبوري فطبخ منه الناس كثيرا واشتروا وقصدت إلينا طائفة من البجاة وهم سكان تلك الأرض سود الألوان لباسهم الملاحف الصفرة ويشدون على رؤسهم عصائب

حمراء عرض الأصابع وهم أهل نجدة وشجاعة وسلاحهم الرماح والسيوف ولهم جمال يسمونها الصهب يركبونها بالسروج فاكثرتنا منهم الجبال وسافرونا معهم في برية كثيرة الغزلان والبهجة لا يأكلونها وهي تأنس بالآدمى ولا تنفر منه وبعد يومين من مسيرنا وصلنا إلى حى من العرب يعرفون بأولاد كاهل مختلطين بالبهجة عارفين بلسانهم وفى ذلك اليوم وصلنا إلى جزيرة سواكن وهي على نحو ستة أميال من البر ولأما بها ولا زرع ولا شجر والماء يجلب إليها فى القوارب وفيها صهاريج يجتمع بها ماء المطر وهي جزيرة كبيرة وبها الحوم النعام والغزلان وحمر الوحش والمعزى عندهم كثير والألبان والسمن ومنها يجلب إلى مكة وحجوبهم الحجر جودر وهو نوع من الذرة كبير الحب يجلب منها أيضا إلى مكة

﴿ ذكر سلطانها ﴾

وكان سلطان جزيرة سواكن حين وصولي إليها الشريف زيد بن أبى ندى وأبوه أمير مكة وأخواه أميرها بعده وهما عطيفة ورميثة اللذان تقدم ذكرهما وصارت إليه من قبل البهجة فانهم أخواله ومعه عسكر من البهجة وأولاده كاهل وعرب جهينة وركبنا البحر من جزيرة سواكن نريد أرض اليمن وهذا البحر لا يسافر فيه بالليل لسكرته أحجاره وإنما يسافرون فيه من طلوع الشمس إلى غروبها ويرسون وينزلون إلى البر فاذا كان الصباح صعدوا إلى المركب وهم يسمون رئيس المركب الربان ولا يزال أبدا فى مقدم المركب يذبه صاحب السكان على الأحجار وهم يسمونها النبات وبعد ستة أيام من خروجنا عن جزيرة سواكن وصلنا إلى مدينة حلى (وضبط اسمها بفتح الحاء المهملة وكسر اللام ونخفيفها) وتعرف باسم ابن يعقوب وكان من سلاطين اليمن ساكنها قديما وهي كبيرة حسنة العمارة يسكنها أهلان من العرب وهم بنو حرام وبنو كنانة وجامع هذه المدينة من أحسن الجوامع وفيه جماعة من الفقهاء المنتظمين إلى العبادة منهم الشيخ الصالح العابد الزاهد قبولة الهندى من كبار الصالحين لباسه مرقعة وقنسوة لبد وله خلوة متصلة بالمسجد فرشها الرمل لا حصى بها ولا بساط ولم أر بها حين لقائى له شيئا إلا إبريق الوضوء وسفرة من خوص النخيل فيها كسر شعير يابسة وصحيفة فيها ملح وسعتر فاذا جاءه أحد قدم بين يديه ذلك ويسمع به أصحابه فيأتى لكل واحد منهم بما حضر من غير تكلف شئ وإذا صلوا العصر اجتمعوا المذكور بين يدى الشيخ إلى صلاة المغرب وإذا صلوا المغرب أخذ كل واحد منهم موقفه للثقل فلا يزالون كذلك إلى صلاة العشاء الآخرة فاذا صلوا العشاء الآخرة أقاموا على الذكر إلى ثلث الليل ثم انصرفوا ويعودون فى أول الثلث الثالث إلى المسجد فيتهجدون إلى الصبح ثم يذكرون إلى أن تحين صلاة الاشراف فينصرفون بعد صلاتها

ومنه من يقيم إلى أن يصلي صلاة الضحى بالمسجد وهذا دأبهم أبدا ولقد كنت أردت الإقامة معهم باقى عمرى ولم أوفق لذلك والله تعالى يتداركنا بلطفه وتوفيقه .

(ذكر سلطان حلى)

وسلطانها عامر بن ذؤيب من بنى كنانة وهو من الفضلاء الأدباء الشعراء صاحبته من مكة إلى جدة وكان قد حج في سنة ثلاثين ولما قدمت مدينته أنزلنى واكرمنى وأقمت فى ضيافته أياما وركبت البحر فى مركب له فوصلت إلى بلدة السرجة (وضبط اسمها بفتح السين المهمل وإسكان الراء وفتح الجيم) بلدة صغيرة يسكنها جماعة من أولاد الهلبى وهم طائفة من تجار اليمن أكثرهم ساكنون بصنعاء ولهم فضل وكرم وإطعام لأبناء السبيل ويعينون الحجاج ويركبونهم فى مراكبهم ويزودونهم من أموالهم وقد عرفوا بذلك واشتهروا به وكثر الله أموالهم وزادهم من فضله وأعانهم على فعل الخير ، وليس بالأرض من يمانلهم فى ذلك إلا الشيوخ بدر الدين النقاش الساكن ببلدة القحمة فله مثل ذلك من المسأثر والإيثار وأقمنا بالسرجة ليلة واحدة فى ضيافة المذكورين ثم رحلنا إلى مرسى الحادث ولم ننزل به ثم إلى مرسى الأبواب ثم إلى مدينة زبيد مدينة عظيمة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخا وليس باليمن بعد صنعاء أكبر منها ولا أغنى من أهلها واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه من الموز وغيره وهى برية لاشطية احدى قواعد بلاد اليمن (وهى بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة) مدينة كبيرة كثيرة العمارة بها النخل والبساتين والمياه املح بلاد اليمن واجملها ولأهلها لطافة الشئام وحسن الأخلاق وجمال الصور ولنسائها الحسن الفائق الفائق وهى وادى الخصيب الذى يذكر فى بعض الآثار أن رسول الله ﷺ قال لما ذى وصيته يامعاذ إذا جئت وادى الخصيب فهو لى لأهل هذه المدينة سبوت النخل المشهورة وذلك أنهم يخرجون فى أيام البسر والرطب فى كل سبت إلى حدائق النخل ولا يبق بالمدينة احدى من أهلها ولا من الغرباء ويخرج أهل الطرب وأهل الأسواق لبيع الفواكه والخلاوات وتخرج النساء بمتطيات البجال فى الحامل ولهن مع ما ذكرناه من الجمال الفائق الأخلاق الحسنة والمكارم والغريب عندهم مزية ولا يتمتعن من تزوجه كما يفعله نساء بلادنا فإذا اراد السفر خرجت معه وودعته وإن كان بينهما ولد فهى تكفله وتقوم بما يجب له إلى أن يرجع أبوه ولا تقالبه فى أيام الغيبة بنفقة ولا كسوة ولا سواها وإذا كان مقيما فهى تقنع منه بقليل النفقة والكسوة لسكنهن

لا يخرج من بلد من أبلدا ولو أعطيت إحداهن ما عسى أن تعطاه على أن يخرج من بلدها لم تفعل وعلماء تلك البلاد وفقهاؤها أهل صلاح ودين وأمانة ومكارم وحسن خلق لقيت بمدينة زبيد الشيخ العالم الصالح أيا محمد الصنعاني والفقير الصوفي المحقق أبا العباس الأبياني والفقير المحدث أبا على الزبيدي ونزلت في جوارهم فأكرموني وأضافوني ودخلت حدائقهم واجتمعت عند بعضهم بالفقير القاضي العالم أبي زيد عبد الرحمن الصوفي أحد فضلاء اليمن ووقع عنده ذكر العابد الزاهد الخاشع أحمد بن العجيل اليمني وكان من كبار الرجال وأهل الكرامات ﴿كرامة﴾

ذكروا أن فقهاء الزيدية وكبراءهم أتوا مرة إلى زيارة الشيخ أحمد بن العجيل فجلس لهم خارج الزاوية واستقبلهم أصحابه ولم يرح الشيخ عن موضعه فسلموا عليه وصالحهم ورحب بهم ووقع بينهم الكلام في مسألة القدر وكانوا يقولون أن لا قدر وأن المسكف يخلق أفعاله فقال لهم الشيخ فإن كان الأمر على ما تقولون فقوموا عن مكانكم هذا فأرادوا القيام فلم يستطيعوا وتركهم الشيخ على حالهم ودخل الزاوية وأقاموا كذلك واشتد بهم الحر والحرق وهج الشمس وضجوا مما نزل بهم فدخل أصحاب الشيخ إليه وقالوا له أن هؤلاء القوم قد تابوا إلى الله ورجعوا عن مذهبهم الفاسد فخرج عليهم الشيخ فأخذ بأيديهم وعاهدهم على الرجوع إلى الحق وترك مذهبهم السيئ وأدخلهم زاويته فأقاموا في ضيافته ثلاثا وانصرفوا إلى بلادهم وخرجت زيارة قبر هذا الرجل الصالح وهو بقرية يقال لها غسانة خارج زبيد ولقيت ولده الصالح أبا الوليد اسماعيل فأضافني وبنت عنده وزرت ضريح الشيخ وأقمت معه ثلاثا وسافرت في صحبته إلى زيارة الفقير أبي الحسن الزيلعي وهو من كبار الصالحين ويقدم حجاج اليمن إذا توجهوا للحج وأهل تلك البلاد وأعرا بها يعظمونه ويحترمونه فوصلنا إلى جبله وهي بلدة صغيرة حسنة ذات نخل وفواكه وأنهار فلما سمع الفقير أبو الحسن الزيلعي بقدم الشيخ أبي الوليد استقبله وأنزله بزاويته وسلمت عليه معه وأقمنا عنده ثلاثة أيام في خير مقام ثم انصرفنا وبعث معنا أحد الفقراء فتوجهنا إلى مدينة تعز حضرة ملك اليمن (وضبط اسمها بفتح التاء المعلوة وكسر العين المهملة وزاء) وهي من أحسن مدن اليمن وأعظمها وأهلها ذوو تجبر وتكبر وفظاظة وكذلك الغالب على البلاد التي يسكنها الملوك وهي ثلاث محلات إحداها يسكنها السلطان ومعااليكه وحاشيته وأرباب دولته وتسمى باسم لا أذكره والثانية يسكنها الأمراء والأجناد وتسمى مدينة والثالثة يسكنها عامة الناس وبها السوق العظمى وتسمى المحالب

(ذكر سلطان اليمن)

وهو السلطان المجاهد نور الدين علي ابن السلطان المؤيد هزبر الدين داود ابن السلطان المظفر يوسف بن علي بن رسول شهر جده برسول لأن أحد خلفاء بني العباس أرسله إلى اليمن ليكون بها أمير ثم استقل أولاده بالملك وله ترتيب عجيب في قعوده وركوبه وكنت لما وصلت هذه المدينة مع الفقير الذي بعثه الشيخ العقبة أبو الحسن الزيلعي في صحبتي قصدني إلى قاضي القضاة الإمام المحدث صفي الدين الطبري المكي فسلمنا عليه ورحب بنا وأقننا بداره في ضيافته ثلاثاً فلما كان في اليوم الرابع وهو يوم الخميس وفيه يجلس السلطان لعامة الناس دخل بي عليه فسلمت عليه وكيفية السلام عليه أن يمس الإنسان الأرض بسبابته ثم يرفعها إلى رأسه ويقول أدام الله عزك ففعلت كمثل ما فعله القاضي عن يمين الملك وأمرني فقعدت بين يديه فساءلني عن بلاد مصر وعن مولانا أمير المسلمين جواد الأجواد أبي سعيد رضى الله عنه وعن ملك مصر وملك العراق وملك اللوز فأجبتهم عما سأل من أحوالهم وكان وزيره بين يديه فأمره باكرامى وإنزالى وترتيب قعود هذا الملك لأنه يجلس فوق دكانة مقروشة مزينة بشباب الحرير وعن يمينه ويساره أهل السلاح ويليهم منهم أصحاب السيوف والدرق ويليهم أصحاب القسي وبين أيديهم في الميمنة والميسرة الحاجب وارباب الدولة وكاتب السر واميّر جنّدار على رأسه والشاويشية وهم من الجنّادرة وقوف على بعد فاذا قعد السلطان صاحوا صيحة واحدة بسم الله فاذا قام فعلوا مثل ذلك فيعلم جميع من بالمشور وقت قيامه ووقت قعوده فاذا استوى قاعدا دخل كل من عادته أن يسلم عليه فسلم ووقف حيث رسم له في الميمنة أو الميسرة لا يتعدى أحد موضعه ولا يقعد إلا من أمر بالقعود يقول السلطان للأمير جنّدار مر فلانا يقعد فيتقدم ذلك المأمور بالقعود عن موقفه قليلاً ويقعد على بساط هناك بين أيدي القائمين في الميمنة والميسرة ثم يؤتى بالطعام وهو طعامان طعام العامة وطعام الخاصة فأما الطعام الخاص فأكل منه السلطان وقاضي القضاة والسكبار من الشرفاء ومن الفقهاء والضيوف وأما الطعام العام فيأكل منه سائر الشرفاء والفقهاء والقضاة والمشايخ والأمراء ووجوه الأجنّاد ويجلس كل إنسان للطعام معين لا يتعداه ولا يزاحم أحد منهم أحداً وعلى مثل هذا الترتيب سواء هو ترتيب ملك الهند في طعامه فلا أعلم أن سلاطين الهند أخذوا ذلك عن سلاطين اليمن أم سلاطين اليمن أخذوه عن سلاطين الهند واقمت في ضيافة سلطان اليمن أياماً واحسن إلى واركبني وانصرفت مسافراً إلى مدينة صنعاء وهي قاعدة بلاد اليمن الأولى

مدينة كبيرة حسنة الهارة بناؤها بالآجر والجص كثيرة الأشجار والفواكه والزرع معتدلة الهواء طيبة الماء ومن الغريب أن المطر ببلاد الهند واليمن والحشة إنما ينزل في أيام القيظ وأكثر ما يكون نزوله بعد الظهر من كل يوم في ذلك الأوان فالمسافرون عند الزوال لئلا يصيبهم المطر وأهل المطر وأهل المدينة ينصرفون إلى منازلهم لأن أمطارها وابلة متدفقة ومدينة مفروشة كماها فإذا نزل المطر غسل جميع أزقتها وانقاها وجامع صنعاء من أحسن الجوامع وفيه قبر نبي من الأنبياء عليهم السلام ثم سافرت منها إلى مدينة عدن مرسى بلاد اليمن على ساحل البحر الأعظم والجبال تحف بها ولا مدخل إليها إلا من جانب واحد وهي مدينة كبيرة ولا زرع بها ولا شجر ولا ماء وبها صهاريج يجتمع فيها الماء أيام المطر والماء على بعد منها فرجاً منعتة العرب وحالوا بين أهل المدينة وبينه حتى يصانعوهم بالمال والثياب وهي شديدة الحر وهي مرسى أهل الهند تأتي إليها المراكب العظيمة من كتبائيت وتاناه وكولم والقووط وفندراينه والشاليات ومنجور وفاكور وهنور وسندابور وغيرها وتجار الهند ساكنون بها وتجار مصر أيضاً وأهل عدن ما بين تجار وحمالين وصيادين السمك وللتجار منهم أموال عريضة وربما يكون لأحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه لا يشاركه فيه غيره لسعة ما بين يديه من الأموال ولهم في ذلك تفاخر ومباهاة .

(حكاية) ذكر على أن بعضهم بعث غلاماً له ليشتري له كبشاً وبعث آخر منهم غلاماً له برسم ذلك أيضاً فاتفق أنه لم يكن بالسوق في ذلك اليوم إلا كبش واحد ف وقعت المزايدة فيه بين الغلامين فأنتهى ثمنه إلى أربع مائة دينار فأخذه أحدهما وقال إن رأس مالي أربع مائة دينار فإن أعطاني مولاي ثمنه فحسن وإلا دفعت فيه رأس مالي ونصرت نفسي وغلبت صاحبي وذهب بالكبش إلى سيده فلما عرف سيده بالقضية وأعطاه الف دينار وعاد الآخر إلى سيده خائباً فضر به وأخذ ماله ونفاه عنه ونزلت في عدن عند تاجر يعرف بناصر الدين الفأري فكان يحضر طعامه كل ليلة نحو عشرين من النجار وله غلمان وخدام أكثر من ذلك مع هذا كله فهم أهل دين وتواضع وصلاح ومكارم أخلاق يحسنون إلى الغريب ويؤثرون على الفقير ويعطون حق الله من الزكاة على ما يجب ولقيت بهذه المدينة قاضيها الصالح سالم بن عبد الله الهندي وكسان والده من العميد الحمالين واشتغل ابنه بالعلم فرأس وصاد وهو من خيار القضاة وفضلائهم أقت في ضيافتهم أياماً وسافرت من مدينة عدن في البحر أربعة أيام ووصلت إلى مدينة زيلع وهي مدينة البربرة وهم طائفة من السودان شافعية المذهب وبلادهم

صحراء مسيرة شهرين اولها زيلع وآخرها مقدشو ومواسيهم الجمال وهم اغنام مشهورة
السمن وأهل زيلع سود الألوان وأكثرتهم رافضة وهى مدينة كبيرة لها سوق عظيمة
إلا أنها أقدر مدينة فى المعمور وأوحشها وأكثرها ثقلأ وسبب ثقلها كثرة سمكها ودماء
الإبل التى ينحرونها فى الأزقة ولما وصلنا إليها اخترنا المبيت بالبحر على شدة هوله ولم
نبت بها لقدرها ثم سافرنا منها فى البحر خمس عشرة ليلة ووصلنا مقدشو (وضبط
اسمها بفتح الميم وإسكان القاف وفتح الدال المهمل والشين المعجم واسكان الواو)
وهى مدينة متناهية فى السكبر وأهلها لهم جمال كثيرة ينحرون منها المشين فى كل يوم
ولهم أغنام كثيرة وأهلها تجار أقوياء وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها التى لا نظير لها
ومنها تحمل إلى ديار مصر وغيرها ومن عادة أهل هذه المدينة أنه متى وصل مركب إلى
المرسى تصعد الصنابق وهى القوارب الصغار إليه ويكون فى كل صنبق جماعة من شبان
أهلها فيأتى كل واحد منهم بطبق مغطى فيه الطعام فيقدمه للتاجر من تجار المركب
ويقول هذا نزيلي وكذلك يفعل كل واحد منهم ولا ينزل التاجر من المركب إلا إلى
دار نزيله من هؤلاء الشبان إلا من كان كثير التردد إلى البلد وحصلت له معرفة أهله
فانه ينزل حيث شاء فاذا نزل عند نزيله باع له ما عنده واشترى له ومن اشترى منه
بيخس أو باع منه بغير حضور نزيله فذلك البيخس مردود عندهم ولهم منفعة فى ذلك
ولما صعد الشبان إلى المركب الذى كنت فيه جاء إلى بعضهم فقال له أصحابى ليس
هذا بتاجر وإنما هو فقيه فصاح بأصحابه وقال لهم هذا نزيل القاضى وكان فيها أحد
أصحاب القاضى فعرفه بذلك فأتى إلى ساحل البحر فى جملة من الطلبة وبعث إلى أحدهم
فنزلت أنا وأصحابى وسلمت على القاضى وأصحابه وقال لى بسم الله نتوجه للسلام على
الشيخ فقلت ومن الشيخ فقال السلطان وعادتهم أن يقولوا للسلطان الشيخ فقلت له
إذا نزلت توجهت إليه فقال لى أن العادة إذا جاء الفقيه أو الشريف أو الرجل الصالح
لا ينزل حتى يرى السلطان فذهبت معهم إليه كما طلبوا

(ذكر سلطان مقدشو)

وسلطان هقدشو كما ذكرناه إنما يقولون له الشيخ واسمه أبوبكر ابن الشيخ عمر
وهو فى الأصل من البرابرة وكلامه بالمقدشى ويعرف اللسان العربى ومن عوائده أنه متى وصل
مركب يصعد إليه صنبق السلطان فيسأل عن المركب من أين قدم ومن صاحبه ومن
ربانه وهو الرئيس وما وسقه ومن قدم فيه من التجار وغيرهم فيعرف بذلك كله ويعرض
على السلطان فمن استحق أن ينزل عنده أنزله ولما وصلت مع القاضى المذكور وهو يعرف
بأبن البرهان المصرى الأصل إلى دار السلطان خرج بعض الفتيان فسلم على القاضى فقال
له بلغ الأمانة وعرف مولانا الشيخ أن هذا الرجل قدصل من أرض الحجاز فبلغ ثم عاد

وأتى بطبق فيه أوراق التنبول والقوفل فأعطاني عشرة أوراق مع قليل من القوفل
واعطى للقاضى كذلك وأعطى لأصحابى والطلبة القاضى ما بقى فى الطبق وجاء بمقمتهم من ماء
الورد الدمشقي فسكب على وعلى القاضى وقال ان مولانا أمر أن ينزل بدار الطلبة وهى دار
معدة لضيافة الطلبة فأخذ القاضى بيدي وجثنا إلى تلك الدار وهى بمقربة من دار الشيخ
مفروشة مرتبة بما تحتاج اليه ثم أتى بالطعام من دار الشيخ ومعه أحد وزرائه وهو
الموكل بالضيوف فقال مولانا يسلم عليكم ويقول لكم قدمتم خير مقدم ثم وضع فى الطعام
فأكلنا وعلماهم الارز المطبوخ بالسمن يجعلونه فى صحفة خشب كبيرة ويجعلون فوقه
صحاف السكوشان وهو الإدام من الدجاج واللحم والحوت والبقول ويطبخون الموز قبل
نضجه فى اللبن الحليب ويجعلونه فى صحفة ويجعلون اللبن المريب فى صحفة ويجعلون عليه
الليمون المصبر وعناقيد الفلفل المصبر المحلل والمملوح والزنجبيل الاخضر والعنب وهى
مثل التفاح ولكن لها نواة وهى اذا نضجت شديدة الخلاوة وتوكل كالفاكهة وقبل نضجها
حامضة كالليمون يصبرونها فى الخل وهم إذا أكلوا لقمة من الارز أكلوا بعدها من هذه
المواالح والمخللات .

والواحد من اهل مقدشو ياكل قدر ما تاكل الجماعة من عادة لهم وفى نهاية من
ضخامة الاجسام وسمنها ثم لما طعمنا انصرف عنا القاضى وأقننا ثلاثة أيام يؤتى اليها بالطعام
ثلاث مرات فى اليوم وتلك عادتهم .

فلما كان اليوم الرابع وهو يوم الجمعة جاءنى القاضى والطلبة وأحد وزراء الشيخ
وأثنى بكسوة ، وكسوتهم فوطه خز يشدها الإنسان فى وسطه عوض السراويل فانهم
لا يعرفونها ودراعة من المقطع المصرى معلبة وفرجية من القديسى مبطنة وعمامة مصرية
معلبة وأنوا لأصحابى بكسى تناسبهم وأنينا الجامع فصلينا خلف المقصورة فلما خرج
الشيخ من باب المقصورة سلمت عليه مع القاضى فرحب وتكلم بلسانهم مع القاضى
ثم قال باللسان العربى قدمت خير مقدم وشرفت بلادنا وآنسنا وخرج إلى صحن
المسجد فوقف على قبر والده وهو مدفون هناك فقرأ ودعا ثم جاء الأمرام والوزراء
ووجوه الأجناد فسلموا وعادتهم فى السلام كعادة أهل اليمن يضع سبابته فى الأرض
ثم يجعلها على رأسه ويقول أدام الله عزك ثم خرج الشيخ من باب المسجد فلبس
نعليه وأمر القاضى أن يلتعل وأمرنى أن أتعل وتوجه إلى منزله ماشيا وهو بالقرب
من المسجد ومشى الناس كلهم حفاة ورفعت فوق رأسه أربع قباب من الحرير الملون
وعلى أعلى كل قبة صورة طائر من ذهب وكان لباسه فى ذلك اليوم فرجية قديسى أخضر

وتحتها من ثياب مصر وطروحاتها الحسان وهو متقلد بفوطة حرير وهو معتم بهامة كبيرة وضربت بين يديه الطبول والأبواق والأنفاز وأمرأه الأجناد أمامه وخلفه والقاضي والفقهاء والشرفاء معه ودخل إلى مشوره على تلك الهيئة وقعد الوزراء والأمراء وجوه الأجناد في سقيفة هنالك وفرش للقاضي بساط لا يجلس معه غيره عليه والفقهاء والشرفاء معه ولم يزالوا كذلك إلى صلاة العصر فلما صلوا العصر مع الشيخ أتى جميع الأجناد ووقفوا صفوفًا على قدر مراتبهم ثم ضربت الأطلال والأنفاز والأبواق والصراياات وعند ضربها لا يتحرك أحد ولا يتزحزح من مقامه ومن كان ماشيًا وقف فلم يتحرك إلى خلف ولا إلى أمام فإذا فرغ من ضرب الأطلال انسلوا بأصابعهم كما ذكرناه وانصرفوا وتلك عادة لهم في كل يوم جمعة وإذا كان يوم السبت يأتي الناس إلى باب الشيخ فيقعدون في سقائف خارج الدار ويدخل القاضي والفقهاء والشرفاء والصالحون والمشايخ والحجاج إلى المشور الثاني فيقعدون على دكاكين خشب معدة لذلك ويكون القاضي على دكانة وحده وكل صنف على دكانة تخصهم لا يشاركون فيها سواهم ثم يجلس الشيخ بمجلسه ويبعث إلى القاضي فيجلس عن يساره ثم يدخل الفقهاء فيقعد كبرائهم بين يديه ويسلم سائرهم وينصرفون ثم يدخل الشرفاء فيقعد كبرائهم بين يديه ويسلم سائرهم وينصرفون وإن كانوا ضيوفا جلسوا عن يمينه ثم يدخل المشايخ والحجاج فيجلس كبرائهم ويسلم سائرهم وينصرفون ثم يدخل الوزراء ثم الأمراء ثم وجوه الأجناد طائفة بعد طائفة أخرى فيسلمون وينصرفون ويؤتى بالطعام فيأكل بين يدي الشيخ القاضي والشرفاء ومن كان قاعدًا بالمجلس ويأكل الشيخ معهم وإن أراد تشریف أحد من كبار أمرائه بعث إليه فأكل معهم ويأكل كل سائر الناس بدار الطعام وأكلهم على ترتيب مثل ترتيبهم في الدخول على الشيخ ثم يدخل الشيخ إلى داره ويقصد القاضي والوزراء وكاتب السر وأربعة من كبار الأمراء للفصل بين الناس وأهل الشكايات فما كان متعلقًا بالأحكام الشرعية حكم فيه القاضي وما كان من سوى ذلك حكم فيه أهل الشورى وهم الوزراء والأمراء وما كان مفتقرًا إلى مشاورة السلطان كتبوا إليه فيخرج لهم الجواب من حينه على ظهر البطاقة بما يقتضيه نظره وتلك عادتهم .

ثم ركبتم من مدينة مقدشو متوجهين إلى بلاد السواحل قاصدين مدينة كلوا من بلاد الزنوج فوصلنا إلى جزيرة منبسي (وضبط اسمها من مفتوح ونون مسكن وباء موحدة مفتوحة وسين مهمل مفتوح وياء) وهي كبيرة بينها وبين أرض السواحل مسيرة يومين في البحر ولا بر لها وأشجارها الموز والليمون واللاترج ولهم قاكهة يسمونها الجنون وهي شبه

الزيتون ولها نوى كثواه إلا أنها شديدة الحلاوة ولازرع عند أهل هذه الجزيرة وإنما يجلب اليهم من السواحل وأكثر طعامهم الموز والسمك وهم شافعية المذهب أهل دين وعفاف وصلاح ومساجدهم من الخشب محكمة الإيقان وعلى كل باب من أبواب المساجد البئر والثنتان وعمق آبارهم ذراع أو ذراعان فيستقون منها الماء بتدح خشب قد غرز فيه عود رقيق في طول الزراع والارض حول البئر والمسجد مسطحة فمن أراد دخول المسجد غسل رجله ودخل ويكون على يابه قطعة حصير غليظ يمسح بها رجله ومن أراد الوضوء أمسك القدح بين يديه وصب على يديه ويتوضأ ويصليع الناس يمشون حفاة الأقدام وبتنا بهذه الجزيرة ليلة وركبنا البحر الى مدينة كلوا (وضبط اسمها بضم الكاف واسكان اللام وفتح الواو) وهى مدينة عظيمة ساحلية أكثر أهلها الزوج المستحكو السواد ولهم شرطات في وجوههم كماهى في وجوه الليميين من جنادة وذكرلى بعض التجار أن مدينة سفالة على مسيرة نصف شهر من مدينة كلوا وان بين سفالة ويوفى من بلاد الليميين مسيرة شهر ومن يوفى يؤتى بالنبر إلى سفالة ومدينة كلوا من احسن المدن وأتقنها عمارة وكلها بالخشب وسقف بيوتها الديس والامطار بها كثيرة وهم أهل جهاد لأنهم فى بر واحد مع كفار الزوج والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب

(ذكر سلطان كلوا)

وكان سلطانها فى عهد دخولى اليها أبو المظفر حسن ويكنى أيضا أبو المواهب لكثرة مواهبه ومكارمه وكان كثير الغزو الى أرض الزوج يغير عليهم ويأخذ الغنائم فيخرج ختمها ويصرفه فى مصارفه المعتبرة فى كتاب الله تعالى ويجعل نصيب ذوى القربى فى خزائنه على حدة فاذا جاء الشرفاء دفعه اليهم وكان الشرفاء يقصدونه من العراق والحجاز وسواها ورأيت عنده من شرفاء الحجاز جماعة منهم محمد بن جاز ومنصور بن لبيده بن أبى ندى ومحمد بن شميلة بن أبى ندى ولقيت بمقدشو اتيل بن كيش بن جاز وهو يريد القدوم عليه وهذا السلطان له تواضع شديد ويجلس مع الفقراء وياكل معهم ويعظم أهل الدين والشرف .

(حكاية من مكارمه)

حضرته يوم الجمعة وقد خرج من الصلاة قاصدا الى داره فتعرض له أحد الفقراء اليميين فقال له يا المواهب فقال لبيك يا فقير ما حاجتك قال اعطى هذه الثياب التى عليك فقال له نعم اعطيكها قال الساعة قال نعم الساعة فرجع الى المسجد ودخل بيت الخطيب فلبس ثيابا سواها وخلع تلك الثياب وقال للفقير ادخل فخذها فدخل الفقير وأخذها وربطها

في منديل وجمعها فوق رأسه وانصرف فعظم شكر الناس للسلطان على ما ظهر من تواضعه وكرمه واخذ ابنه ولى عهده تلك السكسوة من الفقير وعوضه عنها بعشرة من العبيد وبلغ السلطان ما كان من شكر الناس له على ذلك فأمر للفقير ايضا بعشرة رؤوس من الرقيق وحمليين من العاج ومعظم عطاياهم من العاج وقلما يعطون الذهب .

ولما توفي هذا السلطان المعاضل الكريم رحمة الله عليه ولى أخوه داود فكان على الضد إذا اتاه سائل يقول له مات الذي كان يعطى ولم يترك من بعده ما يعطى ويقيم الوفود عنده الشهور السكسوة وحينئذ يعطيهم القليل حتى انقطع الوافدون عن بابه .

وركبنا البحر من كلوا إلى مدينة ظفار الخوض (وضبط اسمها بفتح الظاء المعجم والفاء وآخره راء مبنية على الكسر) وهي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي ومنها تحمل الخيل العتاق إلى الهند ويقطع البحر فيما بينها وبين بلاد الهند مع مساعدة الريح في شهر كامل فد قطعته مرة في قالقوط من بلاد الهند إلى ظفار في ثمانية وعشرين يوما بالريح ولم ينقطع لنا جرى بالليل ولا بالنهار وبين ظفار وعدن في البر مسيرة شهر في صحراء ويدها وبين حضرموت ستة عشر يوما ويدها وبين عمان عشرون يوما .

ومدينة ظفار في صحراء لا قرية بها ولا عمالة لها والسوق خارج المدينة برض يعرف بالخرجاء وهي من أقدر الأسواق وأشدها ثلثا وأكثرها ذبايا لسكسوة ما يباع بها من الثمرات وأكثر سمكها النوع المعروف بالسردين وهو بها في النهاية من السمك ومن العجائب ان دوابهم إنما علفها من هذا السردين وكذلك غنمهم ولم أر ذلك في سواها وأكثر باعها الخدم وهن يلبسن السواد وزرع أهلها الذرة وهم يسقونها من آبار بعيدة الماء وكيفية سقيهم انهم يصنعون دلويا كبيرة ويجعلون لها حبالا كثيرة ويتحزم بكل حبل عبيد أو خدام ويجرون الدلو على عود كبير مرتفع عن البئر ويصبونها في صهريج يسقون منه ولهم قحح يسمونه العلس وهو في الحقيقة نوع من السلت والارز يجلب اليهم من بلاد الهند وهو أكثر طعامهم ودرهم هذه المدينة من النحاس والتصدير ولا تنفق في سواها وهم اهل تجارة لا عيش لهم إلا منها ومن عاداتهم انه إذا وصل مركب من الهند أو غيرها خرج عبيد السلطان إلى الساحل وصعدوا في صنبوق إلى المركب ومعهم السكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله وللربان وهو الرئيس للسكراني وهو كاتب المركب ويؤتي اليهم بثلاثة أفراس فيركبونها وتضرب أمامهم الأطبال والأبواق من ساحل البحر إلى دار السلطان فيسلمون على الوزير وأمير الجند وتبعث الضيافة لكل من المركب ثلاثا وبعد الثلاث يأكلون بدار السلطان .

وهم يفعلون ذلك استجلابا لأصحاب المراكب وهم أهل تواضع وحسن اخلاق وقضية ومحبة للغرباء ولباسهم القطن وهو يجلب اليهم من بلاد الهند ويشدون القوط في أوساطهم عوض عن السروال واكثرهم يشد فوطة في وسطه ويبسل فوق ظهره أخرى من شدة الحر ويغتسلون مرات في اليوم .

وهي كثيرة المساجد وطعم في كل مسجد مطاهر كثيرة معدة للاغتسال ويصنع بها ثياب من الحرير والقطن والكتان حسان جدا .

والعالم على أهلها رجالا ونساء المرض المعروف بداء الفيل وهو انتفاخ القدمين واكثر رحالهم مبتلون بالادر والعياذ بالله ومن عوايدهم الحسنة التصافح في المسجد اثر صلاة الصبح والعصر يستند اهل الصف الاول الى القبلة ويصافحهم الذين يلونهم وكذلك يفعلون بعد صلاة الجمعة يتصافحون اجمعون ومن خواص هذه المدينة وعجائبها انه لا يقصدها أحد بسوء إلا عاد عليه مكره وحيل يئنه وبينها .

وذكر لي ان السلطان قطب الدين تمهت بن طوران شاه صاحب هرمز نازلها مرة من الهرم والبحر فأرسل الله سبحانه عليه ريحا عاصفا كسرت مراكبه ورجع عن حصارها وصالح مملكتها وكذلك ذكر ان الملك المجاهد سلطان اليمن عين ابن عمه له بمسكن كبير يرسم انتزاعها من يد مملكتها وهو ايضا ابن عمه فلما خرج ذلك الأمير من داره سقط عليه حائط وعلى جماعة من أصحابه فهلكوا جميعا ورجع الملك عن رأيه وترك حصارها وطلبها ومن الغرائب ان اهل هذه المدينة أشبه الناس باهل المغرب في شئونهم نزات بدار الخطيب بمسجدها الأعظم وهو عيسى ابن علي كبير القدر كريم النفس فكان له جوار مسميات بأسماء خدام المغرب احدها من اسمها بخيته والأخرى زاد المال ولم أسمع هذه الأسماء في بلد سواها واكثر أهلها رؤسهم مكشوفة لا يجعلون عليها العمامم وفي كل دار من دورهم سجادة الخوص معلقة في البيت يصل على صاحب البيت كما يفعل اهل المغرب وأكلهم الذرة وهذا التشابه كله مما يقوى القول بان صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب اصلهم من حمير ويقرب من هذه المدينة بين بساينها زاوية الشيخ الصالح العابد أبي محمد بن أبي بكر بن عيسى من اهل ظفار وهذه الزاوية معظمة عندهم يأتون اليها غدوا وعشيا ويستجرون بها فاذا دخلها المستجير لم يقدر السلطان عليه رايت بها شتخصا ذكر لي ان له بهامدة سنين مستجير لم يتعرض له السلطان .

وفي الأيام التي كنت بها استجار بها كاتب السلطان وأقام فيها حتى وقع بينهما الصلح أتيت هذه الزاوية فبت بها في ضيافة الشيخين أبي العباس أحمد وأبي عبد الله محمد ابني الشيخ أبي بكر المذكور وشاهدت لهما فضلا عظيما ولما غسلنا أيدينا من الطعام

أخذ أبو العباس منهما ذلك الماء الذي غسانا به فشرب منه وبعث الخادم بياقيه إلى أهله وأولاده فشربوهم وكذلك يفعلون بمن يتوسمون فيه الخير من الواردين عليهم وكذلك أضافني قاضيها الصالح أبو هاشم عبد الملك الزبيدي وكان يتولى خدمتي وغسل يدي بنفسه ولا يكل ذلك إلى غيره ويمقر به من هذه الزاوية تربة سلف السلطان الملك المغيث وهي معظمة عندهم ويستجيب بها من طلب حاجة فتقضى له ومن عادة الجنود أنه إذا تم الشهر ولم يأخذوا أرزاقهم استجاروا بهذه التربة وأقاموا في جوارها إلى أن يعطوا أرزاقهم.

وعلى مسيرة نصف يوم من هذه المدينة الأحقاف وهي منازل عاد وهناك زاوية ومسجد على ساحل البحر وحوله قرية اصيادي السمك وفي الزاوية قبر مكتوب عليه هذا قبر هود بن عابر عليه أفضل الصلاة والسلام وقد ذكرت أن بمسجد دمشق موضعا عليه مكتوب عليه هذا قبر هود بن عابر والأشبه أن يكون قبره بالأحقاف لأنها بلاده والله أعلم ولهذه المدينة بساتين فيها موز كثير كبير الجرم رزنت بمحضرى حبة منه فكان وزنها ثنتي عشرة أوقية وهو طيب المطعم شديد الحلاوة وبها أيضا التنبول والنارجيل المعروف بجوز الهند ولا يكونان إلا ببلاد الهند وبمدينة ظفار هذه لشبهها بالهند وقربها منه اللهم إلا أن في مدينة زبيد في بستان السلطان شجيرات من النارجيل ولذا قد وقع ذكر التنبول والنارجيل فلنذكرهما ولنذكر خصائصهما

(ذكر التنبول)

والتنبول شجر يغرس كما تغرس دوالي العنب ويصنع له معرشات من القصب كما تصنع لدوالي العنب أو يغرس في مجاورة النارجيل فيصعد فيها كما تصعد الدوالي وكما يصعد الغنفل ولا ثمر للتنبول وإنما المقصود منه ورقه وهو يشبه ورق العليق وأحليبه الأصفر وتجنى أوراقه في كل يوم وأهل الهند يعظمون التنبول تعظيما شديدا وإذا أتى الرجل دار صاحبه فأعطاه خمس ورقات منه فكانما أعطاه الدنيا وما فيها لا سيما إن كان أميرا أو كبيرا وإعطاه عندهم أعظم شأنا وأدل على الكرامة من إعطاء الفضة والذهب وكيفية استعماله أن يؤخذ قبله الفوفل وهو شبه جوز الطيب فيسكر حتى يصير أطرافا صغارا ويجعله الإنسان في فيه ويعلمه ثم يأخذ ورق التنبول فيجعل عليها شيئا من النورة ويمضغها مع الفوفل وخاصيته أنه طيب النسكمة ويذهب بروائح الفم ويهضم الطعام ويقطع ضرر شرب الماء على الريق ويفرح آكله ويعين على الاجتماع ويجعله الإنسان عند رأسه ليلا فإذا استيقظ من نومه أو أيقظته زوجته أو جاريته أخذ منه فيذهب بما في فيه من رائحة كريهة ولقد

ذكر لى أن جوارى السلطان والأمراء ببلاد الهند لا يأكلن غيره وسنذكره عند ذكر بلاد الهند .

(ذكر النارجيل)

وهو جوز الهند وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأنا وأعجبها أمرا وشجره شبه شجر النخل لا فرق بينهما إلا أن هذه ثمر جوزا وتلك ثمر ثمرها وجوزها يشبه رأس ابن آدم لأن فيها شبه العينين والفم وداخلها شبه الدماغ إذا كانت خضراء وعليها ليف شبه الشعر وهم يصنعون به حبالا يخيطنون به المراكب عوضا عن مسامير الحديد ويصنعون منه الخيال للمراكب والجوزة منها وخصوصا التي بجزائر ذببة المهل تكون بمقدار رأس الآدمى ويرعمون أن حكيم من حكماء الهند فى غابر الزمان كان متصلا بملك من الملوك ومعظما لديه وكان للملك وزير بينه وبين هذا الحكيم معاداة فقال الحكيم للملك أن رأس هذا الوزير إذا قطع ودفن تخرج منه نخلة تثمر بثمر عظيم يعود نفعه على أهل الهند وسواهم من أهل الدنيا فقال له الملك فإن لم يظهر من رأس الوزير ففقطع وأخذه الحكيم وغرس نواة تمر فى دماغه وعالجها حتى صارت شجرة وأثمرت بهذا الجوز وهذه الحكاية من الأكاذيب ولكن ذكرناها لشهرتها عندهم ومن خواص هذا الجوز تقوية البدن وإسراع السمن والزيادة فى حرارة الوجه وأما الإعاقة على الباء ففعله فيها عجيب ومن عجائبه أنه يكون فى ابتداء أمره أخضر فنقطع بالسكين قطعة من قشره ونفتح رأس الجوزة شرب منها ماء فى الهاية من الحلاوة والبرودة ومزاجه حار معين على الباء فإذا شرب ذلك الماء أخذ قطعة القشرة وجعلها شبه الملعقة وسجد بها مافى داخل الجوزة من الطعام فيكون طعمه كطعم البيضة إذا شربت ولم يتم نضجها كل التام ويتغذى به ومنه كان غذائى أيام إقامة بجزائر ذببة المهل مدة عام ونصف عام وعجائبه أن يصنع منه الزيت والحليب والعسل فأما كيفية صناعة العسل منه فإن خدام النخل منه ويسمون الفازانية يصعدون إلى النخلة غدوا وعشيا إذا أرادوا أخذ مائها الذى يصنعون منه العسل وهم يسمونه الأطواق فيقطعون العنق الذى يخرج منه الثمر ويتكون منه مقدار أصبعين ويربطون عليه قدرا صغيرا فيها الماء الذى يسيل من العنق فإذا ربطها غدوة صعد إليها عشيا ومعه قدحان من قشر الجوز المذكور أحدهما مملوء ماء فيصب ما اجتمع من ماء العنق فى أحد القدحين ويغسله بالماء الذى فى القدح الآخر وينجر من العنق قليلا ويربط عليه القدر ثانية ثم يفعل غدوة كفعله عشيا

فاذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء طبخه كما يطبخ ماء العنب إذا صنع منه الرب فيصير عسلا عظيم النفع طيبا يشتره تجار الهند واليمن والصين ويحملونه إلى بلادهم ويصنعون منه الحلواء وأما كيفية صنع الحليب منه فإن بكل دار شبه الكرسي تجلس فوقة المرأة ويكون بيدها عصى في أحد طرفيها حديدة مشرفة فيفتحون في الجوزة مقدار ما تدخل تلك الحديدة ويجرشون ما في باطن الجوزة وكل ما ينزل منها يجتمع في صحفة حتى لا يبقى في داخل الجوزة شيء ثم يمرس ذلك الجريش بالماء فيصير كلون الحليب بياضا ويكون طعمه كطعم الحليب ويأتم به الناس وأما كيفية صنع الزيت فانهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره فيزيلون قشره ويقطعون قطعا ويجعل في الشمس فإذا ذبل طبخوه في القدور واستخرجوا زيتا وبه يستصحبون ويضعه الناس في شعورهم وهو عظيم النفع .

{ ذكر سلطان ظفار }

وهو السلطان الملك المغيث بن الملك الفائز ابن عم ملك اليمن وكان أبوه أميرا على ظفار من قبل صاحب اليمن وله عليه هدية يبعثها له في كل سنة ثم استبد الملك المغيث بملكها وامتنع من إرسال الهدية وكان من عزم ملك اليمن على محاربته وتعيين ابن عمه ووقوع الحائط عليه ما ذكرناه آنفا وللسلطان قصر بداخل المدينة يسمى الحصن عظيم فسيح والجامع بازائه ومن عاداته أن تضرب الطبول والبوقات والأنفار والصرنايات على بابه كل يوم بعد صلاة العصر وفي كل يوم اثنين وخميس تأتي العساكر إلى بابه فيقفون خارج المشور ساعة وينصرفون والسلطان لا يخرج ولا يراه أحد إلا في يوم الجمعة فيخرج للصلاة ثم يعود إلى داره ولا يمنع أحد من دخول المشور وأمير جنود قاعد على بابه واليه ينتهي كل صاحب حاجة أو شكاية وهو يطالع السلطان ويأتيه الجواب للحين وإذا أراد السلطان الركوب خرجت مراكبه من القصر وسلاحه وبما ليكه إلى خارج المدينة وأتى بجمل عايسه يحمل مستور بستر أبيض مثقوش بالذهب فيركب السلطان ونديمه في المحمل بحيث لا يرى وإذا خرج إلى بستانه وأحب ركوب الفرس ركبه ونزل عن الجمل وعاداته أن لا يعارضه أحد في طريقه ولا يقف أرقيته ولا لشكاية ولا غيرها ومن تعرض لذلك ضرب أشد الضرب فتجد الناس إذا سمعوا بخروج السلطان فرأى الطريق وتحاموها ووزير هذا السلطان الفقيه محمد العدني وكان معلم صبيان فعمل هذا السلطان القراءة والكتابة وعاهده على أن يستوزره ان ملك فلما ملك استوزره فلم يكن يحسنها فكان الاسم له والحكم لغيره ومن هذه المدينة ركبنا البحر نريد عمان في مركب صغير

أرجل يعرف بعلي بن ادريس المصيرى من أهل جزيرة مصيرة وفي الثاني لركوبنا نزلنا
بمرسى حاسك وبه ناس من العرب صيادون للسماك ساكنون هنالك وعندهم شجر
السكندر وهو رقيق الورق وإذا شرطت الورقة منه قطر منها ماء شبه اللبن ثم عاد صمغها
وذلك الصمغ هو اللبان وهو كثير جدا هنالك ولا معيشة لأهل ذلك المرسى إلا من
صيد السمك، وسمكهم يعرف باللخيم (بخام معجم مفتوح) وهو شبه كلب البحر يشرح
ويقعد ويقنات به ويبيتهم من عظام السمك وسقفها من جلود الجبال وسرنا من مرسى
حاسك أربعة أيام ووصلنا إلى جبل لمعان (بضم اللام) وهو في وسط البحر وبأعلاه رابطة
مبنية بالحجارة وسقفها من عظام السمك وبخارجها غدير ماء يجتمع من المطر .

(ذكر ولي لقيناه هذا الجبل)

ولما أرسينا تحت هذا الجبل صعدناه إلى هذه الرابطة فوجدنا بها شيخا نائما فسلمنا
عليه فاستيقظ وأشار برد السلام فكلمناه فلم يكلمنا وكان يحرك رأسه فأناه أهل المركب
بطعام فأبى أن يقبله فطلبنا منه الدعاء فكان يحرك شفتيه ولا نعلم ما يقول وعليه مرقعة
وقلنسوة لبدو ليس معه ركوة ولا ابريق ولا عكاز ولا نعل وقال أهل المركب انهم مارأوه
قط هذا الجبل وأقنا تلك الليل بساحل الجبل وصلينا معه العصر والمغرب وجئناه بطعام
فرده وأقام يصلى إلى العشاء الآخرة ثم أذن وصلينا معه وكان حسن الصوت بالقرأة
مجيدا لها ولما فرغ من صلاة العشاء الآخرة أوما إلينا بالانصراف فودعناه وانصرفنا
ونحن نعجب من أمره ثم لنى اردت الرجوع إليه لما انصرفنا فلما دنوت منه غلب على
الخوف ورجعت إلى اصحابى وانصرفت معهم وركبنا البحر ووصلنا بعد يومين إلى
جزيرة الطير وليست بها عمارة فأرسلنا وصعدنا إليها فوجدناها ملانة بطيور تشبه
الشقائق إلا أنها اعظم منها وجاءت الناس ببيض تلك الطيور فطبخوها وأكلوها
واصطادوا جملة من تلك الطيور فطبخوها دون ذكاة وأوكلها وكان يجالسني تاجر من
أهل جزيرة مصيرة ساكن بظفار اسمه مسلم ورأيت به يا كل معهم تلك الطيور فأنكرت
ذلك عليه فاشتد خجله وقال لى ظننت انهم ذبحوها وانقطع عنى بعد ذلك من الخجل
فكان لا يقربنى حتى ادعوا به وكان طعاعى فى تلك الايام بذلك المركب التمر والسمك
وكانوا يصطادون بالغدو والعشى سمكا يسمى بالفارسية شير ماهى ومعناه أسد
السمك لان شير هو الأسد وماهى السمك وهو يشبه الحوت المسمى عندنا بتارزت وهم
يقطعون قطعا ويشوونه ويعطون كل من فى المركب قطعة لا يفضلون أحدا على احد ولا

صاحب المركب ولا سواه وياً كونه بالتمر وكان عندي خبز وكعك استصحبتهما من ظفار
فلما نفدا كنت أقيمت من ذلك السمك في جماعتهم وعيدنا عيد الأضحى على ظهر البحر وهبت
علينا في يومه ريح عاصف بعد طلوع الفجر ودامت إلى طلوع الشمس وكادت تغرقنا.

(كرامة)

وكان معنا في المركب حاج من أهل الهند يسمى بخضر ويدعى بمولانا لأنه يحفظ القرآن
ويحسن الكتابة فلما رأى هول البحر لف رأسه بعباءة كانت له وتناوم فلما فرج الله ما نزل
بنا قلت له يا مولانا خضر كيف رأيت قال كنت عند الهول افتح عيني أنظر هل أرى
الملائكة الذين يقبضون الأرواح جاؤا فلا أراهم فأقول الحمد لله لو كان الغرق لأتوا لقبض
الأرواح ثم أغلق عيني ثم افتحها فأنظر كذلك إلى أن فرج الله عنا وكان قد تقدمنا مركب
ليعض التجار فغرق ولم ينبج منه إلا رجل واحد خرج عوماً بعد جهد شديد وأكلت في ذلك
المركب نوعاً من الطعام لم أذوقه قبل ولا بعد صنعه بعض تجار عمان وهو من الذرة طبخها
من غير طحن وصب عليها السيلان وهو عسل التمر وأكلناه ثم وصلنا إلى جزيرة مصيرة
التي منها صاحب المركب لذي كنا فيه وهي على لفظ مصير وزيادة تاء التأنيث جزيرة
كبيرة لأعيش لأهلها إلا من السمك ولم تنزل إليها لبعدها عن الساحل وكنت قد
كرهتهم لما رأيتهم ياكلون الطير من غير ذكاة وأقمنا بها يوماً وتوجه صاحب المركب
إلى داره وعاد إلينا ثم سرنا يوماً وليلة ووصلنا إلى مرسى قرية كبيرة على ساحل البحر
تعرف بصورنا ينما منها مدينة قلهاة في سفح جبل خفيف لنا أنها قرية وكان وصولنا إلى المرسى
وقت الزوال أو قبله فلما ظهرت لنا المدينة أحببت المشي إليها والمبيت بها وكنت قد كرهت
صحبة أهل المركب سألت عن طريقها فأخبرت أني أصل إليها العصر فاكترت أحمد
البحرين ليبداني عن طريقها وصحبني خضر الهندي الذي تقدم ذكره وتركنا أصحابنا
مع ما كان لي بالمركب ليلاحقوا في غد ذلك اليوم وأخذت أثوابا كانت لي فدفعتها
للدليل ليكفيني مؤنة حملها وحملت في يدي ربحا فإذا ذلك الدليل يحب أن يستولى على
أثوابي فأني بنا إلى خليج يخرج من البحر فيه المد والجزر فأراد عبوره بالثياب فقلت له إنما تعبر
وحدك وترك الثياب عندنا فان قدرنا الجواز جزنا ولا يصعدنا نطلب الجواز فجمع ثم رأينا
رجالا بجازا وهو ما فتحه قنا أنه كان تصدهم ان يعرقنا ويذهب بالثياب حينئذ اظهرت المشاهد
واخذت بالخرم وشدت وسطى وكنت اهز الرمح فبني ذلك الدليل وصعدنا حتى وجدنا مجازا
ثم خرجنا إلى صحراء لا ماء بها واشتد بنا الأمر فبعث الله لنا فارسا في جماعة من أصحابه

وبيد أحدهم ركوة ماء فسقاني وسقى صاحبي وذهبتنا نحسب المدينة قريبة منا وبيننا وبينها خنادق تمشي فيها الأميال الكثيرة فلما جاء العشي أراد الدليل أن يميل بنا إلى ناحية البحر وهو لا طريق له لأن ساحله حجارة فأراد أن ننشب فيها وينهب بالثياب فقلقت له إنما تمشي على هذه الطريق التي نحن عليها وبينها وبين البحر نحو ميل فلما أظلم الليل قال لنا إن المدينة قريبة فتعالوا تمشي حتى نبيت بخارجها إلى الصباح تخفت أن يتعرض لنا أحد في الطريق ولم أحقق مقدار ما بقي ألها فقلقت له إنما الحق أن نخرج عن الطريق فننام فإذا أصبحنا أتينا المدينة إن شاء الله وكنت قد رأيت جملة من الرجال في سفح جبل هنالك تخفت أن يكونوا لصوصاً وقلت التستر أولى وغلب العطش على صاحبي فلم يوافق على ذلك فخرجت عن الطريق وقصدت شجرة من شجر ام غيلان وقد أعيتت وادركني الجهد لكنني أظهرت قوة وتجلداً خوف الدليل وأما صاحبي فريض لا قوة له فجعلت الدليل يليني وبين صاحبي وجعلت الثياب بين ثوبي وجسدي وأمسكت الرمح بيدي ورقد صاحبي ورقد الدليل وبقيت ساهراً فكلما تحرك الدليل كلمته وأريته أنني مستيقظ ولم نزل كذلك حتى أصبح .

ثم خرجنا إلى الطريق فوجدنا الناس ذاهبين بالمرافق إلى المدينة فبعثت الدليل ليأتينا بماء واخذ صاحبي الثياب وكان بيننا وبين المدينة مهاو وخنادق فأنانا بالماء فشربنا وذلك أوان الحر ثم وصلنا إلى مدينة قلبات (وضبط اسمها بفتح القاف واسكان اللام وآخره ناء مثناة) فأتيناه ونحن في جهد عظيم وكنت قد ضاقت نعلي على رجلي حتى كاد الدم يخرج من تحت أظفارها فلما وصانا باب المدينة كان ختام المشقة أن قال لنا الموكل بالباب لا بد لك أن تذهب معي إلى أمير المدينة ليعرف قضيتك ومن أين قدمت فذهبت معه إليه فرأيت فاضلاً حسن الأخلاق وسألتني عن حالي وأزواني واقمت عنده ستة أيام لا قدرة لي فيها على التوض على قدمي لما لحقها من الآلام .

ومدينة قلبات على الساحل وهي حسنة الأسواق ولها مسجد من أحسن المساجد حيطانه بالقشاني وهو شبه الزليج وهو مرتفع ينظر منه إلى البحر والمرسى وهو من عارة الصالحة ببني مريم ومعنى ببني عندهم الحرية وأكلت بهذه المدينة سمكاً كل مثله في إقليم من الأقاليم وكنت أفضله على جميع اللحوم فلا آكل سواه وهم يشوونه على ورق الشجر ويجعلونه على الآرزوياً كلونه والارز يجلب إليهم من أرض الهند وهم أهل تجارة ومعيشتهم بما يأتيهم في البحر الهندي وإذا وصل إليهم مركب فرحوا به أشد الفرح وكلامهم ليس

بالفصيح مع أنهم عرب وكل كلمة يتسكعون بها يصلونها بلا فيقولون مثلاً تأكل لا تمشي لا تفعل كذا لا وأكثرت خوارج لسكنهم لا يقدر على إظهار مذهبهم لأنهم تحت طاعة السلطان قطب الدين تمهت ملك هرمز وهو من أهل السنة وبمقربة من قلعات قرية طيبي واسمها على نحو اسم الطيب إذا أضافه المتكلم لنفسه وهي من أجمل القرى وأبدعها حسناً ذات أنهار جارية وأشجار ناضرة وبساتين كثيرة ومنها تجلب الفواكه إلى قلعات وبها الموز المعروف بالمروارى والمروارى بالفارسية هو الجوهرى (المروارى الجوهرى) وهو كثير بها وجلب منها إلى هرمز وسواها وبها أيضاً التنبول لسكن ورقته صغيرة والتمر يجلب إلى هذه الجهات من عمان ثم قصدنا بلاد عمان فسرنا ستة أيام في صحراء ثم وصلنا بلاد عمان في اليوم السابع وهي خصبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق ونخل وفاكهة كثيرة مختلفة الأجناس ووصلنا إلى قاعدة هذه البلاد وهي مدينة نزوا (وضبط اسمها بنون مفتوح وزاى مسكن وواو مفتوح) مدينة في سفح جبل تحف بها البساتين والأنهار يأتي كل إنسان بمسا عنده ويجمعون للأكل في صحن المسجد ويأكل معهم الوارد والصادر ولهم نجدة وشجاعة والحرب قائمة فيما بينهم أبداً وهم إباضية المذهب ويصلون الجمعة ظهراً أربعاً فإذا فرغوا منها قرأ الإمام آيات من القرآن ونثر كلاماً شبه الخطبة يرضى فيه عن أبي بكر وعمر ويسكت عن عثمان وعلي وهم إذا أرادوا ذكر على رضى الله عنه كانوا منه فقالوا ذكر عن الرجل أو قال الرجل ويرضون عن الشقي اللعين ابن ملجم ويقولون فيه العبد الصالح قامع الفتنة وناوهم يكثر الفساد ولا غيره عندهم ولا إنكار لذلك وسندكر حكاية أثر هذا مما يشهد بذلك .

{ ذكر سلطان عمان }

وسلطانها عربى من قبيلة الأزدي بن الغوث ويعرف بأبى محمد بن نهان وأبو محمد عندهم سمة اسكن سلطان بلى عمان كما هي أتابك عند ملوك اللور وعادته أن يجلس خارج باب داره في مجلس هنالك ولا حاجب له ولا وزير ولا يمنع أحداً من الدخول إليه من غريب أو غيره ويكرم الضيف على عادة العرب ويعين له الضيافة ويعطيه على قدره وله أخلاق حسنة ويؤكل على مائدته لحم الحمار الانسى ويباع بالسوق لأنهم قائلون بتحليله ولسكنهم يخفون ذلك عن الوارد عليهم ولا يظهرونه بمحضره ومن عدن عمان مدينة زكي لم أدخلها وهي على ما ذكر لى مدينة عظيمة منها القرىات وشبوا وكبار خور فكان

وصحار وكلها ذات أنهار وحدائق وأشجار ونخل وأكثر هذه البلاد في عمالة هرمز

(حكاية)

كنت يوماً عند السلطان أبي محمد بن زهيد فأتته امرأة صغيرة السن حسنة الصورة بادية الوجه فوقعت بين يديه وقالت له يا أبا محمد طغى الشيطان في رأسي فقال لها اذهبي واطردى الشيطان فقالت له لا أستطيع وأنا في جوارك يا أبا محمد فقال لها اذهبي فافعلي ما شئت فذكر لي لما انصرفت عنه أن هذه ومن فعل مثل فعلها تكون في جوار السلطان وتذهب للفساد ولا يقدر أبوها ولا ذوا قرابتها أن يغيروا عليها وإن قتلوها قتلوا بها لأنها في جوار السلطان ثم سافرت من بلاد عمان إلى بلاد هرمز وهرمز مدينة على ساحل البحر وتسمى أيضاً موخ استان وتقال لها في البحر هرمز الجديدة وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ ووصلنا إلى هرمز الجديدة وهي مدينتها تسمى جرون (بفتح الجيم والراء وآخرها نون) وهي مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة وهي مرسى الهند والسند ومنها تحمل سلع الهند إلى العراقيين وفارس وخراسان وهذه المدينة سكنى السلطان والجزيرة التي فيها المدينة مسيرة يوم وأكثرها سباح وجبال ملح وهو الملح الداراني ومنه يصنعون الألوان المزيّنة والمنارات التي يضعونها السرج عليها وطعامهم السمك والثمر المجلوب لا يهيم من البصرة وعمان ويقولون بلسانهم خرما وماهى لوت بادشاهى معناه بالعربي الثمر والسمك طعام الملوك والباء في الجزيرة قيمة وبها عيون ماء وصهاريج مصنوعة يجتمع فيها ماء المطر وهي على بعد من المدينة ويأتون إليها بالقرب فيمأونها ويرفعونها على ظهورهم إلى البحر يوسقونها في القوارب ويأتون بها إلى المدينة ورأيت من العجائب عند باب الجامع فيما بينة وبين السوق رأس سمكة كأنه رابطة وعيناه كأنهما بابان فترى الناس يدخلون من أحدهما ويخرجون من الأخرى ولقيت بهذه المدينة الشيخ الصالح السائح أبا الحسن الأقصاري وأصله من بلاد الروم فأضافني وزارني وأبسنى ثوباً وأعطانى كهر الصبغة وهو يحتج به فيعين الجالس فيسكون كسأله مستند وأكثر فقراء العجم يتقلدونه وعلى ستة أميال من هذه المدينة مزار ينسب إلى الخضر والياس عليهما السلام يذكر أنهما يصليان فيه وظهرت له بركات وإبراهيم وهنالك زاوية يسكنها أحد المشايخ يخدم بها الوارد والصادر وأفتنا عنده يوماً وقصدنا من هنالك زيارة رجل صالح منقطع في آخر هذه الجزيرة قد نحت غاراً تسكنه فيه زاوية ومجلس ودار صغيرة له فيها جارية وله عبيد خارج الغار يرون بقرأ له وغنما وكان هذا الرجل من كبار التجار شج البيت وقطع العلائق

وانقطع هنالك للعبادة ودفع ماله لرجل من أخوانه يتجر له به وبتنا عنده ليلة فأحسن القرى وأجمل رضى الله تعالى عنه وسيممة الخير والعبادة لأئمة عليه

(ذكر سلطان هرمز)

وهو السلطان قطب الدين تيمن طوران شاه (وضبط اسمه بفتح التاء بين المعلوتين وبينهما ميم مفتوح وهاء مسكونة وآخره نون) وهو من كرماء السلاطين كثير التواضع حسن الأخلاق وعادته أن يأتي لزيارة كل من يقدم عليه من فقيه أو صالح أو شريف ويقوم بحقه ولما دخلنا جزيرته وجدناه مهيباً للحرب مشغولاً بها مع ابني أخيه نظام الدين فكان في كل ليلة يتيسر للقتال والغلاء مستول على الجزيرة فأتى إلينا وزيره شمس الدين محمد بن علي وقاضيه عماد الدين الشونكارى وجماعة من الفضلاء فاعتذروا بما هم عليه من مباشرة الحرب وأقننا عندهم ستة عشر يوماً فلما أردنا الانصراف قلت لبعض الأصحاب كيف ننصرف ولا نرى هذا السلطان فجئنا على الوزير وكانت في جوار الزاوية التي نزلت بها فقلت له أنى أريد السلام على الملك فقال بسم الله وأخذ يبدى فذهب بي إلى داره وهى على ساحل البحر والأجفان مجلسه عندها فاذا شيخ عليه اقبية ضيقة دنسة وعلى رأسه عمامة وهو مشدود الوسط بمنديل فسلم عليه الوزير وسلمت عليه ولم أعرف أنه الملك وكان إلى جانبه ابن اخته وهو على شاه ابن جلال الدين السكيجى وكانت بينى وبينه معرفة فأنشأت أحادثه وأنا لا أعرف الملك فعرفنى الوزير بذلك فخرجت منه لأقبالى بالحديث على ابن اخته دونه واعتذرت ثم قام فدخل داره وتبعه الأمراء والوزراء وأرباب الدولة ودخلت مع الوزير فوجدناه قاعداً على سرير ملىك وثيابه عليه لم يبدلها وفى يده سبحة جوهر لم تر العيون مثلاً لأن مفاصات الجوهر تحت حكمه فجلس أحد الأمراء إلى جانبه وجلست إلى جانب ذلك الأمير وسألت عن حالى ومقدمى وعمى لقيته من الملوك فأخبرته بذلك وحضر الطعام فأكل الحاضرون لم يأكل معهم ثم قام فودعته وانصرفت وسبب الحرب التي بينه وبين أخيه أنه ركب البحر مرة من مدينته الجديدة برسم النزهة فى هرمز القديمة وبساتينها وبينهما فى البحر ثلاثة فراسخ كما قدمناه نخالف عليه أخوه نظام الدين ودعى لنفسه وبايعه أهل الجزيرة وبايعته العساكر نخاف قطب الدين على نفسه وركب البحر إلى مدينة قلهاة التي تقدم ذكرها وهى من جملة بلاده فأقام بها شهوراً وجهز المراكب واتى الجزيرة فقاتله أهلها مع أخيه وهزموه وعاد إلى قلهاة وفعل ذلك مراراً فلم تسكن له حيلة إلا أن يرسل بعض نساء أخيه فسمته ومات واتى هو إلى الجزيرة فدخلها وفر

ابنا أخيه بالخزائن والأموال والعساكر إلى جزيرة قيس حيث مغاص الجوهر وصاروا يقطعون الطريق على من يقصد الجزيرة من أهل الهند والسند ويغيرون على بلاده البحرية حتى تخرب معظمها ثم سافروا من مدينة جرون برسم لقاء رجل صالح ببلد خنيج بال فلما عدينا البحر أكثرينا دواب من التركان وهم سكان تلك البلاد ولا يسافر فيها إلا معهم لشجاعتهم ومعرفتهم بالطرق وفيها صحراء مسيرة أربع يقطعها الطريق لصوص الأعراب وتهب فيها ريح السموم في شهرى تمرز وحزيران فمن صادفته فيها قتلته ولقد ذكر لي أن الرجل إذا قتلته تلك الريح وأراد أصحابه غسله ينفصل كل عضو منه عن سائر الأعضاء وبها قبور كثيرة للذين ماتوا فيها بهذه الريح وكنا نسافر فيها بالليل فإذا طلعت الشمس نزلنا تحت ظلال الأشجار من أم غيلان ونرحل بعد العصر إلى طلوع الشمس وفي هذه الصحراء وما والاها كان يقطع الطريق بها جمال الملك (اللوك) الشهير الاسم هنالك .

(حكاية)

كان جمال لك من أهل سجستان أعجمي الأصل (واللك بضم اللام) معناه الأقطع وكانت يده قطعت في بعض حروبه وكانت له جماعة كثيرة من فرسان الأعراب والأعاجم يقطع بهم الطرق وكان يبنى الزوايا ويطعم الوارد والصادر من الأموال التي يسلبها من الناس ويقال أنه كان يدعو أن لا يسلط إلا على من لا يزكي ماله وأقام على ذلك دهرأ وكان يغير هو وفرسانه ويسلكون برارى لا يعرفها سواهم ويدفنون بها قرب الماء ورواياه فإذا تبعهم عسكر السلطان دخلوا الصحراء واستخرجوا المياه ويرجع العسكر عنهم خوفاً من الهلاك وأقام على هذه الحالة مدة لا يقدر عليه ملك العراق ولا غيره ثم قاب وتعيد حتى مات وقبره يزار ببلده وسلكنا هذه الصحراء إلى أن وصلنا إلى كوراستان (وضبط اسمه بفتح الكاف واسكان الواو وراء) وهو بلد صغير فيه الأنهار والبساتين وهو شديد الحر ثم سرنا منه ثلاثة أيام في صحراء مثل التي تقدمت ووصلنا إلى مدينة لار (وآخر اسمها راء) مدينة كبيرة كثيرة العيون والمياه المطردة والبساتين ولها أسواق حسان ونزلنا منها بزاوية الشيخ العابد أبي دلف محمد وهو الذى قصدنا زيارته بخنيج بال وهذه الزاوية ولده أبو زيد عبيد الرحمن ومعه جماعة من الفقراء ومن مادتهم أنهم يجتمعون بالزاوية بعد صلاة العصر من كل يوم ثم يطوفون على دور المدينة فيعطاهم من كل دار الرغيف والرغيفان فيطعمون منها الوارد والصادر وأهل الدور قد ألفوا ذلك فهم يجعلونه في جملة قوتهم ويعمدونه

لهم إغاثة على إطعام الطعام وفي كل ليلة جمعة يجتمع بهذه الزاوية فقراء المدينة وصالحاؤها ويأتى كل منهم بما تيسر له من الدراهم فيجمعونها وينفقونها تلك الليلة ويبيتون في عبادة من الصلاة والذكر والتلاوة وينصرفون بعد صلاة الصبح .

(ذكر سلطان لار)

وبهذه المدينة سلطان يسمى بجلال الدين تركاني الأصل بعث إلينا بضيافة ولم نجتمع به ولا رأيناه ثم سافرنا إلى مدينة خنج بال (وضبط اسمها بضم الحاء المعجم وقد يعوض منه هاء وإسكان النون وضم الجيم وباء معقودة وألف ولام) وبها سكنى الشيخ أبى دلف الذى قصدنا زيارته وبزاويته نزلنا ولما دخلت الزاوية رأيته قاعداً بناحية منها على التراب وعليه جبة صوف خضراء بالية وعلى رأسه عمامة صوف سوداء فسلمت عليه فأحسن الرد وسأنى عن مقدمى وبلادى وأنزاني وكان يبعث إلى الطعام والفاكهة مع ولد له من الصالحين كثير الخشوع والتواضع صائم الدهر كثير الصلاة ولهذا الشيخ أبى دلف شأن عجب وأمر غريب فإن نفقته في هذه الزاوية عظيمة وهو يعطى العطاء الجزيل ويكسو الناس ويركبنهم الخيل ويحسن لسلوكهم وصادر ولم أر في تلك البلاد مثله ولا يعلم له جهة إلا ما يصله من الإخوان والأصحاب حتى زعم كثير من الناس أنه ينفق من السكون وفي زاويته المذكورة قبر الشيخ الولي الصالح القطب دانيال وله اسم بملك البلاد شهير وشان في الولاية كبير وعلى قبره قبة عظيمة بناها السلطان قطب الدين تيمت بن طوران شاه وأقيمت عند الشيخ أبى دلف يوماً واحداً لاستعجال الرفقة التي كنت في صحبتها وسمعت أن بالمدينة خنج بال المذكورة زاوية فيها جملة من الصالحين المتعبدين فرحت لأنها بالعشى وسلمت على شيخهم وعليهم ورأيت جماعة مباركة قد أثرت فيهم العبادة فهم صفر الألوان تحاف الجسوم كثيروا البكاء غزروا الدموع وعند وصولي إليهم أنوا بالطعام فقال كبيرهم ادعوا إلى ولدى محمد وكان معزلاً في بعض نواحي الزاوية فجاء إلينا الولد وهو كاهن خرج من قبر مما نهكته العبادة فسلم وقعد فقال له أبوه يا بنى شارك هؤلاء الواردين في ألاكل نل من بركاتهم وكان صائماً فافطر معنا وهم شافعية المذهب فلما فرغنا من أكل الطعام دعوا لنا وانصرفنا ثم سافرنا منها إلى مدينة قيس وتسعى أيضاً بسيراف وهي على ساحل بحر الهند المتصل ببحر اليمن وفارس وعددها في كور فارس مدينة لها انفساح وسعة طيبة البقعة في دورها بساتين عجيبة فيها الرياحين والأشجار الناضرة وشرب أهلها من عيون منبعثة من جبالها وهم عجم من الفرس أشرف وفيهم طائفة من عرب بنى سغاف وهم الذين يغوصون على الجواهر .

(ذكر مغاص الجوهر)

ومغاص الجوهر فيما بين سيرا ف والبحرين في خور راكد مثل الوادي العظيم فاذا كان شهر ابريل وشهر ما تأتى لآليه القوارب السكثيرة فيها الغواصون وتجار فارس والبحرين والقطيف ويجعل الغواص على وجهه مهما أراد أن يغوص شيئا يكسوه من عظم الغنم وهي السلحفاة ويصنع من هذا العظم أيضا شكلا شبه المقراض يشده على أنفه ثم يرتبط حبالا في وسطه ويغوص ويتفادتون في الصبر في الماء فمنهم من يصبر الساعة والساعتين فما دون ذلك فاذا وصل إلى قعر البحر يجد الصدف هنالك فيما بين الأحجار الصغار مثبتا في الرمل فيقتله بيده أو يقطعه بحديدة عنده معدة لذلك ويجعلها في مخللة جلد منوطه بعنقه فاذا ضاق نفسه حرك الحبل فيتحس به الرجل الممسك بالحبل على الساحل فيرفعه إلى القارب فتؤخذ منه المخللة ويفتح الصدف فيوجد في اجوافها قطع لحم تقطع بحديده فاذا باشرت الهوام جمعت فصارت جواهر فيجمع جميعها من صغير وكبير فيأخذ السلطان خمسة والباقي يشتريه التجار الحاضرون بتلك القوارب وأكثرهم يكون له الدين على الواصين فيأخذ الجوهر في دينه أو ماوجب له منه ثم سافروا من سيرا ف إلى مدينة البحرين وهي مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين وأشجار وأنهار وماؤها قريب اناءة يخر عليه بالأيدي فيوجدونها حداثق النخل والمان والارنج يزرع بها القطن وهي شديدة الحر كثيرة الرمال وربما غلب الرمل على بعض منازلها وكان فيما بينها وبين عمان طريق استولت عليه الرمال وانقطع فلا يوصل من عمان إليها إلا في البحر وبالقرب منها جبلان عظيمان يسمى أحدهما بكسير وهو في غربيها ويسمى الآخر يعوير وهو في شرقيها وبهما ضرب المثل فقيل كسير وعوير وكل غير خير ثم سافروا إلى مدينة القطيف (وضبط اسمها بضم القاف) كانه تصغير قطف وهي مدينة كبيرة حسنة ذات نخل كثير يسكنها حاوائف العرب وهم رافضية غلاة يظرون الرنض جهارا لا يبقون أحدا ويقولون وذنبهم في أذانه بعد الشهادتين أشهد أن عليا ولي الله ويزيد بعد الحية علتين حتى على خير العمل ويزيد بعد التسكبير الأخير محمد وعلى خير البشر من خالفهما فقد كفر ثم سافروا منها إلى مدينة هجر وتسمى الآن بالحساء بفتح الحاء والسين واهمالها) وهي التي يضرب المثل بها فيقال كجالب التمر إلى هجر وبها من النخيل ما ليس ببلد سواها ومنه يفعلون دوابهم واهلها عرب وأكثرهم من قبيلة عبد القيس بن أفصى ثم سافروا منها إلى مدينة اليمامة وتسمى أيضا بحجر (بفتح الحاء المهملة واسكان الجيم) مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار

يسكنها طوائف من العرب أكثرهم من بني حنيفة وهى بلدهم قديما وأميرهم طفيل بن غانم ثم سافرت منها فى صحبة هذا الأمير برسم الحج وذلك فى سنة ثنتين وثلاثين فوصلت إلى مكة شرفها الله تعالى وحج فى تلك السنة الملك الناصر سلطان مصر رحمه الله وجملة من أمرائه وهى آخر حجة حجها وأجزل الاحسان لأهل الحرمين الشريفين وللمجاورين وفيها قتل الملك الناصر أمير احمد الذى يذكر انه ولده وقتل أيضا كبير أمرائه بكتمور الساقى

(حكاية)

ذكر ان الملك الناصر وهب لبكتمور الساقى جارية فلما أراد التو منى قائلته إلى حامل من الملك الناصر فاعتزلها وولدت ولدا سماه بامير احمد ونشأ فى حجره فظهرت نجا بته واشتهر بابن الملك الناصر فلما كان فى هذه الحجة تعاهد على الفتك بالملك الناصر وان يتولى أمير أحمد الملك وحمل بكتمور معه العلامات والطبول والكسوات والأموال فنعى الخبر إلى الملك الناصر فبعث إلى أمير أحمد فى يوم شديد الحر فدخل عليه وبين يديه أقداح الشرب فشرب الملك الناصر قدحا وناول أمير أحمد قدحا ثانيا فيه السم فشربه وأمر بالرحيل فى تلك الساعة ليشتغل الوقت فرحل الناس ولم يبلغوا المنزل حتى مات أمير احمد فاكثر بكتمور لموته وقطع أثوابه وامتنع من الطعام والشراب وبلغ خبره إلى الملك الناصر فأتاه بنفسه ولطفه وسلاه وأخذ قدحا فيه سم فناولها إياه وقال له بحياتى عليك إلا شربت فبردت نار قلبك فشربه ومات من حينه ووجد عنده خلع السلطنة والأموال فتحقق ما نسب من الفتك بالملك الناصر ولما انقضى الحج توجهت إلى جعدة برسم ركوب البحر إلى اليمن والهند فلم يقضى ذلك ولا تاتى لى رفيق واقمت بجدة نحو أربعين يوما وكان بها مركب لرجل يعرف بعبد الله التونسى يروم السفر إلى القصير من عمالة قوص فصعدت إليه لا نظر حاله فلم يرضى ولا طابت نفسى بالسفر فيه وكان ذلك لطفاً من الله تعالى فانه سافر فلما توسط البحر غرق بموضع يقال له رأس أبى محمد فخرج صاحبه وبعض التجار فى العشارى بعد جهد عظيم واشرفوا على الهلاك وهلك بعضهم وغرق سائر الناس وكان فيه نحو سبعين من الحجاج ثم ركب البحر بعد ذلك فى صنبوق برسم عيذاب فردتنا الريح إلى جبل يعرف برأس دواير وسافرنا منه فى البرمجة البهجة فسلكناهم حجارة كثيرة الطعام والغزلان فيها عرب جسيمة وبني كاهل وطاعتهم للبهجة ووردنا ماء يعرف بمفرور وماء يعرف بالجديد نفذادنا فاشترينا من قوم من البهجة وجدناهم بالهالة أغناما وتزودنا لحومها ورأيت بهذه الهالة صبيانا من العرب كلنى باللسان العربى

وأخبرني ان البجاة أسروه وزعم أنه منذ عام لم يأكل طعاما إنما يقتات بلبن الابل ونقدمنا بعد ذلك اللحم الذي اشتريناه ولم يبق لنا زاد وكان عندي يبق نحو حمل من التمر الصيحاتي والبرني برسم الهدية لأصحابي ففرقته على الرفقة وتزودناه ثلاثا وبعد مسيرة تسعة أيام من رأس دواير وصلنا إلى عذاب وكان قد تقدم إلينا بعض الرفقة فتلقانا أهلها بالخبز والتمر والماء وأقمنا بها أياما واكثرينا الجمال وخرجنا صحبة طائفة من عرب دغيم ووردنا ماء يعرف بالجنيب ولعله (الخبيب) وحملنا بحميرنا حيث قبر ولي الله تعالى أبي الحسن الشاذلي وحصلت لنا زيارته ثانية وتبنا في جواره ثم وصلنا إلى قرية العطواني وهي على ضفة النيل مقابلة لمدينة إدفو من الصعيد الأعلى وأجزنا النيل إلى مدينة اسنا ثم إلى مدينة أرمنت ثم إلى الأقصر وزرنا الشيخ ابا الحجاج الأقصري ثانية ثم إلى مدينة قوص ثم إلى مدينة قنا وزرنا الشيخ عبد الرحيم القناوي ثانية ثم إلى مدينة هو ثم إلى مدينة اخميم ثم إلى مدينة أسيوط ثم إلى منفوط ثم إلى مدينة مناوي ثم إلى مدينة الأشمونين ثم إلى مدينة منية بن الخصيب ثم إلى مدينة الهندسة ثم إلى مدينة بوش ثم إلى مدينة منية القائد وقد تقدم لنا ذكر هذه البلاد ثم إلى مصر واقمت بها أياما وسافرت على طريق بلبيس إلى الشام ورافقني الحاج عبد الله بن أبي بكر بن الفرخان النوزري ولم يزل في صحبتي سنين إلى ان خرجنا من بلاد الهند فتوفي بسندابور وسنذكر ذلك فوصلنا إلى مدينة غزة ثم إلى مدينة الخليل عليه السلام وتكررت لنا زيارته ثم إلى بيت المقدس ثم إلى مدينة الرملة ثم إلى مدينة عكا ثم إلى مدينة طرابلس ثم إلى مدينة جبلة وزرنا ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه ثانية ثم إلى مدينة اللاذقية وقد تقدم لنا ذكر هذه البلاد كلها ومن اللاذقية ركبنا البحر في قرقورة كبيرة للجنوبيين يسمى صاحبها بمرتلين وقصدنا بر التركية المعروف ببلاد الروم وإنما نسبت إلى الروم لأنها كانت بلادهم في القديم ومنها الروم الأقدمون واليونانية ثم استفتحها المسلمون وبها الآن كثير من النصاري تحت ذمة المسلمين من التركان وسرنا في البحر عشرة ايام طيبة واكرمنا النصاري ولم يأخذ منا نولا وفي العاشر وصلنا إلى مدينة العلايا وهي أول بلاد الروم وهذا الاقليم المعروف ببلاد الروم من احسن اقاليم الدنيا وقد جمع الله فيه ما تفرق من المحاسن في البلاد فأهله أجمل الناس صورا وأنظفهم ملابس وأطيبهم مطاعم وأكثر خلق الله شفقة ولذلك يقال البركة في الشام والشفقة في الروم وإنما عني به اهل هذه البلاد وكنا متى نزلنا بهذه البلاد زاوية اودارا يتفقد احوالنا جيرانا من الرجال والنساء وهن لا يحتجن فاذا

سافرنا عنهم ودعونا كأنهم أقاربنا وأهلبنا وترى النساء باقيات لفراقنا مداسفات ومن عادتهم بتلك البلاد أن يخبزوا الخبز في يوم واحد من الجمعة يعدون فيه ما يفوتهم سائر ما فكان رجالهم يأنون إلينا بالخبز الحار في يوم خبزهم ومعه الأدام الطيب اطرافا لنا بذلك ويقولون لنا ان النساء بعن هذا اليكم وهن يطلبن منكم الدعاء وجميع أهل هذه البلاد على مذهب الإمام أبي حنيفة رضى الله عنه مقيمين على السنة لا قدرى فيهم ولا رافضى ولا معتزلى ولا خارجى ولا مبتدع والملك فضيلة خصهم الله تعالى بها إلا أنهم يأكلون الحشيش ولا يعيرون ذلك ومدينة العاليا التي ذكرناها كبيرة على ساحل البحر يسكنها التركان وينزلها تجار مصر واسكندرية والشام وهى كثيرة الخشب ومنها يحمل الى اسكندرية ودمياط ويحمل منها الى سائر بلاد مصر ولها قلعة بأعلاها عجبية منيعة بناها السلطان المعظم علاء الدين الرومى ولقيت بهذه المدينة قاضيها جلال الدين الارزنجاني وصعد معى الى القلعة يوم الجمعة فصاينا بها واضافى وأكرهنى وأضافنى أيضاً بها شمس الدين ابن الرجيجاني الذى توفى أبوه علاء الدين بمالى من بلاد السودان .

(ذكر سلطان العاليا)

وفى يوم السبت ركب معى القاضي جلال الدين وتوجهنا الى لقاء ملك العاليا وهو يوسف بك ومعنى بك الملك ابن قرمان (بفتح القاف والراء) ومسكنه على عشرة أميال من المدينة فوجدناه قاعدا على الساحل وحده فوق رابية هنالك والأمراء والوزراء أسفل منه والاجناد عن يمينه ويساره وهو مخصوب الشعر بالسواد فسلمت عليه وسألت عن مقدسى فاخبرته عما سألت وانصرفت عنه وبعثت الى احسانا وسافرت من هنالك الى مدينة انطااليا (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان النون وفتح الطاء المهمل والفاء ولا م مكسور وياء آخر الحروف) واما التى بالشام فهى انطاكية على وزنها إلا ان المكاف عوض عن اللام وهى من احسن المدن متناهية فى اتساع الساحة والضخامة اجمل ما يرى من البلاد واكثره عمارة واحسنه ترتيبا وكل فرقة من سكانها منفردة بانفسها عن الفرقة الأخرى فنجار النصارى ما كثرون منها بالوضع المعروف بالميناء وعليهم سور تسد ابوابه عليهم ليلا وعند صلاة الجمعة والروم الذين كانوا اهلها قديما ساكنون بموضع آخر منفردين به وعليهم ايضا سور واليهود فى موضع آخر وعليهم سور والملوك واهل دولته وبما اليكم يسكنون ببلدة عليها ايضا سور يحيط بها ويفرق بينها وبين ما ذكرناه من الفرق وسائر الناس من المسلمين يسكنون المدينة العظمى وبها مسجد جامع ومدرسة وحمامات كثيرة

واسواق ضخمة مرتبة بأبداع ترتيب وعليها سور عظيم يحيط بها وبجميع الموضع التي ذكرناها وفيها البساتين الكثيرة والفواكه الطيبة والمشمش العجيب المسمى عندهم بقمر الدين وفي نواته لوز حلو وهو يابس ويحمل إلى ديار مصر وهو بها مستظرف وفيها عيون الماء الطيب العذب الشديد البرودة في أيام الصيف نزلا من هذه المدينة بمدرسها وشيخها شهاب الدين الحموي ومن عادتهم أن يقرأ جماعة من الصبيان بالأصوات الحسان بعد العصر من كل يوم في المسجد الجامع وفي المدرسة أيضاً سورة الفتح وسورة الملك وسورة عم .

﴿ ذكر الاخوة الفتيان ﴾

واحد الاخوة أخى على لفظ الأخ إذا اضافته المتكلم إلى نفسه وهم بجميع البلاد التركمانية الرومية في كل بلد ومدينة وقربة ولا يوجد في الدنيا مثلهم اشد احتمالا بالغباء من الناس واسرع إلى اطعام الطعام وقضاء الخواارج والاخذ على أيدي الظلمة وقتل الشرط ومن الحق بهم من أهل الشر والاخوة عندهم رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم من الشبان الأعزاب والمتجردين ويقدمونه على أنفسهم وتلك هي الفتوة أيضاً ويبنى زاوية ويجعل فيها الفرش والسرير وما يحتاج إليه من الآلات ويخدم اصحابه بالنهار في طلب معاشهم ويأوون إليه بعد العصر بما يجتمع لهم فيشترون به الفواكه والطعام إلى غير ذلك مما ينفق في الزاوية فإن ورد في ذلك اليوم مسافر على البلد انزلوه عندهم وكان ذلك ضيافته لديهم ولا يزال عندهم حتى ينصرف وان لم يرد وادرجتمعوا على طعامهم فأكلوا وغنوا ورقصوا وانصرفوا إلى صناعتهم بالغدو وأتوا بعد العصر إلى مقدمهم بما اجتمع لهم ويسمون بالفتيان ويسمى مقدمهم كذا ذكرنا الاخوة ولم ارفى الدنيا اجمل افعالا منهم ويشبههم في أفعالهم أهل شيراز واصفهان إلا أن هؤلاء احب في الوارد والصادر وأعظم إكراما له وشفقة عليه وفي الثاني من يوم وصولنا إلى هذه المدينة أتى أحد هؤلاء الفتيان إلى الشيخ شهاب الدين الحموي وتكلم معه باللسان التركي ولم أكن يومئذ اقهمه وكان عليه اثواب خلقه وعلى رأسه قلنسوة لبد فقال لي الشيخ تعلم ما يقول هذا الرجل فعلت لا أعلم ما قال فقال لي انه يدعوك إلى ضيافته انت واصحابك فمجببت منه وقالت له نعم فلما انصرف قلت للشيخ هذا رجل ضعيف ولا قدرة له على تضيفنا ولا يريد أن تكلفه فضحك الشيخ وقال لي هذا احد شيوخ الفتيان الاخوة وهو من الخرازين وفيه كرم نفس واصحابه نحو مائتين من أهل الصناعات قد قدموه على أنفسهم وبنوا زاوية للضيافة وما يجتمع لهم بالنهار انفقوه بالليل فلما صليت المغرب عاد إلينا ذلك الرجل

وذهبنا معه إلى زاويته فوجدناها زاوية حسنة مفروشة بالبسط الرومية الحسان وبها الكثير من ثريات الزجاج العراقي وفي المجلس خمسة من البياسيس والبيسوس شبه المنارة من النحاس له أرجل ثلاث وعلى رأسه شبه جلاس من النحاس وفي وسطه أنبوب للفتيلة ويملا من الشحم المذاب وإلى جانبه آنية نحاس ملانة بالشحم وفيها مقراض لإصلاح الفتيل وأحدهم موكل بها ويسمى عندهم الخراجي (الجراغجي) وقد اصطف في المجلس جماعة من الشبان ولباسهم الاقبية وفي أرجلهم الأخفاف وكل واحد منهم متحزم على وسطه سكين في طول ذراعين وعلى رؤسهم فلانس بيض من الصوف بأعلى كل قلنسوة قطعة موصلة بها في طول ذراع وعرض أصبعين فإذا استقر بهم المجلس نزع كل واحد منهم قلنسوة ووضعها بين يديه وتبقى على رأسه قلنسوة أخوى من الزردخاني وسواه حسنة المنظر وفي وسط مجلسهم شبه سرتبة موضوعة للواردين ولما استقر بنا المجلس عندهم أتوا بالطعام الكثير والفاكهة والخلواء ثم أخذوا في الغناء والرقص فراقنا حالهم وطال عجبنا من سماحهم وكرم أنفسهم وانصرفنا عنهم آخر الليل وتركناهم بزاويتهم .

(* ذكر سلطان انطالية) *

وسلطانها خضر بك بن يونس بك وجدناه عند وصولنا إليها عليلاً قد دخلنا عليه بداره وهو في فراش المرض فكلمتنا بالطف كلام واحسنه وودعنا وبعث إلينا باحسان وسافرنا إلى بلدة بردور (وضبط اسمها بضم الباء الموحدة واسكان الراء وضم الدال المهمل وواو وراء) وهي بلدة صغيرة كثيرة البساتين والأنهار ولها قلعة في رأس جبل شاهق نزلنا بدار خطيبها واجتمعت الاخية وأردوا نزولنا عندهم فابى عليهم الخطيب فصنعوا لنا ضيافة في بستان لأحدهم وذهبوا بنا إليها فكان من العجائب إظهارهم السرور بنا والاستبشار والفرح وهم لا يعرفون اساننا ونحن لانعرف لسانهم ولا ترجمان فيما بيننا واقمنا عندهم يوماً وانصرفنا ثم سافرنا من هذه البلدة إلى بلدة سبرت (وضبط اسمها بفتح السين المهمل والباء الموحدة واسكان الراء وفتح التاء المقلوبة والف) وهي بلدة حسنة العماره والأسواق كثيرة البساتين والأنهار لها قلعة في جبل شامخ وصلنا إليها بالعشي ونزلنا عند قاضيها وسافرنا منها إلى مدينة اكر يدور (وضبط اسمها بفتح الهضمة وسكون الكاف وكسر الراء وياء مد ودال مهمل مضموم وواو مد وراء) مدينة عظيمة كثيرة العماره حسنة الأسواق ذات أنهار وبساتين ولها بحيرة عذبة الماء يسافر المركب

فها يومين أفسهر وبقشهر وغيرهما من البلاد والقرى ونزلنا منها بمدرسة تقابل الجامع الأعظم بها المدرس العالم الحاج المجاور الفاضل مصلح الدين قرأ بالديار المصرية والشام وسكن بالعراق وهو فصيح اللسان حسن البيان أطروفة من طرف الزمان أكرمنا غاية الإكرام وقام بحققنا أحسن قيام .

(ذكر سلطان أكر يدور)

وسلطانها أبو اسحاق بك بن الدندار بك من كبار سلاطين تلك البلاد سكن ديار مصر أيام أبيه وحج وله سيرة حسنة ومن عاداته انه يأتي كل يوم إلى صلاة العصر بالمسجد الجامع فاذا قضيت صلاة العصر استند إلى جدار القبلة وقعد القراء بين يديه على مصطبة خشب عالية فقرأ سورة الفتح والملك وعم بأصوات حسان فعالة في النفوس تخشع لها القلوب وتقشع الجلود وتدمع العيون ثم ينصرف إلى داره وأظنا عند شهر رمضان فكان يقعد في كل ليلة منه على فراش لاصق بالأرض من غير سرير ويستند إلى مخدة كبيرة ويجلس الفقيه مصلح الدين إلى جانبه وأجلس إلى جانب الفقيه ويلينا أرباب دولته وامراء حضرته ثم يؤتى بالطعام فيسكون أول ما يفطر عليه ثريد في صفحة صغيرة عليه العدس مسقى بالسمن والسكر ويقدمون الثريد تبركا ويقولون ان النبي ﷺ فضله على سائر الطعام فنحن نبدأ به تفضيل النبي له ثم يأتي بسائر الأطعمة وهكذا فعلهم في جميع ليالي رمضان .

وتوفي في بعض تلك الأيام ولد السلطان فلم يزدوا على بكاء الرحمة كما يفعله أهل مصر والشام خلافا لما قدمناه من فعل أهل اللور حين مات ولد سلاطنتهم فلما دفن أقام السلطان والطلبة ثلاثة أيام يخرجون إلى قبره بعد صلاة الصبح وثاني يوم من دفنه خرجت مع الناس فرآنى السلطان ماشيا رجلى فبعث لى بفرس واعتذر فلما وصلت المدرسة بعثت الفرس فردده وقال إنما أعطيته عطية لاعارية وبعث لى بكسوة ودرهم فانصرفنا إلى مدينة قل حصار (وضبط اسمها بضم القاف وإسكان اللام ثم جاء مهمل مكسور وصاد مهمل وآخره راء) مدينة صغيرة بها المياه من كل جانب قد نبئت فيها القصب فلا طريق لها إلا طريق كالجسر مهيأ بين القصب والمياه لا يسع إلا فارسا واحداً والمدينة على تل في وسط المياه منبوعة لا يقدر عاينها ونزلنا بزواية أحد الفتيان الأخية بها

(ذكر سلطان قل حصار)

وسلطانها محمد جلبي وجلبى (بحجم معقود ولام مفتوحين وباء موحدة وياه) وتفسيره بلسان

الروم سيدي وهو أخو السلطان ابي اسحاق ملك أكر يدور ولما وصلنا بمدينه كان غائبا عنها فأقنابها أياها ثم قدم فأكرمنا وأركبنا وزودنا وانصرفنا على طريق قرا أغاج وقرا (بفتح القاف) وتفسيره أسود) وأغاج بفتح الهمزة والعين المعجم وآخره جيم) تفسيره الخشب وهي صحراء خضراء يسكنها التركان وبعث معنا السلطان فرسانا يبلغوننا إلى مدينة لاذق بسبب ان هذه الصحراء يقطع الطريق فيها طائفة يقال لهم الجرميان يذكر انهم من ذرية يزيد بن معاوية ولهم مدينة يقال لها كوثاهية فعصمنا الله منهم ووصلنا إلى مدينة لاذق (وهي بكسر الدال المعجم وبعده قاف) وتسمى أيضا دون غزله وتفسيره بلد الخنازير وهي من ابداع المدن وأضخمها وفيها سبعة من المساجد لإقامة الجمعة ولها البساتين الرائقة والأنهار المطردة والعيون المنبوعة وأسواقها حسان وتصنع بها ثياب قطن معلقة بالذهب لأمثل لها تطول اعمارها لصحة قطنها وقوة عزلها وهذه الثياب معروفة بالنسبة اليها واكثر الصناعات بها نساء الروم وبها من الروم كثير تحت الذمة وعليهم وظائف للسلطان من الجزية وسواها وعلامة الروم بها القلائس الطوال منها الخمر والبيض ونساء الروم هن عمائم كبار واهل هذه المدينة لا يغيرون المنسك بل كذلك اهل هذا الاقليم كلهم وهم يشتركون الجوارى الروميات الحسان ويتركونهن للفساد وكل واحدة عليها وظيف لما اسكنها تؤديه له .

وسمعت هنالك ان الجوارى يدخلن الحمام مع الرجال فمن اراد الفساد فعل ذلك بالحمام من غير منسك عليه وذكر لي ان القاضي بها له جوار على هذه الصورة وعند دخولنا هذه المدينة تقدم اليها رجال من حوايتهم حتى سل بعضهم السكاكين وأخذوا بأعنة الخيل ونازعهم آخرون على بعض ونحن لا نعلم ما يقولون نخفنا منهم وظننا انهم الجرميان الذين يقطعون الطرقات وان تلك مدینتهم وحسبنا انهم يريدون نهبننا ثم بعث الله لنا رجلا حاجا يعرف اللسان العربي فسألته عن مراده منا فقال انهم من الفتيان وان الذين سبقوا اليها اولادهم اصحاب الفتي اخي سنان والآخر من اصحاب الفتي اخي طومان وكل طائفة ترغب ان يكون نزولكم عندهم فبعجبنا من كرم نفوسهم ثم وقع بينهم الصلح على المقارعة فمن كانت قرعته نزولنا عنده أولا فوقعت قرعة اخي سنان وبلغه ذلك فأتى اليها في جماعة من اصحابه فسلموا علينا ونزلنا بزاوية له وأتى بأنواع الطعام ثم ذهب بنا الى الحمام ودخل معنا وتولى خدمتي بنفسه وتولى اصحابه خدمة اصحابي بخدمة الثلاثة والاربعة والواحد منهم ثم خرجنا من الحمام فأنوا بطعام عظيم وحلواء وفاكهة كثيرة وبعد الفراغ من الاكل قرأ القراء آيات من القرآن العزيم ثم اخذوا في السماع والرقص واعلموا السلطان بخبرنا فلما كان من الغد بعث في طلبنا بالعهشي

فتوجهنا اليه والى ولده كما نذكره ثم عدنا الى الزاوية فألفينا الآخرى طومان واصحابه فى انتظارنا فذهبوا بنا الى زاويتهم ففعلوا فى الطعام والحمام مثل اصحابهم وزادوا عليه ان صبوا علينا ماء الورد صبا بعد خروجننا من الحمام ثم مضوا بنا الى الزاوية ففعلوا ايضا من الاحتفال فى الأطعمة والحلواء والفاكهة وقراءة القرآن بعد الفراغ من الاكل ثم السماع والرقص كمثل ما فعله اصحابهم او احسن واقننا عندهم بالزاوية اياما .

(ذكر سلطان لاذق)

وهو السلطان ينج بك (واسمه بياض آخر الحروف مفتوحة ثم نونين اولاهما مفتوحة والثانية مسكنة وجيم) وهو من كبار سلاطين بلاد الروم ولما نزلنا بزاوية اخى سنان كما قدمناه بعث اليينا الواعظ المذكور العالم علاء الدين القسطنطينى واصطحب معه خيلا بعددنا وذلك فى شهر رمضان فتوجهنا اليه وسلمنا عليه .

ومن عادة ملوك هذه البلاد التواضع للواردين واين الكلام وقلة العطاء فصلينا معه المغرب وحضر طعامه فافطرنا عنده وانصرفنا وبعث اليينا بدرهم ثم بعث اليينا ولده مراد بك وكان ساكنيا فى بستان خارج المدينة وذلك فى ابان الفاكهة وبعث ايضا خيلا على عددنا كما فعله بوه فأتيينا بستانه واقننا عنده تلك الليلة وكان له فقيه يترجم بيننا وبينه ثم انصرفنا غدوة واطلنا عيد الفطر بهذه البلدة فخرجنا الى المصلى وخرج السلطان فى عساكره والفتيان الاخوية كلهم بالأسلحة ولأهل كل صناعة الأعلام والبوقات والطبول والافانار وبعضهم يفاخر بعضا ويباهيه فى حسن الهيئة وكال الشكبة ويخرج أهل كل صناعة معهم البقر والغنم واحمال الخبز فيذبجون البهائم بالمقابر ويتصدقون بها وبالخبز ويكون خروجهم اولاً الى المقابر ومنها الى المصلى .

ولما صلينا صلاة العيد دخلنا مع السلطان الى منزله وحضر الطعام فجعل للفقهاء والمشايخ والفتيان مما طاع على حدة وجعل للفقراء والمساكين مما طاع على حدة ولا يرد على بابيه فى ذلك اليوم فقير ولا غنى واقننا بهذه البلدة مدة بسبب مخاوف الطريق ثم تهيأت رفقة فسافرنا معهم يوما وبعض ليلة ووصلنا الى حصن طواس واسمه (بفتح الطاء وتخفيف الواو) وآخره سين (مهمل) وهو حصن كبير ويذكر ان صهييا صاحب رسول الله ﷺ ورضى الله عنه من أهل هذا الحصن وكان مبيتنا بخارجة ووصلنا بالغد الى بابيه فسا لنا أهله من أعلى السور عن مقدمنا فاخبرهم وحينئذ خرج امير الحصن ميناس بك فى عسكره ليختبر نواحى الحصن والطريق خوفا من اغارة السراق على الماشية فلما طافوا بجحاته خرجت مواشيهم وهكذا فعلهم ابدا ونزلنا من هذا الحصن بربعة فى زاوية رجل فقير وبعث اليينا امير

الحصن بضيافة وزاد وسافرنا منه إلى مغلة (وضبط اسمها بضم الميم واسكان الغين المعجم وفتح اللام) ونزلنا بزواية أحد المشايخ بها وكان من السكرماء الفضلاء يكثر الدخول علينا بزايته ولا يدخل إلا بطعام أو فاكهة أو حلواء ولقينا بهذه البلدة إبراهيم بك ولد سلطان مدينة ميلاس وسنذكره فأكرمنا وكسانا ثم سافرنا إلى مدينة ميلاس (وضبط اسمها بكسر الميم وياء مد وآخره سين مهملة) وهي من أحسن بلاد الروم وأضخمها كثيرة الفواكه والبساتين والمياه نزلنا منها بزواية أحد الفتيان الاخيه ففعل أضعاف ما فعله من قبله من السكرماء والضيافة ودخول الحمام وغير ذلك من حميد الافعال وجميل الاعمال ولقينا بمدينة ميلاس رجلا صالحا معمرًا يسمى بأبي الششتري ذكرنا أن عمره يزيد على مائة وخمسين سنة وله قوة وحركة وعقله ثابت وذهنه جيد دعائنا او حصلت لنا برأيه

(ذكر سلطان ميلاس)

وهو السلطان المسكرم شجاع الدين ارخان بك ابن المنتشا (وضبط اسمه بضم الطمزة واسكان الراء وخاء معجم وآخره نون) وهو من خيال الملوك حسن الصورة والسيرة جالساً وه الفقهاء وهم معظمون لديه وبيا به منهم جماعة منهم الفقيه الخوارزمي عارف بالفنون فاضل وكان السلطان في أيام لقائنا له واجد عليه بسبب رحلته إلى مدينة أياسلوق ووصوله إلى سلطانها وقبول ما اعداه فسال منى هذا الفقيه ان اتكلم عند الملك في شأنه بما يذهب ما في خاطره فائنت عليه عند السلطان وذكر ما علمته من علمه وفضله ولم ازل به حتى ذهب ما كان يجده عليه واحسن اليانا هذا السلطان واركبنا وزودنا وسكننا في مدينة برجين وهي قريبة من ميلاس بينهما ميلان (وضبط اسمها بفتح الموحدة واسكان الراء وجميم وياء مد وآخره نون) وهي جديدة على تل هنالك بها العمارات الحسان والمساجد وكان قد بنى بها مسجدا جامعاً لم يتم بناؤه بعد وهذه البلدة لقيناه ونزلنا منها بزواية الفقى أخى على ثم انصرفنا بعدما أحسن اليانا كما قدمناه إلى مدينة قونية (وضبط اسمها بضم القاف وواو مد ونون مسكن مكسور وياء آخر الحروف) مدينة عظيمة حسنة العماراة كثيرة المياه والانهار والبساتين والفواكه وبها المشمش المسمى بقر الدين وقد تقدم ذكره ويحمل منه أيضاً إلى ديار مصر والشام وشوارعها متسعة جدا واسواقها بدیعة الترتيب وأهل كل صناعة على حدة ويقال أن هذه المدينة من بناء الاسكندر وهي من بلاد السلطان بدر الدين بن قرمان وسنذكره وقد تغلب عليها صاحب العراق في بعض الاوقات لقرها من بلاده التي بهذا الاقليم نزلنا منها بزواية قاضيا ويعرف بابن قلم شاه

وهو من الفتيان وزاويته من أعظم الزوايا وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم الفتوة سند متصل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأبائها عندهم السراويل كالتلبس الصوفية الخرقه وكان صنيع هذا القاضي في إكرامنا وضيافتنا أعظم من صنيع من قبله وأجمل وبعث ولده عوضاً عنه لدخول الحمام معنا وبهذه المدينة تربة الشيخ الإمام الصالح القطب جلال الدين المعروف بولانا وكان كبير القدر وبأرض الروم طائفة ينتمون ويعرفون باسمه فيقال لهم الجلالية كما تعرف الاحمدية بالعراق والحيدرية بخرسان وعلى تربته زاوية عظيمة فيها الطعام للوارد

(حكاية)

يذكر أنه كان في ابتداء أمره فقيهاً مدرساً يجتمع إليه الطلبة بمدرسته بقونية فدخل يوماً إلى المدرسة رجل يبيع الحلواء وعلى رأسه طبق منها وهي مقطعة قطعاً يبيع القطعة منها بفلس فلما أتى مجلس التدريس قال له الشيخ هات طبقك فأخذ الحلواني قطعة منه وأعطاه للشيخ فأخذها الشيخ بيده وأكلها فخرج الحلواني ولم يطعم أحداً سوى الشيخ فخرج الشيخ في أتباعه وترك التدريس فأبطأ على الطلبة وطال انتظارهم إياه فخرجوا في طلبه فلم يعرفوا له مستقراً ثم إنه عاد إليهم بعد أعوام وصار لا ينطق إلا بالشعر الفارسي المتعلق الذي لا يفهم فكان الطلبة يتبعونه ويكتبون ما يصدر عنه من ذلك الشعر وأفوا منه كتاباً باسمه المثنوي وأهل تلك البلاد يعظمون ذلك الكتاب ويعتبرون كلامه ويعلمونه ويقرؤنه بزواياهم في ليالي الجمعات وفي هذه المدينة أيضاً قبر الفقيه أحمد الذي يذكر أنه كان معلم جلال الدين المذكور ثم سافرنا إلى مدينة اللارندة وهي (بفتح الراء التي بعد الألف واللام) واسكان النون وفتح الدال المهملة) مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين

(ذكر سلطان اللارندة)

وسلطانها الملك بدر الدين بن قرمان (بفتح القاف والراء) وكانت قبله لشقيقه موسى فنزل عنها الملك الناصر وعوضه عنها بعوض وبعث إليها أميراً وعسكرأ ثم تغلب عليها السلطان بدر الدين وبنى بها دار مملكتيه واستقام أمره بها ولقيت هذا السلطان خارج المدينة وهو عائد من تصيده فنزلت له عن دابتي فنزل هو عن دابته وسلمت عليه وأقبل علي ومن عادة ملوك هذه البلاد أنه إذا نزل لهم الوارد عن دابته نزلوا له وأعجبهم فعله وزادوا في إكرامه وإن سلم عليهم راكباً ساءم ذلك ولم يرضهم ويكون سبباً لحرمان الوارد وقد جرى لي ذلك مع بعضهم وسأذكره ولما سلمت عليه وركب وركبت سأأني عن حالي وعن مقدمي ودخلت معه المدينة فأمر بانزالي أحسن نزل وكان يبعث الطعام

الكثير والفاكهة والحلواء في طيافير الفضة والشمع وكساواركب وأحسن ولم يطل
مقامنا عنده وانصرفنا إلى مدينة أفضرا (وضبطها بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح
الصاد المهمل والراء) وهي من أحسن بلاد الروم وأتقنها تحف بها العيون الحارية
والبساتين من كل ناحية ويشق المدينة ثلاثة أنهار ويجرى الماء بدورها وفيها الأشجار
ودوالي العنب وداخلها بساتين كثيرة وتصنع بها البسط المنسوبة اليها من صوف الغنم
لامثل لها في بلد من البلاد ومنها تحمل إلى الشام ومصر والعراق والهند والصين وبلاد الأتراك
وهذه المدينة في طاعة ملك العراق ونزلنا منها بزواية الشريف حسين النائب بها عين الأمير
أرتنا وأرتنا هو النائب عن ملك العراق فيما تغلب عليه من بلاد الروم وهذا الشريف من
الفتيان وله طائفة كثيرة واکرمنا اکراماً متناهياً وفعل أفعال من تقدمه .

ثم رحلنا إلى مدينة نكددة (وضبط اسمها بفتح النون وإسكان الكاف وذال مهمل
مفتوح) وهي من بلاد ملك العراق مدينة كبيرة كثيرة العمارة قد تخرب بعضها ويشقها
النهر المعروف بالنهر الأسود وهو من كبار الأنهار عليه ثلاث قناطر لإحداها بداخل
المدينة واثنتان بخارجها وعليه النواعير بالداخل والخارج منها تسق البساتين والفواكه
كثيرة ونزلنا منها بزواية الفتى أخى جاروق وهو الأمير بها فاکرمنا على عادة الفتيان
وأقمنا بها ثلاثاً .

وسرنا منها بعد ذلك إلى مدينة قيسارية وهي من بلاد صاحب العراق وهي إحدى المدن
العظام بهذا الاقليم بها عسكر اهل العراق وإحدى خواتين الأمير علاء الدين ارتنا
المذكور وهي من أكرم الخواتين وأفضلهن وطها نسبة من ملك العراق وتدعى أغا (بفتح
الهمزة والغين المعجم) ومعنى أغا الكبير وكل من يدينه وبين السلطان نسبة يدعى بذلك
واسمها طغى خاتون ودخلنا اليها فقامت وأحسنّت السلام والكلام وأمرت بإحضار
الطعام فأكلنا ولما انصرفنا بعثت اليينا بفارس مسرج ملجهم وخلعة ودراهم مع احد
غلمانها واعتذرت ونزلنا من هذه المدينة بزواية الفتى أخى أمير على وهو أمير كبير
من كبار الاخوة بهذه البلاد وله طائفة تتبعه من وجوه المدينة وكبرائها وزاويته من احسن
الزوايا قرشا وقناديل وطعاما كثيرا واتقانا والكبراء من اصحابه وغيرهم يجتمعون كل
ليلة عنده ويفعلون في اكرام الوارد اضعاف ما يفعله سواهم ومن عوائد هذه البلاد انه
ما كان منها ليس به سلطان فالأخى هو الحاكم به وهو يركب الوارد ويكسوه ويحسن اليه
على قدره وترتيبه في أمره ونهيه وركوبه ترتيب الملوك .

ثم سافرنا إلى مدينة سيواس (وضبط اسمها بكسر السين المهمل وياء مدو آخره سين مهمل)

وهي من بلاد العراق واعظم ماله بهذا الاقليم من البلاد وبها منزل امرأته وعماله مدينة حسنة العمارة واسعة الشوارع أسواقها غاصة بالناس وبها دار مثل المدرسة تسمى دار السيادة لا ينزلها إلا الشرفاء ونيقيهم ساكن بها وتجري لهم فيها مدة مقامهم الفرش والطعام والشمع وغيره فيزودون إذا انصرفوا .

ولما قدمنا هذه المدينة خرج الى لقائنا اصحاب الفتى بجحجى وبحق بالتركية السكين وهذا منسوب اليه والجهان منه معقودان بينهما قاف وبأوه مكسورة وكانوا جماعة منهم الركبان والمشاة ، ثم لقيناهم بعدهم أصحاب الفتى أخى جلبي وهو من كبار الاخوية وطبقته اعلى من طبقة أخى بجحجى فطلبوا أن ينزل عندهم فلم يمكن لي ذلك لسبق الاولين ودخلنا المدينة معهم جميعا وهم يتفاخرون والذين سبقوا اليها قد فرحوا أشد الفرح بنزلنا عندهم ثم كان من صنعهم في الطعام والحمام والمبيت مثل صنيع من تقدم وأقمنا عندهم ثلاثة في احسن ضيافة ثم انا اننا القاضي وجماعة من الطلبة ومعهم خليل الامير علاء الدين ارتنا نائب ملك العراق ببلاد الروم فركبنا معه واستقبلنا الامير الى دهليز داره فلم علينا ورحب وكان فصيح اللسان بالعربية وسألني عن العراقيين وأصهار وشيراز وكرمان وعن السلطان انا بك وبلاد الشام ومصر وسلاطين التركان وكان مراده ان اشكر السكريم منهم وأذم البخیل فلم افعل ذلك بل شكرت الجميع فسر بذلك مني وشكرني عليه ثم احضر الطعام واكلنا وقال تسكونون في ضيافتي فقال له الفتى أخى جلبي انهم لم ينزلوا بعد بزائتي فليكونوا عندي وضيافتك تصالحهم فقال افعل فانتقلنا الى زائته واقعنا بها ستا في ضيافته وفي ضيافة الامير ثم بعث الأمير بفارس وكسوة ودراهم وكتب لنوابه بالبلاد أن يضيئونا ويكرمونا ويزودونا وسافرنا الى مدينة أماصية (وضبط اسمها بفتح الهمزة والميم والفاء وصاد مهملة مكسورة وياء آخر الحروف مفتوحة) مدينة كبيرة حسنة ذات أنهار وبساتين وأشجار وفواكه وعلى انهارها النواعير تسقى جنتانها ودورها وهي فسيحة الشوارع والأسواق ومساكنها صاحب العراق ويقرب منها بلدة سونسي (وضبط اسمها بضم السين المهملة وراو مدونون مضموم وسين مهملة مفتوح) وهي لصاحب العراق ايضا وبها سكنى اولاد ولي الله تعالى أبي العباس احمد الرفاعي منهم الشيخ عز الدين وهو الآن شيخ الرواق وصاحب سجادة الرفاعي واخوته الشيخ علي والشيخ ابراهيم والشيخ يحيى اولاد الشيخ احمد كوجك ومعناه الصغير ابن تاج الدين الرفاعي ونزلنا بزائتهم ورأينا لهم الفضل على من سواهم .

ثم سافرنا الى مدينة كمش (وضبط اسمها بضم الكاف وكسر الميم وشين معجم) وهي من

بلاد ملك العراق مدينة كبيرة عامرة يأتيها التجار من العراق والشام وبها معادن الفضة وعلى مسيرة يومين منها جبوا شاذحة وعرة لم أصل إليها ونزلنا منها بزواية الاخى مجد الدين وأقمنا بها ثلاثا في ضيافته وفعل أفعال من قبله وجاء إلينا نائب الأمير ارتناو بعث بضيافة وزاد وانصرفنا على تلك البلاد فوصلنا إلى ارزنجان (وضبط اسمها بفتح المعزة وأسكان الراء وفتح الزاى وسكون النون وجميم والفاء ونون) وهى من بلاد صاحب العراق مدينة كبيرة عامرة واكثر سكانها الأرمن والمسلمون يتكلمون بها التركى ولها أسواق حسنة الترتيب ويصنع بها ثياب حسان تناسب إليها وفيها معادن النحاس ويصنعون منه الأواني والبياسيس التى ذكرناها وهى شبه المنار عندنا ونزلنا منها بزواية الفتى اخى نظام الدين وهو من أحسن الزوايا وهو أيضا من خيار الفتيان وكبارهم أضافنا احسن ضيافة وانصرفنا إلى مدينة ارزالروم وهى من بلاد ملك العراق كبيرة الساحرة خربا كثيرها بسبب فتنة وقعت بين طائعتين من التريكان بها ويشقها ثلاثة ايام وفى اكثر دورها بساكنين فيها الأشجار والدوالي ونزلنا منها بزواية الفتى اخى طومان وهو كبير السن يقال انه انا فلى مائة وثلاثين سنة ورأيت ينصرف على قدميه متوكئا على عصا ثابت الذهن مواظبا للصلاة فى أوقاتها لم ينكر من نفسه شيئا إلا انه لا يستطيع الصوم وخدمنا بنفسه فى الطعام وخدمنا اولاده فى الحمام وأردنا الانصراف عنه ثانى يوم نزولنا فشقى عليه ذلك وأبى منه وقال ان فعلتم نقصتم حرمى وإن اقل الضيافة ثلاث فأقمنا لديه ثلاثا .

ثم انصرفنا إلى مدينة بركى (وضبط اسمها بباء موحدة مكسورة وكاف معقود مكسور بينهما راء مسكن) ووصلنا إليها بعد العصر فلقينا رجلا من أهلها قسأ لنا عن زاوية الاخى بها فقال أنا ادلكم عليها فاتبعناه فذهب بنا الى منزله نفسه فى بستان له فأنزلنا بأعلى سطح بيته والأشجار مظلمة وذلك أوان الحر الشديد واتى إلينا بأنواع الفاكهة واحسن فى ضيافته وعلف دوابنا وبتنا عنده تلك الليلة وكنا قد تعرفنا ان بهذه المدينة مدرسا فاضلا يسمى بمجى الدين فأتى بنا ذلك الرجل الذى بتنا عنده وكان من الطلبة إلى المدرسة واذا بالمدرس قد أقبل راكبا على بغلة فارهة ومالئكة وخدامه عن جانبيه والطلبة بين يديه وعليه ثياب مفرجة حسان مطرزة بالذهب فسلمنا عليه فرحب بنا واحسن السلام والكلام وامسك يدي واجلسنى إلى جانبته ثم جاء القاضى عز الدين فرشنى ومعنى فرشنى الملك لقب بذلك لدينه وعفافه وفضله فتعد عن يمين المدرس واخذ فى تدريس العلوم الأصلية والفرعية ثم لما فرغ من ذلك أتى دويرة بالمدرسة فامر بفرشها وانزلى فيها وبعث ضيافة حافلة ثم وجه إلينا بعد المغرب فمضيت إليه فوجدته فى مجلس ببستان

له وهناك صهر يسج ماء ينحدر اليه الماء من خصة رخام بيض يدور بها القاشاني وبين يديه جملة من الطلبة ومما ليك وخدماته وقوف من جانيه وهو قاعد على مرتبة عليها اقطاع منقوشة حسنة نخته لما شاهدته ملكا من الملوك فقام إلى واستقبلني وأخذ بيدي واجلسني إلى جانبه على مرتبته وأنى بالطعام فاكلنا وانصرفنا إلى المدرسة وذكر لي بعض الطلبة ان جميع من حضر تلك الليلة من الطلبة عند المدرس فعادتهم الحضور لطعامه كل ليلة وكتب هذا المدرس إلى السلطان بخبرنا وأثنى في كتابه والسلطان في جبل هنالك يصيف فيه لأجل شدة الحر وذلك الجبل بارد وعادته ان يصيف فيه .

﴿ ذكر سلطان بركي ﴾

وهو السلطان محمد بن آيدين من خيار السلاطين وكرماهم وفضلائهم ولما بعث اليه المدرس يعلمه بخبري وجه نائبه إلى آتية فأشار على المدرس ان اقيم حتى يبعث عنى ثانية وكان المدرس إذ ذاك قد خرجت برجله قرحة لا يستطيع الركوب بسببها وانقطع عن المدرسة ثم ان السلطان بعث في طلبى ثانية فشق ذلك على المدرس فقال أنا لا أستطيع الركوب ومن غرضي التوجه معك لأقرر لدى السلطان ما يجب لك ثم انه تحمل ولف على رجله خرقة وركب ولم يضع رجله في الركاب وركبت أنا وأصحابي وصعدنا إلى الجبل في طريق قد فتحت وسويت فوصلنا إلى موضع السلطان عند الزوال فنزلنا على نهر ماء تحمت ظلال شجر الجوز وصادفنا السلطان في قلق وشغل بال بسبب فرار ابنه الأصغر سليمان عنه إلى صهره السلطان ارخان بك فلما بلغه خبر وصولنا بعث اليينا ولديه مخضر بك وعمر بك فسلما على الفقيه وأمرهما بالسلام على ففعلا ذلك وسألاني عن حالي ومقدمي وانصرفا وبعث إلى بيديت يسمى عندهم الخرقه (خركاه) وهو عصي من الخشب تجمع شبه القية وتجعل عليها اللبود ويفتح اعلاه لدخول الضوء والريح مثل البادهنج ويسد متى احتيج إلى شدة وآتوا بالفرش ففرشوه وقعد الفقيه وقعدت معه أصحابه وأصحابي خارج البيوت تحت ظلال شجر الجوز وذلك الموضع شديد البرد ومات لي تلك الليلة فرس من شدة البرد ولما كان من الغد ركب المدرس إلى السلطان وتسكلم في شأنى بما اقتضته فضائله ثم عاد إلى واعلمنى بذلك وبعد ساعة وجه السلطان في طلبنا معا فجئنا إلى منزله ووجدناه قائما فسلمنا عليه وقعد الفقيه عن يمينه وأنا ما يلي الفقيه فسألني عن حالي ومقدمي وسألني عن الحجاز ومصر والشام واليمن والعراقين وبلاد الأعاجم ثم حضر الطعام فاكلنا وانصرفنا وبعث الأرز والدقيق والسمن في كروش الأغنام وكذلك فعل الترك وأقمنا على تلك الحال أياما يبعث اليينا كل يوم فنحضر طعامه وأنى يوما اليينا بعد

الظهر وقعد الفقيه في صدر المجلس وأنا عن يساره وقعد السلطان عن يمين الفقيه وذلك لعزة الفقهاء عند الترك وطلب مني ان اكتب له أحاديث من حديث رسول الله ﷺ فسكتبتها له وعرضها الفقيه عليه في تلك الساعة فأمره ان يكتب له شرحها باللسان التركي ثم قام فخرج ورأى الخدام يطبخون لنا الطعام تحت ظلال الجوز بغير ادم ولا خضر فأمر بعقاب صاحب خزانته وبعث بالابزار والسمن وطالت اقامتنا بذلك الجبل فأدركني الملل وأردت الانصراف وكان الفقيه أيضاً قد مل من المقام هنالك فبعث إلى السلطان يخبره اني اريد السفر فلما كان من الغد بعث السلطان نائبه فتكلم مع المدرس بالتركية ولم أكن إذ ذاك أفهمها فاجابه عن كلامه وانصرف فقال لي المدرس أتدرى ماذا قال قلت لا أعرف ما قال قال ان السلطان بعث الى يسائني ماذا يعطيك فقلت له عنده الذهب والفضة والخيل والعبيد فليعطه ما أحب من ذلك فذهب إلى السلطان ثم عاد اليها فقال ان السلطان يأمر أن تقيمنا هنا اليوم وتنزلنا معه غدا إلى داره بالمدينة ولما كان من الغد بعث فرسا جيذا من مراكبه ونزل ونحن معه إلى المدينة فخرج الناس لاستقباله وفيهم القاضي المذكور آنفا وسواء ودخل السلطان ونحن معه فلما نزل بباب داره ذهبت مع المدرس إلى ناحية المدرسة فدعا بنا وأمرنا بالدخول معه إلى داره ولما وصلنا إلى دهليز الدار وجدنا من خدامه نحو عشرين صورهم فائقة الحسن وعابهم ثياب الحرير وشعورهم مفروقة وألوانهم ساطعة البياض مشربة بحمرة فقلت للفقيه ماهذه الصور الحسن قال هؤلاء فتيان روميون وصعدنا مع السلطان درجا كثيرة إلى أن انتهينا إلى مجلس حسن في وسطه صهريج ماء وعلى كل ركن من أركانه صورة مسبح نحاس يمج ماء من فيه وتدور بهذا المجلس مصاحب متهلة مفروشة وفوق احداها مرتبة السلطان فلما انتهينا إليها نحى السلطان مرتبته بيده وقعد معنا على الاقطاع وقعد الفقيه عن يمينه والقاضي مما يلي الفقيه وأنا مما يلي القاضي وقعد القراء أسفل المصطبة والقراء لا يفارقونه حيث كان من مجالسه .

ثم جاءوا بصحاف من الذهب والفضة مملوءة بالجلال المحلول قد عصر فيسه ماء الليمون وجعل فيه كهكات صغار مقسومة وفيها ملاعق ذهب وفضة وجاءوا معها بصحاف صيفي فيها مثل وفيها ملاعق خشب فن تورع استعمال صحاف الصيفي وملاعق الخشب وتسكملت بشكر السلطان وأثنيت على الفقيسه وبالغت في ذلك فأعجب ذلك السلطان وسره .

(حكاية)

وفي أثناء قعودنا مع السلطان أتى شيخ على رأسه عمامة لها ذؤابة فسلم عليه وقام له

القاصى والفقيه وقعد امام السلطان فوق المصطبة والقراء أسفل منه فقلت للفقيه من هذا الشيخ فضحك وسكت ثم أعدت السؤال فقال لى هذا يهودى طيب وكنا محتاج اليه فلاجل هذا فعلنا ما رأيت من القيام له فاخذنى ماحدث وقدم من الامتعاض فقلت لليهودى يا معلمون ابن معلمون كيف تجلس فوق قراء القرآن وأنت يهودى وشتمته ورفعت صوتى فعجب السلطان وسأل عن معنى كلامى فأخبره الفقيه به وغضب اليهودى فخرج عن المجلس فى أسوأ حال ولما انصرفنا قال لى الفقيه أحسنت بارك الله فيك أن أحدا سواك لا يتجاسر على مخاطبته بذلك ولقد عرفته بنفسه

(حكاية أخرى)

وسألنى السلطان فى هذا المجلس فقال لى هل رأيت قط حجر انزل من السماء فقلت ما رأيت ذلك ولا سمعت به فقال لى انه قد نزل بخارج بلدنا هذا حجر من السماء ثم دعا رجلا وامرهم أن يأتوا بالحجر فأتوا بحجر أسود اصم شديد الصلابة له بريق قدرت أن زنته تبلغ قنطارا وأمر السلطان باحضار القطاعين فحضر أربعة منهم فأمرهم أن يضربوه فضر بواعليه ضربة رجل واحد أربع مرات بمطارق الحديد فلم يؤثروا فيه شيئا فعجبت من أمره وأمر برده لى حيث كان وفى ثالث يوم من دخولنا لى المدينة مع السلطان صنع صنيعا عظيما ودعا الفقراء والمشايخ وأعيان العسكر وجوهر أهل المدينة فطعموا وقرأ القراء القرآن بالأصوات الحسان وعدنا لى منزلنا بالمدرسة وكان يوجه الطعام والفاكهة والحواء والشمع فى كل ليلة ثم بعث لى مائة مثقال ذهباً والى ألف درهم وكسوة كاملة وفرسا ومملوكا وميا يسمى ميتخايل وبعث لسلك من أصحابى كسوة ودراهم كل هذا بمشاركه المدرس محي الدين جزاه الله تعالى خيرا وودعنا وانصرفنا وكانت مدة مقامنا عنده بالجميل والمدينة أربعة عشر يوما ثم قصدنا مدينة تيرة وهى من بلاد هذا السلطان (وضبط اسمها بكسر التاء المعالوة وباء مدورا) مدينة حسنة ذات انهار وبساتين فواكه زلنا منها بزاوية الفقى محمد وهو من كبار الصالحين صائم الدهر وله اصحاب على طريقته فاضافنا ودعانا وسرنا لى مدينة آيسلوق (وضبط اسمها بفتح الهمزة والياء آخر الحروف وسين مهملة مضموم ولام مضموم وآخره قاف) مدينة كبيرة قديمة معظمة عند الروم وفيها كنيسة كبيرة مبنية بالحجارة الضخمة ويكون طول الحجر منها عشرة أذرع فما دونها منحوتة أبدع نحت والمسجد الجامع بهذه المدينة من أبدع مساجد الدنيا لا نظير له فى الحسن وكان كنيسة للروم معظمة عندهم يقصدونها من البلاد فلما فتحت هذه المدينة جعلها المسلمون مسجدا

(١٣ - رحلة - أول)

جامعا وحيطانه من الرخام الملون وفرشه الرخام الابيض وهو مستقف بالرصاص وفيه
احدى عشرة قبة متنوعة فى وسط كل قبة صهريج ماء والنهر يشقه وعن جانبي النهر الاشجار
المختلفة الاجناس ودوالى العنب ومعرشات الياسمين وله خمسة عشر بابا وأمير هذه المدينة
خضر بك ابن السلطان محمد بن آيدىن وقد كنت رأيته عند أبيه يبركى ثم لقيته بهذه المدينة
خارجها فسلمت عليه وأنا راكب فذكره ذلك منى وكان سبب حرمانى لديه فان عادتهم
إذا نزل لهم الوارد نزلوا وأعجبهم ذلك ولم يبعثوا الاثوبا واحدا من الحرير المذهب
يسمونه النسخ (بفتح النون وخاء معجم) واشترت بهذه المدينة جارية رومية بكر
بأربعين دينارا ذهباً ثم سرنالى مدينة بزمير (وضبط اسمها بياء آخر الحروف مفتوحة
و زاي مسك وميم مكسورة و ياء مدوراء) مدينة كبيرة على ساحل البحر معظمها خراب
وطها قلعة متصلة بأعلاها نزلنا منها براوية الشيخ يعقوب وهو من الاحدية صالح فاضل
ولقينا بخارجها الشيخ عز الدين بن احمد الرفاعى ومعه زاده الاخلاص من كبار المشايخ
ومعه مائة فقير من الموليين وقد ضرب لهم الامير الاخوية وصنع الشيخ يعقوب ضيافة
وحضرتها واجتمعت بهم وامير هذه المدينة عمر بك ابن السلطان محمد بن آيدىن المذكور
آنفا وسكناه بقلعتها وكان حين قدومنا عليها عند أبيه ثم قدم بعد خمس من نزولنا بها
فسكان من مكارمه أن أتى الى براوية فسلم على واعتذر وبعث ضيافة عظيمة وأعطانى بعد
ذلك مملوكا روميا خاسيا اسمه نقوله وثوبين من السكتاوى ثياب حرير تصنع ببغداد
وتبريز ونيسابور وبالصين وذكر لى الفقيه الذى يؤم به ان الامير لم يبق له مملوك سوى
ذلك المملوك الذى أعطانى بسبب كرمه رحمه الله وأعطى أيضا للشيخ عز الدين ثلاثة
أفراس مجرزة وآنية فضيه كبيرة تسمى عندهم المشربة مملومة دراها ونيا بامن الملف والمر عن
والقسي والسكتا وجوارى وغلما نا وكان هذا الامير كريما صالحا كثير الجهاد له
اجفان غزوية يضرب بها على نواحى القسطنطينية العظمى فيسبى ويغنم ويفنى ذلك كرمأ
وجودا ثم يعود الى الجهاد الى ان اشتدت على الروم وطأنه فرفعوا امرهم الى البابا فأمر
نصارى جنوة وإفرانسة بغزوه وجهز جيشا من رومية وطرقوا مدينته ليلافى
عدد كثير من الأجفان وملسكوا المرسى والمدينة ونزل اليهم الأمير عمر من القلعة
فقالتهم الاستشهاد هو وجماعة من ناسه واستقر النصارى بالبلد ولم يقدروا على القلعة
لمنعها ثم سافروا من هذه المدينة الى مدينة مغنيسية (وضبط اسمها بميم مفتوحة
و غين معجمة مسكنة ونون مكسورة و ياء مدوسين مهملة مكسورة و ياء آخر الحروف

مشددة) نزلنا بها عشى يرم عرفة بزواية رجل من الغتيان وهى مدينة كبيرة حسنة فى سفح جبل وبسيطها كثير الانهار والعيون والبساتين والفواكه

(ذكر سلطان مغنيسية)

وسلطانها يسمى صاروخان ولما وصلنا إلى هذه البلدة وجدناه بترية ولده وكان قد توفى منذ أشهر فكان هو وأم الولد أيلة العيد وصبيحتها بترية والولد قد صبر وجعل فى تابوت خشب مغشى بالحديد المقزدر وعلق فى قبة لاسقف لها لأن تذهب رائحتها وحيلئذ تسقف القبة ويجعل تابوته ظاهرا على وجه الأرض وتجعل ثيابا به عليه وهكذا رأيت غيره أيضا من الملوك فعل وصلنا عليه بذلك الموضع وصلينا معه صلاة العيد وعدنا إلى الزاوية فأخذ الغلام الذى كان لى أفرسنا وتوجه مع غلام لبعض الأصحاب برسم سقيا فابطأ ثم لما كان العشى لم يظهر لهما أثر وكان بهذه المدينة الفقيه المدرس الفاضل مصلح الدين فركب معى إلى السلطان واعلمناه بذلك فبعث فى طلبهما فلم يوجدوا اشتغل الناس فى عيدهم وقصدا مدينة الكفار على ساحل البحر تسمى فوجة على مسيرة يوم من مغنيسية وهؤلاء الكفار فى بلد حصين وهم يبعثون هدية فى كل سنة إلى سلطان مغنيسية فيقنع منهم بها لخصاصة بلدهم فلما كان بعد الظهر أتى بهما بعض الأتراك وبالأفراس وذكروا انهما اجتازا بهم عشية النهار فانكروا امرهما واشتدوا عليهما حتى اقرا بما عزم عليه من الفرار ثم سافرا من مغنيسية وبقنا ليلة عند قوم من التركان قد نزلوا فى مرعى لهم ولم نجد عندهم ما نعلق به دوابنا تلك الليلة وبات اصحابنا يحترسون مداولة بينهم خوف السرقة فأتت نوبة الفقيه عفيف الدين التوزرى فسمعته يقرأ سورة البقرة فقلت له إذا اردت النوم فاعلى لا نظرم يحرس ثم نمت فما ايقظنى إلا الصباح وقد ذهب السراق بفرس لى كان يركبه عفيف الدين بسرجه ولجأه وكان من جياد الخيل اشتريته باياسلوق ثم رحلنا من الغد فوصلنا إلى مدينة برغمة (وضبط اسمها بباء موحدة مفتوحة وراء مسكنة وغين معجمة مفتوحة وميم مفتوحة) مدينة خربة لها قلعة عظيمة منيعة بأعلى جبل ويقال ان افلاطون الحكيم من أهل هذه المدينة وداره تشتهر باسمه إلى الآن ونزلنا منها زواية فقير من الاحمدية ثم جاء أحد كبراء المدينة فنقلنا إلى داره واكرمنا اكراما كثيرا

(ذكر سلطان برعمه)

وسلطانها يسمى يخشى خان بكسر الشين وخان عندهم هو السلطان ويخشى (بياء آخر الحروف وخاء معجم وشين مكسور) ومعناه جيد صادفناه فى مصيف له فاعلم بقدمنا

فبعث بضيافة وثوب قدسى ثم اكرتينا مريدنا على الطريق وسرنا في جبال شامخة وعرة إلى أن وصلنا إلى مدينة بلي كسرى (وضبط اسمها بباء موحدة مفتوحة ولام مكسورة وباء مد وكاف مفتوح وسين مهمل مسكن وراء مكسور وباء) مدينة حسنة كثيرة العمارات ملبحة الأسواق ولا جامع لها يجمع فيه واراوا بناء جامع خارجها متصل بها فبنوا حيطانه ولم يجعلوا سقفا وصاروا يصلون به ويجتمعون تحت ظلال الأشجار ونزلنا من هذه المدينة بزواية الفتى اخى سنان وهو من افاضلهم واثق البنا فاضلها وخطيبها الفقيه موسى (ذكر سلطان بلي كسرى)

وبسمى دمورخان ولاخير فيه وابوه هو الذى بنى هذه المدينة وكثرت عمارتها بمن لاخير فيه في مدة ابنه هذا والناس على دين الملك ورايته وبعث إلى ثوب حرير واشترت بهذه المدينة جارية رومية تسعى مرغاية ثم سرنا إلى مدينة برصى (وضبط اسمها بضم الباء الموحدة واسكان الراء وفتح الصاد الممهل) مدينة كبيرة عظيمة حسنة الأسواق فسيحة الشوارع تحفها البساتين من جميع جهاتها والعيون الجارية وبخارجها نهر شديد الحرارة يصب في بركة عظيمة وقد بنى عليها بيتان احدهما للرجال والاخر للنساء والمرضى يستشفون بهذه الحمة ويأتون اليها من اقاصى البلاد وهناك زاوية للواردين ينزلون بها ويطعمون مدقة مقامهم وهى ثلاثة أيام عمر هذه الزاوية أحد ملوك التركان ونزلنا في هذه المدينة بزواية الفتى اخى شمس الدين من كبار الفتيان ووافقنا عنده يوم عاشوراء فصنع طعاما كثيرا ودعا وجوه العسكر وأهل المدينة ليلا وافطروا عنده وقرأ القرآن بالأصوات الحسنة وحضر الفقيه الواعظ مجد الدين القوتوى وعظ وذكر وأحسن ثم أخذوا في السماع والرقص وكانت ليلة عظيمة الشأن وهذا الواعظ من الصالحين يصوم الدهر ولا يفطر إلا في كل ثلاث أيام ولا يأكل إلا من كديميته ويقال انه لم يأكل طعام أحد قط ولا منزل له ولا متاع إلا ما يستتر به ولا ينام إلا في المقبرة ويعظ في المجالس ويذكر فيتوب على يديه في كل مجلس الجماعة من الناس وطلبته بعد هذه الليلة فلم أجده واتيت الجباة فلم أجده ويقال انه يأتها بعد هجوع الناس

(حكاية)

لما حضرنا ليلة عاشوراء بزواية شمس الدين وعظ بها مجد الدين آخر الليل فصاح أحد الفقراء صيحة غشى عليه منها فصبروا عليه ماء الورد فلم يفيق فاعادوا عليه ذلك فلم يفيق واختلفت الناس فيه فمن قائل أنه ميت ومن قائل انه مغشى عليه واتم الواعظ كلامه وقرأ القرآن وصلينا الصبح وطلعت الشمس فاختبروا حال الرجل فوجدوه فارق

الدنيا رحمه الله فاشتغلوا بغسله وتسكففيه وكنت فيمن حضر الصلاة عليه ودقته وكان هذا الفقير يسمى الصباح وذكروا أنه كان يتعبد بغار هنالك في جبل فتى علم أن الواعظ مجد الدين يعظ قصده وحضر وعظه ولم يأكل طعاماً أحداً إذا وعظ مجد الدين يصبح ويغشى عليه ثم يفيق فيتوضأ ويصلي ركعتين ثم إذا سمع الواعظ صاح يفعل ذلك مراراً في الليلة وسمى الصباح لأجل ذلك وكان أعذر اليد والرجل لا قدرة له على الخدمة وكانت له والدته تقوته من غزوها فلما توفيت اقتات من نبات الأرض ولقيت بهذه المدينة الشيخ الصالح عبد الله المصري السائح وهو من الصالحين جال الأرض إلا أنه لم يدخل الصين ولا جزيرة سرنديب ولا المغرب ولا الأندلس ولا بلاد السودان وقد زدت عليه بدخول هذه الأقاليم

(ذكر سلطان برصا)

سلطانها اختيار الدين أرخان بك وأرخان (بضم الهمزة وخاء معجم) ابن السلطان عثمان جوق (وجوق بجيم معقود مضموم وآخره قاف) وتفسيره بالتركية الصغير وهذا السلطان أكبر ملوك التركان وأكثر مالا وبلادا وعسكرا له من الحصون ما يقارب مائة حصن وهو في أكثر أوقاته لا يزال يطوف عليها ويقم بكل حصن منها أياماً لإصلاح شؤونه وتفقد حاله ويقال أنه لم يقيم قط شهراً كاملاً ببلد ويقا تل السكفار ويحاصره والده وهو الذي استفتح مدينة برصا من أيدي الروم وقبره بمسجدها وكان مسجدها كنيسة للنصارى ويذكر أنه حاصر مدينة برنيك نحو عشرين سنة ومات قبل فتحها فحاصرها واده هذا الذي ذكرناه اثنى عشرة سنة وافتتحها وبها كان لقائي له وبعث إلى بدرهم كثيرة ثم سافرنا إلى مدينة زنيك (وضبط اسمها بفتح الياء آخر الحروف وإسكان الزاي وكسر النون وياء مد وكاف) وبتنا قبل الوصول إليها ليلة بقرية تدعى كرله بزواية فتى من الأخية ثم سبرنا من هذه القرية يوماً كاملاً في أنهار ماء على جوانبها أشجار الرمان الخلو والحامض ثم وصلنا إلى بحيرة ماء تذب القصب على ثمانية أميال من زنيك لا يستطيع دخولها إلا على طريق واحد مثل الجسر لا يسلك عليها إلا فارس واحد وبذلك امتنعت هذه المدينة والبحيرة محيطة بها من جميع الجهات وهي خاوية على عروشها لا يسكن بها إلا أناس قليلون من خدام السلطان وبها زوجته بتون خاتون وهي الحاكمة عليهم امرأة صالحة فاضلة وعلى المدينة أسوار أربعة بين كل سورين خندق وفيه الماء ويدخل إليها على جسور خشب متى أرادوا رفعها رفعوها وبداخل المدينة البساتين والدور والأرض والمزارع فشكل انسان داره ومزرعته وبستانه بمجموعة وشربها من آبارها قرية وبها من

جميع أصناف الفواكه والجوز والقسطل عندهم كثير جدا رحيض الثمن ويسمون القسطل قسطنة بالنون والجوز القوز بالقاف وبها العنب العذارى لم أر مثله في سواها متناهي الخلاوة وعظيم الجرم صافي اللون رقيق القشر للحبة منه نواة واحدة أنزلنا بهذه المدينة الفقيه الإمام الحاج المجاور علاء الدين السلطان بيوكي وهو شيخ الفضلاء السكرماء ماجئت قط لزيارته إلا أحضر الطعام وصورته حسنة وسيرته أحسن وتوجه معي إلى الخاتون المذكورة فأكرمت وأضافت وأحسنمت وبعددونا بأيام وصل إلى هذه المدينة السلطان أرخان بك الذي ذكرناه وأقت بهذه المدينة نحو أربعين يوما بسبب مرض فرس لي فلما طال على المسكك تركته وانصرفت ومعى ثلاثة من أصحابي وجارية وغللمان وليس معنا من يحسن اللسان التركي ويترجم عنا وكان لنا ترجمان فارقنا بهذه المدينة ثم خرجنا منها فبقينا بقرية يقال لها مكجا (بفتح الميم والسكاف والجيم) بقنا عند فقيه أكرمنا وأضافنا وسافرنا من عنده وتقدمتنا امرأة من الترك على فرس ومعها خديم لها وهي قاصدة مدينته ينجا ونحن في اتباع أثرها فوصلت إلى واد كبير يقال له سقري كأ أنه نسب إلى سقر أعادنا الله منها فذهبت تجوز الوادي فلما توسطته كادت الدابة تغرق بها ورونها عن ظهرها وأراد الخديم الذي كان معه استخلاصها فذهب الوادي بهما معا وكان في عدوة الوادي قوم رموا بأنفسهم في أثرهما سباحة فأخرجوا المرأة وبها من الحياة روق ووجدوا الرجال قد قضى نحبهم رحمه الله وأخبرنا أولئك الناس أن المهدي أسفل من ذلك الموضع توجهنا إليها وهي أربع خشبات مربوطة بالحبال يجعلون عليها سروج الدواب والمتاع ويجذبها الرجال من العدو الأخرى ويركب عليها الناس وتجاز الدواب سباحة وكذلك فعلنا ووصلنا تلك الليلة إلى كاوية واسمها على مثال فاعلة من السكي نزلنا منها بزواية أحد الأخيه فكلما به بالعربية فلم يفهم عنا وكلمنا بالتركية فلم يفهم عنه فقال اطلبوا الفقيه فإنه يعرف العربية فأتى الفقيه فكلما بالفارسية وكلمناه فلم يفهمها منا فقال للمفتي ايشان عربي كسنا ميقوان ميكويندو من عربي نواميدانم وايشان معنا هؤلاء وكهنا قديم وميقوان يقولون ومن أنا نواميد وميدانم تعرف وإنما أراد الفقيه بهذا السلام ستر نفسه عن الفضيحة حين ظنوا أنه يعرف اللسان العربي وهو لا يعرفه فقال لهم هؤلاء يتكلمون بالسلام العربي القديم وأنا لا أعرف إلا العربي الجديد فظن الفتى أن الأمر على ما قاله الفقيه

ونفعنا ذلك عنده وبالغ اكرامنا وقال هؤلاء تجب كرامتهم لأنهم يتكلمون باللسان العربي القديم وهو لسان النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وأصحابه ولم يفهم كلام الفقيه

إذ ذاك لسكنى حفظت لفظه فلما تعلمت اللسان الفارسي فهمت مراده وبتنا تلك الليلة بالزاوية وبعث معنا دليلاً إلى ينجنا وضبط اسمها (بفتح الياء آخر الحروف وكسر النون وجيم) بلدة كبيرة حسنة بمحلتها عن زاوية الأخي فوجدنا بها أحد الفقراء الموهين فقامت له هذه زاوية الأخي فقال لي نعم فسررت عند ذلك إذ وجدت من يفهم اللسان العربي فلما اختبرته أبرز الغيب أنه لا يعرف من اللسان العربي إلا كلمة نعم خاصة ونزلنا بالزاوية وجاء إلينا أحد الطلبة بطعام ولم يكن الأخي حاضر أو حصل الآنس بهذا الطالب ولم يكن يعرف اللسان العربي والسكنة تفضل وتكلم مع نائب البلدة فأعطاني فارساً من أصحابه وتوجه معنا إلى كهنوك (وضبط اسمها بفتح الكاف وسكون الباء وضم النون) وهي بلدة صغيرة يسكنها كفار الروم تحت ذمة المسلمين وليس بها غير بيت واحد من المسلمين وهم الحكماء عليهم وهي من بلاد الساطن ارخان بك فنزلنا بدار عجوز كافرة وذلك إبان الثلج والشتاء فأحسننا إياها وبتنا عندها تلك الليلة وهذه البلدة لا شجر بها ولا دواب ولا العنب ولا يزرع بها إلا الزعفران وأتينا هذه العجوز بزعفران كثير وظنت أننا تجار نشتره منها ولما كان الصباح ركبنا وأنانا الفارس الذي بعشه معنا من كاريه فبعث معنا فارساً غيره ليوصلنا إلى مدينة مطرفي وقد وقع في تلك الليلة ثلج كثير عفي عن الطريق فتقدمنا ذلك الفارس فاتبعنا أثره إلى أن وصلنا في نصف النهار إلى قرية للتركان فأتوا بطعام فأكلنا منه وكلهم ذلك الفارس فركب معنا أحدهم وسلك بنا أوعاراً أو جبالاً ومجرى ماء تكرر لنا جوازه أزيد من الثلاثين مرة فلما خالصنا من ذلك قال لنا ذلك الفارس أعطوني شيئاً من الدراهم فقلنا له إذا وصلنا إلى المدينة نعطيك ونرضيك فلم يرض ذلك منا ولم يفهم عنا فأخذ قوساً لبعض أصحابي ومضى غير بعيد ثم رجع فرد إلينا القوس فأعطيته شيئاً من الدراهم فأخذها وهرب عنا وتركنا لا نعرف أين نقصد ولا طريق لنا فسكننا نللمح أثر الطريق تحت الثلج ونسلكه إلى أن بلغنا عند غروب الشمس إلى جبل يظهر الطريق به لسكينة الحجارة خفت الهلاك على ومن معي وتوقعت نزول الثلج ليلاً ولا عمارة هنا لك فإن نزلنا عن الدواب هلكنا وإن سرينا ليلتنا لا نعرف أين نتوجه وكان لي فرس من الجياد فعملت على الخلاص وقلت نفسي إذا سلمت لعل احتال في سلامة أصحابي فسكن كذلك واستودعتهم الله تعالى وسرت وأهل تلك البلاد يبنون على القنور بيوتاً من الخشب يظن رائيها أنها عمارة فيجدها قبوراً فظهر لي منها كثير فلما كان بعد العشاء وصلت إلى البيوت فقلت اللهم اجعلها عمارة فوجدتها عمارة ووفقني

الله تعالى إلى باب دار فرأيت عليها شيخا فكلمته بالعربي فكلمني بالتركي وأشار إلى بالدخول فأخبرته بشأن أصحابي فلم يفهم عني وكان من لطف الله أن تلك الدار زاوية للفقراء والواقف بالباب شيخها فلما سمع الفقراء الذين بداخل الزاوية كلامي مع الشيخ خرج بعضهم وكانت بيني وبينه معرفة فسلم علي وأخبرته خبر أصحابي وأشرت إليه بأن يمضي مع الفقراء لاستخلاص الأصحاب ففعلوا ذلك وتوجهوا معي إلى أصحابي وجئنا جميعا إلى الزاوية وحمدنا الله تعالى على السلامة وكانت ليلة جمعة فاجتمع أهل القرية وقطعوا ليأتهم بذكر الله تعالى وأتى كل منهم بما تيسر له من الطعام وارتفعت المشقة ورحلنا عند الصباح فوصلنا إلى مدينة مطرفي عند صلاة الجمعة (وضبط اسمها بضم الميم والطاء المهملة واسكان الراء وكسر النون وياء مد) فنزلنا بزاوية أحد الفتيان الأخية وبها جماعة من المسافرين ولم نجد مربطاً للدواب فصلينا الجمعة ونحن في قلق لكثرة التلج والبرد وعدم المربط فلقينا أحد الحجاج من أهلها فسلم علينا وكان يعرف اللسان العربي فسررت برويته وطلبت منه أن يدلنا على مربط للدواب بالكرام فقال أمار بطها في منزل فلا يتأتى لأن أبواب دور هذه البلدة صغار لا تدخل منها الدواب ولست أكني أدلكم على سقيفة بالسوق يربط فيها المسافرون دوابهم والذين يأتون لحضور السوق فدلتنا عليها وربطنا بها دوابنا ونزل أحد الأصحاب بمحانوت خال أزماءه ليحرس الدواب.

(حكاية)

وكان من غريب ما اتفق لنا أنى بعثت أحد الخدام ليشتري اللبن للدواب وبعثت أحدهم يشتري السمن فأتى أحدهما باللبن والآخر دون شيء وهو يضحك فسألناه عن سبب ضحكك فقال أنا وقفنا على دكان بالسوق فطلبنا منه السمن فأشار إلينا بالوقوف وكلم والده فدفعنا له الدراهم فأبطأ ساعة وأتى باللبن فأخذناه منه وقلنا له أنا نريد السمن فقال هذا السمن وأبرز الغيب أنهم يقولون للبن سمن بلسان الترك أما السمن يسمى عندهم رباغ ولما اجتمعنا بهذا الحاج الذي يعرف اللسان العربي رغبنا منه أن يسافر معنا إلى قسطنطينة وبينها وبين هذه البلدة عشرة وكسوته ثوبا مصرياً من من ثيابي وأعطيته نفقة تركها له عينت له دابة لركوبه ووعدته الخير وسافر معنا فظهر لنا من حاله أنه صاحب مال كثير وله ديون على الناس غير أنه ساقط المهمة خسيس الطبع سمى الأفعال وكنا نعطيهِ الدراهم لنفقتنا فيأخذها يفضل من الخير ويشتري به الإبرار والخضر والملح ويمسك ثمن ذلك لنفسه وذكر لي أنه كان يسرق من دراهم النفقة دون ذلك وكنا نحتمله لما كنا نكابه من عدم المعرفة بلسان الترك وانتهت حاله إلى أن فضحناه وكنا نقول له في آخر

النهار يا حاج كم سرقت اليوم من النفقة فيقول كذا فنضحك منه ونزى بذلك ومن أفعاله الخسيسة أنه مات لنا فرس في بعض المنازل فيتولى سبلخ جلده بيده وباعه ومنها انا نزلنا ليلة عند أخت له في بعض القرى فجاءت بطعام وفاكهة من الاجاص والتفاح والشمش والخوخ كلها مبيسة وتجعل في الماء حتى ترطب فتؤكل ويشرب ماؤها فأردنا أن نحسن اليها فعلم بذلك فقال لا تعطوها شيئا واعطوا ذلك لى فأعطيناها ارضاء له واعطيناها احسانا في خفية بحيث لم يعلم بذلك ثم وصلنا الى مدينة بولى (وضبط اسمها بياء موجودة مضمومة وكسر اللام) ولما انتهينا الى قريب منها وجدنا واديا يظهر في رأى العين صغيرا فلما دخله بعض اصحابنا وجدوه شديد الجرية والانزعاج فجازوه جميعا وبقيت جارية صغيرة خافوا من تجويزها وكان فرسى خيرة من أفراسهم فأردفتها وأخذت في جواز الوادى فلما توسطته وقع في الفرس ووقعت الجارية فأخرجها اصحابى وبها رفق وخلصت أنا ودخلنا المدينة فتصدنا زاوية أحد الفتيان الاخية ومن عواندهم أنه لا تزال النار موقودة في زواياهم ايام الشتاء بداي جعلون في كل ركن من اركان الزاوية موقد النار يصنعون لها منافس يصعد منها الدخان ولا يؤذى الزاوية ويسمونها البخارى واحدها بخيرى قال ابن جزى وقد أحسن صفى الدين عبدالعزيز بن سرايا الحللى في قوله في التورية وتذكرته بذكر البخيرى ان البخيرى مذ فارقتهم غدا يحشو الرماد على كانه التراب

لو شئت انه يسمى أبا لهت جاءت بغالكم حمالة الخطب

(رجع) قال فلما دخلنا للزاوية وجدنا النار موقودة فنزعت ثيابى ولبست ثيابا سواها واصطليت بالنار وأتى الاخى بالطعام والفاكهة وأكثر من ذلك فله درهم من طائفة ما اكرم نفوسهم واشدا يثازهم واعظم شفقتهم على الغريب والطفهم بالوارد واحبهم فيه وأجملهم احتفالا بأمره فليس قدوم الانسان الغريب عليهم الا كقدومه على أحب أهله اليه وبتنا تلك الليلة بحال مرضية ثم رحلنا بالغداة فوصلنا الى مدينة كرى بولى (وضبط اسمها بكاف معقودة وفتح الراء والدال المهمل وسكون الياء وباء موحدة مضمومة وواو مدولام مكسورة وياء) وهى مدينة كبيرة في بسيط من الارض حسنة متسعة الشوارع والاسواق من اشد البلاد بردا وهى محلات مفترقة كل محلة تسكنها طائفة لا يتخالطهم غيرهم

(ذكر سلطانها)

وهو السلطان شاه بك من متوسطى سلاطين هذه البلاد حسن الصورة والسيرة جميل الخلق قليل العطاء صليبا بهذه المدينة صلاة الجمعة ونزلنا منها ولقيت بها الخطيب

الفقيه شمس الدين الدمشقي الحنبلي وهو من مستوطنينا منسنيين وله بها أولاد وهو فقيه هذا السلطان وخطيبه ومسموع الكلام عنده ودخل علينا هذا الفقيه بالزاوية فأعلمنا أن السلطان قد جاء لزيارتنا فشكرته على فعله واستقبلت السلطان فسلمت عليه وجلس فسألني عن حالى وعن مقدى وعن لقيته من السلاطين فأخبرته بذلك كله وأقام ساعة ثم انصرف وبعث بدابة مسرجة وكسوة وانصرفنا إلى مدينة برلو (وضبط اسمها بضم الباء الموحدة وإسكان الراء وضم اللام) وهى مدينة صغيرة على تل تحتها خندق ولها قلعة بأعلى شاطئ نزلنا منها بمدرسة وكان الحاج الذى سافر معنا يعرف مدرستها وطلبها ويحضر معهم الدرس وهو على علاته من الطلبة حنفى المذهب ودعانا أمير هذه البلدة وهو على بك ابن السلطان المسكرم سليمان بادشاه ملك قسطنطينية وسند كره فصعدنا إليه إلى القلعة فسلمنا عليه فرحب بنا واكرمنا وسألني عن إسفارى وحالى فأجيبته عن ذلك وأجاسنى إلى جانبى وحضر قاضيه وكاتبه الحاج علاء الدين محمد وهو من كبار الكتاب وحضر الطعام فأكلنا ثم قرأ القراء بأصوات مبهكية والخان بحجية وانصرفنا وسافرنا بالغد إلى مدينة قسطنطينية (وضبط اسمها بقاف مفتوح وصاد مهملة مسكن وطاء مهملة مفتوح وميم مضمومة وواو وونون مكسور وياء آخر الحروف) وهى من أعظم المدن وأحسنها كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار نزلنا منها بزاوية شيخ يعرف بالأهروش لثقل سمعه ورأيت منه عجبا وهو أن أحد الطلبة كان يكتب له فى الهواء وتارة فى الأرض بأصبعه فيفهم عنه ويحجبه ويحكى له بذلك الحكايات فيفهمها وأقننا بهذه المدينة نحو أربعين يوما فسكننا اشترى طابق اللحم الغنمى السمين بدرهمين ونشترى خبزا ندرهمين فيسكنفينا ليومنا ونحن عشرة ونشترى حلواء العسل بدرهمين فتسكنفينا اجمعين ونشترى جوزا بدرهم وقشلا بمثلها فنأكل منها أجمعون ويفضل باقىها ونشترى حمل الحطب بدرهم واحد وذلك أوان البرد الشديد ولم ارفى البلاد مدينة أرخص اسعارا منها ولقيت بها الشيخ الإمام العالم المفتى المدرس تاج الدين السلطانى وكى من كبار العلماء قرأ بالعراقين وتبرين واستوطنها مدة وقرأ بدمشق وجاور بالخرمين قديما ولقيت بها العالم المدرس صدر الدين سليمان الفنى كى من أهل فنیکة من بلاد الروم واطافنى بمدرسته التى بسوق الخيل ولقيت بها الشيخ المعمر الصالح دادا أمير على دخلت عليه بزاوية بمقرية من سوق الخيل فوجدته مابق على ظهره فاجلسه بعض خدامه ورفع بعضهم ساجديه عن عينيه ففتحتهما وكفى بالعربى الفصيح وقال قدمت خير مقدم وسألته عن عمره فقال

كنت من أصحاب الخليفة المستنصر بالله وتوفي وأنا ابن ثلاثين سنة وعمرى الآن مائة وثلاث وستون سنة فطلبت منه الدعاء فدعاني وانصرف

(ذكر سلطان قسطنطينية)

وهو السلطان المسكرم سليمان بادشاه (واسمه بيا معقود وألف ودال مسكن) وهو كبير السن ينيف على سبعين سنة حسن الوجه طويل اللحية صاحب وقار وهيئة يجالسها الفقهاء والصالحاء دخلت عليه بمجلسه فأجلسني إلى جانبه وسألني عن حالى ومقدمى وعن الحرمين الشريفين ومصر والشام فأجبته وأمر بانزلى على قرب منه وإعطانى ذلك اليوم فرساً عتيقاً قرطاسى اللون وكسوة وعينى نفقة وعلفاً وأمرنى بعد ذلك بقمى وشعيرى نفدى فى قرية من قرى المدينة على مسيرة نصف يوم منها فلم أجد من يشتريه لرخس الارسعار فأعطيته للحاج الذى كان فى صحبته ومن عادة هذا السلطان ان يجلس كل يوم بمجلسة بعد صلاة العصر ويؤتى بالطعام فتفتح الابواب ولا يمنع أحدهم من حضرى أو بدوى أو غريب أو مسافر من الأكل ويجلس فى أول النهار جلوساً خاصاً ويأتى ابنه فيقبل يديه وينصرف إلى مجلس له ويأتى أرباب الدولة فيأكلون عنده وينصرفون ومن عادته فى يوم الجمعة ان يركب إلى المسجد وهو بعيد عن داره والمسجد المذكور هو ثلاث طبقات من الخشب فيصلى السلطان وأرباب ولته والقاضى والفقهاء وجوه الأجناد فى الطبقة السفلى ويصلى الأندى وهو أخو السلطان وأصحابه وأخدامه وبعض أهل المدينة فى الطبقة الوسطى ويصلى ابن السلطان ولده وهو أصغر أولاده ويسمى الجواد وأصحابه ومما ليك وخداه وسائر الناس فى الطبقة العليا يجتمع القراء فيقعدون حلقة امام المحراب ويقعد معهم الخطيب والقاضى ويكون السلطان بأزاء المحراب ويقرؤن سورة الكهف بأصوات حسان ويكررون الايات بترتيب عجيب فاذا فرغوا من قراءتها صعد الخطيب المنبر فخطب ثم صلى فاذا فرغوا من الصلاة تنفلوا وقرأ القارىء بين يدي السلطان عشر آيات وانصرف السلطان ومن معه ثم يقرأ القارىء بين يدي أخى السلطان فاذا أتم قراءتها انصرف هو ومن معه ثم يقرأ القارىء بين يدي ابن السلطان فاذا فرغ من قراءتها قام المعروف وهو المذكور فيمدح السلطان بشعر تركى ويمدح ابنه ويدعو لها وينصرف ويأتى ابن الملك إلى دار ابنه بعد ان يقبل يد عمه فى طريقه واقف فى انتظاره ثم يدخلان إلى السلطان فيتقدم أخوه ويقبل يده ويجلس بين يديه ثم يأتى ابنه فيقبل يده وينصرف إلى مجلسه فيقعد به مع ناسه فاذا كانت صلاة العصر صلوا جميعاً وقيل أخو السلطان يده وانصرف عنه فلا يعود إليه إلا فى الجمعة الأخرى وأما الولد فانه يأتى كل يوم غدوة كما ذكرناه

ثم سافرنَا من هذه المدينة ونزلنا في زاوية عظيمة بأحدى القرى من أحسن زاوية رأيتها في تلك البلاد بناها أمير كبير تاب إلى الله تعالى يسمى نحر الدين وجعل النظر فيها لولده والاشرف لمن أقام بالزاوية من الفقراء وفوائد القرية وقف عليها وبنى بأزاء الزاوية حماما للسبيل يدخله الوارد والصادر من غير شيء يلزمه وبنى سوقا بالقرية ووقفه على المسجد الجامع وعين من أوقاف هذه الزاوية لكل فقير يرد من الحرمين الشريفين أو من الشام ومصر والعراقين وخراسان وسواها كسوة كاملة ومائة درهم يوم قدومه وثلاثمائة درهم يوم سفره والنفقة أيام مقامه وهى الخبز واللحم والارز المطبوخ بالسمن والحلواء ولكل فقير من بلاد الروم عشرة دراهم وضيافة ثلاثة أيام ثم انصرفنا وبتنا ليلة ثانية بزاوية في جبل شاخ لاعماره فيه عمرها بعض الفتيا الاخوية ويعرف بنظام الدين من اهل قصطونية ووقف عليها قرية يتفق خراجها على الوارد والصادر بهذه الزاوية وسافرنَا من هذه الزاوية إلى مدينة صنوب (وضبط اسمها بفتح الصاد وضم النون وآخره بام) وهى مدينة حافلة جمعت بين التحصين والتحسين يحيط بها البحر من جميع جهاتها إلا واحدة وهى جهة الشرق ولها هنالك باب واحد لا يدخلها أحد إلا بأذن أميرها وأميرها ابراهيم بك ابن السلطان سليمان بادشاه الذى ذكرناه ولما استؤذن لنا عليه دخنا البلد ونزلنا بزاوية عز الدين اخى جلبي وهى خارج باب البحر ومن هنالك يصعد إلى جبل داخل فى البحر كميناً سبعة فيه البساتين والمزارع والمياه وكثر فواكه الثين والعنب وهو جبل مانع لا يستطيع الصعود اليه وفيه إحدى عشرة قرية يسكنها كفار الروم تحت ذمة المسلمين وباعلاها رابطة تنسب للخضر والياس عليهما السلام لا تخلو عن متمهد وعند هاهنا عين ماء والدعاء فيها مستجاب وبسفح هذه الجبل قبر الولي الصالح الصحابي بلال الحبشى وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر والمسجد بمدينة صنوب من أحسن المساجد وفى وسطه بركة ماء عليها قبة نعلها اربع ارجل ومع كل رجل ساريتان من الرخام وفوقها مجلس يصعد له على درج خشب وذلك من عمارة السلطان بروانه ابن السلطان علاء الدين الرومى وكان يصلى الجمعة بأعلى تلك القبة وملك بعد ابنه غازى جلبي فلما مات تغلب عليها السلطان سليمان المذكور وكان غازى جلبي المذكور شجاعاً مقداماً ووجهه الله خاصية فى الصبر تحت الماء وفى قوة السباحة وكان يسافر فى الاجفان الحربية لحرب الروم

فاذا كانت الملاقاة واشتغل الناس بالقتال غاص تحت الماء ويبيده آله حد يدخرق بها الاجفان العدو فلا يشعرون بما حل بهم حتى يدهمهم الغرق وطارقت مرسى بلده مرة جفان

العدو نفرقوا وأسر من كان فيها وكانت فيه كفاية لا كفاية لها إلا أنهم يذكرون أنه كان
يكثير أكل الحشيش وبسببه مات فإنه خرج يوماً للتصيد وكان مولعاً به فأتبع غزالة
ودخلت له بين أشجار وزاد في ركض فرسه فعارضته شجرة فضربت رأسه فشدخته
فمات وتغلب السلطان سليمان على البلد وجعل به ابنه إبراهيم ويقال أنه أيضاً كل ما كان
يأكله صاحبه على أن أهل بلاد الروم كلها لا يتكرونها وأكلها ولقد مررت يوماً على باب
الجامع بصنوب وبخارجه دكاكين يقعد الناس عليها فرأيت نفر من كبار الأجناد وبين
أيديهم خديم لهم بيده شكاراً ملوثة بشئ يشبه الخناء واحد منهم يأخذ منها بمعلقة ويأكل وأنا
أنظر إليه ولا أعلم بما في الشكاره فسألت من كان معي فأخبرني أنه الحشيش واصلنا بهذه
المدينة قاضيها ونائب الأمير بها ومعلمه ويعرف بابن عبد الرزاق .

(حكاية)

لما دخلنا هذه المدينة رأنا أهلها ونحن نصلي مسجلي أيدينا وهم حنفية لا يعرفون مذهب
مالك ولا كيفية صلاته والختار من مذهبه هو أسبال اليمين وكان بعضهم يرى الروافض
بالحجاز والعراق يصلون مسجلي أيديهم فاتهمونا بمذهبهم وسألونا عن ذلك فأخبرناهم أننا
على مذهب مالك فلم يقدحوا بذلك منا واستقرت النعمة في نفوسهم حتى بعث السينا نائب
السلطان بآرناب وأوصى بعض خدامه أن يلزم منا حتى يرى ما نفعل به فذهبنا وطبخناه
واكلناه وانصرف الخديم إليه وأعلمه بذلك فحينئذ زالت عنا النعمة وبشوا لنا بالضيافة
والروافض لا يأتون إلا بآرناب وبعد أربعة أيام من وصولنا إلى صنوب توفيت أم الأمير
إبراهيم بها فخرجت في جنازة وأخرج أنها على قدميه كاشفاً شعره وكذلك الأمراء والماليك
وثيابهم مقلوبة وأما القاضي والخطيب والفقهاء فأنهم قلبوا ثيابهم ولم يكشفوا رؤسهم بل جعلوا
عابها مناديل من الصوف الأسود عوضاً عن العباء وأقاموا يطعمون الطعام أربعين يوماً وهي
مدة العزاء عندهم وكانت إقامتنا بهذه المدينة نحو أربعين يوماً ننتظر تيسير السفر في البحر
إلى مدينة القرم فآثرنا أن نأمر كبار الروم وقتنا أحد يوماً ننتظر مساعدة الريح ثم ركبنا
البحر فلما توسطناه بعد ثلاث هال علينا واشتد بنا الأمر ورأينا الهلاك عياناً وكنت بالاطارمة
ومعنى رجل من أهل المغرب يسمى أبا بكر فامرته أن يصعد إلى أعلى المركب لينظر كيف
البحر ففعل ذلك وأتاني بالاطارمة فقال لي استودعكم الله وذهبن من الهول ما لم يعبد مثله
ثم تغيرت الريح وردتنا إلى مقربة من مدينة صنوب التي خرجنا منها وأراد بعض التجار
النزول إلى مرساها فمضت صاحب المركب من أنزاله ثم استقامت الريح وسافرنا فلما توسطنا
البحر هال علينا وجرى لنا مثل المرة الأولى ثم ساعدت الريح وورأينا جبال البروقصد بامرسى

يسمى الكرش فأردنا دخوله فأشار إلينا أناس كانوا بالجبل أن لا ندخلوا نخفنا على أنفسنا وظننا أن هنالك أجفانا للعدو فرجعنا مع البر فلما قربناه قلت لصاحب المركب أريد أن انزل هاهنا فأزلىني بالساحل ورأيت كنيسة فقصدتها فوجدت بها راهبا ورأيت في أحد حيطان الكنيسة صورة رجل عربي عليه عمامة متقلد سيفاً وبيده رخ وبين يديه سراج يوحد فقلت للراهب ماهذه الصورة فقال هذه صورة النبي على فأعجبت من قوله وبتنا تلك الليلة بالكنيسة وطبخنا دجاجاً فلم نستطع أكلها إذ كانت بما استصحبناه في المركب ورائحة البحر قد غلبت على كل ما كان فيه

وهذا الموضع الذي نزلنا به هو من الصحراء المعروفة بدشت قفجق (والدشت بالشين المعجم والتاء المثناة) بلسان الترك هو الصحراء وهذه الصحراء خضرة نضرة لاشجر بها ولا جبل ولا نل ولا بنية ولا حطب وإنما يوقدون الآراث ويسعونها الترك (بالزاي المفتوح) فترى كبارهم يلقطونها ويجعلونها في أطراف ثيابهم ولا يسافر في هذه الصحراء إلا في العجل وهي مسيرة ستة أشهر ثلاثة منها في بلاد السلطان محمد أوزبك وثلاثة في بلاد غيره .

ولما كان الغد من وصولنا إلى هذه المرسى توجه بعض التجار من أصحابنا إلى من بهذه الصحراء من الطائفة المعروفة بقفجق وهم على دين النصرانية فاكترى منهم عجلة يجرها الفرس فركبناها ووصلنا إلى مدينة السكفا (واسمها بكاف وفاء مفتوحين) وهي مدينة عظيمة مستطيلة على ضفة البحر يسكنها النصارى وأكثرهم الجنويون ولهم أمير يعرف بالندير ونزلنا منها بمسجد المسلمين .

(حكاية)

ولما نزلنا بهذه الجامع أقنأ به ساعة ثم سمعنا أصوات النواقيس من كل ناحية ولم أكن سمعنا قط فيما نرى ذلك وأمرت أصحابي أن يصعدوا الصومعة ويقرأوا القرآن ويذكروا الله ويؤذنوا ففعلوا ذلك فاذا برجل قد دخل علينا وعليه الدرع والسلاح فسلم علينا واستفهمناه عن شأنه فأخبرنا أنه قاضى المسلمين هنالك وقال لما سمعت القراءة والأذان خفت عليكم فجئت كما ترون ثم انصرف عنا ومارأينا إلا خيراً ولما كان الغد جاء إلينا الأمير وصنع طاهاماً فأكلنا عنده وطفنا بالمدينة فرأيناها حسنة الأسواق وكلهم كفار ونزلنا إلى مرسا فرأينا مرسى عجيباً به نحو مائتي مركب ما بين حربي وسفري صغيرا وكبيراً وهو من مراسى الدنيا الشهيرة ثم اكترينا عجلة وسافرنا إلى مدينة القرم وهي (بكسر القاف وفتح الراء) مدينة كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظم محمد أوزبك خان وعليها أمير من قبله اسمه تلسكتمدر وضبط اسمه (بتاء مثناة مضعومة ولام مضعومة وكاف مسكن وناؤه كالأولى مضعومة وميم مضعومة وواو وراء) وكان أحد خدام هذا الأمير قد صحبنا في

طريقنا فعرفه بقدمنا فبعث إلى مع إمامه سعد الدين بفرس ونزلنا بزاوية شيخنا زاده الخراساني فأكرمنا هذا الشيخ ورحب بنا وأحسن إلينا وهو معظم عندهم ورأيت الناس يأتون للسلام عليه من قاض وخطيب وفقه وسواهم وأخبراني هذا الشيخ زاده وأن بخارج هذه المدينة راهبا من النصاري في دير يتعبد به ويكثر الصوم وأنه انتهى إلى أن يواصل أربعين يوما ثم يفطر على حبة فول وأنه يكشف بالأمور ورغب مني أن أصحبه في التوجه إليه فأبديت ثم ندمت بعد ذلك على أن لم أكن رأيته وعرفت حقيقة أمره ولقيت بهذه المدينة قاضيا الأعظم شمس الدين السائل القاضي الحنفية ولقيت بها قاضي الشافعية وهو يسمى بخضر والفقيه المدرس علاء الدين الاصبى وخطيب الشافعية بابا بكر وهو الذي يخطب بالمسجد الجامع الذي عمره الملك الناصر رحمه الله بهذه المدينة والشيخ الحكيم الصالح مظفر الدين وكان من الروم فاسلم وحسن اسلامه والشيخ الصالح العابد مظهر الدين وهو من الفقهاء المعظمين وكان الأمير تلسكتمور مريضاً فدخلنا عليه فأكرمنا وأحسن إلينا وكان على التوجه إلى مدينة السرا حضرة السلطان محمد اوزبك فعملت في السير في صحبته واشتريت العجلات برسم ذلك .

(ذكر العجلات التي يسافر عليها بهذه البلاد)

وهم يسمون العجلة عربية (بعين مهملة وراء موحدة مفتوحات) وهي عجلات تكون للواحدة منهن أربع بكرات كبار ومنها ما يجره فرسان ومنها ما يجره أكثر من ذلك وتجرها أيضاً البقر والجمال على حال العرب في ثقلها أو خفتها والذي يخدم العرب يركب إحدى الأفراس التي تجرها ويكون عليه سرج وفي يده سوط يحركها المشي وعود كبير يصوبها به إذا عاجت عن القصد ويجعل على العرب شبة قبة من قضبان خشب مربوط بعضها إلى بعض بسور جلد رقيق وهي خفيفة الحمل وتكسى باللبد أو بالملف ويكون فيها طيقان مشبكة ويرى الذي بداخلها الناس ولا يرونه ويتقلب فيها كما يحب وينام ويأكل ويقرأ ويكتب وهو في حال سيره والتي تحمل الأثقال والأزواد وخزائن الأطعمة من هذه العربات يكون عليها شبة البيت كما ذكرنا وعليها قفل وجهاز لما اردت السفر عرباً لركوب مغشاة باللبد ومعها جارية لي وعربة صغيرة لرفيق غفيف الدين التوزري وعجلة كبيرة لسائر الأصحاب يجرها ثلاثة من الجبال يركب أحدها خادم العرب وسرنا في صحبة الأمير تلسكتمور وأخيه عيسى ولديه قطلودومور وصار بك وسائر أيضاً معه في هذه الوجهة امامه سعد الدين والخطيب ابو بكر والقاضي شمس الدين

والفقيه شرف الدين موسى والمعرف علاء الدين وخطة هذا المعرف أن يكون بين يدي
الأمير في مجلسه فإذا أتى القاضي يقف له هذا المعرف ويقول بصوت عال بسم الله سيدنا
ومولانا قاضي القضاة والحكام مبين الفتاوى والأحكام بسم الله وإذا أتى فقيه معظماً أو
رجل مشار إليه قال بسم الله سيدنا ومولانا فلان الدين بسم الله فيتهياً من كان حاضر الدخول
الداخل ويقوم إليه ويفسح له في المجلس وعادة الأتراك أن يسبوا في هذه الصحراء
سيراً كسير الحجاج في درب الحجاز يرحلون بعد صلاة الصبح وينزلون ضحى ويرحلون
بعد الظهر وينزلون عشياً وإذا حلوا الخيل والابل والبقر عن العربات وسرحوها
للرعى ليلاً ونهاراً ولا يعلف أحد دابة السلطان ولا غيره وخاصية هذه الصحراء أن
نباتها يقوم مقام الشعير للدواب وليس غيرها من البلاد هذه الخاصية ولذلك كثرت
الدواب بها ودوابهم لا عارة لها ولا حراس وذلك لشدة أحكامهم في السرقة وحكمهم فيها
أنه من وجد عنده فرس مسروق كاف أن يرده إلى صاحبه ويعطيه معه تسعة مثله فإن
لم يقدر على ذلك أخذ أولاده في ذلك فإن لم يكن له أولاد ذبح كما تذبح الشاة .

وهؤلاء الأتراك لا يأكلون الخبز ولا الطعام الغليظ وإنما يصنعون طعاماً من شيء
شبه الآتلي يسمونه الدوق (بدال مهمل مضوم وواو وقاف مكسور معقود) يجمعون
على النار الماء فإذا غلى صبوا عليه شيئاً من الدوق وإن كان عندهم لحم قطعوه قطعاً
صغاراً وطبخوه ثم يجعل لكل رجل نصيبه في صحيفة ويصبون عليه اللبن الرائب
ويشربونه ويشربون عليه لبن الخل وهم يسمونه القميز (بكسر القاف والميم والزاي
المشددة) وهم أهل قوة وشدة وحسن مزاج ويستعملون في بعض الأوقات طعاماً
يسمونه البورخاني وهو عجينة يقطعونه قطيعات صغاراً ويشقون أو ساطعاً ويجعلونها
في قدرة فإذا طبخت صبوا عليها اللبن الرائب وشربوها ولهم نبيذ يصنعونه من حب
الدوق الذي تقدم ذكره وهم يرون أكل الحلواء عيباً .

ولقد حضرت يوماً عند السلطان أوزبك في رمضان فأحضرت لحوم الخيل وهي
أكثر ما يأكلون من اللحم ولحوم الأغنام والرشا وهو شبه الأخرية يطبخ ويشرب
باللبن وأنبيته تلك الليلة بطبق حلواء صنعها بعض أصحابي فقدمتها بين يدي فجعل أصابعها
وجعل على فيه ولم يزد على ذلك وأخبرني الأمير تلسكتور أن أحد السكبار من ماليك هذا
السلطان وله من أولاده وأولاده نحو أربعين ولداً قال له السلطان يوماً كدل الحلواء
واعتقكم جميعاً فأبى وقال لو قتلتني ما أكتأفها ولما خرجنا من مدينه القرم نزلنا بزوية
الأمير تلسكتور في موضع يعرف بسجاف فبعث إلى أن أحضر عنده فركبته إليه وكان

لى فرس معد لركوبى يقوده خديم العربى فاذا أردت ركوبه ركبته وأتيت الزاوية فوجدت
الأمير قد وضع بها طعاما كثيرا فيه الخبز ثم أتوا بماء أبيض فى صحاف صغار فشرب القوم
منه وكان الشيخ مظفر الدين يلى الأمير فى مجلسه وأنا لى لى فقلت له ما هذا فقال هذا ماء الدهن
فلم أفهم ما قال فذقته فوجدت له حموضة فتركته فلما خرجت سألت عنه فقال هو نبيذ
يصنعونه من حب الدوقى وهم حنفية المذهب والنبيذ عندهم حلال ويسمون هذا النبيذ
المصنوع من الدوقى البوزه (بسم الباء الموحدة وواو مدوزاى مفتوح) وإنما قال
لى الشيخ مظفر الدين ماء الدخن ولسانه فيه اللسكنة الأعجمية فظننت أنه يقول
ماء الدهن .

وبعد مسيرة ثمانية عشر منزلا من مدينة القوم وصلنا الى ماء كثير نخوضه وما كاملا
وإذا كثرت خوض الدواب والعربات فى هذا الماء اشتد وحله وزاد صعوبة فذهب
الأمير الى راحتي وقدمنى أمامه مع بعض خدامه وكتب لى كتابا الى أمير أزاق يعلمه
أنى أريد القدوم على الملك ويحضه على إكرامى وسرنا حتى انتهينا الى ماء آخر نخوضه
نصف يوم .

ثم سرنا بعده ثلاثا ووصلنا الى مدينة أزاق (وضبط اسمها بفتح الهمزة والزاي
وآخره قاف) وهى على ساحل البحر حسنة العارة يقصدها الجنويون وغيرهم بالتجارات
وبها من الفتيان أثنى بحقيقى وهو من العظام يطعم الوارد والصادر ولما وصل كتاب
القاضى تاسكتمور الى أمير أزاق وهو محمد خواجه الخوارزمى خرج الى استقبالى معه
القاضى والطلبة وأخرج الطعام فلما سلمنا عليه نزلنا بموضع أكلنا فيه ووصلنا الى المدينة
ونزلنا بخارجها بمقربة من رابطة هنالك تنسب للخضر والياس عليهما السلام وخرج
شيخ من أهل أزاق يسمى برجى النهر ملىكى نسبة الى قرية بالعراق قاضا بزايته له
ضيافة حسنة وبعد يومين من قدومنا قدم الأمير تاسكتمور وخرج الأمير محمد للقائه
ومعه الأمير والطلبة وأعدوا له الضيافة وضرىوا ثلاث قباب متصلا بعضها ببعض أحداها
من الحرير الملون عجيبة والثنتان من السكتان وأداروا عليها سراحه وهى المسماة عندنا أفراج
وخارجها الدهليز وهو على هيئة البرج عندنا ولما نزل الأمير بسطت بين يديه شقائق الحرير
يمشى عليها فساكن من مكارمه وفضله ان قدنى أمامه ايرى ذلك الأمير منزلى عنده ثم
وصلنا الى الخباء الأولى وهى المعدة لجلوسه وفى صدرها كرسي من الخشب لجلوسه
كبير مرصع وعليه مرتبة حسنة فقدمنى الأمير أمامه وقدم الشيخ مظفر الدين وصعد هو
فجلس فيما بيننا ونحن جميعا على المرتبة وجلس قاضيه وخطيبه وقاضى هذه المدينة وطلبتها
عن يسار الكرسي على فرش فاخرة ووقف ولدا الأمير تاسكتمور وأخوه والأمير محمد

وأولاده في الخدمة ثم أتوا بالأطعمة من لحوم الخيل وسواها وأنوا بألبان الخيل ثم أتوا بالبوزة وبعد الفراغ من الطعام قرأ القراء بالأصوات الحسان ثم نصب منبر وصعد الواعظ وجلس القراء بين يديه وخطب خطبة بليغة ودعا للسلطان وللأمير وللحاضرين يقول ذلك بالعربي ثم يفسره لهم بالتركي وفي أثناء ذلك يكرر القراء آيات من القرآن وتر جميع عجيب ثم أخذوا في الغناء يغنون بالعربي ويسمونه القول ثم بالفارسي والتركي يسمونه الملبع ثم أتوا بطعام آخر ولم ينالوا على ذلك إلى العشي وكلما أردت الخروج من معنى الأمير ثم جاؤا بكسوة للامير وكساوى ولولديه وأخيه وللشيخ مظفر الدين ولي وأتوا بعشرة أفراس للامير ولأخيه ولولديه بستة أفراس ولكل كبير من اصحابه بفرس ولي بفرس والخيل بهذه البلاد كثيرة جدا وثمنها نزرقيمة الجيد منها خمسون درهما او ستون من دراهمهم وذلك صرف دينار من دنانيرنا أو نحوه وهذه الخيل هي التي تعرف بمصر بالاكاديش ومنها معاشهم وهي ببلادهم كالغنم ببلادنا بل أكثر فيكون للتركي منهم آلاف منها .

ومن عادة الترك المستوطنين تلك البلاد أصحاب الخيل انهم يضعون في العرابات التي تركب فيها نساؤهم قطعة لبد في طول الشبر مربوطة إلى عود رقيق في طول الذراع في ركن العربة ويجعل لكل ألف فرس قطعة ورأيت منهم من يكون له عشر قطع ومن له دون ذلك وتحمل هذه الخيل إلى بلاد الهند فيكون في الرفقة منها ستة آلاف وما فوقها وما دونها لكل تاجر المائة والمائتان فما دون ذلك وما فوقه ويستأجر الناجر لكل خمسين منها راعيا يقوم عليها ويرعاها كالغنم ويسمى عندهم القشي ويركب أحدها وييده عصا طويلة فيها حبل فإذا أراد ان يقتض على فرس منها حاذاه بالفرس الذي هو راكبه ورمى الحبل في عنقه وجذبه فيركبه ويترك الآخر للرعى وإذا وصلوا بها إلى أرض السند اطعموها العلف لأن نبات أرض السند لا يقوم مقام الشعير ويموت لهم منها الكثير ويسرق ويغرمون عليها بأرض السند سبعة دنانير فضة على الفرس بموضع يقال له ششنتار ويغرمون عليها بمائتان قاعدة بلاد السند وكانوا فيما تقدم يغرمون ربيع ما يجلبونه فرفع ملك الهند إلى السلطان محمد ذلك وامر ان يؤخذ من تجار المسلمين الزكاة ومن تجار الكفار العشر ومع ذلك يسبق للتجار فيها فضل كبير لأنهم يبيعون الرخيص منها ببلاد الهند بمائة دينار دراهم وصرها من الذهب المغربي خمسة وعشرون ديناراً وربما باعوها بضعف ذلك وضعفه وضعفه والجياذ منها تساوى خمسمائة دينار وأكثر من ذلك واهل الهند لا يبتاعونها للجري والسبق لأنهم يلبسون في الحرب الدروع ويدرعون الخيل وإنما يبتغون قوة الخيل واتساع خطاها والخيل التي يبتغونها للسبق تجلب إليهم من

اليمن عمان وفارس وبيع الفرس منها بألف دينار إلى أربعة آلاف ولما سافر
الأمير تلتكتمور عن هذه المدينة أقمت بعد ثلاثة أيام حتى جهز لي الأمير محمد خواجه
آلات سفرى .

وسافرت إلى مدينة الماجر وهي (بفتح الميم والفاء وجيم مفتوح معقود وراء) مدينة
كبرى من احسن مدن الترك على نهر كبير وبها البساتين والفواكه الكثيرة نزلنا منها
بزواية الشيخ الصالح العابد المعمر محمد البطائحي من بطانج العراق وكان خليفته الشيخ
احمد الرفاعى رضى الله عنه وفى زاويته نحو سبعين من فقراء العرب والفرس والترك
والروم منهم المتزوج والعزب وعيشهم من الفتوح ولأهل تلك البلاد إعتراف وحسن فى الفقراء
وفى كل ليلة يأتون إلى الزاوية بالخبيل والبقر والغنم ويأتى السلطان والخواتين لزيارة الشيخ
والتبرك به ويجزلون الاحسان ويعطون العطاء الكثير وخصوصا النساء فانهن يكثرن
الصدقة ويتحرن افعال الخير وصلينا بمدينة الماجر صلاة الجمعة فلما قضيت الصلاة صعد
الواعظ عز الدين المنبر وهو من فقهائى بخارى وفضلائها وله جماعة من الطلبة والقراء
يقرؤن بين يديه ووعظ وذكر وأمير المدينة حاضر وكبرائها فقام الشيخ محمد البطائحي
فقال ان الفقيه الواعظ يريد السفر ونريد له زوادة ثم خلع فرجية مرعز كانت عليه
وقال هذه منى لىه فكان الحاضرون بين من خلع ثوبه ومن اعطى فرسا ومن اعطى
دراهم واجتمع له كثير من ذلك كله ورأيت بقيسارية هذه المدينة يهوديا سلم على وكابنى
بالعربى فسألت عن بلاده فذكر أنه من بلاد الأندلس وأنه قدم منها فى البر ولم يسلك بحرا
وأق على طريق القسطنطينية العظمى وبلاد الروم وبلاد الجرجس وذكر ان عهده بالأندلس
منذ أربعة أشهر واخبرنى التجار المسافرين الذين لهم المعرفة بذلك بصحة مقاله ورأيت
بهذه البلاد عجباً من تعظيم النساء عندهم ومن اعلى شأننا من الرجال فأما نساء الأمراء
فكانت اول رؤيتى لهن عند خروجه من القرم رؤية الخاتون زوجة الأمير سلطانية فى
عربة لها وكلها مجللة بالملف الأزرق الطيب وطبقان البيت مفتوحة وأبوابه وبين يديها
أربع جوار فانتات الحسن بديعات اللباس وخلفها جملة من العربات فيها جوار يتبعها
ولما قربت من منزل الأمير نزلت عن العربة إلى الأرض ونزل معها نحو ثلاثين من الجوارى
يرفعن أذيالها ولا ثوابها عرى تأخذ كل جمالية بعروة ويرفعن الأذيال عن الأرض من كل
جانب ومشيت كذلك مبهترة فلما وصلت إلى الأمير قام لىها وسلم عليها واجلسها إلى
جانبه وداربها جواربها وجاؤا بروايا القمر فصبت منه فى قدح وجلست على ركبتها فقام
الأمير وناولته القدح فشرب ثم سقت أخاه وسقاها الأمير وحضر الطعام فأكلت معه

واعطاه كسوة وانصرفت وعلى هذا الترتيب نساء الأمراء وسنذكر نساء الملك فيما بعد
وأما نساء الباعة والسوقة فرأيتن واحداهن تكون في العربية والخيل تجرها وبين يديها
الثلاث والأربع من الجوارى يرفعن أذيالها وعلى رأسها البغطاق وهو أقروف مرصع
بالجوهر وفي أعلاه ريش الطواويس وتكون طيقتان البيت مفتحة وهي بادية الوجه لأن
نساء الأتراك لا يمتحنين وتأتي أحداهن على هذا الترتيب ومعها عبيدها بالغنم واللبن فتدبعه
من الناس بالسلع العطرية وربما كان مع المرأة منهن زوجها فيظنه من يراها بعض خدامها
ولا يكون عليه من الثياب إلا فروة من جلد الغنم وفي رأسه قلنسوة تناسب ذلك يسمونها
السكلا ويجوز أن من مدينة الماجر نقصد معسكر السلطان وكان على أربعة أيام من الماجر
بموضع يقال له بش دغ ومعنى بش عندهم خمسة وهو (بكسر الباء وشين معجم) ومعنى
دغ الجبل وهو (بفتح الدال المهمل وغين معجم) وبهذه الجبال الخمسة عين ماء حار
يفتسل منها الأتراك ويزعمون أنه من اغتسل منها لم تصبه عاهة مرض وارتحلنا إلى موضع
الحلة فوصلناه أول يوم من رمضان فوجدنا الحلة قد حلت فعدنا إلى الموضع الذي
رحلنا منه لأن الحلة تنزل بالقرب منه فضربت يدي على تلك هنالك وركزت العلم أمام
البيت وجعلت الخيل والعربات وراء ذلك واقبلت الحلة وهم يسمونها الارد بضم الهمزة
فرأينا مدينة عظيمة تسير بأهلها فيها المساجد والأسواق ودخان المطبخ صاعد في الهواء
وهم يطبخون في حال رحيلهم والعربات تجرها الخيل بهم فاذا بلغوا المنزل انزلوا البيوت
عن العربات وجعلوها على الأرض وهي خفيفة الحمل وكذلك يصنعون بالمساجد
والخوانيت واجتاز بنا خواتين السلطان كل واحدة بناسها على حدة ولما اجتازت الرابعة
منهن وهي بنت الأمير عيسى بك وسنذكرها رأيت البيت بأعلى التل والعلم أمامه وهو
علامة الوارد فبعثت الفتيان والجوارى فسلموا على وبلغوا سلامها إلى وهي واقفة
تنظرهم فبعثت إليها هدية مع بعض أصحابي ومع معرف الأمير تأسكتهمور فقبلتها تبركا
وأمرت أن أنزل في جوارها وانصرفت وأقبل السلطان فنزل في محلته على حدة

(ذكر السلطان المعظم محمد أوزبك خان)

واسمه محمد أوزبك (يضم الهمز وواو زاي مسكن وباء موحدة مفتوحة) ومعنى خان
عندهم السلطان وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع المكان قاهر
لأعداء الله أهل قسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم وبلادهم متسعة ومدنه عظيمة منها
النكفاد والقرم والماجر وازاق وسرداق (سوداق) وخوارزم وحضرته سراوهو

أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها وهم مولانا أمير المؤمنين ظل الله في أرضه أمام الطائفة المنتصرة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة أيد الله أمره وأعز نصره وسلطان مصر والشام وسلطان العراق السلطان أوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وماوراءالنهر وسلطان الهند وسلطان الصين ويكون هذا السلطان إذا سافر في محلة على حدة معه مائة من أرباب دولته وتكون كل خاتون من خواتمته على حدة في محلتها وإذا أراد أن يكون عنده منهن بعث إليها يعلمها بذلك فتتهيأ له وله في محل قعوده وسفره وأموره ترتيب عجيب بديع ومن عادته أن يجلس يوم الجمعة بعد الصلاة في قبة تسمى قبة الذهب من يمينه بديعة وهي من قضبان خشب مكسوة بصفايح الذهب وسطها سرير من خشب مكسوة بصفايح الفضة المذهبة وقوائمها فضة خالصة ورؤسها مرصعة بالجواهر ويقعد السلطان على السرير وعلى يمينه الخاتون طيطغلي وتليها الخاتون كبك وعلى يساره الخاتون وتليها الخاتون اردجى ويقف أسفل السرير على اليمين ولد السلطان تين بك وعن الشمال ولده الثاني جان بك وتجلس بين يديه ابنته إيت كيجيك وإذا أتت إحداهن قام لها السلطان وأخذ بيدها حتى تصعد على السرير وأما طيطغلي وهي الماسكة واحظاها عنده فإنه يستقبلها إلى باب القبة فيسلم عليها يأخذ بيدها فإذا صعدت على السرير وجلست حينئذ يجلس السلطان وهذا كله على أعين الناس دون احتجاب

ويأتى بعد ذلك كبار الأمراء فتنصب لهم كراسيهم عن اليمين والشمال وكل إنسان منهم إذا أتى يجلس السلطان يأتى معه غلام بكر سبيه ويقف بين يدي السلطان أبناء الملوك من بنى عمه وأخوته وأقاربه ويقف مقابلتهم عند باب القبة أولاد الأمراء الكبار ويقف خلفهم وجوه العساكر عن يمين وعن شمال ثم يدخل الناس للسلام بالأمثال فالأمثال ثلاثة ثلاث فيسلمون وينصرفون فيجلسون على بعد فإذا كان بعد صلاة العصر انصرفت المائة من الخواتم ثم ينصرف سائرهن فيمتنعن إلى محلتها فإذا دخلت إليها انصرفت كل واحدة إلى محلها راحة عريتها ومع كل واحدة نحو خمسين جاريجة راكبات على الخيل وإمام العريات نحو عشرين من قواعد النساء راكبات على الخيل فيما بين الفتيان والعرية وخلف الجميع نحو مائة من ملوك من الصديان وإمام الفتيان نحو مائة من المعاليك الكبار وركباناً ومثلهم شاة بأيديهم القضاة والسيوف مشدودة على أرسالهم وهم بين الفرسان والفتيان وهكذا ترتيب كل خاتون منهن في انصرافها وبجيتها وكان نزول من الجنة في جوار ولد السلطان جان بك الذي يقع ذكره فيما بعد وفي الغد من يوم وصولي دخلت إلى السلطان بعد صلاة العصر وقد جمع المشايخ والقضاة

والفقهاء والشرفاء والفقراء وقد صنع طعاماً كثيراً وأفطرننا بمحضره وتسكلم السيد الشريف نقيب الشرفاء ابن عبد الحميد والقاضى حمزة فى شأنى بالخير وأشاروا على السلطان يا كراى رهؤلاء الأتراك لا يعرفون انزال الوارد ولا إجراء النفقة وإنما يبعثون له الغنم والخيل للذبح وروايا القمى وتلك كرامتهم وبعد هذا بأيام صليت صلاة العصر مع السلطان فلما أردت الانصراف أمرنى بالقعود وجاؤا باطعام من المشروبات كما يصنع من الدوقى ثم باللحوم المسلوقة من الغنم والخيل وفى تلك الليلة أتيت السلطان بطبق حلواء فجعل أصبعه عليه وجعله على فية ولم يزد على ذلك .

(ذكر الخواتين وترتيبهن)

وكل خاتون منهم تركب فى عربلة للبيت وللبيت الذى تكون فيه قبة من الفضة الموهبة بالذهب أو من الخشب المرصع وتكون الخيل التى تجر عربتها مجللة بأثواب الحرير المذهب وخديم العربلة الذى يركب أحد الخيل فتى يدعى القشى والخاتون قاعدة فى عربتها وعن يمينها امرأة من القواعد تسمى أولو خاتون (بضم الهمزة واللام) ومعنى ذلك الوزيرة وعن شمالها امرأة من القواعد أيضاً تسمى كجك خاتون (بضم الكاف والجيم) ومعنى ذلك الحاجبة وبين يديها ست من الجوارى الصغار يقال لهن البنات فائقات الجمال متناهيات السكال ومن ورائها ثمان منهن تستند لهن وعلى رأس الخاتون البغطاق وهو مثل التاج الصغير مكلل بالجواهر وأعلىها ريش للطواويس وعليها ثياب حرير مرصعة بالجواهر شبه المنوت (الملوطة) التى يلبسها الروم وعلى رأس الوزيرة والحاجبة مقنعة حرير مزركشة الخواشى بالذهب والجوهر وعلى رأس كل واحدة من البنات السكلاوهر شبه الأقروف وفى أعلاها دائرة ذهب مرصعة بالجواهر وريش الطواويس من فوقها وعلى كل واحدة ثوب من الحرير مذهب يسمى النخ ويكون بين يدي الخاتون عشرة أو خمسة عشر من الغنم الروميين والهنديين وقد لبسوا ثياب الحرير المذهب المرصعة بالجواهر ويبد كل واحد منهم عمود ذهب أو فضة أو يكون من عود ملبس بهما وخلف عربلة الخاتون نحو مائة عربلة فى كل عربلة الثلاث والأربع من الجوارى السكبار والصغار وثيابهن الحرير وعلى رؤسهن السكلاو وخلف هذه العربات نحو ثلاثمائة عربلة تجرها الجمال والبقر وتحمل خزان الخاتون وأموالها وثيابها وأثاثها وطعامها ومع كل عربلة غلام موكل بها متزوج بحاجرية من الجوارى التى ذكرناها فإن العادة عندهن أن لا يدخل بين الجوارى من الغلمان إلا من كان له بنتان زوجة وكل خاتون فهى على هذا الترتيب ولئلا نذكرهن على الانفراد

﴿ ذكر الخاتون الكبرى ﴾

والخاتون الكبرى هي المملكة أولدى السلطان جان بك وتين بك وسنذكرهما وليست أم ابنته إبت كججك وأما كانت المملكة قبل هذه واسم هذه الخاتون طيطغلى (بفتح الطاء المهملة الأولى واسكان الياء آخر الحروف وضم الطاء الثانية واسكان الغين المعجمة وكسر اللام وياء مد) وهي أحظى نساء هذا السلطان عنده وعند هاييت أكثر لياليه ويعظمها الناس بسبب تعظيمه لها وإلا فهي أبخل الخواتين وحدثني من اعتمدته من العسافرين باخبار هذه المملكة أن السلطان يحبها للخاصية التي فيها وهي انه يجدها كل ليلة كأنها يسكر وذكر لي غيره انها من سلالة المرأة التي يذكران الملك زال عن سليمان عليه السلام بسببها ولما عاد اليه ملكه امر ان توضع بصحراء لاعمارة فيها فوضعت بصحراء قفجق وان رحم هذه الخاتون شبه الحلقة خلقة وكذلك كل من هو من نسل المرأة المذكورة ولم أر بصحراء قفجق ولا غيرها من اخباره رأى امرأة على هذه الصورة ولا سمع بها إلا هذه الخاتون اللهم إلا ان بعض أهل الصين اخبرني أن بالصين صنفًا من نساها على هذه الصورة ولا يقح بيدي ذلك ولا عرفت له حقيقة وفي غدا اجتماعي بالسلطان دخلت إلى هذه الخاتون وهي قاعدة فيما بين عشر من النساء القواعد كانهن خديمات لها وبين يديها نحو خمسون جارية صغارًا يسمون البنات وبين ايديهن طيا فير الذهب والفضة مملوءة بحب الملوك وهن ينقينه وبين يدي الخاتون صينية ذهب مملوءة منه وهي تنقيه فسلنا عليها وكان في جملة أصحابي قارىء يقرأ القرآن على طبقة المصريين بطريقة حسنة وصوت هليب فقرأ ثم أمرت أن يؤتى بالقمر فأنى به في أقداح خشب لطاف خفاف فأخذت القدح بيدها وناولتني إياه وتلك نهاية الكرامة عندهم ولم اكن شربت القمر قبلها واسكن لم يسكني إلا قبوله وذقته ولا خير فيه ودفعته لأحد أصحابي وسألتني عن كثير من حال سفرنا فاجبتناها ثم انصرفنا عنها وكان ابتداؤنا بها لأجل عظمتها عند الملك

﴿ ذكر الخاتون التي تلى المملكة ﴾

واسمها كيك خاتون (بفتح الكاف الأولى وكسر الباء الموحدة) ومعناها بالتركية النخالة وهي بذت الأمير نغلى (واسمه بنون وغين معجمة وطاء مهملة مفتوحات وياء مسكنة) وابوها حى مبتلى بعلة النقرس وقد رأيت في غدا دخولنا على المملكة دخلنا على هذه الخاتون فوجدناها على مرتبة تقرأ في المصحف الكريم وبين يديها نحو عشر من النساء القواعد ونحو عشرين من البنات يطرزن ثيابا فسلنا عليها وأحسنمت في السلام والكلام وقرأنا

فاستحسنته وأمرت بالقمر فاحضرونا ولتفى القدح بيدها كمثل ما فعلته المسكوة وانصرفتا عنها

(ذكر الخاتون الثالثة)

واسمها بيلون (بيا موحدة وآخر الحروف كلاهما من متوح ولام مضموم وواو مدونون)
وهي بنت ملك القسطنطينية العظمى السلطان تسكنفور ودخلنا على هذه الخاتون وهي
قاعدة على سرير مرصع قوائمه فضة وبين يديها نحو مائة جارية روميات وتركيات ونوبيات
منهن قائمات وقاعدات والفتيان على رأسها والحجاب بين يديها من رجال الروم فسألت
عن حالنا ومقدمنا وبعد أوطاننا وبكت ومسحت وجهها بمنديل كان بين يديها رقة منها
وشفقة وأمرت بالطعام فاحضروا كلنا بين يديها وهي تنظر إلينا ولمسا أردنا الانصراف
قالت لا تنقطعوا عنا وترددوا إلينا وطالبونا بحوائجكم وأظهرت مكارم الأخلاق وبعثت
في أثرنا بطعام وخبز كثير وسمن وغنم ودراهم وكسوة جيدة وثلاثة من جياذ الخيل وعشرة
من سائرها ومع هذه الخاتون كان سفرى إلى القسطنطينية العظمى كما نذكره بعد

(ذكر الخاتون الرابعة)

واسمها أردوجا (بضم الهمزة واسكان الراء وضم الدال المهمل وجيم وألف) وأردوا
بلسانهم المحلة وسميت بذلك لولادتها في المحلة وهي بنت الأمير الكبير عيسى بك أمير
الالوس (بضم الهمزة واللام) ومعناه أمير الأمراء وأدركته حيا وهو متزوج ببنت السلطان
إيت كججك وهذه الخاتون من أفضل الخواتين والطفهن شمائل واشفقهن وهي التي
بعثت إلينا لما رأيت يتي على النمل عند جواز المحلة كما قدمناه ودخلنا عليها فرأينا من حسن
خلقها وكرم نفسها ما لا مزيد عليه وأمرت بالطعام فأكلنا بين يديها ودعت بالقمر فشرب
اصحابنا وسألت عن حالنا فاجبتنا ودخلنا أيضا إلى أختها زوجة الأمير على بن أرزق

(ذكر بنت السلطان المعظم أوزبك)

واسمها إيت كججك وإيت (بكسر الهمزة وياء مدوناء مشددة وكججك بضم الكاف وضم
الجيمين) ومعنى اسمها السكب الصغير فإن إيت هو السكب وكججك هو الصغير وقد قدمنا
أن الترك يسمون بالفعال كما تفعل العرب وتوجهنا إلى هذه الخاتون بنت الملك وهي في محلة
منفردة على نحو ستة أميال من محلة والدها فامرت باحضار الفقهاء والقضاة والسيد الشريف
ابن عبد الحميد وجماعة الطلبة والمشايخ والفقهاء وحضر زوجها الأمير عيسى الذي بنته زوجة
السلطان فقدمها على فراش واحد وهو معتل بالنقرس فلا يستطيع التصرف على قدميه
ولا ركوب الفرس وإنما يركب العربية ولذا أراد الدخول على السلطان أن له خدمته وأدخلوه

إلى المجلس محمولا وعلى هذه الصورة رأيت أيضا الأمير نغطى وهو أبو الخاتون الثانية وهذه العلة فاشية في هؤلاء الأتراك ورأينا من هذه الخاتون بنت السلطان من المسكارم وحسن الأخلاق ما لم نره من سواها وأجزلت الاحسان وأفضلت جزاها الله خيرا

(ذكر ولدى السلطان)

وهما شقيقان وأمهما جميعا الملكة طيطغلى التى قدمنا ذكرها والا كبر منهما اسمه تين بك (بناء معلومة مكسورة ويا مدونون مفتوح) وبك معناه الامير وتين معناه الجسد فكان اسمه أمير الجسد واسم أخيه جان بك (بفتح الجيم وكسر النون) ومعنى جان الروح فكانه يسمى أمير الروح وكل واحد منهما له محلة على حدة وكان تين بك من أجل خلق الله سورة وعبد له أبوه بالملك وكانت له الخطوة والتشريف عنده ولم يرد الله ذلك فإنه لما مات أبوه ولى يسيرا ثم قتل لأموار قبيحة جرت له وولى أخوه جان بك وهو خير منه وأفضل وكان السيد الشريف بن عبد الحميد هو الذى تولى تربية جان بك وأشار على هو والقاضى حمزة والامام بدر الدين القوامى والامام المقرئ حسام الدين البخارى وسراهم حين قدومى أن يكون نزولى بمحلة جان بك المذكور لفضله ففعلت ذلك

(ذكر سفرى إلى مدينة بلغار)

وكنيت سمعت بمدينة بلغار فأردت التوجه إليها لارى ما ذكر عنها من انتهاء قصر الليل بها وقصر النهار أيضا فى عكس ذلك الفصل وكان بينها وبين محلة السلطان مسيرة عشر فطابت منه من يوصافى إليها فبعث معى من أوصافى إليها وردنى إليه ووصلتها فى رمضان فلما صليتنا المغرب افطرنا وأذن بالعشاء فى أثناء إفطارنا فصليتناها وصليتنا التراويح والشفع والوتر وطلع الفجر لأثر ذلك وكذلك يقصر النهار بها فى فصل قصره أيضا وأقمت بها ثلاثا

(ذكر أرض الظلمة)

وكنيت أردت الدخول إلى أرض الظلمة والدخول إليها من بلغار وبينهما أربعون يوما ثم أضربت عن ذلك لعظم المؤنة فيه وقلة الجدوى والسفر إليها لا يكون إلا فى عجالات صغار تجرها كلاب كبار فان تلك المقازة فيها الجليلد فلا يثبت قدم الآدى ولا حافر الدابة فيهما والكلاب لها الاظفار فتثبت أقدامها فى الجليلد ولا يدخلها الا الاقوياء من التجار الذين يكون لاحدهم مائة عجلة أو نحوها موفرة بطعامه وشرابه وحطبها فانها لا شجر فيها ولا حجر ولا مدر والدليل بتلك الأرض هو السكاب الذى قد سار فيها مرارا كثيرة وتذهب قيمته الى ألف دينار ونحوها وتربط العربدة إلى عنقه ويقرن معه ثلاثة من السكاب ويكون

هو المقدم تتبعه سائر الكلاب بالعربات فإذا وقف وقفت وهذا الكلب لا يضر به صاحبه ولا ينهره وإذا حضر الطعام أطعم الكلاب أولاً قبل بني آدم وإلا غضب الكلب وفر وترك صاحبه للتلف فإذا كملت للمسافرين بهذه القلعة أربعون مرحلة نزلوا عند الظلمة وترك كل واحد منهم ما جاء به من المتاع هنالك وعادوا إلى منزلهم المعتاد فإذا كان من الغد عادوا لتنفق متاعهم فيجدون بازائه من السمرور والسنجاب والقاقم فإن أرضى صاحب المتاع ما وجدته أزاء متاعه أخذه وإن لم يرضه تركه فيزيدونه وبعارفعوا متاعهم أعنى أهل الظلمة وتركوا متاع التجار وهكذا بيعهم وشراؤهم ولا يعلم الذين يوجهون إلى هنالك من يبايعهم ويشاريهم أمن الجن هو أم الانس ولا يرون أحدا والقاقم هو أحسن أنواع الفراء وتساوى الفرو منه ببلاد الهند ألف دينار وصرقها من ذهبنا مائتان وخمسون وهي شديدة البياض من جلد حيوان صغير في طول الشعر وذنبه طويل يتركوه في الفرو على حاله والسمور دون ذلك تساوى الفرو منه أربع مائة دينار فما دونها ومن خاصية هذه الجلود أنه لا يدخلها القمل وأمرأ الصين وكبارها يجعلون منه الجلد الواحد متصلاً بفرواتهم عند العنق وكذلك تجار فارس والعراقين وعدت من مدينة بلغاز مع الأمير الذي بعثه السلطان في صحبتي فوجدت محلة السلطان على الموضع المعروف ببش دغ وذلك في الثامن والعشرين من رمضان وحضرت معه صلاة العيد وصادف يوم العيد يوم الجمعة

(ذكر ترتيبهم في العيد)

ولما كان صباح يوم العيد ركب السلطان في عساكره العظيمة وركبت كل خاتون عربتها ومعها عساكرها وركبت بنت السلطان والتاج على رأسها أذهى الماسكة على الحقيقة ورثت الملك من أمها وركب أولاد السلطان كل واحد في عسكره وكان قد قدم لحضور العيد قاضي القضاة شهاب الدين السايلى ومعه جماعة من الفقهاء والمشايع فركبوا وركب القاضي حمزة والإمام بدر الدين القوامى الشريف ابن عبد الحميد وكان ركوب هؤلاء الفقهاء مع تين بك ولى عهد السلطان ومعهم الاطبال والاعلام فصلى بهم القاضي شهاب الدين وخطب أحسن خطبة وركب السلطان وانتهى إلى برج خشب يسمى عندهم الكشك فجلس فيه ومعه خواتمته ونصب برج ثان دونه فجلس فيه ولى عهده وابنته صاحبة التاج ونصب برجان دونهما عن يمينه وشماله فيهما أبناء السلطان واقاربوه ونصبت الكراسى للامراء وأبناء الملوك وتسمى الصندليات عن يمين البرج وشماله فجلس كل واحد على كرسيه ثم نصبت طبلات للرعى لسكل أمير طومان طيلة مختصة به

وأمر طومان عندهم هو الذى يركب له عشرة آلاف فسان الحاضرون من امراء طومان سبعة عشر يقودون مائة وسبعين ألفا وعسكره أكثر من ذلك ونصب لكل أمير شبه منبر فقعده عليه وأصحابه يلعبون بين يديه فكانوا على ذلك ساعة ثم أتى بالخلع فخلعت على كل أمير خلعة وعند ما يلبسها يأتى إلى أسفل برج السلطان فيخدم وخدمته أن يمس الأرض بركبته اليمنى ويمد رجله تحتها والآخرى قائمة ثم يؤتى بفرس مسرج ملجهم فيرفع حافره ويقبل فيه الأمير ويقوده بنفسه إلى كرسيه وهناك يركبه ويقف مع عسكره ويفعل هذا الفعل مع كل أمير منهم

ثم ينزل السلطان على البرج ويركب الفرس وعن يمينه ابنه ولى العهد وتليه بنته الماسكة لبيت كججك وعن يساره ابنه الثانى وبين يديه الخواتين الأربع فى عربات مكسوة بأثواب الحرير المذهب والخيل التى تجرها بجلجلة بالحرير المذهب وينزل جميع الأمراء الكبار والصغار وأبناء الملوك والوزراء والحجاب وأرباب الدولة فيعيشون بين يدى السلطان على أقدامهم إلى أن يصل إلى الوطاق والوطاق (بكسر الواو) وهو افراج وقد نصبت هنالك باركة (باركاه) عظيمة والباركة عندهم بيت عظيم له أربعة أعمدة من الخشب مكسوة بصفائح الفضة المموهة بالذهب وفى أعلى كل عمود جامور من الفضة المذهبة له بريق وشعاع وتظهر هذه الباركة على البعد كأنها أنية ويوضع عن يمينها ويسارها ستائف من القطن والسكرتان ويفرش ذلك كله بفرش الحرير وينصب فى وسط الباركة السرير الأعظم وهم يسمونه التخت وهو من خشب مرصع وأعواده مكسوة بصفائح فضة مذهبة وقرائمه من الفضة الخالصة المموهة وفوقه فرش عظيم وفى وسط هذا السرير الأعظم مرتبة يجلس السلطان والخاتون الكبرى وعن يمينه مرتبة جلست بها بنته لبيت كججك ومعها الخاتون [أردواجا] وعن يساره مرتبة جلست بها الخاتون بيلون ومعها الخاتون كباك ونصب عن يمين السرير كرسي قعد عليه تين بك ولد السلطان ونصب عن شماله كرسي قعد عليه جان بك ولده الثانى ونصبت كراسى عن اليمين والشمال جلس فوقها أبناء الملوك الكبار ثم الأمراء الصغار مثل امراء هزارة وهم الذين يقودون ألفاً ثم أتى بالطعام على موائد الذهب والفضة وكل مائدة يحمها أربعة رجال وأكثر من ذلك وطعامهم لحوم الخيل والغنم مسلوقة أو توضع بين يدى كل أمير مائدة يأتى الباورجى وهو مقطع اللحم وعليه ثياب حرير وقد ربط عليها فوطه حرير وفى حزامه جملة سكاكين فى أعناقها ويكون لكل أمير باورجى فإذا قدمت المائدة قعد بين يدى أميره ويؤتى بصفيحة صغيرة من الذهب أو الفضة فيها ملح محلول بالماء فيقطع الباورجى اللحم قطعاً

صغاراً ولهم في ذلك صنعة في قطع اللحم مختلطة بالعظم فانهم لا يأكلون منه إلا ما اختلط
بالعظم ثم يؤتى بأواني الذهب والفضة للشرب وأكثر شربهم نبيذ العسل وهم حنفية
المذهب يحلون شرب النبيذ فإذا أراد السلطان أن يشرب أخذت بذته القدح بيدها وخدمت
برجلها ثم ناولته القدح فشرب ثم تأخذ قدحا آخر فتناولها لخاتون الكبرى فتشرب منه
ثم تناول لسائر الخواتين على ترتيبهن ثم ولي العهد القدح ويخدم ويناوله أباه فيشرب
ثم الخواتين ثم اخته ويخدم جميعهن ثم يقوم الولد الثاني فيأخذ القدح ويسقي أخاه
ويخدم له ثم يقوم الأمراء الكبار فيسقي كل واحد منهم ولي العهد ويخدم له ثم يقوم
أبناء الملوك ويعنون أثناء ذلك بالمواليه وكانت قد نصبت قبة كبيرة أيضا إزاء المسجد
للقاضى والخطيب والشريف وسائر الفقهاء والمشايخ وأنا معهم فاوتينا بموائد الذهب
والفضة يحمل كل واحدة أربعة من كبار الأتراك ولا يتصرف في ذلك اليوم بين يدي
السلطان إلا الكبار فيأمرهم برفع ما أراد من الموائد إلى من أراد فكان من الفقهاء من
أكل ومنهم من تورع عن الأكل في موائد الفضة والذهب ورأيت مدا البصر عن اليمين
والشمال من العربات عليها روايا القمن فأمر السلطان بتفريقها على الناس فأتوا إلى بركة
منها فأعطيتها لجيرانى من الأتراك ثم أتينا المسجد ننظر صلاة الجمعة فأبطأ السلطان قمن
قائل أنه لا يأتي لأن السكر قد غلب عليه ومن قائل أنه لا يترك الجمعة فلما كان بعد تمكن
الوقت أتى وهو بتأيل قسماً على السيد الشريف وتبسم له وكان يخاطبه بأخا وهو الأب
بلسان التركية ثم صلينا الجمعة وانصرف الناس إلى منازلهم وانصرف السلطان إلى الباركة
فبقى على حاله إلى صلاة العصر ثم انصرف الناس أجمعون وبقي مع الملك تلك الليلة
خواتينه وبنته

ثم كان رحيلنا مع السلطان والمحلة لما انقضوا العيد فوصلنا إلى مدينة الحاج ترخان
ومعنى ترخان عندهم الموضع المحرر من المغارم (وهو بفتح المثناة وسكون الراء بفتح
الخاء المعجم وآخره نون) والمنسوب إليه هذه المدينة هو حاج من الصالحين تركى نزل
بموضعها وحضر له السلطان ذلك الموضع فصار قرية عظمت وتمدنت وهى من أحسن
المدن عظيمة الأسواق مبنية على نهر أتل وهو من أنهار الدنيا السكبار وهناك يقيم السلطان
حتى يشتد البرد ويحمد هذا النهر وتجمد المياه المتصلة به ثم يأمر أهل تلك البلاد قبياً تون
بالآلاف من احمال التين فيجعلونها على الجليد المنعقد فوق النهر والتين هنالك لا تأكله
الدواب لانه يضرها وكذلك بيلاد الهند وإنما أكلها الحشيش الاخضر لخصب البلاد

ويسافرون باحمر بات فوق هذا النهر والمياه المتصلة به ثلاث مراحل وربما جازت القوافل فوقه مع آخر فصل الشتاء فيغرقون ويهلكون ولما وصلنا مدينة الحاج ترخان رغبنا الخاتون بيلون ابنة ملك الروم من السلطان أن يأذن لها في زيارة أبيها لتضع حملها عنده وتعود إليه فأذن لها ورغبت منه أن يأذن لي في التوجه بصحبته لمشاهدة القسطنطينية العظمى فمتعنى خوفا على فلا خلفته وقلت له إنما ادخلها في حرمتك وجوارك فلا أخاف من أحد فأذن لي وودعنا ووصلني بألف وخمسمائة دينار وخلعة وأفرس كثيرة وأعطتني كل خاتون منهن سبائك الفضة وهم يسمونها مصوم (بفتح الصاد المهملة) وأحدثها صومة وأعطت بنته أكثر منهن وكستني واركبتني واجتمع لي من الخيل والثياب وفروا والساجاب والسمور جملة

(ذكر سفرى إلى القسطنطينية)

وسافرنا في العاشر من شوال في صحبة الخاتون بيلون وتحت حرمتها ورحل السلطان في تشييعها مرحلة ورجع هو والماسكة وولى عهده وسافر سائر الخواتين في صحبتها مرحلة ثانية ثم رجعن وسافر بصحبته الأمير بيدره في خمسة آلاف من عسكره وكان عسكر الخاتون نحو خمسمائة فارس منهم خدامها من المماليك والروم نحو مائتين والياقون من الترك وكان معها من الجوارى نحو مائتين وأكثرهن روميات وكان لها من العربات نحو أربع مائة ونحو ألفي فرس لجرها وللركوب ونحو ثلثمائة من البقر ومائتين من الجمال لجرها وكان معها من الغنم الروميين عشرين ومائة من الماشية وقائدهم الأكبر يسمى بسنبل الهندي وقائد الروميين يسمى بميتخايل ويقول الأراكاؤا وهو من الشجعان الكبار وتركنا أكثر جوارينا وأبقاها بمحلة السلطان إذ كانت قد توجهت برسم الزيارة ووضع أولحل

وتوجهنا إلى مدينة ألك وهي (بضم الهمزة وفتح الكاف الأولى) مدينة متوسطة حسنة العمارة كثير الخوات شديدة البرد وبينها وبين السرا حاضرة السلطان مسيرة عشر وعلى يوم من هذه المدينة جبال الروس وهم نصارى شقروا الشعوب زرق العيون قباج الصور أهل غدر وعندهم معادن الفضة ومن بلادهم يؤتى بالصوم وهي سبائك الفضة التي بها يباع ويشترى في هذه البلاد ووزن الصومة منها خمس أوقى

ثم وصلنا بعد عشر من هذه المدينة سراق (وضمبط اسمها بضم السين المهملة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وآخره قاف) وهي من مدن دشت قفقاز على ساحل البحر ومرسأها من أعظم المراسي وأحسنها ونجارها البساتين والمياه وينزلها الترك وطائفة من الروم تحت ذمتهم وهم أهل الصنائع وأكثر بيوتها خشب وكانت هذه المدينة

كبيرة غرب معظمها بسبب فتنة وقعت بين الروم والترك وكانت الغلبة للروم فانصهر للترك أصحابهم وقتلوا الروم شر قتلة ونفوا أكثرهم وبقى بعضهم تحت الذمة إلى الآن وكانت الضيافة تحمل إلى الخاتون في كل منزل من تلك البلاد من الخيل والغنم والبقر والدوق والقمز وألبان البقر والغنم والسفر في هذه البلاد مضحى ومعشى وكل أمير بتلك البلاد يصحب الخاتون بعساكره إلى آخر حد بلاده تعظيماً لها لا خوفاً عليها لأن تلك البلاد آمنة ثم وصلنا إلى البلدة المعروفة باسم بابا سلطوق وبايعناهم بمعناه عند البر برسواً إلا أنهم يفتخمون الياء وسلطوق (بفتح السين المهملة واسكان اللام وضم الطاء المهملة وآخره قاف) ويذكرون أن سلطوق هذا كان مكاشفاً لسكر يذكر عنه أشياء يذكرها الشرع وهذه البلاد آخر بلاد الأتراك يذنها وبين أول عمالة الروم ثمانية عشر يوماً في برية غير معمورة منها ثمانية أيام لا ماء بها ينزود لها الماء ويحمل في الروايا والقرب على العربات وكان دخولنا إليها في أيام البر فحملت إلى كثير من الماء والأتراك يرفعون الألبان في القرب ويخلطونها بالدوق المطبوخ ويشربونها فلا يعطشون واخذنا من هذه البلدة في الاستعداد للبرية واحتجت إلى زيارة أفراس فأتيته الخاتون فأعلمتني بذلك وكنت أسلم عليها أصباحاً ومساءً ومتى أتتها ضيافة تبعتني إلى بالفرسين والثلاثة وبالغنم فكنت أترك الخيل لأذهبها وكان من معي من الغلمان والخدم يأكلون مع أصحابنا الأتراك فاجتمع لي نحو خمسين فرساً وامرت إلى الخاتون بخمسة عشر فرساً وامرت وكيها ساروجة الرومي أن يختارها سماً نأمن خيل للمطبخ وقالت لا تخف فإن احتجت إلى غيرها زدناك ودخلنا البرية في منتصف ذي القعدة فكان سيرنا من يوم فارقتنا السلطان إلى أول البرية تسعة عشر يوماً واقامتنا خمسة ورحلنا من هذه البرية ثمانية عشر يوماً مضحى ومعشى وما راينا إلا خيراً والحمد لله

ثم وصلنا بعد ذلك إلى حصن مهتولى وهو أول عمالة الروم (وضبط اسمه بفتح الميم وسكون الهاء وضم التاء المعلوة وواو مدولام مكسور وياه) وكانت الروم قد سمعت بقدوم هذه الخاتون على بلادها فوصلنا إلى هذا الحصن كفاً في نقوله الرومي في عسكر عظيم وضيافة عظيمة وجاءت الخواتين والدايات من دار أبيها ملك القسطنطينية وبين ملك القسطنطينية وبين مهتولى والقسطنطينية مسيرة اثنين وعشرين يوماً منها ستة عشر يوماً إلى الخليج وستة منه إلى القسطنطينية ولا يسافر من هذا الحصن إلا بالخيول والبغال وترك العربات به لاجل الوعر والجبال وجاء كفاً في المذكور ببغال كثيرة وبعثت إلى الخاتون بستة منها وأوصت أمير ذلك الحصن بمن تركته من أصحابي وغلمان مع العربات والانتقال فأمرهم بدار ورجع الأمير ببيرة بعساكرهم لم يسافر مع الخاتون إلا ناسها

وتركت مسجدها بهذا الحصن وارتفع حكم الاذان وكان يؤتى اليها بالخمر في الضيافة
فقتلها وبالحنازير وأخبرتني بعض خواصها أنها اكلتها ولم يبق معها من يصلي الا بعض
الانراك كان يصلي معنا وتغيرت البواطن لدخولنا في بلاد الكفر وسكن الخاتون أوسيت
الامير كغالي باكرامى ولقد ضرب مرة بعض مما ليكملا ضحك من صلاتنا ثم وصلنا حصن
مسلمة بن عبد الملك وهو بسفح جبل على نهر زخار يقال له اصطقييل ولم يبق من هذا الحصن
إلا آثاره وبخارجه قرية كبيرة ثم سرينا يومين ووصلنا الى الخليج وعلى ساحله قرية كبيرة
فوجدنا فيه المد فاقمتا حتى كان الجزر وخضناه وعرضه نحو مياين ومشينا اربعة أميال
في رمال ووصلنا الخليج الثانى فخنضناه وعرضه نحو ثلاثة أميال ثم مشينا نحو ميلين في
حجارة ورمل ووصلنا الخليج الثالث وقد ابتدأ المد فتبعنا فيه وعرضه ميل واحد فعرض
الخليج كله مائىة وباسه اثنا عشر ميلا وتصير ماء كلها في أيام المطر فلا تخاض إلا في
القوارب

وعلى ساحل هذا الخليج الثالث مدينة الفتيكة (واسمها بفام مفتوحة ونون وبام مد
وكاف مفتوح) وهى صغيرة اسكنها حسنة مائنة وكنائسها وديارها حسان والانهار
تخرقها والبساتين تحفها ويدخر بها العنب والاجاص والتفاح والسفرجل من السنة الى
الآخرى واقمتا بهذه المدينة ثلاثا والخاتون في قصر لا يبيها هنالك ثم قدم اخوها شقيقها
اسمه كغالى قراس في خمسة آلاف فارس شاكين السلاح ولما ارادوا لقاء الخاتون
ركب اخوها المذكور فرسا أشبهت ولبس ثيابا بيضاء وجعل على رأسه مظلا مكلا
بالجواهر وجعل عن يمينه خمسة من أبناء الملوك وعن يساره مثلهم لابسين البياض
أيضا وعليهم مظلات مزركشة بالذهب وجعل بين يديه مائة من المشاة ومائة فارس
قد أسبغوا الدروع على أنفسهم وخيلهم وكل واحد منهم يقود فرسا مسرجا مدرعا عليه شبكة
فارس من البيضة المجوهرة والدروع والتركش والقوس والسيف ويده رمح في طرف
رأسه راية وأكثر تلك الرماح مكسوة بصفايح الذهب والفضة وتلك الخيل المقودة هى
مراكب ابن السلطان وقسم قرسانه على افوج كل فوج فيه مائتا فارس لهم امير قد قدم
أمامه عشرة من الفرسان شاكين في السلاح وكل واحد منهم يقود فرسا وخلفه عشرة
من العلامات ملونة بايد عشرة من الفرسان وعشرة اطبال يتقلدها عشرة من الفرسان
ومعهم ستة يضربون الابواق والانفار والصرايات وهى الغيطات وركبت الخاتون في
ماليكها وسوارها وقنيانها وخدمها وهم نحو خمسمائة عليهم ثياب الحرير المزركشة بالذهب
المرصعة وعلى الخاتون حلة يقال لها النخ ويقال لها أيضا النسيج مرصعة بالجواهر وعلى

رأسها تاج مرصع وفرسها مجلل حرير مزركش بالذهب وفي يده ورجليه خلاخل الذهب وفي عنقه قلادة مرصعة وعظم السرج مكسو ذهبيا مكلل جوهرًا وكان الثقاؤهما في بسيط من الأرض على نحو ميل من البلد وترجل لها أخوها لأنه أصغر سنًا منها وقبل ركابها وقبلت رأسه وترجل الأمراء وأولاد الملوك وقبلوا جميعًا ركابها وانصرفت مع أخيها وفي غد ذلك اليوم وصلنا إلى مدينة كبيرة على ساحل البحر لا تثبت الآن اسمها ذات أنها وأشجار نزلنا بخارجها ووصل أخواتنا ولى العهد في ترتيب عظيم وعسكر ضخيم من عشرة آلاف مدرع وعلى رأسه تاج وعن يمينه نحر عشرين من أبناء الملوك وعن يساره مثلهم وقد رتب فرسانه على ترتيب أخيه سواء إلا أن الحفل أعظم والجمع أكثر وتلاقت معه اخته في مثل زيبا الأول وترجل جميعًا وأوقى بخيلاء حرير فدخلا فيه فلا أعلم كيفية سلامها ونزلنا على عشرة أميال من القسطنطينية فلما كان بالغد خرج أهلهم من رجال ونساء وصبيان ركبانًا ومشاة في أحسن زى واجمل لباس وضربت عند الصبح الأهل بال والأبواق والانفاروركيت العساكر وخرج السلطان وزوجته أم هذه الخاتون وأرباب الدولة والخووص وعلى رأس الملك رواق يحمله جملة من الفرسان ورجال بأيديهم عصى طوال في أعلى كل عصى شبه كرة من جلد يرفعونها الراوق وفي وسط الراوق مثل القبة يرفعها الفرسان بالعصى ولما أقبل السلطان اختلطت العساكر وكثر العجاج ولم أقدر على الدخول فيما بينهم فلزمت المقاتل الخاتون وأصحابها خوفًا على نفسي وذكري أنها لما قربت من أبوابها ترجلت الأرض بين أيديهما ثم قبلت حافري فرسهما وفعل كبار أصحابها مثل فعلها في ذلك وكان دخولنا عند الزوال أو بعده إلى القسطنطينية العظمى وقد ضربوا نواقيسهم حتى ارتجت الآفاق لاختلاط أصواتها ولما وصلنا الباب من أبواب قصر الملك وجدنا به مائة رجل معهم قاندهم فوق دكانه وسمعتهم يقولون سرا كنوا سرا كنوا ومعناه المسلمون ومنعونا من الدخول فقال لهم أصحاب الخاتون إنهم من جهةتنا فقالوا لا يدخلون إلا بأذن فائقنا بالباب وذهب بعض أصحاب الخاتون فبعث من أعلمها بذلك وهي بين يدي والدها فذكرت له شأننا فأمر بدخولنا وعين لنا دارًا بمقربة من دار الخاتون وكتب لنا امرًا بأن لا نعترض حيث نذهب من المدينة ونودى بذلك في الأسواق واقفنا بالدار ثلاثًا فبعث إلينا للضيافة من الدقيق والخبز والنفس والدجاج والسمين والفاكهة والحسوت والدرهم والفرش وفي اليوم الرابع دخلنا على السلطان

(ذكر سلطان القسطنطينية)

واسمه تسكفور (يفتح التاء المثناة وسكون الكاف وضم الفاء وواو ووراء) ابن السلطان جرجيس وأبوه السلطان جرجيس بقيد الحياة لكنه تزهّد وترهب وانقطع للعبادة في السكناثس وترك الملك لولده وسنذكره في اليوم الرابع من وصولنا إلى القسطنطينية بعثت إلى الخاتون الفتى سنبل الهندى فأخذ بيدي وأدخلني إلى القصر فجنزنا أربعة أبواب في كل باب سقائفها رجال وأسليحتهم وقادهم على دكانة مفروشة فلما وصلنا إلى الباب الخامس تركني الفتى سنبل ودخل ثم أتى ومعه أربعة من الفتيان الروميين ففتشوني لئلا يكون معي سكين وقال لي القائد تلك عادة لهم لا بد من تفتيش كل من يدخل على الملك من خاص أو عام غريب أو بلدى وكذلك الفعل بأرض الهند ثم لما فتشوني قام الموكل بالباب فأخذ بيدي وفتح الباب وأحاط بي أربعة من الرجال أمسك اثنان بكفي واثنان من ورائي فدخلوا بي إلى مشور كبير حيطانه بالفسيفساء قد نقش فيها صور المخلوقات من الحيوانات والجماد وفي وسطه ساقية ماء ومن جهتيها الأشجار والناس واقفون يمينا ويساراً سكوتا لا يتكلم أحد منهم وفي وسط المشور ثلاثة رجال وقوف أسلني أولئك الأربعة لإيهم فامسكوا بأيدي كل واحد من الآخرين وأشار إليهم رجل فتقدموا بي وكان أحدهم يودى فقال لي بالعربي لا تخف فمكثنا عادتهم أن يفعلوا بالوارد وأنا المترجماني وأصلي من بلاد الشام فسألته كيف أسلم فقال قل السلام عليكم ثم وصلت إلى قبة عظيمة والسلطان على سريرته وزوجته أم هذه الخاتون بين يديه وأسفل السرير الخاتون وأخوتها وعن يمينه ستة رجال وعن يساره أربعة وكلهم بالسلاح فأشار لي قبل السلام والوصول إليه بالجلوس هنسيه ليسكن روعي ففعلت ذلك ثم وصلت إليه فسلمت عليه وأشار لي أن أجلس فلم أفعل وسألني عن بيت المقدس وعن الصخرة المقدسة وعن القمامة وعن مهد عيسى وعن بيت لحم وعن مدينة الخليل عليه السلام ثم عن دمشق ومصر والعراق وبلاد الروم فاجبته عن ذلك كله واليهودى يترجم يبنى ويبنه فاعجبه كلامي وقال لا ولاده أكرموا هذا الرجل وامنوه ثم خلع على خلعة وأمر لي بفرس مسرج ملجم ومظلة من التي يجعلها الملك فوق رأسه وهي علامة الأمان وطابت منه أن يعين من يركب معي بالمدينة في كل يوم حتى أشاهد عجائبها وغرائبها وأذكرها في بلادى فعين لي ذلك ومن العوائد عندهم أن الذى يلبس خلعة الملك ويركب فرسه يطاف به في أسواق المدينة بالأبواق والأنفار والأطبال ليراه الناس وأكثر ما يفعل ذلك بالأتراك الذين يأتون من بلاد السلطان أوزبك لئلا يؤذون فطافوا بي في الأسواق .

(ذكر المدينة)

وهي متناهية في السكبر منقسمة بقسمين بينهما نهر عظيم المد والجزر على شكل وادي سلا من بلاد المغرب وكانت عليه فيما تقدم قنطرة مبنية فخربت وهو الآن يعبر في القوارب واسم هذا النهر أبسمى (بفتح الهمزة واسكان الباء الموحدة وضم السين المهمل وكسر الميم وياء مد) وأحد القسمين من المدينة يسمى اصطنبول (بفتح الهمزة واسكان الصاد وفتح الطاء المهملتين وسكون التون وضم الباء الموحدة وواو مدولام) وهو بالعدوة الشرقية من النهر وفيه مسكنى السلطان وأرباب دولته وسائر الناس وأسواقه وشوارعه مفرشة بالصفاح متسعة وأهل كل صناعة على حدة لا تشار كهما سواهم وعلى كل سوق أبواب تسد عليه بالليل وأكثر الصناع والباعة بها النساء والمدينة في سفح جبل داخل في البحر نحو تسعة أميال وعرضه مثل ذلك أو أكثر وفي أعلاه قلعة صغيرة وقصر السلطان والسور يحيط بهذا الجبل وهو مانع لا سبيل لاحد اليه من جهة البحر وفيه نحو ثلاث عشرة قرية عامرة والكنيسة العظمى هي في وسط هذا القسم من المدينة وأما القسم الثاني منها فيسمى الغلطة (بعين معجمة ولام وطاء مهمل مفتوحات) وهو بالعدوة الغربية من النهر شبيه برباطد الفتح في قرية من النهر وهذا القسم خاص بنصارى الافرنج يسكنونه وهم أصناف فمنهم الجنويون والبنادقة وأهل رومية وأهل افرانسة وحكمهم إلى ملك القسطنطينية يقدم عليهم منهم من يرتضونه ويسمونه القمص وعليهم وظيفة في كل عام لملك القسطنطينية وربما استعصوا عليه في حاربهم حتى يصلح بينهم البابا وجميعهم أهل تجارة ومرسأهم من أعظم المراسى رأيت به نحو مائة جفن من القراقير وسواها من السكبار وأما الصغار فلا تحصى كثرة وأسواق هذا القسم حسنة إلا أن الأقدار غالبة عليها ويشقها نهر صغير قدر نجس وكنائسهم لا خير فيها .

(ذكر الكنيسة العظمى)

ولما نذكر خارجها وأما داخلها فلم أشاهده وهي تسمى عندهم اياصوفيا (بفتح الهمزة والياء آخر الحروف والفاء مضمومة وواو مد وفاء مكسورة وياء كالأولى والفاء) ويندكر أنها من بناء آصف بن برخياء وهو ابن خال سليمان عليه السلام وهي من أعظم كنائس الروم وعليها سور يطيف بها فكانها مدينة وأبوابها ثلاثة عشر بابا ولها حرم هو نحو ميل عليه باب كبير ولا يمنع احد من دخوله وقد دخلته مع والد الملك الذي يقع ذكره وهو شبه مشور مسطح بالرخام وتشقه ساقية تخرج من الكنيسة لها حائطان مرتفعان

نحو زراع مصنوعان بالرخام المجزع المنقوش بأحسن صنعة والأشجار منتظمة عن جهتي الساقية ومن باب الكنيسة إلى باب هذا المشور معرش من الخشب مرتفع عليه دوالي العنب وفي أسفله الياسمين والرياحين وخارج باب هذا المشور قبة خشب كبيرة فيها طبلات خشب يجلس عليها خدام ذلك الباب وعن يمين القبة مساحب وحوانيت أكثرها من الخشب يجلس بها قضائهم وكتاب دواوينهم وفي وسط تلك الحوانيت قبة خشب يصعد إليها على درج خشب وفيها كرسي كبير مطبق بالملف يجلس فوقه قاضيههم وسند كره وعن يسار القبة التي على باب هذا المشور سوق العطارين والساقية التي ذكرناها تنقسم قسمين أحدهما يمر بسوق العطارين والآخر يمر بالسوق حيث القضاة والكتاب وعلى باب الكنيسة سقائف يجلس بها خدامها الذين يقومون طرقيها ويوقدون سرجها ويفلقون أبوابها ولا يدعون أحدا بداخلها حتى يسجد للصليب الأعظم عندهم الذي يزعمون أنه بقية من الخشبة التي صلب عليها شبيهه عيسى عليه السلام وهو على باب الكنيسة يجعول في جمعية ذهب طولها نحو عشرة أذرع وقد عرضوا عليها جمعة ذهب مثلها حتى صارت صليبا وهذا الباب مصفح بصفائح الفضة والذهب وحلقته من الذهب الخالص وذكر لي أن عدد من بهذه الكنيسة من الرهبان والقسيسين ينتهي إلى آلاف وإن بعضهم من ذرية الحواريين وإن بداخلها كنيسة مختصة بالنساء فيها من الأبنكار المنقطعات للعبادة أزيد من ألف وأما القواعد من النساء فأكث من ذلك كله ومن عادة الملك وأرباب دولته وسائر الناس أن يؤتوا كل يوم صباحا إلى زيارة هذه الكنيسة ويأتى إليها البابا مرة في السنة وإذا كان على مسيرة أربع من البلد يخرج الملك إلى لقائه ويرجل له وعند دخول المدينة يمشى بين يديه على قدميه ويأتية صباحا ومساء للسلام طول مقامه بالقسطنطينية حتى ينصرف .

(ذكر المانستارات بقسطنطينية)

والمانستار على مثل لفظ المارستان إلا أن نونه متقدمة وراءه متأخرة وهو عندهم شبه الزاوية عند المسلمين وهذه المانستارات بها كثيرة فمنها مانستار عمره الملك جرجيس والملك القسطنطينية وسند كره وهو بخارج اصطنع بول مقابل الغلطة ومنها مانستاران خارج الكنيسة العظمى عن يمين الداخل إليها وهما في داخل بستان يشقه مائير ماموا أحدهما للرجال والآخر للنساء وفي كل واحد منهما كنيسة ويدور بهما البيوت المتعبدات والمتعبدات وقد حبس على كل واحد منهما حباس لكسوة المتعبدات ونفقتهم بها أحد الملوك ومنها مانستار أن عن يسار الداخل إلى الكنيسة العظمى على مثل هذين الآخرين ويضيف

بها بيزت وأحدها يسكنه العميان والثاني يسكنه الشيوخ الذين لا يستطيعون الخدمة من باغ الستين أو نحوها ولكل واحد منهم كسوته ونفقته من أوقاف معينة لذلك رُفِيَ داخل كل مانستار منها دويرة لتعبد الملك الذي بناه وأكثر هؤلاء الملوك إذا بلغ الستين أو السبعين بنى مانستار أو لبس المسوح وهى ثياب الشعر وقلد ولده الملك واشتغل بالعبادة حتى يموت وهم يحتفلون فى بناء هذه المانستارات ويعملونها بالرخام والفسيفساء وهى كثيرة بهذه المدينة ودخلت مع الرومى الذى عينه الملك للركوب، معى إلى مانستار يشقه نهر وفيه كنيسة فيها نحو خمسمائة بكر عليهن المسرح ورؤسهن مخلوقة فيها فلانيس اللبد ولهن جمال فائق وعليهن أثر العبادة وقد قعد صبي على منبر يقرأ لهن الانجيل بصوت لم أسمع قط أحسن منه وحوله ثمانية من الصبيان على منابر ومعهم قسيسهم فلما قرأ هذا الصبي قرأ صبي آخر وقال لى الرومى أن هؤلاء البنات من بنات الملوك وهن أنفسهن لخدمة هذه الكنيسة وكذلك الصبيان القراء ولهم كنيسة أخرى خارج تلك الكنيسة ودخلت أيضا إلى كنيسة فى بستان فوجدنا بها نحو خمسمائة بكر أو أزيد وصبي يقرأ لهن على منبر وجماعة صبيان معه على منابر مثل الأولين فقال لى الرومى هؤلاء بنات الوزراء والأمراء يتعبدن بهذه الكنيسة ودخلت إلى كنائس فيها ابكار من وجوه أهل البلد وإلى كنائس فيها العجائز والقواعد من النساء وإلى كنائس فيها الرهبان يكون فى الكنيسة منها مائة رجل أو أكثر وأقل وأكثر هذه المدينة رهبان ومتعبدون وقسيسون وكنائسها لا تحصى كثرة وأهل المدينة من جندى وغيره صغير وكبير يجعلون على رؤسهم المظلات الكبار شتاء وصيفا والنساء هن عهائم كبار .

(ذكر الملك المتروهب جرجيس)

وهذا الملك لى الملك لابنه وانقطع للعبادة وبنى مانستارا كما ذكرناه خارج المدينة على ساحلها وكنت يوما مع الرومى المهرين للركوب معى فاذا بهذا الملك ماش على قدميه وعليه المسوح وعلى رأسه فلنسوة لبدوله لحية بيضاء طويلة ووجهه حسن عليه أثر العبادة وخلفه وأمامه جماعة من الرهبان وبيده عكاز وفى عنقه سبيحة فلما راه الرومى انزل وقال لى انزل فهذا والد الملك فلما سلم عليه الرومى سأله عنى ثم وقف وبعث لى فخرجت اليه فأخذ بيدي وقال لذلك الرومى وكان يعرف اللسان العربى قل لهذا السرا كسوي معنى المسلم أنا اصافح اليد التى دخلت بيت المقدس والرجل التى مشت داخل الصخرة والكنيسة العظمى التى تسمى قمامة وبيت لحم وجعل يده على قدمي ومسح بها وجهه فخرجت من

اعتقادهم فيمن دخل تلك المواضع من غير ملتهم ثم أخذ بيدي ومشيت معه فسألتني عن بيت المقدس ومن فيه من النصارى وأطال السؤال ودخلت معه إلى حرم الكنيسة الذي وصفناه آنفاً ولما قارب الباب الأعظم خرجت جماعة من القسيسين والرهبان للسلام عليه وهو من كبارهم في الرهبانية ولما رأهم أرسل يدي فقلت له أريد الدخول معك إلى الكنيسة فقال للترجمان قل له لا بد لداخلها من السجود للصليب الأعظم فإن هذا مما سنته الأوائل ولا يمكن خلافه فتركته ودخل وحده ولم أره بعدها

(ذكر قاضي القسطنطينية)

ولما فارقت الملك المترهب المذكور دخلت سوق الكتاب فرأيت القاضي فبعثت إلى أحد أعوانه فسأل الرومي الذي معي فقال له أنه من طلبة المسلمين فلما عاد إليه وأخبره بذلك بعثت إلى أحد أعوانه وهم يسمون القاضي النجاشي كفالتي فقال لي النجاشي كفالتي يدعوك فصعدت إليه إلى القبة التي تقدم ذكرها فرأيت شيخاً حسن الوجه واللغة عليه لباس الرهبان وهو الملف الأسود وبين يديه نحو عشرة من الكتاب يكتبون فقال لي وقام أصحابه وقال أنت ضيف الملك ويجب علينا إكرامك وسألتني عن بيت المقدس والشام ومصر وأطال الكلام وكثر عليه الازدحام وقال لي لا بد لك أن تأتي إلى داري فأضيفك فانصرفت عنه ولم ألقه بعد .

(ذكر الانصراف عن القسطنطينية)

ولما ظهر لمن كان في صحبة الخاتون من الأتراك أنها على دين أبيها وراغبة في المقام معه طلبوا منها الإذن في العودة إلى بلادهم فأذنت لهم وأعطتهم عطاء جزيلاً وبعثت معهم من يوصلهم إلى بلادهم أميراً يسمى ساروجة الصغير في خمسة آلاف فارس وبعثت عني فأعطتني ثلاثمائة دينار من ذهبهم يسمونه البربرة وليس بالطيب وألني درهمين بندقية وشقة ملف من عمل البنات وهو أجود أنواعه وعشرة أبواب من حديد وكتان وصوف وفرسين وذلك من عطاء أبيها وأوصتني ساروجة وودعتها وانصرفت وكانت مدة مقامي عندهم شهراً وستة أيام وسافر ناصحبة ساروجة فكان يكرمني حتى وصلنا إلى آخر بلادهم حيث تركنا أصحابنا وعابنا فركبنا العربات ودخلنا البرية ووصل ساروجة معنا إلى مدينة باسلوق وأقام بها ثلاثاً في الضيافة وانصرفت إلى بلاده وذلك في اشتداد البرد وكنت لبس ثلاث فروات وسروالين أحدهما مبطن وفي رجلي خف من صوف وفوقه خف مبطن بثوب كتان وفوقه خف من البرغالي وهو جلد الفرس مبطن بجلد ذئب

وكنيت أتوضأ بالماء الحار بمقربة من النار فما تقطر من الماء قطرة إلا جمدت لحينها وإذا غسلت وجهي بالماء إلى الحيتي فيجمد فأحركها فيسقط منها شبه النالج والماء الذي ينزل من الأنف يجمد على الشارب وكنيت لا أستطيع الركوب لكثرة ما على من الشياب حتى يركبني أصحابي .

ثم وصلت إلى مدينة الحاج ترخان حيث فارقنا السلطان أوزبك فوجدناه قد رحل واستقر بحضرة ملكه فساقرنا على نهر اتل وما يليه من المياه ثلاثا وهي جامدة وكنا إذا احتجنا الماء قطعنا قطعا من الجليد وجعلناه في القدرة حتى يصير ماء فنشرب منه ونطبخ به ووصلنا إلى مدينة السرا (وضبط اسمها بسين مهمل وراء مفتوحة والـف) وتعرف بسرا بركة وهي حضرة السلطان أوزبك ودخلنا على السلطان فسألناه عن كيفية سفرنا وعن ملك الروم ومدينته فأعلمناه وأمر بإجراء النفقة علينا وأزّلنا مدينة السرا من أحسن المدن متناهية الكبر في بسيط من الأرض تغص بأهلها كثرة حسنة الاسواق متسعة الشوارع .

وركبنا يوما مع بعض كبرائنا وغرضنا التطوف عليها ومعرفة مقدارها وكان منزلنا في طرف منها فركبنا منه غدوة فما وصلنا لآخرها بعد الزوال فصلينا الظهر وأكلنا طعاما فما وصلنا إلى المنزل إلا عند المغرب ومشينا يوما في عرضها ذاهبين راجعين في نصف يوم وذلك في عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا بساتين وفيها ثلاثة عشر مسجدا لإقامة الجمعة أحدا للشافعية وأما المساجد سوى فكتير جدا وفيها طوائف من الناس منهم المغل وهم أهل البلاد والساطين ووبعضهم مسلمون ومنهم الأص وهم مسلمون ومنهم القفجق والجر كس والروس والروم وهم نصارى وكل طائفة تسكن محلة على حدة فيها أسواقها والتجار والغرباء من أهل العراق ومصر والشام وغيرها ساكنون بمحلة عليها سور احتياطا على أموال التجارة .

وقصر السلطان بها يسمى الطون طاش والـتون (بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الطاء المهمل وواو مد ونون) ومعناه الذهب وطاش (بفتح الطاء المهمل وشين معجم) ومعناه حبيز وقاضى هذه الحضرة بدر الدين الأعرج من خيار النضاة

وبها من مدرسي الشافعية الفقيه الامام الفاضل صدر الدين سليمان اللـكـزى أحد الفضلاء وبها من المالكية شمس الدين المصرى وهو ممن يطعن في ديانتهم وبها زاوية الصالح الحاج نظام الدين أضافنا بها وأكرمنا وبها زاوية الفقيه الامام العالم نعمان الدين الخوارزمي رأيت بها وهو من فضلاء المشايخ حسن الاخلاق كريم النفع شديد التواضع

شديد السطوة على اهل الدنيا يأتي اليه السلطان أوزبك زائراً في كل جمعة فلا يستقبله ولا يقوم اليه ويقعد السلطان بين يديه ويكلمه أ لطف كلام ويتواضع له والشيوخ بضد ذلك وفعله الفقراء والمساكين والواردين خلاف فعله مع السلطان فإنه يتواضع لهم ويكلمهم بأ لطف كلام ويكرمهم واكرمني جزاه الله خيراً وبعث الى بغلام تركي وشاهدت له بركة

(كرامة له)

كنت أردت السفر من السر الى خوارزم فنهاني عن ذلك وقال لي أقم أياماً وحينئذ نسافر فإزعتني النفس ووجدت رفقة كبيرة آخذة في السفر فيهم تجار أعرفهم فانفقت معهم على السفر في صحبتهم وذكرت له ذلك فقال لي لا بد لك من الإقامة فعزمت على السفر فأبق لي الغلام أقمت بسببه وهذه السكرامات الظاهرة

ولما كان بعد ثلاث وجد بعض أصحابي ذلك الغلام الأبق بمدينة الحاج ترخان فجاء به إلى فحينئذ سافرت إلى خوارزم وبينها وبين حضرة السرا صخرة مسيرة أربعين يوماً لا تسافر فيها الخيل لقلة السكّاء وإنما تحر العربات بها الجمال فسرنا من السرا عشرة أيام فوصلنا إلى مدينة سراجوق وجوق (بضم الجيم المعقود وواو وقاف) ومعنى جوق صغير فكانهم قالوا سرا الصغيرة وهي على شاطئ نهر كبير زخار يقال له ألوصو (بضم الهمزة واللام وواو وضم الصاد المهمل وواو) ومعناه الماء الكبير وعليه جسر من قوارب كجسر بغداد وإلى هذه المدينة انتهى سفرنا بالخيول التي تجر العربات وبعناها بحساب أربع دنانير دراهم للفرس وأقل من ذلك لأجل ضعفها ورخصتها هذه المدينة واکثرينا الجمال لجر العربات وبهذه المدينة زاوية أرجل صالح معمر من الترك يقال له أطا (بفتح الهمزة والطاء المهمل) ومعناه الوالد أضافنا بها ودعا لنا وأضافنا أيضاً قاضيها ولا أعرف اسمه ثم سرنا منها ثلاثين يوماً سيرا جادا لا ننزل إلا ساعتين أحدهما عند الضحى والأخرى عند المغرب وتكون الإقامة قدر ما يطبخون الدوق ويشربونه وهو يطبخ من غالية واحدة ويكون معهم الخليج من اللحم يجعلونه عليه ويصبون عليه اللبن وكل إنسان إنما ينسجم أو يأكل في عربته حال السير وكان لي في عربتي ثلاث من الجوارى ومن عادة المسافرين في هذه البرية الإسراع لقلة أعشابها والجمال التي تقطعها يملك معظمها وما يبنى منها لا ينتفع به إلا في سنة أخرى بعد أن يسمن والماء في هذه البرية في مثال معلومة بعد اليومين والثلاثة وهو ماء المطر والحسيان ثم لما سلكنا هذه البرية وقطعناها كما ذكرناه وصلنا إلى خوارزم وهي أكبر مدن الأتراك وأعظمها وأجملها وأضخمها لها الأسواق المليحة والشوارع الفسيحة والعمارة السكّيرة والمحاسن الأثيرة وهي ترجح بسكانها أكثرتهم وتموج بهم موج البحر ولقد ركبت بها يوماً ودخلت السوق فلما توسطته وبلغت منتهى

الزحام في موضع يقال له الشهور (بفتح الشين المعجم وإسكان الواو) لم أستطع أن أجوز ذلك الموضع لكثرة الازدحام وأردت الرجوع فما أمكنني لكثرة الناس فبقيت متجيراً وبعد جهد شديد رجعت وذكرك لي بعض الناس أن تلك السوق يخف زحامها يوم الجمعة وتوجهت إلى المسجد الجامع والمدرسة وهذه المدينة تحت إمرة السلطان أو زبك وله فيها أمير كبير يدعى قطلودمور وهو الذي عمر هذه المدرسة وما معها من المواضع المضافة وأما الجامع فعمرته زوجته الخاتون الصالحة ترابك وتر (بضم التاء المعلولة وفتح الراء والالف) وبك (بفتح الباء الموحدة والكاف) وبخوارزم مارستان له طبيب شامى يعرف بالصهيونى نسبة إلى صهيون من بلاد الشام ولم أر في بلاد الدنيا أحسن أخلاقاً من أهل خوارزم ولا أكرم نفوساً ولا أحب في القرباء ولهم عادة جميلة في الصلاة لم أرها لغيرهم وهى أن المؤذنين بمساجدها يطوف كل واحد منهم على دور جيران مسجده معلماً لهم بحضور الصلاة فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة ضربه الإمام بمحضرة الجماعة وفى كل جامع درة معلقة برأسه ذلك ويغرم خمسة دنانير تنفق في مصالح الجامع أو تطعم للفقراء والمساكين ويندكرون أن هذه العادة عندهم مستمرة على قديم الزمان وبخارج خوارزم نهر جيحون أحد الأنهار الأربعة التى من الجنة وهو يجمد فى أوان الرد كما يجمد نهر اتل ويسلك الناس عليه وتبقى مدة جموده خمسة أشهر وربما سلكوا عليه عند أخذه فى الذوبان فمسلوكوا ويسافر فيه أيام الصيف بالراكب إلى ترمذ ويجلبون منها القمح والشعير وهى مسيرة عشر للمنتحدر وبخارج خوارزم زاوية مبنية على تربة الشيخ نجم الدين الكبرى وكان من كبار الصالحين وفيها الطعام للوارد والصادر وشيخهم المدرس سيف الدين بن عضبة من كبار أهل خوارزم وبها أيضاً زاوية لشيخنا الصالح المجاور جلال الدين السمرقندى من كبار الصالحين أضافنا بها وبخارجها قبر الامام العلامة أبى القاسم محمود بن عمر الرخشى وعليه قبة وزخشر قرية على مسافة أربعة أميال من خوارزم

ولما أنيت هذه المدينة نزلت بخارجها وتوجه بعض أصحابى إلى القاضى الصمد أبو حفص عمر البكرى فبعث إلى نائبه نور الاسلام فسلم على ثم عاد اليه ثم أتى القاضى فى جماعة من أصحابه فسلم على وهو فى السن كبير الفعال وله نائبان أحدهما نور الاسلام المذكور والآخر نور الدين السكرامانى من كبار الفقهاء وهو الشديد فى احكامه القوى فى ذات الله تعالى .

ولما حصل الاجتماع بالقاضى قال لى ان هذه المدينة كثيرة الزحام ودخولكم نهاراً لا يتأتى وسيأتى اليكم نور الاسلام لتدخلوا معه فى آخر الليل ففعلنا ذلك ونزلنا بمدرسة جميدة

ليس بها أحد ولما كان بعد صلاة الصبح أتى اليينا القاضى المذكور ومعه من كبار المدينة جماعة منهم مولانا همام الدين ومولانا زين الدين المقدسى ومولانا رضى الدين يحيى ومولانا فضل الله الرضوى ومولانا جلال الدين العمادى ومولانا شمس الدين السنجرى امام أميرها وهم أهل مكارم وفضائل والغالب على مذهبهم الاعتزال لكنهم لا يظهرونه لأن السلطان أوزبك وأميره على هذه المدينة قطلودمور من أهل السنة وكنت أيام إقامتى بها أصلى الجمعة مع القاضى أبى حفص عمر المذكور بمسجده فإذا فرغت الصلاة ذهبت معه الى داره وهى قريبة من المسجد فأدخل معه الى مجلسه وهو من أبداع المجالس فيه القروش الحافلة وحيطانه مكسوة بالملف وفيه طيقات كثيرة وفى كل طاق منها أوانى الفضة الموهبة بالذهب والأوانى العراقية وكذلك عادة أهل تلك البلاد ان يصنعوا فى بيوتهم ثم يأتى بالطعام الكثير وهو من أهل الرفاهية والمال الكثير والرباع وهو سلف الأمير قطلودمور متزوج بأخت امرأته واسمها جيجيا أغا وهذه المدينة جماعة من الوعاظ والمذكورين اكبرهم مولانا زين الدين المقدسى والخطيب مولانا حسام الدين المشاطى الخطيب المصقع احد الخطباء الاربعة الذين لم اسمع فى الدنيا احسن منهم .

(وأمير خوارزم)

هو الأمير الكبير قطلودمور وقطلو (بضم القاف وسكون الطاء المهمل وضم اللام) ودمور (بضم الدال المهمل والميم وواو مد وراء) ومعنى اسمه الحديد المبارك لأن قطلوهو المبارك ودموره والحديد وهذا الأمير ابن خالة السلطان المعظم محمد أوزبك واكبر أمرائه وهو واليه على خراسان وولده هارون بك متزوج بابنة السلطان المذكور التى أمها الماسكة طيطغلى المتقدم ذكرها وامراته الخاتون ترابك صاحبة المكارم الشهيرة .

ولما أتانى القاضى مسلما على كذا ذكرته قال لى ان الامير قد علم بقدمك وبه بقية مرض يمنعه من الاتيان اليك فركبت مع القاضى الى زيارته وأتينا داره فدخلنا مشورا كبيرا أكثر بيوته خشب ثم دخلنا مشورا صغيرا فيه قبة خشب مزخرفة قد كسيت حيطانها بالملف الملون وسقفها بالحرير المذهب والامير على فرش له من الحرير وقد غطى رجله لما بهما من النقرس وهى علة فاشية فى الترك فسلمت عليه وأجلسنى الى جانبه وقعد القاضى والفقهاء وسألنى عن سلطان المملك محمد أوزبك وعن الخاتون بيلون وعن أبيهما وعن مدينة القسطنطينية فأعلمته بذلك كله ثم أتى بالمواد فيها الطعام من الدجاج المشوية والسكر الكى وافراخ الحمام وخبز معجون بالسمن يسمونه الكليجا والسكر الكى والحلوى ثم أتى بموائد

أخرى فيها الفواكه من الرمان المحبب في أواني الذهب والفضة ومعه ملاعق الذهب وبعضه في أواني الزجاج العراقي ومعه ملاعق الخشب ومن العنب والبطيخ العجيب ومن عوائد هذا الأمير أن يأتي القاضي في كل يوم إلى مشورة فيجلس بمجلس معد له ومعه الفقهاء وكتابه ويجلس في القابلة أحد الأمراء الكبرياء ومعه ثمانية من كبار أمراء الترك وشيوخهم يسمون الأرغجية (بارغوجي) ويتحاكم الناس اليهم فما كان من القضايا الشرعية حكم فيها القاضي وما كان من سواها حكم فيها أولئك الأمراء وأحكامهم مضبوطة عادلة لأنهم لا يهتمون بميل ولا يقبلون رشوة ، ولما عدنا إلى المدرسة بعد الجلوس مع الأمير بحث الدنيا الأرز والدقيق والسمن والابزار واحمال الخطب وتلك البلاد كلها لا يعرف بها الفحم وكذلك الهند وخراسان وبلاد العجم وأما الصين فيوقدون فيها حجارة تشتعل فيها النار كما تشتعل في الفحم ثم إذا صارت رمادا عجنوه بالماء وجففوه بالشمس وطبخوا بها ثانية كذلك حتى يتلاشى

(حكاية ومكرمة لهذا القاضي والأمير)

صليت في بعض أيام الجمع على عادتي بمسجد أبي حفص فقال لي أن الأمير امرلك بخمسة مائة درهم وأمر أن يصنع لك دعوة ينفق فيها خمسمائة درهم أخرى يحضرها المشايخ والفقهاء والوجوه فلما أمر بذلك قلت له أيها الأمير تصنع دعوة يأكل من حضرها لقمة أو لقمتين لو جعلت له جميع المال كان أحسن له للنفع فقال أفعل ذلك وقد أمر لك بالآلاف كاملة ثم بعث الأمير صحبة إمامه شمس الدين السنجري في خريطة يحملها غلامه وصرفها من الذهب المغربي ثلاثمائة دينار وكنت قد اشتريت ذلك اليوم فرسا أدهم اللون بخمسة وثلاثين ديناراً ودرهم وركبته في ذهابي إلى المسجد فما أعطيت ثمنه إلا من تلك الآلاف وتكاثرت عندي الخيل بعد ذلك حتى انتهت إلى عدد لا أذكره خيفة مكذب يكذب به ولم تزل حالي في الزيادة حتى دخلت أرض الهند وكانت عندي خيل كثيرة أسكني كنت أفضل هذا الفرس وأثره وأربطه إمام الخيل وبقى عندي إلى انقضاء ثلاث سنين ولما هلك تغيرت حالي وبعثت إلى الخاتون جيجاً أمراً للقاضي مائة دينار ودرهم وصنعت لي اختها ترابك زوجة الأمير دعوة جمعت لها الفقهاء ووجوه المدينة براويتها التي بنتها وفيها الطعام للوارد والصادر وبعثت إلى بفروسة سمور وفرس جيد وهي من أفضل النساء وأصلحن وأكرمهن جزاها الله خيراً .

(حكاية)

ولما انفصلت من الدعوة التي صنعت لي هذه الخاتون وخرجت عن الزاوية تعرضت

لى بالبواب امرأة عليها ثياب دنسة وعلى رأسها مقنعة ومعها نسوة لا أذكر عددهن فسلمت على فرددت عليها السلام ولم أقف معها ولا التفت اليها فلما خرجت ادركني بعض الناس وقال لى ان المرأة التى سلمت عليك هى الخاتون فجلت عند ذلك وأردت الرجوع اليها فوجدتها قد انصرفت فأبلغت اليها السلام مع بعض خدامها واعتذرت عما كان منى لعدم معرفتي بها .

(ذكر بطيخ خوارزم)

وبطيخ خوارزم لا نظير له فى بلاد الدنيا شرقا ولا غربا إلا ما كان من بطيخ بخارى ويليه بطيخ اصفهان وقشره أخضر وباطنه احمر وهو صادق الحلاوة وفيه صلابة ومن العجائب أنه يقدد ويدبس فى الشمس ويجعل فى القواصر كما يصنع عندنا بالشريحة وبالتين الماقي ويحمل من خوارزم إلى اقصى بلاد الهند والصين وليس فى جميع الفواكه اليابسة أطيب منه وكنت ايام إقامتى بدهلى من بلاد الهند متى قدم المسافرون بعثت من يشتري لى منهم قديد البطيخ وكان ملك الهند إذا أتى اليه بشيء منه بعث لى به لما يعلم من محبتي فيه ومن عادته أنه يطرف الغرباء بفواكه بلادهم ويتفقدهم بذلك .

(حكاية)

كان قد صحبني من مدينة السرى إلى خوارزم شريف من أهل كر بلاه يسمى على بن منصور وكان من التجار فكنت أكلفه أن يشتري لى الثياب وسواها فكان يشتري لى الثوب بعشر دنانير ويقول اشتريته بثمانية ويحاسبني بالثمانية ويدفع الدينارين من ماله وأنا لا علم لى بفعله إلى ان تعرفت ذلك على ألسنة الناس وكان مع ذلك قد أسلفني دنانير فلما وصل إلى احسان أمير خوارزم رددت اليه ما أسلفنييه وأردت أن احسن بعده اليه مكافأة لأفعاله الحسنة فأق ذلك وحلف ان لا تفعل وأردت ان احسن الى قتي كان له اسمه كافور خلف ان لا أفعل وكان أنكرم من لقيته من العراقيين وعزم على السفر معي إلى بلاد الهند ثم ان جماعة من أهل بلده وصلوا إلى خوارزم برسم السفر إلى الصين فأخذ في السفر معهم فقلت له فى ذلك فقال هو لا أهل بلدى يعودون إلى أهلى وأقاربى ويذكرون إلى سافرت إلى الهند برسم السكدية فيكون سببة على لا أفعل ذلك وسافر معهم إلى الصين فبلغنى بعدوا أنا بأرض الهند أنه لما بلغ إلى مدينة الماقي وهى آخر البلاد إلى من عمالة ما وراء النهر وأول بلاد الصين أقام بها وبعث قتي له بما كان عنده من المتاع فأبطأ الفتى عليه وفى أثناء ذلك وصل من بلده بعض التجار ونزل معه فى فندق واحد فطلب منه الشريف ان يسلمه شيئا بخلاف ما يصل فتاه فلم يفعل ثم أكد قبح ما صنع فى عدم التوسعة على الشريف بأن أراد الزيادة عليه فى المسكن

الذى كان له فى الفندق فبلغ ذلك الشريف فاعتم منه ودخل إلى بيته فذبح نفسه فأدرك وبه رمق واتهموا غلاما كان له بقتله فقال لا تطلبوه فأتى أنا ففعلت ذلك ومات من يومه غفر الله له .

وكان قد حكى لى عن نفسه أنه أخذ مرة من بعض تجار دمشق ستة آلاف درهم قراضا فلقية ذلك التاجر بمدينة حماة من أرض الشام فطلبه بالمال وكان قد باع ما اشترى به من المتاع بالدين فاستحيا من صاحب المال ودخل إلى بيته وربط عمامته بسقف البيت وأراد أن يخنق نفسه وكان فى أجله تأخير فيذكر صاحبها له من الصيارفة فقصده وذكر له القضية فسلفه مالا دفعه للتاجر، ولما أردت السفر من خوارزم اكتريت جمالا واشترت محارة وكان عدلى بها عفيف الدين التوزرى وركب الخدام بعض الخيل وجللنا باقيةا لأجل البرد ودخلنا البرية التى بين خوارزم وبخارى وهى مسيرة ثمانية عشر يوما فى رمال لا عمارة بها إلا بلدة واحدة فودعت الأمير قتلود مور وخلع على خلعة وخلع على القاضى أخرى وخرج مع الفقهاء لوداعى وسرنا أربعة أيام وصلنا إلى مدينة السكات وليس بهذه الطريق عمارة سواها (وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون اللام وآخره تاء مثناة) وهى صغيرة حسنة نزلنا خارجها على بركة ماء قد جمعت من البرد فكان الصينيان يلعبون فوقها ويزلقون عليها وسمع بقديوى قاضى السكات ويسعى صدر الشريعة وكنت قد لقيته بدار قاضى خوارزم فجهاء إلى مسلماتنا مع الطلبة وشيخ المدينة الصالح العابد محمود الخيوى ثم عرض على القاضى الوصول إلى أمير تلك المدينة فقال له الشيخ محمود القادم يذهبى له أن يزار وإن كانت لناهمة نذهب إلى أمير المدينة ونأتى به ففعلوا ذلك رأتى الأمير بعد ساعة فى أصحابه وخدامه فسلمنا عليه وكان غرضنا تعجيل السفر فطلب منا الإقامة وصنع دعوة جمع لها الفقهاء ووجوه السالكين وسواهم ووقف الشعراء بمدحونه وأعطانى كسوة وقرسا جيدا وسرنا على الطريق المعروفة بسببية وفى تلك الصحراء مسيرة ست دون ماء

ووصلنا بعد ذلك إلى بلدة وبكشة (وضبط اسمها بفتح الواو وإسكان الباء الموحدة وكاف ونون) وهى على مسيرة يوم واحد من بخارى بلدة حسنة ذات أنهار وبساتين وهم يدخلون العنب من سنة إلى سنة وعندهم فاكهة يسمونها العلو (الآلو) بالعين المهملة وتشديد اللام فيبسونه ويجلبه الناس إلى الهند والصين ويجعل عليه الماء ويشرب ماؤه وهو أيام كونه أخضر حلو فاذا يابس صار فيه يسير حموضة ولحيته كثيرة ولم أر مثله بالاندلس ولا بالمغرب ولا بالشام .

ثم سرنا فى بساتين متصلة وأنهار وأشجار وعمارة يوما كاملا ووصلنا إلى مدينة

بخارى التى ينسب اليها امام المحدثين ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى وهذه المدينة كانت قاعدة ماوراء نهر جيحون من البلاد وخر بها اللعين تنكيز التترى جدملوك العراق فساجدها الآن ومدارسها وأسواقها خربة إلا القليل وأهلها أذلاء وشهادتهم لا تقبل بخوارزم وغيرها لاشتغالهم بالتعصب ودعوى الباطل وإنكار الحق وليس بها اليوم من الناس من يعلم شيئاً من العلم ولا من له عناية به.

(ذكر أولية التتر وتغريبهم بخارى وسواها)

كان تنكيز خان حداداً بأرض الخطا وكان له كرم نفس وقوة وبسطة فى الجسم وكان يجمع الناس ويطعمهم ثم صارت له جماعة فقدموه على أنفسهم وغلب على بلده وقوى واشتدت شوكته واستفحل أمره فغلب على مالك الخطا ثم على ملك الصين وعظمت جيوشه وتغلب على بلاد الختن وكاشغر والمالاق وكان جلال الدين سنجر بن خوارزم شاه ملك خوارزم وخراسان وما وراء النهر له قوة عظيمة وشوكة فها به تنكيز وأحجم عنه ولم يتعرض له فاتفق أن بعث تنكيز تجاراً بأمثلة الصين والخطا من الثياب الحريرية وسواها إلى بلدة اطرار (بضم الهمزة) وهى آخر عمالة جلال الدين فبعث اليه عامله عليها معلماً بذلك واستأذنه ما يفعل فى أمرهم فسكتب اليه يأمره أن يأخذ أموالهم ويمثل بهم ويقطع أعضائهم ويردهم إلى بلادهم لما أراد الله تعالى من شقاء أهل بلاد المشرق ومحنهم رأياً قاتلاً وقد برأسيتاً مشتهراً فلما فعل ذلك تجهز تنكيز بنفسه فى عساكر لاتحصى كثرة برسم غزو بلاد الاسلام فلما سمع عامل اطرار بحركته بعث الجواسيس ليأتوه بخبره فذكر أن احدهم دخل محلة بعض امراء تنكيز فى صورة سائل فلم يجد من يطعمه ونزل إلى جانب رجل منهم فلم ير عنده زاداً ولا أطعمة شيئاً فلما أمسى اخرج مصراناً يابسة عنده فبذلها بالماء وفصد فرسه وملاها بدمه وعقدتها وشواها بالنار فكانت طعامه فعاد إلى اطرار فأخبر عاملها بأمرهم وأعلمه أن لاطاقة لأحد بقتالهم فاستمد مليكة جلال الدين فأمدته بستين ألفاً زيادة على من كان عنده من العساكر فلما وقع القتال هزمهم تنكيز ودخل مدينة اطرار بالسيوف فقتل الرجال وسبى الذرارى وأتى جلال الدين بنفسه لمحاربه فكانت بينهم وقائع لا يعلم فى الاسلام مثلاً وآل الأمر إلى أن تملك تنكيز ماوراء النهر وخراب بخارى وسمرقند وترمد وعبر النهر وهونر جيحون إلى مدينة بلخ فتملكها ثم إلى الياميان (الباميان) فتملكها وأوغل فى بلاد خراسان وعراق العجم فثار عليه المسلمون فى بلخ وفى ماوراء النهر فسكر عليهم ودخل بلخ بالسيوف وتركها خاوية على عروشها .

ثم فعل مثل ذلك فى ترمد فخربت ولم تعمر بعد لسكنها بنيت مدينة على ميلين منها

هى التى تسمى اليوم ترمذ وقتل اهل اليا ميان (الباميان) وهدمها بأسرها إلا صومعة
جامعها وعفا عن أهل بخارى وسمرقند ثم عاد بعد ذلك إلى العراق وانتهى أمر التتر
حتى دخلوا حضرة الاسلام ودار الخلافة بغداد بالسيف وذبحوا الخليفة المستعصم بالله
العباسى رحمه الله .

(قال ابن جزى) أخبرنا شيخنا قاضى القضاة أبو البركات بن الحاج أعزه الله قال
سمعت الخطيب أبا عبد الله بن رشيد يقول لقيت بمكة نور الدين بن الزجاج من علماء العراق
ومعه ابن أخ له فتفاوضنا الحديث فقال لى هلك فى فتنة التتر بالعراق أربعة وعشرون
الفرجل من أهل العلم ولم يبق منهم غيرى وغير ذلك وأشار إلى ابن أخيه .

(رجع) قال ووزلنا من بخارى برضا المعروف بفتح باد حيث قبر الشيخ العالم العابد
الزاهد سيف الدين الباخرزى وكان من كبار الأولياء وهذه الزاوية المنسوبة لهذا الشيخ
حيث نزلنا عظيمة لها أوقاف ضخمة يطعم منها الوارد والصادر وشيخها من ذريته وهو
الحاج السياف يحيى الباخرزى وأضافنى هذا الشيخ بداره وجمع وجوه أهل المدينة وقرأ
القراء بالأصوات الحسان ووعظ الواعظ وغنوا بالتركى والفارسى على طريقة حسنة
ومرت لنا هنالك ليلة بدية من أعجب الليالى ولقيت بها الفقيه العالم الفاضل صدر الشريعة
وكان قد قدم من هرة وهو من الصالحاء الفضلاء وزرت ببخارى قبر قبر الإمام العالم أبى
عبد الله البخارى مصنف الجامع الصحيح شيخ المسلمين رضى الله عنه وعليه مكتوب هذا قبر
محمد بن اسماعيل البخارى وقد صنف من الكتب كذا وكذا وأيضاً على قبره علماء بخارى
أسماءهم وأسماء تصانيفهم وكنت قنيت من ذلك كثيراً ووضعت فى جملة ما ضاع لى الماسكين
كفار الهند فى البحر .

ثم سافرنا من بخارى قاصدين معسكر السلطان الصالح المعظم علاء الدين طر مشيرين
وسنذكره فمررنا على نخشب البلدة التى ينسب إليها الشيخ أبو تراب النخشبى وهى صغيرة
تحف بها الدساتين والمياه فنزلنا بخارجها بدار لأميرها وعندى جارية قد قاربت الولادة
وكنت أردت حملها إلى سمرقند لتلد بها فاتفق أنها كانت فى الحمل فوضع الحمل على
الجل وسافر أصحابنا من الليل وهى معهم والزاد وغيره من أسباني وأقت أنا حتى ارتحل
نهاراً مع بعض من معى فسلكوا طريقاً وسلكت طريقاً سواها فوصلنا عشية النهار إلى
محلة السلطان المذكور وقد جعلنا فنزلنا على بعد من السوق واشترى بعض أصحابنا ماسد
جوعتنا وأعار بعض التجار خيماً بئنا به تلك الليلة ومضى أصحابنا من الغد فى البحث
عن الجمال وباقى الأصحاب فوجدوهم عشياً وجاؤوا بهم وكان السلطان غائباً عن المحلة

في الصيد فاجتمعت بنائمه الأمير تقبغا فأزلى بقرب مسجده وأعطاني خرقة (خر كاه) وهي شبه الخباء وقد ذكرنا صفتها فيما تقدم فجعلت الجارية في تلك الخرقة فولدت تلك الليلة مولوداً وأخبروني أنه ولد ذكر ولم يكن كذلك فلما كان بعد العقيقة أخبرني بعض الأصحاب أن المولود بنت فاستحضرت الجوارى فسألتهن فأخبروني بذلك وكانت هذه البنت مولودة في طالع سعد فأيت كل ما يسرنى ويرضينى منذ ولدت وتوفيت بعد وصولي إلى الهند بشهرين وسينذكر ذلك واجتمعت بهذه المحلة بالشيخ الفقيه العابد مولانا حسام الدين الياغى (بالياء آخر الحروف والغين المعجمة) ومعناه بالتركية الثائر وهو من أهل أطار وبالشيوخ صهر السلطان .

(ذكر سلطان ماوراء النهر)

وهو السلطان المعظم علاء الدين طر مشيرين (وضبط اسمه بفتح الطاء المهمل وسكون الراء وفتح الميم وكسر الشين المعجم وياء مد وراء مكسور وياء مدثانية ونون) وهو عظيم المقدار كثير الجيوش والعساكر ضخم الممنكة شديد القوة عادل الحكم وبلاده متوسطة بين أربعة من ملوك الدنيا السكبار وهم ملك الصين وملك الهند وملك العراق والملك أوزبك وكلهم بها دونه ويعظمونه ويكرمونونه وولى الملك بعد أخيه الجسكطى (وضبط اسمه بفتح الجيم المعقودة له الكاف والطاء المهمل وسكون الياء) وكان الجسكطى هذا كافراً وولى بعد أخيه الأكبر كبك وكان كبك هذا كافراً أيضاً لكنه كان عادلاً الحكم منصفاً للظالمين يكرم المسلمين ويعظمهم .

(حكاية)

يذكر أن هذا الملك كبك كان تكلم يوماً مع الفقيه الواعظ المذكور بدر الدين الميداني فقال له أنت تقول إن الله ذكر كل شيء في كتابه العزيز قال نعم فقال أين اسمى فيه فقال هو في قوله تعالى في أى صورة ما شاء ركبك فأعجبه ذلك وقال يخشى ومعناه بالتركية جيد فأكرمه إكراماً كثيراً وزاد في تعظيم المسلمين .

(حكاية)

ومن أحكام كبك ما ذكر أن امرأة شكت له بأحد الأمراء وذكرت أنها فقيرة ذات أولاد وكان لها ابن تقوهم بشمته فاغتصبه ذلك الأمير وشر به فقال لها أنا أوسطه فان خرج اللبن من بوقه مضى لسبيله وإلا وسطتك بعده فقالت المرأة قد حلت له ولا طلبه بشيء فأمر به فوسطه فخرج اللبن من بطنه ولعن ذلك السلطان طر مشيرين ولما أقمت بالمحلة وهم يسمونها الارديا ما ذهبت يوماً للصلاة الصبح بالمسجد على عادتي فلما صليت ذكر لي بعض الناس أن السلطان بالمسجد فلما قام عن الصلاة تقدمت للسلام عليه وقام الشيخ

حسن والفقيه حسام الدين الباغى واعلمه بحالى وقدومى منذ ايام فقال لى بالتركية
 خش ميسن يبخشى ميسن قطالوا يوسن ومعنى خش ميسن فى عافية أنت ومعنى يبخش
 ميسن جيد أنت ومعنى قطالوا يوسن مبارك قدومك وكان عليه فى ذلك الحين قباقدسى
 اخضر وعلى رأسه شاشية مثله ثم انصرف إلى مجلسه راجلا والناس يتعرضون له
 بالشكايات فيقف اسكل مشتك منهم صغيراً أو كبيراً ذكرأ أو أنثى ثم بعث عنى فوصلت
 اليه وهو فى خرقة والناس خارجها ميمنة وميسرة والأمراء منهم على السكراسى وأصحابهم
 وقوف على رؤوسهم وبين أيديهم وسائر الجند قد جاسوا صفوفا وأمام كل واحد منهم
 سلاحه وهم أهل النوبة يقعدون هنالك إلى العصر ويأتى آخرون فيقعدون إلى آخر الليل
 وقد صنعت هنالك سقائف من ثياب القطن يكونون بها ولما دخلت إلى الملك بداخل الخرقة
 وجدته جالسا على كرسى شبه المنبر مكسوا بالحرير المزركش بالذهب ودخل الخرقة
 ملبس بثياب الحرير المذهب والتاج المرصع بالجواهر والياوقيت معلق فوق رأس السلطان
 بينه وبين رأسه قدر ذراع والأمراء السكبار على السكراسى عن يمينه ويساره وأولاد
 الملوك بأيديهم المذاب بين يديه وغند باب الخرقة النائب والوزير والحاجب وصاحب
 العلامة وهم يسمون آل طمغنى وآل (بفتح الطمغنة) معناه الأحمر وطمغنى (بفتح الطاء المهمل
 وسكون الميم والغين المعجم المفتوح) ومعناه العلامة وقام إلى أربعتهم حين دخولى
 ودخلوا معى فسلمت عليه وسألتنى وصاحب العلامة يترجم بينى وبينه عن مكرو والمدينة
 والقدس شرفها الله وعن مدينة الخليل عليه السلام وعن دمشق ومصر والملك الناصر وعن
 العراقين وملسكهما وبلاد الأعاجم ثم أذن المؤذن بالظهر فانصرفنا وكنا نحضر معه الصلوات
 وذلك أيام البرد الشديد المهمل فكان لا يترك صلاة الصبح والعشاء فى الجماعة ويقعد للذكر
 بالتركية بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ويأتى اليه كل من فى المسجد فيصالحه ويشد
 بيده على يده وكذلك يفعلون فى صلاة العصر وكان إذا أوتى بهدية من زبيب أو تمر
 والتعمر عن يز عندهم وهم يتبركون به يعطى منها بيده اسكل من فى المسجد (حكاية)

ومن فضائل هذا الملك انه حضرت صلاة العصر يوما ولم يحضر السلطان فجاء احد فتياه
 بسجادة ووضعها قبالة الحراب حيث جرت عادته ان يصلى وقال للامام حسام الدين الباغى
 ان مولانا يريد ان تنتظره بالصلاة قليلا ريثما يتوضأ فقام الامام المذكور وقال نماز ومعناه
 الصلاة برأى حداو برأى طر مشيرين اى الصلاة لله او طر مشيرين ثم امر المؤذن باقامة
 الصلاة وقد جاء السلطان وقد صلى منها ركعتان فصلى الركعتين الاخيرتين حيث انتهى به القيام
 وذلك فى الموضع الذى تسكون فيه انعلة الناس عند باب المسجد وقضى ما فاتهم وقام إلى الامام

ليصاحفه وهو يضحك وجلس قبالة المحراب والشيخ الإمام إلى جانبه وأنا إلى جانب الإمام فقال لي إذا مشيت إلى بلادك تحدث أن فقيرا من فقراء الاعاجم يفعل هكذا مع سلطان الترك وكان هذا الشيخ يعظ الناس في كل جمعة ويأمر السلطان بالمعروف وينهاه عن المنكر وعن الظالم ويغاض عليه القول والسلطان ينصت لسكلامه ويبيكي وكان لا يقبل من عطاء السلطان شيئا ولم يأكل قط من طعامه ولا لبس من ثيابه وكان هذا الشيخ من عباد الله الصالحين وكنت كثيرا ما أرى عليه قباء قطن مبطن بالقطن مخشوبه وقد بلى وتمرق وعلى رأسه قلنسوة ليد يساوى مثلها قيراطا ولا عمامة عليه فقلت له في بعض الايام ياسيدي ما هذا القباء الذي أنت لا لبسه أنه ليس بجيد فقال لي يا ولدي ليس هذا القباء لي وإنما هو لا بنتي فرغبت منه أن يأخذ بعض ثيابي فقال لي عاهدت الله منذ خمسين سنة أن لا أقبل من أحد شيئا ولو كنت أقبل من أحد لقبلت منك ولما عزمت على السفر بعد مقامي عندها السلطان أربعة وخمسين يوما أعطاني السلطان سبعة مائة دينار دراهم وفروة سمور تساوي مائة دينار طلبتها منه لأجل البرد ولما ذكرتها له أخذ أكامي وجعل يقبلها بيده تواضعا منه وفصلا وحسن خلاق واعطاني فرسين وجمالين ولما اردت وداعه ادركته في أثناء طريقه الى متصيده وكان اليوم شديد البرد جدا فوالله ما قدرت على أن أنطق بكلمة لشدة البرد ففهم ذلك وضحك وأعطاني يده وانصرفت وبعد سنتين من وصولي إلى أرض الهند بلغنا الخبر بأن الملأ من قومه وأمرائه اجتمعوا بأقصى بلاده المجاورة للصين وهنا لك معظم عساكره وبايعوا ابن عم له اسمه بوزن أغلي وكل من كان من أبناء الملوك فهم يسمونه أغلي (بضم الهمزة وسكون العين المعجمة وكسر اللام) وبوزن (بضم الاء الموحدة وضم الزاي) وكان مسلما إلا أنه فاسد الدين سيء السيرة وسبب لم بيعتهم له وخلصهم لطمشيين ان ظر مشيرين خالف احكام جدتهم تنكيز اللعين الذي خرب بلاد الاسلام وقد تقدم ذكره وكان تنكيز ألف كتابا في أحكامه يسمى عندهم اليساق (بفتح الياء آخر الحروف والسين المهملة وآخره قاف) وعندهم أنه من خالف أحكام هذا الكتاب نخلعه واجب ومن جملة أحكامه أنهم يجتمعون يوما في السنة يسمونه الطوى ومعناه يوم الضيافة يأتي أولاد تنكيز والأمرام من أطراف البلاد ويحضر الخواتين وكبار الاجناد وإن كان سلطانهم قد غير شيئا من تلك الاحكام يقوم اليه كباراؤهم فيقولون له عيرت كذا وغيرت كذا وفعلت كذا وقد وجب خلعتك ويأخذون بيده ويقيمونه عن سرير الملك ويقعدون غيره من أبناء تنكيز وإن كان أحد الأمراء السكار أذن في

(١٦ - رحلة - أول)

بلاده حكموا عليه بما يستحقه وكان السلطان طرمشيرين قد أبطل بكم هذا اليوم ومحا
 رسمه فأنكروه عليه أشد الانكار وأنكروا عليه أيضا كونه أقام أربع سنين فيما يلي
 خراسان من بلاده ولم يصل إلى الجبهة التي توالى الصين والعادة أن الملك يقصد تلك
 الجبهة في كل سنة فيختبر أحوالها وحال الجند بها لأن أصل ماسكهم منها ودار الملك هي
 مدينة المالح فلما بايعوا بوزن أتى في عسكر عظيم وخاف طرمشيرين على نفسه من
 امرائه ولم يأمنهم فركب في خمسة عشر فارسا يريد بلاد دغزنة وهي من عمالته واليها
 كبيرا امرائه وصاحب سره برنطيه وهذا الأمير محب في الاسلام والمسلمين قد عمر في
 عمالته نحو أربعين زاوية فيها الطعام للوارد والصادر وتحت يده العساكر العظيمة ولم أر
 قط فيمن رأيت من الآدميين بجميع بلاد الدنيا أعظم خلقة منه فلما عبر نهر جيحون
 وقصد طريق بلخ رآه بعض الأتراك من أصحاب يئق ابن أخيه كيك وكان السلطان
 طرمشيرين المذكور قتل أخاه كيك المذكور وبقى ابنه يئق يبلخ فلما أعلمه التركي بخبره
 قال ما فر إلا لأمر حدث عليه فركب في أصحابه وقبض عليه وسجنه ووصل بوزن إلى سمرقند
 وبخارى فبايعه الناس وجاءه يئق بطرمشيرين فيذكر أنه لما وصل إلى نسف بخارج
 سمرقند قتل هنالك ودفن بها وخدم تربته الشيخ شمس الدين كردن بريدا وقيل أنه لم
 يقتل كما سئد كره وكردون (بكاف معقودة وراء مسكن ودال مهممل مفتوح ونون)
 ومعناه العنق وبريدا (بضم الباء الموحدة وكسر الراء وياء مد ودال مهممل) معناه
 المقطوع ويسمى بذلك لضربة كانت في عنقه وقد رأيت بأرض الهند ويقع ذكره فيما بعد
 ولما ملك بوزن هرب ابن السلطان طرمشيرين وهو بشاي أغل (أغل) وأخته وزوجها
 فيروز إلى ملك الهند فحظهم وانظم منزلة عليية بسبب ما كان بينه وبين طرمشيرين
 من الود والمسكينة والمهاداة وكان يخاطبه بالآخ ثم بعد ذلك أتى رجل من أرض
 السند وادعى أنه هو طرمشيرين واختلف الناس فيه فسمع بذلك عماد الملك سرتيز
 غلام ملك الهند وإلى بلاد السند ويسمى ملك عرض وهو الذي تعرض بين يديه
 عساكر الهند واليه أمرها ومقره بملتان قاعدة السند فبعث إليه بعض الأتراك العارفين
 به فعادوا إليه وأخبروه أنه هو طرمشيرين حقا فأمروه بالسراجة وهي أفران فضرِب خارج
 المدينة ورتب له ما يرتب لملته وخرج لاستقباله وترجل له وسلم عليه وأتى في خدمته إلى
 السراجة فدخلها راكبا كعادة الملوك ولم يشك احد أنه هو وبعث إلى ملك الهند يخبره
 فبعث إليه الأمراء يستقبلونه بالاضيفات وكان في خدمة ملك الهند حكيم من خدم طرمشيرين

فما تقدم وهوى كبير الحكاء بالهند فقال الملك أنا أترجيه إليه وأعرف حقيقة أمره فأتى
كثت عاجلت له دملًا تحت ركبته وبقي أثره وبه أعرفه فأتى إليه ذلك الحكيم واستقبله
مع الأمراء ودخل عليه ولازمه لسابقته عنده وأخذ يغمز رجليه وكشف عن الأثر
فشتمه وقال له تريد أن تنظر إلى الدم الذي عاجلته هاهوذا واروه أثره فتحقق أنه هو
وعاد إلى ملك الهند فأعلمه بذلك ثم إن الوزير خواجه جهان احمد بن اياس وكبير الأمراء
قطلو خان معلم السلطان أيام صغره دخلا على ملك الهند وقالاه يا خوند عالم هذا السلطان
طر مشيرين قد وصل وصح أنه هو وهاهنا من قومه نحو اربعين الفا وولده وصورة
اريت إن اجتمعوا عليهم ما يكون من العمل فوقع هذا الكلام بموقع منه عظيم وامر ان يؤتى
بطر مشيرين معجلا فلما دخل عليه امر بالخدمة كسائر الواردين ولم يعظم وقال له السلطان
بأما دركائي وهى شتمة قبيحة كيف تكذب وتقول انك طر مشيرين وطر مشيرين قد قتل
وهذا خادم تربته عندنا والله لولا المعرفة لقتلتك ولكن اعطوه خمسة آلاف دينار
واذهبوا به الى دار بشاي اغلى واخته ولدى طر مشيرين وقولوا لهم ان هذا السكاذب
يزعم انه والدكم فدخل عليهم فعر فوه وبات عندهم والحراس يحرسونه واخرج بالعد
وخافوا ان يهاكروا بسببه فانكروه

ونفى عن بلاد الهند والسند فسلك طريق كنج ومكران وأهل البلاد يكرمونه
ويضيفونه ويهادونه ووصل الى شيراز فأكرمه سلطانها أبو اسحق وأجرى له كفايته
ولما دخلت عند وصولي من الهند الى مدينة شيراز ذكر لي أنه باقى بها وأردت لقائه ولم
أفعل لأنه كان فى دار لا يدخل إليه أحد إلا بأذن من السلطان أبى إسحق فخدمت مما يتوقع
بسبب ذلك ثم ندمت على عدم لقائه .

(رجع الحديث إلى بوزن) وذلك أنه لما ملك ضيق على المسلمين وظلم الرعية وأباح
للنصارى واليهود عمارة كنائسهم فضج المسلمون من ذلك وتربصوا به الدوائر واتصل
خبره بخليل ابن السلطان اليسور المزموم على خراسان فقصد ملك هراة وهو السلطان
حسين ابن السلطان غياث الدين الغورى فأعلمه بما كان فى نفسه وسأل منه الاعانة بالعساكر
والمال على أن يشا طره الملك إذا استقام فبعث معه الملك حسين معسكرا عظيما وبين هراة
وترمز تسعة أيام فلما سمع أمراء السلطان بقدوم خليل تلقوه بالسمع والطاعة والرقبة
فى جهاد العدو كان أول قادم عليه علاء الملك خداوند زاده صاحب ترمذ وهو أمير
كبير شريف حسنى النسب فأثناء فى أربعة آلاف من المسلمين فسربه وولاه وزارته
وفوض اليه امره وكان من الابطال وجاء الأمراء من كل ناحية واجتمعوا على خليل

والثقي مع بوزن فمالت العساكر إلى خليل وأسلموا بوزن وأتوا به أسيراً فقتله خنقاً وباو تار
القسي وتلك عادة لهم أنهم لا يقتلون من كان من أبناء الملوك إلا خنقاً واستقام الملك لخليل
وعرض عساكره بسمرقند فكانوا ثمانين ألفاً عليهم وعلى خيلهم الدروع فصرف العسكر
الذي جاء به من هراة وقصد بلاد المااق فقدم التتر على أنفسهم واحدا منهم والقوه على
مسيرة ثلاث من المااق بمقربة من اطراز (طراز) وسمى القتال وصبر الفريقان فعمل
الأمير خداوندزاده وزيره في عشرين ألفاً من المسلمين حملة لم يثبت لها التتر فانهزموا
واشتد فيهم القتل وأقام خليل بالمااق ثلاثاً وخرج إلى استئصال من بقي من التتر فاذعنوا
له بالطاعة وجاز إلى تخوم الخطا والصين وفتح مدينة قرقرم ومدينة بش بالغ وبعث إليه
سلطان الخطا بالعساكر ثم وقع بينهما الصلح وعظم أمر خليل وهايته الملوك وأظهر العدل
ورتب العساكر بالمااق وترك بها وزيره خداوندزاده وانصرف إلى سمرقند بخاري ثم
أن التتر أرادوا الفتنة فسمعوا إلى خليل بوزيره المذكور وعزموا أنه يريد الثورة ويقول
أنه أحق بالملك لقرابته من النبي صلى الله عليه وسلم وكرمه وشجاعته فبعث واليا إلى المااق
عوضاً عنه وأمره أن يقدم عليه نفر يسير من أصحابه فلما قدم عليه قتله عند وصوله
من غير تثبت فكان ذلك سبب خراب مملكة وكان خليل لما عظم أمره بغى على صاحب
هراة الذي أورثه الملك وجهزه بالعساكر والمال فكتب إليه أن يخطب في بلاده باسمه
ويضرب الدنانير والدرهم على سكته فعاظ ذلك الملك حسينا وأنف منه وأجابه بأقبح
جواب فتجزئ خليل لقتاله فلم توافقه عساكر الإسلام وزاوه باغيا عليه وبلغ خبره إلى
الملك حسين فجهز العساكر مع ابن عمه ملك ورناء والتقى الجمعان فانهزم خليل وأتى به
إلى الملك حسين أسيراً فمن عليه بالبقاء وجعله في دار واعطاء جارية وأجرى عليه النفقة
وعلى هذا الحال تركته عنده في أواخر سنة سبع وأربعين عند خروجه من الهند وانهزم
إلى ما كنا بسبيله () ولما ودعت السلطان طر مشيرين سافرت إلى مدينة سمرقند وهي من
أكبر المدن واحسنها واتمها جمالا مبنية على شاطئ وادي يعرف بوادي القصارين عليه
النواعير تسقي البساتين وعنده يجتمع أهل البلد بعد صلاة العصر للنزهة والتفرج ولهم
عليه مساطب ومجالس يقعدون عليها ودكاكين تباع بها الفاكهة وسائر المأكولات وكانت
على شاطئه قصور عظيمة وعمارة تنبئ عن علوهم أهلها فذكر ذلك وكذلك
المدينة خرب كثير منها ولا سور لها ولا أبواب عليها وفي داخلها البساتين وأهل سمرقند
لهم مكارم أخلاق ومحبة في الغريب وهم خير من أهل بخاري وبخارج سمرقند قبر قثم بن

العباس بن عبدالمطلب رضى الله عن العباس وعن ابنه وهو المستشهد حين فتحها ويخرج أهل سمرقند كل ليلة اثنين وجمعة إلى زيارته والنثر يأتون لزيارته وينذرون له التذوير العظيمة ويأتون إليه بالبقر والغنم والدرهم والدنانير فيصرف ذلك في النفقة على الوارد والصادر ولخدام الزاوية والقبر المبارك وعليه قبة قائمة على أربع أرجل ومع كل رجل ساريتان من الرخام منها الأخضر والسود والبيض والجر وحيطان القبة بالرخام المجزع المنقوش بالذهب وسقفها مصنوع بالرصاص وعلى القبر خشب الابنوس المرصع مكسو الأركان بالفضة وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة وفرش القبة بالصفوف والقطن وخارجها نهر كبير يشق الزاوية التي هنالك على حافتيه الأشجار ودالي العنب والياحمين بالزاوية مساكن يسكنها الوارد والصادر ولم يغير أيام التبرأ أيام كفرهم شيئاً من حال هذا الموضع المبارك كانوا يتبركون به لما يرون له من الآيات وكان الناظر في كل حال من هذا الضريح المبارك وما يليه حين نزولنا به الأمير غياث الدين محمد بن عبد القادر بن عبدالعزيز بن يوسف بن الخليفة المستنصر بالله العباسي قدمه لذلك السلطان طر مشين بن لما قدم عليه من العراق وهو الآن عند ملك الهند وسمي أتى ذكره ولقيت بسمرقند قاضيها المسعى عندهم صدر الجمان وهو من الفضلاء ذوى المسكارم وسافر إلى بلاد الهند بعد سفرى إليها فأدر كته مدينته بمدينة ملتان قاعدة بلاد الهند .

(حكاية)

لما مات هذا القاضي بملتان كتب صاحب الخبر بأمره إلى ملك الهند وأنه قد يرسم بابه فاخترم دون ذلك فلما بلغ الخبر إلى الملك أمر أن يبعث إلى أولاده عدد من آلاف الدنانير لا ذكره الآن وأمر أن يعطى لأصحابه ما كان يعطى لهم لو وصلوا معه وهو بقيد الحياة وللملك الهند في كل بلد من بلاده صاحب الخبر يكتب له بكل ما يجرى في ذلك البلد من الأمور ومعن يرد عليه من الواردين وإذا أتى الوارد كتبوا من أى البلاد وردوا كتبوا اسمه ونعته وثبأ به وأصحابه وخيله وخدامه وهيئته من الجلوس والمأكل وجميع شؤونه وتصرفاته وما يظهر أمنه من فضيلة أو ضدها فلا يصل الوارد إلى الملك إلا وهو عارف بجميع حاله فتكون كرامته على مقداره ما يستحقه وسافرنا من سمرقند فاجترنا ببلدة نسف ولما إليها ينسب أبو حفص عمر النسفي مؤلف كتاب المظومة في المسائل الخلافية بين الفقهاء الأربعة رضى الله عنهم ثم وصلنا إلى مدينة ترمذ التي ينسب إليها الامام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى مؤلف الجامع الكبير في السنن وهى مدينة كبيرة حسنة العمارة والأسواق تختزن فيها الأنهار وبها البساتين السكينة والعنب والسفرجل بها متناهى الطيب

والماحوم بها كثيرة وكذلك الألبان وأهلها يغسلون رؤسهم في الحمام باللبن عوضاً عن
الطفل ويكون عند كل صاحب حمام أوعية كبار مملوءة لبناً فإذا دخل الرجل الحمام أخذ منها
في إناء صغير فغسل رأسه وهو يرطب الشعر ويصقله وأهل الهند يجملون في رؤسهم زيت
السسم ويسمون الشيراج ويغسلون الشعر بعده بالطفل فينعم الجسم ويصقل الشعر
ويطيله وبذلك طالت لدى أهل الهند ومن سكن معهم وكانت مدينة ترمذ القديمة مبنية على
شاطيء جيحون فلما خربها تنكيز بنيت هذه المدينة على ميلين من النهر وكان نزولنا
بها بزوية الشيخ الصالح عزيزان من كبار المشايخ وكرماتهم كثير المال والرباع والبساتين
يتفق على الوارد والصادر من ماله واجتمعت قبل وصولي إلى هذه المدينة بصاحبها علاء
الملك خدواند زاده وكتب لي إليها بالاضيافة فكانت تحمل إلينا أيام مقامنا بها في كل يوم
ولقيت أيضاً قاضياً قوام الدين وهو متوجه لرؤية السلطان طر مشيرين وطالب الإذن
له في السفر إلى بلاد الهند وسياقته ذكر لقائى له بعد ذلك ولأخويه ضياء الدين وبرهان
الدين بملتان وسفرنا جميعاً إلى الهند وذكر أخويه الآخرين عماد الدين وسيف الدين
ولقائى لهما بحضرة ملك الهند وذكر ولديه وقدمهما على ملك الهند بعد قتل أبيهما
وتزويجهما بنتى الوزير خواجه جهان وما جرى في ذلك كله إن شاء الله تعالى ثم أجزنا
نهر جيحون إلى بلاد خراسان وسرنا بعد انصرافنا من ترمذ واجازة الوادى يوماً
ونصف يوم في صحراء ورمال لا عمارة بها إلى مدينة بلخ وهى خاوية على عرشها غير
عامرة ومن زناظرها عمارة لا تقان بنائها وكانت ضخمة فسيحة ومساجدها ومدارسها
باقية الرسوم حتى الآن ونقوش مبانيها مدخلة باصبعه اللازورد والناس ينسبون اللازورد
إلى خراسان وإنما يجلب من جبال بدخشان التى ينسب إليها الياقوت البدخشى والعامرة
يقولون البادخش وسياقته ذكرها إن شاء الله تعالى وخرب هذه المدينة تنكيز اللعين
وهدم من مسجدنا نحو الثالث بسبب كثرة ذكره أنه تحت سارية من سواريه وهو من
أحسن مساجد الدنيا وأفصحها ومسجد رباط الفتح بالمغرب يشبهه في عظم سواريه
ومسجد بلخ أجمل منه في سوى ذلك

(حكاية)

ذكر لي بعض أهل التاريخ أن مسجد بلخ بنته امرأة كان زوجها أميراً ببلخ لبني العباس
يسعى داود بن علي فاتفق أن الخليفة غضب مرة على أهل بلخ لحادث أحدثوه فبعث إليهم
من يفرهم مغرمًا فاذحاً فلما بلغ إلى بلخ أتى نسائها وصديقاتها إلى تلك المرأة التي بنيت
المسجد وهى زوج أميرهم وشكوا حالهم وما لحقهم من هذا المغرم فبعثت إلى الأمير الذى

قدم برسم تغريمهم بثوب لها مرصع بالجواهر قيمته أكثر مما أمر بتغريمه فقالت له اذهب بهذا الثوب إلى الخليفة فقد أعطيته صدقة عن أهل بلخ لضعف حالهم فذهب به إلى الخليفة وإلى الثوب بين يديه وقص عليه القصة فحجل الخليفة وقال أتكون المرأة أكرم منا وأمره برفع المغرم عن أهل بلخ وبالعودة إليها ليرد المرأة ثوبها وأسقط عن أهل بلخ خراج سنة فعاد الأمير إلى بلخ وأتى منزل المرأة وقص عليها مقالة الخليفة ورد عليها الثوب فقالت له أوقع بصر الخليفة على هذا الثوب قال نعم قالت لا ألبس ثوبا وقع عليه بصر غير ذى محرم منى وأمرت ببيعته فبني منه المسجد والزاوية ورباط في مقابله مبنى بالسكندان وهو عامر حتى الآن وفضل من ثمن الثوب مقدار ثلثه فذكر أنها أمرت بدفنه تحت بعض سوارى المسجد ليكون هناك متيسرا إن احتيج إليه خرج فاخبر تسكين بهذه الحكاية فأمر بهدم سوارى المسجد فهدم منها نحو الثلث ولم يجد شيئا فترك الباقي على حاله وبخارج (بلخ) قبر يذكر أنه قبر عكاشة بن محسن الأسدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما الذى يدخل الجنة بلا حساب وعليه زاوية معظمة بها كان نزولنا وبخارجها بركة ماء عجيبية عليها شجرة جوز عظيمة ينزل الواردون في الصيف تحت ظلها وشيخ هذه الزاوية يعرف بالحاج خرد وهو الصغير من الفضلاء وركب معنا وأرانا مزارات هذه المدينة منها قبر حزو قيل النبي عليه السلام وعليه قبة حسنة وزرنا بها أيضا قبورا كثيرة من قبور الصالحين لا أذكرها الآن ووقفنا على دار إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه وهى دار ضخمة مبنية بالهخر الأبيض الذى يشبه السكندان وكان زرع الزاوية مقترنا بها وقد سدت عليه فلم ندخلها وهى بمقربة من المسجد الجامع ثم سافرنا من مدينة بلخ فسرنا في جبال قوه استان (قستان) سبعة أيام وهى قرى كثيرة عامرة بها المياه الجارية والأشجار المورقة وأكثرها شجر التين وبها زوايا كثيرة فيها الصالحون المنتقطعون إلى الله تعالى وبعد ذلك كان وصولنا إلى مدينة هراة وهى أكبر المدن العامرة بخراسان ومدن خراسان العظيمة أربع ثنتان عامرتان وهما هراة ونيسابور وثنتان خربتان وهما بلخ ومرو ومدينة هراة كبيرة عظيمة كثيرة العمارة ولأهلها اصلاح وعفاف وديانة وهم على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه وبلدهم طاهر من الفساد .

(ذكر سلطان هراة)

وهو السلطان المعظم حسين بن السلطان غياث الدين الغورى صاحب الشجاعة المأثورة والتأييد والشجاعة ظهر له من انجاد الله تعالى ونأييده في موطنين اثنين ما يقضى منه

المعجب احدهما عند ملاقاته جيشه للسلطان خليل الذي بغى عليه وكان منتهى أمره حصوله أسيرا في يديه والموطن الثاني عند ملاقاته بنفسه لسعود سلطان الرافضة وكان منتهى أمره تبيده وفراره وذهاب ملكه وولى السلطان حسين الملك بعد أخيه المهر وف بالحافظ وولى أخيه بعد أبيه غياث الدين

(حكاية الرافضة)

كان بخراسان رجلا ن أحدهما يسمى بمسعود والآخر يسمى بمحمد وكان لهما خمسة من الأصحاب وهم من الفتاك ويعرفون بالعراق بالشاطار ويعرفون بخراسان بسر باداران (سر باداران) ويعرفون بالعراق بالصقور فاتفق سبعتهم على الفساد وقطع الطرق وسلب الأموال وشاع خبرهم وسكنوا جبالا منبعا بمقربة من مدينة بهيق وتسمى أيضا مدينة سينار (سينوار) فكانوا يكمنون بالنهار ويخرجون بالليل والعشي فيضربون على القرى ويقطعون الطرق ويأخذون الأموال وأتال عليهم أشباههم من أهل الشر والفساد فكثير عددهم واشتدت شكواهم وهاجمهم الناس وضربوا على مدينة بهيق فملكوها ثم ملكوا سواها من المدن واكتسبوا الأموال وجندوا الجنود وركبوا الخيل وتسمى مسعود بالسلطان وصار العبيد يفرّون عن مواليهم إليه فكل عبد فر منهم يعطيه الفرس والمال وإن ظهرت له شجاعة أمره على جماعة فمظلم جيشه واستفحل أمره وتمذهب جميعهم بذهب الرافض وطمحوا إلى استئصال أهل السنة بخراسان وإن يجعلوها كدولة واحدة رافضية وكان بمشهد طوس شيخ من الرافضة يسمى بحسن وهو عندهم من الصلحاء فوافقهم على ذلك وسموه بالخليفة وأمرهم بالعدل فأظهروه حتى كانت الدراهم والدنانير تسقط في معسكرهم فلا يلتقطها أحد حتى يأتي ربها قيا أخذها وغلبوا على نيسابور وبعث إليهم السلطان طغتمور بالعساكر فهزموه ثم بعث إليهم نائبه أرغون شاه فهزموه وأسروه ومثوا عليه ثم غزاهم طغتمور بنفسه في خمسين ألفا من التتر فهزموه وملكوا البلاد وغلبوا على سرخس والزاه وطوس وهي من أعظم بلاد خراسان وجعلوا خليفتهم بمشهد على بن موسى الرضى وغلبوا على مدينة الجاه ونزلوا بخاجها وهم قاصدون مدينة هراة وبينها وبينهم مسيرة ست فلما بلغ ذلك الملك حسينا جميع الأمراء والعساكر وأهل المدينة واستشارهم هل يقومون حتى يأتي القوم أو يعضوا إليهم فيناجونهم فوقع إجماعهم على الخروج إليهم وهم قبيلة واحدة يسمون الغورية ويقال أنهم منسوبون إلى غور الشام وإن أصلهم منه فتجهزوا أجمعون واجتمعوا من أطراف البلاد وهم ساكنون بالقرى وبصحراء مرغيس (بدغيس) وهي مسيرة أربع لا يزال عشبها أخضر ترعى منه ماشيتهم وخييلهم واكثر

شجرها القسقى ومنها يحمل إلى أرض العراق وعرضهم أهل مدينة سمنان ونفروا جميعاً إلى الرافضة وهم مائة وعشرون الفاما بين رجالة وفرسان يقودهم الملك حسين واجتمعت الرافضة في مائة وخمسين الفاً من الفرسان وكانت الملاقاة بصحراء بوشنج وصبر الفرير بيقان معائتم كانت الدائرة على الرافضة وفرسا طائهم مسعود وثبت خليفتم حسن في عشرين الفا حتى قتل وقتل اكثرهم واسر منهم نحو اربعة آلاف وذكر لى بعض من حضر هذه الواقعة ان ابتداء القتال كان في وقت الضحى وكانت الهزيمة عند الزوال ونزل الملك حسين بعد الظهر فصلى واتى بالطعام فكان هو وكبراء اصحابه يأكلون وسائرهم يضربون اعناق الاسرى وعاد إلى حضرته بعد هذا الفتح العظيم وقد نصر الله السنة على يديه واطفأ نار الفتنة وكانت هذه الواقعة بعد خروجى من الهند عام ثمانية واربعين ونشأ بهرة رجل من الزهاد والصالحاء الفضلاء واسمه نظام الدين مولانا وكان اهل هرة يحبونه ويرجعون إلى قوله وكان يعظمهم ويذكركم وتوافقوا معه على تغيير المنكر وتعاهد معهم على ذلك خطيب المدينة المعروف بملك ورناء هو ابن عم الملك حسين ومتزوج بوجة والده وهى من أحسن الناس صورة وسيرة والملك يخافه على نفسه وسنذكر خبره وكانوا متى علموا بمنكر ولو

كان عند الملك غيره (حكاية)

ذكر لى انهم تعرفوا يوماً ان بدار الملك حسين منكر فاجتمعوا لتغييره وتحصن منهم بداخل داره فاجتمعوا على الباب في ستة آلاف رجل يخاف منهم فاستحضر الفقيه وكبار البلد وكان قد شرب الخمر فاقاموا عليه الحد بداخل قصره وانصرفوا عنه

(حكاية هى سبب قتل العقبة نظام الدين المذكور)

كانت الاثر ك المجاورون لمدينة هرة الساكنون بالصحراء وملكهم غيثمور الذى مر ذكره وهم نحو خمسين الفا يخافهم الملك حسين ويهدى لهم الهدايا فى كل سنة ويدارهم وذلك قبل هزيمته للرافضة واما بعد هزيمته للرافضة فتغلب عليهم ومن عادة هؤلاء الاثر ك النرد إلى مدينة هرة وربما شربوا بها الخمر واتاها بعضهم وهو منكر ان فساكن نظام الدين يحد من وجد منهم سكرانا وهؤلاء الاثر ك اهل فجة وباس ولا يزالون يضربون على بلاد الهند فيسبون ويقتلون وربما سبوا بعض المسلمات اللاتي يسكن بارض الهند ما بين السكفار فإذا خرجوا بهن إلى خرسان يطلق نظام الدين المسلمات من أيدي الترك وعلامة النسوة المسلمات بأرض الهند ترك ثقب الاذن والكافرات آذانهم مثقوبات فاتفق مرة ان اميرا من أمراء الترك يسعى تمور الطي سبي امرأة وكلف بها شديدا فذكرت انها

مسلمة فانتزعها الفقيه من يده فبلغ ذلك من التركي مبلغا عظيما وركب في آلاف من أصحابه وأغار على خيل هراة وهى فى مرعاها بصحراء مرغيس (بدغيس) واحتملوها فلم يتركوا أهل هراة ما يركبون ولا ما يحبون وصعدوا بها إلى جبل هنالك لا يقدر عليهم فيه ولم يجد السلطان ولا جنده خيلا يتبعونهم بها فبعث اليهم رسولا يطلبهم رد ما أخذوه من الماشية والخيل ويذكرهم العهد الذى بينهم فاجابوا بأنهم لا يردون ذلك حتى يمكنوا من الفقيه نظام الدين فقال السلطان لاسئيل إلى هذا وكان الشيخ أبو أحمد الجسسى حفيد الشيخ مودود الجسسى له بخرسان شأن عظيم وقوله معتبر لديهم فركب فى جماعة خيل من أصحابه وماليكه فقال انا احمل الفقيه نظام الدين معى إلى الترك ايرضوا بذلك ثم اردته فسكر الناس مالوا إلى قوله ورأى الفقيه نظام الدين اتفاقهم على ذلك فركب مع الشيخ أبى أحمد ووصل إلى الترك فقام إليه الامير تيمور الطى وقال له انت أخذت امرأتى منى وضربته بدبوسه فكسر دماغه فخرميتا فسقط فى ايدي الشيخ أبى أحمد وانصرف من هنالك إلى بلده ورد الترك ما كانوا أخذوه من الخيل والماشية وبعد مدة قدم ذلك التركى الذى قتل الفقيه على مدينة هراة فلقبه جماعه من أصحاب الفقيه فتقدموا إليه كأنهم مسلمون عليه وتحت ثيابهم السيوف فقتلوه وفراصحا به ولما كان بعد هذا بعث الملك حسين ابن عمه ملك ورنال الذى كان رفيق الفقيه نظام الدين فى تغيير المنكر رسولا إلى ملك سجستان فلما حصل بها بعث اليه ان يقيم هنالك ولا يعود اليه فقصده بلاد الهند واقبته واناخرج منها بمدينة سيوستان من السند وهو أحد الفضلاء وفى طبعه حب الرئاسة والصيد والبراز والخيل والماليك والأصحاب واللباس الملوكى الفاخر ومن كان على هذا الترتيب فإنه لا يصلح حاله بأرض الهند فسكران من امره ان ملك الهند ولاه بلدا صغيرا وقتله به بعض أهل هراة المقيمين بالهند بسبب جارية وقيل ان ملك الهند دس عليه من قتله بسعى الملك حسين فى ذلك ولأجله خدم الملك حسين ملك الهند بعد موت ملك ورنال المذكور وهاداه ملك الهند واعطاه مدينة بكار من بلاد السند ومجباها خمسون الفا من دنانير الذهب فى كل سنة (ولنعبد) إلى ما كتبنا بسبيله فنقول سافرنا من هراة إلى مدينة الجام وهى متوسطة حسنة ذات بساتين واشجار وعيون كثيرة وانهار واكثرها التوت والحريز بها كثير وهى تنسب إلى الولي العابد الزاهد شهاب الدين احمد الجامى وسندكر حكايتيه وحفيده الشيخ احمد المعروف بزاده الذى قتله ملك الهند والمدينة الآن لاولاده وهى محررة من قبل السلطان ولهم بها نعمة وثروة وذكرى من اثنى به ان السلطان ابا سعيد

ملك العراق قدم خراسان مرة ونزل على هذه المدينة وبها زاوية الشيخ فاضاه ضيافة عظيمة وأعطى لكل خبء بمحلته رأس غنم وللكل أربعة رجال رأس غنم ولكل دابة بالحلة من فرس وبغل وحمار علف ليلة فلم يبق في المحلة حيوان إلا ووصلته ضيافته

(حكاية الشيخ شهاب الدين الذى تنسب اليه مدينة الجمام)

يذكر أنه كان صاحب راحة مكشرا من الشراب وكان له من الندماء نحو ستين وكانت لهم عادة ان يجتمعوا يوما في منزل كل واحد منهم فتدور النوبة على أحدهم بعد شهرين وبقوا على ذلك مدة ثم ان النوبة وصلت يوما الى الشيخ شهاب الدين فعقد النوبة ليلة النوبة وعزم على إصلاح حاله مع ربه وقال في نفسه ان قلت لاصحابي انى قد تبت قبل اجتماعهم عندي ظنوا ذلك عجزا عن مؤنتهم فاحضروا ما كان يحضر مثله قبل من ما كولات ومشرب وجعل الخمر في الرقاق وحضر اصحابه فلما ارادوا الشرب فتحو زقافداقه احدهم فوجده حلوا ثم فتحو ثانيا فوجده كذلك ثم ثالثا فوجده كذلك فكلعوا الشيخ في ذلك فخرج لهم عن حقيقة امره وصدقهم سن بكره وعرفهم بتوبته وقال لهم والله ما هذا إلا الشراب الذى كنتم تشربونه فيما تقدم فتابوا جميعا الى الله تعالى وبنوا تلك الزاوية وانقطعوا بها لعبادة الله تعالى وظهر لهذا الشيخ كثير من السكرامات والمسكشافات ثم سافروا من الجمام الى مدينة طرس وهى اكبر بلاد خراسان واعظمها بلد الامام الشهير بابي حامد الغزالي رضى الله عنه وبها قبرة ورحلتها منها الى مدينة مشهد الرضا وهو على بن موسى السكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين الشهيد بن امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنهم وهى ايضا مدينة كبيرة ضخمة كثيرة الغواكه والمياه والاجاء الطاحنة وكان بها الطاهر محمد شاه والطاهر عندهم بمعنى الثقيب عند اهل مصر والشام والعراق واهل الهند والسند وتركستان يقول السيد الاجل وكان ايضا بهذا المشهد القاضى الشريف جلال الدين لقيته بارض الهند الشريف على وولده امير هندودولة شاه وصحبوني من ترمذ الى بلاد الهند وكانوا من الفضلاء والمشهد المسكرم عليه قبة عظيمة فى داخل زاوية تجاورها مدرسة ومسجد وجميعها مليح البناء مصنوع الحيطان بالقاشاني وعلى القبر دكانة خشب ملبسة بصفايح الفضة وعليه قناديل فضة معلقة وعتبة باب القبة فضة وعلى بابها ستر حرير مذهب وهى مبسوطة بانواع البسط ولما هذا القبر قبر هارون الرشيد امير المؤمنين رضى الله عنه وعليه دكانة يصنعون عليها الشمعدانات التى يعرفها اهل المقرب بالحسك والمنائر ولما دخل الرافضى للزيارة ضرب

قبر الرشيد برجله وسلم على الرضا ثم سافرننا الى مدينة سرخس واليهما ينسب الشيخ الصالح لقمان السرخسى رضى الله عنه ثم سافرننا منها الى مدينة زاوة وهى مدينة الشيخ الصالح قطب الدين حيدر واليه تنسب طائفة الحيدرية من الفقراء وهم الذين يعملون حلق الحديد فى ايديهم واعناقهم وآذانهم ويعملون ايضا فى ذكورهم حتى لا يتأذى لهم النكاح ثم رحلنا منها فوصلنا الى مدينة نيسابور وهى إحدى المدن الاربع التى هى قراعد خراسان ويقال لهادمشق الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها ومياها وحسنها وتخترقها أربعة من الانهار واسواقها حسنة متسعة ومسجدها بديع وهو فى وسط السوق ويليه اربع من المدارس يجرى بها الماء الغزير وفيها من الطلبة خلق كثير يقرء القرآن والفقه وهى من حسان مدارس تلك البلاد ومدارس خراسان والعراقين ودمشق وبغداد ومصر وإن بلغت الغاية من الاتقان والحسن فكلها تقصر عن المدرسة التى عمرها مولانا امير المؤمنين المتوكل على الله المجاهد فى سبيل الله عالم الملوك واسطة عقد الخلفاء العادلين ابو عنان وصل الله سعده ونصر جنده وهى التى عند القصبة من حضرة فاس حرسها الله تعالى فانها لا نظير لها سعة وارتفاع ونقش الجص بها لا قدرة لاهل المشرق عليه ويصنع بنيسابور ثياب الحرير من النخ والسكخاء وغيرها وتحمل منها الى الهند وفى هذه المدينة زاوية الشيخ الامام العالم القطب العابد قطب الدين النيسابورى احد الوعاظ العلماء الصالحين نزلت عنده فاحسن القرى واكرم ورايت له البراهين والكرامات العجيبة

كرامة له

كنت قد اشتريت بنيسابور غلاما تركيا فرآه معى فقال لى هذا الغلام لا يصلح لك فبعه فقلت له نعم وبعته الغلام فى غد ذلك اليوم واشترته بعض التجار وادعت الشيخ وانصرفت فلما حلت بمدينة بسطام كتب الى بعض اصحابى من نيسابور وذكر ان الغلام المذكور قتل بعض اولاد الاتراك وقتل به وهذه كرامة واضحة لهذا الشيخ رضى الله عنه وسافرت من نيسابور الى مدينة بسطام التى ينسب اليها الشيخ العارف ابو يزيد البسطامى الشهير رضى الله عنه وبهذه المدينة قبره ومعه فى قبته واحدة احد اولاد جعفر الصادق رضى الله عنه وبسطام ايضا قبر الشيخ الصالح الولي ابى الحسن الخرقانى وكان نزولى من هذه المدينة يزاوره الشيخ ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه ثم سافرت من هذه المدينة على طريق هندخير الى قندوس وبغلان وهى قرى فيها مشايخ وصالحون وبها البساتين والانهار فنزلنا بقندوس على نهر ماء به زاوية لاحد شيوخ الفقراء من أهل مصر يسمى بشير سباه

ومعنى ذلك الاسد الاسود وأضافنا بها والى تلك الأرض وهو من أهل الموصل ببستان عظيم هنالك .

وأقمتنا بخارج هذه القرية نحو أربعين يوماً لرعى الجبال والخيل وبها مراعى طيبة وأعشاب كثيرة والأمن بها شامل بسبب شدة أحكام الأمير برنطية وقد قدمنا أن أحكام الترك فى من سرق فرسا أن يعطى معه تسعة مثله فإن لم يجد ذلك أخذه فيها أولاده فإن لم يكن له أولاد ذبح ذبح الشاة .

والناس يتركون دوابهم مهجلة دون راع بعد أن يسم كل واحد دوابه فى أخذها وكذلك فعلنا فى هذه البلاد وانفق أن نفقدنا خيلنا بعد عشر من نزولنا بها ففقدنا منها ثلاثة أفراس .

ولما كان بعد نصف شهر جاءنا التتر بها إلى منزلنا خوفاً على أنفسهم من الأحكام وكنتنا نربط فى كل ليلة ازاء أخبيتنا فرسين لما عسى أن يقع بالليل ففقدنا الفرسين ذات ليلة وسافرنا من هنالك وبعد ثنتين وعشرين ليلة جاؤا بهما إلينا فى أثناء طريقنا وكان أيضاً من أسباب إقامتنا خوف الشاج فان بأثناء الطريق جبلا يقال له هندوكوش ومعناه قاتل الهنود لأن العميد والجوارى الذى يؤتى بهم من بلاد الهند يموت هنالك الكثير منهم شدة البرد وكثرة الثلج وهو مسيرة يوم كامل وأقمتنا حتى تمسكنا من دخول الحر وقطعنا ذلك الجبل من آخر الليل وسلكنا به جميع نهارنا إلى الغروب وكنتنا نضع اللبود بين أيدي الجبال تطأ عليها لئلا نغرق فى الشاج ثم سافرنا إلى موضع يعرف بأندر وكانت هنالك فيما تقدم مدينة عفى رسمها ونزلنا بقرية عظيمة فيها زاوية لأحد الفضلاء ويسمى بمحمد المهروى ونزلنا عنده وأكرمنا وكان متى غسلنا أيدينا من الطعام يشرب الماء الذى غسلنا بها به لحسن اعتقاده وفضله وسافر معنا إلى أن سعدنا جبل هندوكوش المذكور .

وجدنا بهذا الجبل عين ماء حارة فغسلنا منها وجوهنا فتقشرث وتألمنا لذلك ثم نزلنا بموضع يعرف ببنج هير ومعنى بنج خمسة وهو الجبل فعنه خمسة جبال وكانت هنالك مدينة حسنة كثيرة العمارة على نهر عظيم أزرق كأنه بحر ينزل من جبال بدخشان وهذه الجبال يوجد الياقوت الذى يعرفه الناس بالبلخش وخرب هذه البلاد تسكن ملك التتر فلم تضر بعده وهذه المدينة مزار الشيخ سعيد المسمى وهو معظم عندهم ووصلنا إلى جبل بشاى (وضبطه بفتح الباء المعقودة والشين المعجم والفاء وياء ساكنة) وبه زاوية الشيخ الصالح أطا أولياء وأطال (بفتح الهجمة) معناه بالتركية الاب وأولياء

باللسان العربي فمعناه أبو الأولياء ويسمى أيضا سيصد صاله وسيصد (بسين مهمل
مكسور وياء مد وصاد مهمل مفتوح ودال مهمل) ومعناه بالعربية ثلاثمائة وصاله
(صاله) (بفتح الصاد المهمل واللام) معناه عام وهم يذكرون ان عمره ثلاثمائة وخمسون
عاما ولهم فيه اعتقاد حسن ويأتون لزيارتهم من البلاد والقرى وبقصد السلاطى والخواتين
وأكرمنا وأضافنا ونزل على نهر عند زاويته ودخلنا إليه فسلمت عليه وعانقنى وجسمه
رطب لم أر ألين منه ويظن رائيه ان عمره خمسون سنة وذكر لى انه فى كل مائة سنة
ينبت له الشعر والأسنان وانه رأى أباهم الذى قبره بملتان من السند وسأله عن رواية
حديث فأخبرنى بحكايات وشككت فى حاله والله أعلم بصدقه ثم سافرنا إلى برون (وضبطها
بفتح الباء المعقودة وسكون الراء وفتح الواو وآخرها نون) وفيها القيت الأمير برطية وضبط
اسمها بضم الباء وضم الراء وسكون النون وفتح الطاء المهمل وياء آخر الحروف مسكن
وهاء (واحسن إلى واكرمنى وكتب إلى نوابه بمدينة غزنة فى كرامى وقد تقدم ذكره
وذكر ما أعطى من البسطة فى الجسم وكان عنده جماعة من المشايخ والفقراء أهل الزوايا
ثم سافرنا إلى قرية الجرخ (وضبط اسمها بفتح الجيم المعقودة وسكون الراء وخاء معجم)
وهى كبيرة لها بساتين كثيرة وفوا كهواطية قدمناها فى أيام الصيف ووجدنا بها جماعة من
الفقراء والطلبة وصلينا بها الجمعة وأضافنا أميرها محمد الجرخى ولقيته بعد ذلك بالهند ثم
سافرنا إلى مدينة غزنه وهى بلد السلطان المجاهد محمود بن سبكتين الشهير الاسم وكان من كبار
السلطين يلقب بيمين الدولة وكان كثير الغزو إلى بلاد الهند وفتح بها المدائن والحصون وقبره
بهذه المدينة عليه زاوية قد خرب معظم هذه البلدة ولم يبق منها إلا لاسير وكانت كبيرة وهى
شديدة البرد والساكنون بها يخرجون عنها أيام البرد إلى مدينة القندهار وهى كبيرة مخضبة
ولم أدخلها وبينهما مسيرة ثلاثون زلنا بخارج غزنة فى قرية هنالك على نهر ماء تحت قلعتها
وأكرمنا أميرها مرذك اغا ومردك (بفتح الميم وسكون الراء وفتح الذال المعجم) ومعناه
الصغير واغا (بفتح الهمزة والغين المعجم) ومعناه الكبير الأصل ثم سافرنا إلى كابل وكانت
فيما سلف مدينة عظيمة وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الأعاجم يقال لهم الأفغان ولهم
جبال وشعاب وشوكة قوية واكثرهم قطاع الطريق وجبلهم الكبير يسمى كوه سليمان يذكرون
ان نبي الله سليمان عليه السلام صعد ذلك الجبل فنظر إلى أرض الهند وهى مظلمة فرجع ولم يدخلها
فسمى الجبل به وفيه يسكن ملك الأفغان وبكابل زاوية الشيخ اسماعيل الأفغانى تلميذ الشيخ
عباس من كبار الأولياء ومنهار حملنا إلى كرامش وهى حصن بين جبلين تقطع به الأفغان وكنا
حين جوازنا عليه نقا نلهم وهم بسفح الجبل ونرميهم بالنشاب فيفرون وكانت رفقتنا محفة
ومعهم نحو أربعة آلاف فرس وكانت لى جمال انقطعت عن القافلة لأجلها ومعى جماعة
بعضهم من الأفغان وطرحنا بعض الزاد وتركنا أحمال الجمال التى أعيت بالطريق وعادت

الها خيلنا بالغد فاحتملتها ووصلنا الى القافلة بعد العشاء الآخرة فبقينا بمنزل ششعار وهي آخر العارة مما يلي بلاد الترك ومن هنا دخلنا البرية الكبرى وهي مسيرة خمس عشرة لا تدخل إلا في فصل واحد وهو بعد نزول المطر بأرض السند والهند وذلك في أوئل شهر يولية وتهب في هذه البرية ريح السموم القاتلة التي تعفن الجسوم حتى أن الرجل إذا مات تنفسخ أعضاؤه وقد ذكرنا أن هذا الريح تهب أيضا في البرية بين هرمز وشيراز وكانت تقدمت امامنا رفقة كبيرة فيها خدائد زاده قاضي ترمذ فأت طم جمال وخيل كثيره ووصلت رفقتنا سالمه بحمد الله تعالى إلى بئح آب وهو ماء السند وبئح (بفتح الباء الموحدة وسكون النون والجيم) ومعناه خمسة وآب (بهمزة مفتوحة بمدودة وباء موحدة) ومعناه الماء فمعنى ذلك الأودية الخمسة وهي تصب في النهر الأعظم وتبقى تلك النواحي وسند كرها إن شاء الله تعالى وكان وصولنا لهذا النهر سابع ذى الحجة واستهل علينا تلك الليلة هلال المحرم من عام أربعة وثلاثين وسبعائة ومن هنالك كتب المخبرون بخبرنا إلى أرض الهند وعرفوا ملسكم بكيفية أحوالنا وها هنا ينتهى بنا الكلام فى هذا السفر والحمد لله رب العالمين

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى)

(تذييل) يقول مصححه وحيث انتهينا من رحلة الشيخ المغربي المعروف بابن بطوطة إلى هذا الحد وهو أول جلد وقد شرع رحمه الله تعالى في ذكر ما شاهدته من العجائب والغرائب ببلاد الهند وهو ثاني جلد رأيناه من المفسد أن نورد هنا عبارة توجد في مقدمة ابن خلدون رحمه الله تعالى مما يتعاقب هذا القصد تنميًا للفائدة وتقييدًا للشاردة ونصها بقصصها وقصصها ورد على المغرب لعهد السلطان أبي عثمان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان قد رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند واتصل بملكها الذي كان له العهد وهو السلطان محمد شاه وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عثمان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من أحواله بما يستعجب به السامعون مثل أن ملك الهند إذا خرج للسفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر يدفع لهم من عطائه وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة إلى صحراء البلد يطوفون به ويتنصب أمامه في ذلك المحفل من جنسيات على الظاهر يرى بها شكاثر الدراهم والدنانير على الناس إلى أن يدخل إيوانه وأمثال هذه الحكايات فتناجي الناس في الدولة بتكذيبه رلفيت أنا يؤمئذ في بعض الأيام وزير السلطان فارس بن ودار البيهيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن ورايته أنكر اخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال الوزير فارس إياك أن تستنكر مثل هذا من أحوال الدول بما أنك لم تره فتسكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك أن وزير اعتقله سلاطنه فسكت في السجن سنيين ربي فيها ابنته في ذلك المجلس فلما أدرك وعقل سأل عن الامهات التي كان يتغذى بها فإذا قال له أبوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصغها له أبوه بشيائها ونعوتها فيقول يا أبت تراها مثل الفار فينكر عليه ويقول أين الغنم من الفار وكذا في لحم البقر والابل إذ لم يعاين في محبسها إلا الفار فيحسبها كلها أبناء جنس للفار وهذا كثير مما يعثرى الناس في الاختيار كما يعثر بهم الوسواس في الزيادة عند قصد الاغراب كما قد مناه أول الكتاب فليرجع الانسان إلى أصوله وليسكن بهيمنا على نفسه ويميز بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فإذا دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فإن نطاقه أوسع شئ فلا يفرض حدا بين الواقعات وإنما مرادنا الامكان بحسب المادة التي للشئ فإذا نظرنا أصل الشئ وجزئته وفصله ومقدار عظمته وقوته أجرنا الحكم في نسبة ذلك على أحواله وحكمنا بالامتناع على خرج ما من نطاقه وقل ربي زدني علما (اه بخر وفه)

رحلة ابن بطوطه

المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار
وعجائب الأسفار

الجزء الثاني

سنة ١٩٥٨ م — سنة ١٣٧٧ هـ

رُوجِعَتْ وَصَحِّحَتْ عَلَى عِدَّةِ نَسَخٍ صَحِيحَةٍ
بِمَعْرِفَةِ لَجْنَةِ مِنَ الْأَدْبَاءِ

يَطْلُبُ مِنْ
المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ض. ب. ٥٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي
المعروف بابن بطوطه رحمه الله تعالى

ولما كان بتاريخ الغرة من شهر الله المحرم مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبعمائة وصلنا إلى وادي السند المعروف ببنج آب ومعنى ذلك المياها الخمسة وهذا الوادي من أعظم أودية الدنيا وهو يفيض في أوان الحر فيزرع أهل تلك البلاد على فيضيه كما يفعل أهل الديار المصرية في فيض النيل وهذا الوادي هو أول عمالة السلطان المعظم محمد شاه ملك الهند السند والهند ولما وصلنا إلى هذا النهر جاء إلينا أصحاب الأخبار الموكلون بذلك وكسبوا بخبرنا إلى قطب الملك أمير مدينة ملتان وكان أمير أمراء السند على هذا العهد مملوك للسلطان يسمى سرتين وهو عرض الممالك وبين يديه تعرض عساكر السلطان ومعنى لاسمه الحاد الرأس لأن سر (بفتح السين المهملة وسكون الراء) وهو الرأس وتين (بناء معلولة وياء مد وزاى) معناه الحاد وكان في حين قدومنا بمدينة سيوستان من السند وبينها وبين ملتان مسيرة عشرة عشرة أيام وبين بلاد السند وحضرة السلطان مدينة على مسيرة خمسين يوما وإذا كتب المخبرون إلى السلطان من بلاد السند يصل الكتاب إليه في خمسة أيام بسبب البريد .

(ذكر البريد)

والبريد ببلاد الهند صنفان فاما برید الخيل فيسمونه الولاق (ألاق) (بضم الواو وآخره قاف) وهو خيل تكون للسلطان في كل مسافة أربعة أميال وأما برید الرجال فيسكون في مسافة الميل الواحد منه ثلاث رتب ويسمونها الداوة (بالدال المهملة والواو) والداوة هي ثلاث ميل والميل عندهم يسمى السكروة (بضم الكاف والراء) وترتيب ذلك أن يكون في كل ثلاث ميل قرية معمورة ويكون بخارجها ثلاث قباب يقعد فيها الرجال مستعدين للحركة قد شدوا أوساطهم وعند كل واحد منهم مقربة مقدار ذراعين بأعلاها جلاجل

تحماس فاذا خرج البريد من المدينة أخذ السكتاب بأعلى يده والمقرعة ذات الجلاجل باليد الأخرى يشتد بمنتهى جهده ،

فاذا سمع الرجال الذين بالقباب صوت الجلاجل تأهبوا فاذا وصلهم أخذ أحدهم السكتاب من يده ومر بأقصى جهده وهو يحرك المقرعة حتى يصل إلى الداوة الأخرى ولا يزالون كذلك حتى يصل السكتاب إلى حيث يراد منه .

وهذا البريد أسرع من بريد الخيل وربما حملوا على هذا البريد الفواكه المستطرفة بالهند من فواكه خراسان يجعلونها في الأطباق ويشدون بها حتى تصل إلى السلطان وكذلك يحملون السكبار من ذوى الرتب يجعلون الرجل على سرير ويرفعونه فوق رؤوسهم ويسرون بهشدا وكذا يحملون الماء لشرب السلطان إذا كان بدولة أباد يحملونه من نهر السكينك الذى تحمض الهنود اليه وهو على مسيرة أربعين يوما منها .

وإذا كتب المخبرون إلى السلطان بخبر من يصل إلى بلاده استوعبوا السكتاب وأمعنوا في ذلك وعرفوه أنه ورد رجل صورته كذا ولباسه كذا وكتبوا عدد أصحابه وغلمانه وخدامه ودوابه وترتيب حاله في حركته وسكونه وجميع تصرفاته لا يغادرون من ذلك كله شيئا .

فاذا وصل الوارد مدينة ملتان وهى قاعدة بلاد السند وأقام بها حتى ينفذ أمر السلطان بقدمه وما يجرى له من الضيافة وإنما يكرم الانسان هنالك بقدر ما يظهر من أفعاله . وتصرفاته وهمته إذ لا يعرف هنالك ما حسبه ولا آباؤه .

ومن عادة ملك الهند السلطان أبى المجاهد محمد شاه إكرام الغرباء ومحبتهم وتخصيصهم بالولايات والمراتب الرفيعة ومعظم خواصه وحجابه ووزرائه وقضاته وأصحابه غرباء ونفذ أمرة بأن يسعى الغرباء في بلده الأعز فصار لهم ذلك اسما علما ولا بد لكل قادم على هذا الملك من هدية يهديها اليه ويقدمها وسيلة بين يديه فيكافئه السلطان عليها بأضعاف مضاعفة وسيبى من ذكر هدايا الغرباء اليه كثير ولما تعود الناس ذلك منه صار التجار الذين ببلاد الهند يعطون لكل قادم على السلطان الآلاف من الدنانير دينا ويحجزونه بما يريد أن يهديه اليه أو يتصرف فيه لنفسه من الدواب للركوب والجمال والامتنع ويخدمونهم بأموالهم وأنفسهم ويقفون بين يديه كالخشم فاذا وصل إلى السلطان أعطاه العطاء الجزيل فقضى ديونهم وفاهم حقوقهم فنفعت تجارتهم وكثرت أرباحهم وصار لهم ذلك عادة مستمرة ولما وصلت إلى بلاد السند سلكت ذلك المنهج واشترت من التجار الخيل والجمال والماليك وغير ذلك ولقد اشترت من تاجر عراقى من أهل تسكريت يعرف بمحمد الدورى بمدينة غزنة نحو ثلاثين فرسا وجملا عليه

حمل من الشباب فانه مما يهدى إلى السلطان وذهب التاجر المذكور إلى خراسان ثم عاد إلى الهند وهناك تقاضى منى مائة واستفاد بسببى فائدة عظيمة وعاد من كبار التجار ولقيته بمدينة حلب بعد سنين كثيرة وقد سلبنى السكرار مما كان بيدي فلم ألق منه خيراً

(ذكر السكر كدن)

ولما أجزنا نهر السند المعروف ببنجاب دخلنا غيضة قصب لسلوك الطريق لأنه في وسطها فرج علينا السكر كدن وصورته أنه حيوان أسود اللون عظيم الجرم رأسه كبير متفاوت الضخامة ولذلك يضرب به المثل فيقال السكر كدن رأس بلا بدن وهو دون الفيل ورأسه أكبر من رأس الفيل بأضعاف وله قرن واحد بين عينيه طوله نحو ثلاثة أذرع وعرضه نحو شبر ولما خرج علينا عارضه بعض الفرسان في طريقه فضرب الفرس الذى كان تحته بقرنه فأفقد نخذه وصرعه وعاد إلى الغيضة فلم نقدر عليه وقد رأيت السكر كدن مرة ثانية في هذا الطريق بعد صلاة العصر وهو يرعى نبات الأرض فلما قصدناه هرب منا ورأيت مرة أخرى ونحن مع ملك الهند دخلنا غيضة قصب وركب السلطان على الفيل وركبنا معه الفيلة ودخلت الرجاله والفرسان فأثاروه وقتلوه واستاقوا رأسه إلى المحلة .

وسرنا من نهر السند يومين ووصلنا إلى مدينة جناني (وضبط اسمها بفتح الجيم والنون الأولى وكسر الثانية) مدينة كبيرة على ساحل نهر السند لها أسواق مليحة وسكانها طائفة يقال لهم السامرة استوطنوها قديماً واستقر بها أسلافهم حين فتحتها على أيام الحجاج ابن يوسف حسبما أثبت المؤرخون في فتح السند وأخبرني الشيخ الامام العالم العابد الزاهد ركن الدين أبي الشيخ الفقيه الصالح شمس الدين ابن الشيخ الامام العابد الزاهد بهاء الدين زكريا القرشي وهو أحد الثلاثة الذي أخبرني الشيخ الولي الصالح برهان الدين الاعرج بمدينة الاسكندرية اني سألقاهم في رحلتي فلقيتهم والحمد لله ان جده الأعلى كان يسمى بمحمدا بن قاسم القرشي وشهد فتح السند في العسكر الذي بعثه لذلك الحجاج بن يوسف أيام إمارته على العراق وأقام بها وتكاثر ذريته وهؤلاء الطائفة المعروفون بالسامرة لا يأتون مع أحد ولا ينطو اليهم أحد حين يأتون ولا يصاهرون أحداً من غيرهم ولا يصاهر اليهم أحد وكان لهم في هذا العهد أمير يسمى وثار (بضم الواو وفتح النون) وسند ذكر خبره ثم سافرنا من مدينة جناني إلى ان وصلنا إلى مدينة سيوستان (وضبط اسمها بكسر السين الأولى المهملة وياء مد وواو مفتوح وسين مكسور وتاء معلوة وآخره نون) وهي مدينة كبيرة وخارجها صحراء ورمال لأشجار بها إلا شجر أم غيلان ولا يزرع

على نهرها شيء ماعدا البطيخ وطلعهم الذرة والجلبان ويسمونه المشنك (بهم وشين معجم مضمومين ونون مسكن) ومنه يصنعون الخبز وهي كثيرة السمك والالبان الجاموسية وأهلها يأكلون السقنقور وهي دويبة شبيهة بام حنين التي يسميها المغاربة حنمشة الجنة إلا أنها لا ذنب لها ورأيتهم يحترفون الرمل ويستخرجونها منه ويشقون بطنها ويرمون بما فيه ويحشونه بالسكر كم وهم يسمونه زردشو به ومعناه العود الاصفر وهو عندهم عوض الزعفران ولما رايت تلك الدويبة وهم يأكلونها استقدرتها فلم آكلها ودخلنا هذه المدينة في احتدام القیظ وحرها شديد فكان اصحابي يقعدون عريانين يجعل احدهم فوطه على وسطه وفوطه على كتفيه مبلولة بالماء فما يمضي السير من الزمان حتى تيبس تلك الفوطه فيجلها مرة أخرى وهكذا أبدا ولقيت بهذه المدينة خطيبها المعروف بالشيبياني وأراني كتاب أمير المؤمنين الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لجده الأعلى بخطابة هذه المدينة وهم يتوارثونها من ذلك العهد حتى الآن .

(وفص السكتاب) هذا ما أمر به عبد الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لفلان وتاريخه سنة تسع وتسعين وعليه مكتوب بخط أمير المؤمنين لفلان عمر بن عبد العزيز الحمد لله وحده على ما أخبرني الخطيب المذکور ولقيت بها الشيخ المعمر محمد البغدادي وهو بالزاوية التي على قبر الشيخ الصالح عثمان المرتدي وذكر أن عمره يزيد على مائة واربعين سنة وأنه حضر لقتل المستقيم بالله آخر خلفاء بنى العباس رضى الله عنهم لما قتله الكافر فلان ابن تنكير التتري وهذا الشيخ على كبر سنه قوى الجثة يتصرف على قدميه

(حكاية)

كان يسكن بهذه المدينة الأمير وثار السامري الذي تقدم ذكره والأمير قيصر الرومي وهما في خدمة السلطان ومعهما نحو ألف وثمانية فارس وكان يسكن بها كافر من الهنود اسمه رتن (بفتح الراء وبفتح التاء المعلولة والنون) وهو من الخذاق بالحساب والسكتابة فوفد على ملك الهند مع بعض الأمراء فاستحسنه السلطان وسماه عظيم السند وولاه بذلك البلاد وأقطعهم سيوستان وأعمالها وأعطاه المراتب وهي الألقاب والعلامات كما يعطى كبار الأمراء فلما وصل إلى تلك البلاد عظم على وثار وقيصر وغيرهم تقديم الكافر عليهم فأجمعوا على قتله فلما كان بعد أيام من قدومه اشاروا عليه بالخروج الى احوال المدينة ليتطلع على امورها فخرج معهم فلما جن الليل اقاموا ضجة بالحلة وزعموا ان السبع ضرب عليها وقصدوا ضرب الكافر فقتلوه وعادوا الى المدينة فأخذوا ما كان به من مال السلطان وذلك اثنا عشر اسكا واللك مائة ألف دينار وصرف اللك عشرة آلاف دينار من ذهب الهند وصرف الدينار الهندي ديناران ونصف دينار من ذهب المغرب وقدموا على انفسهم

ونار المذكور وسموه ملك فيروز وقسم الأموال على العسكر ثم خاف على نفسه لبعده عن قبيلته فخرج فيمن معه من أقاربه وقصد قبيلته وقدم الباقون من العسكر على أنفسهم قيصر الرومي واتصل خبرهم بهما الملك سرتيز ملك السند وهو يومئذ منذ أمير أمراء السند وسكناه بملتان فجمع العساكر وتجهز في البر وفي نهر السند وبين ملتان وسيوستان عشرة أيام وخرج إليه قيصر فوقع اللقاء وانهمز قيصر ومن معه أشنع هزيمة وتحصنوا بالمدينة فحاصروهم ونصب المجانيق عليهم واشتد عليهم الحصار فطلبوا الأمان بعد أربعين يوماً من نزوله عليهم فأعطاهم الأمان فلما نزلوا إليه غدرهم وأخذ أموالهم وأمر بقتلهم فكان كل يوم يضرب أعناق بعضهم ويوسط البعض ويساخ آخرون منهم ويملاً جلودهم تبناً ويعلقها على السور فكان معظمه عليه تلك الجلود مصلوبة ترعب من ينظر إليها وجمع رؤسهم في وسط المدينة فكانت مثل التل هنالك ونزلت بتلك المدينة لآثر هذه الواقعة بمدرسة فيها كبيرة وكنت أنام على سطحها فإذا استيقظت من الليل أرى تلك الجلود المصلوبة فتشده نفس منها ولم تطب نفسي بالسكنى بالمدرسة فانتقلت عنها وكان الفقهاء الفاضل العادل علاء الملك الخراساني المعروف بفصيح الدين قاضي هراة في مقدم التاربخ قد وفد على ملك الهند فولاه مدينة لاهري وأعمالها من بلاد السند وحضر هذه الحركة مع عماد الملك سرتيز بمن معه من العساكر فعزمت على السفر معه إلى مدينة لاهري وكان له خمسة عشر مركباً قدم بها في نهر السند تحمل أثقاله فسافرت .

(ذكر السفر في نهر السند وترتيب ذلك)

وكان للفقهاء علاء الملك في جملة سفن سفينة تعرف بالاهورة (بفتح الهمزة والهاء وسكون الواو وفتح الراء) وهي نوع من الطريدة عندنا إلا أنها أوسع منها وأقصر وعلى نصفها مر عرش من خشب يصعد له على درج وفوقه مجلس مهيباً للجلوس الأمير ويجلس أصحابه بين يديه ويقف المماليك يمنة ويسرة والرجال يقذفون وهم نحو أربعين ويكون مع هذه الأمور الاهورة أربعة من السفن عن يمينها ويسارها اثنتان منها فمهما مر ائب الأمير وهي العلامات والطبول والابواق والأنفارات والصرايات وهي الغيطات والآخراة فيهما أهل الطرب فتضرب الطبول والابواق نوبة ويغنى المغنون نوبة ولا يزالون كذلك من أول النهار إلى وقت الظهر فإذا كان وقت الغداء اجتمعت المراكب ووصل بعضها ببعض ووضعتم بينهما الاصقالات وأتى أهل الطرب إلى اهورة الأمير فيغنون إلى أن يفرغ من أكله ثم يأكلون وإذا فرغوا من الأكل عادوا إلى سفنهم وشرعوا في المسير على ترتيبهم إلى الليل فإذا كان الليل ضربت المحلة على شاطئ النهر ونزل الأمير إلى خيامه ومد

السمالوط وحضر الطعام معظم العسكر فإذا صلوا العشاء الأخيرة سمر السمار بالليل نوبا فإذا أتم أهل النوبة منهم نوبتهم نادى مناد منهم بصوت عال ياخو ندملك قد مضى من الليل كذا من الساعات ثم يسمر أهل النوبة الأخرى فإذا أتموها نادى منادهم أيضا معلما بما مر من الساعات فإذا كان الصبح ضربت الأبواق والطبول وصالت صلاة الصبح وأنى بالطعام فإذا فرغ الأكل أخذوا في المسير فان أراد الأمير ركوب النهر ركب على ماذكرناه من الترتيب وإن أراد المسير في البر ضربت الأبطال والأبواق وتقدم حجابهم تلاحم المشاة بين يديه ويكون بين أيدي الحجاب ستة من الفرسان عند ثلاثة منهم أطبال قد تقلدوا وعند ثلاثة صرنايات فإذا أقبلوا على قرية أو ما هو من الأرض مرتفع ضربوا تلك الأبطال والصرنايات ثم تدق أطبال العسكر وأبواقه ويكون عن يمين الحجاب ويسارهم المغنون يغنون نوبا فإذا كان وقت الغذاء نزلوا .

وسافرت مع علاء الملك خمسة أيام ووصلنا إلى موضع ولايته وهو مدينة لاهرى (وضبط اسمها بفتح الهاء وكسر الراء) مدينة حسنة على ساحل البحر الكبير وبها يصب نهر السند في البحر فيلتقي بها بحر ان ولها مرسى عظيم يأتي إليه أهل البن وأهل فارس وغيرهم ، بذلك عظمت جباياتها وكثرت أموالها أخبرني الأمير علاء الملك المذكور ان مجي هذه المدينة ستون اسكافى السنة وقد ذكرنا مقدار الملك والامير من ذلك نم (نم) ده يك ومعناه نصف العشر وعلى ذلك يعطى السلطان البلاد لعماله يأخذون منها لأنفسهم نصف العشر.

(ذكر غريبة رأيها بخارج هذه المدينة)

وركبت يوما مع علاء الملك فانهينا إلى بسيط من الأرض على مسافة سبعة أميال منها يعرف بتارنا فرأيت هنالك ما لا يحصره العد من الحجارة على مثل صور الآدميين والبهائم وقد تغيرت كثير منها ودثرت أشكاله فبقي منه صورة رأس اورجل أو سواهما ومن الحجارة أيضا على صورة الحبوب من البر والخص والفول والعدس وهنالك آثار سور وجدران دور ثم رأينا رسم دار فيها بيت من حجارة منحوتة وفي وسطه دكانة حجارة منحوتة كأنها حجر واحد عليها صورة آدمي إلا أن رأسه طويل وفه في جانب من وجهه ويداه خلف ظهره كالسكرتوف وهنالك مياه شديدة الثن وكتابة على بعض الجدران بالهندي وأخبرني علاء الملك ان أهل التاريخ يزعمون أن هذا الموضع كانت فيه مدينة عظيمة أكثر أهلها الفساد فمسحوا حجارة وأن ماسكهم هو الذي على الدكانة في الدار التي ذكرناها وهي الان تسمى دار الملك وأن الكتابة التي في بعض الحيطان بالهندي هي تاريخ هلاك أهل تلك المدينة

وكان ذلك منذ ألف سنة أو نحوها وأقيمت بهذه المدينة مع علاء الملك خمسة أيام ثم أحسن في الزاد وانصرفت عنه إلى مدينة بكار (بفتح الباء الموحدة) وهي مدينة حسنة يشقها خليج من نهر السند وفي وسط ذلك الخليج زاوية حسنة فيها الطعام للوارد والصادر عمرها كشلو خان أيام ولايته على بلاد السند وسيقع ذكره ولقيت بهذه المدينة الفقيه الإمام صدر الدين الحنفي ولقيت بها قاضيها المسمى بأبي حنيفة ولقيت بها الشيخ العابد الزاهد شمس الدين محمد الشيرازي وهو من المعمرين ذكر لي أن سنه يزيد على مائة وعشرين عاماً ثم سافرت من مدينة بكار فوصلت إلى مدينة أوجه (وضبط اسمها بضم الهمزة وفتح الجيم) وهي مدينة كبيرة على نهر السند لها أسواق حسنة وعمارة جيدة وكان الأمير بها إذ ذاك الملك الفاضل الشريف جلال الدين السكيجي أحد الشجعان الكرماء وبهذه المدينة توفي بعد سقوطها عن فرسه .

(مكرمة لهذا الملك)

ونشأت بيني وبين هذا الملك الشريف جلال الدين مودة وتأكدت بيننا الصحية والمحبة واجتمعنا بحضرة دهلي فلما سافر السلطان إلى دولة أباد كما سنذكره وأمرني بالاقامة بالحضرة قال لي جلال الدين أنك تحتاج إلى نفقة كبيرة والسلطان تطول غيبته نخذ قرتي واستغلها حتى أعود ففعلت ذلك واستغللت منها نحو خمسة آلاف دينار جزاه الله أحسن الجزاء

ولقيت بمدينة أوجه الشيخ العابد الزاهد الشريف قطب الدين حيدر العلوي وألبسني الخرقة وهو من كبار الصالحين ولم يزل الثوب الذي البسنيته معي إلى أن سلمني كفار الهنود في البحر ثم سافرت من أوجه إلى مدينة ملتان (وضبط اسمها بضم الميم وتاء معلولة) وهي قاعدة بلاد السند ومسكن أمير امرائه وفي الطريق إليها على مسافة عشرة أميال الوادي المعروف بخسرو باد وهو من الأودية الكبيرة لا يجاز إلا بالراكب وبه يبحث عن امتعة المجتازين أشد البحث وتفقد رحالهم وكانت عادتهم حين وصولنا إليها أن يأخذوا الربع من كل ما يجلبه التجار ويأخذوا على كل فرس سبعة دنائير مغرمين .

ثم بعد وصولنا للهند بستين رفع السلطان تلك المغارم وأمر أن لا يؤخذ من الناس إلا الزكاة والعشر لما بايع للخليفة أبي العباس العباسي ولما أخذنا في إجازة هذا الوادي وفقدت الرحال دظم على تفتيش رحلي لأنه لم يكن فيه طائل وكان يظهر في أعين الناس كبيراً فسكنت أكره أن يطالع عليه ومن لطف الله تعالى أن وصل أحد كبار الأجناد من جهة قطب الملك صاحب ملتان فأمر أن لا يعرض لي يبحث ولا تفتيش فكان كذلك فخدمت

الله على ماهيأه لى من لطائفه وبتنا تلك الليلة على شاطئ الوادى وقدم علينا فى صبيحتها ملك البريد واسمه دهقان وهو سمرقندى الأصل وهو الذى يكتب للسلطان بأخبار تلك المدينة وعمالتها وما يحدث بها ومن يصل فتعرفت به ودخلت بصحبته إلى أمير ملتان .

﴿ ذكر أمير ملتان وترتيب حاله ﴾

وأمير ملتان هو قطب الملك من كبار الأمراء وفضلاتهم لما دخلت قام إلى وصاغنى وأجلستى إلى جانبى وأهديت له مملوكا وقرسا وشيئا من الزبيب واللوز وهو من أعظم ما يهدى اليهم لأنه ليس ببلادهم وإنما يجلب من خراسان وكان جلوس هذا الأمير على دكانة كبيرة عليها البسط وعلى مقربة منه القاضى ويسمى سالارو الخطيب ولا أذكر اسمه وعن يمينه ويساره امراء الاجناد وأهل السلاح وقوف على رأسه والعساكر تعرض بين يديه وهناك قسى كبيرة فإذا أتى من يريد أن يشبث فى العسكر راميا أعطى قوسا من تلك القسى ينزع فيها وهى متفاوتة فى الشدة فعلى قدر نزعه يكون مرتبه ومن اراد أن يشبث فارسا فهناك طبله منصوبة فيجربى فرسه ويرميها برمح وهناك أيضا خانم معلق فى حائط صغير فيجربى فرسه حتى يحاذيه فان رفعه برمح فهو الجيد عندهم ومن اراد أن يشبث راميا فارسا فهناك كرة موضوعة فى الأرض فيجربى فرسه ويرميها وعلى قدر ما يظهر من الانسان فى ذلك من الاصابة يكون مرتبه ولما دخلنا على هذا الأمير وسلمنا عليه كما ذكرناه أمر بانزالنا فى دار خارج المدينة هى لأصحاب الشيخ العابد ركن الدين الذى تقدم ذكره وعادتهم أن لا يضيفوا اجدا حتى يأتى امر السلطان .

﴿ ذكر من اجتمعت به فى هذه المدينة من الغرباء الوافدين على حضرة ملك الهند ﴾

فمنهم خدوا نذزاده قوام الدين قاضى ترمذ قدم بأهله وواده ثم ورد عليه بها اخوته عماد الدين وضياء الدين وبرهان الدين ومنهم مبارك شاه احدى كبار سمرقند ومنهم ارن بقا احدى كبار بخارى ومنهم ملك زاده ابن اخى خدوا نذزاده وبدر الدين الفصالح وكل واحد من هؤلاء معهما اصحابه وخدامه واتباعه ولما مضى من وصولنا إلى ملتان شهران وصل احدى حجاب السلطان وهو شمس الدين البوشنجى والملك محمد المروى السكتوال بعثهما السلطان لاستقبال خدوا نذزاده وقدم معهم ثلاثة من القتيان بعثهم الخدومة جهان ام السلطان لاستقبال زوجة خدوا نذزاده المذكور واتوا بالخلع لها ولأولادها ولتجهيز من قدم الوفود واتوا جميعا إلى وسألوني لماذا قدمت فأخبرتهم لى قدمت للاقامة فى خدمة خوند عالم وهو السلطان وبهذا يدعى فى بلاده وكان امر ان لا يترك احد من

يأتى من خراسان يدخل بلاد الهند إلا ان كان برسم الإقامة فلما أعلمتهم أى قدمت الإقامة استدعوا القاضى والعدول وكتبوا عقد على وعلى من أراد الإقامة من أصحابى وابى بعضهم من ذلك وتجهزنا للسفر إلى الحضرة .

وبين ملتان وبينها مسيرة أربعين يوما فى عمارة متصلة وأخرج الحاجب وصاحبه الذى بعث معه ما يحتاج اليه فى ضيافة قوام الدين واستصحبوا من ملتان نحو عشر بن طباطبا وكان الحاجب يتقدم ليلا إلى كل منزل فيجهز الطعام وسواه فما يصل خداه وندزاده حتى يكون الطعام متيسرا وينزل كل واحدنا ذكرناهم من الوفود على حدة بمضاربته وأصحابه وربما حضروا الطعام الذى يصنع لخداه وندزاده ولم احضره أنا إلا مرة واحدة وترتيب ذلك الطعام أنهم يجعلون الخبز وخبزهم الرقاق وهو شبه الجراديق ويقطعون اللحم المشوى قطعاً كبيرة بحيث تكون الشاة أربع قطع أو ستا ويجعلون امام كل رجل قطعة ويجعلون أقراصاً مصنوعة بالسمن تشبه الخبز المشترك ببلادنا ويجعلون فى وسطها الحلواء الصابونية ويغطون كل قرص منها براغيف حلواء يسمونه الخشتى ومعناه الأجرى مصنوع من الدقيق والسكر والسمن ثم يجعلون اللحم المطبوخ بالسمن والبصل والزنجبيل الأخضر فى صحاف صينية ثم يجعلون شيئاً يسمونه سموسك وهو لحم مهر وس مطبوخ باللوز والجوز والفستق والبصل والأبازير موضوعة فى جوف رقاقة مقولة بالسمن يضعون امام كل إنسان خمس قطع من ذلك أو أربعة ثم يجعلون المطبوخ بالسمن عليه الدجاج ثم يجعلون لقيحات القاضى ويسمونه الهاشمى ثم يجعلون القاهرية ويقف الحاجب على السباط قبل الأكل ويخدم إلى الجهة التى فيها السلطان ويخدم جميع من حضر لخدمته والخدمة عندهم حط الرأس نحو الركوع فإذا فعلوا ذلك جلسوا للأكل ويؤتى بأقداح الذهب والفضة والزجاج مملوءة بماء الزنبات وهو الجلاب محاولاً فى الماء ويسمون ذلك الشربة ويشربونه قبل الطعام ثم يقول الحاجب بسم الله فعند ذلك يشربون فى الأكل فإذا أكلوا أتوا بأكواز الفقاع فإذا شربوه أتوا بالتنبول والغوفل وقد تقدم ذكرهما فإذا أخذوا التنبول والغوفل قال الحاجب بسم الله فيقومون ويخدمون مثل خدمتهم أولاً وينصرفون .

ثم سافرنا من مدينة ملتان وهم يجرون هذا الترتيب على ماسطرناه إلى أن وصلنا إلى بلاد الهند وكان أول بلد دخلناه مدينة أبهر (بفتح الهاء) وهى أول تلك البلاد الهندية صغيرة حسنة كثيرة العارة ذات أنهار وأشجار وليس هنالك من اشجار بلادنا نأشئ ماعدا النبق لسكنه عندهم عظيم الجرم تكون الحبة منه بمقدار حبة العفص شديد الخلاوة ولهم اشجار كثيرة ليس يوجد منها شئ ببلادنا ولا بسواها .

(ذكر أشجار بلاد الهند وفواكهها)

فمنها العنب (يفتح العين وسكون النون وفتح الباء الموحدة) وهي شجرة تشبه أشجار النارنج إلا أنها أعظم أجراما وأكثر أوراقا وظلها أكثر الظلال غير أنه ثقل فمن نام تحته وعك وثمرها على قدر الاجاص الكبير فإذا كان اخضر قبل تمام نضجه أخذوا ماسقط منه وجعلوا عليه الملح وصيروا كما يصير اللبم والليمون ببلادنا وكذلك يصيرون أيضا الزنجبيل الاخضر وعناقيد الفلفل وبأكلون ذلك مع الطعام يأخذون بأثر كل لقمة يسيرا من هذه المملوحات فإذا نضجت العنبه في اوان الخريف اصفرت حباتها فأكلوها كالتفاح فالبعض يقطعها بالسكين والاخر يمصها مصا وهي حلوة يمازج حلواتها يسير نحوضة ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الاشجار كما تزرع نوى النارنج وغيرها والشكى والبركي (يفتح الشين المعجم وكسر القاف وفتح الباء الموحدة وكسر الكاف) وهي اشجار عادية أوراقها كأوراق الجوز وثمرها يخرج من أصل الشجر فما اتصل منه بالأرض فهو البركي وحلاوته أشد وطعمه اطيب وما كان فوق ذلك فهو الشكى وثمره يشبه القرع السكبار وجلوده تشبه جلود البقر فإذا اصفر في اوان الخريف قطعوه وشقوه فيكون في داخل كل حبة المائة والمائتان فما بين ذلك من حبات تشبه الخيار بين كل حبة وحبة صفان اصفر اللون واسكل حبة نواه تشبه الفول الكبير وإذا شويت هذه النوا أو طبخت يكون طعمها كطعم الفول إذ ليس يوجد هنالك ويدخرون هذه النوى في التراب الأحمر فتقى إلى سنة اخرى وهذا الشكى والبركي هو خير فاكهة ببلاد الهند والتندو (يفتح التاء المشناة وسكون النون وضم الدال) وهو ثمر شجر الأبنوس وحباته قدر حبات المشمش ولونها وهو شديد الحلاوة، والجوز (بضم الجيم المعقودة) واشجاره عادية ويشبه ثمرة الزيتون وهو اسود اللون ونواه واحدة كالزيتون ، والنارنج الحلو وهو عندهم كثير واما النارنج الحامض فعزيز الوجود ومنه صنف ثالث يكون بين الحلو والحامض وثمره على قدر اللبم وهو طيب جدا وكنت يعجبني أكله ، ومنها الموهو (يفتح الميم والواو) واشجاره عادية وأوراقها كأوراق الجوز إلا أن فيها حمرة وصفرة وثمره مثل الاجاص الصغير شديد الحلاوة وفي أعلى كل حبة منه حبة صغيرة بمقدار حبة العنب مجوفة وطعمها كالعنب .

إلا أن الاكثار من أكلها يحدث في الراس صداعا ومن العجب أن هذه الحبوب إذا بدست في الشمس كان طعمها كطعم التين وكنت آكلها عوضا عن التين إذ لا يوجد ببلاد

الهند وهم يسمون هذه الحبة الانسكور (بفتح الهمزة وسكون النون وضم السكاف المعقودة والواو والراء) وتفسيره بلسانهم العنب والعنب بأرض الهند عزيز جدا ولا يكون بها إلا في موضع بحضرة دهلي وبيلاذ أخرى ويشمر مرتين في السنة ونوى هذا الثمر يصنعون منه الزيت ويستصبحون به ومن فواكههم فاكهة يسمونها كسيرا (بفتح السكاف وكسر السين المهمل وياء مدورا) يحفرون عليها الأرض وهي شديدة الحلاوة تشبه القسطل وبيلاذ الهند من فواكه بلادنا الرمان ويشمر مرتين في السنة ورايته ببلاد جزائر ذيبة المهل لا ينقطع له ثمر وهم يسمونه أنار (بفتح الهمزة والنون) وأظن ذلك هو الأصل في تسمية الجلائار فإن جل بالفارسية الزهر ونار الرمان

(ذكر الحبوب التي يزرعونها أهل الهند ويقتاتون بها)

وأهل الهند يزرعون مرتين في السنة فإذا نزل المطر عدهم في أو ان القيظ زرعوا الزرع الخريفي وحصدوه بعد ستين يوما من زراعته ومن هذه الحبوب الخريفية عندهم الكدرو (بهم السكاف وسكون الذال المعجم وضم الراء وبعدها واو) وهو نوع من الدخن وهذا الكدرو وهو أكثر الحبوب عندهم ومنها القال (بالقاف) وهو شبه أنلى ومنها الشاماخ (بالشين والخاء المعجمتين وهو أصغر حبا من القال وربما نبت هذا الشاماخ من غير زراعة وهو طعام الصالحين وأهل الورع والفقراء والمساكين يخرجون لجمع ما نبت منه من غير زراعة فيمسك أحدهم قفة كبيرة يساره وتسكون بيميناه مقلعة يضرب بها الزرع فيسقط في القفة فيجمعون منه ما يقتاتون به جميع السنة وحب هذا الشاماخ صغير جدا وإذا جمع جعل في الشمس ثم يدق في مهارس الخشب فيطير قشره ويبقى لبه أبيض ويصنعون منه عصيدة يطبخونها بحليب الجواميس وهي أطيب من خبزه وكنت أكلها كثيرا ببلاد الهند وتعجنى ومنها الماش وهو نوع من الجلبان ومنها المنهج (بهم مضموم ونون وجيم) وهو نوع من الماش إلا أن حبه به مستطيلة ولونه صافى الخضرة ويطبخون المنهج مع الأرز ويأكلونه بالسمن ويسمونه كشرى (بالكاف والشين المعجم والراء) وعليه يفترون في كل يوم وهو عندهم كالحريره ببلاد المغرب ومنها اللوبيا وهي نوع من الفول ومنها الموت (بضم الميم) وهو مثل الكدرو إلا أن حبه به أصغر وهو من علف الدواب عندهم وتسمن الدواب بأكله والشعير عندهم لاقوة له ولأنما علف الدواب من هذا الموت أو الحص يخرشونه ويبلونه بالماء ويطعمونه الدواب ويطعمونها عوضا من القصيل أوراق الماش بعد أن تسقى الدابة السمن عشرة أيام في كل يوم مقدار

ثلاثة أرتال أو أربعة ولا تركب في تلك الأيام وبعد ذلك يطعمونها أوراق الماش كما ذكرنا شهراً أو نحوه وهذه الحبوب التي ذكرناها هي الخريفية وإذا حصدها بعد ستين يوماً من زراعتها ازدرعوا الحبوب الربيعية وهي القمح والشعير والحمص والعنبر وتسكون زراعتها في الأرض التي كانت الحبوب الخريفية مزدرة فيها وبلادهم كريمة طيبة التربة وأما الأرض فإنهم يزرعون ثلاث مرات في السنة وهو من أكبر الحبوب عندهم ويزدرعون السمسم وقصب السكر مع الحبوب الخريفية التي تقدم ذكرها (ولنعد) إلى ما كنا بسبيله فأقول سافرنا من مدينة أبوهر في صحراء مسيرة يوم في أطرافها جبال منيعة يسكنها كفار الهند وربما قطعوا الطريق وأهل بلاد الهند أكثرهم كفار فمنهم رعية تحت ذمة المسلمين يسكنون القرى ويكون عليهم حاكم من المسلمين يقدمه العامل أو الخديم الذي تسكن القرية في إقطاعه ومنهم عصاة محاربون يمتنعون بالجبال ويقطعون الطريق .

(ذكر غزوة لنا بهذا الطريق وهي أول غزوة شهدتها ببلاد الهند)

ولما أردنا السفر من مدينة أبوهر خرج الناس منها أول النهار وأقمت بها إلى نصف النهار في لمة من أصحابي ثم خرجنا ونحن اثنان وعشرون فارساً منهم عرب ومنهم أعاجم نخرج علينا في تلك الصحراء ثمانون رجلاً من الكفار وفارسان وكان أصحابي ذوى نجدة وعنى فقما تلتناهم أشد القتال فقتلنا أحد الفارسين منهم وغنمنا فرسه وقتلنا من رجالهم نحو اثني عشر رجلاً وأصابني نصابة وأصابني فرسي نصابة ثانية ومن الله بالسلامة منها لأن نصابهم لا قوة لها وجرح لأحد أصحابنا فرس عوضناه له بفارس الكافر وذبحنا فرسه المجرع فأكله الترك من أصحابنا وأوصلنا تلك الرقوس إلى حصن أبي بكر ثم تعمقناها على سورته وكان وصولنا في نصف الليل إلى حصن أبي بكر المذكور (وضبط اسمه بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وفتح الهاء وآخره راء) وسافرنا منه فوصلنا بعد يومين إلى مدينة أجودهن (وضبط اسمها بفتح الهمزة وضم الجيم وفتح الدال المهملة والهاء وآخره نون) مدينة صغيرة هي للشيخ الصالح فريد الدين البذواني الذي أخبرني الشيخ الصالح الولي برهان الدين الأعرج بالاسكندرية أني سألقاء فلقيته والحمد لله وهو شيخ ملك الهند وأنعم عليه بهذه المدينة وهذا الشيخ مبتلى بالوسواس والعياذ بالله فلا يصافح أحداً ولا يدنو منه وإذا الصق ثوبه بثوب أحد غسل ثوبه دخلت زاويته ولقيته وبلغته سلام الشيخ برهان الدين فعجب وقال أنا دون ذلك ولقيت ولديه الفاضلين مع الدين وهو أكبرهما ولما مات أبوه تولى الشياخة بعده علم الدين

وزرت قبر جده القطب الصالح فريد الدين البزاراني منسوبة إلى مدينة بذاون بلد السندل (وهي بفتح الباء الموحدة والذال المعجم وضم الواو وآخرها نون) ولما أردت الانصراف عن هذه المدينة قال لي علم الدين لا بد لك من رؤية والدي فأيتته وهو في أعلى سطح له وعليه ثياب بيض وعمامة كبيرة لها ذقابة وهي مائلة إلى جانب ودعا لي وبعث إلى بسكر ونبات

(ذكر أهل الهند الذين يحرقون انفسهم بالنار)

ولما انصرفت عن هذا الشيخ رايت الناس يهرعون من عسكرنا ومعهم بعض اصحابنا فسألتهم ما الخبر فأخبروني إن كافراً من الهنود مات واجبت النار لحرقه وأمر أنه تحرق نفسها معه ولما احترقا جاء اصحابي واخبروا أنها عانقت الميت حتى احترقت معه وبعد ذلك كنت في تلك البلاد اري المرأة من كفار الهنود متزينة رابية والناس يتبعونها من مسلم وكافر والأطباء والأبواق بين يديها ومعها البراهمة وهم كبراء الهنود وإذا كان ذلك ببلاذ السلطان استأذنوا السلطان في احراقها فيؤذن لهم فيحرقونها ثم اتفق بعد مدة اني كنت بمدينة أكثر سكانها السكفار تعرف بالبحري واميرها مسلم من سامرة السند وعلى مقربة منها السكفار العصاة فقطعوا الطريق يوما وخرج الأمير المسلم لقتالهم وخرجت معه رعية من المسلمين والسكفار ووقع بينهم قتال شديد مات فيه من رعية السكفار سبعة نفر وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات فاتفقن على احراق انفسهن واحراق المرأة بعد زوجها عندهم أمر مندوب إليه غير واجب لكن من احرق نفسها بعد زوجها احرز أهل بيتها احرز أهل بيتها شرفاً بذلك ونسبوا إلى الوفاء ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب واقامت عند أهلها بائسة ممتنة لعدم وفاتها ولكنها لا تسكره على احراق نفسها ولما تعاهدت النسوة الثلاث اللاتي ذكرناهن على احراق انفسهن اتفن قبل ذلك ثلاثة ايام في غناء وطرب واكل وشرب كأنهن يودعن الدنيا ويأتين النساء من كل جهة وفي صبيحة اليوم الرابع اتيت كل واحدة منهن بفرس فركبته وهي متزينة متعطرة وفي يدها جوزة نار جيل ناعب بها وفي يسراها امرأة تنظر فيها وجهها والبراهمة يحفون بها واقاربها معها وبين يديها الأطباء والأبواق والأنفاز وكل إنسان من السكفار يقول لها بلغي السلام إلى أبي أو اخي أو أمي أو صاحبي وهي تقول نعم وتضحك ليليهن وركبت مع اصحابي لأرى كيفية صنعهم في الاحتراق فسرنا معهم نحو ثلاثة اميال وانتهينا إلى موضع مظلم كثير المياه والأشجار متكاثف الظلال وبين أشجاره أربع قباب في كل قبعة صنم من

الحجارة وبين القباب صهر ينج ماء قد تسكانفت عليه الظلال وتزاحمت الأشجار فلا تخللها الشمس فكان ذلك الموضع بقعة من بقع جهنم أعادنا الله منها ولما وصلنا إلى تلك القباب تزان إلى الصهر ينج وانغمسن فيه وجردن ما عليهن من ثياب وحلى فتصدقن به وأتيت كل واحدة منهن بثوب قطن خشن غير مخيط فربط بعضه على وسطها وبعضه على رأسها وكتفيتها والنيران قد أضرمت على قرب من ذلك الصهر ينج في موضع منخفض وصب عليها روغن كسجيت (كسجد) وهو زيت الجلجان فزاد في اشتعالها وهنالك نحو خمسة عشر رجلاً بأيديهم حزم من الخشب الرقيق ومعهم نحو عشرة بأيديهم خشب كبار وأهل الأطباء والأبواق وقوف ينتظرون مجيء المرأة وقد حجبت النار بمحفة يمسكها الرجال بأيديهم لئلا يدهشها النظر إليها فرأيت إحداهن لمسا وصلت إلى تلك المحفة نزعتها من أيدي الرجال بعنف وقالت لهم ما واميتراساني ازاطش (آنش) من ميدانم أواطش است رها كنى ماراوعى تضحك ومعنى هذا الكلام أبا النار تخوفوني أنا أعلم أنها نار محرقة ثم جمعت يديها على رأسها خدمة للذار ورمت بنفسها فيها وعند ذلك ضربت الأطباء والأنفار والأبواق ورمى الرجال ما بأيديهم من الخشب عليها وجعل الآخرون تلك الخشب من فرقها لئلا تتحرك وارتفعت الأصوات وكثر الضجيج ولمسا رأيت ذلك كدت اسقط عن فرسى لولا أصحابي تداركوني بالماء فغسلوا وجهى وانصرفت وكذلك يفعل أهل الهند أيضاً فى الغرق يغرق كثير منهم أنفسهم فى نهر السكتك وهو الذى إليه يحجون وفيه يرى برما د هولااء المحرقين وهم يقولون أنه من الجنة وإذا أتى أحدهم ليعرق نفسه يقول لمن حضره لا تظنوا أنى أغرق نفسى لأجل شيء من أمور الدنيا أو لقلة مال إنما قصدى التقرب إلى كساي وكساي (بضم الكاف والسين المهمل) اسم الله عز وجل بلسانهم ثم يغرق نفسه فإذا مات أخرجوه واحرقوه ورموه برماده فى البحر المذكور (ولنعد) إلى كلامنا الأول فنقول سافرنا من مدينة أجودهن فوصلنا بعد مسيرة أربعة أيام منها إلى مدينة سرسقى (وضبط اسمها بسينين مفتوحين بينهما راء سا كثة ثم تاء مشناة مكسورة وياء) مدينة كبيرة كثيرة الأرز وأرزها طيب ومنها يحمل إلى حضرة دهلى ولها مجي كثير جداً أخبرنى الحاجب شمس الدين البوشنجى بمقداره وأنسيته ثم سافرنا منها إلى مدينة حانسى (وضبط اسمها بفتح الحاء المهملة والفاء ونون سا كن وسين مهمل مكسور وياء) وهى من أحسن المدن وأتقنها وأكثرها عمارة ولها سور عظيم ذكروا أن بانيه رجل من كبار سلاطين السكتنار يسمى توره (بضم التاء المعلوة وفتح الراء) وله عندهم

حكايات واخبار من هذه المدينة كمال الدين صدر الجهان قاضى قضاة الهند واخوه قطلوخان معلم السلطان واخوهما نظام الدين وشمس الدين الذى انقطع إلى الله وجاور بمكة حتى مات ثم سافروا من حانئى فوصلنا بعد يومين إلى مسعود اباد وهى على عشرة اميال من حضرة دهلى واقمنا بها ثلاثة ايام وحانئى ومسعود ابادهما للملك المعظم هو شنج (بضم الهاء وفتح الشين المعجم وسكون النون وبعدها جيم) ابن الملك كمال كرك وكرك (بكافين معقودين اولاهما مضمومة) ومعناه الذئب وسيأتى ذكره وكان سلطان الهند الذى قصدنا حضرته غائبا عنها بناحية مدينة قنوج وبينها وبين حضرة دهلى عشرة ايام وكانت بالحضرة والدته وتدعى المخدومة جهان وجمان اسم الدنيا وكان بها ايضا وزيره خواجه جهان المسمى بأحمد بن اياس الرومى الأصل فبعث الوزير إلينا اصحابه ليتلقونا وعين للقاء كل واحد منا من كان من صفته فكان من الذين عينهم للقائى الشيخ البسطامى والشريف المازندراني وهو حاجب الغرباء والفقهاء علاء الدين المذاني المعروف بقرنه (بضم القاف وفتح النون وتشديدها) وكتب إلى السلطان بخبرنا وبعث الكتاب مع الدواة وهى يريد الرجالة حسبما ذكرناه فوصل إلى السلطان واتاه الجواب فى تلك الايام الثلاثة التى اقمناها بمسعود اباد وبعد تلك الايام خرج إلى لقائنا القضاة والفقهاء والمشايخ وبعض الأمراء وهم يسمون الأمراء ملوكا فحيث يقول اهل ديار مصر وغيرها الأمير يقولون هم الملك وخرج إلى لقائنا الشيخ ظهير الدين الزنجاني وهو كبير المنزلة عند السلطان ثم رحلنا من مسعود اباد فنزلنا بمقرية من قرية تسمى بالم (بفتح الباء المعقودة وفتح اللام) وهى للسيد الشريف ناصر الدين مطهر الأوهري احد زعماء السلطان ومن له عنده الخطوة التامة وفى غد ذلك اليوم وصلنا إلى حضرة دهلى قاعده بلاد الهند (وضبط اسمها بكسر الدال المهمل وسكون الهاء وكسر اللام) وهى المدينة العظيمة الشأن الصخمة الجامعة بين الحسن والحصانة وعليها السور الذى لا يعلم له فى بلاد الدنيا نظير وهى اعظم مدن الهند بل مدن الإسلام كلها بالشرق

(ذكر وصفها)

ومدينة دهلى كبيرة الساحة كثيرة العماره وهى الآن اربع مدن متجاورات متصلات احداها المسماة بهذا الاسم دهلى وهى القديمة من بناء الكفار وكان افتتاحها سنة اربع وثمانين وخمسمائة والثانية تسمى سهرى (بكسر السين المهمل والراء بينهما ياء مد) وتسمى ايضا دار الخلافة وهى التى اعطاها السلطان انبياث الدين حفيد الخليفة المستنصر العباسى لما قدم عليه وبها كان سكنى السلطان علاء الدين وابنه قطب الدين وسند كرها والثلاثة

تسمى تغلق اباد باسم بانها السلطان تغلق والسلطان الهند الذى قدمنا عليه وكان سبب بنائه لها انه وقف يوما بين يدي السلطان قطب الدين فقال لا ياخوند عالم كان ينبغي ان تبنى هنا مدينة فقال له السلطان متبكمما اذا كنت سلطانا فابنما فكان من قدر الله ان كان سلطانا فبنماها وسماها باسمه والرابعة تسعى جهان بناه وهى مختصة بسكنى السلطان محمد شاه ملك الهند الآن الذى قدمنا عليه وهو الذى بناها وكان اراد ان يضم هذه المدن الأربع تحت سور واحد فبنى منه بعضا وترك بناء باقيه لعظماء يلزم فى بنائه

(ذكر سور دهلى وابوابها)

والسور المحيط بمدينة دهلى لا يوجد له نظير عرض حائطه أحد عشر ذراعا وفيه بيوت يسكنها السمار وحفاظ الأبواب وفيها مخازن للطعام ويسمونها الانبارات ومخازن للعدد ومخازن للمعجانيق والرعادات ويبقى الزرع بها مده طائلة لا يتغير ولا تطرقه آفة ولقد شاهدت الارز يخرج من بعض تلك المخازن ولو انه قد اسود واسكن طعمه طيب ورايت ايضا السكند ويخرج منها وكل ذلك من اختزان السلطان بل من منذ تسعين سنة ويمشى فى داخل السور الفرسان والرجال من أول المدينة إلى آخرها وفيه طيقتان مفتحة إلى جهة المدينة يدخل منها الضوء واسفل هذا السور مبنى بالحجارة واعلاه بالاجروابراجة كثيرة متقاربة وهذه المدينة ثمانية وعشرون بابا وهم يسمون الباب دروازة فمنها دروازة بناون وهى الكبرى ودروازة المندوى وبها رحبة الزرع ودروازة جل (بضم الجيم) وهى موضع البساتين ودروازة شاه اسم رجل ودروازة بالم اسم قرية قد ذكرناها ودروازة نجيب اسم رجل ودروازة كال كذلك ودروازة غزنة نسبة إلى مدينة غزنة التى فى طرف خراسان وبخارجها مصلب العيد وبعض المقابر ودروازة البجالة (بفتح الباء والجيم والصاد المهمل) وبخارج هذه الدروازة مقابر دهلى وهى مقبرة حسنة يبنون بها القباب ولا بد عند كل قبر من محراب وإن كان لاقبة له ويزرعون بها الاشجار المزهرة مثل فل (كل شنبو) وريول (راي بيل) والسرير وسواها والازاهير هنالك لا تنقطع فى فصل من الفصول

(ذكر جامع دهلى)

وجامع دهلى كبير الساحة خيطانه وسقفه وفرشه كل ذلك من الحجارة البيض المصقولة ابداع تحت ملاصقة بالرصاص انقن الصاغة ولا خشبة به اصلا وفيه ثلاث عشرة قبة من حجارة ومنبره ايضا من الحجر وله اربعة من الصحن وفي وسط الجامع العمود الهائل الذى لا يدري من أى المعادن هو ذكر لى بعض حكمائهم انه يسمى هفت جوش (بفتح الهاء وسكون

الفناء وتاء معلولة وجيم مضموم وآخرة شين معجم) ومعنى ذلك سبعة معادن وانه مؤلف منها وقد جلى من هذا العمود مقدار السبابة ولذلك المجلوم منه بریق عظیم ولا يؤثر فيه الحديد وطوله ثلاثون ذراعاً وأدناه به عمامة فكان الذى احاط بداثر تهمها ثمان اذرع وعند الباب الشرقى من أبواب المسجد صنمان كبيران جدران النحاس مطروحان بالأرض قد الصقا بالحجارة ويطأ عليهما كل داخل إلى المسجد أو خارج منه وكان موضع هذا المسجد بدخانة وهو بيت الأصنام فلما افتتحت جعل مسجداً وفى الصحن الشمالى من المسجد الصومعة التى لا نظير لها فى بلاد الاسلام وهى مبنية بالحجارة الحجر خلا للحجارة سائر المسجد فانها بيض وحجارة الصومعة منقوشة وهى سامية الارتفاع وحلها من الرخام الأبيض الناصع وتغافى فيها من الذهب الخالص وسعة يمرها بحيث تصعد فيه القبيلة حدثنى من اثق به انه رأى العجل حين بنيت يصعد بالحجارة إلى أعلاها وهى من بناء السلطان معز الدين ناصر الدين بن السلطان غياث الدين بلبن وأراد السلطان قطب الدين ان يبنى بالصحن الغربى صومعة اعظم منها فبقى مقدار الثلث منها واخترم دون تمامها واراد السلطان محمد اتمامها ثم ترك ذلك تشاؤماً وهذه الصومعة من عجائب الدنيا فى ضخامتها وسعة يمرها بحيث تصعد ثلاثة من القبيلة متقارنة وهذا الثلث المبنى منها مساو لارتفاع جميع الصومعة التى ذكرنا انها بالصحن الشمالى وصعدتها مرة فرأيت معظم دور المدينة وعابثت الاسوار على ارتفاعها وسموها منحة وظهر لى الناس فى اسفلها كأنهم الصبيان الصغار ويطرون لناظرها من اسفلها ان ارتفاعها ليس بذلك لعظم جرمها وسعتها وكان السلطان قطب الدين أراد أن يبنى ايضاً مسجداً جامعاً يسيرى المسماة دار الخلافة فلم يتم منه غير الحائط القبلى والمحراب وبنائه بالحجارة البيض والسود والحجر والخضر ولو كمل لم يكن له مثل فى البلاد واراد السلطان محمد اتمامه وبعث عرفاء البناء ليقدروا النفقة فيه فزعموا انه ينفق فى اتمامه خمسة وثلاثون لكا فترك ذلك استكشاراً له واخبر فى بعض خواصه انه لم يتركه استكشاراً لساكنه تشاءم به لما كان السلطان قطب الدين قد قتل قبل تمامه

(ذكر الخوضين العظيمين بخارجها)

وبخارج دهلى الخوض العظيم المنسوب إلى السلطان شمس الدين اللش ومنه يشرب اهل المدينة وهو بالقرب من مصلاها وماؤها يجتمع من ماء المطر وطوله نحو ميلين وعرضه على النصف من طوله والجهة الغربية من ناحية المصلى مبنية بالحجارة مصنوعة امثال الدكاكين بعضها على من بعض وتحت كل دكان درج ينزل عليها إلى الماء وبجانب كل دكان

قبة حجارة فيها مجالس للبتزهيين والمتفرجين في وسط الحوض قبة عظيمة من الحجارة المنقوشة بمجوعة طبعتين فإذا كثر الماء في الحوض لم يكن سبيل إليها إلا في القوارب فإذا قل الماء دخل إليها الناس وداخلها مسجد وفي أكثر الأوقات يقسم بها الفقراء المنقطعون إلى الله المتوكلون عليه إذا جف الماء في جوانب هذا الحوض زرع فيها قصب السكر والخيار والنشاء والبطيخ الأخضر والأصفر وهو شديد الحلاوة صغير الجرم وفيما بين دهلي ودار الخلقة حوض الخاص وهو أكبر من حوض السلطان شمس الدين وعلى جوانبه نحو أربعين قبة ويسكن حوله أهل الطرب وموضعهم يسمى طرب آباد ولهم سوق هنالك من أعظم الأسواق ومسجد جامع ومساجد سواه كثيرة واخبرت أن النساء المغنيات السالكات هنالك يصلين التراويح في شهر رمضان بتلك المساجد مجتمعات ويؤمنهن الأئمة وعددهن كبير وكذلك الرجال المغنون ولقد شاهدت الرجال أهل الطرب في عرس الأمير سيف الدين غدا بن مهني لكل واحد منهم مصلى تحت ركبته فإذا سمع الأذان قام فتوضأ وصلى ﴿ ذكر بعض مزاراتها ﴾

فمنها قبر الشيخ الصالح قطب الدين بختيار السكهكي وهو ظاهر البركة كثير التعظيم وسبب تسمية هذا الشيخ بالسكهكي أنه كان إذا أتاه الذين عليهم الديون شاكين من الفقر أو القلة أو الذين لهم البنات ولم يجدوا ما يجهزهن به إلى أزواجهن يعطى من أتاه منهم كهك من الذهب أو من الفضة حتى عرف من أجل ذلك بالسكهكي رحمه الله ومنها قبر الفقيه الفاضل نور الدين السكر لالي (بضم الكاف وسكون الراء والنون) ومنها قبر الفقيه علاء الدين السكرماني نسبة إلى كرماني وهو ظاهر البركة ساطع النور ومكانه يظهر قبلة المصلي وبذلك الموضع قبور رجال صالحين كثير نفع الله تعالى بهم

﴿ ذكر بعض علمائها وصالحاتها ﴾

فمنهم الشيخ الصالح العالم محمود السكبا (بالباء الموحدة) وهو كبار الصالحين والناس يزعمون أنه ينفق من السكوب لأنه لا مال له ظاهر وهو يطعم الوارد والصادر ويعطى الذهب والدرهم والآثواب وظهرت له كرامات كثيرة واشتهر بهارايته مرات كثيرة وحصلت له بركته ومنهم الشيخ الصالح العالم علاء الدين الثبيلي كما هو منسوب إلى نيل مصر والله أعلم كان من أصحاب الشيخ العالم الصالح نظام الدين البزواني وهو يعظ الناس في كل يوم جمعة فيتوب كثير منهم بين يديه ويخلقون رؤسهم ويتواجدون ويغشون على بعضهم ﴿ حكاية ﴾

شاهدته في بعض الأيام وهو يعظ فقراء القاري بين يديه (يا أيها الناس اتقوا ربكم أنزلت

الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل معرضة عما أضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) ثم كررها الفقيه علام الدين فصاح أحد الفقراء من ناحية المسجد صيحة عظيمة فأعاد الشيخ الآية فصاح الفقير ثانية ووقع ميتا وكنت فيمن صلى عليه وحضر جنازته ومنهم الشيخ الصالح العابد صدر الدين السكهراني (بضم السكاف وسكون الهاء وراء ونون) وكان يصوم الدهر ويقوم الليل وتجرد عن الدنيا جميعا ونبذها ولباسه عباءة وزوره السلطان وأهل الدولة وربما احتجب عنهم فرعب السلطان منه أن يقطعه قرى يطعم منها الفقراء والواردين فأبى ذلك وزاره يوما وأتى إليه بعشرة آلاف دينار فلم يقبلها وذكر وأنها لا يفطر إلا بعد ثلاث وأنه قيل له في ذلك فقال لا افطر حتى اضطر فتحل لي الميتة ومنهم الامام الصالح العالم العابد الورع الخاشع فريد دهره ووحيد عصره كالدين عبد الله الغاري (بالغين المعجم والراء) نسبة الى غار كان يسكنه خارج دهلي بمقر بة من زاوية الشيخ نظام الدين البذاوني زرت به هذا النار ثلاث مرات ﴿كرامة له﴾

كان لي غلام فابق مني والفيته بيد رجل من الترك فذهبت الى انتراعه من يده فقال لي الشيخ أن هذا الغلام لا يصلح لك فلا تأخذه وكان التركي راغبا في المصالحة فصالحته بمائة دينار اخذتها منه وتركته له فلما كان بعد ستة اشهر قتل سيده وأتى به إلى السلطان فأمر بتسليمه لاولاد سيده فقتلوه ولما شاهدت لهذا الشيخ هذه السكرامة انقطعت اليه ولازمته وتركته الدنيا وهبت جميع ما كان عندى للفقراء والمساكين واقبت عنده مدة فسكنت اراه يواصل عشرة ايام وعشرين يوما ويقوم اكثر الليل ولم ازل معه حتى بعث عن السلطان ونشبت في الدنيا ثانية والله تعالى يختم بالخير وسأذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى وكيفية رجوعى الى الدنيا

(ذكر فتح دهلي ومن تداولها من الملوك)

حدثني الفقيه العالم العلامة قاضي القضاة بالهند والسند كال الدين محمد بن البرهان الغزنوي الملقب بصدر الجهان ان مدينة دهلي افتتحت من ايدي السكفاري في سنة اربع وثمانين وخمسائة وقد قرأت أنا ذلك مكتوبا على محراب الجامع الاعظم بها وأخبرني ايضا انها افتتحت على يد الأمير قطب الدين ايبك (واسمه بفتح الهمزة وسكون الياء آخر الحروف وفتح الياء الموحدة) وكان يلقب سياه (سالار) ومعناه مقدم الجيوش وهو احد بماليك السلطان المعظم شهاب الدين محمد بن سنام الغوري ملك غزنة وخراسان المتغلب على ملك

ابراهيم ابن السلطان الغازي محمود بن سبكتكين الذي ابتداء فتح الهند وكان السلطان شهاب الدين المذكور بعث الأمير قطب الدين بعسكر عظيم ففتح الله عليه مدينة لاهور وسكنها وعظم شأنه وسعى به إلى السلطان وألقى إليه جلاساؤه أنه يريد الانفراد بملك الهند وأنه قد عصى وخالف وبلغ هذا الخبر إلى قطب الدين فبادر بنفسه وقدم على غزنة ليلا ودخل على السلطان ولا علم عند الذين وشوا به إليه فلما كان بالغد قعد السلطان على سريرته وأقعد أيبك تحت السرير بحيث لا يظهر وجاء الندماء والخواص الذين سعوا به فلما استقرهم الجلوس سألهم السلطان عن شأن أيبك فذكروا له أنه عصى وخالف وقالوا قد صح عندنا انه ادعى الملك لنفسه فضرب السلطان سريره فصفق بيديه وقال يا أيبك قال أيبك وخرج عليهم فسقط في أيديهم وفزعوا إلى تقبيل الأرض فقال لهم السلطان قد غفرت لكم هذه الزلة وإياكم والعودة إلى الكلام في أيبك وأمره أن يعود إلى بلاد الهند فعاد إليها وفتح مدينة دهلي وسواها واستقر بها الإسلام إلى هذا العهد وأقام قطب الدين بها إلى أن توفي .

(ذكر السلطان شمس الدين المنيش)

(وضبط اسمه بفتح اللام الأولى وسكون الثانية وكسر الميم وشين معجم) وهو أول من ولي الملك بمدينة دهلي مستقلا به وكان قبل تملكه مملوكا للامير قطب الدين أيبك وصاحب عسكره نائباً عنه فلما مات قطب الدين استبد بالملك وأخذ الناس بالبيعة فأتاه الفقهاء يقدمهم قاضي القضاة إذ ذاك وجيه الدين الكاساني فدخلوا عليه وقعد بين يديه وقعد القاضي إلى جانبه على العادة وفهم السلطان عنهم ما أرادوا أن يكلموه به فرفع طرف البساط الذي هو قاعد عليه وأخرج لهم عقدا يتضمن عتقه فقراء القاضي والفقهاء وبايعوه جميعا واستقل بالملك وكانت مدته عشرين سنة وكان عادلا صالحا فاضلا ومن مآثره أنه اشتد في رد المظالم وإنصاف المظلومين وأمر أن يلبس كل مظلوما ثوبا مصبوغا وأهل الهند جميعا يلبسون البياض فكان متى قعد للناس أو ركب فرأى أحدا عليه ثوب مصبوغ نظر في قضيته وانصفه ممن ظلمه ثم أنه أعيا في ذلك فقال ان بعض الناس تجرى عليهم المظالم بالليل وأريد تعجيل انصافهم فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام موضوعين على برجين هنالك وفي أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير فكان المظلوم يأتي ليلا فيحرك الجرس فيسمعه الساطال وينظر في أمره للحين وينصفه ولما توفي السلطان شمس الدين خلف من الأولاد المذكور ثلاثة وهم ركن الدين الوالي بعده ومعز الدين وناصر الدين وبناتا تسمى رضية هي شقيقة معز الدين منهم قتولى بعده ركن الدين كما ذكرناه

(ذكر السلطان ركن الدين ابن السلطان شمس الدين)

ولما بويغ ركن الدين بعد موت أبيه أقتبح أمره بالتعدى على أخيه معز الدين فقتله وكانت رضىة شقيقته فأسكرت ذلك عليه فأراد قتلها فلما كان في بعض أيام الجمع خرج ركن الدين إلى الصلاة فصعدت رضىة على سطح القصر القديم المجاور للجامع الأعظم وهو يسمى دولة خانة ولبست عليها ثياب المظلومين وتعرضت للناس وكلبهم من أعلى السطح وقالت لهم ان أخى قتل أخاه وهو يريد قتلى معه وذكرتهم أيام أبيها وفعله الخير واحسانه إليهم فثاروا عند ذلك إلى السلطان ركن الدين وهو في المسجد فقبضوا عليه وأنوا به إليها فقالت لهم القاتل يقتل فقتلوه قصاصا بأخيه وكان آخرهما ناصر الدين صغيرا فاتفق الناس على تولية رضىة .

(ذكر السلطانة رضىة)

ولما قتل ركن الدين اجتمعت العساكر على تولية اخته رضىة الملك فولوها واستقلت بالملك أربع سنين وكانت تركب بالهوس والترکش والقربان كما يركب الرجال ولا تستر وجهها ثم اتهمت لعبد لها من الحبشة فاتفق الناس على خلعهما وتزويجهما فخامت وزوجت من بعض أقاربها وولى الملك أخوها ناصر الدين

(ذكر السلطان ناصر الدين بن السلطان شمس الدين)

ولما خلعت رضىة ولى ناصر الدين أخوها الأصغر واستقل بالملك مدّة ثم ان رضىة وزوجها خالفا عليه وراكباني ماليكهما ومن تبعهما من أهل الفساد وتبها لقتاله وخرج ناصر الدين ومعه مملوكه النائب عنه غياث الدين بلبن متولى الملك بعده فوقع اللقاء وانهمزم عسكر رضىة وفرت بنفسها فأدركها الجوع واجهدا الأعياء فقصدت حراثا رأتية حيرت الأرض فظلمت منه مائتا كلة فأعطاها كسرة خبز فأكلتها وغلب عليها النوم وكانت في زى الرجال فلما نامت نظر إليها الحراث وهي نائمة فرأى تحت ثيابها قباء مرضعا فعلم أنها امرأة فقتلها وسلبها وطرد فرسها ودفنها في قدانه وأخذ بعض ثيابها فذهب إلى السوق يبيعها فأبكر أهل السوق شأنه وأنوا به الشحنة وهو الحاكم فضربه فأقر بقتلها ودلهم على مدقنها فاستخرجوها وغسلوها وكفنوها ودفنت هنالك وبنى عليها قبة وقبرها الآن بزارو يتبرك به وهو على شاهلىء النهر الكبير المعروف بنهر الجون على مسافة فرسخ واحد من المدينة واستقل ناصر الدين بالملك بعدها واستقام له الأمر عشرين سنة وكان ملكا صالحا يفسخ نسخا من الكتاب العزيز ويبيعها فيقتات بشمها وقد وقفنى القاضي كال الدين على مصحف بخطه متقن بحكم الكتابة ثم أن نائبه غياث الدين بلبن قتله وملك بعده ولبان هذا خبر ظريف نذكره

(ذكر السلطان غياث الدين بلبن)

(وضبط اسمه بيا من موحدين بينهما لام والجميع مفتوحات وآخرها نون) ولما قتل بلبن مولاه السلطان ناصر الدين استقل بالملك بعده عشرين سنة وقد كان قبلها نائباً له عشرين سنة أخرى وكان من خيار السلاطين عادلاً حليماً فاضلاً ومن مكارمه أنه بنى داراً وسماها دار الأمن فمن دخلها من أهل الديون قضى دينه ومن دخلها خائفاً أمن ومن دخلها وقد قتل أحداً أرضى عنه أولياء المقتول ومن دخلها من ذوى الجنايات أرضى أيضاً من يطلبه وبذلك الدار دفن لما مات وقد زرت قبره .

(حكاية)

يذكر أن أحد الفقراء ببخارى رأى بها بلبن هذا وكان قصيراً حقيراً دميماً فقال له يا تركك وهى لفظة تعبر عن الاحتقار فقال له لبيك ياخوند فأعجبه كلامه فقال له اشترى من هذا الرمان وأشار إلى رمان يباع فى بالسوق فقال نعم وأخرج فليسات لم يكن عنده سواها واشترى له من ذلك الرمان فلما أخذها الفقير قال لدو هبتاك ملك الهند فقبل بلبن يد نفسه وقال قبلت ورضيت واستقر ذلك فى ضميره وانفق أن بعث السلطان شمس الدين للممش تاجراً يشتري له المماليك بسمرقند وبخارى وترمذ فاشترى مائة مملوك من جملة بلبن فلما دخل بالمماليك على السلطان أعجبه جميعهم إلا بلبن لما ذكرناه من دمايته فقال لا أقبل هذا فقال له بلبن ياخوند عالم لمن اشتريت هؤلاء المماليك فضحك منه وقال اشتريتهم لنفسى فقال اشترى أنا لله عز وجل فقال نعم وقبله وجعله فى جملة المماليك فاحتقر شأنه وجعله فى السقائين وكان أهل المعرفة بعلم النجوم يقولون للسلطان شمس الدين أن أحد ممالكك يأخذ الملك من يد ابنك ويستولى عليه ولا يزالون بذلك وهو لا يلتفت إلى أفوالهم إصلاحه وعدله إلى أن ذكرنا ذلك للخاتون الكبرى أم أولاده فذكرت له ذلك وأثر فى نفسه وبعث على المنجمين فقال أتعرفون المملوك الذى يأخذ ملك ابنى إذا رأيتموه فقالوا له نعم عندنا علامة نعرفه بها فأمر السلطان بعرض ممالكه وجلس لذلك فعرضوا بين يديه طبقة طبقة والمنجمون ينظرون إليهم ويقولون لم نره بعد وحين وقت الزوال فقال السقاؤون بعضهم لبعض إنا قد جمعنا فلنجمع شيئاً من الدراهم ونبعث أحداً إلى السوق ليشتري لنا ما نأكله فجمعوا الدراهم وبعثوا بها بلبن إذ لم يكن فيهم أحقر منه فلم يجد بالسوق ما أرادوه فتوجه إلى سوق أخرى وأبطأ وجاءت نوبة السقائين فى العرض وهو لم يأت بعد فأخذوا زقه وماعونه وجعلوه على كاهل صبي وعرضوه على أنه بلبن قلما نودى اسمه جاز الصبي بين أيديهم وانقضى العرض ولم ير المنجمون الصورة التى تطلبها

وجاء بلبن بعد تمام العرض لما أراد الله من انقاذ قضائه ثم أنه ظهرت نجاته فجعل أمير السقائين ثم صار من جملة الاجناد ثم من الأمراء ثم تزوج السلطان ناصر الدين بنته قبل أن يلى الملك ولما ولي الملك جعله نائباً عنه مدة عشرين سنة ثم قتله بلبن واستولى على ملكه عشرين سنة أخرى كما تقدم ذكر ذلك وكان للسلطان بلبن ولدان أحدهما الخان الشهيد ولي عهده واليا لآبيه ببلاد السند ساكناً بمدينة ملتان وقتل في حرب له مع التتر وترك ولدين كى قباد وكى خسرو وولدا للسلطان بلبن الثانى يسمى ناصر الدين وكان واليا لآبيه ببلاد اللكنوتى وبنجالة فلما استشهد الخان الشهيد جعل السلطان بلبن العهد لى ولده كى خسروا وعدل به عن ابن نفسه ناصر الدين وكان لناصر الدين كذلك ولدساكن بحضرة دهلى مع جده يسمى معز الدين وهو الذى تولى الملك بعد جده فى خبر عجيب نذكره وأبوه لاذ ذاك حتى كما ذكرناه

﴿ ذكر السلطان معز الدين بن ناصر ابن السلطان غياث الدين بلبن ﴾

ولما توفى السلطان غياث الدين ليلاً وابنته ناصر الدين غائب ببلاد اللكنوتى وجعل العهد لابن ابنه الشهيد كى خسرو حسيماً قصصناه كان ملك الأمراء نائب السلطان غياث الدين عدواً لى خسرو فادار عليه حيلة تمت وهى أنه كتب بيعة دلس فيها على خطوط الأمراء الكبار بأنهم بايعوا السلطان معز الدين حفيد السلطان بلبن ودخل على كى خسرو كما تمت نصحه له ان الأمراء قد بايعوا بن عمك وأخاف عليك منهم فقال كى خسرو فما الحيلة قال انج بنفسك هارباً الى بلاد السند فقال وكيف الخروج والابواب ممدودة فقال له ان المقاتلة بيدى وأنا افتح لك فثكره على ذلك وقبل يده فقال له اركب الآن فركب فى خاصته وبما ليك وفتح له الباب وأخرجوه وسد فى أثره واستأذن على معز الدين قبايعه فقال كيف لى بذلك وولاية العهد لابن عمى فأعلمه بما أدار عليه من الحيلة وبأخراجه فثكره على ذلك ومضى به إلى دار الملك وبعث إلى الأمراء والخواص فبايعوا اليه فلما أصبح بايعه سائر الناس واستقام له الملك وكان أبوه حياً ببلاد بنجالة والكنوتى فانصل به الخبر فقال أنا وارث الملك وكيف يلى ابني الملك ويستقل به وأنا بقميد الحياة فتجهز فى جيوشه قاصداً حضرة دهلى تجهز ولده فى جيوشه كذلك قاصداً المدافعة عنها فتوافيا معا بمدينة كرا وهى على ساحل نهر السكتك الذى تحج الهند إلى فيه فنزل ناصر الدين على شاطئه مما يلى كرا ونزل ولده السلطان معز الدين مما يلى العجمة الأخرى والنهى بينهما وعزما على القتال ثم أو الله تعالى اراد حقن دماء المسلمين فالقى فى قلب ناصر الدين الرحمة لآبنته وقال إذا ملك ولدى فذلك شرف وأنا أحتق أن أرغب فى ذلك وألقى فى قلب السلطان معز الدين الضراعة لآبيه

فركب كل واحد منهما منفردا عن جيوشه والتقىا في وسط النهر فقبل السلطان رجل ابنيه واعتذر له فقال له أبوه قد وهبتك ملكي ووليتك وبايعه وأراد الرجوع لبلاده فقال له أبوه لا بد لك من الوصول إلى بلادى فضى معه إلى دهلى ودخل القصر وأقعداه أبوه على سرير الملك ووقف بين يديه وسمى ذلك اللقاء الذى كان بينهما بالنهر لقاء السعدين لما كان فيه من حقن الدماء وتواهب الملك والنجافى عن المنازعة واكثر الشعراء فى ذلك وعاد ناصر الدين إلى بلاده فمات بها بعد سنين وترك بها ذرية منهم غياث الدين بهادور الذى أسره السلطان تغلق وأطلقه ابنه محمد بعد وفاته واستقام الملك لمعز الدين أربعة أعوام بعد ذلك وكانت كالأعياد رأيت بعض من أدركها يصف خيراتها ورخص أسعارها وجود معز الدين وكرمه وهو الذى بنى الصومعة بالصحن الشمالى من جامع دهلى ولا نظير لها فى البلاد وحكى لى بعض أهل الهند أن معز الدين كان يكثر الشكاح والشرب فاعثرته علة أعجز الأطباء دواؤها ويبس أحد شقيه فقام عليه نائبه جلال الدين فيروز شاه الخلقى (بفتح الخاء المعجم واللام والجيم)

(ذكر السلطان جلال الدين)

ولما اعتزى السلطان معز الدين ما ذكرناه من يبس أحد شقيه خالف عليه نائبه جلال الدين وخرج إلى ظاهر المدينة فوقف على تل هنالك بجانب قبة تعرف بقبة الجيشانى فبعث معز الدين الأمراء لقتاله فكان كل من يبعثه منهم يبايع جلال الدين ويدخل فى جملة من دخل المدينة وحصره فى القصر ثلاثة أيام وحدثنى من شاهد ذلك أن السلطان معز الدين أصابه الجوع فى تلك الأيام فلم يجد ما يأكله فبعث إليه أحد الشرفاء من جيروانه ما أقام أوده ودخل عليه القصر فقتل وولى بعده جلال الدين وكان حليما فاضلا وحلته أداه إلى القتل كما سنذكره واستقام له الملك سنين وبنى القصر المعروف بأسمه وهو الذى أعطاه السلطان محمد لصوره الأمير غدا بن مهنى لما زوجه وبأخته وميند كر ذلك فكان للسلطان جلال الدين ولد اسمه ركن الدين وابن أخ اسمه علاء الدين زوجه بأبنته وولاه مدينة كرا ما تكبور ونواحيها وهى من أخصب بلاد الهند كثيرة القمح والأرز والسكر وتصنع بها الثياب الرفيعة ومنها تجلب إلى دهلى وبينهما مسيرة ثمانية عشر يوما وكانت زوجة علاء الدين تؤذيه فلا زال يشكوها إلى عمه السلطان جلال الدين حتى وقعت الوحشة بينهما بسببها وكان علاء الدين شهما شجاعا مظفرا منصورا وحب الملك ثابت فى نفسه إلا أنه لم يكن له مال إلا ما يستفيد به بسيفه من غنائم السكفار فاتفق إنه ذهب مرة إلى

الغزو ببلاد الدويقيز وتسمى بلاد الكتكة أيضا وسنذكرها وهي كرسى بلاد المألوة والمرهته وكان سلطانها أكبر سلاطين السكفار فعثرت بعلاء الدين في تلك الغزوة دابة له عند حجر فسمع له طنينها فأمر بالحفر هناك فوجد تحته كنزا عظيما ففرقه في أصحابه ووصل إلى الدويقيز فاذعن له سلطانها بالطاعة ومكثت من المدينة من غير حرب وأهدى له هدايا عظيمة فرجع إلى المدينة كرا ولم يبعث إلى عمه شيئا من الغنائم فأغرى الناس عمه به فبعث إليه فامتنع من الوصول إليه فقال السلطان جلال الدين أنا أذهب إليه وآتي به فإنه محل ولدي فتجهز في عساكره وطوى المراحل حتى حل بساحل مدينة كرا حيث نزل السلطان معز الدين لما خرج إلى لقاء أبيه ناصر الدين وركب النهر برسم الوصول إلى ابن أخيه وركب أيضا في مركب ثان غازما على الفتك به وقال لأصحابه إذا أنا عانقته فاقتلوه فلما التقينا وسط النهر عانقه ابن أخيه وقتله أصحابه كما وعدهم واحنوى على ملسكه وعساكره .

(ذكر السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي)

ولما قتل عمه استقل بالملك وفر إليه أكثر عساكر عمه وعاد بعضهم إلى دهلي واجتمعوا على ركن الدين وخرج إلى دفاعه فمروا جميعا إلى السلطان علاء الدين وفر ركن الدين إلى السند ودخل علاء الدين دار الملك واستقام له الأمر عشرين سنة وكان من خيار السلاطين وأهل الهند يشنون عليه كثيرا وكان يتفقد أمور الرعية بنفسه ويسأل عن أسعائهم ويحضر المحتسب وهم يسمونه الرئيس في كل يوم برسم ذلك ويذكر أنه سأله يوما عن سبب غلاء اللحم فأخبره أن ذلك لسكثرة المغرم على البقر في الرتب فأمر برفع ذلك وأمر بإحضار التجار واعطاهم الأموال وقال لهم اشترؤا بها البقر والغنم وبيعوها ويرتفع ثمنها لبهت المال ويكون لكم أجره على بيعها ففعلوا ذلك وفعل مثل هذا في الاثواب التي يؤتى بها من دولة اباد وكان إذا غلا ثمن الزرع فتح المخازن وباع الزرع حتى يرخس السعر ويذكر أن السعر ارتفع ذات مرة فأمر ببيع الزرع بثمن عينه فامتنع الناس من بيعه بذلك الثمن فأمر ألا يبيع أحد زراعا غير زرع الخزن وباع للناس ستة أشهر بخاف المحتكرون فساد زرعهم بالسوس فرغبوا أن يؤذن لهم على أن يبيعوه بأقل من القيمة الأولى التي امتنعوا من بيعه بها وكان لا يركب جمعة ولا العيد ولا سواهما وسبب ذلك إنه كان له ابن أخ يسعى سائما شاة وكان يحبه ويعظمه فركب يوما إلى الصيد وهو معه وأخير في نفسه أن يفعل ما فعل هو بعمه جلال الدين من الفتك فلما نزل

للغذاء فرماه بنشابة فصرعه وغطاه بعض عبيده بترس وأتى ابن أخيه ليجهز عليه فقال له العبيد أنه قد مات فصدقهم وركب فدخل القصر على الحرم وافاق السلطان علاء الدين من غشيتته وركب واجتمع العساكر عليه وفر ابن أخيه فادرك وأتى به إليه فقتله وكان بعد ذلك لا يركب وكان له من الأولاد خضر خان وشادى خان وأبو بكر خان ومبارك خان وهو قطب الدين الذى ولى الملك وشهاب الدين وكان قطب الدين مهتضاً عنده ناقص الحظ قليل الخطوة وأعطى جميع إخوته المراتب وهى الأعلام والأطبال ولم يعطه شيئاً وقال له يوماً لا بد أن أعطيك مثل ما أعطيت إخوتك فقال له الله هو الذى يعطى فقال أباه هذا الكلام وفرنق منه ثم أن السلطان اشتد عليه المرض وكانت زوجته أم ولده خضر خان وتسمى ماه حق والماء القمر بلسانهم لها أخ يسمى سنجر فعاهدت أخاها على تملك ولدها خضر خان وعلم بذلك ملك نائب أكبر أمراء السلطان وكان يسمى الألفى لأن السلطان اشتراه بألف تنكة وهى ألفان وخمسمائة من دنانير المغرب فوشى إلى السلطان بما اتفقوا عليه فقال لخواصه إذا دخل على سنجر فاق معطيه ثوباً فإذا لبسه فامسكوا بكأمة واضربوا به الأرض واذهبوه فلما دخل عليه فعلوا ذلك وقتلوه وكان خضر خان غائباً بموضع يقال له سند بت على مسيرة يوم من دهلى توجه لزيارة شهداء مدفونين به لينذر كان عليه أن يمشى تلك المسافة راجلاً ويدعو لوالده بالراحة فلما بلغه أن أباه قتل أخاله حزن عليه حزناً شديداً ومزق جبينه وتلك عادة لأهل الهند يفعلونها إذا مات لهم من يعز عليهم فبلغ والده ما فعله ففكره ذلك فلما دخل عليه عنقه ولأمة وأمر به فقيدت يده ورجلاه وسلبه الملك نائب المذكور وأمره أن يذهب إلى حصن كاليور وضبطه (بفتح الكاف المعقودة وكسر اللام وضم الياء آخر الحروف وآخره راء) ويقال له أيضاً كيالير بزيادة ياء ثانية وهو حصن منقطع بين كفار الهندو منبيع على مسيرة عشر من دهلى وقد سكنته أنا مدة فلما أوصاه إلى هذا الحصن سلبه للسكتوال وهو أمير الحصن والفردين وهم الزماميون وقال لهم لا تقولوا هذا ابن السلطان فتكرموه إنما هو أعدى عدوه فاحفظوه كالحفظ العدو ثم إن المرض اشتد بالسلطان فقال للملك نائب أبعث من يأتى بابنى خضر خان لأوليائه العهد فقال له نعم وماطله بذلك فتمى سأل عنه قال هو ذا يصل إلى أن توفى السلطان رحمه الله .

ذكر ابنه السلطان شهاب الدين

ولما توفى السلطان علاء الدين أقعد ملك نائب ابنه الأصغر شهاب الدين على سرير الملك وبايعه الناس وتغلب عليه وسمل أعين أبى بكر خان وشادى خان وبعث بهما

إلى كاليور وأمر بسمل عيني أخيهما خضر خان المسجون هناك وسجن قطب الدين لسنه لم تسمل عينيه وكان للسلطان علاء الدين من خواصه يسمى أحدهما ببشير والآخر ببشر فبعثت إليهما الخاتون الكبرى زوجة علاء الدين وهي بنت السلطان معز الدين فذكرتهما بنعمة مولاهما وقالت إن هذا الفتى نائب ملك قد فعل في أولادى ما نعلمناه وأنه يريد أن يقتل قطب الدين فقالا لها سترين ما نفعل وكانت عادتاهما أن يبيتا عند نائب ملك ويدخلا عليه بالسلاح فدخلا عليه تلك الليلة وهو في بيت من الخشب مكسوبا للملف يسمونه الخرمقة ينام فيه أيام المطر فوق سطح القصر فاتفق أنه أخذ السيف من يد أحدهما فقلبه برده إليه فضر به المملوك وثني عليه صاحبه واحتزا رأسه وأتيا به إلى مجلس قطب الدين فرميا به بين يديه وأخرجاه فدخل على أخيه شهاب الدين وأقام بين يديه أياما كأنه نائب له ثم عزم خلع نفسه .

في ذكر السلطان قطب الدين بن السلطان علاء الدين

وخلع قطب الدين أخاه شهاب الدين وقطع أصبعه وبعث به إلى كاليور فجلس مع إخوته واستقام الملك لقطب الدين ثم انه بعد ذلك خرج من حضرة دهلي إلى دولة إباد وهي على مسيرة أربعين يوما والطريق بينهما تكنفه الأشجار من الصفاف وسواء فكان الماشي به في بستان وفي كل ميل منه ثلاث داوات وهي البريد وقد ذكرنا ترتيبه وفي كل دواة جميع ما يحتاج المسافر إليه فكانه يمشي في سوق مسيرة الأربعين يوما وكذلك يتصل الطريق إلى بلاد التلنك والمعبر مسيرة ستة أشهر وفي كل منزلة قصر السلطان وزاوية للوارد والصادر فلا يفتقر الفقير إلى حمل زاد في ذلك الطريق ولما خرج السلطان قطب الدين في هذه الحركة اتفق بعض الأمراء على الخلاف عليه وتولية ولد أخيه خضر خان المسجون وسنه نحو عشرة أعوام وكان مع السلطان فبلغ السلطان ذلك فآخذ ابن أخيه المذكور وأمسك برجله وضرب برأسه إلى الحجارة حتى نثره ماغته وبعث أحد الأمراء ويسمى ملك شاه إلى كاليور حيث أبو هذا الولد وأعمامه وأمره بقتلهم جميعا فحدثني القاضي زين الدين مبارك قاضي هذا الحصن قال قدم علينا ملك شاه ضحوة يوم وكنت عند خضر خان محبسه فلما سمع بقدمه خاف وتغير لونه ودخل عليه الأمير فقال له فيما جئت قال في حاجة خو ند عالم فقال له نفسى سالمة فقال نعم وخرج عنه واستحضر الكتوال وهو صاحب الحصن والمقردين وهم الزماميون وكانوا ثلاثمائة رجل وبعث عن وعن العدول واستظهر بأمر السلطان فقرؤوا وأتوا إلى شهاب الدين المحلوع فضر بوا عنقه .

وهو مثبت غير جزع ثم ضربوا عنق أبى بكر خان وشادى خان ولما أتوا لبيضر بوا عنق خضر خان فزع وذهل وكانت أمه معه فسدوا الباب دونها وقتلوه وسحبوهم جميعا فى حفرة بدون تكفين ولا غسل وأخرجوا بعد سنين فدفنوا بمقابر آبائهم وعاشت أم خضر خان مدة ورأتها بمكة سنة ثمان وعشرين وحصن كاليور هذا فى رأس شاق كأنه منحوت من الصخر لا يحاذيه جبل وبداخله جباب الماء ونحو عشرين بئرا عليها الأسوار مضافة إلى الحصن منصوبا عليها المجانيق والرمادات ويصعد إلى الحصن فى طريق متسعة يصعد بها الفيل والفرس وعند باب الحصن صورة فيل منحوت من الحجر وعليه صورة فيال وإذا رآه الإنسان على البعد لم يشك أنه فيل حقيقة وأسفل الحصن مدينة حكمة مبنية كلها بالحجارة البيض المنحوتة مساجدها ودورها ولا خشب فيها ما عدا الأبواب وكذلك دار الملك بها والقباب والمجالس وأكثر سوقتها كفار وفيها ستائة فارس من جيش السلطان لايزالون فى جهاد لأنها بين الكفار وبين الكفرة ولما قتل قطب الدين إخوته واستقل بالملك فلم يبق من ينازعه ولا من يخالف عليه بعث الله تعالى عليه خاصته الحظى لديه أكبر أمراءه وأعظمهم منزلة عنده ناصر الدين خسرو خان فقتل به وقتله واستقل بمملكته إلا أن مدته لم تطل فى الملك فبعث الله عليه أيضا من قتله بعد خلعه السلطان تغلق حسبما يشرح ذلك كاه مستوفى إن شاء الله تعالى أثر هذا ونسطره .

(ذكر السلطان خسرو خان ناصر الدين)

وكان خسرو خان من أكبر أمراء قطب الدين وهو شجاع حسن الصورة وكان فتح بلاد جنديرى وبلاد المعبر وهى من أخصب بلاد الهند وبينهما وبين دهلى مسيرة ستة أشهر وكان قطب الدين يحبه حبا شديدا ويؤثره فجر ذلك حنقه على يديه وكان لقطب الدين معلم يسمى قاضى خان صدر الجهان وهو أكبر أمراءه كليت (كليت) دار وهو صاحب مفتاح القصر وعادته أن يبيت كل ليلة على باب السلطان ومعاهل النوبة وهم ألف رجل يبيتون مناوبة بين أربع ليال ويكونون صفين فيما بين أبواب القصر وسلاح كل واحد منهم بين يديه فلا يدخل أحدا إلا فيما بين سماطهم وإذا تم الليل أتى أهل نوبة بالنهار ولأهل النوبة أمراء وكتاب يتطوفون عليهم ويكتبون من غاب منهم أو حضر وكان معلم السلطان قاضى خان يكره أفعال خسرو خان ويسومه ما يراه من إيثاره للكفار الهندو وميله إليهم واصله منهم ولا يزال باقى ذلك إلى السلطان فلا يسمع منه ويقول له دعه وما يريد لما أراد الله من قتله على يده فلما كان فى بعض الأيام قال خسرو خان للسلطان أن جماعة

من الهنود يريدون أن يسلموا ومن عادتهم بتلك البلاد أن الهدى إذا أراد الاسلام أدخل إلى السلطان فيكسوه كسوة حسنة ويعطيه قلادة وأساور من ذهب على قدره فقال له السلطان ائتني بهم فقال أنهم يستحيون أن يدخلوا إليك نهار الأجل أقر بائتهم وأهل ملتهم فقال له ائتني بهم ليلا لجمع خسروخان جماعة من شجعان الهنود وكبرائهم فيهم أخوه خان خانان وذلك أوان الحر والسلطان ينام فوق سطح القصر ولا يكون عنده في ذلك الوقت إلا بعض الفتيان فلما دخلوا الأبواب الأربعة وهم شاكون السلاح ووصلوا إلى الباب الخامس وعليه قاضى خان انسكروا عنهم وأحس بالشر فنهضهم من الدخول وقال لا بد أن أسمع من خوند عالم بنفسى الاذن في دخولهم وحينئذ يدخلون فلما منهم من الدخول هجموا عليه فقتلوه وعلت الضجة بالباب فقال السلطان ما هذا فقال خسروخان الهنود الذين أتوا يسلموا فنهضهم قاضى خان من الدخول وزاد الضجيج بخاف السلطان وقام يريد الدخول إلى القصر وكان بابه مسدودا والفتيان عنده ففرع الباب واحتضنه خسروخان من خلفه وكان السلطان أقوى منه فصرعه ودخل الهنود فقال لهم خسروخان هو ذا فوق فاقتلوه فقتلوه وقطعوا رأسه ورموا به من سطح القصر إلى صحنه وبعث خسرو خان من حينئذ عن الامراء والملوك وهم لا يعلمون بما اتفق فكلمها دخلت طائفة وجده على سرير الملك فبايعوه ولما أصبح أعلن بأمره وكتب المراسم وهى الأوامر إلى جميع البلاد وبعث لكل أمير خزمة فطاعوا له جميعا وأذعنوا إلى تغلق شاه ولد السلطان محمد شاه وكان اذ ذلك أميراً بدبال بور من بلاد السند فلما وصلته خزمة خسروخان طر حيا بالارض وجلس فوقها وبعث اليه أخاه خان خانان فمن مهم ثم آل أمره إلى أن قتله كما سنشرحه في أخبار تغلق ولما ملك خسروخان اثر الهنود واظهر امورا منكرا منها انتهى عن ذبح البقر على قاعدة كفر الهنود فانهم لا يجوزون ذبحها وجزاء من ذبحها عندهم أن يخاطب في جلد هاويحرق وهم يعظمون البقر ويشربون أبوالها للبركة والاستشفاء إذا مرضوا ويلطخون بيوتهم وحيطانهم بأرواثها وكان ذلك مما بغض خسروخان إلى المسلمين وأما لهم عنه إلى تغلق فلم تحصل مدة ولايته ولا امتدت أيام ملكه كما سنذكره

(ذكر السلطان غياث الدين تغلق شاه)

(وضبط اسمه بضم التاء المعلو وسكون الغين المعجم وضم اللام وآخره قاف) حدثني الشيخ الامام الصالح العالم العامل العابد ركن الدين بن الشيخ الصالح شمس الدين ابى عبد الله بن الولي الامام العالم العابد بهاء الدين ذكرى القرشى الملقب بزاوية منها إلى السلطان تغلق كان

من الانراك المعروفين بالقرونة (بفتح القاف والراء وسكون الواو وفتح النون) وهم قاطنون
بالجبال التي بين بلاد السند والترك وكان ضعيف الحال فقدم بلاد السند في خدمة بعض
التجار وكان كلوا نباله والسكرواني (بضم المكاف المعقود) هو راعي الخيل (جلوبان) وذلك
على أيام السلطان علاء الدين وأمير السند إذ ذاك أخوه أولوخان (بضم الهمزة واللام)
نقدمه تغلق وتعلق بجانيه فرتبه في البياة (بكسر الباء الموحدة وفتح الياء آخر الحروف)
وهم الرجالة ثم ظهرت نجابتة فاثبتت في الفرسان ثم كان من الامراء الصغار وجعله أولوخان
أمير خيله ثم كان بعد ذلك من الامراء السكبار وسمى بالملك الغازي ورأيت مكتوباً على مقصورة
الجوامع بملتان وهو الذي امر بعملها اني قاتلت التتر تسعاً وعشرين مرة فهزمتهم فحينئذ سميت
بالملك الغازي ولما ولي قطب الدين ولده مدينة دبال بور وعما لها (وهي بكسر الدال المهملة
وفتح الباء الموحدة) وجعل ولده الذي هو الآن سلطان الهند أمير خيله وكان يسمى جونة
(بفتح الجيم والنون) ولما ملك تسمى بمحمد شاه ثم لما قتل قطب الدين وولى خسروخان
أبقاه الله على إمارة الخيل فلما اراد تغلق الخلاف كان له ثلاثمائة من أصحابه الذين يعتمد عليهم
في القتال وكتب إلى كشلوخان وهو يومئذ بملتان وبينهما وبين دبال بور ثلاثة أيام يطلب
منه القيام بنصرته ويذكره نعمة قطب الدين ويحرضه على طلب ثاره وكان ولد كشلوخان
بدهلي فسكتب إلى تغلق انه لو كان ولد عندى لاعتنك على ما تريد فسكتب تغلق الى ولده
محمد شاه يعلمه بما عزم عليه ويأمره أن يفر اليه ويستصحب معه ولد كشلوخان دار
ولده الحيلة على خسروخان وتمت له كما اراد فقال له أن الخيل قد سمئت وتبدلت وهي
تحتاج البراق وهو التضمير فاذن له في تضميرها فكان يركب كل يوم في أصحابه فيسير بها
الساعة والساعتين والثلاث واستمر إلى اربع ساعات إلى ان غاب يوماً إلى وقت الزوال
وذلك وقت طعاهم فامر السلطان بالركوب في طلبه فلم يوجد له خبر ولحق بابيه واستصحب
معه ولد كشلوخان وحينئذ أظهر تغلق الخلاف وجمع العساكر وخرج معه كشلوخان في
أصحابه وبعث السلطان أخاه خان خانان لقتالهما فهزمهم وفر عسكره اليهما ورجع
خان خانان إلى اخيه وقتل أصحابه وأخذت خزائنه وأمواله وقصد تغلق حضرة ددهلي

وخرج اليه خسروخان في عساكره ونزل بخارج ددهلي بموضع يعرف بأصيا اباد (آسيا باد)
ومعنى ذلك رحى الريح وأمر بالخزائن ففتحت وأعطى الاموال بالبدر لا بوزن ولا عد
ووقع اللقاء بينه وبين تغلق وقاتلت الهندو اشد قتالاً وانهمزمت عساكر تغلق ونهبت
محلته وانفرد في أصحابه الاقدمين الثلاثمائة فقال لهم إلى أين الفرار حيثما أدركنا قتلنا

واشتهت عساكر خسرو خان بالذهب وتفرقوا عنه ولم يبق معه الا قليل فقصد تغلق وأصحابا به موقفه والسلطان هنالك يعرف بالشطرنج (جتر) الذي يرفع فوق رأسه وهو الذي يسمى بديار مصر القبة والطير ويرفع بها في الاعياد وأما بالهند والصين فلا يفارق السلطان في سفر ولا حضر فلما قصدته تغلق وأصحابا به حتى القتال بينهم وبين الهنود وانهم أصحاب السلطان ولم يبق معه أحد وهرب فنزل عن فرسه ورعى بنيابيه وسلاحه وبقى في قميص واحد وارسل شعره بين كتفيه كما يفعل فقراء الهند ودخل بستانا هنالك واجتمع الناس على تغلق وقصد المدينة فاتاه السكتوال بالمغاتبج ودخل القصر ونزل بناحية منه وقال لكشلو خان أنت تكون السلطان فقال لكشلو خان بل أنت تسكون السلطان وتنازع فقال له لكشلو خان فإن أبيت أن تكون سلطانا فليتولى ولدك فذكره هذا وقبل حينئذ وقعد على سرير الملك وباعه الخاص والعام ولما كان بعد ثلاث اشهر الجوع بخسرو خان وهو محتف بالبهستان فخرج وطاف به فوجد القيم فسأله طعاما فلم يكن عنده فاعطاه خاتمه وقال اذهب فارهنه في طعام فلما ذهب بالخاتم إلى السوق انكر الناس أمره ورفعوه إلى الشحنة وهو الحاكم فادخله على السلطان تغلق فأعلمه بمن دفع إليه الخاتم فبعث ولده محمدًا ليلاتي به فقبض عليه وأتاه به راكبا على تتو (بتاتين مشاتين أولاهما مفتوحة والثانية مضمومة) وهو البرزون فلما مثل بين يديه قال له لاني جائع فأتني بطعام فأمر له بالشربة ثم الطعام ثم بالقمح ثم بالتبؤل فلما أكل قام قائما وقال يا تغلق افعل معي فعل الملوك ولا تفضحنى فقال له لك ذلك وأمر به فحضر بت رقبته وذلك في الموضع الذي قتل هو به قطب الدين ورعى برأسه وجسده من اعلى السطح كما فعل هو برأس قطب الدين وبعد ذلك أمر بغسله وتكفينه ودفن في مقبرته واستقام الملك لتغلق أربعة أعوام وكان عالا فاضلا

(ذكر مارامه ولده من القيام عليه فلم يتم له ذلك)

ولما استقر تغلق بدار الملك بعث ولده ليفتح بلاد التلنك (وضبطها بكسر التاء المعلو واللام وسكون النون وكاف معقودة) وهي على مسيرة ثلاثة اشهر من مدينة دهلي وبعث معه عسكرا عظيما فيه كبار الامراء مثل الملك تور (بفتح التاء المعلو وضم الميم وآخره داء) ومثل الملك تسكين (بكسر التاء المعلو والكاف وآخره نون) ومثل ملك كافور والمهر دار (بضم الميم) ومثل ملك بيرم (بالباء الموحدة مفتوحة والياء آخر الحروف والراء مفتوحة) وسواهم فلما بلغ إلى أرض التلنك اراد المخالفة وكان له نديم من الفقهاء الشعراء يعرف بعبد فامر به أن يلقى إلى الناس أن السلطان تغلق توفي وظنه أن الناس يبايعونه مسرعين

إذا سمعوا ذلك فلما اتى ذلك الى الناس أنسكروه الأمراء وضرب كل واحد منهم طبله وخالف فلم يبق معه أحد وأرادوا قتله فنبههم منه ملك تمور وقام دونه ففر الى أبيه في عشرة من الفرسان سماهم ياران موافق معناه الاصحاب الموافقون فأعطاه أبوه الأموال والعساكر وأمره بالعود الى تلنك فعاد اليها وعلم أبوه بما كان أراد فقتل الفقيه عبيدا وأمر بملك كافور المهر دار فدق له عمود في الأرض محدود الطرف وركز في عنقه حتى خرج من جنبه طرفه ورأسه الى أسفل وترك على تلك الحال وفر من بقى من الأمراء الى السلطان شمس الدين ابن السلطان ناصر الدين ابن السلطان غياث الدين بلبن واستقروا عنده .

(ذكر مسير تغلق الى بلاد السكنوتى وما اتصل بذلك الى وفاته)

وأقام الأمراء الهاربون عند السلطان شمس الدين ثم ان شمس الدين توفى وعهد لولده شهاب الدين مجلس مجلس أبيه ثم غلب عليه أخوه الأصغر غياث الدين بهادور بورة ومعناه بالهندية الأسود واستولى على الملك وقتل اخاه قتلوخان وسائر إخوته وفر شهاب الدين وناصر الدين منهم الى تغلق فتجهز معهما لقتال اخيهما وخلف ولده محمدًا نائبًا عنه في ملكه وجد السير الى بلاد السكنوتى فانتصر عليهما وأسر سلطانها غياث الدين بهادور وقدم به أسيرًا الى حاضرة ملكه وكان بمدينة دهلى الولي نظام الدين البذواني ولا يزال محمد شاه ابن السلطان يتردد اليه ويعظم خدامه ويسأل له الدعاء وكان يأخذ الشيخ حال تغلب عليه فقال ابن السلطان لخدمته إذا كان الشيخ في حاله التي تغلب عليه فاعلموني بذلك فلما أخذته الحال أعلموه فدخل عليه فلما رآه الشيخ قال وهبنا لك الملك ثم توفى الشيخ في أيام غيبة السلطان فجعل ابنه محمد نعشه على كاهله فبلغ ذلك أباه فأنسكروه وتوعدوه وكان قد رآته منه أمور ونقم عليه استسكثاره من شراء الممالك وإجراؤه العطايا واستجلابه قلوب الناس فزاد حنقه عليه وبلغه ان المنجمين زعموا انه لا يدخل مدينة دهلى بعد سفره ذلك فتوعدهم ولما عاد من سفره وقرب من الحاضرة امر ولده ان يبني له قصرًا وهم يسمونه السكشك (بضم الكاف وشين معجم مسكن) على واد هتالك يسمى افغان بور فبناه في ثلاثة أيام وجعل أكثر بنائه بالخشب مرتفعًا على الأرض قائمًا على سوارى خشب وأحكمه هندسة تولى النظر فيها الملك وزاده المعروف بعد ذلك بخواجه جهان وإسمه احمد بن اياس كبير وزراء السلطان محمد وكان لذاك شحنة العمارة وكانت الحسكة التي اخترعوها فيه انه متى وطئت الفيلة جهة منه وقع ذلك القصر وسقط ونزل السلطان بالقصر وأطعم الناس وقرعوا واستأذنه ولده ان يعرض الفيلة بين يديه وهى مزينة فأذن له وحذفتي الشيخ ركن الدين (٣ - رحله - ثانی)

أنه كان يومئذ مع السلطان ومعهما ولد السلطان المؤثر لديه محمود فجاء محمد بن السلطان فقال للشيخ ياخوند هذا وقت العصر انزل فصل قال لى الشيخ فنزلت وأتى بالأفيال من جهة واحدة حسبا دبروه فلما وطئت سقطة الكشك على السلطان وولده محمود قال الشيخ فسمعت الضجّة فعدت ولم أصل فوجدت الكشك قد سقط فأمر ابنه أن يؤتى بالقوس والمساحى للحفر عنه وأشار بالإبطاء فلم يؤت بهما إلا وقد غربت الشمس فحفروا ووجدوا السلطان قد حنأ ظهره على ولده ليقيه الموت فزعم بعضهم أنه خرج ميتاً وزعم بعضهم أنه أخرج حياً فأجهز عليه وحمل ليلاً إلى مقبرته التي بناها خارج البلدة المسماة باسمه تغلق أباد فدفن بها وقد ذكرنا السبب في بنائه لهذه المدينة وبها كانت خزائن تغلق وقصوره وبها القصر الأعظم الذى جعل قراميده مذهبة فاذا طلعت الشمس كان لها نور عظيم وبصيص يمنع البصر من إدامه النظر إليها واختزن بها الأموال الكثيرة ويذكر أنه بنى صهريجا وأفرغ فيه الذهب أفرافاً فكان قطعة واحدة فصرف جميع ذلك ولده محمد شاه ولما ولي وبسبب ما ذكرناه من هندسة الوزير خواجه جهان فى بناء الكشك الذى سقط على تغلق وكانت خطوته عند ولده محمد شاه وإشارته فلم يكن أحديداً فيه فى المنزل لقلده ولا يبلغ مرتبته عنده من الوزراء ولا غيرهم .

(ذكر السلطان أبى المجاهد محمد شاه ابن السلطان غياث الدين تغلق شاه

ملك الهند والسند الذى قدمنا عليه)

ولما مات السلطان تغلق استولى ابنه محمد على الملك من غير منازع له ولا مخالفة عليه وقد قدمنا أنه كان اسمه جونه فلما ملك تسمى بمحمد واكتفى بأبى المجاهد وكل ما ذكرت من شأن سلاطين الهند فهو مما أخبرت به ب تلقينه أو معظمه من الشيخ كمال الدين بن البرهان الغزنوى قاضى القضاة وأما أخبار هذا الملك فمعظمها مما شاهدته أبام كوني ببلاده .

(ذكر وصفه)

هذا الملك أحب الناس فى إسداء العطايا وإراقة الدماء فلا يخلو باب به عن فقير يغنى أو حى يقتل وقد شهرت فى الناس حكاياته فى السكرم والشجاعة وحكاياته فى الفكك والبطش بدوى الجنائيات وهو أشد الناس مع ذلك تواضعاً وأكثرهم إظهاراً للعدل والحق وشعائر الدين عنده محفوظة وله اشتداد فى أمر الصلاة والتقوى على تركها وهو من الملوك الذين اطردت سعادتهم وخرق المعتادين نقيبتهم ولكن الأغلب عليه السكرم وسندكر من أخباره فى عجائب لم يسمع بمثلهما عن تقدمه وأنا أشهد بالله وملائكته ورسله أن جميع ما نقله عنه من السكرم الحارق للعادة حق يقين وكفى بالله شهيداً وأعلم أن بعض ما أثاره من ذلك لا يسع

في عقل كثير من الناس ويعدونه من قبيل المستحيل عادة ولا كنه شيء عاينته وعرفت
صحته وأخذت بحظ وافر منه لا يسعني إلا قول الحق فيه وأكثر ذلك ثابت بالتواتر في
بلاد المشرق

﴿ ذكر أبوابه ومشوره وترتيب ذلك ﴾

ودار السلطان بدلهي تسمى دار سرى (بفتح السين المهمل والراء) ولها أبواب كثيرة
أما الباب الأول فعليه جملة من الرجال موكلون به ويقعد به أهل الانفار والأبواب
والسرنايات فإذا جاء أمير أو كبير ضربوها ويقولون في ضربهم جاء فلان وكذلك أيضاً
في البابين الثاني والثالث وبخارج الباب الأول دكاكين يقعد عليها الجلادون وهم الذين
يقتلون الناس فإن العادة عندهم أنه متى أمر السلطان بقتل أحد قتل على باب المشور ويبقى هنا
ثلاثاً وبين البابين الأول والثاني دهليز كبير فيه دكاكين مبنية من جهتيه يقعد عليها أهل
الثوبة من حفاظ الأبواب وأما الباب الثاني فيقعد عليه البوابين الموكلين به ويثبت بين الباب
الثالث دكانه كبيرة يقعد عليها نقيب النقباء وبين يديه عمود ذهب يمسكه بيده وعلى رأسه كلاه
من الذهب بجوهر في أعلاه ريش الطواويس والنقباء بين يديه على رأس كل واحد منهم شاشيه
مذهبة وفي وسطه منطقة ويده سوط نصابه من ذهب أو فضة ويفضي هذا الباب الثاني إلى مشور
كبير متسع يقعد به الناس وأما الباب الثالث فعليه دكاكين يقعد فيها كتاب الباب ومن
عوائدهم أن لا يدخل على هذا الباب أحد إلا من عينه السلطان لذلك ويعين لكل إنسان عدد
من أصحابه وناسه يدخلون معه وكل من يأتي إلى هذا الباب يكتب الكتاب أن فلان جاء
في الساعة الفلانية من الساعات إلى آخر النهار ويطلع السلطان بذلك بعد العشاء الآخرة
ويكتبون أيضاً بكل ما يحدث من الباب من الأمور وقدمين من أبناء الملوك من يوصل
ما يكتبونه إلى السلطان ومن عوائدهم أيضاً أنه من غاب عن دار السلطان ثلاثة أيام
فصاعداً لعذر أو لغير عذر فلا يدخل هذا الباب بعدها إلا بإذن من السلطان فإن كان
له عذر من مرض أو غيره قدم بين يديه هدية بما يناسب إهداءها إلى السلطان وكذلك
القادمون من الأسفار فالفقيه يهدي المصحف والكتّاب وشبه الفقير يهدي المصلي
والسبعة والمسوك ونحوها والأمراء ومن أشبههم يهدون الخيل والجمال والسلاح وهذا
الباب الثالث يفضي إلى المشور الهائل الفسيح المسمى هزراستون (بفتح الهاء والزاي
وآلف وراء) ومعنى ذلك ألف سارية وهو سوارى من خشب مدهونة عليها سقف
خشب منقوشة أبدع نقش يجلس تحتها وبهذا المشور يجلس السلطان الجلوس العام .

﴿ ذكر ترتيب جلوسه ﴾

أكثر جلوسه بعد العصر وربما جلس أول النهار وجلوسه على مصطبة مفروشة بالبايض

فوقها مرتبة ويجعل خلف ظهره مخددة كبيرة وعن يمينه متكأ وعن يساره مثل ذلك وقعوده كجلوس الإنسان للتشهد في الصلاة وهو جلوس أهل الهند كلهم فإذا جلس وقف أمامه الوزير ووقف الكتاب خلف الوزير وخلفهم الحجاب وكبير الحجاب هو فيروز ملك ابن عم السلطان ونائبه وهو أدنى الحجاب من السلطان ثم يتلوه خاص حاجب ثم يتلوه نائب خاص حاجب ووكيل الدار ونائبه وشرف الحجاب وسيد الحجاب وجماعة تحت أيديهم ثم يتلو الحجاب النقباء وهم نحو مائة وعند جلوس السلطان ينادى الحجاب والنقباء بأعلى أصواتهم بسم الله ثم يقف على رأس السلطان الملك الكبير قولة ويده المذبة يشتردها الذباب ويقف مائة من الميسرة بطول المشور قاضى القضاة ويليه خطيب الخطباء ثم كبار الفقهاء ثم كبار الشرفاء والمشايخ ثم إخوة السلطان وأصهاره ثم الأمراء الكبار ثم كبار الأعراف والغريباء ثم القواد ثم يؤتى بستين فرسا مسرجة ملجمة بجهازات سلطانية فيها ماهو بشعار الخلافة وهي التي يلجها ودواثرها من الحرير الأسود المذهب ومنها ما يكون من الحرير الأبيض المذهب ولا يركب بذلك غير السلطان فيوقف النصف من هذه الخيل عن اليمين والنصف عن الشمال بحيث يراها السلطان ثم يؤتى بخمسين فيلًا مزينة بثياب الحرير والذهب مكسوة نياها بالحديد لعدادا لقتل أهل الجرائم وعلى كل فيل فياله ويده شبه الطبرزين من الحديد يؤدبه به ويقومه لما يراد منه وعلى ظهر كل فيل شبه الصندوق العظيم يسع عشرين من المقاتلة وأكثر من ذلك ودونه على حسب ضخامة الفيل وعظم جرمه وفي أركان هذا الصندوق أربعة أعلام مركوزة وتلك الفيلة مملعة أن تخدم السلطان وتحط رؤسها فإذا خدمت قال الحجاب بسم الله بأصوات عالية ويقف أيضا نصفها عن اليمين ونصفها عن الشمال خلف الرجال الواقفين وكل من يأتي من الناس المعينين للوقوف في الميمنة أو الميسرة يخدم عندهم الحجاب ويقول الحجاب بسم الله ويكون ارتفاع أصواتهم بقدر ارتفاع صوت الذي يخدم فإذا خدم أنصرف إلى موقفه من الميمنة أو الميسرة لا يتعداه ومن كان من كفار الهند يخدم ويقول له الحجاب والنقباء هداك الله ويقف عبيد السلطان من وراء الناس كلهم بأيديهم الترسه والسيوف فلا يمكن الدخول بينهم إلا بين يدي الحجاب القائمين بين يدي السلطان .

(ذكر دخول الغرباء وأصحاب الهدايا إليه)

وإن كان بالبواب أحد من قدم على السلطان بهدية دخل الحجاب إلى السلطان على ترثيمهم

يقدمهم أمير حاجب ونائبه خلفه ثم خاص حاجب ونائبه خلفه ثم وكيل الدار ونائبه ثم سيد الحجاب وشرف الحجاب ويخدمون في ثلاثة مواضع ويعلمون السلطان بمن في الباب فإذا أمرهم أن يأثروا به جعلوا الهدية التي ساقها بأيدي الرجال يقومون بها أمام الناس بحيث يراها السلطان ويستدعي صاحبها فيخدم قبل الوصول إليه ثلاث مرات ثم يخدم عندهم وقف الحجاب فإن كان رجلاً كبيراً وقف في صف أمير حاجب وإلا وقف خلفه ويخاطبه السلطان بنفسه ألطف خطاب ويرحب به وإن كان ممن يستحق التعظيم فإنه يصاحبه أو يعانقه ويطلب بعض هديته فتحضر بين يديه فإن كانت من السلاح أو الثياب قلبها بيده وأظهر استحسانها جبراً لخاطر مهديها وإيناساً له ورقفاً به وخلع عليه وأمر له بمال لغسل رأسه على عادتهم في ذلك بمقدار ما يستحقه المهدي

(ذكر دخول هدايا أعماله إليه)

وإذا أتى العمال بالهدايا والأموال المجتمعة من مجاني الهلاد صنعوا الآواني من الذهب والفضة مثل الطسوت والاباريق وسواها وصنعوا من الذهب والفضة قطعاً شبه الآجر يسمونها الخشت (بكسر الخاء المعجمة وسكون الشين المعجم وتاء معلولة) ويقف العراشون وهم عميد السلطان صفاً والهدية بأيديهم كل واحد منهم ممسك قطعة ثم يقدم الفيلة إن كان في الهدية شيء منها ثم الخيل المسرجة المملجة ثم الجبال عليها الأموال ولقد رأيت الوزير خواجه جهان قدم هديته ذات يوم حين قدم السلطان من دولة أباد ولقيه بها في ظاهر مدينة بيانة فأدخلت الهدية إليه على هذا الترتيب ورأيت في جهاتها صينية مليئة بأحجار الياقوت وصينية مليئة بأحجار الزمرد وثلاثة باللؤلؤ الفاخر وكان حاجي كلون ابن عم السلطان أبي سعيد ملك العراق حاضراً عنده حين ذلك فأعطاها حظاً منها وسنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى

(ذكر خروجه للعبيدين وما يتصل بذلك)

وإذا كانت نيلة العيد بعث السلطان إلى الملوك والخوارج وأرباب الدولة والاعزة والكتتاب والحجاب والنقباء والقواد والعبيد وأهل الأخبار الخلع التي تعميم جميعاً فإذا كانت صبيحة العيد زينت الفيلة بالحرير والذهب والجواهر ويكون منها ستة عشر فيلًا لا يركبها أحد إنما هي مختصة بركوب السلطان ويرفع عاملاً ستة عشر شطراً (حتر) عن الحرير مرصعة بالجواهر قائمة كل شطر منها ذهب خالص وعلى كل فيل مرتبة حرير مرصعة بالجواهر وبركب السلطان فيلًا منها وترفع أمامه الغاشية وهي ستارة سرجة وتكون مرصعة بأنفس الجواهر ويمشي بين يديه عبيده ومهايسكه وكل واحد منهم تسكون على رأسه شاشية ذهب وعلى وسطه

منطقة ذهب وبعضهم يرصعها بالجواهر ويمشى بين يديه أيضا النقياء وهم نحو ثلثائة وعلى رأس كل واحد منهم أقر وف ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب وفي يده مقرعة نصامها ذهب ويركب قاضى القضاة صدر الجهان كمال الدين الغزنورى وقاضى القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزمى وسائر القضاة وكبار الأعززة من الخراسانيين والعراقيين والشاميين والمصريين والمخاربة كل واحد منهم على وجميع الخرباء عندهم يسمون الخراسانيين ويركب المؤذنون على الفجلة وهم يكبرون ويخرج السلطان من باب القصر على هذا الترتيب والعساكر تنتظره كل أمير بفوجه على حده معه طبوله وأعلامه فيقدم السلطان وأمامه من ذكرناه من المشاة وأمامهم القضاة والمؤذنون يذكرون الله تعالى وخلف السلطان مراتبه وهى الأعلام والطبول والأبواق والأنفار والصراياخ وخلفهم جميع أهل دخلته ثم يتلوها أخو السلطان مبارك خان بمراتبه وعساكره ثم يليه ابن أخ السلطان بهرام خان بمراتبه وعساكره ثم يليه ابن عمه ملك فيروز بمراتبه وعساكره ثم يليه الوزير بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك مجير بن ذى الرجا بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك الكبير قبوله بمراتبه وهذا الملك كبير القدر عنده عظيم الجاه كثير المال أخبرنى صاحب ديوانه ثقة الملك علاء الدين على المصرى المعروف بابن الشرايشى أن نفقته ونفقة عبيده ومراتبهم ستة وثلاثون لكافى السنة ثم يليه الملك نسكبية بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك بغرة بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك مخلف بمراتبه وعساكره وهؤلاء هم الأمراء السكبار الذين لا يقارعون السلطان وهم الذين يركبون معه يوم العيد بالمراتب ويركب غيرهم من الأمراء دون مراتب وجميع من يركب فى ذلك اليوم يكون مدرعا هو وفرسه وأكثر مما يليك السلطان فإذا وصل السلطان إلى باب المصلى وقف على بابه وأمر بدخول القضاة وكبار الأمراء وكبار الأعززة ثم ينزل السلطان ويصلى الإمام ويخطب فإن كان عيد الأضحى أتى السلطان بجمل فنجره برمح يسمونه النيزة (بكسر النون وفتح الزاى) بعد أن يجعل على ثيابه فوطاة توقيا من الدم ثم يركب الفيل ويعود إلى قصره .

﴿ ذكر جلوس يوم العيد وذكر السرير الأعظم والمبصرة العظمى ﴾

ويفرش القصر يوم العيد ويزين بأبدع الزينة وتضرب البارككة على المشور كله وهى شبه خيمة عظيمة تقوم على أعمدة ضخام كثيرة تحفها القباب من كل ناحية ويصنع به اشجار من حرير ملون فيها شبه الأزهار ويجعل منها ثلاثة صفوف بالمشور ويجعل بين كل شجرتين كرسى ذهب عليه مرتبة منظاة وينصب السرير الأعظم فى صدر المشور وهو

من الذهب الخالص كله مرصع القوائم بالجواهر وطوله ثلاثة وعشرون شبراً وعرضه نحو النصف من ذلك وهو منفصل وتجمع قطعه فتتصل وكل قطعة منها يحملها جملة رجال لتثقل الذهب وتجعل فوق المترتبة ويرفع الشطر المرصع بالجواهر على رأس السلطان وعند ما يصعد على السرير ينادى الحجاب والنقباء بأصوات عالية بسم الله ثم يتقدم الناس للسلام فأولهم القضاة والخطباء والعلماء والشرفاء والمشاريع وإخوة السلطان وأقاربه وأصهاره ثم الأعزة ثم الوزراء أمراء العساكر ثم شيوخ الماليك ثم كبار الأجناد يسلم واحد إثر واحد من غير نزاحم ولا تدافع ومن عوائدهم في يوم العيدان كل من بيده قرية منهم بها عليه يأتي بدنانير ذهب مصرورة في خرقة مكتوب عليها اسمه فيلقبها في طلست ذهب هنالك فيجتمع منها مال عظيم يعطيه السلطان لمن شاء.

فإذا فرغ الناس من السلام وضع لهم الطعام على حسب مراتبهم وينصب في ذلك اليوم المبخرة العظمية وهي شبه برج من خالص الذهب منفصلة فإذا أرادوا اتصالها وصلوها وتحمل القطعة الواحدة منها جملة من الرجال وفي داخلها ثلاثة بيوت يدخل فيها المبخرون بوقود العود القهارى والقافلى والعنبر الأشهب والجاوى حتى يعم دخانها المشهور كله ويكون بأيدي الفتيان براميل الذهب والفضة مملوءة بماء الورد وماء الزهر يصبونه على الناس صبا وهذا السرير وهذه المبخرة لا يخرجان إلا في العيدين خاصة ويجلس السلطان في بقية أيام العيد على سرير ذهب دون ذلك وتنصب باركة بعيدة لها ثلاثة أبواب يجلس السلطان في داخلها ويقف على الباب الأول منها عماد الملك سرتين وعلى الباب الثانى الملك نسكبية وعلى الباب الثالث يوسف بغرة ويقف على اليمنى أمراء الماليك السلحدارية وعن اليسار كذلك ويقف الناس على مراتبهم وشحنة الباركة ملك طغى بيده عصا ذهب وبيد نائبه عصا فضة يرتبان الناس ويسويان الصفوف ويقف الوزير والسكرتار خلفه ويقف الحجاب والنقباء ثم يأتى أهل الطرب فأولهم بنات الملوك الكفار من الهنود المسيبات في تلك السنة فيغنين ويرقصن ويهجن السلطان للأمراء والأعزة ثم يأتى بعدهن سائر بنات الكفار فيغنين ويرقصن ويهجن ثم يجلس في اليوم الذى بعده بعد العصر أيضا على ذلك الترتيب ويؤتى بالمغنيات فيغنين ويرقصن ويهجن للأمراء الماليك وفي اليوم الثالث يزوج أقاربه وينعم عليهم وفي اليوم الرابع يعتق العبيد وفي اليوم الخامس يعتق الجوارى وفي اليوم السادس يزوج العبيد بالجوارى وفي اليوم السابع يعطى الصدقات ويكثر منها .

(ذكر ترتيبه إذا قدم من سفره)

وإذا قدم السلطان من أسفاره زينت الفيلة ورفعت على ستة عشر فيلا منها ستة عشر شطرا منها مزركش ومنها مرصع وحملت أمامه الغاشية وهي الستارة المرصعة بالجواهر النفيس وتصنع قباب الخشب مقسومة على طبقات وتسكس بثياب الحرير ويكون في كل طبقة الجوارى المغنيات عليهن أجمل لباس وأحسن حلية ومنهن رواقص ويحصل في وسط كل قبة حوض كبير مصنوع من الجلود مملوء بماء الجلاب محلولاً بالماء يشرب منه جميع الناس من وارد وصادر وبلدى أو غريب وكل من يشرب منه يعطى التنبول والقوفل ويكون ما بين القباب مفروشا بثياب الحرير يطأ عليها مركب السلطان وتزين حيطان الشارع الذى يمر به من باب المدينة الى باب القصر بثياب الحرير ويمشى أمامه المشاة من عبيده وهم آلاف وتسكون الأفواج والعساكر خلفه ورأيته فى بعض قدماته على الحضرة وقد نصبت ثلاث أو أربع من الرعادات الصغار على الفيلة ترمى بالدنانير والدرهم على الناس فيلتقطونها من حين دخوله إلى المدينة حتى وصل إلى قصره

(ذكر ترتيب الطعام الخاص)

والطعام بدار (س*) على صنفين طعام الخاص وطعام العام فاما الخاص فهو طعام (س) الذى يأكل منه وعادته أن يأكل فى مجلسه مع الحاضرين ويحضر لذلك الأمراء والخوفا وأمير حاجب ابن عم (س) وعماد الملك سرتيز وأمير مجلس ومن شاء (س) تشريفه أو تكريمه من الأعيان أو كبار الأمراء دعاء فاكل معهم وربما أراد أيضاً تشريف أحد من الحاضرين فأخذ إحدى الصحف بيده وجعل عليها خبزة وبطيخ إياها فيها خدما المعطى ويجعلها على كفه اليسرى ويخدم بيده اليمنى إلى الأرض وربما بعث من ذلك الطعام إلى من هو غائب عن المجلس فيخدم كما يصنع الحاضرين ويأكله مع من حضره وقد حضرت مرات الطعام الخاص فرأيت جملة الذين يحضرون له نحو عشرين رجلاً

(ذكر ترتيب الطعام العام)

وأما الطعام العام فيؤتى به من المطبخ أمامه النقباء يصيحون بسم الله ونقيب النقباء أمامهم بيده عمود ذهب وناثبه معه بيده عمود فضة فاذا دخلوا من الباب الرابع وسمع من بالمشور أصواتهم قاموا قياماً أجمعين ولا يبقى أحد قاعداً إلا (س) وحده فاداً وضع الطعام بالأرض اصطفت النقباء صفوا ووقف أميرهم وتكلم بكلام يمدح فيه (س) ويثنى عليه ثم يتقدم ويتقدم النقباء لخدمته ويتقدم جميع من بالمشور من كبير وصغير وعادتهم أنه من سمع كلام نقيب النقباء حين ذلك وقف أن كان ماشياً ولزم موقفه أن كان واقفاً ولا

(*) وضع حرف (س) عوضاً عن كلمة السلطان لشكرها

يتحرك أحد ولا يتزحزح عن مقامه حتى يفرغ ذلك الكلام ثم يتكلم أيضاً نائبه كلاماً نحو ذلك ويخدم النقباء وجميع الناس مرة ثانية وحينئذ يجلسون ويكتب كتاب السباب معرفين بحضور الطعام وإن كان (س) قد علم بحضوره ويعطى المكتوب لصبي من أبناء الملوك موكل بذلك فيأتى به إلى (س) فإذا قرأه عين من شاء من كبار الأمراء أرتب الناس وإطعامهم وطعامهم الرقاق والشواء والأقراص ذات الجوانب المملوءة بالحلواء والأرز والدجاج والسمك وقد ذكرنا ذلك وفسرنا ترتيبهم وعادتهم أن يكون في صدر سماء الطعام القضاة والفقهاء والخطباء والشرفاء والمشايخ ثم أقارب السلطان ثم الأمراء الكبار ثم سائر الناس ولا يقعد أحد إلا في موضع معين له فلا يكون بينهم تراحم البتة فإذا جلسوا أتى الشريدارية وهم السقاة بأيديهم أو أواني الذهب والفضة والنحاس والزجاج مملوءة بالنبات المحلول بالماء فيشربون ذلك قبل الطعام فإذا شربوا قال الحجاب بسم الله ثم يشرعون في الأكل ويجعل أمام كل إنسان من جميع ما يحتوى عليه السماطيا كل منه وحده ولا يأكل أحد مع أحد في طبق واحد فإذا فرغوا من الأكل أتوا بالفقاع في أكواز القصدير فإذا أخذوا قال الحجاب بسم الله ثم يؤتى بالطباق التنبول والفوفل فيعطى كل واحد غرفة من الفوفل المشووم وخمس عشرة ورقة من التنبول بمجموعة مربعة مبطنة بحريز أحمر فإذا أخذ الناس التنبول قال الحجاب بسم الله فيقفون جميعاً ويخدم الأمير المعين للطعام ويخدمون خدمته ثم ينصرفون وطعامهم مرتان في اليوم الواحد أحدهما قبل الظهر والآخرى بعد العصر

(ذكر بعض أخباره في الجود والكرم)

ولما أذكر منها ما حضرته وشاهدته وعانيته ويعلم الله تعالى صدق ما أقول وكفى به شهيداً مع أن الذي أحكيه مستفيض متواتر والبلاد التي تقرب من أهل الهند كالبحر وخراسان وفارس مملوءة بأخباره يعلمونها حقيقة ولا سيما جوده على الغرباء فإنه يفضلهم على أهل الهند ويؤثرهم ويجزل لهم الإحسان ويسميخ عليهم الأنعام ويوليهم الخطط والرفعة ويوليهم المواهب العظيمة ومن إحسانه إليهم أن سماهم الأعزة ومنع من أن يدعوا الغرباء وقال إن الرجل إذا دعى غريباً انكسر خاطره وتغير حاله وسأذكر بعضاً مما لا يحصى من عطايه الجزيلة ومواهبه إن شاء الله تعالى

(ذكر عطائه لشهاب الدين الكازروني وحكايته)

كان شهاب الدين هذا صديقاً للملك التجار الكازروني الملقب ببرويز وكان (س) قد أقطع ملك التجار مدينة ووعده أن يوليّه الوزارة فبعث إلى صديقه شهاب الدين ليقتدم

عليه فأتاه وأعد هدية للسلطان وهي سراجة من الملقطوع المزين بورقة الذهب وصيوان
مما يناسبها وخباء وتابع وخباء راحة كل ذلك من الملقطع المزين وبغال كثيرة فلما قدم
شهاب الدين بهذه الهدية على صاحبه ملك التجارة وجده آخذاً في القدوم على الحضرة بما
اجتمع عنده من بحاي بلاده وهدية للسلطان

وعلم الوزير خواجه جهان بما وعده به السلطان من ولاية الوزارة فغار من ذلك وفاق
يسببه وكانت بلاد كنباية والجزرات قبل تلك المدة في ولاية الوزير ولأهلها تعلق بحاينه
وانقطاع اليه ويجدم له وأكثرهم كفار وبعضهم عصاة يمتنعون بالجبال فدرس الوزير
اليهم ان يضربوا على ملك التجار إذا خرج إلى الحضرة

فلما خرج بالخزائن والأموال ومعه شهاب الدين بهديته نزلوا يوماً عند الضحى على عادتهم
وتفرقت العساكر ونام أكثرهم فضرب عليهم السكفار في جميع عظيم فقتلوا ملك التجار
وسلبوا الأموال والخزائن وهدية شهاب الدين ونجا هو بنفسه وكسب الخبزون إلى
السلطان بذلك فأمر ان يعطى شهاب الدين من بحاي بلاد نهروالة ثلاثين ألف دينار ويعود
إلى بلاده فعرض عليه ذلك فأبى من قبوله وقال ما قصدى إلا رؤية السلطان وتقبييل
الأرض بين يديه فسكتوا إلى السلطان بذلك فاعجبه قوله وأمر بوصوله إلى الحضرة مكرماً
وصادف يوم دخوله على السلطان يوم دخولنا نحن عليه شغلنا جميعاً وأمر بإزالة
وأعطى شهاب الدين عطاء جزلاً فلما كان بعد ذلك أمر إلى السلطان بستة آلاف تنكة كما
سندكره وسأل في ذلك اليوم عن شهاب الدين أين هو فقال له بهاء الدين ابن الفلاسكي ياخوند
عالم نميدانم معنا ما ندري ثم قال شنيديم زحمت دارد (دار) معنا سمعت ان به مرضاً فقال
له السلطان بروهين زمان در خزانه يك لك تنكة زربكزي أو بيس أو بيري تادل أو خش
(خوش) شود معنا امش الساعة إلى الخزانه وخدمتها مائة ألف تنكة من الذهب واحملها
إليه حتى يلقى خاها طيباً ففعل ذلك فأعطاء إياها وأمر السلطان ان يشتري بها ما أحب
من السلع الهندية ولا يشتري أحداً من الناس شيئاً حتى يتعجز هو وأمر له بثلاثة مراكب
بجوزة من آلاتها ومن مرتب البحرية وزادهم ليسافر فيها فصاروا نزل بجزيرة هرمز وبني
بهادر أعظيمة رأيتها بعد ذلك ورأيت أيضاً شهاب الدين وقد فني جميع ما كان عنده
وهو بشهران يستجدي سلطانها أبا اسحاق وهكذا مال هذه البلاد الهندية فلما يخرج
أحدها إلى النادر وإذا خرج به ووصل إلى غيرهما من البلاد بعث الله عليه آفة تفنى ما بيده
كمثل ما اتفق لشهاب الدين هذا فإنه أخذ له في الفتنة التي كانت بين ملك هرمز وأبني أخيه
جميع ما عنده وخرج سليمان من ماله .

(ذكر عطائه لشيخ الدين)

وكان السلطان قد بعث هدية الى الخليفة بديار مصر أبو العباس وطلب منه ان يبعث له امر
التقدمة على بلاد الهندو السند اعتقادا منه في الخلافة فبعث اليه الخليفة أبو العباس ما طلبه
مع شيخ الدين بديار مصر ركن الدين فلما قدم عليه بالغ في إكرامه وأعطاه عطاء جز لا
وكان يوقم له متى دخل عليه ويعظمه ثم صرفه وأعطاه أموالا طائلة وفي جملة ما أعطاه جملة
من صفائح الخيل ومساميرها كل ذلك من الذهب الخالص وقال له إذا نزلت من البحر فافعل
أفراكك بها فتوجه الى كينيا ليركب البحر منها الى بلاد اليمن ف وقعت قضية خروج القاضي
جلال الدين وأخذته مال ابن السكولمى فاخذ أيضا ما كان لشيخ الدين بديار مصر بغيره مع ابن
السكولمى الى السلطان فلما رآه قال له بماذا امدى كزر (كه زر) برى باد كرى (دار باى)
صنم خرى زرى وسمى معناه جشت لتجمل الذهب تا كله مع الصور الحسن فلا تجمل
ذهبها ورأسك تخليه هاهنا قال له ذلك على معنى الانسباط ثم قال له اجمع خا طرك فها أنا
سائر الى الخالعين وأعطيك أضعاف ما أخذوه لك وبلغنى بعد الانفصال عن بلاد الهند
أنه وفى بما وعده وأخلف له ما ضاع منه وانه وصل الى ديار مصر

(ذكر عطائه للواعظ الترمذى ناصر الدين)

وكان هذا الفقيه قدم على السلطان وأقام تحت إحسانه مدة عام ثم أراد الرجوع الى
وطنه فاذن له فى ذلك ولم يكن سميع كلامه ووعظه ولما خرج السلطان يقصد بلاد المهبر
أحب سماعه قبل انصرفه فأمر أن يهيا له منبر من الصندل الأبيض المقاصرى وجعلت
مساميره وصفائح من الذهب وألصق بأعلاه حجير ياقوت عظيم وخلع على ناصر الدين
عباءة عباسية سوداء مذهبة مرصعة بالجواهر وعمامة أيضا ونصب له المنبر بداخل
السراجة وهى افراج وقعد السلطان على سريرته والخواص عن يمينه ويساره وأخذ
القضاة والفقهاء والأمراء مجالسهم فخطب خطبة عظيمة ووعظه وذكر ولم يكن فيما فعله
طائل أسكن سعادته ساعدته ولما نزل عن المنبر قام (س) اليه وعانقه وأركبه على فيل
وأمر جميع من حضر أن يمشوا بين يديه وكنت فى جمعهم الى سراجة ضربت له مقابلة
سراجة (س) وكلها من الحرير الملون وصيوانها من الحرير وخباؤها كذلك فقعد وقعدنا
معه وكان بجانب من السراجة أوانى الذهب التى أعطاه لها وذلك تنوير كبير بحيث يسع
فى جوفه الرجل القاعد وقدران اثنان وصحاف لا أذكر عددها وعدة أكواز وركوة
وتيسندة ومائة لها أربعة أرجل ويحمل للسكيب كل ذلك من ذهب ورفع عماد الدين

السمناوى وتدين من أو ناد السراجة أحدهما نحاس والثانى مقصدر يوهى بذلك أنهما من ذهب وفضة ولم يكونا إلا كما ذكرنا وقد كان أعطاه حين قدومه مائة ألف دينار دراهم ومئتين من العبيد سرج البعض وحمل البعض

(ذكر عطاءه لعبد العزيز الاردوبلى)

وكان عبد العزيز هذا فقيها محدثا قرأ بدمشق على تقي الدين بن تيمية وبرهان الدين بن البركح وجمال الدين المزى وشمس الدين الذهبى وغيرهم ثم قدم على السلطان فأحسن اليه وأكرمه واتفق يوما أنه سرد عليه أحاديث فى كرم العباس وابنه رضى الله عنهما وشيئا من مآثر الخلفاء أولادهما فأعجب ذلك السلطان لحبه فى بنى العباس وقبل قدمى الفقيه وأمر أن يؤتى بصينية ذهب فيها الفانكة فصحبها عليه بيده وقال هى لك مع الصينيه وقد ذكرنا هذه

الحكاية فيما تقدم (ذكر عطاءه لشمس الدين الاندكافى)

وكان الفقيه شمس الدين الاندكافى حكيما شاعرا مطبوعا فمدح السلطان بقصيدة باللسان الفارسي وكان عدد أبياتها سبعة وعشرين بيتا فأعطاه لكل بيت منها ألف دينار دراهم وهذا أعظم مما يحكى عن المتقدمين الذين كانوا يعطون على بيت شعر ألف درهم وهو عشر عطاء

السلطان (ذكر عطاءه لعضد الدين الشونكارى)

وكان عضد الدين فقيها إماما فاضلا كبير مقدر عظيم الصيت شهير الذكر ببلاده قبلما انت السلطان أخباره وسمع بآثره فبعث اليه إلى بلده شونكاره عشرة آلاف دينار دراهم ولم يره قط ولا وفد عليه

(ذكر عطاءه للقاضى مجد الدين)

ولما بلغه خبر القاضى العالم الصالح ذى الكرامه الشهيرة مجد الدين قاضى شيراز الذى سطرنا أخباره فى السفر الأول وسيمر بعض خبره وبعد هذا بعث اليه إلى مدينة شيراز صحبة الشيخ زاده الدمشقي عشرة آلاف دينار دراهم

(ذكر عطاءه لبرهان الدين الصاغرى)

وكان برهان الدين أحد الوعاظ الأئمة كثير الإيثار باذلا لما يملكه حتى أنه كثير ما يأخذ الديون ويؤثر على الناس قبله إلى السلطان فبعث اليه أربعين ألف دينار وطلب منه أن يصل إلى حضرته فقبل الدناير وقضى دينه منها وتوجه إلى بلاد الخطا وأبى أن يصل اليه وقال لا أمضى إلى سلطان يقف العلماء بين يديه

(ذكر عطاءه لحاجى كاون وحكايته)

وكان حاجى كاون ابن عم السلطان أبى سعيد ملك العراق وكان أخوه موسى ملكا ببعض

بلاد العراق فوفد حاجي كلون على السلطان فاکرم مشراه وأعطاه العطاء الجزل ورأته يوما وقد أوتى الوزير خواجه جهان بهديته وكان منها ثلاث صينيّات احداها مملوءة يواقيب والأخرى مملوءة زمردا والأخرى مملوءة جواهر وكان حاجي كلون حاضرا فاعطاه من ذلك حظا جزيلاً ثم انه اعطاه أيضاً مالا عريضاً ومضى يريد العراق فوجد أخاه قد توفي وولى مكانه سليمان خان فطلب ارث اخيه وادعى الملك وبايعه العسكر وقصد بلاد فارس ونزل بمدينة شوشونكة التي بها الإمام عضد الدين الذي تقدم ذكره آنفا فلما نزل بخارجها تأخر شيوخها عن الخروج اليه ساعة ثم خرجوا فقال لهم ما منعكم عن تعجيل الخروج إلى مباهيتنا فاعتذروا له فلم يقبل منهم وقال لأهل سلاحه قلنّج تجار (جفار) معنا جردوا السيوف فجردوها وضربوا أعناقهم وكانوا جماعة كبيرة فسمع من يجاور هذه المدينة من الأمراء بما فعله فغضبوا لذلك وكتبوا إلى شمس الدين السعمناني وهو من الأمراء الفقهاء السكبار فاعلموه بما جرى على أهل شوشونكة وطلبوا منه الإغاثة على قتاله فتنجد في عساكره واجتمع أهل البلاد طالبين بثار من قتله حاجي كلون من المشايخ وضربوا على عسكره ليلاً فهزموه وكان هو بقصر المدينة فاحاطوا به فاختنى في بيت الطهارة فماتوا عليه وقطعوا رأسه وبعثوا به إلى سليمان خان وفرقوا أعضائه على البلاد تشفياً منه .

(ذكر قدوم ابن الخليفة عليه واختباره)

وكان الأمير غياث الدين محمد بن عند القاهر بن يوسف بن عبدالعزيز بن الخليفة المستنصر بالله العباسي البغدادى قد وفد على السلطان علاء الدين طر مشيرين ملك ما وراء النهر فأكرمه وأعطاه الزاوية التي على قبر قثم بن العباس رضى الله عنهما واستوطن بها أعواماً ثم لما سمع بمحبة السلطان في بني العباس وقيامه بدعوتهم أحب القدوم عليه وبعث له برسولين أحدهما صاحبه القديم محمد بن أبي الشرقي الحرابوى والثاني محمد الهمداني الصوفي فقدموا على السلطان وكان ناصر الدين الترمذي الذي تقدم ذكره قد لقي غياث الدين ببغداد وشهد لديه البغداديون بصحة نسبه هو عند السلطان بذلك فلما وصل رسوله إلى السلطان أعطاهما خمسة آلاف دينار وبعث معهم ثلاثين ألف دينار إلى غياث الدين ليتزود بها اليه وكتب له خطاً بخط يده يعظمه فيه ويسأل منه القدوم عليه فلما وصله الكتاب رحل إليه فلما وصل إلى بلاد السند وكتب المخبرون بقدومه بعث السلطان من يستأجره على العادة فمّم لما وصل إلى سرسقي بعث أيضاً لاستقباله صدر الجهان قاضي القضاة كمال الدين الغزنوي وجماعة من الفقهاء ثم بعث الأمراء لاستقباله فلما نزل

بمسعود آباد خارج الحضرة خرج السلطان بنفسه لاستقباله فلما التفتيا ترجل غياث الدين فترجل له السلطان وخدم نخدم له السلطان وكان قد استصحب هدية في جملتها ثياب فاخذ السلطان أحد الأبواب وجعله على كتفه وخدم كما يفعل الناس معه ثم قدمت الخيل فاخذ السلطان أحدهما بيده وقدمه له وحلف أن يركب وأمسك بركابه حتى ركب ثم ركب السلطان وسائره والشجر يظلمها معا واخذ التنبول بيده وأعطاه آياه وهذا اعظم ما اكرمه به فإنه لا يفعل مع احد وقال له لو لا أنى بايعت الخليفة أبا العباس لنا يعتك فقال له غياث الدين وأنا أيضا على تلك البيعة وقال له غياث الدين فال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما من أحيا أرضا مواتا فهي له وأنت أحببتنا فجاوبه السلطان بالطف جواب رابره ولما وصلا إلى السراجة المعدة لنزول السلطان انزله فيها وضرب للسلطان غيرها وباتا في تلك الليلة بخارج الحضرة فلما كان بالغد دخلا إلى دار الملك وانزله بالمدينة المعروفة بسيوى ودار الخلافة أيضا في القصر الذى بناه علاء الدين الخلجي وابنه قطب الدين وأمر السلطان جميع الامراء أن يمشوا معه اليه وأعد له فيه جميع ما يحتاج اليه من أواني الذهب والفضة حتى كان من جملتها مغتسل يغتسل فيه من ذهب وبعث له أربعائة ألف دينار لسل رأسه على العادة وبعث له جملة من الفتيان والخدم والجواري وعين له عن نفقته في كل يوم ثلاثمائة دينار وبعث له زيادة إليها عددا من الموائد بالطعام الخاص وأعطاه جميع مدينة سيوى اقطاعا وجميع ما احتوت عليه من الدور ما يتصل بها من بساتين الخزن وأرضه وأعطاه مائة قرية وأعطاه حكم البلاد الشرفية المضافة لدهلى وأعطاه ثلاثين بغلة بالسروج المذهبة ويكون علفها من المخزن وأمره أن لا ينزل عن دابته إذا أنى دار (س) إلا موضع خاص لا يدخله أحد راكبا سوى (س) وأمر الناس جميعا من كبير وصغير أن يخدموا له كما يخدمون (س) وإذا دخل على (س) ينزل له عن سريره وإن كان على الكرسي قام قائما وخدم كل واحد منهما لصاحبه ويجلس مع (س) على بساط واحد وإذا قام قام (س) لقيامه وخدم كل واحد منهما لصاحبه وإذا انصرف إلى خارج المجلس جعل له بساط يقعد عليه ماشاء ثم ينصرف يفعل هذا مرتين في اليوم .

(حكاية من تعظيمه إياه)

وفي أثناء مقامه بدهلى قسّم الوزير من بلاد بهجة الفامر (س) كبار الأمراء أن يخرجوا إلى استقباله ثم خرج بنفسه إلى استقباله وعظمه تعظيما كثيرا وصنعت القباب بالمدينة كما تصنع للسلطان إذا قدم وخرج ابن الخليفة للقائه أيضا والفقهاء والقضاة والأعيان فلما

عاد (س) لقصره قال للوزير أمض الى دار المخدوم زاده وبذلك يدعوه ومعنى ذلك ابن المخدوم فصار الوزير اليه واهدى له الف تنكة من الذهب وأثوابا كثيرة وحضر الامير قبولة وغيره من كبار الأمراء وحضرت أنا كذلك

(حكاية نحوها)

وقد على (س) ملك غزنة المسمى بهرام وكان بيته وبين ابن الخليفة عداوة قد عمة فامر (س) بانزاله ببعض دور مدينة سيرى التي لابن الخليفة وأمر ان يبني له بهادر فبلغ ذلك ابن الخليفة فغضب منه ومضى الى دار (س) فجلس على البساط الذى عادته الجلوس عليه وبعث الى الوزير فقال له سلم على خوند عالم وقل له أن جميع ما أعطانيه هو بمنزلى لم اتصرف فى شئ منه بل زاد عندى وتماوانا لأقيم معكم وقام وانصرف فسأل الوزير بعض أصحابه عن سبب هذا فاعلمه أن سببه أمر (س) ببناء الدار الملك غزنة فى بيته سيرى فدخل الوزير على (س) فاعلمه بذلك فركب من حينه فى عشرة من ناسه وأتى منزل ابن الخليفة فاستأذن له ونزل عن فرسه خارج القصر حيث ينزل الناس فتلقيه واعتذر له فقبل عنقه وقال له (س) والله ما أعلم أنك راض عني حتى تضع قدمك على عنقي فقال له هذا ما لا أفعله ولو قتلت فقال له (س) وحق رأسى لا بد لك من ذلك ثم وضع رأسه فى الأرض وأخذ الملك الكبير قبولة رجل ابن الخليفة بيده فوضعه على عنق (س) ثم قام وقال الآن علمت أنك راض على وطاب قلبي وهذه حكاية غريبة لم يسمع بمثلها عن ملك ولقد حضرته يوم عيد وقد جاءه الملك الكبير ثلاث خلع من عند (س) مفرجة قد جعل مكان عقد الخيزران التى تعلق بها حبات جوهر قدر البندق الكبير وقام الملك الكبير بها حتى نزل من قصره فسكسأه ياها والذى أعطاه هو ما لا يحصره العدو ولا يحيط به الحدو ابن الخليفة مع ذلك كله انخل خلق الله تعالى واه فى البخل اخبار عجيبة يعجب منها سامعها وكانه كان من البخل بمنزلة (س) من السكرم ولندكر بعض اخباره فى ذلك

(حكاية من بخل ابن الخليفة)

وكانت بينى وبينه مودة وكنت كثير التردد الى منزله وعنده تركت والد الى سميته أحمد لما سافرت ولا أدري ما فعل الله بهما فقلت له يوما لم تأكل وحده ولا تجمع أصحابك على الطعام فقال لى لا أستطيع أن أنظر اليهم على كثرتهم وهم يأكلون طعامى فساكن يا كل وحده ويعطى صاحبه محمد بن أبى الشرفى من الطعام لمن أحب ويتصرف فى باقيه وكنت أتردد اليه فأرى دهلين قصره الذى يسكن به مطلبا لا سراج به ورأيت مرارا يجمع الاغواد الصغار من الخطب بداخل بستانه وقد ملأ منها مخازن فساكنه فى ذلك فقال

لى يحتاج اليها وكان يخدم اصحابه ومما ليكه وفتيانه فى خدمة البستان وبناته ويقول لارضى
أن ياكلوا طعامى وهم لا يخدمون وكان على مرة دين فطلبت به فقال لى فى بعض الأيام
والله لقد هممت ان أودى عنك دينك فلم تسمح نفسى بذلك ولا ساعدنى عليه
(حكاية)

حدثنى مرة قال خرجت عن بغداد وأنا رابع أربعة أخدمهم محمد بن أبى الشرفى صاحبه
ونحن على اقدامنا ولا زاد عندنا فنزلنا على عين ماء ببعض القرى فوجدنا فى العين
درهما فقلنا وما نصنع بدرهم فتفقنا على ان نشترى به خبزاً فبعثنا أحداً لئلا نشتري الخبز بتلك
القرية أن يبيع الخبز وحده وإنما يبيع خبزاً بقرى اطوتينا بقرى اط فاشتري منه الخبز والخبز
فطرحننا الخبز لئلا نأكله وقسمنا الخبز لقمة وقد انتهى حالى اليوم لى ما تراه فقلت
له ينبغى لك ان تحمد الله على ما أولاك وتؤثر الفقراء والمساكين بالتصدق فقال لا
ستطيع ذلك ولم اره قط يجود بشئ ولا يفعل معروفاً ونعوذ بالله من الشيخ

(حكاية)

كنت يوماً ببغداد بعد عودتى من بلاد الهند وأنا قاعد على باب المدرسة المستنصرية التى بناها
جده امير المؤمنين المستنصر رضى الله عنه فرأيت شاباً ضعیب الحال يشتد خلف رجل خارج
عن المدرسة فقال لى بعض الطلبة هذا الشاب الذى تراه هو ابن الأمير محمد حفيد الخليفة
المستنصر الذى ببلاد الهند فدعوته فقلت له اتى قدمت من بلاد الهند وإنى أعرفك بخبر
ايبك فقال قد جاءنى خبره فى هذه الأيام ومضى يشتد خلف الرجل فسألت عن الرجل
فقال لى هو الناظر فى الحبس وهذا الشاب هو امام ببعض المساجد وله على ذلك أجرة درهم
واحدى اليوم وهو يطلب أجرته من الرجل فطال عجبى منه والله لو بعث اليه جوهرة من
الجواهر التى فى الخلع الواصلة اليه من السلطان لا غناه بها ونعوذ بالله من مثل هذه الحال
(ذكر ما أعطاه السلطان للامير سيف الدين غدا بن هبة الله بن مهدي أمير عرب الشام)

ولما قدم هذا الامير على السلطان أكرم مشواه وأمر له بقصر السلطان جلال الدين داخل
مدينة دهلى ويعرف بكشك لعل معناه القصر الأحمر وهو قصر عظيم فيه مشور كبير جداً
ودهليز هائل على باب به قبة تشرف على هذا المشور وعلى المشور الثانى الذى يدخل منه إلى
القصر وكان السلطان جلال الدين يقعد بها وتلبس السكره بين يديه فى هذا المشور وقد
دخلت هذا القصر عند نزوله به فرائته مملوءة أنما وفراشاً وبسطاً وغيرها وذلك كله متعرق
لا منتفع فيه فان عادتهم بالهند ان يتركوا قصر السلطان إذا مات به جميع ما فيه لا يتعرضون له
ويبنى المتولى بعده قصرأ لنفسه ولما دخلته طفت به وصعدت إلى اعلاه فكانت لى فيه عبرة
نشأت عنها عبرة وكان معى العميقه الطيب الاديب جمال الدين المخربى النرنا على البهائى

المولد مستوطن بلاد الهند قدمها مع أبيه وله بها أولاد فأشددنى عندما عايناه (خفيف)

وسلاطينهم سل الطين عنهم فالرؤس العظام صارت عظاما

وبهذا القصر كانت وليمة عرسه كما نذكره وكان السلطان شديد المحبة في العرب مؤثر لهم معترفا بفضائلهم فلما وصله هذا الأمير أجزل العطاء وأحسن اليه إحسانا عظيما وأعطاه مرة وقد قدمت عليه هدية اعظم ملك الباي يدي من بلاد منكبور احد عشر فرسا من عتاق الخيل وأعطاه مرة أخرى عشرة من الخيل مسرجة بالسروج المذهبة عليها اللجم المذهبة ثم زوجه بعد ذلك باخته فيروز خونده

(ذكر تزوج الامير سيف الدين بأخت السلطان)

ولما أمر السلطان بتزويج أخته للامير غدا عين للقيام بشأن الوليمة ونفقاتها الملك فتح الله والمعروف بشونويس (بشين معجم مفتوح وواوين اولها مسكن والآخر مكسور بينهم نون آخره سين مهممل) وعينني الملائمة الامير غدا والكون معه في تلك الايام فأتى الملك فتح الله بالصيوانات نخل بها المشورين بالقصر الاحمر المذكور وصرب في كل واحد منهما قبة ضخمة جدا وفرش ذلك بالفرش الحسان وأتى شمس الدين التريزي أمير المطربين ومعه الرجال المغنون والنساء المغنيات والرواقص وكلهن مما يليك السلطان واحضر الطباخين والخبازين والشواتين والحلوانيين والشربدارية والتنبول داران وذبحت الانعام والطيور وأقاموا يطعمون الناس خمسة عشر يوما ويحضر الامراء الكبار والاعزة ليلا ونهارا فلما كان قبل ليلة الزفاف لبيلتين جاء الخواتين من دار السلطان ليلا إلى هذا القصر فزينة وفرشه بأحسن الفرش واستحضر الامير سيف الدين وكان عريبا غريبا لا قرابة له تخففن واجلسنه على مرتبة معينة له وكان السلطان قد أمر أن تكون ربييته أم أخيه مبارك خان مقام أم الامير غدا وأن تكون امرأة أخرى من الخواتين مقام أخته وأخرى مقام عمته وأخرى مقام حلالته حتى يكون كانه بين اهله ولما اجلسنه على المرتبة جعنان له الحناء في يديه ورجليه وأقام باقيمين على رأسه يغنين ويرقصن وانصرفت إلى قصر الزفاف وأقام هو مع خواص اصحابه وعين السلطان جماعة من الامراء يكونون من جهته وجماعة يكونون من جهة الزوجة وعادتهم ان تقف الجماعة التي من جهة الزوجة على باب الموضع الذي تكون به جلوسها على زوجها وأتى الزوج بجماعته فلا يدخلون إلا ان غلبوا أصحاب الزوجة أو يعطونهم الآلاف من الدنانير ان لم يقدروا عليهم ولما كان بعد المغرب أتى اليه بخمسة حريز رقاه موزكشة مرصعة قد غلبت الجواهر عليها فلا يظهر لونها مما عليها من الجواهر وبشاشية مثل

(٤ - رحلة - ثاني)

ذلك ولم أر قط خلعة أجمل من هذه الخلعة وقد رأيت ما خلعه السلطان على سائر أصحابه مثل ابن مالك الملوك عماد الدين السمناني وابن ملك العلماء وابن شيخ الاسلام وابن صدر جهان البخاري فلم يكن فيها مثل هذه

ثم ركب الأمير سيف الدين في أصحابه وعبيده وفي يد كل واحد منهم عصى قد أعدها وصنعوا شبه أكليل من الياسمين والنسرين وريبول وله رفرف يغطي وجهه المتكامل به وصدره واتوا به الأمير ليضعه على رأسه فأبى من ذلك وكان من عرب البادية لا عهد له بأمور الملك والحضر فحاولته وحلفت عليه حتى جعله على رأسه وأتى باب الصرف ويسمونه باب الحرم وعليه جماعة الزوجة فحمل عليهم بأصحابه حملة عربية وصرعوا كل من عارضهم فغلبوا عليهم ولم يكن لجماعة الزوجة من ثبات وبلغ ذلك السلطان فأنجبه فعمله ودخل إلى المشور وقد جعلت العروس فوق منبر عال مزين بالدنياج مرصع بالجواهر والمشور مآكن بالنساء والمطربات قد أحضرن أنواع الآلات المطربة وكهن وقوف على قدم لإجلالاله وتعظيما فدخل بفرسه حتى قرب من المنبر فنزل وخدم عند أول درجة منه وقامت العروس قائمة حتى صعد فاعطته التنبول بيدها فأخذه وجلس تحت الدرجة التي وقفت بها ونثرت دنانير الذهب على رؤوس الحاضرين من أصحابه ولقطنها النساء والمغنيات يغنين حينئذوا الأهل بالابواق والانفاز تضرب خارج الباب ثم قام الأمير وأخذ بيد زوجته ونزل وهي تتبعه فركب فرسه يطأ به الفرش والبسط ونثرت الدنانير عليه وعلى أصحابه وجعلت العروس في عفة وسمها العبيد على أعناقهم إلى قصره والخواتين بين يديها راكبات وغيرهن من النساء ماشيات وإذا مروا بدار أمير أو كبير خرج إليهم ونثر عليهم الدنانير والدرهم على قدرهمته حتى أوصلوها إلى قصره ولما كان بالغد بعثت العروس إلى جميع أصحاب زوجها الثياب والدنانير والدرهم وأعطى (س) لكل واحد منهم فرسا مسرجا ملجما وبرد قدرهم من الف دينار إلى مائتي دينار وأعطى الملك فتح الله للخواتين ثياب الحرير المنوعة والهدر وكذلك لأهل الطرب وعادتهم ببلاد الهند أن لا يعطى أحد شيئا لأهل الطرب إنما يعطيهم صاحب العرس وأطعمهم الناس جميعا ذلك اليوم

وانقضى العرس وأمر (س) أن يعطى للأمير غدا بلاد المالوة والجزات وكنهاية ونهر والة وجعل فتح الله المذكور نائبا عنه عليها وعظمه تعظيما شديدا وكان عربيا جافيا فلم يقدر قدر ذلك وغلب عليه جفاف البادية فأداه ذلك إلى النسكة بعد عشرين ليلة من زفافه

(ذكر عجن الأمير غدا)

ولما كان بعد عشرين يوما من زفافه اتفق أنه وصل إلى دار (س) فأراد الدخول فتمعه

أمير البرد (البرده) داريه وهم الخواص من البوابين فلم يسمع منه وأراد التفتيح فامسك البواب بدوقته وهى الضغيرة وردة فضربه الإمام بعضى كانت هنالك حتى ادماه وكان هذا المضروب من كبار الامراء يعرف أبوه بقاضى غزنة وهو من ذرية السلطان محمود بن سبكتكين والسلطان يخاطبه بالأدب ويخاطب ابنه هذا بالأخ فدخل على السلطان والدم على ثيابه فأخبره بما صنع الأمير غدا ففكر السلطان هنيئة ثم قال له القاضى يفصل بينكما وتلك جريمة لا يغفرها السلطان لاحد من ناسه ولا بد من الموت عليها وإنما احتمله لغرته وكان القاضى كمال الدين بالمشور فامر السلطان الملك تتران يقف معهما عند القاضى وكان تتر حاجا نجاورا يحسن العربية فحضر معهما وقال الامير انت ضربته أو قل لالقصدان يعلمه الحجة وكان سيف الدين جاهلا مغترا فقال نعم أنا ضربته وأنى والد المضروب فرام الإصلاح بينهما فلم يقبل سيف الدين فامر القاضى بسجنه تلك الليلة فوالله ما بعثت له زوجته فراشا ينام عليه ولا سألت عنه خوفا من السلطان وخاف اصحابه فودعوا أموالهم وأردت زيارته بالسجن فلقيني بعض الامراء وفهم عنى لى أريد زيارته فقال لى أونسيت وذكرنى بقضية انفقت لى فى زيارة الشيخ شهاب الدين بن شيخ الحجام وكيف أراد السلطان قتلى على ذلك حسبا يقع ذكره فرجعت ولم ازره وتخلص الأمير غدا عند الظهر من سجنه فظهر السلطان اعماله واضرب عما كان امره بولايته واراد نفيه وكان للسلطان صهر يسمى بمخيت بن الملوك وكانت اخت السلطان تشكوه لاختها لى أن ماتت فذكر جوارها انها ماتت بسبب قهره لها وكان فى نسبه مغمر فكاتب السلطان بخطه يحلى اللقيط بعينه ثم كتب ويحلى موش خوار معناه اكل الفيران يعنى بذلك الأمير غدا لأن عرب البادية يأكلون اليربوع وهو شبه الفار وامر باخراجهما فجاءه النقيب ليخرجوه فأراد دخول داره ووداع أهله فترادف النقباء فى طلبه فخرج باكبيا وتوجهت حين ذلك إلى دار السلطان فبث بها فسألتى عن مبيتى بعض الامراء فقلت له جئت لانكلم مع الأمير سيف الدين حتى يرد ولا ينفى فقال لا يكون ذلك فقلت له والله لا يبتن بدار السلطان ولو بلغ مبيتى مائة ليلة حتى يرد فبأخ ذلك السلطان فامر برده وامره ان يكون فى خدمة الأمير ملك قبوله اللاهورى فأقام اربعة اعوام فى خدمته يركب لركوبه ويسافر لسفاره حتى نادب وتهذب ثم اعاده (س) إلى ما كان عليه ولا واقطعه البلاد وقدمه على العساكر ورفع قدره .

(ذكر تزويج (س) بنتى وزيره لابن خنداوندزاده قوام الدين الذى قد معنا عنيه)
ولما قدم خنداوندزاد واعطاه (س) عطاء جزلا واحسن اليه احسانا عظيما وبالغ فى

اكرامه ثم زوج ولديه في بنتي الوزير خواجه جهان وكان الوزير إذ ذاك غائبا فأتى (س) إلى داره ليلا وحضر عقد النكاح كما أنه نائب عن الوزير ووقف حتى قرأ قاضى القضاة الصداق والقضاة والامراء والمشايخ قعود وأخذ (س) بيده الاثواب والبدن فجعلها بين يدي القاضى ووالدى خدوا وندزاده وقام الامراء وأبو ان يجعل (س) ذلك بين أيديهم بنفسه فامرهم بالجلوس وأمر بعض كبار الامراء أن يقوم مقامه وانصرف

(حكاية في تواضع (س) وانصافه)

ادعى عليه رجل من كبار الهنود أنه قتل اخاه من غير موجب ودعاه إلى القاضى فصى على قدميه ولا سلاح معه إلى مجلس القاضى فسلم وخدم وكان قد أمر القاضى قبل ذلك أنه إذا جاءه مجلسه فلا يقوم له ولا يتحرك فصعد إلى المجلس ووقف بين يدي القاضى فحكم عليه أن يرضى خصمه من دم اخيه فارضاه (حكاية مثليا)

وادعى على (س) مرة رجل من المسلمين أنه له قبلة حقا ماليا فتخاصما في ذلك عند القاضى فأصدر الحكم على (س) باعطاء المال فاعطاه (حكاية مثليا)

وادعى عليه صبي من أبناء الملوك أنه ضربه من غير موجب ورفعه إلى القاضى لتوجيه الحكم عليه أن يرضيه بالمال أن قبل ذلك وإلا أمكنه من القصاص فشاهدته يومئذ وقد عاد لمجسه واستحضر الصبي واعطاه عصا وقال له وحق راسي لتضربنى كما ضربتلك فأخذ الصبي العصا ضربه بها إحدى وعشرين ضربة حتى رايت السكلا (السكلا) قد طارت على رأسه (ذكر اشتداده في إقامة الصلاة)

وكان (س) شديدا في إقامة الصلاة أمرا بملازمتها في الجماعات يعاقب على تركها أشد العقاب ولقد قتل في يوم واحد تسعة نفر على تركها كان احدهم مغنيا وكان يبعث الرجال الموكلين بذلك إلى الاسواق فمن وجد بها عند إقامة الصلاة عوقب حتى انتهى إلى عقاب السناثر بين الذين يسكون دواب الخدام على باب المشور إذا ضيعوا الصلاة وامران يطلب الناس بعلم فرائض الوضوء والصلاة وشرع الاسلام فسكانوا يسألون عن ذلك فمن لم يحسنه عرقب وصار الناس يتوارسون ذلك بالشور والاسواق ويكتبونها

(ذكر اشتداده في إقامة أحكام الشرع)

وكان شديدا في إقامة الشرع ومما فعل في ذلك أن أمر أخاه مبارك خان أن يكون قعوده بالمشور مع قاضى القضاة كمال الدين في قبة مرتفعة هناك مغروشة بالبسط والقاضى بها مرتبة تحف بها الخاد كرتبة (س) ويقعد اخو (س) عن يمينه فمن كان عليه حق من

كبار الأمراء وامتنع من أدائه لصاحبه يحضره رجال أخى السلطان عند القاضي لينصف منه

﴿ ذكر وقعة المغارم والمظالم وقعوده لانصاف المظلومين ﴾

ولما كان في سنة إحدى وأربعين أمر السلطان برفع المكوس عن بلاده وأن لا يؤخذ من الناس إلا الزكاة والعشر خاصة وصار يجلس بنفسه للنظر في المظالم كل يوم اثنين وخمسين برحبة أمام المشور ولا يقف بين يديه في ذلك اليوم إلا أمير حاجب وخاص حاجب وسيد الحجاب وشرف الحجاب لا غير ولا يمنع أحد عن أراد الشكوى من الوقوف بين يديه وعين أربعة من كبار الأمراء يجلسون في الأبواب الأربعة من المشور لأخذ القصص من المشتكين والرابع منهم هو ابن عمه ملك فيروز خان أخذ صاحب الباب الأول الرفع من الشاكي فحسنه والاأخذه الثاني أو الثالث أو الرابع وان لم يأخذه منه مضى به إلى صدر الجهان قاضي المماليك فإن أخذه منه والاشكى إلى السلطان فإن صح عند انهم مضى به إلى أحد منهم فلم يأخذه منه ادبه وكل ما يجتمع من القصص في سائر الأيام يطالع به السلطان بعد العشاء الآخرة

﴿ ذكر إطعامه في الغلاء ﴾

ولما استولى القحط على بلاد الهند والسند واشتد الغلاء حتى بلغ من القمح الى ستة دنانير أمر السلطان ان يعطى لجميع أهل دهلي نفقة ستة اشهر من الخزن بحساب رطل ونصف من أرطال المغرب لكل انسان في اليوم صغير أو كبير حر أو عبد وخرج الفقهاء والقضاة يكتبون الأزمة بأهل الحارات ويحضرون الناس ويعطى لكل واحد عولة ستة اشهر يقتات بها

(ذكر فتسكات هذا السلطان وما نقيم من أفعاله)

وكان على ما قد منا من تواضعه وانصافه ورفقه بالمساكين وكرمه الخارق للعادة كثير التجاسر على ارافة الدماء لا يخلو با به عن مقتول الا في النادر وكنت كثيرا ما ارى الناس يقتلون على بابيه ويطرحون هناك ولقد جئت يوما فنفرني الفرس ونظرت إلى قطعة بيضاء في الأرض فقلت ماهذه فقال بعض اصحابي هي صدر رجل قطع ثلاث قطع وكان يعاقب على الصغيرة والسكبيرة ولا يحترم أحدا من أهل العلم والصلاح والشرف وفي كل يوم يرد على المشور من المسلمين والغلوين والمقيديين مؤون فمن كان للقتل أو للعذاب عذب او للضرب ضرب وعادته ان يؤتى كل يوم بجميع من في سجنه من الناس إلى المشور ماعدا يوم الجمعة فانهم لا يخرجون فيه وهو يوم راحتهم ينظفون فيه ويستريحون اعاذنا الله من البلاء

(ذكر قتلة لأخيه)

وكان له أخ اسمه مسعود خان وامه بنت السلطان علاء الدين وكان من أجمل صورة رأيته

في الدنيا فاتهمه بالقيام عليه وسأله عن ذلك فأقر خوفاً من العذاب فإنه من انكر ما يدعيه عليه السلطان من مثل ذلك يعذب فيرى الناس أن القتل أهون عليهم من العذاب فأمر به فضربت عنقه في وسط السوق وبقي مطروحاً هنالك ثلاثة أيام على عادتهم وكانت أم هذا المقتول قد رجعت في ذلك الموضع قبل ذلك بسنتين لاعترافها بالزنا وجه القاضى كما الدين.

﴿ ذكر قتله لثلاثمائة وخمسين رجلاً في ساعة واحدة ﴾

وكان مرة عين حصنة من العسكر تتوجه مع الملك يوسف بغرة إلى قتال الكفار ببعض الجبال المتصلة بحوز دهلي نخرج يوسف وخرج معه معظم العسكر وتختلف قوم منهم فسكتب يوسف إلى السلطان يعلمه بذلك فأمر أن يطاف بالمدينة ويقبض على من وجد من أولئك المتدخلين ففعل ذلك وقبض على ثلاثمائة وخمسين منهم فأمر بقتلهم أجمعين فقتلوا .

﴿ ذكر تعذيبه للشيخ شهاب الدين وقتله ﴾

وكان الشيخ شهاب الدين ابن شيخ الجاه الخراساني الذي تنسب مدينة الجاه بخراسان إلى جده حسبما قصصنا ذلك من كبار المشايخ الصالحاء الفضلاء وكان يواصل أربعة عشر يوماً وكان السلطان قطب الدين وتغلق يعظماؤه ويزوران به ويتبركان به فلما ولي السلطان محمد أراد أن يخدم الشيخ في بعض خدمته فإن عادته أن يخدم الفقهاء والمشايخ والصالحاء محتجاً أن الصدر الأول رضى الله عنهم لم يكونوا يستعملون إلا أهل العلم والصالحاء فامتنع الشيخ شهاب الدين من الخدمة وشافقه السلطان بذلك في مجلسه العام فآظمر الأباية والامتناع فغضب السلطان من ذلك وأمر الشيخ الفقيه المعظم ضياء الدين السمناني أن ينتقب لحية فأبى ضياء الدين من ذلك وقال لأفعل هذا فأمر السلطان بئنف لحية كل واحد منهما فئنف ونفى ضياء الدين إلى بلاد التتلك ثم ولاه بعد مدة قضاء ورنسكل فمات بها ونفى شهاب الدين إلى دولة آباد فأقام بها سبعة أعوام ثم بعث عنه فأكرمه وعظمه وجعله على ديوان المستخرج وهو ديوان بقايا العمال يستخرجها منهم بالضرب والتسكيل ثم زاد في تعظيمه وأمر الأمرأ أن يأثوا للسلام عليه ويمثلوا أقواله ولم يكن أحد في دار (س) فوقه ولما انتقل (س) إلى السكبي على نهر السكك وبني هنالك القصر المعروف بسرك دوار معناه شبه الجنة وأمر الناس بالبناء هنالك طلب منه الشيخ شهاب الدين أن يأذن له في الإقامة بالحصنة فآذن له إلى أرض موات على مسافة ستة أميال من دهلي فخر بها كهفاً كبيراً صنع في جوفه البيوت والخازن والفرن والحمام

الأرض نهاراً ويدخلون الغار ليلاً ويستدونه على أنفسهم وأنعامهم خوف سراق الكفار
لأنهم في جبل منيع هنالك ولما عاد (س) إلى حضرته استقبله الشيخ ولقيه على سبعة أميال
منها فعظمه (س) وعانقه عند لقائه وعاد إلى غاره ثم بعث عنه بعد أيام فامتنع من إتيانه
فبعث إليه مخلص الملك النذر بارى وكان من كبراء الملوك فتلطف له في القول وحذره
بطش (س) فقال له لا أخدم ظالماً أبداً فعاد مخلص الملك إلى (س) فأخبره بذلك
فأمر أن يأتي به فأنى به فقال له أنت القائل إنى ظالم فقال نعم أنت ظالم ومن ظلمك كذا
وكذا وعدد أمورا منها تخريبه لمدينة دهلي وإخراجه أهلها فأخذ (س) سيفه ودفعه
لصدر الجهان وقال يثبت هذا إنى ظالم واقطع عنق بهذا السيف فقال له شهاب الدين
ومن يريد أن يشهد بذلك فيقتل ولكن أنت تعرف ظلم نفسك وأمر بتسليمه للملك نكبية
رأس الدويدارية فقيده بأربع قيود وغل يديه وأقام كذلك أربعة عشر يوماً مواسلاً
لا يأكل ولا يشرب وفي كل يوم منها يؤتى به إلى المشور ويجمع الفقهاء والمشايع ويقولون له
ارجع عن قولك فيقول لا ارجع عنه وأريد أن أكون في زمرة الشهداء فلما كان اليوم الرابع
عشر بعث إليه (س) بطعام مع مخلص الملك فأبى أن يأكل وقال قد رفع رزقي من الأرض
ارجع بطامك إليه فلما أخبر بذلك (س) أمر عند ذلك أن يطعم الشيخ خمسة أمتار
(أساتير) من العذرة وهي رطلان ونصف من أرطال المغرب فأخذ ذلك الموكلون بمثل
هذه الأمور وهم طائفة من كفار الهند فمدوه على ظهره وفتحوا فيه بالكلبتين وحلوا
العذرة بالماء وسقوه ذلك وفي اليوم الذي بعده أتى به إلى دار القاضي صدر الجهان وجمع
الفقهاء والمشايع ووجوه الاعزة فوعظوه واطلبوا منه أن يرجع عن قوله فأبى ذلك
فضربت عنقه رحمه الله تعالى

﴿ ذكر قتله للفقهاء المدرسي عفيف الدين الكاساني وفقههين معه ﴾

وكان (س) في سفي القحط قد أمر بحفر آبار خارج دار الملك وأن يزرع هنالك زرع
وأعطى الناس البذر وما يلزم على الزراعة من النفقة وكفهم زرع ذلك المخزن فبلغ ذلك
الفقهاء عفيف الدين فقال هذا الزرع لا يحصل المراد منه فوشى به إلى (س) فسجنه
وقال له لاى شيء تدخل نفسك في أمور الملك ثم أنه سرحه بعد مدة فذهب إلى داره ولقيه في
طريقه إليها صاحبان له من الفقهاء فقالا له الحمد لله على خلاصك فقال الفقهاء الحمد لله الذي
نجانا من القوم الظالمين وتفرقوا فلم يصلوا إلى دورهم حتى بلغ ذلك (س) فأمر بهم
فاحضر ثلاثهم بين يديه فقال اذهبوا بهذا يعنى عفيف الدين فاضربوا عنقه حمائل وهو

أن يقطع الرأس مع الذراع وبعض الصدر واضربوا أعناق الآخرين فقال له أما هو فيستحق العقاب بقوله وأما نحن فبأى جريمة تقتلنا فقال طما انكمما سمعنا كلامه فلم تنسكرا فكانكما وافقتما عليه فقتلوا جميعا رحمهم الله تعالى

(ذكر قتله أيضا لفقيهين من أهل السند كانا في خدمته)

وأمر السلطان هذين الفقيهين السنديين أن يمضيا مع أمير عينه إلى بعض البلاد وقال لهما انما سلبت أحوال البلاد والرعية لكما ويكون هذا الأمير معكما يتصرف بما تأمرانه به فقالا له انما نسكون كالشاهدين عليه ونبين له وجه الحق ليتبعه فقال لهما انما قصدكما ان تأكلا أموالى وتضيعاها وتنسبا ذلك إلى هذا التركي الذى لا معرفة له فقالا له حاشا لله ياخو ند عالم ما قصدنا هذا فقال لهما لم تقصدا غير هذا اذهبوا بهما إلى الشيخ زاده النهاوندى وهو الموكل بالعذاب فذهب بهما اليه فقال لهما السلطان يريد قتلكما فأقرا بما قولكما إياه ولا تعذبا أنفسكما فقال والله ما قصدنا إلا ما ذكرنا فقال ازبانته ذوقهما بعض شيء يعنى من العذاب فبطحا على أقفالهما وجعل على صدر كل واحد منهما صفيحة حديد محماه ثم قلعت بعد هنيئة فذهب بلحم صدورهما ثم أخذ البول والرماد فجعل على تلك الجراحات فأقر على أنفسهما أنهما لم يقصدا إلا ما قاله السلطان وأنهما يجزمان مستحقان للقتل فلاحق لهما ولا دعوى في دماهما دنيا ولا أخرى وكتبنا خطهما بذلك واعترفاه عند القاضى فسجل على العقد وكتب فيه أن اعترافهما كاعتراف غير كراه ولا إجبار ولو قال اكرهنا لعذبا أشد العذاب ورأيا أن تعجيل ضرب العنق خير لهما من الموت بالعذاب الأليم فقتلارحمهما الله تعالى

(ذكر قتله للشيخ هود)

وكان الشيخ زاده المسعى هو دحفيد الشيخ الصالح الولي ركن الدين بن بهاء الدين بن أبي ذكريا الملتاني وجده الشيخ ركن الدين معظما عند السلطان وكذلك أخوه عماد الدين الذى كان شبيها بالسلطان وقتل قوم وقبيلة كشلوخان وسند كره ولما قتل عماد الدين أعطى السلطان لأخيه ركن الدين مائة قرية ليأكل منها ويطعم الصادر والوارد بن أويته فتوفي الشيخ ركن الدين وأوصى بمكانه من الزاوية لحفيده الشيخ هود ونازع في ذلك ابن أخى الشيخ ركن الدين وقال أنا أحق بميراث عمى فقدما على السلطان وهو بدولة آباد وبينهما وبين ملتان ممانون يومافأعطى السلطان المشيخة لهُود وحسبها وأوصى له الشيخ وكان كمالا وكان ابن أخى الشيخ فتى واكمه السلطان وأمر بتضييعه في كل منزل يحله وان يخرج إلى لقائه أهل كل بلد يمر به إلى ملتان وتصنع له فيه دعوة فلما وصل الامر للحضرة خرج الفقهاء والقضاة والمشايخ

والاعيان للقاءه وكننت فيمن خرج إليه فتلقيناه وهو راكب في دولة يحملها الرجال وخيله
مجنوبة فسلمنا عليه وانسكرت أنا ما كان من فعله في ركوبه الدولة وقلت إنما كان ينبغي له أن
يركب الفرس ويساير من خرج للقاءه من القضاة والمشايخ فبلغه كلامي فركب الفرس
واعتذر بان فعله أولاً كان بسبب ألم منعه من ركوب الفرس ودخل الحضرة وصنعت له بها
دعوة أنفق فيها من مال السلطان عدد كثير وحضر القضاة والمشايخ والفقهاء والاعزة
ومد السباط وأتوا بالطعام على العادة ثم أعطيت الدراهم لكل من حضر على قدر استحقاقه
فاعطى قاضي القضاة خمسمائة دينار وأعطيت أنا مائتين وخمسين ديناراً أو هذه عادة لهم في
الدعوى السلطانية ثم انصرف الشيخ هود إلى بلده ومعه الشيخ نور الدين الشيرازي
بعثه السلطان ليجلسه على سجادة جده بزوايته ويصنع له الدعوة من مال السلطان هناك
واستقر بزوايته وأقام بها أعواماً ثم انعماد الملك أمير بلاد السند كتب إلى السلطان يذكر
أن الشيخ وقرابته يشغلون بجميع الأموال وانفاقها في الشهوات ولا يطعمون أحداً بالزواية
فنفذ الأمر بمطالبتهم بالأموال فطلبهم عماد الملك بها وسجن بعضهم وضرب بعضهم وصار
يأخذ منهم كل يوم عشرين ألف دينار مدة أيام حتى استخلص ما كان عندهم ووجد لهم
كثير من الأموال والذخائر من جملة ما نعلن مرصعاً بالجواهر والياقوت بيعة بسبعة آلاف
دينار قيل انهما كانا لبيت الشيخ هود وقيل لسرية له فلما اشتد الحال على الشيخ هرب
يريد بلاد الأتراك فقبض عليه وكتب عماد الملك بذلك إلى السلطان فأمره أن يبعثه ويبيع
الذي قبض عليه كلاهما في حكم الثفاف فلما وصل إليه سرح الذي قبض عليه وقال للشيخ
هود أين أردت أن تفر فاعتذر بعذر فقال له السلطان إنما أردت أن تذهب إلى الأتراك
فتقول أنا ابن الشيخ بهاء الدين زكريا وقد فعل السلطان معي كذا وتأتى بهم لقتالنا
اضربوا عنقه فضربت عنقه رحمه الله تعالى

(ذكر سجنه لابن تاج العارفين وقتله لأولاده)

وكان الشيخ الصالح شمس الدين ابن تاج العارفين ساكناً بمدينة كول منقطعاً للعبادة
كبير القدر ودخل السلطان إلى مدينة كول فذهب عنه فلم يأت فذهب السلطان إليه ثم لما قارب
منزله انصرف ولم يره واتفق بعد ذلك أن أميراً من الأمراء خالف على السلطان ببعض
الجهات وبايعه الناس فنقل للسلطان أنه وقع ذكر هذا الأمير بمجلس الشيخ شمس الدين
قائماً عليه وقال أنه يصلح للملك فبعث السلطان بعض الأمراء إلى الشيخ فقبضه وقيد
أولاده وقيد قاضي كول ومحتسبها لأنه ذكر انهما كانا حاضرين للمجلس الذي وقع فيه ثناء
الشيخ على الأمير المخالف وأمر بهم فسجنوا جميعاً بعد أن سمل عيني القاضي وعيني

المحتسب ومات الشيخ بالسجون وكان القاضي والمحتسب يخرجان مع بعض السجناء فيسألان الناس ثم يردان إلى السجن وكان قد بلغ السلطان أن أولاد الشيخ كانوا يخاطبون كفار الهندود وعصاتهم ويصحبونهم فلما مات أبوهم أخرجهم من السجن وقال لهم لا تعودوا إلى ما كنتم تفعلون فقالوا له وما فعلنا فاعتناظ من ذلك وأمر بقتلهم جميعاً فقتلوا ثم استحضر القاضي المذكور فقال أخبرني بمن كان يرى رأي هؤلاء الذين قتلوا ويفعل مثل أفعالهم فأمر أسماء رجال كثيرين من كفار البلد فلما عرض ما أملاه على السلطان قال هذا يجب أن يخرب البلد أضربوا عنقه فضربت عنقه رحمه الله تعالى .

(ذكر قتله للشيخ الحيدري)

وكان الشيخ علي الحيدري ساكناً بمدينة كنبأية من ساحل الهند وهو عظيم القدر شهير الذكر بعيد الصيت يندره التجار بالبحر النور الكثرة وإذا قدموا بدواً بالسلام عليه وكان يكشف أحوالهم وربما نذر أحدهم النذر وندم عليه فإذا أتى الشيخ للسلام عليه أعلمه بما نذر لدوامه بالوفاء به واتفق له ذلك مرات واشتهر به فلما خالف القاضي جلال الافغانى وقبيلته بتلك الجهات باغ السلطان ان الشيخ الحيدري دعا للقاضي جلال الدين واعطاء شاشيته من رأسه وذكر أيضاً أنه بايعه فلما خرج السلطان اليهم بنفسه وانهم القاضي جلال خلف السلطان شرف الملك أمير بخت أحد الوافدين معنا عليه بكنبأية وأمره بالبحث عن أهل الخلاف وجعل معه فقهاء يحكم بقولهم فاحضر الشيخ علي الحيدري بين يديه وثبت أنه أعطى للقائم شاشيته ودعاه فحكوا بقتله فلما حضر به السيف لم يفعل شيئاً وعجب الناس لذلك وظنوا أنه يعنى عنه بسبب ذلك فأمر سيافاً آخر بضرب عنقه فضرب عنه فضر بها رحمه الله تعالى

(ذكر قتله لطوغان وأخيه)

وكان طوغان الفرغانى وأخوه من كبار أهل مدينة فرغانى فوفد على السلطان فأحسن إليهما وأعطاهما عطاء جزيلاً أقاما عنده مدة فلما طال مقامهما أرادا الرجوع إلى بلادهما وتحاولا الفرار فوشى بهما أحد أصحابهما إلى السلطان فأمر بتوسيطهما فوسطا وأعطى للذى وشى بهما جميع مالهما وكذلك عادتهم بتلك البلاد إذا وشى أحد بأحد وثبت ما وشى به فقتل أعطى ماله .

(ذكر قتله لابن ملك التجار)

وكان ابن ملك التجار شاباً صغيراً لا نيات بعارضيه فلما وقع خلاف بين الملك وقيامه وقاتله للسلطان كما سئد كرم غلب على ابن ملك التجار هذا فكان في جماعته مقهوراً فلما هزم عين وقبض الملك عليه وعلى أصحابه كان من جملةهم ابن ملك التجار وصهره بن قطب الملك فأمر

بهما فعلقا من أيديهما في حشب وأمر أبناء الملوك فرموهما بالنشاب حتى ماتا قل
الحاجب خواجه أمير على التبريزي لقاضي القضاة كمال الدين ذلك مشاب لمحب عيه لفتن
قبل ذلك (س) فقال هلاقلت هذا قبل موته وأمر به فضرب مائة مفرقة أو نحوها
وسجن واعطى جميع ماله للأمير السيفين فرأيته في ثاثة ذلك اليوم قد لبس ثيابه وجعل
قلنسوته على رأسه وركب فرسه فظننت أنه هو وأقام بالسجن شهورا ثم سرح وردده
ما كان عليه ثم غضب عليه ثانية ونفاه إلى خراسان فاستقر بهراة وكتب إليه يستطعمه
فوقع له على ظهر كتابه اكر بار آمدي (أى) معناه ان كنت تبت فارجع فارجع إليه
(ذكر ضربه الخطيب الخطباء حتى مات)

وكان قدولى خطيب الخطباء بدلى النظر في خزانة الجواهر في السفر فافتق ان جاء مسرق
السكفار ليلا فضر بوا على تلك الخزانة وذهبوا بشى منها فأمر بضرب الخطيب حتى مات
رحمه الله تعالى

(ذكر تخريبه لدلى ونفى أهلها وقتل الأعمى والمقعد)

ومن أعظم ما كان ينقم على (س) اجلأؤه لاهل دلى وسبب ذلك أنهم كانوا يكتبون
بطائق فيها شتمه وسبه ويختمون عليها ويكتبون عليها وحق رأس خوند عالم ما يقرؤها
غيره ويرمونها بالمشور ليلا فإذا فاضها وجدفها شتمه وسبه فعزم على تخريب دلى واشترى
من أهلها جميع ادورهم ومنازلهم ودفع لهم ثمنها وأمرهم بالانتقال عنها إلى دولة آباد فأبوا
ذلك فنادى مناديه ان لا يبقى بها أحد بعد ثلاث فانتقل معظمهم واخفى بعضهم في الدور
فأمر بالبحث عمن بقى بها فوجد عبيده بازقتهارجلين أحدهما مقعد والآخر أعمى فأبوا
بهما فأمر بالمقعد فرمى به في المنجنيق وأمر أن يجر الأعمى من دلى إلى دولة آباد مسيرة
أربعين يوما فتعرق في الطريق ووصل منه رجله ولما فعل ذلك خرج أهلها جميعا وتركوا
أنفأهم وأمتعتهم وبقيت المدينة خاوية على عروشها فحدثني من أثق به قال صعد (س)
ليلة إلى سطح قصره فنظر إلى دلى وليس بها نار ولا دخان ولا سراج فقال الآن طاب
قلبي وتمدن خاطري ثم كتب إلى أهل البلاد ان ينتقلوا إلى دلى ليعمروها فخربت بلادهم
ولم تعمّر دلى لا لتساعها وضخامتها وهي من أعظم مدن الدنيا وكذلك وجدناها لما دخنا
إليها خالية ليس بها الا قليل عمارة وقد ذكرنا كثير من مآثر هذا (س) وما ينقم عليه ايضا
فلنذكر جملا من الوقائع والحوادث السكائنة في أيامه.

(ذكر ما افتتح به أمره أول ولايته من منه على بها دور بوره)

ولما ولي (س) الملك بعد أبيه وبايعه الناس احضر (س) غياث الدين بهادور بوره

الذى كان أسره (س) تغلق فن عليه وفك قيوده وأجر له العطاء من الأموال والخيل والفيالة وصرفه إلى مملكته وبعث معه ابن أخيه إبراهيم خان وعاهده على أن تسكون تلك المملكة مشاطرة بينهما وتسكتب اسمائهما في السكة ويخطب لهما وعلى أن يصرف غياث الدين ابنه محمد المعروف ببرباط يكون رهينة عند (س) فانصرف غياث الدين إلى مملكته والتزم ما شرط عليه إلا أنه لم يبعث ابنه وادعى أنه امتنع وإساءه الأدب في كلامه فبعث (س) العساكر إلى ابن أخيه إبراهيم وأميرهم دلجلى التترى فقاتلوا غياث الدين قتلوه وسلبوا جلده وحشى بالثبن وطيف به على البلاد

... ذكر ثورة ابن عمته وما اتصل بذلك ...

وكان (س) تغلق ابن اخت يسمى بهاء الدين كشتاسب (بضم الكاف وسكون الشين المعجم وتاء معلومة) واسب (بالسين المهملة والباء الموحدة مسكين) فجعله أميراً ببعض النواحي فلما مات خاله امتنع من بيعة ابنه وكان شجاعاً بطلاً فبعث (س) إليه العساكر فيهم الأمراء السكبار مثل الملك مجير والوزير خواجه جهان أمير على الجميع فالتقى الفرسان واشتد القتال وصبر كلا العسكرين ثم كانت السكرة لعسكر (س) ففر بهاء الدين إلى ملك من ملوك السكفار يعرف بالراى كنبيلة والراى عندهم كئيل ماهو بلسان الروم عبارة عن (س) وكنبيلة اسم الأقليم الذى هو به وهو (بفتح الكاف وسكون النون وكسر الباء الموحدة ويا - ولام مفتوحة) وهذا الراى له بلاد في جبال منبجة وهو من أكابر سلاطين السكفار فلما هرب إليه بهاء الدين اتبعه عساكر (س) وحصروا تلك البلاد واشتد الأمر على الكافرو ونقدوا عندهم من الزرع وخاف أن يؤخذ باليد فقال لبهاء الدين إن الحال قد بلغت لما تراء وأنا عازم على هلاك نفسى وعيالى ومن تبعنى فاذهب أنت إلى (س) فلان من السكفا وسماه لهم فاقم عنده فانه سيسمى بك وبعث معه من أوصله إليه وأمر راى كنبيلة بنار عظيمة فاحججت وأحرق فيها أمتعته وقال لنسائه وبناته إنى أريد قتل نفسى فن أرادت موافقته فالتفتل فكانت المرأة منهم تغتسل وتدهن بالصندل والمقاصرى وتقيل الأرض بين يديه وترمى بنفسها فى النار حتى هلكت جميعاً وقتل وفعل مثل نساء أمرائه ووزرائه وأرباب دولته ومن أراد من سائر النساء ثم اغتسل الراى وادهن بالصندل ولبس السلاح ماعدا الدرع وفعل كفعله من أراد الموت معه من ناسه وخرجوا إلى عسكر (س) فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً ودخلت المدينة فأسراهم وأسر من أولادى راى كنبيلة أحد عشر ولداً قاتل بهم (س) فأسلموا جميعاً وجعلهم (س) أمراء وعظمهم لأصايتهم ولعل أيبهم

قرأيت عنده منهم نصرأ وبختيار والمهر دار وهو صاحب الخاتم الذي يختم به على الماء الذي يشرب (س) منه وكنيته أبو مسلم وكانت يني ويذنه صحبة ومودة ولما قتل رأى كنبيلة توجهت عساكر (س) إلى بلد السكفار الذي لجأ إليه بهاء الدين وأحاطوا به فقال ذلك (س) أنا لا أقدر على أن أفعل ما فعله رأى كنبيلة فقبض على بهاء الدين وأسليه إلى عسكر (س) فقيدوه وغلوه وأتوا به فلما أتى به إليه أمر بإدخاله إلى قرايته من النساء فشتتمته وبصقن في وجهه وأمر بسلبه وهو نفيذ الحياة فسلب وطبخ لحمه مع الأرز وبعث لأولاده وأهله وجعل باقيه على صحيفة وطرح للقبيلة لتأكله فأبت أكلمه وأمر بجلده فحشى بالنين وقرن بجلد بهادور بوره وطيف بهما على البلاد فلما وصل إلى بلاد السند وأمير أمراتها يومئذ كشلو خان صاحب (س) تلقى ومعيته على أخذ الملك وكان (س) يعظمه ويخاطبه بالعم ويخرج لاستقباله إذا وفد من بلاده أمر كشلو خان بدفن الجليدين فبلغ ذلك (س) فشق عليه فعلة وأراد الفتك به .

(ذكر ثورة كشلو خان وقتله)

ولما اتصل بالسلطان ما كان من فعله في دفن الجليدين بعث عنه وعلم كشلو خان أنه يريد عقابه فامتنع وخالف وأعطى الأموال وجمع العساكر وبعث إلى الترك والأفغان وأهل خراسان فأناهم منهم العدد الجهم حتى كافأ عسكره عسكر (س) وأورب عليه كثرة وخرج (س) بنفسه لقتاله فكان اللقاء على مسيرة يومين من ملتان بصحراء أبهر وأخذ (س) بالحزم عند لقائه فجعل تحت الشطر عوضاً منه الشيخ عماد الدين شقيق الشيخ ركن الدين الملتان وهو حدثي هذا وكان شديداً به فلما حوى القتال انفرد (س) في أربعة آلاف من عسكره وقصد عسكر كشلو خان قصد الشطر معتقدين أن (س) تحته فقتلوا أعماد الدين وشاع في العسكر أن (س) قتل فاشتعلت عساكر كشلو خان بالنهب وتفرقوا عنه ولم يبق معه إلا القليل فقصدته (س) بمن معه فقتله وجزر رأسه وعلم بذلك جيشه ففرروا ودخل (س) مدينة ملتان وقبض على قاضها كريم الدين وأمر بسلبه فسلب وأمر برأس كشلو خان فعلق على بابيه وقدر أيته معلقاً لما وصلت إلى ملتان وأعطى (س) للشيخ ركن الدين أخى عماد الدين ولايته صدر الدين مائة قرية انعاماً عليهم لياكلوا منها ويطعموا بزاويتهم المنسوبة لجدهم بهاء الدين زكريا وأمر (س) وزيره خواججه جهان أن يذهب إلى مدينة كمال بوروي مدينة كبيرة على ساحل البحر وكان أهلها قد خالفوا فاجبرني بعض الفقهاء أنه حضر دخول الوزير ليأياها قال واحضر بين

يديده القاضي بها والخطيب فامر بساخ جلودهما فقال له اقتلنا بغير ذلك فقال لهما بما استوجبتما القتال فقال بمخافتنا أمر (س) فقال لهما فكيف أخالف أنا أمره وقدامي أن اقتلكما بهذه القنلة وقال للتولين لساخهما احفروا لهما حفرا تحت وجوههما يتنفسان فيها فانهم إذا ساخروا والعياذ بالله يطرحون على وجوههم ولما فعل ذلك تمهدت بلاد السند وعاد (س) إلى حضرته .

(ذكر الواقعة بجبل قراجيل على جيش السلطان)

(وأول اسمه قاف وجيم معقودة) وجبل قراجيل هذا جبل كبير يتصل مسيرة ثلاثة أشهر وبينه وبين دهلي مسيرة عشر وسلطانه من أكبر سلاطين السكفار وكان (س) بعث ملك نسكية رأس الديو دارية إلى حرب هذا الجبل ومعه مائة ألف فارس ورجاله وسواهم كثير فملك مدينة جديدة (وضبطها بكسر الجيم وسكون الدال المهمل وفتح الباء آخر الحروف وهي أسفل الجبل وملك ما يليها وسمى وخرب واحرق وفر السكفار إلى أعلى الجبل وتركوا بلادهم وأموالهم وخزائن ملكتهم وللجبل طريق واحد وعن أسفل منه واد وفوقه الجبل فلا يجوز فيه الا فارس منفرد وخلفه آخر فصعدت عساكر المسلمين على ذلك الطريق وتمسكوا مدينة رونسكل التي بأعلى الجبل (وضبطها) بفتح الواو والراء (وسكون النون وفتح السكاف) واحتوا على ما فيها وكتبوا إلى (س) بالفتح فبعث اليهم قاضيا وخطيبا وأمرهم بالاقامة فلما كان وقت نزول المطر غلب المرض على العسكر وضعفوا ومات الخيل وانحلت القسي فكاتب الأمراء إلى (س) واستأذنه في الخروج عن الجبل والنزول إلى أسفله بخلال ما ينصرف فصل نزول المطر فيعودون فاذن لهم في ذلك فأخذ الأمير نسكية الأموال التي استولى عليها من الخزائن والمعادن وفرقها على الناس ليرفعوها ويوصلها إلى أسفل الجبل فعند ما علم السكفار بخروجهم قعدوا لهم بتلك الماوى وأخذوا عليهم المضيق وصاروا يقطعون الأشجار المعادية قطعاً ويطرحونها من أعلى الجبل فلا تمر بأحد إلا أهاب كته فملك الكثير من الناس وأسر الباقون منهم وأخذ السكفار الأموال والأمتعة والخيل والسلاح ولم يفلت من الجند إلا ثلاثة من الأمراء كبيرهم نسكية وبدر الدين الملك دولة شاه ثالث لهما لا أذكره وهذه الواقعة أثرت في جيش الهند أثر كبير وأضعفته ضعفاً بينا وصالح السلطان بعدها أهل الجبل على مال يؤدونه إليه لأن لهم البلاد أسفل الجبل ولا قدرة لهم على عمارتها إلا بإذنه

(ذكر ثورة الشريف جلال الدين ببلاد المعبر واتصل بذلك من قتل ابن أخت الوزير)
وكان السلطان قد أمر على بلاد المعبر وبينها وبين دهلي مسيرة ستة أشهر الشريف جلال

الدين أحسن شاه مخالف وادعى الملك لنفسه وقتل نواب السلطان وعماله وضرب الدنانير والدرهم باسمه وكان يكتب في إحدى صفحاته الديار سلالة طه ويس أبو الفقراء والمساكين جلال الدنيا والدين وفي الصفحة الأخرى الواقع بتأييد الرحمن أحسن شاه السلطان وخرج السلطان لما سمع بشورته يريد قتاله فنزل بموضع يقال له كشك زرمعناه قصر الذهب وأقام به ثمانية أيام لقضاء حوائج الناس وفي تلك الأيام يأتي أخت الوزير خواجه جهان وأربعة من الأمراء أو ثلاثة وهم مقيدون مغلولون وكان السلطان قد بعث وزيره المذكور في مقدمته فوصل إلى مدينة ظهار وهي على مسيرة ابع وعشر من دهلي وأقام بها أياما وكان ابن أخته شجاعاً بطلاً فاتفق مع الأمراء الذين أتى بهم على قتل خاله والحرب بما عنده من الخزائن والأموال إلى الشريفة القائم ببلاد المعبر وعزموا على الفتك بالوزير عند خروجه إلى صلاة الجمعة فوشى بهم أحد من أدخلوه في أمرهم إلى الوزير وكان يسمى الملك نصره الحاجب وأخبر الوزير أن آية ما يروونه لبسهم الدروع تحت ثيابهم فبعث الوزير عنهم فوجدهم كذلك فبعث بهم إلى السلطان وكنت بين يد (س) حين وصولهم فرأيت أحدهم وكان طوال اللحي وهو برعدو يتلوسورة يس فامرهم فطرحوا للفيالة المعلمة لقتل الناس وأمر بابن أخت الوزير فرد إلى خاله ليقتله فقتله وستذكر ذلك وتلك الفيالة التي تقتل تكسى أنيابها حديد مسنونه شبه سلك الحرث لها أطراف كالسكاكين ويركب الفيال على الفيل فاذا رمى الرجل بين يديه لف عليه خرطومه ورمى به إلى الهواء ثم يلتفه بنا بيه ويطرحه بعد ذلك بين يديه ويجعل يده ويفعل به ما يأمره الفيال على حسب ما أمره (س) فإن أمره بقطع طبعه القطع بتلك الحدائد وإن أمره بتركه مطروحاً فسلخ وكذلك فعل هؤلاء وخرجت من دار (س) بعد المغرب فرأيت الكلاب تأكل لحومهم وقد ملئت جلودهم بالزبن والعياذ بالله ولما تجهز (س) لهذه الحركة أمرني بالإقامة بالحضرة كما سئذكره ومضى في سفره إلى أن بلغ دولة آباد فثار الأمير هلاجون ببلادوه وخرج ذلك وكان الوزير خوجه جهان قد بقي أيضاً بالحضرة لحشد الحشود وجمع العساكر

(ذكر ثورة هلاجون)

ولما بلغ (س) إلى دولة آباد وبعد عن بلاده ثار الأمير هلاجون بمدينة الاهوار وادعى الملك وساعده الأمير قلجند على ذلك وصيره وزيراً له واتصل ذلك بالوزير خواجه جهان وهو بدلهي لحشد الناس وجمع العساكر وجمع الخراسانيين وكل من كان مقيماً من الخدام بدلهي اخذ اصحابه واخذ في الجملة اصحاباً لأنى كنت بهما مقيماً اعانه (س) بأمرين كبيرين

أحدهما قيران ملك صفدار ومعناه مرتب العساكر والثاني الملك تمور الشريدار وهو الساقى وخرج هلاجون بعساكره فسكران اللقاء على ضفة أحد الأودية السكار فانهمز هلاجون وهرب وغرق كثير من عساكره في النهر ودخل الوزير المدينة فسلخ بعض أهلها وقتل آخرين بغير ذلك من أنواع القتل وكان الذى تولى قتلهم محمد بن النجيب نائب الوزير وهو المعروف بأجدر ملك ويسمى أيضاً صك (سك) (س) والشك عندهم السكلب وكان ظالماً قاسى القلب ويسميه (س) اسد الاسواق وكان ربما عض أرباب الجنايات بأسمانه شرها وعدوانا وبعث الوزير من نساء المخالين نحو ثلاثمائة إلى حصن كاليور فسجن به ورايت بعضهن هنالك وكان أحد الفقهاء له فهن زوجة فكان يدخل إليها حتى ولدت منه فى السجن

(ذكر وقوع الوباء فى عسكر (س))

ولما وصل (س) إلى بلاد التلنك وهو قاصد إلى قتال الشريف ببلاد المعبر نزل مدينة بدر كوت (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الدال وفتح الراء وضيم الكاف وواو وتاء معلوة) وهى قاعدة بلاد التلنك (وضبطها بكسر التاء المعلوة واللام وسكون النون وكاف معقودة) وبينها وبين بلاد المعبر مسيرة ثلاثة أشهر ووقع الوباء لئذ ذلك فى عسكره فهلك معظمهم ومات العبيد والماليك وكبار الأمراء مثل ملك دولة شاه الذى كان (س) يحاطبه بالعموم مثل أمير عبد الله الهورى وقد تقدمت حكايته فى السفر الأول وهو الذى أمر (س) أن يرفع من الخزانة ما استطاع من المال فربط ثلاث عشرة خريطة بأعضاده ورفعها ولما رأى (س) ما حل بالعسكر عاد إلى دولة آباد وخالفت البلاد وانقضت الاطراف وكاد الملك يخرج عن يده لولا ما سبق به القدر من استحكام سعادته

(ذكر الارجاف بموته وفرار الملك هوشنج)

ولما عاد (س) إلى دولة آباد مرض فى طريقته فارجف الناس بموته وشاع ذلك فنشأت عنه فتن عريضة وكان الملك هوشنج ابن الملك كمال الدين كرك بدولة آباد وكان بينه وبين (س) عهد أن لا يبايع غيره أبداً لا فى حياته ولا بعد موته فلما ارجف بموت (س) هرب إلى (س) كافر يسمى بريرة يسكن بجبال مائة بين دولة آباد وكوكى تان ففعل (س) بفراره وخاف وقوع الفتنة فجدا السبيل إلى دولة آباد واقتفى أثر هوشنج وحصره بالخیل وأرسل السكارف أن يسلمه إليه فأتى وقال لا أسلم دخيلى ولو آل فى الامر لما آل برارى كنبيلة وخاف هوشنج على نفسه فراسل (س) وعاهد على أن يرحل (س) إلى دولة آباد ويبقى هنالك قطلوخان معلم (س) ليستوثق منه هوشنج وينزل إليه على الامان فرحل (س)

ونزل هو شنج إلى قطلو خان وعاهده أن لا يقتله (س) ولا يحيط منزله وخرج بماله وعياله وأصحابه وقدم على (س) فسر بقدمه وأرضاه وخلع عليه وكان قطلو خان صاحب عهد يستنيم الناس اليه ويقوون في الوفاء عليه ومنزله عند (س) عليه وتعظيمه له شديد ومتى دخل عليه قام له لإجلاله فكان بسبب ذلك لا يدخل عليه حتى يكون هو الذي يدعوه لثلا يتعبه بالقيام له وهو محب في الصدقات كثير لا يثار مولع بالاحسان للفقراء والمساكين

(ذكر ما هم به الشريف إبراهيم من الثورة ومآل حاله)

وكان الشريف إبراهيم المعروف بالخريطة دار وهو صاحب الكاغد والاقلام بدار (س) واليا على بلاد حانسي وسرستي لما تحرك (س) إلى بلاد المعبرو أبوه هو القائم ببلاد المعبر الشريف أحسن شاه فلما أُرْجِفَ بموت (س) طمع إبراهيم في السلطنة وكان شجاعا كريما حسن الصورة وكثت متزوجا بأخته حورنسب وكانت صالحة تهجد بالليل لها وراد من ذكر الله عز وجل وولدت منى بنتا ولا أدري ما فعل الله فيهما وكانت تقرأ الكتب لا تسكت فلما هم إبراهيم بالثورة اجتاز به أمير من أمراء السند معه الأموال يحملها إلى دهلي فقال له إبراهيم ان الطريق مخوف وفيه القُطْع فأقيم عندي حتى يصالح الطريق وأوصلك إلى المأمن وكان قصده أن يتحقق موت (س) فيستولى على تلك الأموال فلما تحقق حياته سرح ذلك الأمير وكان يسعى ضياء الملك بن شمس الملك ولما وصل (س) إلى الحضرة بعد غيبته سنتين ونصف وصل الشريف إبراهيم إليه فوشى به بعض غلمانه وأعلم (س) بما كان هم به فأراد (س) أن يعجل بقتله ثم تأتى لمحبه قيه فاتفق أن اتى يوما إلى السلطان به زال مذبح ينظر إلى ذبحته فقال ليس يجيد الزكاة أطرحوه فرآه إبراهيم فقال ان زكاته جيدة وأنا آكله فأخبر (س) بقوله فأنكر ذلك وجعله ذريعة إلى أخذه فأمر به بقتله وغلب ثم قرره على ماري به من أنه أراد أخذ الأموال التي مر بها ضياء الملك وعلم إبراهيم انه إنما يريد قتله بسبب أبيه وانه لا تنفعه معذرة وخاف أن يعذب فرأى الموت خيرا له فأقر بذلك فأمر به فوسط وترك هنالك وعادتهم أنه متى قتل (س) أحد اقام مطروحا بموضع قتله ثلاثا فاذا كان بعد الثلاث اخذه طائفة من السكبار موكلون بذلك لحملوه إلى خندق خارج المدينة يطرحونه به وهم يسكنون حول الخندق لثلا يأتي أهل المقتول فيحرقونه وربما اعطى بعضهم لؤلؤا السكبار مالا فتجافوا له عن قتله حتى يدفنه وكذلك فعل الشريف إبراهيم رحمه الله تعالى

(ذكر خلاف نائب (س) ببلاد التلنك)

ولما عاد (س) من التلنك وشاع خبر موته وكان ترك تاج الملك نصرة خان تابعا عنه ببلاد التلنك وهو من قدماء خواصه بلغه ذلك فعمل عزاء (س) ودعا لنفسه وتابعه الناس بحضرة بدر كوت فبلغ خبره إلى (س) فبعث معمله قطلو خان في عساكر عظيمة فحصره بعد قتال شديد هلك فيه امم من الناس واشتد الحصار على اهل بدر كوت وهي منيعة وأخذ قطلو خان في نقبها فخرج اليه نصرة خان على الامان في نفسه فامته وبعث به إلى (س) وأمن أهل المدينة والعسكر

(ذكر انتقال (س) لنهر السكنك وقيام عين الملك)

ولما استولى القحط على البلاد انتقل (س) بعساكره إلى نهر السكنك الذي تخرج اليه الهنود على مسيرة عشرة من دهلي وأمر الناس بالبناء وكانوا قبل ذلك صنعوا خياما من حشيش الأرض فكانت النار كثيرا ما تقع فيها وتؤذي الناس حتى كانوا يصنعون كهوفا تحت الأرض فإذا وقعت النار رموا أمتعتهم بها وسدوا عليها بالتراب ووصلت أنا في تلك الايام لمحلة (س) وكانت البلاد التي بغربي النهر حيث (س) شديد القحط والبلاد التي بشرقيه خصبة وأميرها عين الملك بن ماهر ومنها مدينة عوض ومدينة ظفر آباد ومدينة السكنو وغيرها وكان الأمير عين الملك كل يوم يحضر خمسين الف من منها قح وأرزو حص لعلف الدواب فأمر (س) أن تحمل القبيلة ومعظم الخيل والبقال إلى الجمة الشرقية المخصصة لترعى هنالك وأوصى عين الملك بحفظها وكان لعين الملك أربعة أخوة وهم شهر الله ونصر الله وفضل الله ولا أذكر اسم الآخر فاتفقوا مع أخيه عين الملك وهرب أن يأخذوا فيلة السلطان ودوابه ويبايعوا عين الملك ويقوموا على (س) وهرب اليهم عين الملك بالليل وكاد الأمر يتم لهم ومن عادة ملك الهند أنه يجعل مع كل أمير كبير أو صغير مملوكا يكون عينا له عليه ويعرفه بجميع حاله ويجعل أيضا جوارى في الدور يكن عيوناه على أمرائه ونسوة يسمين السكناسات يدخلن الدور بلا استئذان ويخبرهن الجوارى بما عندهن فيخبر السكناسات بذلك المخبرين فيخبر بذلك (س) ويدكرون أن بعض الأمراء كان في قراشه مع زوجته فأراد مماستها خلفته برأس (س) أن لا يفعل فلم يسمع منها فبعث (س) صباحا وأخبره بذلك وكان سبب هلاكه وكان للسلطان مملوك يعرف بابن ملك شاهو عين على عين الملك المذكو فأنخبر (س) بفراره وجوازه النهر فسقط في يده وظن أنها القاضية عليه لأن الخيل والقبيلة والأزرع كل ذلك عند عين الملك وعساكر (س) مفترقة فأراد أن يقصد حضرته ويجمع العساكر وحينئذ يأتي لقتاله وشاور

أرباب الدولة في ذلك وكان أمراء خراسان والغرباء أشد الناس خوفاً من هذا القائم
لأنه هندي وأهل الهند مبغضون في الغرباء لاظهار (س) لهم فكرهوا ماظهر له وقالوا
ياخوند عالم إن فعلت ذلك بلغه الخبر فاشتد أمره ورتب العساكر وأشال عليه طلاب الشر
ودعاة الفتن والأولى معالجته قبل استحكام قوته وكان أول من تكلم بهذا ناصر الدين مطهر
الأوهري ووافقه جميعهم ففعل (س) بأشارتهم وكتب تلك الليلة إلى من قرب منه من
الأمراء والعساكر فأتوا من حينهم وأدار في ذلك حيلة حسنة فكان إذا قدم على محله مثلاً مائة
فارس بعث الآلاف من عنده للقائم ليلا ودخلوا معهم إلى المحلة وكان جميعهم مددله وتحرك
(س) مع ساحل النهر ليجمعل مدينة قنوج وراء ظهره ويتحصن بها لمنعته وحصانتها
وبينها وبين الموضع الذي كان ثلاثة أيام فرحل أول مرحلة وقد عبأ جيئته للحرب
وجعلهم صفاً واحداً عند نزولهم كل واحد منهم بين يديه سلاحه وفرسه إلى جانبه
ومعه خباء صغير يأكل به ويتوضأ ويعود إلى مجلسه والمحلة الكبرى على بعد منهم ولم
يدخل (س) في تلك الأيام الثلاثة خباء ولا استظل بظل وكسنت في يوم منها بخباتي
فصاح في قتي من فنياني اسمه سنبل واستعجلني وكان معي الجوارى فخرجت إليه فقال إن
(س) أمر الساعة أن يقتل كل من معه أمراًته أو جاريته فشفع عنده الأمراء فأمر أن
لا تفي الساعة بالمحلة امرأة وأن يحمن إلى حصن هنالك على ثلاثة أميال يقال له كنبيل فلم
تبقى امرأة بالمحلة ولا مع (س) وبتنا تلك الليلة على تعبئة فلما كان في اليوم الثاني رتب
(س) عسكره أفواجا وجعل مع كل فوج الفيلة المدرعة عليها الأبراج فوفها المقاتلة
وتدرع العسكر وتهيؤا للحرب وبنوا تلك الليلة على أهبة ولما كان اليوم الثالث بلغ الخبر
بأن عين الملك الثائر جازال نهر ثفاف (س) من ذلك وتوقع أنه لم يفعله إلا بعد مرسله الأمراء
الباقين مع (س) فأمر في الحين بقسم الخيل العتاق على خواصه وبعث لى حظاً منها وكان
لى صاحب يسمى أمير أميران السكرماني من الشجعان فاعطيته فرساناً منها اشهب اللون فلما
حركه جمع به فلم يستطع امساكهم عن ظهره فمات رحمه الله تعالى وجد (س) ذلك
اليوم في مسيره فوصل بعد العصر إلى مدينة قنوج وكان يخاف أن يسبقه القائم إليها وبات
ليلته تلك يرتب الناس بنفسه ووقف علينا ونحن في المقدمة مع ابن عمه ملك فيروز ومعنا
الأمير غدا ابن منهي والسيد ناصر الدين مطهر وأمراء خراسان فاضافنا إلى خواصه وقال
انتم اعز على ينبغي أن تغارقوني وكان في عاقبة ذلك الخير فان القائم ضرب في آخر
الليل على المقدمة وفيها الوزير خواجه جهان فقامت ضجة في الناس كبيرة فحينئذ أمر

(س) أن لا يبرح أحدهم مكانه ولا يقاتل الناس إلا بالسيوف فاستل العسكر سيوفهم ونهضوا إلى أصحابهم وحملوا القتال وأمر (س) أن يكون شعار جيشه دهلي وغزاة فإذا لقي أحدهم فارسا قال له دهلي فإن أجابه بغزاة علم أنه من أصحابه والافانله وكان القائم انما تصد ان يضرب على موضع (س) فأخطأ به الدليل فقصد موضع الوزير فضرب عنق الدليل وكان في عسكر الوزير الاعاجم والترك والحراسانيون وهم أعداء الهند فصدقوا القتال وكان جيش القائم نحو الخمسين ألفا فانهزموا عند طلوع الفجر وكان الملك ابراهيم المعروف بالبليجي (بفتح الباء الموحدة وسكون النون وجيم) التري قد أقطعه السلطان بلاد سنديلة وهي قرية من بلاد عين الملك فانفق معه على الخلاف وجعله نائبه وكان داود بن قطب الملك وابن ملك التجار على فيله (س) وخيله فوافقاه ايضا وجعل داود حاجبه وكان داود هذا لما ضربوا على محلة الوزير يحمر بسبب (س) ويشتمه اقبح شتم (س) يسمع ذلك ويعرف كلامه فلما وقعت الهزيمة قال عين الملك لنائبه ابراهيم التري ماذا ترى يا ملك ابراهيم قد فراكث العسكر وذو النجدة منهم فهل لك ان ننجموا بانفسنا فقال ابراهيم لأصحابه بالسانهم اذا راد عين الملك ان يفر فاني ساقبض على دبوقته فإذا فعلت ذلك فاضربوا انتم فرسه ليسقط الى الأرض فنقبض عليه ونأى به إلى (س) ليكون ذلك كغارة لذني في الخلاف معه وسببا لخلاص فلما اراد عين الملك الفرار قال له ابراهيم الى اين يا سلطان علاء الدين، وكان يسمى بذلك وامسك بدبوقته وضرب اصحابه فرسه فسقط على الأرض ورعى ابراهيم بنفسه عليه فقبضه وجاء أصحاب الوزير ليأخذوه فنهزمهم وقال لا اتركه حتى أوصله للوزير أو أموت دون ذلك فتركوه فأوصله إلى الوزير وكنت انظر عند الصبح إلى الغيلة والاعلام يأتى بها إلى (س) ثم جاءني بعض العراقيين فقال قد قبض على عين الملك واتي به الوزير فلم اصدقه فلم يمر الا يسير وجاءني الملك تمور الشريدار فأخذ بيدي وقالوا ابشر فقد قبض على عين الملك وهو عند الوزير فتحرك (س) عند ذلك ونحن معه الى محلة عين الملك على نهر السكتك فنهبت العساكر ما فيها واقتحم كثير من عسكر عين الملك النهر فغرقوا واخذ داود بن قطب الملك وابن ملك التجار وخلق كثير معهم ونهبت الأموال والخيل والامتعة ونزل (س) على الحجاز وجاء الوزير بعين الملك وقد اركب على ثور وهو عريان مستور العورة بمخرقة من بوطلة بحبل وبأفية في عنقه فوقف على باب السراجة ودخل الوزير إلى (س) فأعطاه الشرية عتايه به وجاء أبناء الملوك إلى عين الملك فحلوا يسبونه ويهتفون في وجهه ويصفعون

أصحابه اليه وبعث (س) الملك الكبير فقال له ما هذا الذي فعلت فلم يجده جوابا فأمر به
(س) أن يكسى ثوبا من ثياب الزمالة وقيد ياربعة كبول وغلت يده إلى عنقه وسلم
للوزير ليحفظه وجزاز أخوته النهر هار بين ووصلوا مدينة غوض فاخذوا أهلهم وأولادهم
وما قدروا عليه من المال وقالوا لزوجة أخيه عين الملك اخلاصى بنفسك وبنيك معنا
فقاتل أفلأ أكون كنساء الكيفار اللاتي يحرقن أنفسهن مع أزواجهن فانا أيضا أموت
لموت زوجي وأعيش لعيشه فتركوها وبلغ ذلك (س) فكان سبب خيرها وادركته
لهارقة وأدرك الفتى سميل نصر الله من أولئك الاخوة فقتله واتى (س) برأسه وأتى
بأم عين الملك وأخته وامرأته فسلن إلى الوزير وجعلن في خباء بقرب خباء عين الملك
فكان يدخل اليهن ويجلس معهن ويعود إلى محبسه ولما كان بعد العصر من يوم الهزيمة
أمر (س) بسراح لغير من الناس الذين مع عين الملك من الزمالة والسوقة والعبيد
ومن لا يعبأ به وأتى بملك ابراهيم البنجى الذى ذكرناه فقال ملك العسكر الملك نوايا
خوند عالم اقتل هذا فإنه من المختالفين فقال الوزير انه قد قدى نفسه بالقائم فعفا عنه
(س) وسرحه إلى بلاده .

ولما كان بعد المغرب جلس (س) ببرج الخشب وأتى باثنين وستين رجلا من كبار أصحاب
القائم وأتى بالفيلة فطرحوا بين أيديها فجعلت تقطعهم بالحدائد الموضوعة على أنيابها وترى
بعضهم إلى الهواء وتتلقفه والابواق والانفار والطبول تضرب عند ذلك وعين الملك واقف
يماين مقتاتهم وي طرح منهم عليه ثم أعيد إلى محبسه .

وأقام (س) على جواز النهر أياما لسكثرة الناس وقلة القوارب واجاز أمتعته
وخزائنه على الفيلة و فرق الفيلة على خواصه ليجيزوا أمتعتهم وبعث إلى بفيل منها
أجرت عليه رحلى وقصد السلطان ونحن معه إلى مدينة بهرايج (س) وضبط أسماها بفمتج
الهاء الموحدة وهاء مسكن وراء وألف ويا آخر الحروف مكسورة وحجم) وهى مدينة
حسنة فى عدوة نهر السر وهو واد كبير شديد الانحدار واجازه (س) برسم زيارة
قبر الشيخ الصالح البطل سالارعود الذى فتح أكثر تلك البلاد وله أخبار عجيبة
وغزوات شهيرة وتسكأ الناس للجواز وتزاحوا حتى غرق مركب كبير كان فيه نحو
ثلاثمائة نفس لم ينبج منهم اعرابى من أصحاب الأمير غداو كئنا ركبتنا نحن مركب صغير
فسلمنا الله تعالى وكان العربى الذى سلم من الغرق يسعى بسالم وذلك اتفاق عجيب .

وكان أراد أن يصدم معناتى مركبتنا فوجدنا قدر كبتنا النهر فركب فى المركب الذى غرق فلما
خرج ظن الناس أنه كان معنا فقامت ضجة فى أصحابنا وفى سائر الناس وتوهموا أننا غرقنا ثم
لما رأونا بعد استبشروا بسلامتنا وزرنا قبر الصالح المذكور وهو فى قبة لم نجد سبيلا إلى

دخولها الكثرة الزحام وفي تلك الوجوه دخلنا غيضة فصب فخرج علينا منها السكر كدن فقتل وأتى الناس براسه وهو دون الفيل ورأسه أكبر من رأس الفيل بإضعاف وقد ذكرناه

(ذكر عودة السلطان لحضرته ومخالفة على شاه كر)

ولما ظفر (س) بعين الملك كاذكرنا عاد إلى حضرته بعد مغيب عامين ونصف وعفا عن عين الملك وعفا أيضا عن نصره خان القائم ببلاد التلنك وجعلهما معا على عمل واحد وهو النظر على بساتين (س) وكساهما واركبهما وعين لها نفقة من الدقيق واللاحم في كل يوم وبلغ الخبر بعد ذلك أن أحد أصحاب قطلو خان وهو على شاه كر ومعنى كر الاطرش خالف على (س) وكان شجاعا حسن الصورة والسيرة فغلب على بدر كوت وجعلها مدينة ماسكة وخرجت العساكر إليه وأمر (س) معلمه أن يخرج إلى قتاله فخرج في عساكر عظيمة وحصره بدر كوت ونقبت ابراجها واشتدت به الحال فطلب الامان فمته قطلو خان وبعث به إلى (س) مقيدا فغفاه عنه ونفاه إلى مدينة غزنة من طرف خراسان فاقام بها مدة ثم اشتاق إلى وطنه فاراد العودا اليه لما قضاه الله من حينه فقبض عليه ببلاد السند وأتى به (س) فقال له انما جئت لتبير الفساد ثانية وأمر به فضربت عنقه .

(ذكر فرار امير بخت واخذه)

وكان (س) قد وجد على امير بخت المقلب بشرف الملك أحد الذين وفدوا معنا على السلطان فخطم ربه من أربعين ألفا إلى ألف واحد وبعثه في خدمة الرزير إلى دهلي فاتفق أن مات امير عبد الله الهروي في الوباء في التلنك وكان ماله عند اصحابه به دهلي فاتفقوا مع امير بخت على الهروب فلما خرج الوزير من دهلي إلى لقاء (س) هربوا مع امير بخت واصحابه ووصلوا إلى ارض السند في سبعة أيام وهو مسيرة أربعين يوما وكان معهم الخيل مجنوبة وعزموا على أن يقطعوا نهر السند عوما ويركب أمير بخت وولده ومن لا يحسن العوم في معديته فصب يصنعونها وكانوا قد أعدوا حبالا من الحرير برسم ذلك فلما وصلوا إلى النهر خافوا من عبوره بالنعوم فبعثوا رجلين منهم إلى جلال الدين صاحب مدينة أوجة فقالا له ان هاهنا تجارا أرادوا أن يعتبروا النهر وقد بعثوا إليك بهذا السرج لتبيع لهم الجواز فأنكر امير ان يعطى التجار مثل ذلك السرج وأمر بالقبض على الرجلين ففرا أحدهما ولحق بشرف الملك واصحابه وهم نيام لما لحقهم من الاعياء ومواصلة السهر فاخبرهم الخبر فركبوا مذعورين وفروا وأمر جلال الدين بضرب الرجل الذي قبض عليه فاعترف بقضية شرف الملك فأمر جلال الدين نائبه فركب في العسكر وقصدوا نحوهم فوجدوهم قد ركبوا فافتقوا اثرهم

فأدركوهم فرموا العسكر بالنشاب ورمى طاهر بن شرف الملك نائب الأمير جلال الدين بسهم فأثبته في ذراعه وغلب عليهم فأتى بهم إلى جلال الدين فقيدهم وغل أيديهم وكتب إلى الوزير في شأنهم فأمر الوزير أن يبعثهم إلى الحضرة فبعثهم إليها وسجنوا بها غيات طاهر في السجن فأمر (س) أن يضرب شرف الملك مائة مرة في كل يوم فبقي على ذلك مدة ثم عفا عنه وبعث مع الأمير نظام الدين أمير نجله إلى بلاد جندري فأنتهت حاله إلى أن كان يركب البقر ولم يكن له فرس يركبه وأقام على ذلك مدة ثم وفد ذلك الأمير على (س) وهو معه فجعله (س) شاشسكيرة (جاشسكير) وهو الذي يقطع اللحم بين يدي (س) ويمشى مع الطعام ثم أنه بعد ذلك نوه له ورفعه مقداره وانتهت حاله إلى أن مرض فزاره (س) وأمره بوزنه بالذهب وأعطاه ذلك وقد قدمنا هذه الحكاية في السفر الأول وبعد ذلك زوجه باخته وأعطاه بلاد جندري التي كان بها البقر في خدمة الأمير نظام الدين فسبحان مقلب الأرض ومحول الأحوال

(ذكر خلاف شاه أفغان بأرض السند)

وكان شاه أفغان خائف على السلطان بأرض ملتان من بلاد السند وقتل الأمير بها وكان يسمى به زاد وادعى السلطنة لنفسه وتيجمز (س) لقتاله فعلم أنه لا يقاومه فحرب ولحق لقومه الأفغان وهم ساكنون بجهال منبوعة لا يقدر عليها فاغتناظ (س) مما فعله وكتب إلى عماله أن يقبضوا على من وجدوه من الأفغان ببلاده فكان ذلك سبباً لخلاف القاضي جلال

(ذكر خلاف القاضي جلال)

وكان القاضي جلال وجماعة من الأفغانيين قاطنين بمقرية من مدينة كنباية ومدينة بلويزة فلما كتب (س) إلى عماله بالقبض على الأفغانيين كتب إلى ملك مقبل نائب الوزير ببلاد الجزرات ونهر والة أن يحتال في القبض على القاضي جلال ومن معه وكانت بلاد بلويزة أقطاعاً لملك الحكماء وكان ملك الحكماء متزوجاً بربة السلطان زوجة أبيه تغلق ولها بنت من تغلق هي التي تزوجها الأمير غدا وملك الحكماء إذ ذاك في صحة مقبل لأن بلاده تحت نظره فلما وصلوا إلى بلاد الجزرات أمر مقبل ملك الحكماء أن يأتي بالقاضي جلال وأصحابه فلما وصل ملك الحكماء إلى بلاده حذرهم في خفية لأنهم كانوا من أهل بلاده وقال إن مقبلاً طلبكم ليقبض عليكم فلا تدخلوا عليه إلا بالسلاح فركبوا في نحو ثلاثمائة مدرع وأنوه وقالوا لا ندخل إلا جملة فظهر له أنه لا يمكن القبض عليهم وهم مجتمعون وخاف منهم فأمرهم الرجوع وأظهر تأميينهم تخلفوا عليه ودخلوا مدينة كنباية ونهبوا خزائنه (س) بها وأموال الناس ونهبوا مال ابن السكومي التاجر وهو

الذي عمر المدرسة الحسنة باسكندرية وسند كره لاثرها وجاء ملك مقبل لقتالهم فهزموه هزيمة شنيعة وجاء الملك عز الدين الخوار والملك جهان بنيل لقتالهم في سبعة آلاف من الفرسان فهزموه هم أيضا وتسامع بهم أهل الفساد والجرائم فاثبأوا عليهم وادعى القاضي جلال السلطنة وبايعه أصحابه وبعث (س) اليه العساكر فهزمها وكان بدولة آباد جماعة من الأفغان فثألوا أيضا

﴿ ذكر خلاف ابن الملك مل ﴾

وكان ابن الملك مل ساكنا بدولة آباد في بعض من الأفغان فسكتب (س) إلى نائبه بها وهو نظام الدين أخو معلمه قتلوخان أن يقبض عليهم وبعث اليه بأحمال كثيرة من القيود والسلاسل وبعث بخلع الشتاء وعادة ملك الهند أن يبعث لكل أمير على مدينة ولوجوه جمته خلعتين في السنة واحدة للشتاء والثانية للصيف وإذا جاءت الخلع يخرج الأمير والجند للقائها فاذا وصلوا إلى الآتي بها نزلوا عن دوابهم وأخذ كل واحد خلعتيه وحملها على كتفه وخدم لجمته (س) وكاتب (س) لنظام الدين إذا خرج الأفغان ونزلوا عن دوابهم لأخذ الخلع فاقبض عليهم عند ذلك وأتى الفرسان الذين أوصلوا الخلع إلى الأفغان فاخبرهم بما يراهم فكان نظام الدين ممن احتال فانعكست عليه فركب هو والأفغان معه حتى إذا لقوا الخلع ونزل نظام الدين عن فرسه حملوا عليه وأصحابه فقبضوا عليه وقتلوا كثيرا من أصحابه ودخلوا المدينة فاستولوا على الخزانة وقدموا على أنفسهم ناصر الدين ابن ملك مل واثأل عليهم المفسدون فقويت شوكتهم

﴿ ذكر خروج السلطان بنفسه إلى كنباية ﴾

ولما علم (س) ما فعله الأفغان بكنباية ودولة آباد خرج بنفسه وعزم أن يبدأ بكنباية ثم يعود إلى دولة آباد وبعث أعظم ملك البايدي صهره في أربعة آلاف مقدمة فاستقبله جند القاضي جلال فهزموه وحصروه ببلوذرة وقاتلوه بها وكان في جند القاضي جلال شيخ يسمى جلول وهو أحد الشجعان فلا يزال يفتك في الجند ويقتل ويطلب المبارزة فلا يتجاسر أحد على مبارزته وانفق يوما أنه دفع فرسه فسكبها به في حفرة فسقط عنه وقتل ووجدوا عليه درعين فبعثوا برأسه إلى (س) وصحبوا جسده بسور بلوذرة وبعثوا يديه ورجليه إلى البلاد ثم وصل (س) بجنده فلم يكن للقاضي جلال من ثبات ففر في أصحابه وتركوا أموالهم وأولادهم فذهب ذلك كله ودخلت المدينة وأقام بها (س) أياما ثم رحل عنها وترك بها صهره شرف الملك أمير بخت الذي قدمننا ذكره وقضية قراره واخذه بالسند وسجنه وما جرى له من الذل ثم من العز وأمره بالبحث عن مكان في طاعة

جلال الدين وترك معه الفقهاء ليحكم بأقوالهم فادى ذلك الى قتل الشيخ على الحيدري حسبا قدمناه ولما هرب القاضي جلال لحق بناصر الدين ملك مل بدولة اباد ودخل في جماعته فافى السلطان بنفسه اليهم واجتمعوا في نحو أربعين الفان الترك والهنود والعبيد وتحالفوا على ان لا يهروا وان يقاتلوا (س) وأتى (س) لقتالهم ولم يرفع الشطر الذي هو علامته فلما استبحر القتال رفع الشطر ولما عاينوه دهشوا وانهمزوا أقبح هزيمة ولما ابن ملك مل والقاضي جلال في نحو أربع مائة من خواصهما الى قلعة الدويقر وبعث لهم ان ينزلوا لحكمه فابوا أن ينزلوا إلا على الأمان فافى (س) ان يؤمنهم وبعث لهم الأطعمة تهاونا بهم وأقام هنالك وهذا آخر عهدي بهم

(ذكر قتال مقبل وابن السكولى)

وكان ذلك قبل خروج القاضي جلال وخلافه وكان تاج الدين السكولى من كبار التجار فنزل على (س) من أرض الترك هدايا جميلة منها المماليك والجمال والمتاع والسلاح والثياب فاعجب (س) فعله وأعطاه اثني عشر لكا ويزكر أنه لم تكن قيمة هديته إلا لسكا واحدا وولاه مدينة كنيابة وكانت لنظر الملك المقبل نائب الوزير ووصل اليها وبعث السفن الى بلاد المليجار وجزيرة سيلان وغيرها وجاءته التحف والهدايا في السفن وعظمت حاله ولما لم يبعث أموال تلك الجهات إلى الحضرة بعث الملك مقبل إلى ابن السكولى ان يبعث ما عنده من الهدايا والأموال مع هدايا تلك الجهات على العادة امتنع ابن السكولى عن ذلك وقال أنا أحملها بنفسى أو أبعثها مع خدامى ولا حكم لنائب الوزير على ولا للوزير واغتر بما أولاه (س) من الكرامة والعطية فكتب مقبل إلى الوزير بذلك فوقع له الوزير على ظهر كتابه ان كنت عاجز عن بلادنا فاتركها وارجع اليها

ولما وصله الجواب تجهز في جنده ومماليكه والتقيا بظاهر كنيابة فانهمز السكولى وقتل جملة من الفريقين واستخفى ابن السكولى في دار الناخودة (الناخدا) الياس أحد كهراء التجار .

ودخل مقبل المدينة فضرب رقاب جهدي ابن السكولى وبعث له الأمان نظير أن يأخذ ما له المختص به ويترك مال (س) وهديته ويجي البلد وبعث مقبل بذلك كله مع خدامه إلى (س) وكتب شكياً من ابن السكولى وكتب ابن السكولى شكياً منه وبعث (س) ملك الحكماء ليتنصف بينهما وبأثر ذلك كان خروج القاضي جلال الدين فنهب مال ابن السكولى وهرب ابن السكولى في بعض مماليكه ولحق بالسلطان .

(ذكر الغلاء الواقع بأرض الهند)

وفي مدة غياب السلطان عن حضرته إذ خرج يقصد بلاد المعبر وقع الغلاء واشتد الأمر وانتهى المن إلى ستين درهما ثم زاد على ذلك وضائق الأحوال وعظم الخُطب ولقد خرجت مرة إلى لقاء الوزير فرأيت ثلاث نسوة يقطعن قطعاً من جلد فرس مات منذ أشهر وياً كلته وكانت الجلود تطبيع وتباع في الأسواق وكان الناس إذا ذبحت البقر أخذوا دماها فأكلوها وحديثي بعض طلبة خراسان أنهم دخلوا بلدة تسمى أكروهة بين حانسي وسرسقي فوجدوها خالية فقصدوا بعض المنازل ليمبيتوا به فوجدوا في بعض بيوتهم رجلاً قد أضرهم ناراً ويده رجل آدمي وهو يشويها في النار وياً كل منها والعياد بالله ولما اشتد الحال أمر السلطان أن يعطى لجميع أهل دهلي نفقة ستة أشهر فكانت القضاة والكتاب والأمراء يطوفون بالأزقة والحارات ويكتبون الناس ويعطون لكل أحد نفقة ستة أشهر بحساب رطل ونصف من أرطال المغرب في اليوم لكل واحد وكنت في تلك المدة أطعم الناس من الطعام الذي أصنعه بمقبرة السلطان قطب الدين حسبا يذكر فكان الناس ينتعشون بذلك والله تعالى ينفع بالقصد فيه وإذ قد ذكرنا من أخبار السلاطين وما كان في أيامه من الحوادث ما فيه السكينة فلننعد إلى ما يخصنا من ذلك ونذكر كيفية وصولنا أولاً إلى حضرته وتنقل الحال إلى خروجنا عن الخدمة ثم خروجنا عن السلطان في الرسالة إلى الصين وعودنا منها إلى بلادنا إن شاء الله تعالى

(ذكر وصولنا إلى دار السلطان وعند قدومنا وهو غائب)

ولما دخلنا حضرة دهلي قصدنا باب السلطان ودخلنا الباب الأول ثم الثاني والثالث ووجدنا عليه النقباء وقد تقدم ذكرهم فلما وصلنا إليهم تقدم بنا نقيبهم إلى مشور عظيم متنسح فوجدنا به الوزير خواجة جهان ينتظرنا فتقدم ضياء الدين خداوندزاده ثم تلا أخوه قوم الدين ثم أخوه عماد الدين ثم تلوتهم ثم تلا في أخوهم برهان الدين ثم الأمير مبارك السمرقندي ثم قرن بقا التركي ثم ملك زاده ابن أخت خداوندزاده ثم بدر الدين الفصالح .

ولما دخلنا من الباب الثالث ظهر لنا المشور الكبير المسمى هزاراسطون (استون) ومعنى ذلك الف سارية وبه يجلس السلطان الجلوس العام تقدم الوزير عند ذلك حتى قرب رأسه من الأرض وخدمنا نحن بالركوع وأوصلنا أصابعنا إلى الأرض وخدمتنا لناحية سرير السلطان وخدم جميع من معنا فلما فرغنا من الخدمة صاح النقباء بأصوات عالية بسم الله وخرجنا .

(ذكر وصولنا لدار أم السلطان وذكر فضايلها)

وأم السلطان تدعى المخدمومة جهان وهي من أفضل النساء كثيرة الصدقات عمرت زوايا كثيرة وجعلت فيها الطعام للوارد والصادر وهي مكشوفة البصر وسبب ذلك انه لما ملك ابنها جاء اليها جميع الخواتين وبنات الملوك والأمراء في أحسن زى وهي على سرير الذهب المرصع بالجواهر فخدمن بين يديها جميعا فذهب بصرها للحين وعولجب بأنواع العلاج فلا ينفع وولدها أشد الناس برأ بها ومن بره أنها سأفرت معه مرة فقدم السلطان قبلها بمدة فلما قدمت خرج لاستقبالها وترجل عن فرسه وقبل رجلها وهي في الحفة يمرأى من الناس أجمعين

ولمعد لما قصدناه فنقول ولما انصرفنا عن دار السلطان خرج الوزير ونحن معه الى باب الصرف وهم يسمونه باب الحرم وهناك سكنى المخدمومة جهان فلما وصلنا بابها نزلنا عن الدواب وكل واحد منا قد أتى بهدية على قدر حاله .

ودخل معنا قاضي قضاة المماليك كمال الدين بن البرهان فخدم الوزير والقاضي عند بابها وخدمنا كخدمتهم وكتب كاتب بابها هدايانا ثم خرج من الفتية جماعة وتقدم كبارهم الى الوزير فكلّموه سرا ثم عادوا الى القصر ثم رجعوا الى الوزير ثم عادوا الى القصر ونحن وقوف ثم أمرنا بالجلوس في سقيف هناك ثم أتوا بالطعام وأتوا بقلال من الذهب يسمونها السنين (بضم السين والياء آخر الحروف) وهي مثل القدور ولها مرافع من الذهب تجلس عليها يسمونها السبك (بضم السين وضم الياء الموحدة) وأتوا بأقداح وطسوت وأباريق كلها ذهب وجعلوا الطعام سماطين وعلى كل سماط صفاً ويكون في رأس الصف كبير القوم الواردين .

ولما تقدمنا للطعام خدم الحجاب والنقباء وخدمنا لخدمتهم ثم أتوا بالشرية فشربنا وقال الحجاب بسم الله ثم أكلنا وأتوا بالفقاع والتنبول وقال الحجاب بسم الله فخدمنا جميعاً ثم دعينا الى موضع هناك فخلع علينا حلل الحرير المذهبة وأتوا بنا الى باب القصر تحت ثياب غير مخيطة من حرير وكتان فاعطى كل واحد منا نصيبه منها ثم أتوا بطيفور ذهب فيه الفاكهة اليابسة ويطيفور مثله فيه الجلاب ويطيفور ثالث فيه التنبول ومن عادتهم ان الذي يخرج له ذلك يأخذ الطيفور بيده ويجعله على كاهله ويخدمه بيده الثانية الى الأرض فأخذ الوزير الطيفور بيده قصد أن يعلن كيف أفلح لا يناسأ منه وتواضعاً ومبرة جزاه الله الخير ففعلت كما فعل وانصرفنا الى الدار المعدة لنزولنا بمدينة دهلي وبمقرّة من داروازة بالم منها وبعث لنا الضيافة ،

(ذكر الضيافة)

ولما وصلت إلى الدار التي أعدت لنزولي وجدت فيها ما يحتاج إليه من فرش وبسط وحصر وأوان وسرير الرقاد وأسرتهم بالهند خفيفة الحمل يحمل السرير منها الرجل الواحد ولا بد لكل أحد أن يستصحب السرير في السفر يحمله غلامه على رأسه وهو أربع قوائم مخروطة يعرض عليها أربعة أعواد وتنسج عليها صفائر من الحرير والقطن فإذا نام الإنسان عليه لم يحتاج إلى ما يربطه به لأنه يعطى الرطوبة من ذاته وجاءوا مع السرير بمضربين ومخدتين ولحاف كل ذلك من الحرير وعادتهم أن يجعلوا للمضربات واللحوف (اللحف) وجوها تغشيها من كتان أو قطن بيضاء فتم توستخت غسلوا الوجوه المذكورة وبقي ما في داخلها مصونا وأتوا تلك الليلة برجلين أحدهما الطاحوني ويسمونه الخراص والثاني الجزار ويسمونه القصاب فقالوا لناخذوا من هذا كذا وكذا من الدقيق ومن هذا كذا وكذا من اللحم لأوزان لا أذكرها الآن وعادتهم أن يكون اللحم الذي يعطون بقدر وزن الدقيق وهذا الذي ذكرناه ضيافة أم السلطان وبعدها وصلتنا ضيافة السلطان وسند كرها ولما كان من غير ذلك اليوم ركبنا إلى دار السلطان وسلمنا على الوزير فأعطاني بدرتين كل بدرة من ألف دينار درهم وقال لي هذه سر ششتي (ششتي) ومعناه لغسل رأسك وأعطاني خلعة من المرعر وكتب جميع أصحابي وخدائي وغلماني فجعلوا أربعة أصناف فالصنف الأول منها أعطى كل واحد منها مائتي دينار والصنف الثاني أعطى كل واحد منهم مائة وخمسين دينارا والصنف الثالث أعطى كل واحد مائة دينار والصنف الرابع أعطى كل واحد خمسة وسبعين دينارا وكانوا نحو أربعين وكان جملة ما أعطوه أربعة آلاف دينار ونيفا وبعد ذلك عينت ضيافة السلطان وهي ألف رطل هندية من الدقيق ثلثها من الميرا وهو الدرملك وثلثاها من الخشكار وهو المدهون وألف رطل من اللحم ومن السكر والسمن والسليف والفوقل أرطال كثيرة لا أذكر عددها والألف من ورق التنبول والرطل الهندي عشرون رطلا من أرطال المغرب وخمسة وعشرون من أرطال مصر وكانت ضيافة خدائنا زاده أربعة آلاف رطل من الدقيق ومثلها من اللحم مع ما يناسبها مما ذكرناه .

(ذكر وفاة بنتي وما فعلوا في ذلك)

ولما كان بعد شهر ونصف من مقدمنا توفيت بنتي سنه دون السنة فالتصل خبر وفاتها بالوزير فامر أن تدفن في زاوية بناها خارج دروازة بالمقرب مقبرة هنالك لشيوخنا ابراهيم القونوي فدقناها بها وكتب بخبرها إلى السلطان فأتاه الجواب في عشي اليوم الثاني وكان بين متصيد السلطان وبين الحضرة مسيرة عشرة أيام وعادتهم أن يخرجوا إلى قبر الميت

صليحة الثالث من دفنه ويفرشون جوانب القبر بالبسط وثياب الحرير ويجعلون على القبر الأزاهير وهى لاتنقطع هنالك فى فصل من الفصول كالياسمين وقل شبهه (كل شبهو) وهى زهر أصفر وريبول وهو أبيض والنسرين وهو على صنفين أبيض وأصفر ويجعلون أغصان النارنج والليمون بثمارها وإن لم يكن فيها ثمار علقوا منها حبات بالخيط ويصهون على القبر الفواكه اليابسة وجوز النارجيل ويجتمع الناس ويؤتى بالمصاحف فيقرؤن القرآن فإذا ختموه أتوا بماء الجلاب فسقوه الناس ثم يصب عليهم ماء الورد صبوا ويعطون التنبول وينصرفون .

ولما كان صليحة الثالث من دفن هذه البنات خرجت الصبح على العادة وأعدت ما تيسر من ذلك كله فوجدت الوزير قد أمر بترتيب ذلك وأمر بسراجه فضربت على القبر وجاء الحاجب شمس الدين الفوشنجى الذى تلقانا بالسند والقاضى نظام الدين السكروانى وجملة من كبار أهل المدينة ولم أت إلا والقوم المذكورون وقد أخذوا مجالسهم والحاجب بين أيديهم وهم يقرؤن القرآن فقعدب مع أصحابى بمقربة من القبر فلما فرغوا من القراءة قرأ القراء بأصوات حسان ثم قام القاضى فقرأ رثاء فى البنات المتوفاة وثناء على السلطان وعند ذكر اسمه قام الناس جميعاً قياماً شديداً ثم جلسوا ودعا القاضى دعاء حسناً ثم أخذ الحاجب وأصحابه براميل ماء الورد وصبوا على الناس ثم داروا عليهم بأقداح شربة الثبات ثم فرقوا عليهم التنبول ثم أتى باحدى عشرة خلعة لى ولأصحابى ثم ركب الحاجب وركبنا معه إلى دار السلطان فخدمنا للسريى على العادة وانصرفت إلى منزلى فصار وصلت إلى وقد جاء الطعام من دار المخدومة جهان ماملا الدار ودور أصحابى وأكلوا جميعاً وأكل المساكين وفضلت الأقراص والحلواء والنبات فأقامت بقاياها أياماً وكان فعل ذلك كله بأمر السلطان وبعد أيام جاء الفتيان من دار المخدومة جهان بالدولة وهى المحملة التى يحمل فيها النساء ويركها الرجال وهى شبه السريى سطحتها من ضفائر الحرير أو القطن عليها عود شبه الذى على البرجات عندنا معوج من القصب الهندى المغلوق ويحملها ثمانية رجال فى نوبتين تستريح أربعة ويحمل أربعة وهذه الدل كالخيزر بديار مصر عليها يتصرف أكثر الناس فمن كان له عبيد حملوه ومن لم يكن عبيد أكثرى رجالاً يحملونه وبالبلد منهم جماعة يسيرة يقفون فى الأسواق وعند باب السلطان وعند أبواب الناس للسكرى وتسكون دول النساء مغشاة بغشاة حرير وكذلك كانت هذه الدولة التى أتى الفتيان بها من دار أم السلطان فحملوا فيها جاريتى هى أم البنات المتوفاة وبعثت أنا معها عن هدية جارية تركية فأقامت الجارية أم البنات عندهم ليلة وجاءت فى اليوم الثانى وقد أعطوها ألف دينار دراهم وأساور ذهب مرصعة وتهليل من الذهب مرصعاً وقميص

كثان مزركشا بالذهب وخلعة حرير مذهبة وتختاً بأثواب ولما جاءت بذلك أعطيت
لأصحابي وللتجار الذين لهم على الدين محافظة على نفسى وصونا لعرضى لأن المخبرين
يكتبون إلى السلطان بجميع أحوالى .

(ذكر إحسان السلطان والوزير فى أيام غيبة السلطان عن الحضرة)

وفى أثناء إقامتى أمر السلطان أن يعين لى من القرى ما يكون فائدة خمسة آلاف دينار
فى السنة فعينها إلى الوزير وأهل الديوان وخرجت اليها قرية تسمى بدلى (بفتح الباء
الموحدة وفتح الدال المهملة وكسر اللام) وقرية تسمى تسمى (بفتح الباء الموحدة والسين
المهملة وكسر الهاء) ونصف قرية تسمى بالمره (بفتح الباء الموحدة واللام والراء) وهذه
القرى على مسافة ستة عشر كروها وهو الميل بصدى يعرف بصدى هندبت والصدى
عندهم مجموع مائة قرية من قرى بلاد الهند واحواز المدينة مقسومة اصداء وكل
صدى له جوطرى وهو شيخ من كفار تلك البلاد ومتصرف وهو الذى يضم مجايبها
وكان قد وصل فى ذلك الوقت سى من السكفار فيبعث الوزير إلى عشر جوار منه فأعطيت
لذى جاء بهن واحدة منهن فما رضى بذلك وأخذ أصحابي ثلاثا صغاراً منهن وباقيهن
لا اعرف ما اتفق لهن والسبب هنالك رخيصة الثمن لأنهن قدرات لا يعرفن مصالح
الحضر والمعاملات رخيصات الأثمان فلا يفتقر أحد إلى شراء السبب والسكفار ببلاد
الهند فى بر متصل وبلاد متصلة مع المسلمين والمسلمون غالبون عليهم ولما تمتع السكفار
بالجبال والأوعار ولهم غيصات من القصب وقصبهم غير مجوف ويعظم ويلتف
بعضها على بعض ولا تؤثر فيه النار وله قوة عظيمة فيسكنون تلك الغياض وهى لهم
مثل السور وبداخلها تكون مواشهم وزروعهم ولهم فيها المياه مما يجتمع من ماء
المطر فلا يقدر عاينهم إلا بالعساكر القوية من الرجال الذين يدخلون تلك الغياض
ويقطعون تلك القصب بآلات معدة لذلك .

(ذكر العيد الذى شهدته أيام غيبة السلطان)

وأظلم عيد الفطر والسلطان لم يعد بعد إلى الحضرة فلما كان يوم ركب الخطيب على
الفيل وقدمه له على ظهره شبه السرير وركبت أربعة أعلام أركانها الأربعة ولبس
الخطيب ثياب السواد وركب المؤذنون على الفيلة يكبرون أمامه وفقهاء المدينة
وقضاتها وكل واحد منهم يستصحب صدقة يتصدق بها حين الخروج إلى المصلى ونصب على
المصلى صيوان قطن وفرش ببسط واجتمع الناس ذاك يومين لله تعالى ثم صلى بهم الخطيب

وخطب وانصرف الناس إلى منازلهم وانصرفنا إلى دار السلطان وجعل الطعام خضره
الملوك والأمراء والأعزة وهم الغرباء وأكلوا وانصرفوا .

﴿ ذكر قدوم السلطان ولقائنا له ﴾

ولما كان في رابع شوال نزل السلطان بقصر اسمه تلبت (بكسر التاء المعلوطة الاولى
وسكون اللام وفتح الباء الموحده ثم تاء كالأولى) وهى على مسافة سبعة أميال من الحضرة
فأمرنا الوزير بالخروج إليه فخرجنا ومع كل إنسان هديته من الخيل والجمال والغواكه
الخرسانية والسيوف المصرية والماليك والغنم المجلوبة من بلاد الأتراك فوصلنا إلى باب
القصر واجتمع جميع القادة فكانوا يدخلون إلى السلطان على قدر مراتهم ويخلع عليهم
ثياب السكتان المزركشة بالذهب، ولما وصلت إلى الثوبة دخلت فوجدته قاعدا على كرسي
قظمنته أحد الحجاب حتى رأيت معه ملك الندماء ناصر الدين السكافى الهروى وكنت
عرفته أيام غيبة السلطان تقدم الحاجب تقدمت واستقبلنى أمير حاجب وهو ابن عم
السلطان فيروز وخدعت ثانية لخدمته ثم قال لى ملك الندماء بسم الله مولانا بدر الدين
وكانوا يدعوني بأرض الهند بدر الدين وكل من كان من أهل الطلب إنما يقال له
مولانا فقررت من السلطان حتى أخذ بيدي وصاحفنى وأمسك يدي وجعل يخاطبني بأحسن
خطاب ويقول لى بالفارسى حلت البركة قدومك مبارك اجمع خاطرك اعمل معك من
المراحم وأعطيك من الأنعام ما يسمع به أهل بلادك فيأتون اليك ثم سألتنى عن بلادى
فقلت له بلاد المغرب فقال لى بلاد عبد المؤمن فقلت له نعم وكان كلما قال لى كلاما جيدا
قبلت يده حتى قبلتها سبع مرات وخلع على وانصرفت واجتمع الواردون فمد لهم سباط
ووقف على رؤوسهم قاضى القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزمى وكان من كبار
الفقهاء وقاضى قضاة الممالك صدر الجهان كمال الدين الغزنورى وعماد الملك عرض الممالك
والملك جلال الدين السكيجى وجماعة من الحجاب والأمراء وحضر لذلك خداه وندزاده
غياث الدين بن عم خداه وندزاده قوام الدين قاضى الترمذ الذى قدم معنا وكان السلطان
يعظمه ويخاطبه بالأخ وتردد إليه مرارا من بلاده والواردون الذين خلع عليهم فى ذلك
هم خداه وندزاده قوام الدين واخوته ضياء الدين وعماد الدين وبرهان الدين وابن أخيه
أمير بخت ابن السيد تاج الدين وكان جده وجيه الدين وزير خراسان وكان خاله علاء الدين
أمير هند ووزيرا أيضا والأمير هبة الله ابن الفلسكى التبريزى وكان أبوه نائب الوزير
باهر اراق وهو الذى بنى المدرسة الفلسكية بتبريز وملك كراى من أولاد بهرام جور
(جوبين) صاحب كسرى وهو من أهل جبل بدخشان الذى منه يجلب الياقوت البلخش

واللازورد والامير مبارك شاه السمرقندي وأرون بغا البخاري وملك زاده الترمذي وشهاب الدين الكازروني التاجر الذي قدم تبريز بالهدية إلى السلطان فسلم في طريقه .

﴿ ذكر دخول السلطان إلى حضرته وما أمر لنا به من المراكب ﴾

وفي الغد من يوم خروجنا إلى السلطان أعطى كل واحدنا فرسا من مراكب السلطان عليه سرج ولجام محليان وركب السلطان لدخول حضرته وركبنا في مقدمته مع صدرالجنان وزينت الفيلة أمام السلطان وجعلت عليها الأعلام ورفعت عليها ستة عشر شطرا منها مزركشة ومنها مرصعة فوق رأسه شطرا منها وحملت أمامه العاشية وهي ستارة مرصعة وجعل على بعض الفيلة رعادات صغار فلما وصل السلطان إلى قرب المدينة قذف في تلك الرعادات بالدنانير والدرهم مختلطة بين يدي السلطان وسواهم من حضر يلتقطون ذلك ولم يزالوا يثرونها إلى أن وصلوا القصر وكان بين يديه آلاف من المشاة على الأقدام وصنعت قباب الخشب المسكوه بثياب الحرير وفيها المغنيات حسبما ذكرنا ذلك .

﴿ ذكر دخولنا إليه وما أنعم به من الإحسان والولاية ﴾

ولما كان يوم الجمعة ثاني يوم دخول السلطان أتينا باب المشورة فجلسنا في سقائف الباب الثالث ولم يكن الإذن حصل لنا بالدخول وخرج الحاجب شمس الدين العوشنجي فأمر الكتاب أن يكتبوا أسماءنا وأذن لهم في دخولنا ودخل بعض أصحابنا وعين للدخول معي ثمانية فدخلنا ودخلوا معنا ثم جاؤا بالبدر والقبان وهو الميزان وقعد قاضي القضاة والكتاب ودعوا من الباب من الأعززة وهم الغرباء فعيّنوا لكل نصيبه من تلك البدر فحصل لي خمسة آلاف دينار وكان مبلغ المال مائة ألف دينار تصدقت به أم السلطان لما قدم ابنها وانصرفنا ذلك اليوم وكان (س) بعد ذلك يستدعينا للطعام بين يديه ويسأل عن أحوالنا ويخاطبنا بأجمل الكلام ولقد قال لنا في بعض الأيام انتم شرفتمونا بقدمكم فما نقدر على مكافأتكم فالكبير منكم مقام والدي والسكريل مقام أخى والصغير مقام والدي وما في ملكي أعظم من مدينتي هذه أعطيكم لياها فشكرناه ودعونا له .

ثم بعد ذلك أمر لنا بالمرتبات فعين لي لمئتي عشر ألف دينار في السنة وزادني قرينين على الثلاث التي أمر لي بها قبل لأحدهما قرية جوز والثانية قرية ملك بور في بعض الأيام بعث لنا خذاوندزاده وغيث الدين وقطب الملك صاحب السند فقالا لنا ان خوند عالم يقول لكم من كان منكم يصلح للوزارة أو الكتابة أو الامارة أو القضاء أو التدريس أو المشيخة أعطيته ذلك فسكت الجميع لأنهم كانوا يريدون

تجميع الاموال والانصراف إلى بلادهم وتكلم أمير بخت ابن السيد تاج الدين الذي تقدم ذكره فقال أما الوزارة فيراى وأما السكتابة فشغلى وغير ذلك لا أعرفه وتكلم هبة الله بن الفلسكى فقال مثل ذلك وقال لى خداوندزاده بالعربى ما تقول أنت يا سيدى وأهل تلك البلاد ما يدعون العربى إلا بالتسويد وبذلك يخاطبه (س) تعظيما للعرب فقلت له أما الوزارة والسكتابة فلبست شغلى

وأما القضاء والمشيشة فشغلى وشغل آبائى وأما الاماره فتعلمون أن الأعاجم ما سلمت إلا بأسيايف العرب فلما بلغ ذلك (س) أعجبه كلامى وكان بهزار اسطون يأكل الطعام فبعث عنافاً كلنا بين يديه وهو يأكل ثم انصرفنا إلى خارج هزار اسطون فقعداً أصحابى وانصرفت بسبب دمل كان يمنعنى الجلوس فاستدعانا (س) ثانية فحضر أصحابى واعتذروا له عنى بعد صلاة العصر فصليت بالمشور المغرب والعشاء الآخرة ثم خرج الحاجب فاستدعانا فدخل خداوندزاده ضياء الدين وهو أكبر الاخوة المذكورين فجعله (س) أميرداد وهو من الامراء الكبار فجلس بمجلس القاضى فن كان له حق على أمير او كبير حضره بين يديه وجعل مرتبه على هذه الخطة خمسين الف دينار فى السنة عين له مجاشر فائدها ذلك المقدار فامر له بمحسمين الفاعن يدوخلع عليه خلعة حرير مزركشة تسمى صورة الشير ومعناه صورة السبع لانه يكون فى صدرها وظهرها صورة سبع وقد خيط فى باطن الخلعة بطاقة بمقدار مازركش فيها من الذهب وأمر له بفرس من الجنس الاول والخيل عندهم أربعة أجناس وسروجهم كسروج أهل مصر ويكسون أعظماها بالفضة المذهبة ثم دخل أمير بخت فامر له أن يخلص مع الوزير فى مشده ويقف على محاسبات الدواوين وعين له مرتبا أربعين الف دينار فى السنة أعطى مجاشر فائدها بمقدار ذلك وأعطى أربعين ألف فاعن يدو أعطى فرسا مجهزا واخلع عليه كخلعة الذى قبله ولقب شرف الملك

ثم دخل هبة الله ابن الفلسكى فجعله رسول دار ومعناه حاجب الارسال وعين له مرتبا أربعين ألف دينار فى السنة أعطى مجاشر يكون فائدها بمقدار ذلك وأعطى أربعة وعشرين ألف فاعن يدو أعطى فرسا مجهزا واخلع وجعل لقبه بهاء الملك ثم دخلت فوجدت (س) على سطح القصر مستندا إلى السريز والوزير خواجه جهان بين يديه والملك الكبير قبولة واقف بين يديه فلما سلمت عليه قال لى الملك الكبير اخدم فقد جعلك خوند عالم قاضى دار الملك دهلى وجعل مرتبك اثنى عشر الف دينار فى السنة وعين لك مجاشر بمقدارها وامر لك باثنى عشر ألفا نقدا تأخذها من الخزانة غدا إن شاء الله واعطاك فرسا بسرجه ولجامه وأمر لك بخلعة محاربين وهى التى يكون فى صدرها وظهرها شكل محراب فخدمت (٦ — رحلة — ثانى)

وأخذ بيدي فتقدم بي إلى (س) فقال لي (س) لا تحسب قضاء دهلي من أصغر الأشغال هو أكبر الأشغال عندنا وكنت أفهم قوله ولا أحسن الجواب عنه وكان (س) يفهم العربي ولا يحسن الجواب عنه فقلت له يا مولانا أنا على مذهب مالك وهؤلاء حنفية وأنا لا أعرف انسان فقال لي قد عينت بهاء الدين الملتاني وكمال الدين البخنوري ينويان عنك ويشاورانك وتكون أنت تسجل على المقود وأنت عندنا بمقام الولد فقلت له بل عبدكم وخديكم فقال لي باللسان العربي بل أنت سيدنا ومخدومنا تواضعنا منه وفضلا وإينا سائمه قال لشرف الملك أمير بخت إن كان الذي ترتب له لا يكفيه لأنه كثير الانفاق فإنا أعطيه زاوية إن قدر على إقامة حال المقراء وقال قل له هذا بالعربي وكان يظن أنه يحسن العربي ولم يكن كذلك وفهم (س) ذلك فقال له بروويكجا بخصبي (بخسي) وإن حكاية برويكوي وتفهم كني (بكني) تافر ادا إن شاء الله يدش من بياي (و) جواب ابوكري (بكوي) معناه امشوا الليلة فارقدوا موضع واحد وفهمه هذه الحكاية فإذا كان بالغلغلان شاء الله تجي إلى وتعلمني بكلامه فانصرفنا وذلك في ثلث الليل وقد ضربت النوبة والعادة عندهم إذا ضربت لا يخرج أحدا فتظرنا الوزير حتى خرج وخرجنا معه ووجدنا أبواب دهلي مسدودة فبتنا عند السيد أبي الحسن العبادي العراقي بن قاق يعرف بسر ابورخان وكان هذا الشيخ يتجر بمال (س) ويشترى له الأسلحة والامتعة بالعراق وخراسان ولما كان بالغد بعث عنا فقبضنا الاموال والخيل والخلع وأخذ كل واحد منا البكرة بالمال فجعلها على كاهله ودخلنا كذلك على (س) فخدمنا واتينا بالافراس فقبلنا حوافرها بعدان جعلت عليها الخرق وقدناها بأنفسنا إلى باب دار (س) فركبتها وذلك كله عادة عندهم ثم انصرفنا وأمر (س) لأصحابه بألفي دينار وعشر خلع ولم يعط لأصحابي أحد سواي شيئا وكان اصحابي لهم رواء ومنظر فاعجبوا (س) وخدموا بين يديه وشكروهم

(ذكر عطاء ثان أمر لي به وتوقفه مدة)

وكنت يوما بالمشور بعد أيام من توليتي القضاء والاحسان إلى وأنا قاعد تحت شجرة هناك وإلى جانبي مولانا ناصر الدين الترمذي العالم الواعظ فأتني بعض الحجاب فدعى مولانا ناصر الدين فدخل إلى السلطان فخلع عليه وأعطاه مصحفامكالا بالجواهر ثم أتاني بعض الحجاب فقال اعطني شيئا وأخذ لك خط خرد باثني عشر ألفا أمر لك بها خو ندعالم فلم اصدقه وظننته يريد الخيلة على وهو مجذبي كلامه فقال بعض الاصحاب انا اعطيت فاعطاه دينارين او ثلاثة وجاء بخط خرد ومعناه الخط الاصغر مكتوبا بتعريف الحاجب ومعناه امر خو ندعالم ان

يعطى من الخزانة الموفورة كذا فلان بتبليغ فلان أى بتعريفه ويكتب المبلغ اسمه ثم يكتب على تلك البراء ثلاثة من الأمراء وهم الخان الأعظم قطلوخان معلم (س) والخريطة دارو هو صاحب خريطة الكاغد والأقلام والأمير نكيمة الدوادار صاحب الدوات فإذا كتب كل واحد منهم خطه يذهب البراءة إلى ديوان الوزارة فينسخها كتاب الديوان عندهم ثم تثبت في ديوان الأشراف ثم تثبت في ديوان النظر ثم تكتب البراءة وهى الحکم من الوزير للخازن بالعطاء ثم يثبتها الخازن في ديوانه ويكتب تلخيصا في كل يوم ما يبلغ ما أمر به (س) ذلك اليوم من المال ويعرضه عليه فمن أراد التعجيل بعطاءه أمر بتعجيله ومن أراد التوقيف وقف له ولا يمكن لأحد من عطاء ذلك ولو طالت المدة فقد توقفت هذه الأثناء عشر العاشرة أشهر ثم أخذتها من غير حاجتها حتى أتى وعادتهم إذا امر (س) باحسان لأحد بخط منه العشرة فمن أمر له مثلاً بمائة ألف أعطى تسعين ألفاً وبعشرة آلاف أعطى تسعة آلاف

﴿ ذكر طاب الغرماء ما لهم قبلى ومدحى للسلطان وأمره بخلاص ديني وتوقف ذلك مدة ﴾
وكننت حسبا ذكرته قد استندنت من التجار مالا أنفقته في طريقى وما صنعت به الهدية
(س) وما أنفقته في إقامتى فلما أرادوا السفر إلى بلادهم الحواعلى في طلب ديونهم فمدحت
السلطان بقصيدة طويلة أولها

اليك أمير المؤمنين المبهجلا
فجئت محلا من علائك زائرا
فلمن فوق الشمس المبهج رتبة
فانت الامام الماحد الاوحد الذى
ولى حاجة من فيض جودك ارتجى
اذا ذكرها ام قد كفانى حياؤكم
فعلجل لمن وافى محلك زائرا
انينا نجد السير نحوك فى العلا
ومغناك كهف الزبارة أهلا
اسكنت لاعلاها اماما مؤهلا
سجاياه حتما ان يقول ويفعلا
قضاها وقصدى عند مجدك سهلا
فان حياكم ذكره كان اجملا
قضا دينه ان الغريم تعجلا

فقدمتا بين يديه وهو قاعد على كرسي فجعلها على ركبته وامسك طرفها بيده وطرفها
الثانى بيدي وكننت إذا اكملت بيتا منها لقاضى القضاة كمال الدين الغزنوى بين مغناه
لخو ند عالم فيديته ويعجب (س) وهم يحبون الشعر العربى لما بلغته إلى قولى فجعل لمن
وافى البيت قال مرحمة ومغناه ترحمت عليك فأخذ الحجاب حينئذ بيدي ليذهبوا إلى
موقفهم واخدم على العادة فقال (س) اتركوه حتى يكملها فأكملتها وخدمت وهناني
الناس بذلك واقمت مدة وكتبته رفعا وهم يسمونه غرض داشت فدفعته إلى قطب الملك

صاحب السند فدفعه للسلطان فقال له امض إلى خواجه جهان فقل له يعطى دينه فمضى اليه وأعلمه فقال نعم وأبطأ ذلك أياما و امره (س) في خلاطها بالسفر إلى دولة آباد وفي أثناء ذلك خرج (س) إلى الصيد وسافر الوزير فلم آخذ شيئا منها إلا بعد مدة والسبب الذي توقف به عطاؤها ذكره مستوفى وهو انه لما عزم الذين كان لهم على الدين إلى السفر قلت لهم إذا أنا أتيت دار (س) فدرهوى على العادة في تلك البلاد لعلى ان (س) متى يعلم بذلك خلصهم وعادتهم انه متى كان لأحد دين على رجل من ذوى العناية واعوزه خلاصه ووقف له بباب دار (س) فإذا اراد الدخول قال له دروهوى وحق راس السلطان ما تدخل حتى تخلصنى فلا يمكنه ان يبرح من مكانه حتى يخلصه او يرغب اليه في تأخيره فاتفق يوما ان خرج (س) إلى زيارة قبر ابيه ونزل بقصر هناك فقلت لهم هذا وقتكم فلما اردت الدخول وقفوا لى بباب القصر فقالوا لى دروهوى (س) ما تدخل حتى تخلصنا وكتب كتاب الباب بذلك الى (س) فخرج حاجب قصة شمس الدين وكان من كبار الفقهاء فسألهم لى شيء درهمتموه فقالوا لنا عليه الدين فرجع الى (س) فاعلمه بذلك فقال له اسألهم كم مبلغ الدين فقالوا له خمسة وخمسون ألف دينار فعاد اليه فاعلمه فامرهم ان يعود اليهم ويقول لهم ان خوند عالم يقول لكم المال عندى وانا أنصفكم منه فلا تطالبوه به وامر عماد الدين السمنانى وخداوندزاده غياث الدين ان يقعدوا بهن اراسطون ويأتى اهل الدين بعقودهم وينظروا اليها ويتحققوها ففعلا ذلك واتى الغرماء بعقودهم فدخل الى (س) واعلماه بشبوت العقود فضحك وقال عما زحنا أنا اعلم انه فاض جهن شغلنا فيما نتم امر خداوندانه ان يعطينى ذلك من الخزانة قطع فى الرشوة على ذلك وامتنع ان يكتب خط خرد فبعثت اليه ما تى تنكدها ولم ياخذها وقال لى عنه بعض خدامه انه طلب خمسمائة تنكدها فامتنعت من ذلك واعلمت عميد الملك بن عماد الدين السمنانى بذلك فاعلم به اياه وعليه الوزير وكانت بينه وبين خداوندزاده عداوة فاعلم (س) بذلك وذكر له كثير من افعال خداوندزاده فغير خاطر (س) عليه فامر بحبسها فى المدينة وقال لى شيء اعطاه فلان ما اعطاه ووقفوا ذلك حتى يعلم هل يعطى خداوندزاده شيئا اذا منعه او يمنعه إذا أعطيته فهذا السبب توقف عطاء ديني

(ذكر خرج السلطان إلى الصيد وخروجى معه وما صنعت فى ذلك)

ولما خرج (س) إلى الصيد خرجت معه من غير ترهص وكنت قد أعددت ما يحتاج اليه وعملت ترتيب اهل الهند فاشتريت سر ارجة وهى افراج وضر بها هذا الك مباح ولا بد منها السكبار

الناس وتمتاز سراجة السلطان بكونها حراء وسراها بيضاء منقوشة بالأزرق واشترى
الصيوان وهو الذى يظل به داخل السراجة ويرفع على عمودين كبيرين ويجعل ذلك الرجال
على أعناقهم ويقال لهم اليكوانية والعادة هنالك أن يكثرى المسافر اليكوانية وقد ذكرناهم
ويكثرى من يسوق له العشب لعنف الدواب لأنهم لا يطعمونها التبن ويكثرى الكهارين
وهم الذين يحملون أواني المطبخ ويكثرى من يحمله الدولة وقد ذكرناها ويحملها فارغة
ويكثرى الفرشين وهم الذين يضربون السراجة ويفرشونها ويرفعون الاحمال على الجبال
ويكثرى الدوادية وهم الذين يمشون بين يديه ويحملون المشاعل بالليل فاكثرت أنا
جميع من له منهم وأظهرت القوة والهمة وخرجت يوم خروج (س) وغيرى أقام
بعده اليومين والثلاثة فلما كان بعد العصر من يوم خروجه ركب الفيل وقصده أن
يتطلع على أحوال الناس ويعرف من تسارع إلى الخروج ومن أبطأ وجلس خارج السراجة
على كرسي جئست وسلمت ووقفت في موقفي بالميمنة فبعث إلى الملك الكبير بقوله سر جادار
وهو الذى يشرذم الدباب عنه فأمرنى بالجلوس عناية فى ولم يجلس فى ذلك اليوم سوائى ثم
أتى بالفيل وألصق به سلم ركب عليه ورفع شطرف فوق رأسه وركب معه الخواص وجال
ساعة ثم عاد إلى السراجة وعادته إذا ركب أن يركب الأمراء أفواجا كل أمير بفوجه
وعلاماته وطوله وأنفاره وصرنياته ويسمون ذلك المركب أمام (س) إلا الحجاب
وأهل الطرق والطلالة الذين يتقلدون الأبطال الصغار والذين يضربون الصرنيات ويكون
عن يمين (س) نحو خمسة عشر رجلا وعن يساره مثل ذلك قضاة القضاة والوزير وبعض
الأمراء الكبار وبعض الأعزة وكنت أنا من أهل ميمنته ويكون بين يديه المشاؤون
والآدلاء ويكون خلفه علاماته وهى من الحرير المذهب والأبطال على الجمال وخلف ذلك
مما ليكه وأهل دخنته وخلفهم الأمراء وجميع الناس ولا يعلم أحد أين يكون النزول فإذا أمر
(س) بمكان يعجبه النزول به أمر بالنزول ولا تضرب سراجته ثم يأتى الموكلون بالنزول
فيبرزون كل أحد فى منزله خلال ذلك ينزل (س) على نهر أو بين أشجار وتقدم بين
يديه لحوم الأعنات والدجاج المسمنة والسكر الكى وغيرها من أنواع الصيد ويحضر أبناء
الملوك فى يد كل واحد منهم سقود ويوقدون النار ويشترى ذلك ويؤتى بسراجة صغيرة
فتضرب للسلطان ويجلس من معه من الخواص خارجا ويؤتى بالطعام ويستدعى من شاء
فياكل معه وكان فى بعض تلك الأيام وهو بداخل السراجة يسأل عن بخارجها فقال له
السيد ناصر الدين مطهر الا وهى احد ندمائه ثم فلان المغربى وهو متغير فقال لماذا فقال

بسبب الدين الذى عليه وغرمائه يلجئون فى الطلب وكان خوند عالم قد أمر الوزير بإعطائه فسافر قبل ذلك فإن مولانا أن يصبر أهل الدين حتى يقدم الوزير أو امر بانصافهم وحضر لهذا الملك دولة شاه وكان (س) يخاطبه باسم فقال ياخوند عالم كل يوم وهو يكلمنى بالعربية ولا أدري مايقول ياسيدى ناصر الدين ماذا وقصد أن يكرر ذلك الكلام فقال يتكلم لأجل الدين الذى عليه فقال (س) إذا دخلنا دار الملك فامض أنت يا أومار ومعناه يا عم إلى الخزانة فاعطه ذلك المال وكان خنداوندزاده حاضرا فقال ياخوند عالم أنه كثير الانفاق وقد رأيت به ببلاذنا عند السلطان طر مشيرين وبعد هذا الكلام استحضرتنى (س) للطعام ولا علم عندى بما جرى فلما خرجت قال لى السيد ناصر الدين أشكر للملك دولة شاه وقال لى الملك دولة شاه أشكر لخدواند زاده وفى بعض تلك الأيام ونحن مع (س) فى الصيدركب فى المحلة وكان طريقه على منزلى وأنا معه فى الميمنة وأصحابى فى الساقة وكان لى خبأه عند السراجة فوقف أصحابى عندها وسلموا على (س) فبعث عماد الملك ملك دولة شاه ليسألا من تلك الأخيرة والسراجة فقبل لهما افلان فأخبراه بذلك فتبسما فلما كان بالعد نفذ الأمر أن أعود أنا وناصر الدين مطهر الأوهرى وابن قاضى مصر وملك صبيح إلى البلد فخلع علينا وعدنا إلى الحضرة .

(ذكر الجمل الذى أهديته للسلطان)

وكان (س) فى تلك الأيام سأتى عن الملك الناصر هل يركب الجمل فقلت نعم يركب المهارى فى أيام الحج فيسير إلى مكة من مصر فى عشرة أيام ولكن تلك الجمل ليست كجمال هذه البلاد وأخبرته أن عندى جملا فلما عدت إلى الحضرة بعثت عن بعض عرب مصر فصور لى صورة السكور الذى تركب المهارى به من القير وأريتها بعض التجارين فعمل السكور وتفقدته وكسوته بالملف وصنعت له اكبار وجعلت على الجمل عباءة حسنة وجعلت له خطام حرير وكان عندى رجل من أهل اليمن يحسن عمل الحلواء فصنعت منها ما يشبه التمر وغيره وبعثت الجمل والحلواء إلى (س) وأمرت الذى حملها أن يدفعها على يد ملك دولة شاه وبعثت له بفرس وجمالين فلما وصله ذلك على (س) وقال ياخوند عالم رأيت العجب قال وما ذلك قال فلان بعث جملا عليه سرج فقال أتتوا به فادخل الجمل داخل السراجة وأعجب به (س) وقال لى لراجل اركبه فركبه ومشاه بين يديه وأمر له بما تقي دينار دراهم وخلعه وعاد الرجل إلى فأعلمنى فسر لى ذلك وأهديت له جمالين بعد عودته إلى الحضرة .

(ذكر الجاهل الذين أهديتهما إليه والحلواء وأمره بخلاص ديني وما تعلق بذلك)

ولما عاد إلى راجلي الذي بعثته بالجل فأخبرني بما كان من شأنه صنعت كورين اثنين وجعلت
مقدم كل واحد ومؤخره مكسوا بصفايح الفضة المذهبة وكسوتها بالملف وصنعت رسنا
مصنوحا بصفايح الفضة المذهبة وجعلت لهما جلاين مل زرد خاتة مبطنين بالكهنا وجعلت للجملين
الخلاخيل من الفضة المذهبة وصنعت أحد عشر طيفورا وملأتها بالحلواء وغطيت كل
طيفور بمنديل حرير فلما قدم (س) من الصيدوقعد ثاني يوم قدومه بموضع جلوسه العام
غدوت عليه بالجلال فأمر بها فحركت بين يديه وهزولت فطار خلاخال أحداهما فقال لهما الدين
ابن العاسكي بايل وراري معنى ذلك أرفع الخلاخال فرفعه ثم نظر إلى الطيافير فقال جداري
(جده داري) درآن طابقها حلوا امث معنى ذلك مامعك في تلك الأطباق حلواء هي فقلت
له نعم فقال للفقير ناظر الدين الترمذي الواعظ ما أكلت أظ ولا رأيت مثل الحلواء التي
بعثت إلينا ونحن بالمعسكر ثم أمر بتلك الطيافير أن ترفع لموضع جلوسه فرفعت وقام
إلى مجلسه واستدعاني وأمر بالطعام فأكلت ثم سأني عن نوع من الحلواء الذي بعثت له
فقلت له ياخوند عالم تلك الحلواء أنواعها كثيرة ولا أدري على أي نوع تسألون منها فقال
إيتوا بتلك الأطباق وهم يسمون الطيفور طبقا فأتوا بها وقدموها بين يديه وكشفوا عنها
فقال عن هذا سألتك وأخذ الصحن الذي هي فيه فقلت له هذه يقال لها المقرصة ثم أخذ نوعا
آخر فقال وما اسم هذه فقلت له هي لقييمات القاضي وكان بين يديه تاجر من شيوخ بغداد
يعرف بالسامري ويتنسب إلى آل العباس رضى الله تعالى عنه وهو كثير المال ويقول له
(س) والدي فحسدني وأراد أن يخرجاني فقال ليست هذه لقييمات القاضي بل هي هذه
وأخذ قطعة من التي تسعى جلد الفرس وكان بإزائه ملك الندماء ناصر الدين الكافي الهروي
وكان كثيرا ما يمازح هذا الشيخ بين يدي (س) فقال ياخواجه أنت تكذب والقاضي
يقول الحق فقال له (س) وكيف ذلك فقال ياخوند عالم هو القاضي وهي لقيماته فإنه أتى
بها فضحك (س) وقال صدقت فلما فرغنا من الطعام أكل الحلواء ثم شرب الفقاع بعد
ذلك وأخذنا التبول وانصرفنا فلم يكن غير هينة وأتاني الخازن فقال ابعت أصحابك
يقبضون المال فيبعثهم وعدت إلى داري بعد المغرب فوجدت المال بها وهو ثلاث بدر فيها
ستمائة آلاف ومائتان وثلاث وثلاثون تسكة وذلك صرف الخمسة والخمسين ألفا التي هي دين
على وصرف الاثني عشر ألفا التي مر لي بها فيما تقدم بعد حط العشر على عادتهم وصرف
التسكة ديناران ونصف دينار من ذهب المغرب .

(ذكر خروج السلطان وأمره لي بالإقامة بالحضرة)

وفي تاسع جمادى الأولى خرج (س) برسم قصد بلاد المغرب وقتال القائم بها
وكنيت قد خلصت أصحاب الدين وعزمت على السفر وأعطيت مرتب تسعة أشهر
للكهارين والفراشين والسكريانية والدوادرية وقد تقدم ذكرهم فخرج الأمر بأقامتي
في جملة ناس وأخذ الحاجب خطوطنا بذلك لتسكون حجة له وتلك عادتهم خوفاً من أن
ينسك المبلغ وأمر لي بستة آلاف دينار دراهم وأمر لابن قاضي مصر بعشرة آلاف
وكذلك كل من أقام من الأعزرة وأما البلديون فلم يعطوا شيئاً وأمر لي (س) أن أتولى
النظر في مقبرة (س) قطب الدين الذي تقدم ذكره وكان (س) يعظم تربته تعظيماً
شديداً لأنه كان خديماً له ولقد رأيته إذا أتى قبره يأخذ نعله فيقبله ويحمله فوق رأسه
وعادتهم أن يحملوا نعل الميت عند قبره فوق متكأة وكان إذا وصل القبر خدس له
كما كان يخدم أيام حياته وكان يعظم زوجته ويدعوها بالأخت وجعلها مع حرمه
وزوجها بعد ذلك لابن قاضي مصر واعتنى به من أجلها وكان يمضي لزيارتها في كل
جمعة ولما خرج (س) بعث عنا للوداع فقام ابن قاضي مصر فقال أنا لا أودع ولا أفارق
خوند عالم فكان له في ذلك الخير فقال له (س) أمض فتجهز للسفر وقدمت بعد
للوداع وكنيت أحب الإقامة ولم تسكن عاقبتها مخودة فقال مالك من حاجة فاخرجت
بطاقة فيها ست مسائل فقال لي تسكلم بلسانك فقلت له أن خوند عالم أمر لي بالقضاء
وما وعدت لذلك بعد وليس مرادى من القضاء إلا حرمة فأمرني بالعود للقضاء
وقعود الثائمين معي ثم قال لي أيه فقلت وروضة (س) قطب الدين فإذا أفعل بها فيها
فاني رتبت فيها أربعمائة وستين شخصاً ومحصول أوفافها لا يفي بمرتباتهم وطعامناهم
فقال للوزير بنجاة هزار ومعناه خمسين ألفاً ثم قال لا بد لك من غلة بديعة يعنى اعطه
مائة ألف من المغلة وهى القمح والأرز ينفقها في هذه السنة حتى تاتي غلة الروضة
والمن عشرون رطلاً مغربية ثم قال لي ماذا أيضاً فقلت أن أصحابي سجنوا بسبب القرى
التي أعطيتهموني فاني عوضتها بغيرها فطلب أهل الديوان ما وصلني منها أو الاستظهار
بأمر خوند عالم أن يرفع عني ذلك فقال كم وصلك منها فقلت خمسة آلاف دينار فقال هي أنعام
عليك فقلت له ودارى التي أمرتم لي بها مفتقرة إلى البناء فقال للوزير عمارة كنيدي
معناه عمروها ثم قال لي ديكر نما ند فقلت له معناه هل بقي لك كلام فقال لي وصية
ديكر هست معناه أوصيك أن لا تأخذ الدين لئلا تطالب فلا تجد من مبلغ خبرك إلى انفق
على قدر ما أعطيتك قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط
وكلوا واشربوا ولا تسرفوا والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً

فأردت أن أقبل قدمه فنهضني وأمسك رأسي بيده فقبلتها وانصرفت وعدت إلى الحضرة فاشتغلت بهجارة دارى وأنفقت فيها أربعة آلاف دينار أعطيت منها من الديوان ستمائة دينار وزدت عليها الباقي وبنيت بإزائها مسجدا واشتغلت بترتيب مقبرة السلطان قطب الدين وكان قد أمرني أن تبقى عليه قبسة يكون ارتفاعها في الهواء مائة ذراع بزيادة عشرين ذراعا على ارتفاع القبعة المبنية على قازان ملك العراق وأمر أن تشتري ثلاثون قرية تكون وقفها عليها وجعلها بيدي على أن يكون لي العشر من قائدها على العادة

*(ذكر ما فعلته في ترتيب المقبرة) *

وعادة أهل الهند أن يرتبوا لامواتهم ترتيباً كترتيبهم بقيد الحياة ويؤتى بالفيلة والخيول فتربط عند باب التربة وهي مزينة فترتب أنا في هذه التربة بحسب ذلك ورتبت من قرأ القرآن مائة وخمسين وهم يسمونهم الختميين ورتبت من الطلبة ثمانين ومن المعبددين ويسمونهم المسكرين ثمانية ورتبت لها مدرسا ورتبت من الصوفية ثمانين ورتبت الإمام والمؤذنين والقراء بالأصوات الحسان والمداحين وكتاب الغيبة والمعرفين وجميع هؤلاء يعرفون عندهم بالأرباب ورتبت صنفا آخر يعرفون بالخاصية وهم الفراسيون والطباخون والدوادية والأبدارية وهم السقاؤون والشربدارية الذين يسقون الشربة والتنبول دارية الذين يعطون التنبول والساحدارية والنيوزدارية والطشت دارية والحجاب والتقبيا فسيكان جميعهم أربع مائة وستين وكان السلطان أمر أن يكون الطعام بها كل يوم اثني عشر منا من الدقيق ومثلها من اللحم فرأيت أن ذلك قليل والزرع الذي أمر به كثير فمكنت أنفق كل يوم خمسة وثلاثين من الدقيق ومثلها من اللحم مع ما يتبع ذلك من السكر، الثياب، السمن، التنبول وكنت أطعم المرتبين وغيرهم من صادر ووارد وكان الغلاء شديداً فارتفق الناس بهذا الطعام وشاع خبره وسافر الملك صليح إلى (س) بدولة آباد فسأله عن حال الناس فقال له لو كان بدلهي اثنان مثل فلان لماشكا الجهد فأعجب ذلك السلطان وبعث إلى بخاعة من ثيابه وكنت أصنع في المواسم وهي العيدان والمولد الكريم ويوم عاشوراء وليلة النصف من شعبان ويوم وفاة السلطان قطب الدين مائة من الدقيق ومثلها لحما فياً كل منها الفقراء والمساكين وأما أهل الوظيفة فيجعل أمام كل إنسان منهم ما يخصه ولتذكر عادتهم في ذلك .

*(ذكر عادتهم في إطعام الناس في الولايم) *

وعادتهم ببلاد الهند وببلاد السرا أنه إذا فرغ من أكل الطعام في الوليمة جعل أمام كل إنسان من الشرفاء والفقهاء والمشايخ والقضاة وعاء شبه المهدله أربع قوائم منسوج سطحه

من الخوص وجعل عليه الرقاق ورأس غنم مشوى وأربعة أقراص معجونة بالسمن مملوءة بالحلواء الصابونيسة مغطاة بأربع قطع من الحلواء كأنها الآجر وطبقاً صغيراً مصنوعاً من الجلود فيه الحلواء والسموسك ويغطي ذلك الوعاء بثوب قطن جديد ومن كان دون من ذكرناه جعل أمامه نصف رأس غنم ويسمونه الزلة ومقدار النصف مما ذكرناه ومن كان دون هؤلاء أيضاً جعل أمامه مثل الربع من ذلك ويرفع رجال كل أحد ما جعل أمامه وأول ما رأيتهم يصنعون هذا بمدينة السرا حضرة السلطان أوزبك فامتعت أن يرفع رجالى ذلك إذ لم يكن لى به عهد وكذلك يبعثون أيضاً لدار كبراء الناس من طعام الولائم

(ذكر خروجى إلى هزار أمرها)

وكان الوزير قد أعطانى من مغلته المأمور بها للزاوية عشرة آلاف ونهضى الباقى فى هزار أمرها وكان والى الخراج بها عزيز الخنار وأميرها شمس الدين البنخشانى فبعثت رجالى فأخذوا بعض الإحالة وتشكوا من تعسف عزيز الخنار فخرجت بنفسى لاستخلاص ذلك وبين دهلى وهذه العمالة ثلاثة أيام وكان ذلك فى أوان نزول المطر فخرجت فى نحو ثلاثين من أصحابى واستصحبت معى أخوين من المغنيين المحسنين يغنيان لى فى الطريق فوصلنا إلى بلدة بجنور وضبط اسمها (بكسر الباء الموحدة وسكون الجيم وفتح النون وآخره راء) فوجدت بها أيضاً ثلاثة إخوة من المغنيين فاستصحبتهم فسكانوا يغنون لى نوبة والآخران نوبة .

ثم وصلنا إلى أمرها وهى بلدة صغيرة حسنة فخرج عمالها للقائى وجاء قاضها الشريف أمير على وشيخ زاويتها وأضافانى معا ضيافة حسنة وكان عزيز الخنار بموضع يقاله افغان بور على نهر السرو وبيننا وبينه النهر ولا معدية فيه فأخذنا الأثقال فى معدية صنعناها من الخشب والنبات وجزنا فى اليوم الثانى وجاء نجيب أخو عزيز فى جماعة من أصحابه وضرب لنا سراجهم ثم جاء أخوه إلى والى وكان معروفاً بالظلم وكانت القرى التى فى عمالته ألفاً وخمسةائة قرية ومجاها ستون لكافى السنة له فيها نصف العشر ومن عجائب النهر الذى نزلنا عليه أنه لا يشرب منه أحد فى أيام نزول المطر ولا تسقى منه دابة ولقد أقننا عليه ثلاثاً فما غرف منه أحد غرفة ولا كدنا تقرب منه لأنه ينزل من جبل قراجيل التى بها معادن الذهب ويمر على الخشاش المسمومة فن شرب منه مات وهذا الجبل متصل مسيرة ثلاثة أشهر وينزل منه إلى بلاد تبت حيث غزلان المسك وقد ذكرنا ما اتفق على جيش المسلمين بهذا الجبل وهذا الموضع جاء إلى جماعة من الفقهاء الحيدرية وعملوا السماع وارقدوا النيران فدخلوها ولم تضرهم وقد ذكرنا ذلك

وكانت قد نشأت بين أمير هذه البلاد شمس الدين البندخشاني وبين والها عزيز الخوار
منازعة وجاء شمس الدين لقتاله فامتنع منه بداره وبلغت شكايه أحدهما الوزير وإلى
الملك شاه أمير المماليك بأمرها وهم أربعة آلاف مملوك للسلطان وإلى شهاب الدين
الرومي أن ننظر في قضيتها فمن كان على الباطل بعثناه منقما إلى الحضرة فاجتمعوا جميعا
بمنزلي وادعى عزيز شمس الدين دعاوى منها أن خديماً له يعرف بالرضى المتتاني نزل
بدار خازن عزيز المذكور فشرّب بها الخمر وسرق خمسة آلاف دينار من المال الذي
عند الخازن فاستغفمت الرضى عن ذلك فقال لي ما شربت الخمر منذ خروجي من ملتان
وذلك ثمانية أعوام فقلت له أو شربتها بملتان قال نعم فأمرت بجلده ثمانين وسجنه
بسبب الدعوى الوثظهر عليه وانصرفت عن أمرها فسكانت غيبى نحو شهرين
وكنيت في كل يوم أذبح لأصحابي بقرة وترك أصحابي ليأتوا بالزرع المنفذ على
عزيز وحمله عليه فوزع على أهل القرى التي لنظره ثلاثين ألف من يحملونها على ثلاثة آلاف
بقرة وأهل الهند لا يحملون إلا على البقر وعليه يعرفون أنقاعهم في الأسفار وركوب
الحجر عندهم عيب كبير وحيرهم صغار الاجرام يسمونها اللاشة وإذا أرادوا لشهار
أحد بعد ضربه أركبوه الحمار

﴿ ذكر مكرمة لبعض الاصحاب ﴾

وكان السيد ناصر الدين الاوهرى قد ترك عندي لما سافر ألفا وستين تنكة فتصرف فيها
فلما عدت إلى دهلي وجدته قد أحال في ذلك المال خدوا نذاده قوام الدين وكان قد قدم نائباً
على الوزير فاستقبحت أن أقول له تصرف في المال فأعطيته نحو ثلثه وأتت بداري أياها
وشاع أنى مرضت فأتى ناصر الدين الخوارزمي صدر الجهان لزيارتي فلما رآنى قال
ما أرى بك مرض فقلت له أنى مريض القلب فقال لي عرفنى بذلك فقلت له ابعث إلى
نائبك شيخ الاسلام أعرفه به فبعثه فأعلمته فعاد إليه فأعلمه فبعث إلى بألف دينار دراهم
وكان له عندي قبل هذا ألفا ثانياً ثم طلب منى بقيمة المال فقلت في نفسى ما يخصنى منه إلا
صدر الجهان المذكور لأنه كثير المال فبعث إليه بفرس مسرج قيمته وقيمة سرجه ألف
وستمائة دينار وبفرس ثانٍ قيمته وقيمة سرجه ثمانمائة دينار وبعثتين قيمتهما ألف ومائتا
دينار وبتركش فضة وبسيفين غمدهما مخشيان بالفضة وقلت له انظر قيمة الجميع وابعث
إلى ذلك فأخذ ذلك وعمل لجميعه قيمة ثلاثة آلاف دينار فبعث إلى ألفاً واقتطع الألفين
فتغير خاطرى ومرضت بالحصى وقلت لنفسى ان شكوت به إلى الوزير افتضحت فأخذت خمسة
أفراس وجارينيتين ومملوكين وبعثت الجميع للملك مغيث الدين محمد بن ملك الملوكة عماد الدين

السمناني وهو قتي مسن فرد على ذلك وبعث إلى مائتي تنكة واغزروا خلصت من ذلك المال
فشتان بين محمد ومحمد .

(ذكر خرجي من محلة السلطان)

وكان السلطان لما توجه إلى بلاد المعبر وصل إلى التلثك ووقع الوباء بعسكره فعاد إلى
دولة آباد ثم وصل إلى نهر السكتك فنزل عليه وأمر الناس بالبناء وخرجت في تلك الأيام
إلى محلته وانفق ماسر دناء من مخالفة عين الملك ولازمت السلطان في هذا اليوم وأعطاني
من عتاق الخيل لما قسمها على خواصه وجعلني فيهم وحضرت معه الوقعة على عين الملك
والقبض عليه وجزت معه نهر السكتك ونهر السرو وإن زيارة قبر الصالح البطل سالار عود
(مسعود) وقد استوفيت ذلك كله وعدت معه إلى دهلي لما عاد إليها .

(ذكر ما هم به السلطان من عقابي وما تداركني من لطف الله تعالى)

وكان سبب ذلك أني ذهبت يوماً لزيارة الشيخ شهاب الدين ابن الشيخ الجمام بالغار الذي
احتفراه خارج دهلي وكان قصدي رؤية ذلك الغار فلما أخذه السلطان سأل أولاده عن
كان يزوره فذكروا أناساً نامن بجلتهم فأمر السلطان أربعة من عبيده بملازمتي بالمشور وعادته
أنه متى فعل ذلك مع أحد قلباً يتخلص فكان أول يوم من ملازمتهم لي يوم الجمعة فألهمني
الله تعالى إلى تلاوة قوله حسبنا الله ونعم الوكيل فقرأتها ثلاثة وثلاثين ألف مرة وبنت
بالمشور وواصلت إلى خمسة أيام في كل يوم منها أختم القرآن وأفطر على الماء خاصة ثم
انفطرت بعد خمس وواصلت أربعاً وتخلصت بعد قتل الشيخ والحمد لله تعالى

(ذكر انقباض عن الخدمة وخرجي عن الدنيا)

ولما كان بعد مدة انقبضت عن الخدمة ولازمت الشيخ الامام العالم العابد الزاهد
الخاصع الورع قريد الدهر ووحيد العصر كمال الدين عبد الله الغاري وكان من الأولياء وله
كرامات كثيرة فقد ذكرت منها ما شاهدته عند ذكر اسمه وانقطعت إلى خدمة هذا الشيخ
وهبت ما عندي للفقراء والمساكين وكان الشيخ يواصل عشرة أيام وربما يواصل
عشرين فسكنت أحب أن أواصل فكان ينهاني ويأمرني بالرفق على نفسي في العبادة ويقول
لي أن المثبت لأرضاً قطع ولا أبقى وظهر لي من نفسي تكاسل بسبب شيء بقي معي فخرجت
عن جميع ما عندي من قليل وكثير وأعطيته ثياباً لغيره ولبست ثياباً به ولازمت
هذا الشيخ خمسة أشهر والسلطان إذ ذاك غائب ببلاد السند

(ذكر بعث السلطان عني ولما بقي عن الرجوع إلى الخدمة واجتهادي في العبادة)
ولما بلغه قبل قبل خروجي عن الدنيا استدعاني وهو يومئذ بسوستان فدخلت عليه في

زى الفقراء فكلمنى أحسن كلام وألطفه وأرادمنى الرجوع إلى الخدمة فأبيت وطلبت منه الإذن فى السفر إلى الحجاز فأذن لى فيه وانصرفت عنه ونزلت بزاوية تعرف بالنسبة إلى الملك بشير وذلك فى أواخر جمادى الثانية سنة ثنتين وأربعين فاعتسكت بها شهر رجب وعشرة من شعبان وانتهيت إلى مواصلة خمسة أيام وفطرت بعدها على قليل أرز دون إدام وكنت أقرأ القرآن كل يوم وأتجهّد بما شاء الله وكنت إذا أكلت الطعام أذانى فاذا طرحت وجدت الراحة وأقمت كذلك أربعين يوماً ثم بعث عنى ثانية .

(ذكر ما أمرنى به من التوجه إلى الصين فى الرسالة)

ولما كملت لى أربعون بعث إلى (س) خيلاً مسرجة وجوارى وغلانا وثياباً ونفقة فلمست ثياباً به وقصدته وكانت لى قبة فطن زرقاء مبطنة لبستها أيام اعتكفى فلما جردتها ولبست ثياب (س) انكرت نفسى وكنت متى نظرت إلى تلك الجبة أجد نوراً فى باطنى ولم تزل عندى إلى أن سلّيتى السكفار فى البحر ولما وصلت إلى (س) زاد فى إكرامى على ما كنت أعده وقال لى إنما بعثت إليك لتوجه عنى رسولاً إلى ملك الصين فأتى أعلم حبك فى الأسفار والجولان فجهزنى بما أحتاج له وعين للسفر معى من يذكرك بعد

(ذكر سبب بعث الهدية للصين وذكر من بعث معى وذكر الهدية)

وكان ملك الصين قد بعث إلى (س) مائة مملوك وجارية وخمسة مائة ثوب من السكخا منهم مائة من التى تصنع بمدينة الزيتون ومائة من التى تصنع بمدينة الخنسا وخمسة مائة من المسك وخمسة مائة أبواب مرصعة بالجواهر ومشاهير من التراکش مزركشته ومثلهم سيوف وطلب من (س) أن يأذن له فى بناء بيت الأصنام بناحية جبل قراجيل المتقدم ذكره ويعرف الموضع الذى هو به بسعمل (بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتح الهاء) واليه يحج أهل الصين وتغلب عليه جيش الإسلام بالهند فخر به وسأبوه ولما وصلت هذه الهدية إلى (س) كتب إليه بأن هذا المطلب لا يحوز فى ملة الإسلام اسعافه ولا يباح بناء كنيسة بأرض المسلمين إلا لمن يعطى الجزية فإن رضيت باعطائها أبحنا لك بناءه والسلام على من اتبع الهدى وكافأ على هديته بخير منها وذلك مائة فرس من الجياد مسرجة ملجمة ومائة مملوك ومائة جارية من كفار الهند مخنسات ورواقص ومائة ثوب بيرمية وهى من القطن ولا نظير لها فى الحسن قيمة الثوب منها مائة دينار ومائة شقة من ثياب الحرير المعروفة بالجزر (بضم الجيم وزاى) وهى التى يكون حرير أحداها مصبوغاً بحمسة ألوان وأربعة مائة ثوب من الثياب المعروفة بالصلاحيية ومثلهم من الشيرين باف ومثلهم من الشان باف وخمسة مائة

ثوب من المرعز منها سود ومائة بيض ومائة حمر ومائة خضر ومائة زرق ومائة شقة من
السكتان الرومي ومائة فضلة من الملف وسراجة وست من القباب وأربع حسك من ذهب
وست حسك من فضة منبلة وأربع طسوت من الذهب ذات أباريق كشلها وست طسوت من
الفضة وعشر خلع من ثياب السلطان مزر كشة وعشر شواش من أباسه إحداها مرصعة بالجواهر
وعشرة تراكش وأحدها مرصع بالجواهر وعشرة من السيوف أحدها مرصع الخمد
بالجواهر ودشت بان (دستبان) وهو قفاز مرصع بالجواهر وخمسة عشر من الفتيان وعين
(س) للسفر معي بهذه الهدية الأمير ظهير الدين الزنجاني وهو من فضلاء أهل العلم والفتى
كافور الشربدار واليه سلمت الهدية وبعث معنا الأمير محمد الهروي في ألف فارس ليوصلنا
إلى الموضع الذي نركب منه البحر وتوجه صحتنا أرسار ملك الصين وهم خمسة عشر رجلاً
يسمى كبيرهم ترسي وخدامهم نحو مائة رجل وانفصلنا في جمع كبير ومحلة عظيمة وأمر
لنا (س) بالضيافة مدة سفرنا ببلاده

وكان سفرنا في السابع عشر لشهر صفر سنة ثلاث وأربعين وهو اليوم الذي اختاروه
للسفر لأنهم يختارون للسفر من أيام الشهر ثمانية أو سابعة أو الثمانية عشر أو السابع
عشر أو الثاني والعشرين أو السابع والعشرين فكان نزولنا في أول مرحلة بمنزل تلبت
على مسافة فرسخين وثلاث من حضرة دهلي .

ورحلنا منها إلى منزل هيلوور ورجلنا منه إلى مدينة بيانة (وضبط اسمها بفتح الباء
الموحدة وفتح الياء آخر الحروف مع تخفيفها وفتح النون) وهي كبيرة حسنة البناء
مليحة الأسواق ومسجدها الجامع من أبداع المساجد وحيطانه وسقفه حجارة والأمير
بها مظفر بن الداية وأمه هي داية للسلطان وكان بها قبله الملك مجير بن أبي الرجاء أحد كبراء
الملوك وقد تقدم ذكره وهو ينتسب إلى قریش وفيه تجبر وله ظلم كثير قتل من أهل هذه
المدينة جملة ومثل بكثير منهم .

ولقد رأيت من أهلها رجلاً حسن الهيئة قاعداً في اسطوان منزله وهو مقطوع
اليدين والرجلين وقدم السلطان مرة على هذه المدينة فتشكى الناس من الملك مجبر المذكور
فأمر (س) بالقبض عليه وجعلت في عنقه الجامعة بأرضاتهم فأرضاهم بالأموال ثم
قتله بعد ذلك ومن كبار أهل هذه المدينة الامام عز الدين الزبيرى من ذرية الزبير
ابن العوام رضى الله عنه أحد كبار الفقهاء الصالحاء لقيته بكاليور عند الملك عز الدين البتاني
المعروف بأعظم ملك ثم رحلنا من بيانة فوصلنا إلى مدينة كول (وضبط اسمها بضم
الكاف) مدينة حسنة ذات بساتين وأكثر أشجارها العنبا ونزلنا بخارجها في بسيط

افيسح ولقينا بها الشيخ الصالح العابد شمس الدين المعروف بابن العارفين وهو مكشوف
البصر معمر وبعد ذلك سجنه السلطان ومات في سجنه وقد ذكرنا حديثه .

(ذكر غزوة شهدناها بكول)

ولما بلغنا إلى مدينة كول بلغنا أن بعض كنفار الهند حاصروا بلدة الجلالى واحاطوا بها
وهى على مسافة سبعة من كول قصدناها والكنفار يقاتلون أهلها وقد اشرفوا على التلّف
ولم يعلم الكنفار بنا حتى صدقنا الحملة عليهم وهم فى نحو ألف فارس وثلاثة آلاف رجل
فقتلناهم عن آخرهم واحتوينا على خيلهم واسلحتهم واستشهد من اصحابنا ثلاثة وعشرون
فارساً وخمسة وخمسون رجلاً واستشهد الفتى كافر الساقى الذى كانت الهدية مسلمة
بيده فكتبنا إلى السلطان بنخبره واقمنا فى انتظار الجواب وكان الكنفار فى اثناء ذلك ينزلون
من جبل هنالك منيع فيغيرون على نواحي بلدة الجلالى وكان اصحابنا يركبون كل
يوم مع امير تلك الناحية ليعينوه على مدافعتهم .

(ذكر محنتى بالاسر وخلاصى منه وخلاصى من شدة بعده على يدولى من أوليا الله تعالى)
وفى بعض تلك الأيام ركبت فى جماعة من اصحابى ودخلنا بستانا ثقيل فيه وذلك فصل القيظ
فسمعنا الصياح فركبنا ولحقنا كنفار اغاروا على قرية من قرى الجلالى فاتبعناهم ففترقوا
وتفرق اصحابنا فى طلبهم وانفردت فى خمسة من اصحابنا فخرج علينا جملة من الفرسان
والرجال من غيضة هنالك ففررنا منهم لكثرتهم واتبعنى نحو عشرة منهم ثم انقطعوا عني إلا
ثلاثة منهم ولا طريق بين يدي وتلك الأرض كثيرة الحجارة فنشبت بدافرسى بين الحجارة
فنزلات عنه واقبلت يده وعدت إلى ركوبه والعادة بالهند ان يكون مع الإنسان سفيان أحدهما
معلق بالسراج ويسمى الركابى والآخر فى الزكش فسقط سيفى الركابى من غمده
وكانت حليته ذهباً فنزلات فاخذته وتقلدته وركبت وهم فى اثرى ثم وصلت إلى خندق
عظيم فنزلات ودخلت فى جوفه فكان آخر عهدى بهم .

ثم خرجت إلى وادى وسط شعراء ملغته فى وسطها طريق فشيبت عليه ولا عرف
منهاة فبينما أنا فى ذلك خرج على نحو اربعين رجلاً من الكنفار بايديهم القسى فاحدقوا
نى وخفمت ان يرمونى رمية رجل واحد ان فررت منهم وكنت غير متدرع
فالقيت بنفسى إلى الأرض واستأسرت وهم لا يقتلون من فعل ذلك فأخذونى
وسلبونى جميع ما على غير حجة وقميص وسروال ودخلوا نى إلى تلك الغابة فأتوا نى إلى موضع
جلوسهم منها على حوض ماء بين تلك الأشجار واتونى بخبز ماش وهو الجلبان فأكلت منه
وشربت من الماء وكان معهم مسلمان كلبانى بالفارسية وسألانى عن شأنى فاخبرت بها بعضه

وكتبتهما اتى من جهة (س) فقالا لى لا بد أن يقتلك هؤلاء أو غيرهم واسكن هذا مقدمهم وأشاروا الى رجل منهم فكلمته بترجمة المسلمين وتلطفت له فوكل فى ثلاثة منهم احدهم شيخ ومعه ابنته والآخر أسود خبيث وكلمنى أولئك الثلاثة ففهمت منهم أنهم أمروا بقتلى واختعلونى عشى النهار الى كهف وسلط الله على الأسود منهم حى مرعدة فوضع رجلية على ونام الشيخ وابنته فلما أصبح تسكلموا فيما بينهم وأشاروا الى بالنزول معهم الى الخوض وفهمت أنهم يريدون قتلى فكلمت الشيخ وتلطفت اليه فرق لى وقطعت كى قيصى وأعطيته أياهما لى لا يأخذه أصحابه فى ان فررت .

ولما كان عند الظهر سمعنا كلاما عند الخوض فظنوا أنهم أصحابهم فأشاروا الى بالنزول معهم فنزلنا ووجدنا قوما آخرين فأشاروا عليهم أن يذهبوا فى صحبتهم فابوا وجلس ثلاثتهم أمامى وأنا مواجبه لهم ووضعوا حبل قنب كان معهم بالأرض وأنا أنظر اليهم وأقول فى نفسى بهذا الحبل يربطونى عند القتل وأقت كذلك ساعة ثم جاء ثلاثة من أصحابهم الذين اخذونى فتسكلموا معهم وفهمت أنهم قالوا لهم لائى شىء ما قتلتهموه فأشار الشيخ الى الأسود كأنه اعتذر بمرضه وكان أحد هؤلاء الثلاثة شابا حسن الوجه فقال لى أتريد أن أسرحك فقلت نعم فقال أذهب فاخذت الجبة التى كانت على فأعطيته إياها وأعطانى منيرة بالية عنده وأرائى الطريق فذهبت وخفت أن يبدو لهم فيدركونى فدخلت غيضة قصب واخفيت فيها الى أن غابت الشمس .

ثم خرجت وسلكت الطريق التى أرا فيها الشباب فافضت بى الى ماء فشربت منه وسرت الى ثلث الليل فوصلت الى جبل فتمت تحته فلما أصبحت سلكت الطريق فوصلت ضحى الى جبل من الصخر عال فيه شجر أم غيلان والسدر فسكنت أجنى الثيق فاكله حتى أثر الشوك فى ذراعى آثارا هى باقية به حتى الآن ثم نزلت من ذلك الجبل الى أرض مزدرة قطنا وبها أشجار الخروع وهنالك باين والباين عندهم بئر متسعة جداً مطوية بالحجارة لها درج ينزل عليها الى ورد الماء وبعضها يكون فى وسطه وجوانبه القباب من الحجر والسقائف والمجلس ويتفاخر ملوك البلاد وأمرأؤها بهاراتها فى الطرقات التى لاماء بها وسندكر بعض ماراينا منها فيما بعد ولما صلت الى البايين شربت منه ووجدت عليه شيئاً من عساليج الخردل قد سقطت لمن غسلاها فاكلت منها وأدخرت باقيا ونمت تحت شجرة خروع فبينما أنا كذلك إذورد البايين نحو أربعين فارساً مدرعين فدخل بعضهم الى المزرعة .

ثم ذهبوا وطمس الله ابصارهم دونى ثم جاء بعدهم نحو خمسين فى السلاح ونزلوا الى البايين وأتى أحدهم الى شجرة إزاء الشجرة التى كنت تحتها فلم يشعربى ودخلت إذ ذاك فى مزرعة القطن واقمت بها بقية نهارى وأقاموا على البايين

يغسلون ثيابهم ويلعبون فلما كان الليل هدأت أصواتهم فعلمت أنهم قد مروا أو ناموا فخرجت حينئذ واتبعته أثر الخيل والليل مقعر وسرت حتى انتهيت إلى باب آخر عليه قبة فنزلت إليه وشربت من مائه وأكلت من عسل ليح الخردل التي كانت عندي ودخلت القبة فوجدتها مملوءة بالعشب مما يجمعه الطير فنمت بها وكنت أحس حركة حيوان في تلك العشب فأظنه حية فلا أبالي بها لما بي من الجهد فلما أصبحت سالت طريقا وسعة تفضي إلى قرية خربة وسالت سواها فكانت كمثلها وأقمت كذلك أياما وفي بعضها وصلت إلى أشجار ملتفة بينها حوض ماء وداخلها شبه بيت وعلى جوانب الحوض نبات الأرض كالنجيل وغيره فأردت أن أقعد هنالك حتى يبعث الله من يوصلني إلى العماره ثم اني وجدت يسير قوة فمضت على طريق وجدت بها أثر البقر ووجدت ثورا عليه بردعة ومنجل فاذا تلك الطريق تفضي إلى قرية السكفار فاتبعته طريقا أخرى فانضت في قرية خربة ورأيت بها أسودين صريانين نخفتهما وأقمت تحت أشجار هنالك فلما كان الليل دخلت القرية ووجدت دارا في بيت من بيوتها شبه خابية كبيرة يصنعونها لاختزان الزرع وفي أسفلها نقب يسع منه الرجل فدخلتها ووجدت داخلها مفروشا بالثبن وفيه حجر جعلت رأسي عليه ونمت وكان فوقها طائر يرفرف بجناحيه أكثر الليل وأظنه كان يخاف فاجتمعنا خائفين .

وأقمت على تلك الحال سبعة أيام من يوم أسرت وهو يوم السبت وفي السابع منها وصلت إلى قرية للسكفار عامرة وفيها حوض ماء ومنابت خضر فساأتهم الطعام فأبوا أن يعطوني فوجدت حول بئر بها أوراق فجعل فأكلته وجئت القرية فوجدت جماعة كفار لهم طليعة فدعاني طليعتهم فلم أجبه وقعدت إلى الأرض فأقاهم بسيف مسلول ورفع ليضربني به فلم ألتفت إليه لعظيم ما بي من الجهد ففتشني فلم يجد عندي شيئا فأخذ القميص الذي كنت أعطيت كميته للشيخ الموكل بي .

ولما كان في اليوم الثامن اشتد في العطش وعدمت الماء ووصلت إلى قرية خراب فلم أجد بها حوضا وعادتهم بتلك القرى أن يصنعوا أحواضا يجمع به ماء المطر فيشربون منه جميع السنة فاتبعته طريقا فافضت في إلى بئر غير مطوية عليها حبل مصنوع من نبات الأرض وليس فيه آنية يستقي بها فربطت خرقة كانت على رأسي في الحبل وامتصت ما تعلق بها من الماء فلم تروني فربطت خفي واستقيمت به فلم يروني فاستقيمت به نائما فانتطع الحبل ووقع الخف في البئر فربطت الخف الآخر وشربت حتى رويت ثم قطعته فربطت أعلاه على رجلي بحبل البئر وبخرق وجدتها هنالك فبينما أنا أربطها وأفكر في حال إذ لاح لي شخص فنظرت إليه فاذا رجل أسود اللون بيده أبريق وعكاز وعلى كاهله جراب فقال لي سلام (٧ - رحلة - ثاني)

عليكم فقلت له عليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال لي بالفارسية جيكس (جه كسى) معناه من أنت فقلت له أنا ناته فقال لي وأنا كذلك ثم ربط إبريقه بحبل كان معه واستقى ماء فأردت أن أشرب فقال لي اصبر ثم فتح جرابه فأخرج منه غرفة حمص أسود مقلو مع قليل أرز فأكلت منه وشربت وتوضأ وصلى ركعتين وتوضأت أنا وصليت وسألتني عن اسمي فقلت له محمد وسأله عن اسمه فقال لي القلب الفارح فتغاءلت بذلك وسررت به ثم قال لي بسم الله ترافقني فقلت نعم فمشيت معه قليلاً ثم وجدت فتوراً في أعضائي ولم أستطع الهوض فقمعدت فقال لي ماشاً نك فقلت له كنت قادر على المشي قبل أن ألقاك فلما لقيت عجزت فقال سبحانه الله اركب فوق عنق فقلت له أنك ضعيف ولا تستطيع ذلك فقال يقويني الله لا بد لك فركبت على عنقه وقال لي أكثر من قراءة حسبن الله ونعم الوكيل فأكثر من ذلك .

وغلبتني عيني فلم أفق إلا لسقوطي على الأرض فاستيقظت ولم أر للرجل أثراً وإذا أنا في قرية عامرة فدخاتها فوجدتها لرعية الهنود وحاكمها من المسلمين فأعلموه في فجاء إلى فقلت له ما اسم هذه القرية فقال لي تاج بوره وبيدها وبين مدينته كول حيث أصحابنا فرستخان وحملي ذلك الحاكم إلى بيته فأطعمني طعاماً سخناً واغتسل وقال لي عندي ثوب وعمامة أو دعهما عندي رجل عربي مصري من أهل المحلة التي بكول فقلت له هاتهما ألبسهما لي أن أصل إلى المحلة فأتي بهما فوجدتهما من ثيابي كنت قد وهبتهما لذلك العربي لما قدمنا كول فطال تعجبي من ذلك .

وفسرت في الرجل الذي حملي على عنقه فتذكرت ما أخبرني به ولي الله تعالى أبو عبد الله المرشد حينما ذكرناه في السفر الأول إذ قال لي ستدخل أرض الهند وتلقى بها أخى ويخلصك من شدة تقع فيها وتذكرت قوله لما سأله عن اسمه فقال القلب الفارح وتفسيره بالفارسية دلسا فعلمت أنه هو الذي أخبرني بلقائه وأنه من الأولياء ولم يحصل لي من صحبته إلا المقدار الذي ذكر وأتيت تلك الليلة إلى أصحابي بكول معلماً لهم بسلامتي فجاؤا إلى بنارس وثياب واستبشروا بي ووجدت جواب السلطان قد وصلهم وبعث بفتى يسمى بسنبل الجامدار عوضاً من كافور المستشهد وأمرنا أن نتأدى على سفركنا ووجدتهم أيضاً قد كتبوا للسلطان بما كان من أمرى وتشاءموا بهذه السفارة لما جرى فيها على وعلى كافور وهم يريدون أن يرجعوا فلما رأيت تأكيد السلطان في السفر أكدت عليهم وقوى عزى فقالوا ألا ترى ما اتفق في بداية هذه السفارة والسلطان يعذرك فلنرجع إليه أو نقيم حتى يصل جوابه فقلت لهم لا يمكن المقام وحيث ما كننا أدركنا الجواب فرحلنا من كول

ونزلنا برج بوره وبه زاوية حسنة فيها شيخ حسن الصورة والسيرة يسمى بمحمد العريان
لأنه لا يلبس عليه إلا ثوباً من سترته إلى أسفل وباقي جسده مكشوف وهو تلميذ الصالح الولي
محمد العريان القاطن بقرافة مصر نفع الله به

(حكاية هذا الشيخ)

وكان من أولياء الله تعالى قائماً على قدم التجرد يلبس تنورة وهو ثوب يسر من سترته إلى
أسفل ويذكر أنه كان إذا صلى العشاء الآخرة أخرج كل ما بقي بالزاوية من طعام وادام وماء
وفرق على المساكين ورمى بفتيلة السراج وأصبح على غير معلوم وكانت عادته أن يطعم
أصحاباً به عند الصباح خبزاً وفولاً فكان الخبازون والقولون يستبقون إلى زاويته فيأخذ منهم
مقدار ما يكفي الفقراء ويقول لمن أخذ منه ذلك أقعد حتى يأخذ أول ما يفتح به عليه في
ذلك اليوم قليلاً وكثيراً أو من حكاياته أنه لما وصل قازان ملك التتر إلى الشام بعساكره وملك
دمشق ما عدا قلعتها وخرج الملك الناصر إلى مدافعته ووقع اللقاء على مسيرة يومين من
دمشق بموضع يقال له قشحب والملك الناصر إذ ذاك حديث السن لم يعهد الوقائع وكان
الشيخ العريان في صحبته فنزل وأخذ قيماً فقيماً به فرس الملك الناصر لئلا يتزحزح عند
اللقاء لحداثة سنه فيسكون ذلك سبب هزيمة المسلمين فثبت الملك الناصر وهزم التتر هزيمة
شنعاء قتل منهم فيها كثير وغرق كثير بما أرسل عليه من المياه ولم يعد التتر إلى قصد بلاد
الأنبار بعد ما أخبرني الشيخ محمد العريان المدكر تلميذ هذا الشيخ أنه حضر هذه الواقعة
وهو حديث السن ورحلنا من برج بوره ونزلنا على الماء المعروف باب سياه ثم رحلنا
مدينة قنوع (وضبط اسمها بكسر القاف وفتح النون وواو ساكن وجيم) مدينة كبيرة حسنة
العمارة حصينة رخيصة الأسعار كثيرة السكر ومنها يحمل إلى دهلي وعليها سور عظيم وقد
تقدم ذكرها وكان بها الشيخ معين الدين الباخرزي أضافنا بها وأمير هافيروز البغدادي من
خرية بهرام جور (جو بن) صاحب كسرى وسكن بها جماعة من الصالحاء الفضلاء المعروفين
بمكارم الأخلاق يعرفون بأولاد سرف جهان وكان جدهم قاضي القضاة بدولة آباد وهو من
المحسنين المتصدقين وانتهت الرياسة ببلاد الهند إليه

(حكاية)

يذكر أنه عزل مرة عن القضاء وكان له أداء فادعى أحدهم عند القاضي الذي ولي بعده أن
له عشرة آلاف دينار قبله ولم تكن له بيعة وكان قصده أن يحلفه فبعث القاضي له فقال
لرسوله به ادعى علي فقال بعشرة آلاف دينار فبعث إلى مجلس القاضي عشرة آلاف وسلمت
للمدعى وبلغ خبره السلطان علاء الدين وصح عنه بطلان تلك الدعوى فأعاده إلى القضاء
وأعطاه عشرة آلاف وأقامنا بهذه المدينة ثلاثاً ووصلنا فيها جواب السلطان في شأنه بأن
لم يظهر لفلان أثر فيتوجه وجهه وجهه الملك قاضي دولة آباد عوضاً منه ثم رحلنا من هذه المدينة

فنز لنا بمنزل هنول ثم بمنزل وزير بور ثم بمنزل البجالة ثم وصلنا إلى مدينة موري (وضبط اسمها بفتح الميم وواو وراء) وهي صغيرة ولها أسواق حسنة ولقيت بها الشيخ الصالح المعمر قطب الدين المسمى بحيدر الفرغانى وكان بحال مرض فدعانى وزودنى رغيف شعير واخر فى أن عمره ينيف على مائة وخمسين وذكروا لي أصحابه أنه يصوم الدهر ويواصل كثيراً ويكثر الاعتكاف وورما أقام فى خلوته أربعين يوماً يقتات فيها بأربعين تمره فى كل يوم واحدة وقد رأيت بدهلى الشيخ المسمى برجب البرقى دخل الخلوة بأربعين تمره فأقام بها أربعين يوماً ثم خرج وفضل معه منها ثلاث عشرة تمره ثم رحلنا ووصلنا إلى مدينة مرة وضبط اسمها (بفتح وسكون الراء وهام) وهي مدينة كبيرة أكثر سكانها كفار تحت الذمة وهي حصينة وبها القمح الطيب الذى ليس مثله بسواها ومنها يحمل إلى دهلى وجوبه طوال شديدة الصفرة ضخمة ولم أرقمها مثله إلا بارض الصين وتنسب هذه المدينة إلى المأمورة (بفتح اللام) وهي قبيلة من قبائل الهنود كبار الأجسام عظام الخناق حسان الصور لنسائهم الجمال الفائق وهن مشهورات بطيب الخلوة وفرة الحظ من اللذة وكذا نساء المهرته ونساء جزيرة ذبية المبل ثم سافرنا إلى مدينة علابور (وضبط اسمها بفتح العين ولام والف وباء موحدة مضمومة وواو وراء) مدينة صغيرة أكثر سكانها الكفار تحت الذمة وعلى مسيرة يوم منها سلطان كافر اسمه قتم (بفتح القاف والتاء المعلوة) وهو سلطان جنجبل (بفتح الجيم وسكون النون وكسر الباء الموحدة وياء مد ولام) الذى حاصر مدينة كياليير وقتل بعد ذلك .

(حكاية)

كان هذا السلطان الكافر قد حاصر مدينة رابرى وهي على نهر اللجون كثيرة القرى والمزارع وكان أميرها خطاب الأفغان وهو أحد الشجعان واستعان السلطان الكافر بسلطان كافر مثله يسمى رجو (بفتح الراء وضم الجيم) وبلده يسمى سلطان بور وحاصر مدينة رابرى فبعث خطاباً إلى السلطان يطلب منه الإعانة فأبطأ عليه المدد وهو على مسيرة أربعين من الحضرة فخاف أن يغلب الكفار عليه فجمع من قبيلة الأفغان نحو ثلاثمائة وشملهم من المماليك ونحو أربع مائة من سائر الناس وجعلوا العمام فى أعناق خيلهم وهي عادة أهل الهند إذا أرادوا الموت وباعوا نفوسهم من الله تعالى وتقدم خطاب وقبيلته وتبعهم الناس وفتحوا الباب عند الصبح وحملوا على الكفار حملة واحدة وكانوا نحو خمسة عشر ألفاً فزهم بإذن الله وقتلوا سلطانهم قتم ورجو وبعثوا برأسيهما إلى السلطان ولم ينبج من الكفار إلا الشريد .

(ذكر أمير علابور واستشهاده)

وكان أمير علابور بدر الحبشى من عبيد السلطان وهو من الأبطال الذين تضرب بهم

الأمثال وكان لا يزال يغير على الكفار منفردا بنفسه فيقتل ويسبي حتى شاع خيئه واشتهر أمره وها به الكفار .

وكان طويلا ضخما يأكل الشاة عن آخرها في اكلة وأخبرت أنه كان يشرب نحو رطل ونصف من السمن بعد غذائه على عادة الحبشة ببلادهم وكان له ابن يدانيه في الشجاعة فاتفق أنه أغار مرة في جماعة من عبيده على قرية للكفار فوقع به الفرس في مطمورة واجتمع عليه أهل القرية فضربه أحدهم بقتارة والقتارة (بقاف معقود وتام معاودة) حديدة شبه سكة الحرث يدخل الرجل يده فيها فتكسوا ذراعه ويفضل منها مقدار ذراعين وضربتها لا تبقى فقتله بتلك الضربة ومات فيها وقتلوا رجالها وسبوا نساءها وقاتل عبيده أشد القتال فتغلبوا على القرية وأخرجوا الفرس من الم مطمورة سالما فأثروا به ولده فكان من الاتفاق الغريب أنه ركب الفرس وتوجه إلى دهلي فخرج عليه الكفار فقاتلهم حتى قتل وعاد الفرس إلى أصحابه فدفعوه إلى أهله فركبه صهر له فقتله الكفار عليه أيضا ثم سافرنا إلى مدينة كاليور (وضبط اسمها بفتح الكاف المعقود وكسر اللام وضم الياء آخر الحروف وواو وراء) ويقال فيه أيضا كيا لير وهي مدينة كبيرة لها حصن منيع منقطع في رأس شاهق على بابه صورة فيل وفيال من الحجارة وقد مر ذكره في اسم السلطان قطب الدين وأمير هذه المدينة أحمد بن سيرخان فاضل كان يكرم في أيام إقامتي عنده قبل هذه السفرة ودخلت عليه يوما وهو يريد توسيط رجل من الكفار فقلت له بالله لا تفعل ذلك فاني مارأيت أحدا قط يقتل بمحضرى فأمر بسجنه وكان ذلك سبب خلاصه في رحلتنا من مدينة كاليور إلى مدينة برون (وضبط اسمها بفتح الباء المعقودة وسكون الراء وفتح الواو وآخره نون) مدينة صغيرة للمسلمين بين بلاد الكفار أميرها محمد بن بيرم التركي الأصل والسباع بها كثيرة وذكر لي بعض أهلها أن السبع كان يدخل إليها ليلا وأبوابها مغلقة فيفتسر الناس حتى قتل من أهلها كثير أو كانوا يعجبون في شأن دخوله

وأخبرني محمد التوفيزي من أهلها وكان جارا لي بها أنه دخل داره ليلا واقترس صديبا من فوق السرى وأخبرني غيره أنه كان مع جماعة في دار عرس فخرج أحدهم لحاجة فاقتربه أسد فخرج أسحابه في طلبه فوجدوه مطرحا بالسوق وقد شرب دمه ولم يباكل لحمه وذكروا أنه كذلك فعلة بالناس ومن العجب أن بعض الناس أخبرني أن الذي يفعل ذلك ليس بسبع وإنما هو آدمي من السحرة المعروفين بالجوكية يتصور في صورة سبع ولما أخبرت بذلك أنكرته وأخبرني به جماعة ولذا ذكر بعضنا من أخبار هؤلاء السحرة .

﴿ ذكر السحرة الجوكية ﴾

وهؤلاء الطائفة تظهر منهم العجائب منها أن أحدهم يقيم الأشهر لا يأكل ولا يشرب وكثير منهم تحفر لهم حفر تحت الأرض وتبنى عليه فلا يترك له إلا موضع يدخل منه الهواء ويقيم بها الشهور وسمعت أن بعضهم يقيم كذلك سنة ورأيت بمدينة منجور رجلا من المسلمين من يتعمم منهم قد رفعت له طيلة وأقام بأعلاها لا يأكل ولا يشرب مدة خمسة وعشرين يوما وتركته كذلك فلا يرى كم أقام بعدى والناس يذكرون أنهم يركبون حبوبا يا كاون الحبة منها لأيام معلومة وأشهر فلا يحتاج في تلك المدة إلى طعام ولا شراب ويخبرون بأمر مغيبة والسلطان يعظمهم ويجالسهم ومنهم من يقتصر في أكله على البقل ومنهم من لا يأكل اللحم وهم الأكثر والظاهر من حالهم أنهم عودوا أنفسهم الرياضة ولا حاجة لهم في الدنيا وزينتها ومنهم من ينظر إلى الإنسان فيقع ميته من نظره ويقول العامة أنه إذا قتل بالنظر وشق عن صدر الميت وجد دون قلب ويقولون أكل قلبه واكثر ما يكون هذا في النساء والمرأة التي تفعل ذلك تسمى كفتار

(حكاية)

لما وقعت المجاعة العظمى ببلاذ الهند بسبب القحط والساطان ببلاذ البنالك نفذ أمره أن يعطى لأهل دهلي ما يقوتهم بحساب رطل ونصف للواحد في اليوم فجمعهم الوزير ووزع المساكين منهم على الأمراء والقضاة ليتولوا إطعامهم فكان عندى منهم خمسمائة نفس فعمرت لهم سقائف في وادى وأسكنتهم بها وكنت أعطيهم نفقتهم خمسة أيام فلما كان في بعض الأيام أتوني امرأة منهم وقالوا أنها كفتارة وقد أكلت قلب صبي كان إلى جانبها وأتوا بالصبي ميتا فأمرتهم أن يذهبوا بها إلى نائب السلطان فأمر بإحراقها وذلك بأن ملوا أربع جرات بالماء وربطوها ببديها ورجليها وطارحوها في نهر الجون فلم تغرق فعلم أنها كفتار ولو لم تطف على الماء لم تكن بكفتار فأمر بإحراقها بالنار وأتوا بأهل البلد رجالا ونساء فأخذوا رمادها وزعموا أنه من تميز به أمن في تلك السنة من سحر كفتار

(حكاية)

بعث إلى السلطان يوما وأناعته بالحضرة فدخلت عليه وهو في خلوة وعنده بعض خواصه ورجلان من هؤلاء الجوكية وهم يلبثون بالملاحف ويغطون رؤسهم لأنهم يلبثون بها أرماد كما يلبث الناس بأطعمهم فأمرني بالجلوس فجلست فقال لهما ان هذا العزيز من بلاد بعيدة فأرياه المبرم فقال نعم فتربع أحدهما ثم ارتفع عن الأرض حتى صار في الهواء فوقنا متر بعاء فعميت منه وأدركني الوهم فرفعت على الأرض فأمر السلطان أن أسقى دواء عنده فأفقت وقعدت وهو على حاله متربع فأخذ صاحبه نعلاله من شكارة كانت معه فضرب بها الأرض

كالمناظ فصعدت إلى أن علت فوق عنق المتربع وجعلت تضرب في عنقه وهو ينزل قليلا قليلا حتى جالس معنا فقال السلطان أن المتربع هو تليسد صاحب النعل ثم قال لولا أنى أخاف على عقلك لأمرتهم أن يأتوا بأعظم مما رأيت فأنصرفت عنه وأصابني الخفقان ومرضت حتى أمر لى بشربة أذهبت ذلك عنى .

ولنعد لما كننا بسبيله فنتقول سافرا من مدينة برون إلى منزل أمواري ثم منزل كجرا وبه حوض عظيم طوله نحو ميل وعليه السكنائس فيها الأصنام قد مثل بها المسلمون وفي وسطه ثلاث قباب من الحجارة الحجر على ثلاث طباق وعلى أركانه الأربع قباب ويسكن هنالك جماعة من الجوكية وقد لبدوا شعورهم وطالت حتى صارت في طولهم وغلبت عليهم صفرة الألوان من الرياضة ، وكثير من المسلمين يتبعونهم ليعلموا منهم ويذكرون أن من كانت به عاهة من برص أو جذام يأوى إليهم مدة طويلة فيبرأ باذن الله تعالى وأول ما رأيت هذه الطائفة بمحلة السلطان طر مشيرين ملك تركستان وكانوا نحو الخمسين لحفر لهم غارا تحت الأرض وكانوا مقيمين به لا يخرجون إلا لقضاء حاجة ولهم شبه القرن يضربونه أول النهار وآخره وبعد العتمة وشأنهم كله عجب ومنهم الرجل الذى صنع للسلطان غياث الدين الدمغانى سلطان بلاد المعبر حبوبا يأكلها تقويه على الجماع وكان من اخلاطها برادة الحديد فأعجبه فعلمها فأكل منها أزيد من مقدار الحاجة فمات وولى ابن أخيه ناصر الدين فأكرم هذا الجوكى ورفع قدره

ثم سافرا إلى مدينة جندبرى (وضبط اسمها بفتح الجيم المعقود وسكون النون وكسر الدال المهمل وياء مد وراء) مدينة عظيمة لها أسواق حافلة يسكنها أمير أمراء تلك البلاد عز الدين الزبيرى والعقبة العالم وحيه الدين البيانى نسبة إلى مدينة بيانه التى تقدم ذكرها والعقبة القاضى المعروف بقاضى خاصة وأمامهم شمس الدين وكان النائب عنه على أمور الخزن يسمى قمر الدين وناثبه على أمور العسكر سعادة التلنكى من كبار الشجعان وبين يديه تعرض العساكر وأعظم ملك لا يظهر إلا فى يوم الجمعة أو فى غيرها نادرا ثم سرفنا من جندبرى إلى مدينة ظمار (وضبط اسمها بكسر الظاء المعجم) وهى مدينة المالوة أكبر عمار تلك البلاد وزرعها كثير خصوصا القمح ومن هذه المدينة تحمل أوراق التنبول إلى دهلى وبينهما أربعة وعشرون يوما وعلى الطريق بينهما أعمدة منقوش عليها عدد الأميال فيما بين كل عمودين فإذا أراد المسافر أن يعلم عدد ماسار فى يومه وما بقى له إلى المنزل وإلى المدينة التى يقصدها قرأ النقش الذى فى الأعمدة فعرفه ومدينة ظمار إقطاع للشيخ إبراهيم الذى من أهل ذيبة المهمل

حكاية

كان الشيخ إبراهيم قدم على هذه المدينة ونزل بخارجها فأحيا أرضا مواتا هنالك وصار يزرعها بطيخا فتأتى فى الغابة من الخلاوة ليس بتلك الأرض مثلها ويزرع الناس بطيخا فيما يحاوره فلا يكون مثله وكان يطعم الفقراء والمساكين فلما قصد السلطان إلى بلاد المعبر أهدى إليه هذا الشيخ بطيخا فقبله واستطابه وأقطع مدينة ظهار وأمره أن يعمر زاوية بربوة يشرف عليها فعمرها أحسن عمارة وكان يطعم بها الوارد والصادر وأقام على ذلك أعواما ثم قدم على السلطان وحمل إليه ثلاثة عشر لكا فقال هذا فضل مما كنت أطعمه الناس وبيت المال أحق به فقبضه منه ولم يعجب السلطان فعلمه لسكونه جمع المال ولم ينفق جميعه فى إطعام الطعام وبهذه المدينة أراد ابن أخت الوزير خواجه جهان أن يفتك بخاله ويستولى على أمواله ويسير إلى القائم ببلاد المعبر فنمى خبره إلى خاله فقبض عليه وعلى جماعة من الأمراء وبعثهم إلى السلطان فقتل الأمراء ورد ابن أخته إليه فقتله الوزير .

حكاية

ولما رد ابن أخت الوزير إليه أمر به أن يقتل كما قتل أصحابه وكانت له جارية يحبها فاستحضرها وأطعمها التذبول وأطعمته وعانقها مودعا ثم طرح للقبيلة وسلب جلدته وملأ تدنبا فلما كان من الليل خرجت الجارية من الدار فرمت بنفسها فى بئر هنالك تقرب من الموضع الذى قتل فيه فوجدت ميتة من الغد فاخرجت ودفن لجه معها فى قبر واحد وسمى قبور (كور) عاشقا ونفسير ذلك بلسانهم قبر العاشقين ثم سافروا من مدينة ظهار إلى مدينة اجين (وضبط اسمها بضم الهمزة وفتح الجيم وياء ونون) مدينة حسنة كثيرة العمارة وكان يسكنها الملك ناصر الدين بن عيى الملك من الفضلاء الكرماء العلماء استشهد بحوزة سندابور حين افتتاحها وقد زرت قبره هنالك وسنذكره وبهذه المدينة كان سكنى الفقيه الطيب جمال الدين المغربى الغرناطى الأصل ثم سافروا من مدينة اجين إلى مدينة دولة آباد وهى المدينة الضخمة العظيمة الشأن الموازية لحضرة دهلى فى رفعة قدرها واتساع خططها وهى منقسمة ثلاثة أقسام أحدها دولة آباد وهو يختص بسكنى السلطان وعساكره والقسم الثانى اسمه السكتكة (بفتح الكافين والتاء المعلو التى بينهما) والقسم الثالث قلعتها التى لا مثل لها ولا نظير فى الحصانة وتسمى الدويقر (بضم الدال المهملة وفتح الواو وسكون الياء وقاف معقود مكسور وياء مد وراء) وبهذه المدينة سكنى الخزان الأعظم قطلوخان معلم السلطان بها وببلاد صاغر وبلاد التلنك

وما أضيف الى ذلك وعمالتها مسيرة ثلاثة أشهر عامرة كلها بالحكمة ونوايه فيها. وقلعة الدويقر التي ذكرناها في قطعة حجر في بسيط من الأرض قد نحت وبني بأعلاها قلعة يصعد اليها بسلم مصنوع من جلود ويرفع ليلا ويسكن بها المفردون وهم الزماميون بأولادهم وفيها سجن أهل الجرائم العظيمة في جبوب بها وبها فيران ضخام أعظم من القوط والقوط تهرب منها ولا تطيق مدافعها لأنها تغلبها ولا تصاد إلا بجبل تدار عليها وقد رأيتها هناك فمجببت منها

(حكاية)

اخبرني الملك خطاب الافغانى انه سجن مرة في جب بهذه القلعة يسمى جب الفيران قال فكانت تجتمع على ليلا لثأ كنانى فأقاتلها والقى من ذلك جهد ثم لاني رأيت في النوم قائلاً يقول لى افر أسورة الإخلاص مائة ألف مرة ويفرج الله عنك قال فتمرأتها فلما اتعتها اخرجت وكان سبب خروجى ان ملك مل كان مسجوناً في جب يحاورني فمرض وأكلت الفيران صابعه وعينيه فمات فباع ذلك السلطان فقال اخرجوا خطايا لثاينفق له مثل ذلك والى هذه القلعة لجأ ناصر الدين بن ملك المذكور والقاضى جلال حين هن مهما السلطان واهل بلاد دولة آبادهم قبيل المهرته الذين خص الله نساهم بالحسن وخصوصاً فى الانوف والحواسب ولهن من طيب الخلوة والمعرفة بحركات الجماع ما ليس لغيرهن وكفار هذه المدينة اصحاب تجارا واكثر تجارتهم فى الجواهر وأموالهم طائلة وهم يسمون الساهة واحدهم سام باهمال السين وهم الاكارم بديار مصر وبدولة آباد العنب والمان ويشمران مرتين فى السنة وهى من اعظم البلاد بحبي وأكبرها خراجا لكثرة عمارتها واتساع عمارتها واخبرت أن بعض الهندود التزم مغارها وعمالتها جميعا وهى كما ذكرناها مسيرة ثلاثة اشهر بسبعة عشر كرورا والسكرور مائة والى مائة ألف دينار واسكنه لم يف بذلك ففى عليه بقية واخذ مائة وسخن جلده

(ذكر سوق المغنيين)

وبمدينة دولة آباد سوق للمغنيين والمغنيات تسمى سوق طرب آباد من أجمل الأسواق وأكبرها فيه الدكاكين الكثيرة كل دكان له باب يفضى الى دار صاحبه وللدار باب سوى ذلك والمانوت مزين بالفرش وفي وسطه شكل مهد كبير تجلس فيه المغنية أو ترقد وهى مزينة بأنواع الحلى وجواربها يحركن مهدها وفي وسط السوق قبة عظيمة مفروشة مزخرفة يجلس فيها أمير المطربين بعد صلاة العصر من كل يوم خميس وبين يديه خدامه وعالميكه وتأق المغنيات طائفة بعد أخرى فيغنين بين يديه ويرقصن إلى وقت المغرب ثم ينصرف وفي تلك السوق المساجد للصلاة ويصلى الأئمة فيها التراويح فى شهر رمضان وكان بعض سلاطين السكندار بالهند إذا مر بهذه السوق ينزل بقبتها ويغنى المغنيات بين يديه وقد فعل

ذلك بعض سلاطين المسلمين أيضا ثم سافرنا إلى مدينة نذر بار (وضبط اسمها بنون وبذل معجم مفتوحين وراء مسكن وباء موحدة مفتوحة وألف وراء) مدينة صغيرة يسكنها المرتته وهم أهل الاتقان في الصنائع والأطباء والمنجمون وشرفاء المرتته هم البراهمة وهم الكثريون أيضا وأكلهم الأرز والخضر ودهن السمسم ولا يرون بتعذيب الحيوان ولا ذبحه ويغتسلون للأكل كغسل الجنابة ولا ينسكحون في أفارهم إلا فيمن كان بينهم سبعة أجداد لا يشربون الخمر وهي عندهم أعظم المعائب وكذلك هي ببلاد الهند عند المسلمين ومن شربها من مسلم جلد ثمانين جلدة وسجن في مطمورة ثلاثة أشهر لا تفتح عليه إلا حين طعامه .

ثم سافرنا من هذه المدينة إلى مدينة صاغر (وضبط اسمها بفتح الصاد المهمل وفتح الغين المعجم وآخره راء) وهي مدينة كبيرة على نهر كبير يسمى أيضا صاغر كما سمها وعليه النواير والبساتين فيها العنب والموز وقصب السكر وأهل هذه المدينة أهل صلاح ودين وأمانة وأحوالهم كلها مرضية ولهم بساتين فيها الزوايا للوارد والصادر وكل من يبنى زاوية يحبس البستان عليها ويجعل النظر فيه لأولاده فإن انقضوا عاد النظر للقضاة والعمارة بها كثيرة والناس يقصدونها للترك بأهلها ولكونها محررة من المغارم والوظائف .

ثم سافرنا من صاغر المذكورة إلى مدينة كنباية (وضبط اسمها بكسر الكاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة وألف وياء آخر الحروف مفتوحة) وهي على خور من البحر وهو شبه الوادى تدخله المراكب وبه المد والجزر وعانفت المراكب به مرسة في الوحل حين الجزر فإذا كان المدعامت في الماء وهذه المدينة من أحسن المدن في اتقان البناء وعمارة المساجد وسبب ذلك أن أكثر مكانها التجار الغرباء فيهم أبدأ يبنون بها الديار الحسنة والمساجد العجيبة ويتنافسون في ذلك ومن الديار العظيمة بها دار الشريف السامري الذي أتفقت لي معه قضية الحلواء وكذبه ملك الهنداء ولم أرقط اصنخم من الخشب الذي رايت به هذه الدار وبابها كأنه باب مدينة وإلى جانبها مسجد عظيم يعرف باسمه ومنها دار ملك التجار السكازروني وإلى جانبها مسجده ومنها دار التاجر شمس الدين كلاه وزو معناه خياط الشواشي .

(حكاية)

ولما وقع ما قدمناه من مخالفة القاضي جلال الأفغانى أراد شمس الدين المذكور والناخودة الياس وكان من كفار أهل هذه المدينة وملك الحكماء الذى تقدم ذكره على أن يمتنعوا منه بهذه المدينة وشرعوا في حفر خندق عليها إذ لا سور لها فتغلب عليهم ودخلها واختفى الثلاثة المذكورون في دار واحدة وخافوا أن يتطلع عليهم فاتفقوا على أن يقتلوا أنفسهم

فضرب كل واحد منهم صاحبه بقتارة وقد ذكرنا صفتها فمات اثنان منهم ولم يمت ملك الحكماء وكان من كبار التجار أيضا بها نجم الدين الحيلاني وكان حسن الصورة كثير المال وبني بهادارا عظيمة ومسجدا ثم بعث السلطان عنه وامره علمها وأعطاه المراتب فكان ذلك سبب تلف نفسه وماله وكان أمير كنيابة حين وصلنا إليها مقبل التناسكي وهو كبير المنزلة عند السلطان وكان في صحبته الشيخ زاده الاصبهاني نائبا عنه في جميع أموره وهذا الشيخ له أموال عظيمة وعنده معرفة بأمور السلطنة ولا يزال يبعث الأموال إلى بلاده ويتجمل في الفرار وبلغ خبره إلى السلطان وذكر عنه أنه يروم الهروب فكتب إلى مقبل أن يبعثه فبعثه على البريد وأحضر بين يدي السلطان ووكل به والعادة عنده أنه متى وكل بأحد قتلنا ينجو فاتفق هذا الشيخ مع الموكل به على مال يعطيه إياه وهو با جميعاً وذكر لي أحد الثقات أنه رآه في ركن مسجد بمدينة قلعات وأنه وصل بعد ذلك إلى بلادهم فحصل على أمواله وآمن مما كان يخافه .

(حكاية)

وأصافنا الملك مقبل يوما بداره فكان من النادر ان يجلس قاضي المدينة وهو أعور العين النبي وفي مقبلته شريف بغدادى شديد الشبه به في صورته وعوره إلا أنه أعور اليسرى فجعل الشريف ينظر الى القاضي ويضحك فنجره القاضي فقال له لا تزجرني فاني أحسن منك قال كيف ذلك قال لانك أعور النبي وأنا أعور اليسرى فضحك الأمير والحاضرون وخجل القاضي ولم يستطع ان يرد عليه والشرفاء ببلاد الهند معظمون أشد التعظيم وكان بهذه المدينة من الصالحين الحاج ناصر من أهل ديار بكر وسكناه بقبعة من قباب الجامع دخلنا إليه واكلنا من طعامه واتفق له لما دخل القاضي جلال مدينة كنيابة حين خلا به أنه أنهاء وذكر للسلطان أنه دعا له فهرب لثلا يقتل كما قتل الحيدري وكان بها أيضا من الصالحين التاجر خواجه اسحاق وله زاوية يطعم فيها الوارد والصادر ويتفق على الفقراء والمساكين وماله على هذا ينمى ويزيد كثرة وسافرنا من هذه المدينة إلى بلد كاوى وهى على خور فيه المد والجزر من بلاد الرى جاليسى الكافر وسند كره وسافرنا منها إلى مدينة قندهار (وضبط اسمها بفتح القاف وسكون النون وفتح الدال المهمل وهاء والفاء وراء) وهى مدينة كبيرة للسكفار على خور من البحر .

(ذكر سلطانها)

سلطان قندهار كافر اسمه جاليسى (بفتح الجيم واللام وسكون النون وكسر السين المهمل) وهو تحت حكم الإسلام ويعطى لملك الهند هدية كل عام لما وصلنا إلى قندهار خرج إلى أستقبا أنا وعظماؤنا أشد التعظيم وخرج عن قصره فانزلنا به وجاء اليينا من عنده من كبار

المسلمين كاولاد خواجه بهره ومنهم الناخوده إبراهيم له ستة من المراكب مخصصة له ومن هذه المدينة ركبنا البحر .

(ذكر ركبنا البحر)

وركبنا في مركب لإبراهيم المذكور تسمى الجاكر (بفتح الجيم والسكاف المعقودة) وجعلنا فيه من خيل الهدية سبعين فرسا وجعلنا باقيها مع خيل أصحابنا في مركب لاختي إبراهيم المذكور يسمى منورت (بفتح الميم ونون وواو مد وراء مسكن وتاء معلولة) وأعطانا جالسي مركبا جعلنا فيه ظهير الدين وسنبل وأصحابهما وجهزة لنا بالماء والزاد والعلف وبعث معنا ولدا في مركب يسمى العكيري (بضم العين المهملة وفتح الكاف وسكون الياء وراء) وهو شبه الغراب إلا أنه أوسع منه وفيه ستون مجذافا ويسقف حين القتال حتى لا ينال الجذافين شيء من السهم ولا الحجارة وكان ركبنا في الجاكر وكان فيه خمسون راميا وخمسون من المقاتلة الخبشة وهم زعماء هذا البحر وإذا كان بالمركب أحد منهم تحاماه لصوص الهنود وكفارهم ووصلنا بعد يومين إلى جزيرة بيرم (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الياء وفتح الراء) وهي خالية وبينها وبين البر أربعة أميال ففز لنا بها واستقمنا الماء من حوض بها وسبب خرابها أن المسلمين دخلوها على السكفار فلم تعمروا بعد وكان ملك التجار الذي تقدم ذكره أراد عمارتها وبني سورها وجعل بها المجانيق واسكن بها بعض المسلمين .

ثم سافرنا منها ووصلنا في اليوم الثاني إلى مدينة فوقفة وهي (بضم القاف الأولى وفتح الثانية) وهي مدينة كبيرة عظيمة الأسواق فرسينا على أربعة أميال منها بسبب الجزر ونزلت في عشاري مع بعض أصحابي حين الجزر لدخل إلها فوحد العشاري في الطين وبقي بيننا وبين البلد نحو ميل فكسنت لما نزلنا في الوحد أتوكا على رجلين من أصحابي وخوفني الناس من وصول المد قبل وصولي إليها وأنا لأحسن السباحة ثم وصلت إليها وطفت بأسواقها ورأيت بها مسجدا ينسب للخضر واليأس عليهما السلام صليت به المغرب ووجدت به جماعة من الفقراء الحيدرية مع شيخ لهم ثم عدت إلى المركب .

(ذكر سلطانها)

وسلطانها كافر يسمى دنسكول (بضم الدال المهملة وسكون النون وضم السكاف وواو ولام) وكان يظهر الطاعة للملك الهند وهو في الحقيقة عاص ولما اقلعنا عن هذه المدينة ووصلنا بعد ثلاثة أيام إلى جزيرة سندابورا (وضبط اسمها بفتح السين المهملة وسكون النون وفتح الدال المهملة والفاء باء موحدة وواو مد وراء) وهي جزيرة في وسطها مست وثلاثون قرية ويدور بها خور وإذا كان الجزر فإؤها عذب طيب وإذا كان المد فهو ملح أجاج وفي وسطها مدينتان أحدهما قديمة من بناء السكفار والثانية بناها المسلمون عند استيلائهم لهذه الجزيرة الفتح

الأول وفيها مسجد جامع عظيم يشبه مساجد بغداد عمره الناحودة حسن والد السلطان جمال الدين محمد الهنوري وسياى ذكره وذكروا عند حضوري معه لفتح هذه الجزيرة الفتح الثاني ان شاء الله وتجاوزنا هذه الجزيرة لما مررنا بها ورسينا على جزيرة صغيرة قريبة من البر فيها كنيسة وبستان وحوض ماء ووجد بها أحد الجوكية .

(حكاية هذا الجوكي)

ولما نزلنا بهذه الجزيرة الصغرى وجدنا بها جوكيا مستندا إلى حائط بدخانة وهي بيت الاصنام وهو فيما بين صنمين منها وعليه أثر المجاهدة فكلبناه فلم يتكلم ونظر ناهل معه طعام فلم نر معه طعاما وفي حين انظرنا صاح صيحة عظيمة فسقطت عند صياحه جوزة من جوز النار جيل بين يديه ودفعها لنا فمعجبنا من ذلك ودفعنا له دنائير ودرهم فلم يقبلها واتيناه بزاد فرده وكانت بين يديه عيامة من صوف الجبال مطروحة فقبلتها بيدي فدفعها لي وكانت بيدي سبعة زيلع فقبلتها في يدي فاعطيته أياها فقررها بيده وشتمها وقبلها وأشار إلى السماء ثم إلى سمت القبلة فلم يفهم أصحابي اشارته ففهمت أنا أنه أشار أنه مسلم يخفي إسلامه من أهل تلك الجزيرة ويتعيش من تلك الجوز ولما ودعناه قبلت يده فأنكر أصحابي ذلك ففهم انكارهم فأخذ يدي وقبلها وتبسم وأشار لنا بالانصراف فانصرفنا .

وكنيت آخر أصحابي خروجا فجذب ثوبي فرددت رأسي إليه فأعطاني عشرة دنائير فلما خرجنا عنه قال لي أصحابي لم جذبك فقلت لهم أعطاني هذه الدنائير وأعطينت لظهير الدين ثلاثة منها ولسنبل ثلاثة وقلت لهما الرجل مسلم ألا ترون كيف أشار إلى السماء يشير إلى أنه يعرف الله تعالى وأشار إلى القبلة يشير إلى معرفة الرسول عليه السلام وأخذ السبحة يصدق ذلك فرجعا لما قلت لهما ذلك إليه فلم يجدها وسافرنا تلك الساعة وبالعقد وصارنا إلى مدينة هنور (وضبط اسمها بكسر الهاء وفتح النون وسكون الواو وراء) وهي على خور كبير تدخله المراكب الكبار والمدينة على نصف ميل من البحر وفي أيام البشكال وهو المطر يشتد هيجان هذا البحر وطغيانه فيبقى مدة أربعة أشهر لا يستطيع أحد ركوبه إلا للتصيد فيه وفي يوم وصولنا إليها جاءني أحد الجوكية من الهنود في خلوة وأعطاني ستة دنائير وقال لي البرهمي بعثا إليك يعنى الجوكي الذي أعطيت السبحة وأعطاني الدنائير فأخذتها منه وأعطينته ديناراً منها فلم يقبله وانصرف وأخبرت أصحابي بالقضية وقلت لهما ان شئتما فخذنا نصيبكما منها فابيا وجعلنا يعجبنا من شأنه وقال لي أن الدنائير الستة التي أعطيتنا إياها جعلنا معها مثلاً وتركنا بين الصنمين حيث وجدناها فطال عجبى من أمره واحتفظت بتلك الدنائير التي أعطانيها وأهل مدينة هنور شافعية المذهب لهم صلاح ودين وجهاد في الحرب وقوة وبذلك عرفوا حتى أذلهم الزمان بعد فتحهم لسنندابور

وسنذكر ذلك ولقيت من المتعبدین بهذه المدينة الشيخ محمد الناقورى اضافنى بزأوته
وكان يطبخ الطعام بيده استقذاراً للجارية والغلام ولقيت بها الفقيه اسماعيل معلم كتاب
الله تعالى وهو ورع حسن الخلق كريم النفس والقاضى بها نور الدين عليا والخطيب
لا أذكر اسمه ونساء هذه المدينة وجميع هذه البلاد الساحلية لا يلبس المخيط وإنما يلبس
ثيابا غير منخبطة تحتزم إحداهن بأحد طرفى الثوب وتجعل باقيه على رأسها وصدرها
ولهن جمال وعفاف وتجعل إحداهن خرص ذهب فى انفها ومن خصائصهن انهن جميعا
يحفظن القرآن الكريم ورأيت بالمدينة ثلاثة عشر مكتبا لتعليم البنات وثلاثة وعشرين
لتعليم الأولاد ولم أر ذلك فى سواها ومعاش أهلها من التجارى فى البحر ولا زرع لهم
وأهل بلاد الملبسار يعطون للسلطان جمال الدين فى كل عام شيئا معلوما خوفا منه لقوته
فى البحر وعسكره نحو ستة آلاف بين فرسان ورجال.

(ذكر سلطان هنور)

وهو السلطان جمال الدين محمد بن حسن من خيار السلاطين وكبارهم تحت حكم سلطان
كافر يسمى هريب سنذكره والسلطان جمال الدين مواظب للصلاة فى الجماعة وعادته أن
يأتى إلى المسجد قبل الصبح فيتلو فى المصحف حتى يطلع الفجر فيصلى أول وقت ثم
يركب إلى خارج المدينة ويأتى عند الضحى فيركع فيه ثم يدخل فيه ثم يدخل إلى قصره
وهو يصوم الأيام البيض وكان أيام اقامتى عنده يدعونى للافطار معه فاحضر لذلك
ويحضر الفقيه على والفقيه اسماعيل فتوضع أربع كراسى صغار على الأرض فيعقد على
أحداها ويقعد كل واحد منا على كرسى .

(ذكر ترتيب طعامه)

وترتيبه ان يؤتى بمائدة نحاس يسمونها خونجة ويجعل عليها طبق نحاس يسمونه الطالم (يفتح
الطام المهمل وفتح اللام) وتأتى جارية حسنة ملتحفة بثوب حرير فتقدم قدور الطعام
بين يديه ومعها مغرفة نحاس كبيرة فتغرف بها من الأرض مغرفة واحدة وتجعلها فى الطالم
وتصب فوقها السمن وتجعل مع ذلك عنقايد الفلفل المملوح والزنجبيل الأخضر والليمون
المملوح والعنبا فىا كل الإنسان لقعة ويلبها بشيء من تلك الموالح فإذا تمت الغرفة التى
جعلها فى الطالم غرفت غرفة أخرى من الأرض وأفرغت دجاجة مطبوخة فى سكرجه فيؤكل
بها الأرض أيضا فإذا تمت المغرفة الثانية وغرفت وأفرغت لونا آخر من الدجاج تؤكل به
فإذا تمت ألوان الدجاج أتوا بالوان من السمك فىا كلون بها الأرض أيضا فإذا فرغت
ألوان السمك أتوا بالخضر مطبوخة بالسمن والألباب فىا كلون بها الأرض فإذا فرغ ذلك
كله أتوا بالكوشان وهو اللبن الرائب وبهذا يختمون طعامهم فإذا وضع علم أنه لم يبق شيء .

يؤكل بعده ثم يشربون على ذلك الماء الساخن لأن الماء البارد يضرهم في فصل نزول المطر ولقد أقيمت عند هذا السلطان في كرة أخرى أحد عشر شهر الم آكل خبزاً أتم طعامهم الأرض وبقيت أيضاً بجزائر المهل وسيلان وبلاد المعير والمليبار ثلاث سنين لا آكل فيها إلا الأرض حتى كشت لا استسيغه إلا بالماء ولباس هذا السلطان ملاحف الحرير والسكتان الرقاق يشد في وسطه فوطاة ويلتحف ملحمتين أحدهما فوق الأخرى ويقص شعره ويلف عليه عمامة صغيرة وإذا ركب لبس قباء والتحف بملاحفتين فوقه وتضرب بين يديه طبول وأبواق يحملها الرجال وكانت أقامتنا عنده في هذه المرة ثلاثة أيام وزودونا وسافونا عنه .

وبعد ثلاثة أيام وصلنا إلى بلاد المليبار (بضم الميم وفتح اللام وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة والفاء وراء) وهي بلاد الفلفل وطولها مسيرة شهرين على ساحل البحر من سندابور إلى كولم والطريق في جميعها بين ظلال الأشجار وفي كل نصف ميل بيت من الخشب فيه دكاكين يقعد عليها كل ورد وصادر من مسلم وكافر وعند كل بيت منها بئر يشرب ورجل كافر موكل بها فمن كان كافراً سقاء في الأواني ومن كان مسلماً سقاء في يديه ولا يزال يصب له حتى يشير له أو يكف وعادة الكفار ببلاد المليبار أن لا يدخل المسلم دورهم ولا يطعم في أوانهم فإن طعم فيها كسروها وأعطوها للمسلمين وإذا دخل المسلم موضعاً منها لا يكون فيه دار للمسلمين طبخوا له الطعام وصبوه له على أوراق الموز وصبوا عليه الإدام وما فضل عنه يأكلونه الكلاب والطير وفي جميع المنازل بهذا الطريق ديار للمسلمين ينزل عندهم المسلمون فيبيعون منهم جميع ما يحتاجون إليه ويطبخون لهم الطعام ولولاهم لما سافر فيه مسلم وهذا الطريق ذكرنا أنه مسيرة شهرين ليس فيه موضع شبر فما فوقه دون عمارة وكل انسان يستانه على حدة وداره في وسطه وعلى الجميع حائط خشب والطريق يمر في البستانين فإذا انتهى إلى حائط بستان كان هنالك درج خشب يصعد عليها ودرج آخر ينزل عليها إلى البستان الآخر هكذا مسيرة الشهرين .

ولا يسافر أحد في تلك البلاد بدابة ولا تسكون الخيل الا عند السلطان وأكثر ركوب أهلها في دولة على رقاب العبيد أو المستأجرين ومن لم يستطع أن يركب ركب في دولة مشى على قدميه كائناً من كان ومن كان له رحل أو متاع من تجارة وسواها اكترى رجالاً يحملونه على ظهورهم فترى هنالك التجار ومعه المائة فادونها أو فوقها يحملون امتعته ويبدل واحد منهم عود غليظ له زج حديد وفي أعلاها مخفاف حديد فإذا أعياء لم يجدد كانه يستريح عليها ركن عوده بالأرض وعلق حمله منه فإذا استراح أخذ حمله من غير معين ومضى به ولم أره يقا أمن من هذا الطريق وهم يقتلون السارق

على الجوزة الواحدة فاذا سقط شيء من الثمار لم يلقطه أحد حتى يأخذه صاحبه وأخبرت أن بعض الهندوسى على الطريق فالتقط أحدهم جوزة وبلغ خبره إلى الحاكم فامر بعوده فركز في الأرض ويرى طرفه الأعلى وأدخل في لوح خشب حتى يزن منه ومد الرجل على اللوح وركز في العود وهو على بطنه حتى خرج من ظهره وترك عبرة للنظرين ومن هذا العيدان على هذه الصورة بتلك الطرق كثيرا ليراها الناس فيتعظوا ولقد كنا نلقى السكفار بالليل في هذه الطريق فاذا رأوا أننا نتجوزوا عن الطريق حتى تجوزوا والمسلمون أعز الناس بها غير أنهم كما ذكرنا لا يواكلونهم ولا يدخلونهم دورهم وفي بلاد المليبار اثني عشر سلطانا من السكفار منهم القوى الذى يبلغ عسكره خمسين ألفا ومنهم الضعيف الذى عسكره ثلاثة آلاف ولا فتنة بينهم البتة ولا يطمع القوى منهم فى انتزاع ما يبد الضعيف ويبن بلاد أحدهم وصاحبه باب خشب منقوش فيه اسم الذى هو مبد أعماله ويسمونه باب أمان فلان ولا ذافر مسلم أو كافر بسبب جنائيه من بلاد أحدهم ووصل إلى بلاد أمان الآخر آمن على نفسه ولم يستطع الذى هرب عنه أخذه وإن كان القوى صاحب العدد والجيش وسلاطين تلك البلاد يورثون ابن الاخت منكم دون أولادهم ولم أر من يفعل ذلك إلا مسوفة أهل التلم (الثام) وستذكرهم فيما بعد إذا أراد السلطان من أهل بلاد المليبار منع الناس من البيع والشراء امر بعض غلمانه فعلق على الحوائث بعض أغصان الأشجار بأوراقها فلا يبيع أحد ولا يشتري ما دامت عليها تلك الأغصان

(ذكر الفلفل)

وشجرات الفلفل شبيهة بدوالى العنب وهم يفرسونها إذا النار جيل فتصعد فيها كصعود لدوالى ليس لها عسلوج وهو الغزل كما للدوالى وأوراق شجره تشبه آذان الخيل بعضها يشبه أوراق العليق ويشعر عناقيد صغارا حبا كحب أبى قنينة إذا كانت خضراء وإذا كان أوان الخريف قطفوه وفرشوه على الحصر فى الشمس كما يصنع بالعنب عند تزيينه ولا يزالون يقلبونه حتى يستحكم يلبسه ثم يبيعونه من التجار والعامة ببلادنا أنهم يقلبونه بالنار وبسبب ذلك يحدث فيه التكريش وليس كذلك وإنما يحدث ذلك فيه بالشمس ولقد رأيته بمدينة القوط يصب للسكيل كالذرة ببلادنا وأول مدينة دخلناها من بلاد المليبار مدينة أبى سرور (بفتح السين) وهى صغيرة على خور كبير كثيرة أشجار النار جيل وكثير المسلمين بها الشيخ جمعه المعروف بأبى ستة أحد السكرماء أنفق أمواله على الفقراء والمساكين حتى فقدت وبعد يومين منها وصلنا إلى مدينة فاكور (وضبط اسمها بفتح الفاء والكاف والنون وآخره راء) مدينة كبيرة على خور بها قصب السكر السكشير الطيب الذى لا مثل له بتلك

البلاد وبها جماعة من المسلمين يسمى كبيرهم بحسين السلاط وبها قاض وخطيب وعمر بها حسين المذكور مسجدا لإقامة الجمعة .

(ذكر سلاطينها)

وسلطان فاكشور كافر اسمه باسدو (بفتح الباء الموحدة والسين المهملة والدال المهملة وسكون الواو) وله نحو ثلاثين مركبا حربية قائدها مسلم يسمى لولا وكان من المفسدين يقطع بالبحر ويسلب التجار ولما أرسينا على فاكشور وبعث سلطانها إلينا ولده فأقام بالمركب كالرهيئة ونزلنا إليه فأضافنا ثلاثا بأحسن ضيافة تعظيما لسلطان الهند وقيامه بحقه رغبة فيما يستفيد في التجارة مع أهل مراكبنا ومن عاداتهم هنالك أن كل مركب يمر ببلد فلا بد من إرساله بها وإعطائه هدية إلى صاحب البلد يسعون بها حق البندرو ومن لم يفعل ذلك خر جرا في اتباعه بمراكبهم وادخلوه المرسى قهرا وضاعفوا عليه المخرم ومنعوه عن السفر ماشاوا وسافروا منها فوصلنا بعد ثلاثة أيام إلى مدينة منجور (وضبط اسمها بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وضم الراء وواو وراء ثانيه) مدينة كبيرة على خور يسمى خور الدنب (بضم الدال المهملة وسكون النون وياء موحدة) وهو أكبر خور ببلاد المليبار وبهذه المدينة ينزل معظم تجار فارس واليمن والفلفل والزنجبيل بها كثير جدا .

(ذكر سلاطينها)

وهو أكبر سلاطين تلك البلاد واسمه رام دو (بفتح الراء والميم والدال المهملة وسكون الواو وبها نحو أربعة آلاف من المسلمين يسكنون ربضا بناحية المدينة ربما وقعت الحرب بينهم وبين أهل المدينة فيصالح بينهم لحاجته إلى التجار وبها قاض من الفضلاء السكر ماء شافعي المذهب يسمى بدر الدين المعيرى وهو يقرى العلم صعد إلينا إلى المركب ورغب منا في النزول إلى بلده فقلنا حتى يبعث ولده يقيم بالمركب فقال إنما يفعل ذلك سلطان فاكشور لأنه لا قوة للمسلمين في بلده وأما نحن فالسلطان يخافنا فأبينا عليه إلا أن يبعث السلطان ولده كما فعل الآخر ونزلنا إليهم فأكرمونا أكراما عظيما وأقنعنا عنده ثلاثة أيام ثم سافروا إلى مدينة هيلي فوصلناها بعد يومين (وضبط اسمها بهاء مكسورة وياء مدولام مكسور) وهي كبيرة حسنة العمارة على خور عظيم تدخله المراكب السكبار وإلى هذه المدينة تنهى مراكب الصين لا تدخل إلا مرساها ومرسى كولم وقالقوط ومدينة هيلي معظمة عند المسلمين والسكراف بسبب مسجدتها الجامع فإنه عظيم البركة مشرق النور وركاب البحر ينزرون له النذور الكثيرة وله خزانة مال عظيمة تحت نظر الخطيب حسين وحسن الوزان كبير المسلمين وبهذا المسجد جماعة من الطلبة يتعلمون العلم ولهم مرتبات من مال المسجد وله مطبخة يصنع فيها الطعام للوارد والصادر ولإطعام الفقراء من المسلمين بها ولقيت بهذا (٨ — رحلة — ثانى)

المسجد فقيها صالحا من أهل مقدشو يسمى سعيدا حسن اللقاء والخلق يسر الصوم وذكر أنه جاور بمكة أربع عشر سنة ومثلها بالمدينة وأدرك الأمير بمكة أبا نجي والأخير بالمدينة منصور ابن جواز وسافر في بلاد الهند والصين ثم سافرنا من هيلي مدينة جرفتن (وضبط اسمها بضم الجيم وسكون الراء وفتح الفاء وفتح التاء المعلوثة وتشديد ها وآخره نون) وبينه وبين هيلي ثلاثة فراسخ ولقيت بها فقيها من أهل بغداد كبير القدر يعرف بالصرصرى نسبة إلى بلدة على مسافة عشرة أميال من بغداد في طريق السكوفة واسمها كاسم صرصر التي عندنا بالمغرب وكان له أخ بهذه المدينة كثير المال له أولاد صغار أوصى إليهم وتركته أخذنا في حملهم إلى بغداد وعادة أهل الهند كمادة السودان لا يتعوضون لمال الميت ولو ترك الآلاف إنما يبقى ماله بيد كبير المسلمين حتى يأخذه مستحقه شرعا

(ذكر سلطانها)

وهو يسمى بكويل (بضم الكاف على لفظ التصغير) وهو من أكبر سلاطين المليبار وله مراكب كثيرة تسافر إلى عمان وفارس واليمن ومن بلاده فتن وبدفتن وسندكر هما وسرنا من جرفتن إلى مدينة ده فتن (بفتح الدال المهملة وسكون الهاء) وقد ذكرنا ضبط فتن وهي مدينة كبيرة على خور كثيرة البساتين وبها النارجيل والفلفل والفوفل والتنبول وبها القلغاص السكشير ويطبخون به اللحم وأما الموز فلم أر في البلاد أكثر منه ولا أرخص ثمنا وفيها البابين الأعظم طوله خمسمائة خطوة وعرضه ثلاثمائة خطوة وهو مطوى بالحجارة الحجر المنحوتة وعلى جوانبه ثمان وعشرون قبعة من الحجر في كل قبعة أربع بجائس من الحجر وكل قبعة يصعد إليها على درج حجارة وفي وسطها قبعة كبيرة من ثلاث طبقات في كل طبقة أربع بجائس وذكر لي أن والدهذا (س) كويل هو الذي عمر هذا البابين وبازائه مسجد جامع المسلمين وله أدراج ينزل منها إليه فيتوضأ منه الناس ويغتسلون وحدثني الفقيه حسين أن الذي عمر المسجد والبابين أيضا هو أحد أجداد كويل وأنه كان مسلما ولا سلامه خبر عجيب نذكره.

(ذكر الشجرة العجيبة الشأن التي بازاء الجامع)

ورأيت أنا بازاء الجامع شجرة خضراء تشبه أوراقها أوراق التين إلا أنها لينتة وعليها حائط يطيف بها وعندها محراب صلبيت فيه ركعتين واسم هذه الشجرة عندهم درخت الشهادة ودرخت (بفتح الدال المهملة والراء وسكون الخاء المعجمة وتاء معلوثة) واخبرت هنالك أنه إذا كان زمان الخريف من كل سنة تسقط من هذه الشجرة ورقة واحدة بعد أن يستحيل لونها إلى الصفرة ثم إلى الحمرة ويكون فيها مكتوبا بقلم القدرة لا اله الا الله محمد

رسول الله وأخبرني الفقيه حسين وجماعة من الثقات أنهم عاينوا هذه الورقة وقرأوا المكتوب الذي فيها وأخبرني أنه إذا كانت أيام سقوطها قد تحتمل الثقات من المسلمين والكفار فإذا سقطت أخذ المسلمون نصفها وجعلوا نصفها في خزانة (س) الكافروهم يستشفون بها للمرضى وهذه الشجرة كانت سبب إسلام جد كويل الذي عمر المسجد والباين فإنه كان يقرأ الخط العربي فلما قرأها وفهم ما فيها أسلم وحسن إسلامه وحكايته عندهم متواترة وحدثني الفقيه حسين أن أحداً ولاده كفر بعد أبيه وطمع وأمر باقتلاع الشجرة من أصلها فاقطعت ولم يترك لها أثر ثم نبئت بعد ذلك وعادت كأحسن ما كانت عليه وهلك الكافر سرى ثم سافرنا إلى مدينة بدفتن وهي مدينة كبيرة على خور كبير وبخارجها مسجد بمقربة من البحر يأوى إليه غرباء المسلمين لأنه لا مسلم بهذه المدينة ومرسأها من أحسن المراسى وماؤها عذب والفوفل بها كثير ومنها يحمل للهند والصين وأكثر أهلها براهمة وهم معظومون عند الكفار مبغضون في المسلمين ولذلك ليس بينهم مسلم

﴿ حكاية ﴾

أخبرت أن سبب تركهم هذا المسجد غير مهذوم أن أحسد البراهمة خرب سقفه ليصنع منه سقفاً لبيته فاشتعلت النار في بيته فأحرق هو وأولاده ومثاعه فأحترقوا وهذا المسجد ولم يضر ضواؤه بسوء بعدها وخدموه وجعلوا بخارجه الماء يشرب منه الصادر والوارد وجعلوا على بابه شبكة لئلا يدخله الطير ثم سافرنا من مدينة بدفتن إلى مدينة غندرينا (وضبط اسمها بقاء مفتوح ونون ساكن ودال مهمل وراء مفتوحة وياء آخر الحروف) مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين وأسواق وبها للمسلمين ثلاث محلات في كل محلة مسجد في الجامع بها على الساحل وهو عجيب له مناظر ومجالس على البحر وقاضيهما وخطيبهما رجل من أهل عمان وله أخ فاضل وبهذه البلدة تشتو مراكب الصين ثم سافرنا منها مدينة قالقوط (وضبط اسمها بقافين وكسر اللام وضم القاف الثاني وآخره طاء مهمل) وهي إحدى البنادر العظام ببلاد المليبار يقصدها أهل الصين والجاوة وسيلان والمهل وأهل اليمن وفارس ويجتمع بها تجار الآفاق ومرسأها من أعظم مراسى الدنيا .

﴿ ذكر سلطانها ﴾

وسلطانها كافر يعرف بالسامري شيخ مسن يخلق لحيته كما يفعل طائفة من الروم رأيت بها وسنذكره إن شاء الله وأمير التجار بها إبراهيم شاه بنذر من أهل البحرين فاضل ذو مكارم يجتمع إليه التجار ويأكلون في سماطه وقاضيهما نضر الدين عثمان فاضل كريم وصاحب الزاوية بها الشيخ شهاب الدين الكازروني وله تعطى النذور التي ينذر بها أهل الهند والصين

للشيخ أبي إسحاق السكازوني نفع الله به وبهذه المدينة الناخودة مثقال الشبير الاسم صاحب الأموال الطائلة والمراكب الكثيرة لتجارته بالهند والصين واليمن وفارس ولما وصلنا إلى هذه المدينة خرج إلينا إبراهيم شاه بندر والقاضي والشيخ شهاب الدين وكبار التجار ونائب (س) الكافر والمسعى بقلاج (بضم القاف وآخره حيم) ومعهم الأهالي والآفار والأبواق والأعلام في مراكبهم ودخلنا المرسى في بوزعظيم مارأيت مثله بتلك البلاد فكانت فرحة تسمعها ترحه وأقمنا بمساها وبه يومئذ ثلاثة عشر من مراكب الصين ونزلنا بالمدينة وجعل كل واحد منا في دار وأقمنا ننتظر زمان السفر إلى الصين ثلاثة أشهر ونحن في ضيافة السكافر وبحر الصين لا يسافر فيه إلا بمراكب الصين ولذا ذكر ترتيبها

(ذكر مراكب الصين)

ومراكب الصين ثلاثة أصناف السكبار منها تسمى الجنوك واحدها جنك (بحجم معقود مضموم ونون ساكن) والمتوسطة اسمها الزو (بفتح الزاي وواو) والصغار اسم أحدها السككم (بكافين مفتوحين) ويكون في المركب السكبير منها اثنا عشر قدما فادونها إلى ثلاثة وقدما من قضبان الخيزران منسوجة كالخصر لا تحطأ بدا ويديرونها بحسب دوران الريح وإذا أرسوا تركوها واقفة في مهب الريح ويتخدم في المركب منها ألف رجل منهم البحرية ستمائة ومنهم أربع مائة من المقاومة تكون فيهم الرماة وأصحاب الدرق والجرخية وهم الذين يرمون بالنقط ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة النصفين والثلاثي والربعي ولا تصنع هذا المراكب إلا بمدينة الزيتون من الصين أو بصين كلان وهي صين الصين وكيفية انشاؤها أنهم يصنعون حائطين من الخشب يصاون ما بينهما بخشب ضخم جدا موصولة بالعرض والطول بمسامير ضخام طول المسار منها ثلاثة أذرع فإذا النام الحائطان بهذه الخشب صنعوا على أعلاهما فرش الأسفل ودفعوهما في البحر وأتموا عمله وتبقى تلك الخشب والحائطان موالية البناء ينزلون فيختمسلون ويقضون حاجتهم وعلى جوانب تلك الخشب يكون مجاذيفهم وهي كبار كالصواري يجتمع على أحدها العشرة والخمسة عشر رجلا ويجذفون وقوا على أقدامهم ويجعلون المركب أربعة ظهور ويكون فيه البيوت والمصارى والغرف للتجار والمصرية منها يكون فيه البيوت والسنداس وعليها المحتاج يسدها صاحبها ويحمل معه الجوارى والنساء وربما كان الرجل في مصر يته فلا يعرف به غيره ممن يكون بالمركب حتى يتلاقيا إذا وصلا بعض البلاد والبحرية يسكنون فيه أولادهم ويذرعون الخضرة والبقول والزنجبيل في أحواض خشب ووكيل المركب كأنه أمير كبير وإذا نزل إلى البر مشى الرماة والخيشة بالخراب

والسيوف والاطبال والابواق والانفار امامه وإذا وصل إلى المنزل الذي يقيم به ركروا
وماحهم عن جانبي بابه ولا يزالون كذلك مدة إقامته ومن أهل الصين من تكون له المراكب
الكثيرة يبعث بها وكلامه إلى البلاد وليس في الدنيا أكثر أموالاً من أهل الصين

﴿ ذكر أخذنا من السفر إلى الصين ومنتهى ذلك ﴾

ولما حان وقت السفر إلى الصين جهز لنا السلطان السامري جنسكا من الجنوك الثلاث
عشر التي يرسى قالقووط وكان وكيل الجنك يسمى بسلامان الصفدى الشامى وبني ويثنه
معرفة فقلت له أريد مصرية لا يشاركني فيها أحد لأجل الجواري ومن عاذق أن لا أسافر
إلا بهن فقال ان تجار الصين قد أكثروا المصارى ذاهبين وراجعين ولصهرى مصرية
أعطيتها لسكرتها لاستئناس فيها وعسى أن تتمكن معاوضتها فأمرت أصحابي فأسقوا ما عندى
من المتاع وصعد العبيد والجواري إلى الجنك وذلك في يوم الخميس وأقمنا لأصلى الجمعة
وألقى بهم وصعد الملك سنبل وظهير الدين مع الهدية ثم ان قتيلى يسمى بهلال أتاني غدوة
الجمعة فقال ان المصرية التي أخذناها بالجنك ضيقة لا تصلح فذكرت ذلك للناخودة فقال
ليست في ذلك حيلة فإن أحببت أن تكون في السككم ففسيه المصارى على اختيارك فقلت
نعم وأمرت أصحابي فتملوا الجواري والمتاع إلى السككم واستقر وابه قبل صلاة الجمعة وعادة
هذا البحر ان يشتد هيجاً نكل يوم بعد العصر فلا يستطيع أحد ركوبه وكانت الجنوك
قد سافرت ولم يبق منها إلا الذى فيه الهدية وجنك عزم أصحابه على ان يشتوا بفندرينا
والسككم المذكور فبئنا ليلة السبت على الساحل لا نستطيع الصعود إلى السككم ولا يستطيع
من فيه النزول اليسا ولم يكن بقى معى إلا بساط افترشه وأصبح الجنك والسككم يوم السبت
على بعد من المرسى ورعى البحر بالجنك الذى كان أهله يريدون فندرينا فتكسر ومات
بعض أهله وسلم بعضهم وكانت فيه جارية لبعض التجار عريضة عليه فرغب فى إعطاء عشرة
دنانير ذهباً لمن يخرجها وكانت قد التزمت خشبة فى مؤخر الجنك فانتدب لذلك بعض
البحرية الهرمزيين فأخرجها وأبى أن يأخذ الدنانير وقال إنما فعلت ذلك لله تعالى ولما كان
الليل رعى البحر بالجنك الذى كانت فيه الهدية فمات جميع من فيه ونظرنا عند الصباح
إلى مصارعهم ورأيت ظهير الدين قد انشق رأسه وتناثر دماغه والملك سنبل قد ضرب
مسبار فى أحد صدغيه ونفذ من الآخر وصلبنا عليهما ودفنهما ورأيت الكافر سلطان
قالقووط فى وسطه شقة ببضاء كبيرة قد لفها من سترته إلى ركبته وفى رأسه عمامة صغيرة
وهو حافى القدمين والشطر بيد غلام فوق رأسه والنار توقد بين يديه فى الساحل وزبانية

يضرِبون الناس ثلثا يشتموا ما يرى البحر وعادة بلاد المليبار أن كل ما انكسر من مركب يرجع ما يخرج منه للدخزن إلا في هذا البلد خاصة فان ذلك يأخذه أربابا به ولذلك عمرت وكثر تردد الناس اليها ولما رأى أهل السككم ما حدث على الجنك رفعوا قلعهم وذهبوا معهم جميع متاعى وغلمانى وجوارى وبقيت منفردا على الساحل ليس معى إلا فتى كنت أعتقته فلما رأى ما حل بى ذهب عنى ولم يبق عندى إلا العشرة الدنانير التى اعطانيها الجوكى والبساط التى كنت افترشه واخبرنى الناس ان ذلك السككم لا بد له أن يدخل مرسى كولم فعزمت على السفر لايها وبينهما مسيرة عشر فى البر أو فى النهر أيضاً لمن أراد ذلك فسافرت فى النهر واكتريت رجلا من المسلمين يحمل لى البساط وعادتهم إذا سافروا فى ذلك النهر أن ينزلوا بالاعتشى فيبيتوا بالقرى التى على حافته ثم يعودوا الى المركب بالغدو فسكننا نفعل ذلك ولم يسكن بالمركب مسلم إلا الذى اكتريته وكان يشرب الخمر عند السكفار اذا نزلنا ويعربد على فيزيد خاطرى ووصلنا فى اليوم الخامس من سفرنا الى كنجى كرى (وضبط اسمها بكاف مضموم ونون ساكن وجيم وياء مد وكاف مفتوح وراء مكسور وياء) وهى باعلى جبل هنالك يسكنها اليهود ولهم أمير منهم ويؤدون الجزية لسلطان كولم ﴿ ذكر القرقة والبقم ﴾

وجميع الأشجار التى على هذا النهر أشجار القرقة والبقم وهى حطبهم هنالك ومنها كنا نقدر النار لطبخ طعامنا فى ذلك الطريق وفى اليوم العاشر وصلنا الى مدينة كولم (وضبط اسمها بفتح الكاف واللام وبينهما واو) وهى أحسن بلاد المليبار وأسواقها حسان وتجارها يعرفون بالصولييين (بصم الصاد) لهم أموال عريضة يشتري أحدهم المركب بمافية ويوسقه من داره بالسلاح وبها من التجار المسلمين جماعة كبيرهم علاء الدين الاوجى من أهل آوامة من بلاد العراق وهو رافضى ومعه اصحاب له على مذهبه وهم يظهرون ذلك وقاضيا فاضل من أهل قزوين وكبير المسلمين بها محمد شاه بندروله أخ فاضل كريم اسمه تقي الدين والمسجد الجامع بها عجيب عمره التاجر خواجه مهذب وهذه المدينة أول ما يوالى الصين من بلاد المليبار واليه يسافر أكثرهم والمسلمون بها اعزة محترمون ﴿ ذكر سلطانها ﴾ وهو كافر يعرف بالتيورى بكسر التاء المعلو وياء مد وراء واو مفتوحين وراء مكسورة وياء) وهو معظم للمسلمين وله أحكام شديدة على السراق والدعار

﴿ حكاية ﴾

وبما شاهدت بكولم ان بعض الرماة العراقيين قتل آخر منهم وفر الى دار الاوجى وكان له ماله كثير واراد المسلمون دفن المقتول فنهجم نواب والسلطان من ذلك وقالوا لا يدفن حتى تدفعوا

لنا قاتله فيقتل به وتركوه في تابوته على باب الأوجي حتى أتته وتغير فسكنهم الأوجي من القاتل ورغب منهم أن يعطيهم أمواله ويتركوه حياً فأبوا ذلك وقتلوه وحينئذ دفن المقتول (حكاية) أخبرت أن (س) كوله ركب يوماً إلى خارجها وكان طريقه فيما بين البساتين ومعه صهره زوج بنته وهو من أبناء الملوك فأخذ حبة واحدة من العنبة سقطت من بعض البساتين وكان (س) ينظر إليه فأمر به عند ذلك فوسط وقدم نصفين وصلب نصفه عن يمين الطريق ونصفه الآخر عن يساره وقسمت حبة العنبة نصفين فوضع على كل نصف منه نصف منها وترك هنالك عبرة للناظرين

(حكاية)

ومما اتفق نحو ذلك بقا لقوط أن ابن أخى النائب عن سلطانها غصب سيفاً لبعض تجار المسلمين فشكا بذلك إلى ابن عمه فوعده بالنظر في أمره وقعد على باب داره فإذا بابن أخيه متقلد ذلك السيف فدعاه فقال هذا سيف المسلم قال نعم قال اشترته منه قال لا فقال لا عوانا مسكوه ثم أمر به فضربت عنقه بذلك السيف وأقت بكولم مدة بزاية الشيخ نخر الدين ابن الشيخ شهاب الدين الكازروني شيخ زاوية قال قوط فلم أعرف لككم خبراً وفي أثناء مقامى بها دخل إليها ارسال ملك الصين الذين كانوا معنا وكانوا مع أحد تلك الجنود فانسكرا أيضاً فكساهم تجار الصين ودعادوا إلى بلادهم ولقيتهم بها بعد وأردت أن أعود من كوله إلى (س) لأعلمه بما اتفق على الهدية ثم خفت أن يتعقب فعلى ويقول لم فارقت الهدية فعزمت على العودة إلى (س) جمال الدين الهنوزي وأقيم عنده حتى أعرف خبر الككم فعدت إلى قال قوط ووجدت بها بعض مراكب (س) فبعث فيها أميراً من العرب يعرف بالسيّد أبي الحسن وهو من البرددارية وهم خواص البوا بين بعثه (س) بأموال يستجاب بها من قدر عليه من العرب من أرض هرمز والقطيف لمحجته في العرب فتوجهت إلى هذا الأمير ورأته عازماً على أن يشتري بقا لقوط وحينئذ يسافر إلى بلاد العرب فشاورته في العودة إلى (س) فلم يوافق على ذلك فسافرت بالبحر من قال قوط وذلك آخر فصل السفر فيه فكنا نسير نصف النهار الأول ثم نرسوا إلى الغدولقيتنا في طريقنا أربعة أجفان غزويين فغنمنا منها ثم لم يتعرضوا لنا بشراً وصلنا إلى مدينة هنوز فنزلت إلى (س) وسلمت عليه فأزاني بدار ولم يكن لي خديم وطالب مني أن أصلي معه الصلوات فكان أكثر جلوسى في مسجده وكنت أختتم القرآن كل يوم ثم كنت أختتم مرتين في اليوم أبتدىء القراءة بعد صلاة الصبح فأختتم عند الزوال واجدد الوضوء وابتدىء القراءة فاختم الختمة الثانية عند الغروب ولم أزل كذلك مدة ثلاثة أشهر واعتكفت فيها أربعين يوماً

(ذكر توجهنا الى الغزو وفتح سندابور)

وكان السلطان جمال الدين قد جهز المئين وخمسين مركبا وسفرتة برسم غزو سندابور وكان وقع بين سلطانها وولده خلاف فسكتب ولده الى (س) جمال الدين أن يتوجه لفتح سندابور ويسلم الولد المذكور ويوجه (س) أخته فلما تجهزت المراكب ظهر لي أن أتوجه فيها الى الجهاد ففتحت المصحف انظر فيه فكان في أول الصفحة يذكر فيه اسم الله كثيرا وليس من الله من ينصره فاستبشرت بذلك واتى (س) الى صلاة العصر فقلت له انى أريد السفر فقال فأنت إذا تكون أميرهم فأخبرته بما خرج لي في أول الصفحة فاعجبته ذلك وعزم على السفر بنفسه ولم يكن ظهر له ذلك قبل فركب مركبا منها وأنا معه وذلك في يوم السبت فوصلنا عشي الاثنين الى سندابور ودخلنا خورها فوجدنا أهلها مستعدين للحرب وقد نصبوا المجانيق فبئنا عليها تلك الليلة فلما أصبح ضربت الطبول والانفاز والابواق وزحفت المراكب ورمت عليها بالمجانيق فلندرايت حجرا أصاب بعض الواقفين بمقربة من (س) ورمى أهل المراكب أنفسهم في الماء وبأيديهم الترس والسيوف ونزل (س) الى العكيرى وهو شبه الشاير ورميت بنفسى في الماء في جملة الناس وكان عندنا طريدتان مفتوح حتى الماخر فيهما الخيل وهى بحيث يركب الفارس فرسه في جوفها ويتدرع ويخرج ففعلوا ذلك واذن الله في فتحها وأنزل النصر على المسلمين فدخلنا بالسيوف ودخل معظم الكفار في قصر سلطانها فرميننا النار فيه فخرجوا وقبضنا عليهم ثم أن (س) أمهم ورد لهم نساهم وأولادهم وكانوا نحو عشرة آلاف وأسكنهم برض المدينة وسكن (س) القصر وأعطى الديار بمقربة منه لاهل دولته واعطانى جارية منهن تسمى بلسكى قسميتها مباركة وادزوجها فداءها فابيت وكسانى فرجية مصرية وجدت في خزان الكافر واقمت عنده بسندابور من يوم فتحها وهو الثالث عشر لجمادى الاولى الى منتصف شعبان وطلبت منه الاذن في السفر فأخذ على العهد في العودة اليه وسافرت في البحر الى هنور ثم الى فاكنور ثم الى منجور ثم الى هيلي ثم الى جرفتن ردهفتن وبدفتن وفندرينا وقالقوط وقد تقدم ذكر جميعها ثم الى مدينة الشاليات (وهى بالشرين المعجم والف ولام وياء آخر الحروف والف واء معلوة) مدينة من حسان المدن تصنع بها الشيايب المنسوبة لها واقمت بها فطال مقامى فعدت الى قالقوط ووصل اليها غلامان كانا لى بالاسككم فأخبرانى ان الجارية التى كانت حاملا وبسببها كان تغير خاطرى توفيت وأخذ صاحب الجاوة سائر الجوارى واستولت الايدى على المتاع وتفرق أصحابى الى الصين والجاوة بنجالة فعدت ولما تعرفت هذا الى هنور ثم الى سندابور فوصلنا في آخر المحرم واقمت بها

الى الثاني من شهر ربيع الآخر وقدم سلطانهم الكافر الذي دخلنا عليه برسم أخذها وهرب
اليه الكفار كلهم وكانت عساكر (س) متفرقة في القرى فانقطعت أعناقهم وحصرنا الكفار
وضيقوا علينا ولما اشتد الحال خرجت عنها وتركتها محصورة وعدت إلى القلوط وعزمت
على السفر إلى ذيبه المهمل وكنت اسمع باخبارها فبعد عشر أيام من ركوبنا البحر بقا القلوط
وصلنا جزائر ذيبه المهمل وديبة على لفظ مؤنث الذيب والمهل (بفتح الميم والهاء) وهذه
الجزائر إحدى عجائب الدنيا وهي نحو التي جزيرة ويكون منها مائة فيا دونها مجتمعات
مستديرة كالخلة لها مدخل كالباب لا تدخل المراكب الا منه وإذا وصل المركب إلى
أحدها فلا بد له من دليل من أهلها يسير به إلى سائر الجزائر وهي من التقارب بحيث تظهر
رؤس النخل التي باحدها عند الخروج من الأخرى فان أخطأ المركب سبيلها لم يمكنه دخولها
وحملته الريح إلى المبرأوسيلان وهذه الجزائر كلها كلهم مسلمون ذو ديانة وصلاح وهي
منقسمة إلى أقاليم على كل إقليم واليسمونه الكردوني ومن أقاليمها إقليم بالبور (وهو
ببائين معقودتين وكسر اللام وآخره زام) ومنها كنلوس (بفتح الكاف والنون مع تشديدها
وضم اللام وواو وسين مهمل) ومنها إقليم المهمل وبه تعرف الجزائر كلها وبها يسكن
سلاطينها ومنها إقليم تلاديب (بفتح التاء المعلوة واللام والف ودال مهمل وباء مدوابة
موحدة) ومنها إقليم كرايدو (بفتح الكاف وسكون الباء المسفولة وضم الدال المهمل
وواو) ومنها إقليم التيم (بفتح التاء المعلوة وسكون الياء المسفولة) ومنها إقليم تلدمتي (بفتح التاء
المعلوة الأول واللام وضم الدال المهمل وفتح الميم وتشديدها وكسر التاء الأخرى وباء
ومنها إقليم هلمتي وهو مثل اللفظ الذي قبله الا ان الهاء أوله ومنها إقليم برويدو (بفتح الباء
الموحدة والراء وسكون الياء وضم الدال المهمل وواو) ومنها إقليم كندكل (بفتح الكافين
والدال المهمل وواو) ومنها إقليم ملوك (بضم الميم ومنها إقليم السويد (بالسين المهمل) وهو
أقصىها وهذه الجزائر كلها لا زرع بها الا ان في إقليم السويد بها زرع يشبه النلي ويجلب منه إلى
المهل وإنما كل أهلها سمك يشبه الليرون يسمونه قلب الماس (بضم القاف) ولحمه أحمر ولا
زفر له انما يجه كريح لحم الانعام وإذا اصطادوه قطعوا السمكة منه أربع قطع وطبخوه
يسير أثم جعلوه في مكائيل من سعف النخل وعلقوه للدخان فاذا استحك بيسه أكلوه ويحمل
منها إلى الهند والصين والين ويسمونه قلب الماس (بضم القاف)

(ذكر أشجارها)

ومعظم أشجار هذه الجزائر النار جيل وهو من أقواتهم مع السمك وقد تقدم ذكره

وأشجار النار جيل شأنا عجيب وتشمر النخل منها اثني عشر عذقا في السنة يخرج في كل شهر عذق فتكون بعضها صغيرا وبعضها كبيرا وبعضها يابس وبعضها أخضر هكذا أبدا يصنعون منها الخايط والزيت والعسل حسبا ذكرنا لك في السفر الاول يصنعون من عسله الخلوة فيأكلونها مع الجوز اليابس منه ولذلك كله وللسمك الذي يختزن به قوة عجيبة في البقاء لا نظيرها ولاهل هذه الجزائر عجب في ذلك ولقد كان لي بها أربع نسوة وجوار سواهن فكانت أطوف على جميعهن كل يوم وأبيت عندهن تكون ليلتها وأقت بها سنة ونصف أخرى على ذلك ومن أشجارها الجوح والارج والليمون والقلقاص وهم يصنعون من اصوله دقيقا يعملون منه شبه الاطرية ويطبخونها بحليب النار جيل وهي من اطيب طعام كنت استحسنها كثيرا وأكلها

(ذكر اهل هذه الجزائر وبعض عوائدهم وذكر مساكنهم)

وأهل هذه الجزائر اهل صلاح وديانة وإيمان صحيح ونية صادقة أكلهم حلال دعاؤهم بحاج وإذا رأى الانسان احدهم قال له الله ربى ومحمد نبي وأنا أى مسكين وابدانهم ضعيفة ولا عمد لهم بالقتال والحاربة وسلاحهم الدعاء ولقد أمرت مرة بقطع يد سارق بها فغشى على جماعة منهم كانوا بالمجلس ولا تطرقهم لصوص الهند ولا تذعرهم لانهم جربوا ان من اخذهم شيئا اصابته مصيبة عاجلة وإذا اتت اجفان العدو الى ناحيتهم اخذوا من وجدوا من غيرهم ولم يتعرضوا لاحد منهم بسوء وان اخذ احد الكفار ولوليموثة عاقبه امير الكفار وضربه الضرب المبرح خوفا من عاقبة ذلك ولو لاهذا لكانوا اهلون الناس على قاصدهم بالقتال اضعف بنيتهم وفي كل جزيرة من جزائرهم المساجد الخمسة واكثر عمارتهم بالخشب وهم اهل نظافة وتنزه عن الافذار واكثرهم يغتسلون مرتين في اليوم تنظفها الشدة الحر بها وكثرة العرق ويكثر من الادهان العطرية كالصندلية وغيرها ويتلطفون بالغالية المجلوبة من مقدشوا ومن عاداتهم انهم اذا صلوا الصبح اتت كل امرأة الى زوجها وابنها بالمسكحلة وماء الورد ودهن الغالية فيكحل عينيه ويدهن بهاء الورد ودهن الغالية فتصقل بشرته وتزيل الشحوب عز وجهه ولباسهم فوط يشدون الفوطة منها على اوساطهم عوض السراويل ويجعلون على ظهورهم ثياب الوبان (بكسر الواو وسكون اللام وياء وهي شبه الاحاريم وبعضهم يجعل عمامة وبعضهم مند يلاصغير اعوضا منها واذا لقي احدهم القاضى او الخطيب وضع ثوبه عن كتفيه وكشف ظهره ومضى معه كذلك حتى يصل الى منزله ومن عوائدهم انه اذا تزوج الرجل منهم ومضى الى دار زوجته بسطت له ثياب

القطن من باب دارها إلى باب البيت وجعل عليها غرفات من الودع عن يمين طريقه إلى البيت وشماله وتسكن المرأة واقفة عند باب البيت تنتظره فإذا وصل إليها رمت على رجله ثوبا يأخذه خدامه وإن كانت المرأة هي التي تأتي إلى منزل الرجل بسطت داره وجعل فيها الودع ورمت المرأة عند الوصول إليه الثوب على رجله وكذلك عاداتهم في السلام على (س) عندهم لا بد من ثوب يرمى عند ذلك وسنذكره

وبنيانهم بالخشب ويجعلون سطوح البيوت مرتفعة عن الأرض توقيعا من الرطوبات لأن أرضهم ندية وكيفية ذلك أن ينحتوا حجارة يكون طول الحجر منها ذراعين أو ثلاثة ويجعلونها صفوفًا ويعرضون عليها خشب النار جليل ثم يصنعون الحيطان من الخشب ولهم صناعة عجيبة في ذلك ويبنّون في اسطوان الدار بيتا يسمونه المالم (بفتح اللام) يجلس الرجل مع أصحابه ويكون له بابان أحدهما إلى جهة الاسطوان يدخل منه الناس والآخر إلى جهة الدار يدخل منه صاحبها ويكون عند هذا البيت خابية مملوءة ماء ولها مستقى يسمونه الواج (بفتح الواو واللام وسكون الهمزة وجيم) هو من قشر جوز النار جليل وله نصاب طوله ذراعان وبه يسقون الماء من الآبار لقربهم وجميعهم حفاة الاقدام من رفيع ووضعوا أزقتهم مكنوسة نقية تظللها الاشجار فالماشى بها كإنه في بستان ومع ذلك لا يدخل كل داخل إلى الدار ان يغسل رجله بالماء الذي في الخابية بالمالم ويمسحها بحصير غليظ من الليف يكون هنالك ثم يدخل بيته وكذلك يفعل كل داخل إلى المسجد

ومن عوائدهم إذا قدم عليهم مركب أن يخرج اليه السكندر وهي القوارب الصغار واحدها كنبدة (بضم الكاف والدال) وفيها أهل الجزيرة معهم التبول والسكنة وهي جوز النار جليل الاخضر فيعطى الانسان منهم ذلك لمن شاء من أهل المركب ويكون نزله ويحمل امتعته إلى داره كأنه بعض اقربائه ومن اراد التزوج من القادمين عليهم تزوج فإذا حان سفره طلق المرأة لأنهن لا يخرجن عن بلادهن ومن لم يتزوج فالمرأة التي ينزل بدارها تطبخ له وتخدمه وتزوده إذا سافر وترضى منه في مقابلة ذلك بأي شيء من الاحسان وفائدة المخزن ويسمونه البندر ان يشتري من كل سلعة بالمركب حظا بسوم معلوم سواء كانت السلعة تساوى ذلك أو أكثر منه ويسمونه شرع البندر ويكون للبندر بيت في كل جزيرة من الخشب يسمونه البجنصار (بفتح الباء الموحدة والجيم وسكون الهمزة وفتح الصاد المهملة وآخره راء) يجمع به الوالى وهو السكر دورى جميع سلعه ويبيع بها ويشترى وهم يشترون الفخار اذا جلب اليهم بالدجاج فتباع عندهم القدر بخمس دجاجات وست وتحمل المركب من هذه الجزائر السمك الذى ذكرناه وجوز النار جليل والغوط والوليان والهائم وهي

من القطن ويحملون منها أواني النحاس فإنها عندهم كثيرة ويحملون الودع ويحملون القنبر (بفتح القاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة والراء) وهو ليف جوز النار جليل وهم يدغونه في حفر على الساحل ثم يضربونه بالمرازب ثم يغزله النساء وتصنع منه الحبال الخياطة المراكب وتحمل إلى الصين والهند واليمن وهو خير من القنبر وهذه الحبال تخاط مراكب الهند واليمن لأن ذلك البحر كثير الحجارة فإن كان المركب مسعرا بمسامير الحديد صدم الحجارة فانسكس وإذا كان مخيطا بالحبال أعطى الرطوبة فلم ينكسر وصرف أهل الجزائر الودع وهو حيوان يلتقطونه في البحر ويضعونه في حفر هنالك فيذهب لحمه ويبقى عظمه أبيض ويسمون المائة منه سياه (سین مهمل وياء آخر الحروف) ويسمون السبعائة منه الفال (بالفاء) ويسمون الاثنى عشر الفامنه السكتي (بضم الكاف وتشديد التاء المعلو) ويسمون المائة الف منه بستو (بضم الباء الموحدة والتاء المعلو وبينهما سين مهمل) ويبيع بها بقيعة أربعة بساقى بدینار من الذهب وربما رخص حتى يباع عشر بساقى منه بدینار ويديعونه من أهل بنجالة بالارز وهو ايضا صرف أهل بلاد بنجالة ويديعونه من أهل اليمن فيجمعونه عوض الرمل في مراكبهم وهذا الودع ايضا هو صرف السودان في رايته يباع بمالى وجوجو بحساب الف وخمسين للدينار الذهبي

(ذكر نسائها)

ونسأوها لا يخطين رؤسهن ولا سلاطينتهن تغطي راسها ويمشطن شعورهن ويجمعنها الى جهة واحدة ولا يلبس اكثرهن إلا فوطاة واحدة تسترها من السرة إلى أسفل وساثر اجسادهن مكشوفة وكذلك يمشين في الأسواق وغيرها ولقد جهدت لما وليت القضاء بها ان اتطع تلك العادة وآمرهن باللباس فلم استطع ذلك فسمكت لا تدخل إلى منهن امرأة في خصوصة إلا مسترة الجسد وما عدا ذلك لم تكن عليه قدرة والباس بعضهن قمص زائدة على الفوطاة وقصن قصار الاكمام عراضها وكان لي جوار كسوتهن لباس أهل دهلي يغطين رؤسهن فهاجن ذلك اكثر مما زانن اذ لم يتعودنه وحلبن الاساور وتجعل المرأة منها جملة في ذراعها بحيث تماثل ما بين الكوع والرفق وهي من الفضة ولا يجعل اساور الذهب الانساء السلطان واقاربها ولهن الخلاخيل ويسمونها البایل (بباء موحدة والفاء وياء آخر الحروف مكسورة) وقلائد ذهب يجعلنها على صدورهن ويسمونها البسد (بالباء الموحدة وسكن السين المهمل وفتح الدال المهمل والراء) ومن عجيب افعا هن انهن يؤجرن انفسهن للخدمة بالديار على عدد معلوم من خمسة دنانير فما دونها على مستاجرهن نفقتهن ولا يرين ذلك عيبا ويفعلها كثير

بناتهم فتجد في دار الإنسان الغنى منهن العشرة والعشرين وكل ما تكسره من الأواني يحسب عليها قيمته وإذا أرادت الخروج من دار إلى دار أعطاهما أهل الدار التي تخرج إليها العدد الذي هي مرتبة فيه فتدفعه لأهل الدار التي خرجت منها ويبقى عليها الآخرين وأكثر شغل هؤلاء المستأجرات غزل القنبر والتزويج بهذه الجزائر سهل لنزارة الصداق وحسن معاشرته النساء وأكثر الناس لا يسمى صداقا إنما تقع الشهادة ويعطى صداق مثلها وإذا قدمت المرأة تزوج أهلها النساء فإذا أودوا السفر طلقوهن وذلك نوع من نكاح المتعة وهن لا يخرجن عن بلادهن أبدا ولم أر في الدنيا أحسن معاشرته منهن ولا نكل المرأة عندهم خدمة زوجها لسواها بل هي تأتيه بالطعام وترفعه بين يديه وتغسل يده وتأتيه بالماء للوضوء وتغمر رجليه عند النوم ومن عواندهن أن لا تأكل المرأة مع زوجها ولا يعلم الرجل ما تأكله المرأة ولقد تزوجت بها نسوة فأكل معي بعضهن بعد محاولة وبعضهن لم تأكل معي ولا استطعت أن أراها تأكل ولا نفعتنى حيلة في ذلك .

(ذكر السبب في إسلام هذه الجزائر)

(وذكر العفاريات من الجن التي تضر بها في كل شهر)

حدثني الثقات من أهلها كالفقيه عيسى النيني والفقيه المعلم علي والقاضي عبد الله وجماعة سواهم أن هذه الجزائر كانوا كفاراً وكان يظهر لهم في كل شهر عفريت من الجن يأتي ناحية البحر كأنه مركب مملوء بالمقنادرل وكانت عاداتهم إذا راوه أخذوا جارية بكرأ فزنيوها وأدخلوها إلى بدخانة وهي بيت الأصنام وكان مبنيا على ضفة البحر وله طاق ينظر إليه ويتركونها هنالك ليلة ثم يأتون عند الصباح فيجدونها مفتضة ميتة ولا يزالون في كل شهر يقتربون إليهم فمن أصابته القرعة أعطى بنته ثم أنه قدم عليهم مغربي يسمى بأبي البركات البربري وكان حافظاً للقرآن العظيم فنزل بدار عجوز منهم بجزيرة المهمل فدخل عليها يوما وقد جمعت أهلها وهن يبكين كاتن في مأتم فاستفهمن عن شأنهن فلم يفهمنه فأقن ترجمان فأخبره أن العجوز كانت القرعة عليها وليس لها إلا بنت واحدة يقتلها العفريت فقال لها أبو البركات أنا أتوجه عوضا من ذلك بالليل وكان سناها لالحية فاحتلوه تلك الليلة وأدخلوه إلى بدخانة وهو متوضئ وأقام يتلو القرآن ثم ظهر له العفريت من الطاق فداوم التلاوة فلما كان منه بحيث يسمع القراءة غاص في البحر وأصبح المغربي وهو يتلو على حاله فجاءت العجوز وأهلها وأهل الجزيرة ليستخرجوا البنت على عاداتهم فيحرقوها فوجدوا المغربي يتلو فمضوا به إلى مأسكهم وكان يسمى شنوارزة (بفتح الشين المعجم

وضم النون وواو وراء والفاء وزاى وهاء) وأعلموه بخبره فعجب وعرض المغربي عليه الإسلام ورغبه فيه فقال له أقم عندنا إلى الشهر الآخر فإن فعلت كفعلك ونجوت من العفريت أسلمت فأقام عندهم وشرح الله صدر الملك للإسلام فأسلم قبل تمام الشهر وأسلم أهله وأولاده وأهل دولته ثم حمل المغربي لما دخل الشهر إلى بدخانة ولم يات العفريت فجعل يتلو حتى الصباح وجاء السلطان والناس معه فوجدوه على حالة من التلاوة فسكسروا الأصنام وهدموا بدخانة وأسلم أهل الجزيرة وبعثوا إلى سائر الجزائر فأسلم أهلها وأقام المغربي عندهم معظما وتمذهبوا بمذهبه مذهب الامام مالك رضى الله عنه وهم إلى هذا العهد يعظمون المغاربة بسببه وبني مسجدها ومعروف باسمه وقرأت على مقصورة الجامع منقوشا في الخشب أسلم السلطان أحمد شنوارزة على يد أبي البركات البربري المغربي وجعل ذلك السلطان ثالث مجاني الجزائر صدقة على أبناء السبيل إذ كان إسلامه بسببهم فسمى على ذلك حتى الآن بسبب هذا العفريت خرب من هذه الجزائر كثير قبل الإسلام .

ولما دخلناها لم يكن لى علم بشأنه فبينما أنا ليلة فى بعض شانى إذ سمعت الناس يجهرون بالتهليل والتكبير ورأيت الأولاد وعلى رؤسهم المصاحف والنساء يضربن فى الطسوت وأوفى النحاس فعجبت من فعلهم وقلت ما شأنكم فقالوا ألا تنظر إلى البحر فنظرت فإذا مثل المركب الكبير وكأنه مملوء سرجا ومشاعل فقالوا ذلك العفريت وعادته أن يظهر مرة فى الشهر فإذا فعلنا ما رأيت انصرف عنا ولم يضرنا .

(ذكر سلطنة هذه الجزائر)

ومن عجائبها أن سلطانتها امرأة وهى خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر بن السلطان صلاح الدين صالح البني جالى وكان الملك لجدها ثم لأبيها فلما مات أبوها ولى أخوها شهاب الدين وهو صغير السن فتزوج الوزير عبد الله بن محمد الحضرمي أمه وغلب عليه وهو الذى تزوج أيضا هذه السلطانة خديجة بعد وفاة زوجها الوزير جمال الدين كما سند كره فلما بلغ شهاب الدين مبلغ الرجال أخرج ربيبه الوزير عبد الله ونفاه إلى جزائر السويد واستقل بالملك واستوزر أحد مواليه ويسمى على لكسكم ثم عزله بعد ثلاثة أعوام ونفاه إلى السويد وكان يذكر عن السلطان شهاب الدين المذكور أنه يختلف إلى حرم أهل دولته وخواصه بالليل فقاموه لذلك ونفوه إلى إقليم هلد تفى وبعثوا من قتلها ولم يكن يقى من بيت الملك إلا أخواته خديجة الكبرى ومريم وفاطمة فقدموا خديجة سلطنة وكان متزوجة لخطيبهم جمال الدين فصار وزيرا وغالبا على الأمر وقدم ولده محمد إلى الخطابة عوضا عنه وسكن الأوامر

لأنما تنفذ باسم خديجة وهم يكتبون الأوامر في سعف النخل بحديدة معوجة شبه السكين ولا يكتبون في السكاغدا لا المصاحف وكتب العلم ويذكروها الخطيب يوم الجمعة وغيرها فيقول اللهم انصر أمتك التي اخترتها على علم على العالمين وجعلتها رحمة لكافة المسلمين ألا وهي السلطنة خديجة بنت السلطان جلال الدين ابن السلطان صلاح الدين ومن عادتهم إذا قدم الغريب عليهم ومضى إلى المشور وهم يسمونه الدار فلا بد له أن يستصحب ثوبين فيخدم لجهة هذه السلطنة ويرمى بأحدهما ثم يخدم لوزيرها وهو زوجها جمال الدين ويرمى بالثاني وجندها نحو ألف نفر من الغرباء وبعضهم بلديون ويأتون كل يوم إلى الدار وخدموا وقالوا للوزير بلغ عنا الخدمة واعلم بأننا أتيننا نطلب مرتبنا فيؤمر لهم بها عند ذلك ويأتى أيضا إلى الدار كل يوم القاضي وأرباب الخطط وخم الوزراء عندهم فيخدمون ويبلغ خدمتهم للقتيان وينصرفون

(ذكر أرباب الخطط وسيرهم)

وهم يسمون الوزير الأكبر النائب عن السلطنة كندكى (بفتح الكاف الأولى واللام) ويسمون القاضي فنذر ياقالوا (وضبط ذلك بقاء مفتوح ونون مسكن ودال مهملة مفتوح وياء آخر الحروف والفاء وراء وقاف والفاء ولام مضموم) وأحكامهم كلها راجعة إلى القاضي وهو أعظم عندهم من الناس أجمعين وأمره كأمر السلطان وأشد ويجلس على بساط في الدار وله ثلاثة جزائر ياخذ مجباها لنفسه عادة قديمة جراها السلطان أحد شوراة ويسمون الخطيب هند يجرى (بفتح الهاء وسكون النون وكسر الدال وياء مد وجيم مفتوح وراء وياء) ويسمون صاحب الديوان الفاملداری (بفتح الفاء والميم والدال المهملة) واسم صاحب الأشغال ما فاكلوا (بفتح الميم والكاف وضم اللام) واسم الحاكم فتنايك (بكسر الفاء وسكون التاء المعلولة وفتح النون والفاء وياء آخر الحروف مفتوحة أيضا وكاف) واسم قائد البحر مانا بك (بفتح الميم والنون والياء) وكل هؤلاء يسمى وزيرا ولا سجن عندهم بتلك الجزائر لأنما يحبس أرباب الجرائم في بيوت خشب هي معدة لامتعة التجار ويجعل أحدهم في خشبية كما يفعل عندنا بأسارى الروم

(ذكر وصولي إلى هذه الجزائر وتنقل حال بها)

ولما وصلت إليها نزلت بجزيرة كنلوس وهي جزيرة حسنة فيها المساجد الكثيرة ونزلت بدار رجل من صلحائها وأضافني بها الفقيه على وكان فاضلا له أولاد من طلبة العلم لقيت بها

رجلا اسمه محمد من أهل ظفار الخوض فأضافني وقال لي ان دخلت جزيرة المهمل أمسكك الوزير بها فانهم لا قاضي عندهم وكان غرضي ان أسافر منها إلى المعبر وسرنديب بنجالة ثم إلى الصين وكان قدومي عليها في مركب الناخوذة عمر الهنوري وهو من الحجاج الفضلاء ولما وصلنا كنلوس أقام بها عشرا ثم اكثري كندرة يسافر فيها إلى المهمل بهدية للسلطنة وزوجها فأردت السفر معه فقال لا تسعك الكندرة أنت وأصحابك فان شئت السفر منفردا عنهم فدوكت فأبيت ذلك وسافر فلهبت به الريح وعاد اليينا بعد أربعة أيام وقد لقي شدائد فاعتذرتي وعزم على السفر معه بأصحابي فسكرنا نرحل غدوة فنزل في وسط النهار لبعض الجزائر ونرحل فنبئت بأخرى .

ووصلنا بعد أيام إلى إقليم التيم وكان السكرودي يسمى بها هلالا فسلم على وأضافني وجاء إلى ومعه أربعة رجال وقد جعل اثنان عابهم عودا على أكتافهما وعلقا منه أربع دجاجات وجعل الآخران عودا مثله وعلقا منه نحو عشر من جوز النارجيل فحجبت من تعظيمهم لهذا الشيء الحقيير فأخبرت انهم صنعوه على جهة السكرامة والاحلال ورسلنا عنهم فنزلنا في اليوم السادس بجزيرة عثمان وهو رجل فاضل من خيار الناس فأكرمنا وأضافنا وفي اليوم الثامن نزلنا بجزيرة الوزير ويقال له التلندي وفي اليوم العاشر وصلنا إلى جزيرة المهمل حيث السلطنة وزوجها وأرسلنا برسائها وعادتهم ان لا ينزل أحد من المرسى إلا باذنهم فأذنوا لنا بالنزول وأردت التوجه إلى بعض المساجد فتمنعني الخدام الذين بالساحل وقالوا لا بد من الدخول إلى الوزير .

وكنيت أو صيت الناخوذة أن يقول إذا سئل عنى لا أعرفه خوفا من امساكهم إياي ولم أعلم أن بعض أهل الفضول قد كتب اليهم معرفا بخبري واني كنيت قاضيا بدعلى قلنا وصلنا إلى الدار وهو المشهور ونزلنا في سقائف على الباب الثالث منه وجاء القاضي عيسى اليماني فسلم على وسلمت على الوزير وجاء الناخوذة ابراهيم بعشرة أبواب نخدم لجهة السلطنة ورمى بثوب منها ثم خدم للوزير ورمى بثوب آخر ورمى بجميعة واستل عنى فقال لا أعرفه ثم أخرجوا التنبول وماء الورد وذلك هو السكرامة عندهم وأنزلنا بدار وبعث اليينا الطعام وهو قسعة كبيرة فيها الأرز وتدور بها صحاف فيها اللحم الخليص والخليلع والسمك والسمن ولما كان بالغد مضيت مع الناخوذة والقاضي عيسى اليماني لزيارة زاوية في طرف الجزيرة عمرها الشيخ الصالح نجيب وعدنا ليلا وبعث الوزير إلى صديحة تلك الليلة كسوة وضيافة فيها الأرز والسمن والخليلع وجوز النارجيل والعسل المصنوع منها وهم يسمونه القراف (بضم القاف وسكون الراء وفتح الباء الموحدة والف ونون وياء) ومعنى ذلك ماء السكر وأتوا بمائة ودعة للنفقة وبعد عشرة أيام قدم مركب من سيلان فيه فقراء

من العرب والمعجم يعرفون فقر فوا خدام الوزير بامرى فزاد اغتباطى وبعث عفى عند استهلال رمضان فوجدت الامراء والوزراء وأحضر الطعام فى موائد يجتمع على المائدة طايفة فاجلسنى الوزير الى جانبه ومعه القاضى عيسى والوزير القاملدارى والوزير عمر دهرى ومعناه مقدم العسكر وطعامهم الارز والدجاج والسمن والسمك والخليع والموز المطبوخ ويشربون بعده غسل النار جميل مخلوطا بالافاوية وهو يهضم الطعام وفى التاسع من شهر رمضان مات صهر الوزير زوج بنته وكانت قبله عند (س) شهاب الدين ولم يدخل بها أحد منها لصغرها فردها أبوها لداره وأعطانى دارها وهى من أجمل الدور واستأذنته فى ضيافة الفقراء القادمين من زيارة القدم فاذن لى فى ذلك وبعث الى خمسا من الخنم وهى عزيزة عندهم لأنها مجلوبة من المعبر والمليبار ومقدشو وبعث الارز والدجاج والسمن والاباير فبعثت ذلك كله الى دار الوزير سليمان مانايك فطبخ لى بها فاحسن فى ما بيحه وزاد فيه وبعث الفرش وأوانى النحاش وأفطرنالى على العادة بدار السلطنة مع الوزير واستأذنته فى حضور بعض الوزراء بتلك الضيافة فقال لى وأنا أحضر أيضا فشكرته وانصرفت الى دارى فاذا به قد جاء ومعه الوزراء وأرباب الدولة جلس فى قبة خشب مرفعة وكان كل من يأتى من الامراء والوزراء يسلم على الوزير ويرمى بثوب غير مخيط حتى اجتمع مائة ثوب أو نحوها فأخذها الفقراء وقدم الطعام فأكلوا ثم قرأ القراء بالأصوات الحسان ثم أخذوا فى السماع والرقص وأعددت النار فكان الفقراء يدخلونها ويطونها بالافدام ومنهم من يأكلها كما تؤكل الحلواء الى أن نحمدت

(ذكر بعض إحسان الوزير لى)

ولما تمت الليلة انصرف الوزير ومضيت معه فررنا ببستان للمخزن فقال لى الوزير هذا البستان لك وسأعمر لك فيه دارا لسكنائك فشكرت فعله ودعوت له ثم بعث لى من الغد بجاريه وقال لى خديمه يقول لك الوزير ان اعجبنيك هذه هى لك وإلا بعثت لك جارية مرهتية وكانت الجوارى المرهتيات تعجبني فقلت له إنما أريد المرهتية فبعثها لى وكان اسمها قلستان ومعناه زهر البستان وكانت تعرف اللسان الفارسى فاعجبني واهل تلك الجزائر لهم لسان لم أكن أعرفه ثم بعث الى فى غد ذلك بجارية معبرية تسمى عنبرى ولما كانت الليلة بعدها جاء الوزير الى بعد العشاء الاخير فى نفر من أصحابه فدخل الدار ومعه غلامان صغيران فسلمت عليه وسألنى عن حالى فدعوت له وشكرته فألقى أحد الغلامين بين يديه لفشة (بقشة) وهى شبه السبئية وأخرج منها ثياب حرير وحققا فيه جوهر

فاعطاني ذلك وقال لي اوبعثته لك مع الجارية لقالت هو مالى جئت به من دار مولاي والآن هو مالك فاعطاه لايام فدعوت له وشكرته وكان اهلا للشكر رحمه الله

(ذكر تغيره وما اردته من الخروج ومقامى بعد ذلك)

وكان الوزير سليمان ما نايك قد بعث الى أن تزوج بنته فبعثت الى الوزير جمال الدين مستأذنا في ذلك فعاد الى الرسول وقال لم يعجبه ذلك وهو يحب أن يزوجه بك بنته لئلا ينقضت عدتها فابيت أنا ذلك وخفت من شؤمها لأنها ماتت تحتها زوجان قبل الدخول وأصابني ذلك حتى مرضت بها ولا بد لكل من يدخل تلك الجزيرة أن يحجم فنوى عزى على الرحلة عنها فبعث بعض الحلى بالودعوا كثيرين مركبا أسافرا فيه لينجوا له فلما ذهب لوداع الوزير خرج الى القاضى فقال الوزير يقول لك ان شئت السفر فاعطنا ما أعطيناك وسافر فقلت له ان بعض الحلى اشتريت به الودع فشانكم وايام فعاد الى فقال يقول انما أعطيناك الذهب ولم نعطك الودع فقلت له أنا أبيعهم وأتيكم بالذهب فبعث الى التجار ليشتروه منى فأمرهم الوزير أن لا يفعلوا وقصده بذلك كله أن لا أسافر عنه ثم بعث الى أحد خواصه وقال الوزير يقول لك أقم عندنا ولك كل ما أحببت فقلت في نفسى أنا تحت حكمهم وان لم أقم مختارا أقت مضطرا فالأقامة باختيارى أولى وقلت لرسوله نعم أنا أقيم معه فعاد اليه ففرح بذلك واستدعاني فلباد خلعت اليه قام الى وعانقني وقال نحن نريد قربك وانت تريد البعد عنا فاعتذرت له فتمبل عندي وقلت له ان أردتم مقامى فانا اشترط عليكم شروطا فقال نقبلها فاشترط فقلت له ان لا استطيع المشى على قدمى ومن عادتهم ان لا يركب احد هنالك الا الوزير ولقد كنت لما أعطرتى الفرس فركبته يتبعني الناس رجالا وحصانيا فاعجبون منى حتى شكوت له فضربت الدنقرة وبرح في الناس ان لا يتبعني احد والدنقرة (بضم الدال المهمل وسكون النون وضم القاف وفتح الراء) شبه الطست من النحاس تضرب بجديد فسمع لها صوت على البعد فاذا ضربوها حينئذ يبرح في الناس بما يراد فقال لي الوزير ان أردت أن تركب الدولة والاف عندنا حصان ورمكة فاخترناهما شئت فاخترت الرمكة فأتوني بها في تلك الساعة وأنوني بكسوة فقلت له وكيف اصنع بالودع الذى اشتريته فقال بعث أحد أصحابك ليبيعه لك ببشجالة فقلت له على ان تبعث انت من يعينه على ذلك فقال نعم فبعث حينئذ رقيقى ابا محمد بن فرحان وبعثوا معه رجلا يسمى الحاج عليا فاتفق ان هال البحر فرموا بكل ما عندهم حتى الزاد والماء والصارى والقربة واقاموا ست عشرة ليلة لا قلع لهم ولا سكان ولا غيره ثم خرجوا ثم الى جزيرة سيلان بعد جوع وعطش وشدة

وقدم على صاحبي أبو محمد بعد سنة وقد زار القدم وزار هامة ثانية معي

(ذكر العيد الذي شاهده معهم)

ولما تم شهر رمضان بعث الوزير الى بكسوة وخرجننا الى المصلى وقد زينت الطريق التي يمر الوزير عليهما من داره الى المصلى وفرشت الثياب فيها وجعلت كتاني الودع يمتدة ويسرة وكل من له على طريقه دار من الأمراء والسكبار قد غرس عندها النخل الصغار من النار جميل وأشجار الفوفل والموز ومد من شجر الى أخرى شرائط وعلق منها الجوز الأخضر ويقف صاحب الدار عند بابها فإذا أمر الوزير رعى على رجله ثوب من الحرير أو القطن فياً أخذها عبيده من الودع الذي يجعل على طريقه أيضاً والوزير ماش على قدميه وعليه فرجية مصرية من المرعز وعمامة كبيرة وهو متقلد فوطه حرير وفوق رأسه أربعة شطوط وفي رجله النعل وجميع الناس سواء حفاة والأبواق والأنقار والأطبال بين يديه والعساكر أمامه وخلفه وجميعهم يكبرون حتى أتوا المصلى فخطب ولده بعد الصلاة ثم أتى بمحفة فركب فيها الوزير وخدم الأمراء والوزراء ورموا بالثياب على العادة ولم يكن ركب في المحفة قبل ذلك لأن ذلك لا يفعله إلا الملوك ثم رفعه الرجال وركبت فرسى ودخلنا القصر فجلس بموضع مرتفع وعنده الوزراء والأمراء ووقف العبيد بالترسة والسيوف والعصى ثم أتى بالطعام ثم الفوفل والتنبول ثم أتى بصحفة صغيرة فيها الصندل المقاصري فإذا كملت جماعة من الناس تاطخوا بالصندل ورأيت على بعض طعاهم يومئذ حوتان من السردين مملوحتا غير مطبوختا أهدى لهم من كواهم وهو من بلاد الملبار كثير فأخذ الوزير سردينه وجعل يأكلها وقال لي كل منه فإنه ليس ببلادنا فقلت كيف آكله وهو غير مطبوخ فقال أنه مطبوخ فقلت أنا أعرف به فإنه ببلادى كثير

(ذكر تزوجى وولايى القضاء)

وفي الثاني من شوال اتفقت مع الوزير سلمان ما نايك على تزوج بنته فبعثت الى الوزير جمال الدين أن يكون عقد النكاح بين يديه بالقصر فأجاب الى ذلك وأحضر التنبول على العادة والصندل وحضر الناس وأبطأ الوزير سلمان فاستدعى فلم يأت ثم استدعى ثانية فاعتذر بمرض البنت فقال لي الوزير سرا أن بنته امتنعت وهى مالكة أمر نفسها والناس قد اجتمعوا فهن لك أن تتزوج بربيبة (س) زوجة أبيها وهى التى ولده متزوج بنتها فقلت له نعم فاستدعى القاضى والشهود ووقعت الشهادة ودفع الوزير الصداق ورفعت الى بعد أيام فكانت من خيار النساء وبلغ حسن معاشرتها أنها كانت إذا تزوج عليها تطيبنى

وتبخر اثوابي وهي ضاحكة لا يظهر عليها تغير ولما تزوجتها أكرهني الوزير على القضاة
وسبب ذلك اعتراضى على القاضى لسكونه كان يأخذ العشر من التراكات اذا قسمها على اباريها
فقلت له إنما لك اجرة تنفق بها مع الورثة ولم يكن يحسن شيئا فلما وليت اجتهدت جهدى فى
اقامة رسوم الشرع وليست هنالك خصومات كما هي ببلادنا فأول ما غيرت من عوائد السوء
مكث المطلقات فى ديار المطلقين وكانت احداهن لا تزال فى دار المطلق حتى تزوج غيره
فخسعت علة ذلك واتى إلى بنحو خمسة وعشرين رجلا ممن فعل ذلك فضر بهم وشهرتهم
بالاسواق واخرجت النساء عنهم ثم اشتدت فى اقامة الصلوات وامرت الرجال بالمبادرة
الى الارزقة والاسواق اثر صلاة الجمعة فمن وجدوه لم يصل ضربته وشهرته والزمت الأئمة
والمؤذنين اصحاب المرتبات المواظبة على ما هم بسبيله وكسبت إلى جميع الجزا اثر بنحو ذلك
وجهدت ان اكسو النساء فلم اقدر على ذلك

(ذكر قدوم الوزير عبد الله بن محمد الخضرى الذى نفاه (س) شهاب الدين)

(الى السويد وما وقع بيني وبينه)

كنت قد تزوجت ريبيته بنت زوجته واحببتها حبا شديدا ولما بعث الوزير عنه ورده
الى جزيرة المهل بعث له التجف وتلقيته ومضيت معه الى القصر فسلم على الوزير وانزله
فى دار جيدة فكنت ازوره بها وانفق ان اعتسكفت فى رمضان فزارنى جميع الناس الا هو
وزارنى الوزير جمال الدين فدخل هو معة بحكم الموافقة فو قعت بيننا الوحشة فلما خرجت
من الاعتكاف شكا الى احوال زوجتى ريبيته اولاد الوزير جمال الدين السنجرى فان
أباهم أوصى عليهم الوزير عبد الله وأن ما لهم باق بيده وقد خرجوا عن حجره بحكم
الشرع وطالبوا احضاره بمجلس الحكم وكانت عادتى اذا بعثت عن خصم من الخصوم ابعث
له قطعة كاغدا مكتوبة فعندما يقف عليها يبادر الى مجلس الحكم الشرعى والاعاقبة
فبعثت اليه على العادة فاغضبه ذلك وحقدته الى وأضمر عداوتى وكل من يتكلم عنه وبلغنى
عنه كلام قبيح وكانت عادة الناس من صغير وكبير ان يخدموا له كما يخدمون للوزير جمال
الدين وخدمتهم ان يوصلوا السبابة الى الأرض ثم يقبلونها ويضعونها على رؤسهم فامرت
المنادى فنادى بدار (س) على رؤس الاشهاد انه من خدم للوزير عبد الله كما يخدم
للوزير الكبير لزمه العقاب الشديد واخذت عليه ان لا يترك الناس لذلك فزادت عداوته
وتزوجت ايضا زوجة أخرى بنت وزير معظم عندهم كان جده (س) داود حفيد
(س) احمد شوازة ثم تزوجت زوجة كانت تحت (س) شهاب الدين وعمرت

ثلاث ديار بالبستان الذى أعطانيه الوزير وكانت الرابعة هى ربيبة الوزير عبد الله تسكن فى دارها وهى أحبهن لى قلبا صاهرت من ذكرته هابنى الوزير وأهل الجزيرة وتحوفوا منى لأجل ضعفهم وسعوا بينى وبين الوزير بالنائم وتولى الوزير عبد الله كبر ذلك حتى تمكنت الوحشة .

﴿ ذكر انفصالى عنهم وسبب ذلك ﴾

واتفق فى بعض الأيام أن عبدا من عبيد السلطان الذى شكنته زوجته إلى الوزير وأعلمته أنه عند سريه من سرارى السلطان يزنى بها فبعث الوزير الشهود دخلوا دار السرية فوجدوا الغلام نائما معها فى فراش واحد وحبسوها فلما أصبحت وعلمت بالخبر توجهت إلى المشور وجلست فى موضع جلوسى لم أنكلم فى شئ، ومن أمرها أخرج إلى بعض الخواص فقال يقول لك الوزير أنك حاجة فقلت لا وكان قصده أن أنكلم فى شأن السرية والغلام إذ كانت عادتي أن لا تقطع قضية الاحكام فيها فلما وقع التغير والوحشة قصرت فى ذلك فأنصرفت إلى دارى بعد ذلك وجلست بموضع الاحكام فاذا ببعض الوزراء فقال الوزير يقول لك أنه وقع البارحة كيت وكيت لقضية السرية والغلام فأحكم فيهما بالشرع فقلت له هذه قضية لا ينبغي الحكم أن يكون فيها إلا بدار السلطان فعدت اليها واجتمع الناس وأحضرت السرية والغلام فأمرت بضربهما فى الخلوة وأطلقت سراح المرأة وحبست الغلام وأنصرفت إلى دارى فبعث الوزير إلى جماعة من كبار ناسه فى شأن تسريح الغلام فقلت لهم أنشفعون فى غلام زنجى يهتك حرمة مولاه وأنتم بالأمس خلعتم السلطان شهاب الدين وقتلتموه بسبب دخوله لدار غلام له وأمرت بالغلام عند ذلك فضرب بقصبان الخيزران وهى أشد وقعا من السياط وشهرته بالجزيرة وفى عنقه حبل فذهبوا إلى الورير فأعلموه فقام وقعد واستشاط غضبا وجمع الوزراء ووجوه العسكر وبعث عنى ثجئة، وكانت عادتي أن أخدم له فلم أخدم وقلت سلام عليكم ثم قلت للحاضرين اشهدوا على أنى قد عزلت نفسى عن القضاء لعمجزي عنه فكلمنى الوزير فصعدت وقعدت بموضع أقابله فيه وجاوبته أغاظ جواب وأذن مؤذن المغرب فدخل إلى داره وهو يقول ويقولون أنى سلطانوها أنا ذا طلبته لا غضب عليه فغضب على وإنما كان اعترازى عليهم بسبب سلطان الهند لأنهم تحققوا مكانتى عنده وإن كانوا على بعد منه فخوفه فى قلوبهم متمكن فلما دخلنا إلى داره بعث إلى القاضى المعزول وكان جرى اللسان فقال لى أن مولانا يقول لك كيف هتك حرمة على رؤس الاشهاد ولم تخدم له فقلت له إنما كنت أخدم له حين كان قلبى له طيبا فلما وقع التغير تركت ذلك وتحية المسلمين إنما هى السلام وقد سلمت فبعثته إلى ثانية فقال إنما غرضك الرحيل عنا فاعط صدقات النساء

و ديون الناس وانصرف إذ شئت فقدمت له على هذا القول وذهبت إلى واري فخلصت مما
على من الدين وقد أعطاني في تلك الأيام فرش دار وجهازها من أواني نحاس وسواها وكان
يعطيني كل ما أطلبه ويحبنى ويكرمنى ولما كنته غير خاطره وخوف منى فلما عرف أنى قد خلاصت
الدين وعزمت على الرحيل ندم على ما قاله وتلكا فى الأذنلى فى الرحيل فخلفت بالايان المخلطة
أن لا بد من رحيلى ونقلت ما عندى إلى مسجد على البحر وطلقت إحدى الزوجات وكانت
احداهن حاملا فجعلت لها اجلا تسعة أشهر أن عدت فيها وإلا فأمرها بيدها وحملت معى
زوجتى التي كانت امرأة السلطان شهاب الدين لاسلها لآبها بجزير ملوك وزوجتى الأولى
التي بنتها أخت السلطانة وتوافقت مع الوزيرة عمر دهر دو الوزير حسن قائد البحر على أن
أعزى إلى بلاد المعبر وكان ملكها سلفى فاني منها بالعمساكر ليرجع الجزائر إلى حكمه وأتوب
أناعته فيها وجعلت بينى وبينهم علامة رفع أعلام بيض فى المراكب فإذا رآوها ناروا فى البحر
ولم أكن حدثت نفسى بهذا قط حتى وقع ما وقع من التغير وكان الوزير خائف منى يقول للناس
لا بد لهذا أن يأخذ الوزارة إما فى حياتى وإما بعد مائى ويكثر السؤال عن حالى ويقول سمعت
أن ملك الهند بعث إليه الأموال ليثورها على وكان يخاف من سفرى لئلا آتى بالجيوش من
بلاد المعبر فبعث إلى أن أقيم حتى يحضر لى مراكباً فأتيت وشكت أخت السلطانة إليها بسفر أمها
معى فأرادت منعها فلم تقدر على ذلك فلما رأت عزها على السفر قالت لها أن جميع ما عندك
من الحلى هو من مال البندرفان كان لك شهود بأن جلال الدين وهبه لك وإلا فرده وكانت حليها
له خطر فرددته إليهم وأتاني الوزراء والوجوه وأنا بالمسجد وطلبوا منى الرجوع فقلت لهم
لولا أنى خلعت لعدت فقلوا تذهب إلى بعض علماء الجزائر ليسر قسمك وتعود فقلت لهم نعم
ارضاء لهم فلما كانت الليلة التى سافرت فيها أتيت لوداع الوزير فعاثنى وبكى حتى قطرت
دموعه على قدمى وبات تلك الليلة يحترس الجزيرة بنفسه خوفاً أن يثور عليه اصهارى وأصحابى
ثم سافرت ووصلت إلى جزيرة الوزير على فأصابته زوجتى أوجاع عظيمة وأحبته
الرجوع فطلقها وتركها هنالك وكتبت للوزير بذلك لأنها أم زوجة ولده وطلعت إلى
كنت ضربت لها الأجل وبعثت عن جارية كنت أحبها وسرنا تلك الجزائر من إقليم
إلى إقليم

(ذكر النساء ذوات الثدي الواحد)

وفى بعض تلك الجزائر رأيت امرأة لها ثدى واحد فى صدرها ولها ابنتان
احدهما كمثلها ذات ثدى واحد والأخرى ذات ثدين إلا أن أحدهما كبير فيه اللبن والأخر
صغير لا لبن فيه فعجبت من شأنهن ووصلنا إلى جزيرة من تلك الجزائر ليس بها إلا

دار واحدة فيها رجل حائك له زوجة وأولاد وتخيلات نار جبل وقارب صغير يصطاد فيه السمك ويسير به إلى حيث أراد من الجزائر وفي جزيرته أيضا شجيرات مور ولم نرا فيها من طيور البر غير غرابين خرجا إلينا لما وصلنا الجزيرة وطافا بمركبنا فغبطت والله ذلك الرجل وودت أن لو كانت تلك الجزيرة لي فانقطعت فيها إلى أن يأتيني اليقين ثم وصلت إلى جزيرة ملوك حيث المركب الذي للناخوذة ابراهيم وهو الذي عرمت على الرحيل فيه إلى المعبر فجاء إلى ومعه أصحابه وأضافوني ضيافة حسنة وكان الوزير قد كتب لي أن أعطي بهذه الجزيرة مائة وعشرين بستوا من السكودة وهي الودع وعشرين قدحا من الأطوان وهي عسل النارجيل وعددا معلوما من التنبول والفوفل والسمك في كل يوم وأتت بهذه الجزيرة سبعين يوما وتزوجت بها امرأتين وهي من أحسن الجزائر وخضرة نضرة رأيت من عجائبها أن الغصن يقطع من شجرها ويركز الأرض أو الحائط فيورق ويصير شجرة ورأيت الرمان بها لا ينقطع له ثمر بطول مافي السنة وخاف أهل هذه الجزيرة من الناخوذة ابراهيم أن ينهبهم عند سفره فأرادوا أمساك مافي مركبه من السلاح حتى يوم سفرة فوقعت المشاجرة بسبب ذلك وعدنا إلى المهمل ولم ندخلها وكتبنا إلى الوزير معلما بذلك فسكتب أن لاسبيل لأخذ السلاح وعدنا إلى الملوك وسافرنا منها في نصف وبيع الثاني عام خمسة وأربعين وفي شعبان من هذه السنة توفي الوزير جمال الدين رحمه الله وكانت السلطنة حاملا منه فولدت أثر وفاته وتزوجها الوزير عبد الله وسافرنا ولم يكن معنا رئيس عارف ومسافة ما بين الجزائر والمعبر ثلاثة أيام فسرنا نحو تسعة أيام وفي التاسع منها خرجنا إلى جزيرة سييلان ورأينا جبل سرنديب فيها ذاهبا في السماء كأنه عمود دخان ولما وصلناها قال البحرية ان هذا المرسى ليس في بلاد السلطان الذي يدخل التجار إلى بلاده آمنين إنما هذا مرسى في بلاد السلطان يرى شكروتي وهو من العتاة المفسدين وله مراكب تقطع في البحر فخنمنا أن نزل بمرسائه ثم اشتدت الريح فخنمنا العرق فقلنا للناخوذة نزلنا إلى الساحل وأنا أخذنا لك الأمان من هذا السلطان ففعل ذلك وأنزلنا بالساحل فأنانا السكفار فقلنا أما أنتم فأخبرتهم أني سلف سلطان المعبر وصاحبه جئت لزيارته وان الذي في هذا المركب هدية له فذهبوا إلى ساطنهم فأعلموه بذلك فاستدعاني فذهبت له إلى مدينته بطالة (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة والطاء المهمل وتشديدها) وهي حضرته مدينة صغيرة حسنة عليها سور خشب وأبراج خشب وجميع سواحلها مملوءة بأعواد القرفة تأتي بها السيول فتجتمع بالساحل كأنها الروابي ويحملها أهل المعبر والمليباردون ثم لأنهم يهدون للسلطان في مقابلة ذلك الثوب ونحوه وبين بلاد المعبر وهذه الجزيرة مسيره يوم وليلة وبها أيضا من

خشب البقم كثير ومن العود الهندي المعروف بالسكنجى إلا أنه ليس كما القهارى والقافلى
وسنذكره

(ذكر سلطان سيلان)

واسمه ايرى شكر وقي (بفتح الهمزة وسكون اليااء وكسر الراء ثم ياء وشين معجم مفتوح وكاف
مثله وراء مسكنة وواو مفتوح وتاء معلوة مكسورة وياء) وهو سلطان قوى فى البحر رأيت
مرة وأنا بالمعبر مائة مركب من مرا كبه بين صغار وكبار وصلت الى هنا لك وكانت بالمرسى
ثمانية مراكب للسلطان برسم السفر الى اليمن فأمر السلطان بالاستعداد وحشد الناس لحماية
أجفانه فلما يتسوا من انتهاز الفرصة فيها قالوا إنا جئنا لحماية مراكب لنا تسير أيضا الى
اليمن ولما دخلت على هذا السلطان الكافر قام الى وأجلسنى الى جانبى وكلمنى بأحسن كلام
وقال ينزل أصحابك على الأمان ويكونون فى ضيافى الى أن يسافروا فإن سلطان المعبر يبنى
وبينه الصحبة ثم أمر بانزالى فأقمت عنده ثلاثة أيام فى إكرام عظيم متزايدي فى كل يوم وكان
يفهم اللسان الفارسى ويعجبه ما أحدثه به عن الملوك والبلاذ ودخلت عنده يوما وعنده جواهر
كثيرة أتى بها من مخاص الجواهر الذى يبلاده وأصحابه يميزون النفيس منها من غيره فقال
لى هل رأيت مخاص الجواهر فى البلاد التى جئت منها فقلت له نعم رأيت بحيرة قيس وبحيرة
كش التى لابن السواملى فقال سمعت بها ثم أخذت منه حبات فقال أيتكون فى تلك البحيرة
مثل هذه فقلت له رأيت ما هو دونها فأعجبه ذلك وقال هى لك وقال لى لا تستحى وأطلب
منى ما شئت فقلت له ليس مرادى من ذلك وصلت هذه البحيرة لزيارة القدم الكريمة قدم آدم
عليه السلام وهم يسعون (بابا) ويسمون حواء (ماما) قال هذا حين نبعث معك من
يوصلك فقلت ذلك أريد ثم قلت له وهذا المركب الذى جئت به يسافر معنا الى المعبر وإذا
عدت أنا بعثتنى مراكبك فقال نعم فلما ذكرت ذلك لصاحب المركب قال لى لا أسافر حتى
تعود ولو أقمت سنة بسببك فأخبرت السلطان بذلك فقال يقيم فى ضيافى حتى تعود
فأعطانى دولة يحملها عبيده على أعناقهم وبعث معى أربعة من الجوكرية الذين عادتهم السفر
كل عام الى زيارة القدم وثلاثة من البراهمة وعشرة من سائر أصحابه وخمسة عشر رجلا يحملون
الزاد وأما الماء فهو بتلك الطريق كثير ونزلنا ذلك اليوم على واد جزناه فى معدية مصنوعة
من قصب الخيزران ثم رحلنا من هنالك الى منار مندىلى (وضبطه ذلك بفتح الميم والنون
وآلف وراء مسكنة وميم مفتوح وتون مسكن وذال مهمل مفتوح ولام مكسورة وياء)
مدينة حسنة هى آخر عمالة السلطان أضافنا اهلها ضيافة حسنة وضيافتهم عجول الجواميس
بصطادونها بغا بهنالك وياتون بها احياء وياتون بالارز والسمن والحوت والدجاج والابن

وليس بالمدينة مسلمات غير رجل خراساني انقطع بسبب مرضه فسافر معنا ورحلنا إلى بتلاوات (وضبطه بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الدال المهمل وسكون الراء وفتح السين المهمل واللام والواو والف وتاء معلولة) بلدة صغيرة وسافرتا منها في أوعار كثير المياه وبها القبيلة الكثيرة إلا أنها لا تؤذى الزوار والغرباء وذلك ببركة الشيخ أبي عبد الله بن خفيف رحمه الله وهو أول من فتح هذا الطريق إلى زيارة القدم وكان هؤلاء الكفار ينعون المسلمين من ذلك ويؤذونهم ولا يؤاكلونهم ولا يبايعونهم فلما اتفق للشيخ أبي عبد الله ما ذكرنا في السفر الأول من قتل القبيلة لأصحابه وسلامته من بينهم وحمل الفيل له على ظهره صار الكفار من ذلك العهد يعظمون المسلمين ويدخلونهم دورهم ويطعمون معهم ويطنعون لهم بأهلهم وأرلادهم وهم إلى الآن يعظمون الشيخ المذكور أشد تعظيم ويسمون الشيخ الكبير ثم وصلنا بعد ذلك إلى مدينة كمنسكار (وضبط اسمها بضم الكاف الأول وفتح النون والكاف الثانية وآخره راء) وهي حضرة السلطان الكبير بتلك البلاد وبنائها في خندق بين جبلين على خور كبير يسمى خور الياقوت لأن الياقوت يوجد به وبخارج هذه المدينة مسجد الشيخ عثمان الشيرازي المعروف بشاوش (بشنيين معجمين بينهما واو مضموم) وسلطان هذه المدينة وأهلها يزورونه ويعظمونه وهو كان الدليل إلى القدم فلما قطعت يده ورجله صار الأدلاء أولاده وغلبانه وسبب قطعه أنه ذبح بقرة وحكم كفار الهنود أنه من ذبح بقرة ذبح كسليم أو جعل في جلدها وحرق وكان الشيخ عثمان معظما فقطعوا يده ورجله واعطوه بجي بعض الاسواق

(ذكر سلطانها)

وهو يعرف بالسكنار (بضم الكاف وفتح النون وألف وراء) وعنده الفيل الأبيض ولم أر في الدنيا فيلاً أبيض سواه يركبه في الأعياد ويجعل على جبهته أحجار الياقوت العظيمة واتفق له أن قام عليه أهل دولته وسموا عينيه وولوا والده وهو هنالك أعمى

(ذكر الياقوت)

والياقوت العجيب البهرمان إنما يكون بهذه البلدة فنه ما يخرج من الخور وهو عزيز عندهم ومنه ما يحفر عنه وجزيرة سيلان يوجد الياقوت في جميع مواضعها وهي متملكة فيشتري الانسان القطعة منها ويحفر عن الياقوت فيجد أحجاراً بيضاء مشعبة وهي التي يتكون الياقوت في أجوافها فيعطها الحكاكين فيحكونها حتى تنفلق عن أحجار الياقوت فنه الأحمر ومنه الأصفر ومنه الأزرق ويسمون النيلم (بفتح النون واللام وسكون الياء آخر الحروف) وعادتهم أن ما بلغ ثمنه من أحجار الياقوت إلى مائة فتم (بفتح الفاء والنون)

فهو للسلطان يعطى ثمنه ويأخذه وما نقص عن تلك القيمة فهو لأصحابه وصرف مائة فتم ستة
ذناير من الذهب وجميع النساء بخزيرة سيلان طن القائد من الياقوت الملون ويجعلنه في
أيدين وأرجلهم عوضاً من الاسورة والخلخال وجوارى السلطان يصنعن منه شبكة
يجعلها على رؤسهن ولقد رأيت على جبهة الفيل الأبيض سبعة أحجار منه كل حجر أعظم من
بيضنة الدجاج ورأيت عند السلطان يرى شكروقي سكرجة على مقدار الكف من الياقوت
فيها دهن العود فجعلت أعجب منها فقال ان عندنا ما هو أضخم من ذلك ثم سافرنا من كمشكار
فزلنا بمغارة تعرف باسم اسطاحمود اللورى (بضم اللام) وكان من الصالحين واحتضر تلك
المغارة في سفح جبل عند خور صغير هنالك ثم رحلنا عنها وزلنا بالخور المعروف بخور
بوزنه (بالباء الموحدة وواو وزاى ونون وهاء) وبوزنه هي القروود

﴿ ذكر القروود ﴾

والقروود تلك الجبال كثيرة جداً وهى سود الالوان لها أذنان طوال ولذ كورها الحى كما
هى للادميين وأخبرنى الشيخ عثمان وولده وسواهما ان هذه القروود لها مقدم تتبعه كما أنه
سلطان يشد على رأسه عصا به من أوراق الاشجار يتوكأ على عصى ويكون عن يمينه ويساره
أربعة من القروود ولها عصى بأيديها وانه إذا جلس القرد المقدم تقف القروود الاربعة على
رأسه وتأتى أثنائه وأولاه فتقع بين يديه كل يوم وتأتى القروود فتقع على بعد منه ثم
يكلمها أحد القروود الاربعة فتصرف القروود كلها ثم يأتى كل فرد منها بموزة أو ليمونة أو
شبه ذلك فيأكل القرد المقدم وأولاه والقروود الاربعة وأخبرنى بعض الجوكرية انه رأى
القروود الاربعة بين يدي مقدمها وهى تضرب بعض القروود بالعصى ثم تنفت ويره بعد
ضربه وذكرلى الثقات انه إذا ظفر قرد من هذه القروود بصبية لا تستطيع الدفاع عن نفسها
جامها وأخبرنى بعض أهل هذه الجزيرة انه كان بداره قرد منها فدخلت بنت له ببعض
البيوت فدخل عليها فصاحت به فغلبها قال ودخلنا عليها وهو بين رجلها فقتلناه ثم كان رحيلنا
إلى خور الخيزران ومن هذا الخور أخرج أبو عبد الله بن خفيف الياقوتتين اللتين اعطاهما
لسلطان هذه الجزيرة حسباً ذكرناه فى السفر الاول ثم رحلنا إلى موضع يعرف ببنت
المجوز وهو آخر المغارة ثم رحلنا إلى مغارة بابا طاهر وكان من الصالحين ثم رحلنا إلى
مغارة السديك (بفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة وياء مد وكاف) وكان السديك من
سلاطين السكفار وانقطع للعبادة هنالك

(ذكر العلق الطيار)

وبهذا الموضع رأينا العلق الطيار ويسمونه لزلو (بضم الزاي واللام) ويكون بالاشجار والحشائش التي تقرب من الماء فاذا قرب الانسان منه وثب عليه فخيما وقع من جسده خرج منه الدم الكثير والناس يستعدون له الليمون يعصرونه عليه فيسقط عنهم ويجردون الموضع الذي يقع عليه بسكين خشب معه لذلك ويندكر ان بعض الزوار مر بذلك الموضع فتعلق به العلق فاظهر الجلد ولم يعصر عليه الليمون فنزف دمه ومات وكان اسمه باباخوزي (بالخاء المعجم الممضوم والزاي وهنالك مغارة تنسب اليه ثم رحلنا اليه السبع مغارات ثم الى عقبة اسكندر ثم مغارة الاصفهاني وعين ماء وقلعة غير عامرة تحتها خور يعرف بغوطة كاهار فان وهنالك مغارة النارنج ومغارة السلطان وعندها دروارة الجبل اى بابيه

(ذكر جبل سرنديب)

وهو من اعلى جبال الدنيا رأيناها من البحر وبيننا وبينه مسيرة تسعة ولما صعدناه كنا نرى السحاب أسفل قد حال بيننا وبينه وبين رؤية اسفله وفيه كثير من الاشجار التي لا يسقط لها ورق والازهار الملونة والورد الاحمر على قدر السكف وينعمون ان في ذلك الورد كتابة يقرأ منها اسم الله تعالى واسم رسوله عليه الصلاة والسلام وفي الجبل طريقان الى القدم احدهما يعرف بطريق (بابا) والآخر بطريق (ماما) يعنون آدم وحواء عليهما السلام فاما طريق ماما فطريق سهل عليه يرجع الزوار اذا رجعوا ومن مضى عليه فهو عندهم فمن لم يزر واما طريق بابا فصعب وعمر المرتقى وفي اسفل الجبل حيث دروازته مغارة تنسب ايضا للاسكندر وعين ونحت الاولون في الجبل شبه درج يصعد عليها وغرزوا فيها او تاد الحديد وعلقوا منها السلاسل ليمسك بها من يصعده وهي عشر سلاسل ثنتان في اسفل الجبل الى حيث الدروازة وسبع متوالية بعدها والعاشرة هي سلسلة الشهادة لان الانسان اذا وصل اليها ونظر الى اسفل الجبل ادركه الوهم خوف السقوط ثم اذا جاوزت هذه السلسلة وجدت طريقا مهملة ومن السلسلة العاشر الى مغارة الخضر سبعة اميال وهي في موضع فسيح عندها عين ماء تنسب اليه ايضا ملأى بالحوت ولا يصطاده احد وبالقرب منها حوضان منحوتان في الحجارة عن جنبتي الطريق وبمغارة الخضر يترك الزوار ما عندهم ويصعدون منها ملين الى اعلى الجبل حيث القدم

(ذكر القدم)

وائر القدم السكرية قدم ابينا آدم صلى الله عليه وسلم في صخرة سوداء مرتفعة بموضع فسيح وقد غاصت القدم السكرية في الصخرة حتى عاد موضعها منخفضا وطولها احد عشر

شبرا وأتى إليها أهل الصين قديما فقطعوا من الصخرة موضع الإبهام وما يليه وجعلوه في كنيسة بمدينة الزيتون ويقصدونها من أقصى البلاد وفي الصخرة حيث القدم تسع حفر منحوتة يجعل الزوار من السكفار فيها الذهب والياقوت والجواهر فترى المتقراء إذا وصلوا مغارة الخضر يتسابقون منها لاخذها بالحفر ولم نجد نحن بها الايسر حجيرات وذهب اعطيناها الدليل والعادة ان يقيم الزاور بمغارة الخضر ثلاثة أيام يأتون فيها الى القدم غدوة وعشيا وكذلك فعلنا

ولما تمت الايام الثلاثة عدنا على طريق ما لا فنزلنا بمغارة شيم وهو شيت ابن آدم عايناهما السلام ثم الى خور السمك ثم الى قرية كرملة (بضم الكاف وسكون الراء وضم الميم) ثم الى قرية جبر كاوان (بفتح الجيم والباء الموحدة وسكون الراء وفتح الكاف والواو وآخره نون) ثم الى قرية دل دينوة (بدالين مهملين مكسورين بينهما لام مسكن وياء مدون مفتوح وواو مفتوح وتاء تأنيث) ثم الى قرية آت فلنجبة (بهمزة مفتوحة وتاء مثناة مسكنة وقاف ولام مفتوحين ونون مسكن وجيم مفتوح) هنالك (كان) يشق الشيخ أبو عبد الله بن خفيف وكل هذه القرى والمنازل هي بالجبل وعند أصل الجبل في هذا الطريق درخت روان ودرخت هي (بفتح الدال المهملة والراء وسكون الخاء المعجم وتاء معلولة) وروان (بفتح الراء والواو والفاء ونون) وهي شجرة عادية لا يسقط لها ورق ولم أر من رأى ورقها أو يعرفونها أيضا بالماشية لان الناظر اليها من أعلى الجبل يراها بعيدة منه قريبة من أسفل الجبل والناظر اليها من أسفل الجبل يراها بعكس ذلك ورأيت هنالك جملة من الجوكيين ملازمين أسفل الجبل ينتظرون سقوط ورقها وهي بحيث لا يمكن التوصل اليها البتة ولطم كاذيب في شأنها من جملتها ان من أكل من أوراقها عاد له الشباب ان كان شيخا ذلك باطل وتحت هذا الجبل الخور العظيم مذى يخرج منه الياقوت وماؤه يظهر في رأى العين شديد الزرقة

ورحلتنا من هنالك يومين الى مدينة دينور (وضبط اسمها بدال مهملة مكسورة وياء مدونون وواو مفتوحين وراء) مدينة عيظمه على البحر يسكنها التجار وبها الصنم المعروف بدينور في كنيسة عظيمة فيها نحو الف من البراهمة والجوكية ونحو خمسمائة من النساء بنات الهنود ويعتنين كل ليلة عند الصنم ويرقصن والمدينة ومجاهاها وقف على الصنم وكل من بالسكنيسة ومن يرد عليها ياكلون ذلك والصنم من ذهب على قدر الأدنى وفي موضع العينين منه ياقوتتان عظيمتان اخبرت انهما تضيئان بالليل كالقنديل ثم رحلتنا الى مدينة قالى (بالقاف وكسر اللام) وهي صغيرة على ستة فراسخ من دينور وبها رجل من المسلمين يعرف بالناخودة ابراهيم أضافنا بموضعه

ورحلنا إلى مدينة كنبو (بفتح الكاف واللام وسكون النون وضم الباء الموحدة وواو) وهى من أحسن بلاد سرنديب وأكبرها وبها يسكن الوزير حاكم البحر جالسنى ومعه نحو خمسمائة من الخبشة ثم رحلنا فوصلنا بعد ثلاثة أيام إلى بطالة وقد تقدم ذكرها ودخلنا إلى سلطانها الذى تقدم ذكره ووجدت الناخودة ابراهيم فى انتظارى فسافرننا بقصد بلاد المعبر وقويت الريح وكاد الماء يدخل فى المركب ولم يكن لنا رئيس عارف ثم وصلنا إلى حجارة كناد المركب ينكسر فيها ثم دخلنا بحراً قصيراً فجلس المركب ورأيت الموت عياناً ورمى الناس بما معهم وتوادعوا وقطعنا صارى المركب فرمينا به وصنع البحرية معدية من الخشب وكان بيننا وبين البحر فرسخان فأردت أن أنزل فى المعدة وكان لى جاريتان وصاحبان من أصحابى فقال أنزل وتركنا فأثرتهما على نفسى وقلت أنزلا أتما والجارية التى أحبها فمالت الجارية إلى أحسن السباحة فأعلن بحبل المعدة واعوم معهم فنزل رفيقائى واحدهما محمد بن فرحان التوزرى والآخر رجل مصرى والجارية معهم والأخرى تعوم وربط البحرية فى المعدة حبلاً وسبحوا بها وجعلت معهم ما عزع على من المتاع والجواهر والعنبر فوصلوا إلى البرسالمين لأن الريح كانت تساعدهم وأقامت بالمركب ونزل صاحبها إلى البر على الدقة وشرع البحرية فى عمل أربع من المعادى فجاء الليل قبل تمامها ودخل معنا الماء فصعدت إلى المؤخر وأقامت به حتى الصباح وحينئذ جاء إلينا بعض السكفار فى قارب لهم ونزلنا معهم إلى الساحل ببلاد المعبر فأعلمناهم أن من أصحاب سلطانهم وهم تحت ذمته فكتبوا إليه بذلك وهو على مسيرة يومين فى الغزو كتبت أنا إليه بما اتفق على وأدخلنا أولئك السكفار إلى غيضة عظيمة فأثروا بفأكة تشبه البطيخ بشرها شجره المقل وفى داخلها شبه قطن عليه عسلية يستخرجونها ويصنعون منها حلواء يسمونها التل وهى تشبه السكر وأثروا بسمك طيب وأقمنا ثلاثة أيام ثم وصل من جهة السلطان أمير يعرف بقصر الدين معه جماعة من فرسان ورجال وجاؤا بالدولة وبعشرة خيول ركبت وركب أصحابى وصاحب المركب وإحدى الجاريتين وحملت الثانية فى الدولة ووصلنا إلى حصن هركتاتو (وضبط اسمه بفتح الهاء وسكون الراء وفتح الكاف والفاء وتاء معلولة مضمومة وواو) وبقينا وتركنا فيه الجوارى وبعض الغلمان والأصحاب ووصلنا فى اليوم الثانى إلى محلة السلطان

(ذكر سلطان بلاد المعبر)

هو غياث الدين الدامغانى وكان فى أول أمره فارساً من فرسان الملك مجير بن أبى الرجا أحدخدام السلطان محمد ثم خدم الأمير حاجى بن السيد السلطان جلال الدين ثم ولّى

المملك وكان يدعى سراج الدين قبله فلما ولى تسمى غياث الدين وكانت بلاد المعبر تحت حكم السلطان محمد ملك دهلي ثم صار بها صهرى الشريف جلال الدين أحسن شاه وملك بها خمسة أعوام ثم قتل وولى أحد أمرائه وهو علاء الدين اديجي (بضم الهمزة وفتح الدال المهملة وسكون الياء آخر الحروف وكسر الجيم) فملك سنة ثم خرج إلى غزوالسكفار فأخذ لهم أموالا كثيرة وغنائم واسعة وعاد إلى بلاده وغزاهم في السنة الثانية فمزهمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة واتفق يوم قتله لهم أن رفع المغفر عن رأسه ليشرب فأصابه سهم غرب فمات من حينه فولوا صهره قطب الدين ثم لم يحمدوا سيرته فقتلوه بعد أربعين يوما وولى بعده السلطان غياث الدين وتزوج بنت السلطان الشريف جلال الدين التي كنت متزوجة أختها بدهلي

﴿ ذكر وصولي إلى السلطان غياث الدين ﴾

ولما وصلنا إلى قرب من منزله بعث بعض الحجابات لتلقينا وكان قاعدا في برج خشب وعادتهم بالهند أن لا يدخل أحد على السلطان دون خوف ولم يكن عندي خوف فأعطاني بعض السكفار خفا وكان هنالك من المسلمين جماعة فعجبت من كون السكفار كان أنهم مروءة منهم ودخلت على السلطان فأمرني بالجلوس ودعا القاضي الحاج صدر الزمان بهاء الدين وأنزاني في جواره ثلاثة من أخبية وهم يسمونها الخيام وبعث بالفرش وبطعامهم وهو الارز واللحم وعادتهم هنالك أن يسقوا اللبن الرائب على الطعام كما يفعل ببلادنا ثم اجتمعت به بعد ذلك والقيت له أمر جزا أرذبة المهمل وإن يبعث الجيش إليها فأخذ في ذلك بالعموم وعين المراكب لذلك وعين الهدية لسلطانها والخلع للوزراء والأمراء والعطايا لهم وفوض إلى في عقد نكاحه مع أخت السلطنة وأمر بوثق ثلاثة مراكب بالصدقة لفقراء الجزائر وقال لي يكون رجوعك بعد خمسة أيام فقال له قائد البحر خواجه سرك لا يمكن السفر إلى الجزائر إلا بعد ثلاثة أشهر من الآن فقال لي السلطان أما إذا كان الأمر هكذا فامض إلى فن حتى تقضى هذه الحركة وتعود إلى حضرتنا مترة ومنها تكون الحركة فأقمت معه بخلال ما بعثت عن الجوارى والأصحاب .

﴿ ذكر ترتيب رحيله وشنييع فعله في قتل النساء والولدان ﴾

وكانت الأرض التي نساكها غيضة واحدة من الأشجار والقصب بحيث لا يساكنها أحد فأمر السلطان أن يكون لكل واحد من الجيش من كبير وصغير قادوم لقطع ذلك فإذا زلت المحلة ركب إلى الغابة والناس معه فقطعوا تلك الأشجار من غدوة النهار إلى الزوال ثم يوثق بالطعام فياكل جميع الناس طائفة بعده أخرى ثم يعودون إلى قطع الأشجار إلى العشي وكل من وجدوه من السكفار في الغيضة أسروه وصنعوا خشبة محددة الطرفين فجعلوها على كتفيه

يحملها معه امرأته وابولاده ويؤتي بهم إلى المحلة وعادتهم ان يصنعوا على المحلة سوراً من خشب يكون له أربعة ابواب ويسمونه السكتكر (بفتح الكافين وسكون التاء المعلوطة وآخره راء) ويصنعون على دار (س) كسكرانياً ويصنعون خارج السكتكر الاكبر مصاطب ارتفاعها نحو نصف قامة ويوقدون عليها النار بالليل ويبعث عندها العبيد والمشائون ومع كل واحد منهم حزمة من رقيق القصب فاذا أتى أحد من الكفار ليضربوا على المحلة ليلا او قد كل واحد منهم الحزمة التي بيده فعاد الليل شبه النهار لسكثرة الضياء وخرجت الفرسان في اتباع السكتكر فاذا كان عند الصباح قسم السكتكر الماسورون بالامسار بعة اقسام واتى الى كل باب ابواب السكتكر بقسم منهم فركزت بالخشب التي كانوا يحملونها بالامس عندهم ركزوا فيها حتى تنفذهم ثم تدبج لساقوهم ويربطون بشعورهن الى تلك الخشب ويدبج الاولاد الصغار في حجورهن ويتركون هنالك وتزل المحلة ويشغلون بقطع غنضة اخرى ويصنعون بمن اسروه كذلك وذلك امر شنيع ما علمته لأحد من الملوك وبسببه عجل الله حينه ولقد رأيته يوماً والقاضي عن يمينه واباعن شماله وهو يأكل معنا وقد أتى بكافر معه امرأته وولد سنه سبع فأشار إلى السيافين بيده ان يقطعوا رأسه ثم قال لهم وزن أو بسر أو معناه وابنه وزوجته فقطعت رقابهم وصرفت بصري عنهم فلما قت وجدت رؤسهم مطروحة بالارض وحضرت عنده يوماً وقد أتى برجل من السكتكر فتكلم بما لم أفهمه فاذا بجماعة من الزبانية قد استلوا سبكا كينهم فبادرت القيام فقال لي الى اين فقلت اصلى العصر ففهم عني وضحك وامر بقطع يديه ورجليه فلما عدت وجدته متشجطاً في دماثة

(ذكر هزيمة السكتكر وهي من اعظم فتوحات الاسلام)

وكان فيما يجاور بلاده سلطان كافر يسمى بلاديو (بفتح الباء الموحدة ولام والفاء ولام ثانية ودال مهملة مكسورة وياء آخر الحروف مفتوحة وواو مسكن) وهو من كبار سلاطين السكتكر يزيد عسكره على مائة الف ومعه نحو عشرين الفا من المسلمين اهل الدعارة وذوى الجنائيات والعبيد الفارين فطمع في الاستلاء على بلاد المعبر وكان عسكر المسلمين بها ستة الاف منهم النصف من الجياد والنصف الثاني لآخر فيهم ولا غناء عندهم فلقوه بظاهر مدينة كيان فهزمهم ورجعوا الى حضرة مثة ونزل الكافر على كيان وهي من اكبر مدنها واحصنها وحاصرها عشرة اشهر ولم يبق لهم من الطعام الا قوت اربعة عشر يوماً فبعث لهم الكافر ان ينخرجوا على الامان ويتركوا له البلد فقالوا له لا بد من مطالعة سلطاننا بذلك فوعدهم الى تمام اربعة عشر يوماً فسكتب الى السلطان غياث الدين بامرهم فقرأ كتابهم

على الناس يوم الجمعة فبكوا وقالوا نبيع انفسنا من الله فان الكافر . ان اخذ تلك المدينة انتقل الى حصارنا فاموت تحت السيوف أولى بنا فتعاهدوا على الموت وخرجوا من الغد ونزعوا العمام عن رؤسهم جعلوها في اعناق الخيل وهى علامة من يريد الموت وجعلوا ذوى النجدة والابطال منهم في المقدمة وكانوا ثلاثمائة وجعلوا على الميمنة سيف الدين بهادر وكان فقيها ورعا شجاعا وعلى الميسرة الملك محمد السلحدار وركب السلطان في القلب ومعه ثلاثة الاف وجعل الثلاثة الالاف الباقين ساقية لهم وعليهم اسد الدين كينخسرو الفارسي وقصدوا محلة الكافر عند القايلة واهلها على غرة وخيلهم في المرعى فاغاروا عليها وظن الكفار انهم سراق فخرجوا اليهم على غير تعبئة وقاتلوهم فوصل السلطان غياث الدين فانهزم الكفار شهزيمة واراد سلطانهم ان يركب وكان ابن ثمانين سنة فادركه ناصر الدين بن اخي السلطان الذى ولى الملك بعده فأراد قتله ولم يعرفه فقال له احد غلماناه هو السلطان فأسره وحمله الى عمه فأكرمه فى الظاهر حتى حبي منه الاموال والفيلة الخيل وكان يعده السراح فلما استصفى ما عنده ذبحه وسلخه وملا جلده بالثين فعلق على سور مترة ورأيت به معلقا وانعد الى كلامنا فنهقول ورحلت عن المحلة فوصلت الى مدينة فتن (بفتح الفاء والتاء والمثناة المشددة ونون) وهى كبيرة حسنة على الساحل ومرساها عجيب قد صنعت فيه قبة خشب كبيرة قائمة على الخشب الضخم يصعد اليها على طريق خشب مسقف فاذا جاء العدو وضمو اليها الاجفان التى تكون بالمرسى وصعدوا الرجال والرماة فلا يصيب العدو وفرصة وبهذه المدينة مسجد حسن مبني بالحجارة وبها العنب الكثير والارمان والطيب ولقيت الشيخ الصالح محمد النيسابورى احد الفقراء المولدين الذين يسدلون شعورهم على اكتافهم ومعه سبع رباه يأكل مع الفقراء ويقعد معهم وكان معه نحو ثلاثين فقيرا لاحد غزاله تسكون مع الاسد فى موضع واحد فلا يعرض لها واقمت بمدينة فتن وكان السلطان غياث الدين قد صنع له احد الجوكية حبوبا للقوة على الجماع وذكروا ان من جملة اخلاطها براده الحديد فأكل منها فوق الحاجة فمرض ووصل الى فتن فخرجت الى لقائه واهدت له هدية فلما استقر بها بعث عن قائد البحر خواجة سرور فقال له لا تشغل بسوى المراكب المعينة للسفر الى الجزائر واراد ان يعطينى قيمة الهدية فابيت ثم ندمت لانه مات فلم اخذ شيئا وأقام بفتن نصف شهر ثم رحل الى حضرته واقمت انا بعده نصف شهر ثم رحلت الى حضرته وهى مدينة مترة (بضم الميم وسكون التاء المعلو وفتح الراء) مدينة كبيرة متسعة الشوارع واول من اتخذها حضرة صهرى السلطان الشريف جلال الدين

أحسن شاه وجعلها شبيبة بدهلي وأحسن بناءها ولما قدمها وجدت بها وباء يموت منه الناس موتاً ذريعاً فمن مرض مات من ثانی يوم مرضه أو ثالثه وإن أباً وموته فالی الرابع فسكنت إذا خرجت لأرى إلا مريضاً أو ميتاً واشتریت بها جارية علی أنها صالحة فماتت فی يوم آخر ولقد جاءت لی فی بعض الايام امرأة كان زوجها من وزراء السلطان أحسن شاه ومعهما ابن لهاسنه ثمانية أعوام نبيل كيس فطن فشكت ضعف حالها فأعطيتها نفقة وهما صحيان سويان فلما كان من الغد جاءت تطلب لولدها المذكور كفناً وإذا به قد توفي من حميه وكنت أرى بمشور السلطان حين مات الميتين من الخدم اللاتي أتى بهن لدق الارز المعمول منه الطعام لغير السلطان وهن مريضات قد طرحن أنفسهن في الشمس ولما دخل السلطان متراً وجد أمه وامرأته وولده مرضى فاقام بالمدينة ثلاثة أيام ثم خرج إلى نهر علی فرسخ منها كانت عليه كنيسة للكفار وخرجت اليه في يوم خميس فامر بانزاله الى جانب القاضي فلما ضربت الى الاخبية رأيت الناس يسرحون ويموج بعضهم في بعض فمن قائل ان السلطان مات ومن قائل ان ولده هو الميت ثم تحقق ذلك فكان الولد هو الميت ولم يكن له سواه فكان موته بما زاد في مرضه وفي الخيس بعده توفيت أم السلطان

(ذكر وفاة السلطان وولاية ابن أخيه وانصرافه عنه)

وفي الخيس الثالث توفي السلطان غياث الدين وشعرت بذلك فبادرت الدخول إلى المدينة خوفاً للفتنة ولقيت ناصر الدين ابن أخيه الوالي بعده خارجاً إلى المحلة قد وجهه عنه إذ ليس للسلطان ولد فطلب في الرجوع معه فابيت واثراً في قلبه وكان ناصر الدين هذا خديماً بدهلي قبل أن يملك عمه فلما ملك عمه هرب في زى الفقراء اليه فكان من القدر ملكه بعده ولما بويع مدحته الشعراء فاجزل لهم العطايا وأول من قام مقام منشد القاضي صدر الزمان فأعطاه خمسمائة دينار وخلعة ثم الوزير المسمى بالقاضي فأعطاه ألفي دينار درهم وأعطاني أنا ثلاثمائة دينار وخلعة وبعث الصدقات في الفقراء والمساكين ولما خطب الخطيب أول خطبة خطبها باسمه نثرت عليه الدنانير والدراهم في أطباق الذهب والفضة وعمل عزاء السلطان غياث الدين فكانوا يجمعون القرآن على قبره كل يوم ثم يقرأ العشرون ثم يؤتى بالطعام قديماً كل الناس ثم يعطون الدراهم كل انسان على قدره واقاموا على ذلك اربعين يوماً ثم يفعلون ذلك في مثل يوم وفاته من كل سنة وأول ما بدا به السلطان ناصر الدين ان عزل وزير عمه وطلبه بالاموال وولى الوزارة الملك بدر الدين الذى بعثه عمه إلى وانا بهتين ليتلقانى فتوفي سريعاً فولى الوزراء خواججه سرور قائد البحر وأمران يخاطب بخواجه

جهان كما يخاطب الوزير بدهلي ومن خاطبه بغير ذلك غرم دنائير معلومة ثم ان السلطان ناصر الدين قتل ابن عمته المتزوج بنت السلطان غياث الدين وتزوجها بعده وبلغه ان الملك مسعودا زاره في محبسه قبل موته فقتله أيضا وقتل الملك بهادر وكان من الشجعان الكرماء الفضلاء وامر لي بجميع ما كان عينه عمه من المراكب برسم الجزائر ثم أصابني الحى القاتلة هنالك فظننت أنها القاضية والهمى الله إلى التمر الهندي وهو هنالك كثير فأخذت نحو رطل منه وجعلته في الماء ثم شربته فاستعافى ثلاثة أيام وعافاني الله من مرضى فكرهت تلك المدينة وطلبت الاذن في السفر فقال لي السلطان كيف تسافر ولم يبق إلا أيام السفر إلى الجزائر غير شهر واحد اقم حتى نعطيك جميع ما أمر لك به خوند عالم فابيت وكتب لي إلى قنن لاسافر في أى مركب اردت وعدت إلى قنن فوجدت ثمانية من المراكب تسافر إلى اليمن فسافرت في أحدها ولقينا أربعة اجفان فقاتلنا يسيرا ثم انصرفنا ووصلنا إلى كولم وكان في بقية مرض فاقت ثلاثة اشهر ثم ركبت في مركب بقصد السلطان جمال الدين الهنورى فخرج علينا السكفاريين هنور وفا كنور

﴿ ذكر سلب السكفاري لنا ﴾

ولما وصلنا إلى الجزيرة الصخرى بين هنور وفا كنور خرج علينا السكفاري في اثني عشر مركبا حربية وقاتلونا قتلا شديدا وتغلبوا علينا فاخذوا جميع ما عندي مما كنت ادخره للشدائد وأخذوا الجواهر والياقوت التي أعطاها ملك سيلان وأخذوا ثيابي والزادات التي كانت عندي مما أعطاها الصالحون والاولياء ولم يتركوا لي سائر اخلا السر او يل وأخذوا ما كان لجميع الناس وانزلونا بالساحل فرجعت إلى القلوط فدخلت بعض المساجد فبعثت إلى أحد الفقهاء بثوب وبعث القاضي بعامة وبعث بعض التجار بثوب آخر وتعرفت هنالك بزوجة الوزير عبد الله بالسلطنة خديجة بعد موت الوزير جمال الدين وبان زوجتي التي تركتها حامل اولدت واداذ كر انخطر لي السفر إلى الجزائر وتذكرت العداوة التي بيني وبين الوزير عبد الله ففتحت المصحف فخرج لي تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا فاستخرت الله وسافرت فوصلت بعد عشرة أيام إلى جزائر ذبية المهمل ونزات منها بكننوس فاكرمنى واليها عبد العزيز المقدشاوى وأضافني وجعل لي كندرة ووصلت بعد ذلك إلى هلى وهي الجزيرة التي تخرج السلطنة واخوتها اليها برسم التفرج والسياحة ويسمعون ذلك التفرج ويلعبون في المراكب وبعث لها الوزراء والامراء بالهدايا والتحف متى كانت بها وحدث بها اخنت السلطنة وزوجها الخطيب محمد بن الوزير جمال الدين وامها التي كانت زوجتي فجاء الخطيب

إلى وأتوا بالطعام ومر بعض أهل الجزيرة إلى الوزير عبد الله فأعلموه بقدمي فسأل عن حال
وعمن قدم معي وأخبر أني جئت برسم حمل ولدي وكان سنه نحو عامين وأتته أمه تشكو من
ذلك فقال لها أنا لا أمانعه من حمل ولده وصادرتني في دخول الجزيرة وأنزاني بدار تقابل برج
قصره ليتطلع على حالى وبعث إلى بكسوة كاملة وبالتنبول وماء الورد على عادتهم وجئت
بشوي حرير الرمي عند السلام فأخذوهما ولم يخرج الوزير إلى ذلك اليوم وأتى إلى بولدي
فظهر لي أن إقامته معهم خير له فرددته إليهم واقمت خمسه أيام وظهر لي أن تعجيل السفر أولى
فطلبت الإذن في ذلك فاستدعاني الوزير ودخلت عنده وأتوني بالثوبين اللذين أخذوهما مني
فرميتهما عند السلام على العادة وأجلسني إلى جانبه وسألتني عن حالى وأكلت معه الطعام
وغسلت يدي معه في الطست وذلك شيء لا يفعله مع أحد وأتوا بالتنبول وانصرفت
وبعث إلى بأثواب وبساتين من الودع وأحسن أفعاله وأجمل وسافرت فأقنعا على ظهر البحر
ثلاثا وأربعين ليلة ثم وصلنا إلى بلاد بنجاللة (وضبطها بفتح الباء الموحدة وسكون النون
وجيم معقودة وألف ولام مفتوح) وهي بلاد متسعة كثيرة الارز ولم أرفى الدنيا أرخص
أسعاراً منها لسكرها مظلمة وأهل خراسان يسمونها دوزخست (دوزخ) بور (بر) نعمة
معناه جهنم ملأى بالنعيم رأيت الارز يباع في أسواقها خمسة وعشرين رطلاً ذهلياً بدينار
فضى والدينار الفضى هو ثمانية دراهم ودرهمهم كالدرهم النقرة سواء والرطل الذهلي
عشرون رطلاً مغربية وسميتهم يقولون أن ذلك غلاء عندهم وحدثنى محمد المصمودي
المغربى وكان من الصالحين وسكن هذا البلد قديماً ومات عندهم بدهلي أنه كانت له زوجة
وخادم فكان يشتري قوت ثلاثهم في السنة بثمانية دراهم وأنه كان يشتري الارز في قشره
بحساب ثمانين رطلاً ذهلياً بثمانية دراهم فإذا دفعه خرج منه خمسون رطلاً ذهلياً وهي عشرة
قناطير ورأيت البقرة تباع بالحلل بثلاثة دنانير فضة وبقرة الجواميس ورأيت الدجاج
السمان تباع بحساب ثمان بدرهم واحد وفراخ الحمام يباع خمسة عشر بدرهم ورأيت السكبش
السمين يباع بدرهمين ورطل السكر بأربعة دراهم وهو رطل ذهلي ورطل الجلاب بثمانية
دراهم ورطل السمن بأربعة دراهم ورطل السيرج بدرهمين ورأيت ثوب القطن الرقيق
الجيد الذى ذرعه ثلاثون ذراعاً يباع بدينارين ورأيت الجارية المليحة للفراش تباع بدينار
من الذهب واحد وهو ديناران ونصف دينار من الذهب المغربى واشتريت بنحو هذه
القيمة جارية تسمى عاشورة وكان لها جمال بارع واشترى بعض أصحابي غلاماً صغير السن
حسناً اسمه لؤى بدينارين من الذهب وأول مدينة دخان من بلاد بنجاللة مدينة سدكاو أن

وضبط اسمها (بضم السين وسكون الدال المهملين وفتح السكاف والواو وآخره نون)
وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر الأعظم ويجتمع بها نهر السكنك الذي يسبح إليه
الهنود ونهر الجون ويصبان في البحر ولهم في النهر مراكب كثيرة يقاتلون بها أهل
بلاد السكنوتى

(ذكر سلطان بنجاله)

وهو السلطان نغر الدين الملقب بفخره (بالفاء والخاء المعجم والراء) سلطان فاضل
حبيب في الغرباء وخصوصا الفقراء والمتصوفة وكانت مملكة هذه البلاد للسلطان ناصر
الدين بن السلطان غياث الدين بلبن وهو الذى ولى ولده معز الدين الملك بدھلى فتوجه
لقتاله والتقىا بالنهر وسعى لتأقؤهما لقاء السعدين وقد ذكرنا ذلك وأنه ترك الملك لولده
وعاد إلى بنجاله فأقام بها إلى أن توفى وولى ابنه شمس الدين إلى أن توفى فولى ابنه شهاب
الدين إلى أن غلب عليه أخوه غياث الدين بهادور بور فاستنصر شهاب الدين بالسلطان
غياث الدين تغلق فنصره وأخذ بهادور بور أسيرا ثم أطلقه ابنه محمد لما ملك على أن
يقاسمه مملكة فنسكت عليه فقاتله حتى قتل وولى على هذه البلاد صھرا له فقتله العسكر
واستولى على مملكها على شاه وهو إذ ذاك ببلاد السكنوتى فلما رأى نغر الدين أن الملك
قد خرج عن أولاد السلطان ناصر الدين وهو ولى لهم خالف بسدكاوان وبلاد بنجاله
واستقل بالملك واشتدت الفتنة بينه وبين على شاه فاذا كانت أيام الشتاء والوحل أغار
فخر الدين على بلاد السكنوتى فى البحر لقوته فيه ولذا عادت الأيام التى لا مطر فيها
أغار على شاه على بنجاله فى البر لقوته فيه * (حكاية) *

وانتهى حب الفقراء بالسلطان فخر الدين إلى أن جعل أحدهم نائباً عنه فى الملك
بسدكاوان وكان يسمى شيدا (بفتح الشين المعجم والدال المهمل بينهما ياء آخر
الحروف) وخرج إلى قتال عدوله خالف عليه شيدا وأراد الاستيلاء بالملك وقتل
ولد السلطان نغر الدين ولم يكن له ولد غيره فعلم بذلك فسكر عائداً إلى حصرتة ففر
شيدا ومن اتبعه إلى مدينة ستركاوان وهى منبجة فبعث السلطان بالعساكر إلى حصاره
فخاف أهلها على أنفسهم فقبضوا على شيدا وبعثوه إلى عسكر السلطان فكتبوا إليه
بأمره فأمرهم أن يبعثوا له رأسه فبعثوه وقتل بسببه جماعة كبيره من الفقراء ولما
دخلت سدكاوان لم أر سلطانها ولا لقيته وأنه خالف على ملك الهند فخفت عاقبة ذلك
وسافرت من سدكاوان بقصد جبال كامرو وهى (بفتح السكاف والميم وضم الراء)
وبينها وبين سدكاوان مسيرة شهر وهى جبال متسعة متصلة بالصين وتتصل أيضا
ببلاد التبت حيث غزلان المسك وأهل هذا الجبل يشبهون الترك ولهم قوة على الخدعة
والغلام منهم يساوى أضعاف ما يساويه الغلام من غيرهم وهم مشهورون بمعاينة السحر

والاشتغال به وكان قصدى بالمسير إلى هذه الجبال لقاء ولي من الاولياء وهو الشيخ
جلال الدين التبريزي

(ذكر الشيخ جلال الدين)

وهذا الشيخ من كبار الاولياء وأفراد الرجال له السكرامات الشهيرة والمآثر العظيمة وهو
من المعمرين أخبرني رحمه الله أنه أدرك الخليفة المستعصم بالله العباسي ببغداد وكان بها حين قتله
وأخبرني أصحابه بعد هذه المدة أنه مات وهو ابن مائة وخمسين وأنه كان له نحو أربعين سنة يسرد
الصوم ولا يفطر إلا بعد مواسلة عشر وكانت له بقرة يفطر على حليبها ويقوم الليل كله وكان
نحييف الجسم طويلا خفيف العارضين وعلى يديه أسلم أهل تلك الجبال ولذلك أقام بينهم

(كرامة له)

أخبرني بعض أصحابه أنه استدعاهم قبل موته بيوم واحد وأوصاهم بتقوى الله وقال لهم إنني
أسافر عنكم غدا إن شاء الله وخليفتي عليكم الله الذي لا إله إلا هو فلما صلى الظهر من الغد
قبضه الله في آخر سجدة منها ووجدوا في جانب الغار الذي كان يسكنه قبرا محفورا عليه
السكفن والحنوط فمسحوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه به رحمه الله تعالى

(كرامة له أيضا)

ولما قصدت زيارة هذا الشيخ لقيتني أربعة من أصحابه على مسيرة يومين من موضع سكنه
فأخبروني أن الشيخ قال للفقراء الذين معه قد جاءكم سائح من المغرب فاستقبلوه وانهم أتوا ذلك
بأمر الشيخ ولم يكن عندهم علم من أمرى وإنما كوشفت به وسرت معهم إلى الشيخ فوصلت
زاويته خارج الغار ولا عمارة عندها وأهل تلك البلاد من مسلم وكافر يقصدون زيارته
ويأتون بالهدايا والتحف فيأكل منها الفقراء والواردون وأما الشيخ فقد اقتصر على
بقرة يفطر على حليبها بعد عشر كما قدمناه ولما دخلت عليه قام إلى وعانقني وسألني عن
بلادى وأسفارى فأخبرته فقال لي أنت مسافر العرب فقال له من حضر من أصحابه
والعجم ياسيدنا فقال والعجم فأكرموه فاحتملوني إلى الزاوية وأضافوني ثلاثة أيام

(حكاية عجيبة في ضمنها كرامات له)

ولما كان يوم دخولي إلى الشيخ رأيت عليه فرجية مرعز فأعجبته وقلت في نفسي ليت
الشيخ أعطانها فلما دخلت عليه للوداع قام إلى جانب الغار وجرد الفرجية وألبسنيها مع
حلاقة من رأسه ولبس مرقعة فأخبروني الفقراء أن الشيخ لم تسكن عادته أن يلبس تلك
الفرجية وإنما لبسها عند قدمي وأنه قال لهم هذه الفرجية يطلبها المغربي ياخذها منه
سلطان كافر ويعطها لأخيها برهان الدين الصاغري وهي له وبرسمه كانت فلما أخبرني

الفقراء بذلك قلت لمن لقد حصلت لى بركة الشيخ بأن كسانى لباسه وأنا لأدخل بهذه
الفرجية على سلطان كافر ولا مسلم وانصرفت عن الشيخ فاتفق لى بعد مدة طويلة أنى
دخلت بلاد الصين وانتهيت الى مدينة الخنسا فافترق منى أصحابى لكثرة الزحام وكانت
الفرجية على قبينا أنا فى بعض الطرق إذا بالوزير فى موكب عظيم فوقع بصره على فاستدعانى
وأخذ بيدي وسألتنى عن مقدمى ولم يفارقنى حتى وصلت الى دار السلطان معه فأردت
الانفصال فمضى وأدخلنى على السلطان فسألتنى عن سلاطين الاسلام فأجبتته ونظر لى
الفرجية فاستحسنها فقال لى الوزير جردها فلم يمكنى خلاف ذلك فأخذها وأمر لى بعشر خلع
وفرس محجز ونفقة وتغير خاصرى لذلك ثم ذكرت قول الشيخ انه يأخذها سلطان كافر فقال
عجبى من ذلك ولما كان فى السنة الأخرى دخلت دار ملك الصين بخان باق فقصدت
زاوية الشيخ برهان الدين الصاغر جى فوجدته يقرأ والفرجية عليه بعينها فعجبت من
ذلك وقلبها بيدي فقال لى لم تقبلها وأنت تعرفها فقلت له نعم هى التى أخذها منى سلطان
الخنسا فقال لى هذه الفرجية صنعها أخى جلال الدين برسمى وكتب الى ان الفرجية تصلك
على يد فلان ثم اخرج لى الكتاب فقرأته وعجبت من صدق يقين الشيخ وأعلنته بأول
الحكاية فقال لى أخى جلال الدين أكبر من ذلك كله وهو يتصرف فى السكون وقد انتقل
الى رحمة الله تعالى .

ثم قال بلخى انه كان يصلى الصبح كل يوم بمكة وانه يحج كل عام لأنه يخيب عن
الناس يومى عرفة والعيد فلا يعرف أين ذهب ولما ادعت الشيخ جلال الدين سافرت
الى مدينة حقن (وضبط اسمها بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة وسكون النون وقاف)
وهى من أكبر المدن وأحسنها يشقها النهر الذى ينزل من جبال كامر ويسمى النهر
الأزرق ويسافر فيه الى بنجالة وبلاد السكنوتى وعليه النواوير والبساتين والقرى
يمنة ويسرة كما هى على نيل مصر وأهلها كسفارت تحت الذمة يؤخذ منهم نصف ما يزدعون
وظائف سوى ذلك وسافروا فى هذا النهر خمسة عشر يوما بين القرى والبساتين فكانا
نمشى فى سوق من الأسواق وفيه من المراكب مالا يحصى كثرة وفى كل مركب
منها طبل فاذا التقى المركبان ضرب كل واحد طبله وسلم بعضهم على بعض وأمر
السلطان نحر الدين المذكور أن لا يأخذ بذلك النهر من الفقراء نول وان يعطى الزاد لمن
لا زاد له منهم وإذا وصل الفقير الى مدينة أعطى نصف دينار وبعد خمسة عشر يوما من
سفرنا فى النهر كما ذكرناه وصلنا الى مدينة سنركاوان وسنر (بضم السين المهملة والنون
وسكون الراء) وهى المدينة التى قبض أهلها على الفقير شيئا عندما لجأ اليها ولما وصلنا
وجدنا بها جيشا يريد السفر الى بلاد الجاوة وبينهما أربعون يوما فركبنا وفيه وصلنا بعد

خمسة عشر يوما إلى بلاد البرهشكار الذين أفواههم كأفواه الكلاب (وضبطها بفتح الباء الموحدة والراء والنون والسكاف وسكون الهاء) وهذه الطائفة من الهبيج لا يرجعون إلى دين الهند ولا إلى غيره وسكنائهم في بيوت مسقفة بحشيش الأرض على شاطئ البحر وعندهم من أشجار الموز والفوفل والتنبول كثير ورجالهم على مثل صورتنا إلا أفواههم كأفواه الكلاب وأما نسائهم فليس كذلك ولهن جمال بارع ورجالهم عرايا لا يستترون إلا أن الواحد يجعل ذكره وأنثيه في جمعة من القصب مثقوشة معلقة في بطنه ويستتر نسائهم بأوراق الشجر ومعهم جماعة من المسلمين من أهل بنجاله والجاوة ساكنون في حارة على حدة أخبرونا أنهم يتناكحون كالبهائم لا يستترون بذلك ويكون للرجل منهم ثلاثون امرأة فما دون ذلك أو فوقه وأنهم لا يزنون وإذا نارجل منهم أخذ الرجل أن يصاب حتى يموت أو يؤتى صاحبه أو عبده فيصاب عوضا منه ويسرح هو وحواله المرأة أن يأمر السلطان جميع خدامه فينكحونها واحدا بعد واحد بحضرة حتى تموت ويرمون بها في البحر ولاجل ذلك لا تكون أحدا من أهل المراكب ينزل إليهم إلا أن كان من المقيمين عندهم وإنما يبيعون الناس ويشارونهم على الساحل ويسوقون إليهم الماء على الفيلة لأنه بعيد من الساحل ولا يتركونهم لاستقائه خوفا على نسائهم لأنهم يطعمون الرجال الحسان والفيلة كثيرة عندهم ولا يسعها أحد غير سلطانهم ثم يشتري منهم بالآثوب ولهم كلام غريب لا يفقه إلا من ساكنهم وأكثر التردد إليهم ولما وصلنا إلى ساحلهم أتوا إلينا في قوارب صغار كل قارب من خشبة واحدة منحوتة وجاءوا بالموز والأرز والتنبول والفوفل والسكك

(ذكر سلطانهم)

وأقربنا سلطانهم راكبا على فيل عليه شبه بردعة من الجلود ولباس السلطان ثوب من جلود الماعز وقد جعل الوبر إلى خارج وفوق رأسه ثلاث عصائب من الحرير ملونات وفي يده حربة من القصب ومعها نحو عشرين من أقاربه على الفيلة فيبعثنا إليه هدية من الفلفل والزنجبيل والقرقة والحوت الذي يكون بجزائر ذببة الممل وأثوابا من بنجاله وهم لا يلبسونها إنما يكسونها الفيلة في أيام عيدهم ولهذا السلطان على كل مركب ينزل ببلاده جارية ومملوك وثياب مكسوة الفيل وحلي ذهب تجعله زوجته في محزمها وأصابع رجلها ومن لم يعط هذه الوظيفة صنعوا له سحرا يهيج به البحر فيهلك أو يقارب الهلاك

(حكاية)

واتفق في ليلة من ليالي إقامتنا بمساهم أن غلاما لصاحب المراكب ممن تردد إلى هؤلاء

الطائفة نزل من المركب ليلا وتواعد مع امرأة أحد كبارهم إلى موضع شبه الغار على الساحل وعلم بذلك زوجها فجاء في جمع من أصحابه إلى الغار فوجدهما به غملا إلى سلطانهم فأمر بالغلام فقطعت أنثياه وصلب وأمر بالمرأة فجامعها الناس حتى ماتت ثم جاء السلطان إلى الساحل فاعتذر عما جرى وقال أنا لا نجد بدا من أمضاء أحكامنا وهب لصاحب المركب غلاما عوض الغلام المطلوب ثم سافرنا عن هؤلاء وبعد خمسة وعشرين يوما وصلنا إلى جزيرة الجاوة (بالجيم) وهي التي ينسب إليها اللبان الجاوى رأيناها على مسيرة نصف يوم وهي خضرة نضرة وأكثر أشجارها النارجيل والفوقل والقرنفل والعود الهندى والشكى والبركى والعنبة والجون والنارنج الخلو وقصب الكافور وبيع أهلها وشرأثم بقطع قصدير وبالذهب الصينى التبر غير المسبوك والكثير من أفايه الطيب التي يبلاد السكفار إنما هو منها وأما يبلاد المسلمين فهو أقل من ذلك ولما وصلنا المرسى خرج إلينا أهلها في مراكب صغار ومعهم جوز النارجيل والموز والعنبة والسّمك وعادتهم أن يهدوا ذلك للتجار فيكافئهم كل واحد على قدره وصعد إلينا أيضا نائب صاحب البحر وشاهد من معنا من التجار وأذن لنا في النزول إلى البر فنزلنا إلى البندر وهي قرية كبيرة على ساحل البحر بها دور اسمها السرحى (بفتح السين المهمل وسكون الراء وفتح الحاء المهمل) وبينها وبين البلد أربعة أميال ثم كتب إلى بهر نائب صاحب البحر إلى (س) فعرفه بقدمى فأمر الأمير دولسة بلقائى والقاضى الشريف أمير سيد الشيرازى وتاج الدين الأصفهائى وسواهم من الفقهاء فخرجوا لذلك وجاءوا بفرس من مراكب (س) وأفراس سواه فركبت وركب أصحابى ودخلنا إلى حضرة (س) وهي مدينة سمطرة (بضم السين المهمل والمم وسكون الطاء وفتح الراء) مدينة حسنة كبيرة عليها سور خشب وأبراج خشب .

(ذكر سلطان الجاوة)

وهو السلطان الملك الظاهر من فضلاء الملوك شافعى المذهب محب فى الفقهاء يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة وهو كثير الجهاد والغزو ومتواضع يأتى إلى صلاة الجمعة ماشيا على قدميه وأهل بلاده شافعية محبون فى الجهاد يخرجون معه تطوعا وهم غالبون على من يليهم من السكفار والسكفار يعطونهم الجزية على الصلح .

(ذكر دخولنا إلى داره وإحسانه إلينا)

ولما قصدنا إلى دار (س) وجدنا بالقرب منه رماحا مكرزة على جانب الطريق وهي علامة

على نزول الناس فلا يتجاوزها من كان راكبا فنزلنا عندها ودخلنا المشور فوجدنا نائب السلطان وهو يسمى عمدة الملك فقام إلينا وسلم علينا وسلامهم بالمصافحة وقدم معنا وكتب بطاقة إلى السلطان بعلمه بذلك وختمها ودفعها لبعض الفتيان فأتاه الجواب على ظهرها ثم جاء أحد ببقشة والبقشة (بضم الباء الموحدة وسكون القاف وفتح الشين المعجم) هي السبينة فأخذها النائب بيده وأخذ بيدي وأدخلني إلى دويرة يسمونها فردخانة على وزن زردخانة (الأن أولها فاء) وهي موضع راحته بالنهار فإن العادة أن يأتي السلطان إلى المشور بعد الصبح ولا ينصرف إلا بعد العشاء الآخرة وكذلك الوزراء والأمراء الكبار وأخرج من البقشة ثلاث فوط أحداها من خالص الحرير والأخرى حرير وقطن وأخرى حرير وكتان وأخرج ثلاثة أثواب يسمونها التختانيات من جنس الفوط وأخرج ثلاثة من الثياب مختلفة الأجناس تسمى الوسطانيات وأخرج ثلاثة أثواب من الأرمك أحدها أبيض وأخرج ثلاث عمامات قلبست فوطه منها عوض عن السراويل على عادتهم وثوبا من كل جنس وأخذ أصحابي ما بقي منها .

ثم جاؤا بالطعام أكثره الأرز ثم أتوا بنوع من الفقاع ثم أتوا بالتنبول وهو علامة الانصراف فأخذناه وقمنا وقام النائب لقيامنا وخرجنا عن المشور فركبنا وركب النائب معنا وأتوا بنا إلى بستان عليه حائط خشب وفي وسطه دار بناؤها بالخشب مقر وشة بقطائف قطن يسمونها الخملات (بالميم والخاء المعجم) ومنها مصبوغ وغير مصبوغ

وفي البيت اسرة من الخيزران فوقها مضربات من الحرير ولحف خفاف ومخاد يسمونها البوالشت تجلسنا بالدار ومعنا النائب ثم جاء الأمير دواسة بجارين وخادمين وقال لي يقول لك السلطان هذا على قدرنا الأعلى قدر السلطان محمد ثم خرج النائب وبقي الأمير دواسة عندي وكانت بنتي وبينه معرفة لأنه كان ورد رسولا على السلطان بدهلي فقلت له متى تسكون رؤية السلطان فقال لي إن العادة عندنا أن لا يسلم القادم على السلطان إلا بعد ثلاثة ليذهب عنه تعب السفر ويثوب إليه ذهبه فأقننا ثلاثة أيام يأتي إلينا الطعام ثلاث مرات في اليوم وتأتينا الفواكه والطرف مساء وصباحا فلما كان اليوم الرابع وهو يوم الجمعة أتاني الأمير دواسة فقال لي يكون سلامك على (س) بمقصورة الجامع بعد الصلاة فأنيب الجامع وصليت به الجمعة مع حاجبه قيران (بفتح القاف وسكون الياء آخر الحروف الراء) ثم دخلت إلى (س) فوجدت القاضي أمير سيدو الطلبة عن يمينه وشماله فصاحني وسلمت عليه وأجلسني عن شماله وسألني عن (س) محمد وعن أسفاري فأجبته وعاد إلى المذاكرة في الفقه على مذهب الإمام الشافعي ولم يزل كذلك إلى صلاة العصر فلما صلاها دخل

بيتا هنالك فنزع الثياب التي كانت عليه وهي ثياب الفقهاء وبها يأتي الجامع يوم الجمعة ماشيا ثم لبس ثياب الملك وهي الأقبية من الحرير والقطن

(ذكر انصرافه إلى داره وترتيب السلام عليه)

ولما خرج من الجامع وجد الفيلة والخيل على بابها والعادة عندهم أنه إذا ركب (س) الفيل ركب من معه الخيل وإذا ركب الفرس ركبوا الفيلة ويكون أهل العلم عن يمينه فركب ذلك اليوم على الفيل وركبنا الخيل وسرنا معه إلى المشور فنزلنا حيث العادة ودخل (س) راكبنا وقد اصطف في المشور الوزراء والأمراء والسكرتار وأرباب الدولة ووجوه العسكر صفوفا فأول الصفوف صف الوزراء والسكرتار ووزرائه أربعة فسلموا عليه وانصرفوا إلى موضع وقوفهم ثم صف الأمراء فسلموا ومضوا إلى مواضعهم وكذلك تفعل كل طائفة ثم صف الشرفاء والفقهاء ثم صف الندماء والحكاماء والشعراء ثم صف وجوه العسكر ثم صف الفتيان والمماليك ووقف (س) على فيله اذاء قبة الجلوس ورفع فوق رأسه شطر مرصع وجعل عن يمينه خمسون فيلا مزينة وعن شماله مثلها وعن يمينه أيضا مائة فرس وعن شماله مثلها وهي خيل النوبة ووقف بين يديه خواص الحجاب ثم أتى أهل الطرب من الرجال فغنوا بين يديه وأتى بخيل مجلة بالحرير لها خيل ذهب وأساو وحرير مزر كشة فرقصت الخيل بين يديه فعجبت من شأنها وكنت رأيت ذلك عند ملك الهند ولما كان عند الغروب دخل (س) إلى داره وانصرف الناس إلى منازلهم

﴿ ذكر خلاف ابن أخيه وسبب ذلك ﴾

وكان له ابن أخ متزوج بنته فولاه بعض البلاد وكان الفتى يتعشق بنتا لبعض الأمراء ويريد تزوجها والعادة هنالك أنه إذا كانت أراجل من الناس أمير أو سوق أو سواه بنت قد بلغت مبلغ النكاح فلا بد أن يستأمر للسلطان في شأنها ويبحث (س) من النساء من تنظر إليها فإن أعجبه صفتها تزوجها والا تركها يزوجه أو لياؤها ممن يشاؤون الناس هنالك يرفعون في تزوج السلطان بناتهم لما يحوزون به من الجاه والشرف ولما استأمر والد البنت التي تعشقها ابن أخى السلطان بعث السلطان من نظر إليها وتزوجها واشتد شغف الفتى بها ولم يجد سبيلا إليها ثم أن السلطان خرج إلى الغزو وبينه وبين الكفار مسيرة ابن أخيه إلى سمطرة ودخلها إذ لم يكن عليها سور حينئذ وادعى الملك وبايعه بعض الناس وامتنع آخرون وعلم عمه بذلك فقمّل راجعا عائدا إليها فأخذ ابن أخيه ما قدر عليه من الأموال والذخائر وأخذ

الجارية التي تعشقها وقصد بلاد الكفار بل جاوره ولهذا في عمه السور على سمطرة وكانت اقامتى عنده بسمطرة خمسة عشر يوماً ثم طلبت منه السفر إذ كان أوانه ولا يتهاى السفر إلى الصين في كل وقت فجهز لنا جنكا وزودنا وأحسن وأجمل جزاء الله خيراً وبعث معنا من أصحابه من يأتى لنا بالضيافة إلى الجنيك وسافرنا بطول بلاده إحدى وعشرين ليلة ثم وصلنا إلى مل جاوة (بضم الميم) وهى بلاد الكفار وطولها مسيرة شهرين وبها الأفاوية العطرة والعود الطيب القافلى والقمارى وقافلة قارة من بعض بلادها وليس ببلاد السلطان الظاهر بالجاوة إلا اللبان والكافور وشيء من القرنفل وشيء من العود الهندى وإنما معظم ذلك بل جاوره واندكر ما شهدناه منها ووقفنا على أعيانه وحققناه

(ذكر اللبان)

وشجرة اللبان صغيرة تكون بقدر قامة الإنسان إلى مادون ذلك وأغصانها كأغصان الخرشف وأوراقها صغار رقائق وربما سقطت فبقيت الشجرة منها دون ورقة واللبان صمغية تكون فى أغصانها وهى فى بلاد الإسلام أكثر منها فى بلاد الكفار

(ذكر الكافور)

وأما شجر الكافور فهى قصب كقصب بلادنا إلا أن الأنايب منها أطول وأغلظ ويكون الكافور داخل الأنايب فإذا كسرت القصبية وجد فى القصبية داخل الأنوب مثل شكله من الكافور والسر العجيب فيه أنه لا يتكون فى تلك القصب حتى يذبح عند أصولها شيء من الحيوان وإلا لم يتكون شيء منه والطيب المتناهى فى البرودة الذى يقتل منه وزن الدرهم بتجميد الروح وهو المسمى عندهم بالخردلة هو الذى يذبح عند قصبية الأدمى ويقوم مقام الأدمى فى ذلك الفيلة الصغار

(ذكر العود الهندى)

وأما العود الهندى فشجره يشبه شجر البلوط إلا أن قشره رقيق وأوراقه كأوراق البلوط سواء ولا ثمر له وشجرته لا تعظم ككل العظم وعرقه طويلة وفيها الرائحة العطرة وأما عيدان شجرته وورقها فلا عطرية فيها وكل ما ببلاد الإسلام من شجره فهو متملك وأما الذى فى بلاد الكفار فأكثره غير متملك والمتملك منه ما كان بقافلة وهو أطيب العود وكذلك القمارى هو أطيب أنواع العود ويبيعونه لاهل الجاوة بالأنواب ومن القمارى صنف يطبخ عليه كالشمع وأما العطاس فانه يقطع العرق منه ويدفن فى التراب أشهراً

فتبقى فيه قوته وهو من أعجب أنواعه

(ذكر القر نفل)

وأما أشجار القر نفل فهي عادية ضخمة وهي ببلاذالكفار أ كثر منها ببلاذالإسلام وليست بتملكة لكثيرتها والمجلوب إلى بلادنا منها هو العيدان والذي يسميه أهل بلادنا نور القر نفل هو الذي يستقط من زهره وهو شبيه بزهر النارج وثمر القر نفل هو جوز بوا المعرفة في بلادنا بجوزة الطيب والزهر المتسكون فيها هو البسياسة رأيت ذلك كله وشاهدته ووصلنا إلى مرسى قافلة فوجدناه به جملة من الجنوك معد للسرقة ولمن يستعصى عليهم من الجنوك فإن لهم على كل جنك وظيفة ثم نزلنا من الجنك إلى مدينة قافلة (وهي بقاين آخرها مضموم ولا ميا مفتوح) وهي مدينة حسنة عليها سور من حجارة منحوتة عرضه بحيث تسير فيه ثلاثة من القيلة وأول ما رأيت بخارجها القيلة عليها الأحمال من العود الهندى يوقدوه في بيوتهم وهو بقيمة الحطب عندنا أو أرخص ثمننا هذا إذا ابتاعوا فيما بينهم وأما التجار فيبيعونه الحمل منه بشوب من ثياب القطن وهي أغلى عندهم من ثياب الحرير والقيلة بها كثيرة جدا عليها يركبون ويحملون كل إنسان يربط فيلته على بابه وكل صاحب حانوت يربط فيله عنده يركبه إلى داره وتحمل وكذلك جميع أهل الصين والخطا على مثل هذا الترتيب

(ذكر سلطان مل جاوه)

وهو كافر رأيت خارج قصره جالساً على قبة ليس بينه وبين الأرض بساط ومعه أربع باب دولته والعساكر يعرضون عليه مشاة ولا خيل هناك إلا عند السلطان وإنما يركبون القيلة وعليها يقانون فعرف شأني فاستدعاني فجئت وقالت السلام على من اتبع الهدى فلم يفهموا إلا لفظ السلام فرحب بي وأمر أن يفرش لي ثوب أقعد عليه فقلت لأترجمان كيف أجلس على الثوب والسلطان جالس على الأرض فقال هكذا أعادته يقعد على الأرض تواضعاً وأنت ضيف وجئت من سلطان كبير فيجب إكرامك فجلست وسألني عن السلطان فأوجز في سؤاله وقال لي تقيم عندنا في الضيافة ثلاثة أيام وحينئذ يكون انصرافك

(ذكر عجيبة رأيته بمجلسه)

ورأيت في مجلس هذا السلطان رجلاً بيده سكين شبه سكين المسفر قد وضعه على رقبة نفسه وتسكلم بكلام كثير لم أقمه ثم أمسك السكين بيديه معا وقطع عنق نفسه فوق رأسه لحدة السكين وشدة امساكه بالأرض فعجبت من شأنه وقال لي السلطان أيفعل أحد هذا عندكم فقلت ما رأيت هذا قط فضحك وقال هؤلاء عبيدنا يقتلون أنفسهم في محبتنا وأمر به فرفع وأحرق وخرج لآخره النواب وأرأى باب الدولة والعساكر والرعايا وأجرى

الرزق الواسع على اولاده واهله واخوانه وعظمو والاجل فعله واخبرني من كان حاضرا في ذلك المجلس أن الكلام الذي تكلم به كان تقرير المحبته في السلطان وانه يقتل نفسه في حبه كما قتل أبوه نفسه في حب ابنيه وجده نفسه في حب جده ثم انصرفت عن المجلس وبعث الى بضيافة ثلاثه أيام وسافرنا في البحر فوصلنا بعد اربعة وثلاثين يوما الى البحر الكاهل وهو الراكد وفيه حمزة زعموا انها من تربة ارض تجاوره ولاريح فيه ولا موج ولا حركة مع الساعه ولأجل هذا البحر تتبع كل جنك من جنوك الصين ثلاثة مراكب كما ذكرناه تجذب به فتجره ويكون في الجنك مع ذلك نحو عشرين مجذافا كبارا كالصواري يجتمع على المجذاف منها ثلاثون رجلا أو نحوها ويقرمون فيما صفين كل صف يقابل الآخر وفي المجذاف حبلان عظيمان كالطوايس فتجذب إحدى الطائفتين الحبل ثم تتركه وتجذب الطائفة الأخرى وهم يغنون عند ذلك بأصواتهم الحسان واكثرهم ما يقولون لعلى لعلى واقتنا على ظهر هذا البحر سبعة وثلاثين يوما وعجبت البحرية من التسهيل فيه فانهم يقيمون فيه خمسين يوما الى أربعين وهي انهي ما يكون التيسير عليهم ثم وصلنا الى بلاد علو السى وهي (بفتح الطاء المهمل والواو وكسر السين المهمل) وملكها هو المسمى بطوالسى وهي بلاعريضة وملكها ايضا هي ملك الصين وله الجنوك الكثيرة يقاتل بها اهل الصين حتى يصالحوه على شيء وأهل هذه البلاد عبدة اوثان حسان الصور اشبه الناس بالترك في صورهم والغالب على الوانهم الحمره ولهم شجاعة ونجدة وناوهم يركبن الخيل ويحسن الرماية ويقاثلن كالرجال سواء وأرسيينا من مراسيهم بمدينة كيلوكرى (وضبطها بكاف مفتوح وياه آخر الخروف مسكنة ولا مضموم وراء مكسور) وهي من أحسن مدنها وأكبرها وكان يسكن بها ابن ملكهم فلما أرسينا بالمروسي جاءت عساكرهم ونزل الناخودة اليهم ومعه هدية لابن الملك فسالهم عنه فاخبروه أن أباه ولاء بلدا غيرهم وولى بنته بتلك المدينة (واسمها أردجا بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهمل وجيم)

(ذكر هذه المملكة)

ولما كان في اليوم الثاني من حلولنا بمرسى كيلوكرى استدعت هذه المملكة الناخودة صاحب المركب والسكواني وهو الكاتب والتجار والرؤساء والتدليل وهو مقدم الرجال وشيخ سالار وهو مقام الرماة لضيافة صنعتهالهم على عاداتها ورغب الناخودة

منى ان احضر معهم فايقت لانهم كفار لايجوز أكل طعامهم فلما حضر واعندها قالت لهم هل بقى احد منكم لم يحضر فقال لها الناخودة لم يبق الا رجل واحد بخشى وهو القاضى باسمائهم وبخشى (بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء وكسر الشين المعجمين) وهو لاياً كل طعامكم فقالت ادعوه فجاء جنادرتها واصحات الناخودة فقالوا أجب الملكة فاتيها وهى بمجلسها الاعظم وبين يديها نسوة بآيديهن اللازمة يعرضن ذلك عليها وحولها النساء القواعدون وزيراتهما وقد جلسها تحت السرير على كراسى الصندل وبين يديها الرجال ومجلسها مفرش بالحرير وعليه ستور حرير وخشبة من الصندل وعليه صفائح الذهب وبالمجلس مساطب خشب منقوش عليها اوانى ذهب كثيرة من كبار وصغار كالخوابى القلال والبواقل أخبرنى الناخودة انها مملوءة بشراب مصنوع من السكر مخلوط بالافاويه يشربونه بعد الطعام وأنه عطر الرائحة حلوا المطعم وبطيّب التكنة ويهضم ويعين على الباءة فلما سلمت على الملكة قالت لى بالتركية حسن مسن بخشى مسن (خوشميسن ينخشميسن) معناه كيف حالك كيف انت واجلستنى على قرب منها وكانت تحسن الكتاب العربى فقالت لبعض خدامها دواة وبتك كاتور (كتور) معناه الدواة والكاغدة فأتى بذلك فكتبت فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالت ماهذا فقلت لها تنضرى (تنكرى) نام وتنضرى (بفتح التاء المملوءة وسكون النون وفتح الضاد وراء وياء) ونام (بنون والف وميم) ومعنى ذلك اسم الله فقالت خشن (خوش) ومعناه جيد ثم سألتنى من أى البلاد قدمت فقلت لها من بلاد الهند فقالت بلا الفلفل فقلت نعم فقسأتنى عن تلك البلاد وأخبارها فاجبتها

فقالت لا بد ان اغزوها وأخذها لنفسى فأتى يعجبى أكثر ما لها وعساكرها فقلت لها افعلى وامرلى بأثواب وحمل فيلين من الارز وبجاموسين وعشرين الضان وأربعة أرطال جلاب وأربعة مرطبات وهى ضخمة مملوءة بالزنجبيل والفلفل والليمون والعنبا كل ذلك مملوح مما يستعد للبحر وأخبرنى الناخودة ان هذه الملكة فى عسكرها نسوة وخدم وجوار يقاتلن كالرجال وانها تخرج فى العساكر من رجال ونساء فتغير على عدوها وتشاهد القتال وتبارز الابطال وأخبرنى انها وقع بينها وبين بعض اعدائها قتال شديد وقتل كثير من عسكرها وكادوا يتهزمون فدفعت بنفسها وخرقت الجيوش حتى وصلت إلى الملك الذى كانت تقاتله فطعنته طعنة كان فيها حتفه فمات وانهم مات عساكره وجاءت برأسه على رمح فاقتكه اهله منها بمال كثير فلما عادت الى ابيها ملكها تلك

المدينة التي كانت بيد اخيها واخبرني ان ابناء الملوك يخطبونها فتقول لا تزوج إلا من يبارزني فيغلبني فيتحامون مبارزتها خوف المعرة ان غلبتهم ثم سافرنا عن البلاد طوال السبى فوصلنا بعد سبعة عشر يوما والرياح مساعدة لنا ونحن نسير بها. اشد السير واحسنه الى بلاد الصين واقليم الصين متنوع كثير الخيرات والفواكه والزروع والذهب والفضة لا يضاهايه في ذلك اقليم من اقاليم الارض ويخترقه النهر المعروف باب حيات معنى ذلك ماء الحياة ويسمى ايضا نهر السبر (السرو) كاسم النهر الذي بالهند ومنبعه من جبال بقرب مدينة خان بالتي تسمى كوه بوزنه معناها جبل القروديم في وسط الصين مسيرة ستة اشهر الى ان ينتهي الى الصين الصين وتسكنه القرى والمزارع والبساتين والاسواق كنييل مصر الا ان هذا اكثر عمارة عليه النواعير الكثيرة وبلاد الصين السكر الكثير مما يضاهاى المصرى بل يفضلها الاعناب والاجاص كمنت اظن ان الاجاص العثماني الذي بدمشق لا نظير له حتى رايت الاجاص الذي بالصين وبها البطيخ العجيب يشبه بطيخ خوارزم واصفهان وكل ما ببلادنا من الفواكه فانها ما هو مثله واحسن منه والقمح بها كثير جدا ولم ارقح اطيب منه وكذلك العدس والحمص

(ذكر الفخار الصيني)

واما الفخار الصيني فلا يصنع منه الا بمدينة الزيتون وبصين كلان وهو من تراب جبال هنالك تقذف فيه النار كما الفخم وسند كرك ذلك ويضيفون اليه حجارة عندهم ويوقدون النار عليها ثلاثة ايام ثم يصبون عليها الماء فيعود الجميع ترابا ثم يخمرونه فالجيد منه ما خمر شهرا كاملا ولا يزداد على ذلك والدون ما خمر عشرة ايام وهو هنالك بقيمة الفخار ببلادنا اوارخص ثمنا ويحمل الى الهند وسائر الاقاليم حتى يصل الى بلادنا بالمغرب وهو ابدع انواع الفخار

(ذكر دجاج الصين)

ودجاج الصين وديوكها ضخمة جدا أضخم من الاوز عندنا وبيض الدجاج عندهم اضخم من بيض الاوز عندنا واما الاوز عندهم فلا ضخامة لها ولقد اشترينا دجاجة فاردا طبعها فلم يسع لحما في برمة واحدة فجعلناها في برمتين ويكون الديك بها على قدر النعامة وربما نتفد ريشها فيبقى بضعة حمراء واول ما رايت الديك الصيني بمدينة كولم فظننته نعامة وعجبت منه فقال لي صاحبه ان بلاد الصين ما هو اعظم منه فلما وصلت الى الصين.

رأيت مصداق ما أخبرني به من ذلك

(ذكر بعض من أهالي الصين)

وأهل الصين كفار يعبدون الأصنام ويخرقون موتاهم كما تفعل الهندود وملك الصين تترى من ذرية تمكين خان وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكنائهم ولهم فيها المساجد لاقامة الجمعيات وسواها وهم معظومون محترمون وكفار الصين ياكون لحوم الخنازير والكلاب ويبيعونها في أسواقهم وهم أهل رفاهية وسعة عيش إلا أنهم لا يحتفلون في مطاعم ولا ملبس وترى التاجر الكبير منهم الذي لا تحصى أمواله كثرة وعليه جبهه قطن خشنة وجميع أهل الصين إنما يحتفلون في أواني الذهب والفضة والسكل واحد منهم عكاذ يعتمد عليه في المشى ويقولون هو الرجل الثالثة والخير عندهم كثير جدا لأن الدود تتعلق بالثأر وتاكل منها فلا تحتاج الى كثير مؤنة ولذلك كثر وهو لباس الفقراء والمساكين هاولولا التجار لما كانت له قيمة ويباع الثمن الواحد من القطن عندهم بالاثواب الكثيرة من الحرير وعادتهم ان يسبك التاجر ما يكون عنده من الذهب والفضة قطعاً تكون القطعة منها من قطار فافوقه ومادونه ويجعل ذلك على باب داره ومن كان له خمس قطع منها جعل اصبعه خاتماً ومن كانت له عشر جعل خاتمين ومن كان له خمس عشرة سموه السقى (بفتح السين المهملة وكسر التاء المعلولة) وهو بمعنى البكارى بمصر ويسمون القطعة الواحدة منها بر كالة (بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الكاف واللام)

(ذكر دراهم الكاغد التي بها يبيعون ويشترون)

وأهل الصين يتبايعون بدينار ولا درهم وجميع ما يتصحل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعاً كما ذكرناه وإنما يبيعهم وشراؤهم بقطع كاغد كل قطعة منها بقدر السكف مطبوعة بطابع السلطان وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها بالاشت (بباء موحدة والفاء ولام مكسور وسين معجم مسكن وتاء معلولة) وهي بمعنى الدينار عندنا وإذا تمزقت تلك الكواغد في يد انسان حملها الى دار كدار السكة عندنا فخذ عوضها جديداً ودفع تلك ولا يعطى على ذلك اجرة ولا سواها لأن الذين يتولون عملها لهم الارزاق الجارية من قبل السلطان وقد وكل بتلك الدار امير من كبار الامراء وإذا مضى الانسان الى السوق بدرهم فضة أو دينار يريد شراء شئ لم يأخذ منه ولا يلتفت عليه حتى يصرفه بالبالشت ويشترى به ما اراد

(ذكر التراب الذى يوقدونه مكان الفحم)

وجميع اهل الصين والخطا إنما فحمهم تراب عندهم منعقد كالطفل عندنا ولونه لون الطفل تأتى الفيلة بالاحمال منه فيقطعونه قطعاً على قدر قطع الفحم عندنا ويشعلون النار فيه فيقود كالقحم وهو أشد حرارة من نار الفحم وإذا صار رماداً عجنوه بالماء ويدسوه وطبخوا به ثانية ولا يزالون يعملون به كذلك إلى أن يتلاشى ومن هذا التراب يصنعون أواني الفخار الصفى ويضيفون اليه حجارة سواء كما قلنا

(ذكر ما خصوا به من أحكام الصناعات)

وأهل الصين أعظم الأمم احكاماً للصناعات وأشدّهم إتقاناً فيها وذلك مشهور من حالهم قد وصفه الناس في تصانيفهم فأطربوا فيه وأما التصوير فلا يجاريهم أحد في احكامه من الروم ولا من مواهم فان لهم فيه اقتداراً عظيماً ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك انى مداخلت قطع مدبنة من مدنهم ثم عدت اليها إلا ورأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في الحيطان والكواغدم وضوعة في الأسواق .

ولقد دخلت إلى مدينة السلطان فررت على سوق النقاشين ووصلت إلى قصره مع أصحابي ونحن على زى العراقيين فلما عدت من القصر عشيّاً مررت بالسوق المذكور فرأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في كاغذ قد الصقوه بالحائط فجعل الواحد منا ينظر إلى صورة صاحبه لا تخطئ شيئاً من شبهه .

وذكر لى أن السلطان أمرهم بذلك وأنهم أتوا إلى قصر ونحن به فجعلوا ينظرون اليها ويصورون صورنا ونحن لم نشعر بذلك وتلك عادة لهم في تصوير كل من يمر بهم وتنتهى حالهم في ذلك إلى أن الغريب إذا فعل ما يوجب فراره عنهم بعث صورته إلى البلاد وبحث عنه خفيّاً وجد شبه تلك الصورة أخذ قال ابن جزى هذا مثل ما حكاه أهل التاريخ من قضية سابور ذى الأكتاف ملك الفرس حين دخل إلى بلاد الروم متسكراً وحضر وليمة صنعها ملكهم وكانت صورته على بعض الأواني فنظر اليها بعض خدام قيصر فأنطبع على صورة سابور فقال للملك ان هذه الصورة تخبرنى أن كسرى معناني هذا المجلس فكان الأمر على ما قاله وجرى فيه ما هو مسطور في السكتب

(ذكر عادتهم في تقييد ما فى المراكب)

وعادة أهل الصين إذا أراد جنك من جنوكم السفر صعد اليه صاحب البحر وكتابه وكتبوا من يسافر فيه من الرماة والخدم والبحرية وحينئذ يباح لهم السفر فإذا عاد الجنك (١١ - رحلة - ثانى)

إلى الصين سعدوا اليه أيضا وقالوا بما قيدوه بأشخاص الناس فإن فقدوا أحدا مما قيدوه طلبوا صاحب الجنك فأما من يأتي ببرهان على موته أو قراره أو غير ذلك مما يحدث عليه والأخذ فيه فإذا فرغوا من ذلك أمروا صاحب المركب أن يملأ عليهم تفصيلا بجميع ما فيه من السلع قليلها وكثيرها ثم ينزل من فيه ويجلس حفاظ الديوان لمشاهدة ما عندهم فإن عثروا على سلعة قد كتمت عنهم عاد الجنك بجميع ما فيه مالا للمخزن وذلك نوع من الظلم مارأيت به بلاد الكفار ولا المسلمين إلا بالصين اللهم إلا أنه كان بالهند ما يقرب منه وهو أن من عثر على سلعة له قد غاب على مخرجها أغرم أحد عشر مغرمًا ثم رفع السلطان ذلك لما رفع المغارم .

(ذكر عاداتهم في منع التجار عن الفساد)

وإذا قدم التاجر المسلم على بلد من بلاد الصين خير في النزول عند تاجر من المسلمين المتوطنين معين الفساد أو الفندق فإن أحب النزول عند التاجر حصر ماله وضمته التاجر المستوطن وأتفق عليه منه بالمعروف فإذا أراد السفر بحث عن ماله فإن وجد شيء منه قد ضاع أغرمه التاجر المستوطن الذي ضمنه وإن أراد النزول بالفندق سلم ماله لصاحب الفندق وضمته وهو يشتري له ما أحب ويحاسبه فإن أراد التسري اشتري له جارية وأسكنه بدار يكون بابها في الفندق وأتفق عليهما والجواري رخيصات إلا أن أهل الصين أجمعين يبيعون أولادهم وبناتهم وليس عيبا عندهم غير أنهم لا يجبرون على السفر مع مشترهم ولا يمنعون أيضا منه أن اختاروه وكذلك إن أراد التزوج تزوج وأما اتفاق ماله في الفساد فشيء لا سبيل له اليه ويقولون لا نريد أن يسمع في بلاد المسلمين أنهم يخسرون أموالهم في بلادنا فإنها أرض ضلال

(ذكر حفظهم للمسافرين في الطرق)

و بلاد الصين آمن البلاد وأحسنها حالا للمسافرين فإن الواحد يظل منفردا مسيرة تسعة شهور وتسكون معه الأموال الطائلة فلا يخاف عليها وترتيب ذلك أن لهم في كل منزل بيلادهم فندقا عليه حاكم يسكن به في جماعة من الفرسان والرجال فإذا كان بعد المغرب أو العشاء جاء الحاكم إلى الفندق ومعه السكاتب لكتابة أسماء جميع من يبيت به المسافرين وختم عليها وأقبل باب الفندق عليهم فإذا كان بعد الصبح جاء ومعه كاتبه فد كل واحد باسمه وكتب به تفصيلا وبعث معهم من يوصلهم إلى المنزل الثاني له ويأتيه ببراءة من حاكمه أن الجميع قد وصلوا اليه وأن لم يفعل طلبه بهم وهكذا العمل في كل منزل بيلادهم من صين

الصين إلى خان بالق وفي هذه الفنادق جميع ما يحتاج اليه المسافر من الازواد وخصوصا الدجاج والاوز وأما الغنم فهي قليلة عندهم ولتعد إلى ذكر سفرنا فنقول لما قطعنا البحر أول مدينة وصلنا اليها مدينة الزيتون وهذه المدينة ليس بها زيتون ولا بجميع بلاد أهل الصين والهند ولكنه اسم وضع عليها وهي مدينة عظيمة كبيرة تصنع بها ثياب الكمفا والأطلس وتعرف بالنسبة اليها وتفضل على الثياب الخنساوية والخيا القمية ومرساها من أعظم مراسي الدنيا أو هو أعظمها رأيت نحو مائة جنك كبار وأما الصغار فلا تحصى كثرة وهو خور كبير من البحر يدخل في البر حتى يختلط بالنهر الأعظم وهذه المدينة وجميع بلاد الصين يكون للانسان بها البستان والأرض ودارة في وسطها كمثل ما هي بلدة سجلماسة ببلاذنا وبهذا عظم بلادهم والمسلمون ساكنون بمدينة على حدة وفي يوم وصولي اليها رأيت بها الأمير الذي توجه إلى الهندرسولا بالهدية ومضى في صبيتنا وغرق به الجنك فسلم على وعرف صاحب الديوان بي فأنزلني في منزل حسن وجاء إلى قاضي المسلمين تاج الدين الاردوبلي وهو من الأفاضل الكرماء وشيخ الاسلام كمال الدين عبد الله الأصمغاني وهو من الصالحاء وجاء إلى كبار التجار فيهم شرف الدين التبريزي أحد التجار الذين استندت منهم حين قدومي على الهند واحسنهم معاملة حافظ القرآن مكثر للتلاوة وهؤلاء التجار ساكنهم في بلاد الكفار وإذا قدم عليهم المسلم فرحوا به أشد الفرح وقالوا جاء من أرض الاسلام وله يعطون زكوات أموالهم فيعود غنيا كواحد منهم وكان بها من المشايخ الفضلاء برهان الدين الكازروني له زاوية خارج البلد واليه يدفع التجار النذور التي ينذرونها للشيخ أبي إسحق الكازروني ولما عرف صاحب الديوان أخباري كتب إلى القان وهو ملكهم الأعظم يخبره بقدومي من جهة ملك الهند فطابت منه أن يبعث معي من يوصلني لبلاد الصين (صين الصين) وهم يسمونه صين كلان لأشاهد تلك البلاد وهي في عمالته بخلال ما يعود جواب القان فأجاب إلى ذلك وبعث معي من أصحابي من يوصلني وركبت في النهر في مركب يشبه اجفان بلادنا الغزوية إلا أن الجذافين يجذفون فيه قياما وجميعهم في وسط المركب والركاب في المقدم والمؤخر ويظلون على المركب بثياب تصنع من نبات بلادهم يشبه السكتان وليس به وهو أرق من القنب .

وسافرنا في هذا النهر سبعة وعشرين يوما وكل يوم نرسو عند الزوال بقربة نشترى بها ما يحتاج اليه ونصلي الظهر ثم نزل بالعشي إلى أخرى وهكذا إلى أن وصلنا مدينة صين كلان (بفتح الكاف) وهي مدينة صين الصين وبها يصنع الفخار والزيتون ايضا وهناك يصب نهر آب حياة في البحر يسمونه بجمع البحرين وهي من أكبر المدن وأحسنها أسواقا ومن أعظم أسواقها سوق الفخار ومنها يحمل إلى سائر بلاد الصين

والهند والآن وفي وسط هذه المدينة كنيسة عظيمة لها تسعة أبواب داخل كل باب اسطوان ومصاطب يقعد عليها الساكنون بها وبين البابين الثان والثالث منها موضع فيه بيوت يسكنها العميان وأهل الزمانات ولكل واحد منهم نفقته وكسوته من أوقاف الكنيسة وكذلك فيما بين الأبواب كلها وفي داخلها المارستان للبرضى والمطبخة لطبخ الأغذية وفيها الأطباء والخدام وذكر لي أن الشيوخ الذين لا قدرة لهم على التكسب لهم نفقتهم وكسوتهم بهذه الكنيسة وكذلك الأيتام والأرامل ممن لا مال لهم وعمر هذه الكنيسة بعض ملوكهم وجعل هذه المدينة وما يليها من القرى والبساتين وقفا عليها وصور ذلك الملك مصورة بالكنيسة المذكورة وهم يعبدونها وفي بعض جهات هذه المدينة بلدة المسلمين لهم بها المسجد الجامع والزاوية والسوق ولهم قاض وشيخ ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الاسلام تكون أمور المسلمين كلها راجعة اليه وقاض يقضى بينهم وكان عند نزولي عند أوجد الدين السنجاري وهو أحد الفضلاء الأكابر ذو الاموال الطائلة وأقيمت عنده أربعة عشر يوما وتحف القاضى وسائر المسلمين تتراى على وكل يوم يصنعون دعوه جديدة ويأتون اليها بالعشرين الحسان والمغنين وليس وراء هذه المدينة مدينة لا للكفار ولا للمسلمين وبينها وبين سد ياجوج وأجوج ستون يوما فيما ذكر لي يسكنها كفار رحالة يأكلون بئى آدم إذا ظفروا بهم — وما ذلك لا تسلك بلادهم ولا يسافر اليها ولم أر بتلك البلاد من رأى السد ولا من رأى من رآه

(حكاية عجيبة)

ولما كنت بصين كلان سمعت أن بها شيخا كبيرا قد أناف على مائتي سنة وأنه لا يأكل ولا يشرب ولا يتحدث ولا يباشر النساء مع فوته الثامة وأنه ساكن في غار بخارجها يتعبد فيه فتوجهت إلى الغار فرأيت على بابه وهو نحيف شديد الحرة عليه أثر العبادة ولا لحية له فسلمت عليه فامسك يدي وشمها وقال للترجمان هذا من طرف الدنيا كما نحن من طرفها الآخر ثم قال لقد رأيت عجماء أنذرتني يوم قدومك الجزيرة التي فيها الكنيسة والرجل الذي كان بين الاصنام وأعطاك عشرة دنانير من الذهب فقلت نعم فقال أنا هو فقبلت يده وفكر ساعة ثم دخل الغار فلم يخرج إلينا وكأ أنه ظهر منه الندم على ما تسلم به فتهجمنا ودخلنا الغار عليه فلم نجد له وجودنا بعض أصحابه ومعه جملة بوالشت من الكاغد فقال هذه ضيافتكم فانصرفوا فقلنا له ننتظر الرجل فقال لو أقسم

عشر سنين لم تروه فان عادته إذا اطلع أحد على سر من أسرارهِ لا يراه بعده ولا تحسب أنه غاب عنك بل هو حاضر معك فعجبت من ذلك وانصرفت فاعامت القاضي وشيخ الإسلام وأوحد الدين السنجاوي بقضيته فقالوا كذلك عادته مع من يأتي اليه من الغرباء ولا يعلم أحد ما ينتحله من الأديان والذي ظننتموه أحد أصحابه هو هو وأخبروني أنه كان غاب عن هذه البلاد نحو خمسين سنة ثم قدم عليها منذ سنة وكان السلاطين والأمراء والكبراء ياتونه زائرين فيعطيهون التحف على أقدارهم ويأنيسه الفقراء كل يوم فيعطى لكل أحد على قدره وليس في الغار الذي هو به ما يقع عليه البصر وانه يحدث عن السنين الماضية ويذكر النبي ﷺ ويقول لو كنت معه لنصرته ويذكر الخليفين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب بأحسن الذكر ويثني عليهما ويلعن يزيد بن معاوية ويقع في معاوية وحدثوني عنه بأمر كثيرة واخبرني اوحد الدين السنجاوي قال دخلت عليه الغار فأخذ بيدي ثقيلاً الى اني في قصر عظيم وانه قاعد فيه على سرير وفوق رأسه تاج وعن جانبيه الوصائف الحسان والفواكه تساقط في أنهار هنالك وتخيأت لني اخذت تفاحة لا كلها فإذا انا بالغار وبين يديه وهو يضحك مني وأصابني مرض شديد لازمني شهوراً فلم أعد اليه وأهل تلك البلاد يعتقدون أنه مسلم لكن لم يراه أحد يصلي أما الصيام فهو صائم أبداً وقال لي القاضي ذكرت له الصلاة في بعض الأيام فقال لي اتدري انت ما اصنع ان صلاتي غير صلاتك واخباره جميعها غريبه وفي اليوم الثاني من لقائه سافرت راجعاً إلى مدينة الزيتون .

ثم بعد وصولي اليها بأيام جاء أمر القان بوصولي إلى حضرته على البر والكرامة ان شئت في النهر ولما في البر فاخبرت السفر في النهر فخرجوا إلى مركبا من المراكب المعدة لركوب الامراء وبعث الأمير معنا اصحابه ووجه لنا الأمير والقاضي والتجار المسلمون أزوادا كثيرة ثم سرنا في الضيافة تتغذى بقرية وتعيش باخرى فوصلنا بعد سفر عشرة ايام إلى مدينة قنجنفو (وضبط اسمها بفتح القاف وسكون النون وفتح الجيم وسكون النون الآخر وضم الفاء وواو) مدينة كبيرة حسنة في بسيط افصح والبساتين مهددة بها فكأنها غوطه دمشق وعند وصولنا خرج اليينا القاضي وشيخ الإسلام والتجار معهم الاعلام والطبول والانفار واهل الطرب واتوا بالخيل فركبنا ومشوا بين يدينا ولم يركب معنا غير القاضي والشيخ وخرج امير البلد وخدامه وضيف السلطان عندهم معظم أشد التعظيم دخلنا المدينة ولها اربعة اسوار يسكن ما بين السور الاول والثاني عبيد السلطان من حراس المدينة وسماها يسمون البصوانان (الباسوانان) (بفتح الباء الموحدة

وسكون الصاد المهمل وواو وألف ونون) ويسكن ما بين السور الثانى والثالث الجنود
المركبون والأمير الحاكم على البلد ويسكن داخل الثالث المسلمون وهنالك نزلنا عند
شيخهم ظهير الدين القرلاقي (بضم القاف وسكون الراء) ويسكن داخل السور الرابع
الصينيون وهو أعظم المدن الأربعة ومقدار ما بين كل باب منها والذي يليه ثلاثة
أميال وأربعة واسكن لسان كما ذكرنا بستانه وداره وأرضه

• (حكاية)

وبينا أنا يوما في دار ظهير الدين القرلاقي إذا بمركب عظيم لبعض الفقهاء المعظمين
عندهم فاستؤذن له على وقالوا مولانا قوام الدين السبتي فعجبت من اسمه ودخل إلى فلما
حصلت المؤانسة بعد التحية سئلتني أن أعرفه فأطلت النظر إليه فقال اراك تنظر الى نظر
من يعرفني فقلت له من أى البلاد أنت فقال من سبته فقلت له وأنا من طليحة فجدد السلام على
وبكى حتى بكيت لبيكانه فقلت له هل دخلت بلاد الهند فقال لى نعم دخلت حضرة في دهلي
فلما قال لى ذلك تذكرت له وقلت أنت البشرى قال نعم وكان وصل إلى دهلي مع
خاله أبى القاسم المرسي وهو يومئذ شاب لا نبات بعارضيه من حذاق الطلبة يحفظ
الموطأ وكنت أعلمت سلطان الهند بأمره فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وطلب منه الإقامة
عنده فاني وكان قصده في بلاد الصين فعظم شأنه بها واكتسب الاموال الطائلة اخبرني
أن له نحو خمسين غلاما ومثلهم من الجوارى وأهدى إلى منهم غلامين وجاريتين وتحفا
كثيرة ولقيت أخاه بعد ذلك ببلاد السودان فيما بعد ما بينهما وكانت إقامتي بقنجنفو
خمسة عشر يوما .

وسافرت منها إلى بلاد الصين على ما فيها من الحسن لم تكن تعجبنى بل كان خاطري شديد التغير
بسبب غلبة الكفر عليها فتخرجت عن منزلي رأيت المانكير الكثيرة فاقلقتني ذلك حتى
كنت ألازم المنزل فلا أخرج إلا لضرورة وكنت إذا رأيت المسلمين بها فكأنني لقيت أهلي وأقاربي
ومن تمام فضيلة هذا الفقيه البشرى أن سافر معي لما رحلت عن قنجنفو أربعة أيام حتى وصلت
إلى مدينة بيوم قتلوا (وهي بيامو وحدة مفتوحة وياها آخر الحروف ساكنة وواو مفتوحة
وميم وقاف مضموم وطاء مسكنة ولام مضموم وواو) مدينة صغيرة يسكنها الصينيون من
سجند وسوقة وليس بها للمسلمين إلا أربعة من أهل الدور أهلها الفقيه المذكور نزلنا يدار أحدهم
واقنا عنده ثلاثة أيام ثم ودعت الفقيه وانصرفت فركبت النهر على العادة تتغدى بقرية
وتعشى بأخرى إلى أن وصلنا بعد سبعة عشر يوما من مدينة الخنساء واسمها على نحو اسم الخنساء

الشاعرة ولا أدري إعرابى هوام وافق العربى وهذه المدينة أكبر مدينة رأيتها على وجه الأرض طولها مسيرة ثلاثة أيام يرحل المسافر فيها وينزل وهى على ما ذكرناه من ترتيب عمارة الصدين كل واحد له بستانه وداره وهى منقسمة إلى ست مدن سند كرها وعند وصولنا إليها خرج إلينا قاضها نحر الدين وشيخ الإسلام بها وأولاد عثمان بن عفان المصرى وهم كبار المسلمين بها ومعهم علم أبيض والاطبال والانفار والأبواق وخرج أميرها فى موكبه ودخلنا المدينة وهى ست مدن على كل مدينة سور ومحقق بالجميع سور واحد فأول مدينة منها يسكنها حراس المدينة وأميرهم حدثنى القاضى وسواء أنهم أننا عشر ألفاً فى زمام العسكرية وبتنا ليلة دخولنا فى دار أميرهم وفى اليوم الثانى دخلنا المدينة الثانية على باب يعرف بباب اليهود ويسكن بها اليهود والنصارى والترك عبدة الشمس وهم كثير وأمير هذه المدينة من أهل الصدين وبتنا عنده الليلة الثانية .

وفى اليوم الثالث دخلنا المدينة الثالثة ويسكنها المسلمون ومدينتهم حسنة واسواقهم مرتبة كترتيبها فى بلاد الإسلام وبها المساجد والمؤذنون سمعناهم يؤذنون بالظهر عند دخولنا ونزلنا منها بدار أولاد عثمان بن عفان المصرى وكان أحد التجار السكبار استحسنت هذه المدينة فاستوطنها وعرفت بالنسبة لآلئيه ووارث عقبه به الجاه والحرمة على ما كان عليه من الايثار على الفقراء والأعانة للمتحتاجين ولهم زاوية تعرف بالعثمانية حسنة العمارة لها أوقاف كثيرة وبها طائفة من الصوفية وبني عثمان المذكور المسجدا لجامع بهذه المدينة ووقف عليه وعلى الزاوية أوقافا عظيمة وعدد المسلمين بهذه المدينة كثير.

وكانت إقامتنا عندهم خمسة عشر يوما فسكننا كل يوم وليلة فى دعوة جديدة ولا يزالون يختلفون فى اطعمتهم ويركبون معنا كل يوم للنزهة فى اقطار المدينة وركبوا معى يوما فدخلنا إلى المدينة الرابعة وهى دار الإمارة وبها سكنى الأمير السكبير قرطلى ولما دخلنا من بابها ذهب عنى أصحابى ولقينى الوزير وذهب بى إلى دار الأمير السكبير قرطلى فسكان من أخذه الفرجية التى أعطانىها ولى الله جلال الدين الشيرازى ما قد ذكرته وهذه المدينة منفردة لسكنى عبيد السلطان وخدامه وهى من أحسن المدن الست ويشتهر أنهار ثلاثة أحدها خليج يخرج من النهر الأعظم وتأتى فيه القوارب الصغار إلى هذه المدينة بالرافق من الطعام واحجار الوقد وفيه السفن للنزهة والمشور فى وسط هذه المدينة وهو كبير جند ودار الإمارة فى وسطه وهو يحف بها من جميع الجهات وفيه سقائف فيها الصناع يصنعون الثياب النفيسة وآلات الحرب اخبرنى الأمير قرطلى أن عددهم ألف وستائة معلم كل واحد منهم يتبعه الثلاثة والأربعة من المتعدين وهم اجمعون عبيد القان وفى أرجلهم

القيود ومساكنهم خارج القصر ويباح لهم الخروج إلى أسواق المدينة دون الخروج على بابها ويعرضون كل يوم على الأمير مائة مائة فإن نقص أحدهم طلب به أميره وعادتهم أنه إذا خدم أحدهم عشرين فك عنه قيده وكان يخير في النظرين أما أن يقيم في الخدمة غير مقيد وأما أن يسير حيث شاء من بلاد القان ولا يخرج عنها وإذا بلغ سنه خمسين عاما أعتق من الأشغال وأنفق عليه كذلك يتفق على من بلغ هذه السن أو نحوها من سواهم ومن بلغ سنين سنة عدوه كالهبي فلم تجر عليه الأحكام والشيوخ بالصين يعظمون تعظيما كثيرا ويسمى أحدهم آطارو ومعناه الوالد .

(ذكر الأمير الكبير قرطى)

وضبط اسمه (بصم القاف وسكون الراء وفتح الطاء المهمل وسكون الياء) وهو أمير امراء الصين أضافنا بداره وصنع الدعوة ويسمونها الطوى (بصم الطاء المهمل وفتح الواو) وحضرها كبار المدينة وأتى بالطباخين المسلمين فذبخوا وطبخوا الطعام وكان هذا الأمير على عظمتهم بناولنا الطعام بيده ويقطع اللحم بيده واقمنا في ضيافته ثلاثة أيام وبعث ولده معنا إلى الخليج فركبنا في سفينة تشبه الحرافة وركب ابن الأمير في أخرى ومعه أهل الطرب وأهل الموسيقى وكانوا يغنون بالصيني والعربي وبالفارسي وكان ابن الأمير معجبا بالغناء الفارسي فغنوا شعرا منه وأمرهم بتكريره مراراً حتى حفظته من أفواههم وله تلحين عجيب وهو

تاذل بمحنت داديم در بحر فكريا فتاديم
جن (جون) در نمازا ستادتم قوى بمجرب اندرى اندريم

واجتمعت بذلك الخليج من السفن طائفة كبيرة طعم القلاع الملونة ومظلات الحرير وسفنهم منقوشة ابداع نقش وجعلوا يتحاملون ويترامون بالنار ونج والليمون وعدنا بالعشى إلى دار الأمير فبتنا بها وحضر أهل الطرب فغنوا بأنواع من الغناء العجيب .

(حكاية المشعوذ)

وفي تلك الليلة حضر أحد المشعوذ وهو من عميد القان فقال له الأمير أرنا من عجائبك فأخذ كرة خشب لها ثقب فيها سيور طوال فرمى بها إلى الهواء فارفعت حتى غابت عن الأبصار ونحن في وسط المشور أيام الحر الشديد فلما لم يبق من السير في يده إلا يسير أمر متعلبا له فعلق به وصعد في الهواء إلى أن غاب عن أبصارنا فدعاه فلم يجبه ثلاثاً فأخذ سكيناً بيده كالغناظ

وتعلق بالسير إلى أن غاب أيضا ثم رمى بيد الصبي إلى الأرض ثم رمى برجله ثم بيده الأخرى ثم برجله الأخرى ثم بجسده ثم برأسه ثم هبط وهو ينمخ وثيابه ملطخة بالدم فقبل الأرض بين يدي الأمير وكلمه بالصيقي وأمر له الأمير بشيء.

ثم أنه أخذ أعضاء الصبي فالصق بعضها ببعض وركضه برجله فقام سويا فعجبت منه وأصابني خفتان القلب كمثل ما كان أصابني عند ملك الهند حين رأيت مثل ذلك فسقتوني دواء أذهب عني ما وجدت وكان القاضي أغفر الدين إلى جاني فقال لي والله ما كان من صعود ولا نزول ولا قطع عضو وإنما ذلك شعوذة وفي غد تلك الليلة دخلنا من باب المدينة الخامسة وهي من أكبر المدن يسكنها عامة الناس وأسواقها حسان وبها الخذاق بالصنائع وبها تصنع الثياب الخنساوية ومن عجيب ما يصنعون بها أطباق يسمونها الدسيت وهي من القصب وقد الصقت قطعه أبداع الصاق ودهنت بضيق أحمر مشرق وتسكون هذه الأطباق عشرة واحداً في جوف آخر لطورفتها تظهر لرائيها كأنها طبق واحد ويصنعون غطاء يغطي جميعها ويصنعون من هذا القصب صحفاً ومن عجائبها أن تقح من العلو فلا تنكسر ويجعل فيها الطعام الساخن فلا يتغير صباغها ولا يحول وتجلب من هنالك إلى الهند وخراسان وسواها .

ولما دخلنا هذه المدينة بتنا ليلة في ضيافة أميرها وبالفرد دخلنا من باب يسمى كشتي وإنان إلى المدينة السادسة ويسكنها البحرية والصيادون والجلاظلة والتجارون ويدعون دودكاران (دودكران) والأصباكية وهم الرماة والبيادة وهم الرجالة وجميعهم عبيد السلطان ولا يسكن معهم سواهم وعددهم كثير وهذه المدينة على ساحل النهر الأعظم بتنا بها ليلة في ضيافة أميرها وجهز لنا الأمير قرطى مركبا بما يحتاج إليه من زان وسواه وبعث معنا أصحابه يرسم التضييف .

وسافرنا من هذه المدينة وهي آخر أعمال الصين ودخلنا إلى بلاد الخطا (بكسر الخاء المعجم وطاء مهملة) وهي أحسن بلاد الدنيا عمارة ولا يكون في جميعها موضع غير معمور فانه ان بقى موضع غير معمور طلب أهله أو من يواليهم بخراجهم والبساتين والقرى والمزارع منتظمة بجانب هذا النهر من مدينة الخنسا إلى مدينة خان بالق وذلك مسيرة أربعة وستين يوما وليس بها أحد من المسلمين إلا من كان حاضرا غير مقم لأنها ليست بدار مقام وليس بها مدينة مجتمعة إنما هي قرى ويسائط فيها الزرع والفواكه والسكر ولم أرفى الدنيا مثلها غير مسيرة أربعة أيام من الأنبار إلى عانة وكنا كل ليلة نزل بالقرى لأجل الضيافة حتى وصلنا إلى مدينة خان بالق (وضبط أسمها بخاء معجم والف وون مسكن وباء معقود والف ولام مكسور ووقف) وتسمى أيضا خانقو

(بنحاء معجم ونون مكسور وقاف وواو) وهى حضرة القان والقان هو سلطانهم أعظم الذى مملكته بلاد الصين والخطأ ولما وصلنا اليها أرسينا على عشرة أميال منها على العادة عندهم وكتب إلى أمراء البحر يخبرنا فأذنوا لنا فى دخول مرساها فدخلناه ثم نزلنا الى المدينة وهى من أعظم مدن الدنيا وليست على ترتيب بلاد الصين فى كون البساتين داخلها انما هى كسائر البلاد والبساتين بخارجها ومدينة السلطان فى وسطها كالقصبه حسبما نذكره ونزلت عند الشيخ برهان الدين الصاغر جى وهو الذى بعث اليه ملك الهند بأربعين ألف دينار واستدعاه فاخذ الدنانير وقضى بها دينه وأبى أن يسير اليه وقدم على بلاد الصين فقدمه القان على جميع المسلمين الذين ببلاده وخاطبه بصدر الجمان .

(ذكر سلطان الصين والخطا الملقب بالقان)

والقان عندهم سمة اسكل من بلى الملك الاقطار كمثل ما يسمى كل من ملك بلاد اللور باتاك واسمه باشاى (بفتح الباء المعقودة والشين المعجمة وسكون الياء) وليس للكفار على وجه الأرض مملكة من مملكته .

(ذكر قصره)

وقصره فى وسط المدينة المختصة بسكنائه وأكثر عمارته بالخشب المنقوش وله ترتيب عجيب وعليه سبعة أبواب فالباب الأول منها يجلس به السكتوال وهو أمير البوابين وله مصاطب مرتفعة عن يمين الباب ويساره فيها الممالك البرد دارية وهم حفاظ باب القصر وعددهم خمسمائة رجل وأخبرت أنهم كانوا فيما تقدم ألف رجل والباب الثانى يجلس عليه الاصباهية وهم الرماة وعددهم خمسمائة والباب الثالث يجلس عليه النزارية (بالنوز والزاى) وهم أصحاب الرماح وعددهم خمسمائة والباب الرابع يجلس عليه التبخارية (بالتاء المشناة والغين المعجم) وهم أصحاب السيوف والترسة والباب الخامس فيه ديوان الوزارة وبه سقائف كثيرة فالسقيفة العظمى يقعد بها الوزير على مرتبة هائلة مرتفعة ويسعون ذلك الموضع المسند ويمن يدى الوزير دواة عظيمة من الذهب وتقابل هذه السقيفة سقيفة كاتب السروعن يمينها سقيفة كتاب الرسائل وعن يمين سقيفة الوزير سقيفة كتاب الاشغال وتقابل هذه السقائف سقائف اربع احداها تسمى ديوان الاشراف يقعد بها المشرف والثانية سقيفة ديوان المستخرج أو أميرها من كبار الامراء والمستخرج هو ما يبق قبل العمال وقبل الامراء من اقطاعاتهم والثالثة ديوان الغوث ويجلس فيها أحد الامراء السكبار ومعه الفقهاء والكتاب فمن لحقه مظلة استغاث بهم والرابعة ديوان البريد يجلس فيها امير الاخبار بين

والباب السادس من ابواب القصر يجلس عليه الجندارية وأميرهم الأعظم والباب السابع يجلس عليه الفتيان ولهم ثلاثة سقائف احداها سقيفة الحبشان منهم والثانية سقيفة الهندود والثالثة سقيفة الصينيين ولكل طائفة منهم أمير من الصينيين .

(ذكر خروج القان لقتال ابن عمه و قتله)

ولما وصلنا حضرة خان باق وجدنا القان غائباً عنها إذ ذاك وخرج للقائه ابن عمه فيروز القائم عليه بناحية قراقرم وبش بالغ من بلاد الخطا وبينها وبين الحضرة مسيرة ثلاثة اشهر عامرة واخبرني صدر الجهمان برهان الدين الصاغرجي ان القان لما جمع الجيوش وحشد الحشود اجتمع عليه من الفرسان مائة فوج كل فوج منها من عشرة الاف فارس وأميرهم يسمى أمير طومان وكان خواص السلطان وأهل دخلته خمسين ألفاً زائداً الى ذلك وكانت الرجالة خمسمائة ألف ولما خرج خالف عليه أكثر الأمراء وانفقوا على خلعه لأنه كان قد غير أحكام اليساق وهي الأحكام التي وضعها تنسكين خان جدهم الذي خرب بلاد الإسلام فضوا الى ابن عمه القائم وكتبوا الى القان أن يخلع نفسه وتسكن مدينة الخنساء اقطاعاً له فأبى ذلك وقاتلهم فانهزم وقتل وبعد أيام من وصولنا الى حضرته ورد الخبر بذلك فزينت المدينة وضربت الطبول والأبواق والأناقار واستعمل اللعب والطرب مدة شهر .

ثم جرى بالقان المقتول وبنحو مائة من المقتولين بنى عمه واقاربه وخواصه فخر للقان ناووس عظيم وهو بيت تحت الأرض وفرش وجعل فيه القان بسلاحه وجعل معه ما كان في داره من اواني الذهب والفضة وجعل معه اربع من الجوارى وستة من خواص الممالك معهم اواني الشرب وبنى باب البيت وجعل فوقه التراب حتى صار كالتل العظيم .

ثم جاؤا بأربعة افراس فأجروها عند قبره حتى وقفت ونصبوا خشباً على القبر وعلقوها عليه بعد أن أدخلوا في دبر كل فرس خشبة حتى خرجت من فمه وجعل أقارب القان المذكورون واولادهم وخواصهم وأواني دورهم وصلبوا على قبور كبارهم وكانوا عشرة ثلاثة من الخيل على كل قبر وعلى قبور الباقيين فرساً فرساً وكان هذا اليوم يوماً مشهوداً لم يخلف عنه أحد من الرجال ولا النساء المسلمين والكفار وقد لبسوا أجمعون ثياب العزاء وهي الطيالة البيضاء للكفار والشياب البيضاء للمسلمين وأقام خواتين القان وخواصه في الاخبية على قبره اربعين يوماً وبعضهم يز يدعى ذلك الى سنة وصنعت هناك سوق يباع فيه ما يحتاجون اليه من طعام وسواه وهذه الأفعال لا أذكر ان أمة تفعلها سواهم في هذا القصر فاما الكفار من

الهنود وأهل الصين فيحرقون موتاهم وسواهم من الأمم يدفنون الميت ولا يجعلون معه أحدا لكن أخبرني الثقات ببلاد السودان أن الكفار منهم إذ مات ملكهم صنعوا له ناووسا وأدخلوا معه بعض خواصه وخدامه وثلاثين من أبناء كبارهم وبناتهم بعد أن يكسروا أيديهم وأرجلهم ويجعلون معهم أواني الشراب وأخبرني بعض كبار مسوفة من يسكن بلاد كوبر مع السودان واختصه سلطانهم أنه كان له ولد فلما مات سلطانهم أرادوا أن يدخلوا ولده مع من أدخلوه من أولادهم قال فقلت لهم كيف تفعلون ذلك وليس على دينكم ولا من ولدكم فديته منهم بمال عريض ولما قتل القان كما ذكرنا واستولى ابن عمه فيروز على الملك أختار أن تكون حضرته مدينة قراقرم وضبطها بفتح القاف الأول والراء وضم الثانية وضم الراء الثانية (لقربها من بلاد بني عمه ملوك تركستان وما وراء النهر ثم خالفت عليه الأمراء معن لم يحضر لقتل القان وقطعوا الطرق وعظمت الفتن .

(ذكر رجوعى إلى الصين ثم إلى الهند)

ولما وقع الخلاف وتسعرت الفتن أشار على الشيخ برهان الدين وسواه أن أعود إلى الصين قبل تمكن الفتن ووقفوا معى إلى نائب السلطان فيروز فبعث معى ثلاثة من أصحابه وكتب لى بالضيافة وسرنا من حدرين في النهر إلى الخنساء ثم إلى قنجنفو ثم إلى الزيتون فلما وصلتها وجدت الجنوك على السفر إلى الهند وفي جمعتها جنك للملك الظاهر صاحب الجاوة أهله مسلمون وعرفنى وكيله وسر بقدمى وصادفنا الريح الطيبة عشرة أيام فلما قاربنا بلاد طواسى تغيرت الريح وأظلم الجو وكثر المطر واقفنا عشرة أيام لا نرى الشمس ثم دخلنا بحرا لا نعرفه وخاف أهل الجنك فارادوا الرجوع إلى الصين فلم يتمكن ذلك واقفنا اثنتين وأربعين يوما لا نعرف فى أى البحار نحن .

(ذكر الرخ)

ولما كان فى اليوم الثالث والأربعين ظهر لنا بعد طلوع الفجر جبل فى البحر بيننا وبينه نحو عشرين ميلا والرياح تهبنا إلى صوبه فمعجب البحر به وقالوا السنا بقرب من البر ولا يعهد فى البحر جبل وإن اضطرتنا الريح إليه ملكنا فلجأ الناس إلى التنصع والاختلاص وجدوا التوبة وابتهلنا إلى الله بالدعاء توسلنا بنبيه صلى الله عليه وسلم وبذر التجار الصدقات السكثيرة وكتبنا لهم فى زمام بخطى وسكنت الريح بعض سكون ثم رأينا ذلك الجبل عند

طلوع الشمس قد ارتفع في الهواء وظهر الضوء فيما بينه وبين البحر فعجبنا من ذلك ورايت البحر يكون ويودع بعضهم بعضا فقلت ما شأنكم فقالوا أن الذي تخيلناه جبلا هو الرخ وإن رأنا اهلسكننا وبيننا وبينه إذ ذاك أقل من عشرة أميال ثم أن الله تعالى من علينا بريح طيبة صرفتنا عن صوبه فلم نره ولا عرفنا حقيقة صورته وبعد شهرين من ذلك اليوم وصلنا الجاوة ونزلنا إلى سمطرة فوجدنا سلطانها الملك الظاهر قد قدم من غزاة له وجاء بسبي كثير فبعث إلى جارينين وغلادين وأنزاني على العادة وحضرت أعراض ولده مع بنت أخيه .

(ذكر أعراس ولد الملك الظاهر)

وشاهدت يوم الجلوة فرأيتهم قد نصبوا في وسط المشور منبرا كبيرا وكسوه بثياب الحرير وجاءت العروس من داخل القصر على قدميها بادية الوجه ومعهما نحو أربعين من الخوارج يرفعون أذيالها من نساء السلطان وأمراته ووزرائه وكلهن باديات الوجوه بنظر اليهن كل من حضر من رفيع أو وضيع وليست تلك بعادة لمن إلا في الأعراس خاصة وصعدت العروس المنبر وبين يديها أهل الطرب رجالا ونساء يلعبون ويغنون ثم جاء الزوج على فيل مزين على ظهره سريرون فوقه قبة شبيهة بالوجهة والتاج على رأس العروس المذكور عن يمينه ويساره نحو مائة من أبناء الملوك وأمرأه قد لبسوا البياض وركبوا الخيل المزينة وعلى رؤوسهم الشواشي المرصعة وهم أتراب العروس ليس فيهم ذولحية ونثرت الدنانير على الناس عند دخوله وقعد السلطان بمنظرة له يشاهد ذلك ونزل أبنه فقبل رجله وصعد المنبر إلى العروس فقامت إليه وقبلت يده وجلس إلى جانبها والخوارج يروحون عليها وجاؤا بالفوفل والتنبول فاخذ الزوج بيده وجعل منه في فمها ثم أخذت هي بيديها وجعلت في فمها ثم أخذ الزوج بقمة ورقة تنبول وجعلها في فمها وذلك كله على أعين الناس ثم فعلت هي كفعلة ثم وضع عليها الستر ورفع المنبر وهما فيه إلى داخل القصر وأكل الناس وانصرفوا ثم لما كان من الغد جمع الناس وأجرى له أبوه ولاية العهد وبايعه الناس وأعطاهم العطاء الجزل من الثياب والذهب وأقامت بهذه الجزيرة شهرين ثم ركبت في بعض الجنوك .

وأعطاني السلطان كثيرا من العود والكافور والقرنفل والصندل وزودني وأسافرت عنه فوصلت بعد أربعين يوما إلى كولم فنزلت بها في جوار القرويني قاضي المسلمين وذلك في رمضان وحضرت بها صلاة العيد في مسجدها الجامع وعادتهم أن يأثوا المسجد

ليلا فلا يزالون يذكرون الله إلى الصبح ثم يذكرون إلى حين صلاة العيد ثم يصون
ويخطب الخطيب وينصرفون ثم سافروا من كوفهم إلى قنقوط وأقنا بها أياما وأردت
العودة إلى دهلي ثم خفت من ذلك فركبت البحر فوصلت بعد ثمان وعشرين ليلة إلى
ظفار وذلك في محرم سنة ثمان وأربعين ونزلت بدار خطيبها عيسى بن طاهنا .

(ذكر سلطانها)

ووجدت سلطانها في هذه "سكرة" تلك الناصر ابن المنك المغيث الذي كان مسكها حين
وصولي إليها فيما تقدم وناثبه سيف الدين عمر أمير جندو التركي الأصل وأنزلني هذا السلطان
وأكرمني ثم ركبت البحر فوصلت إلى مسقط (بفتح الميم) وهي بلدة صغيرة بها
السمك الكثير المعروف بقنب الماس ثم سافروا إلى مرسى القريات (وضبطها بضم
القاف وفتح الراء والياء آخر الحروف وألف وتاء مشناة) ثم سافروا إلى مرسى شبة
(وضبط اسمها بفتح الشين المعجم وفتح الباء الموحدة وتشديدها) ثم إلى مرسى كلبة
ولفظها على لفظ مؤنثة السكب ثم إلى قنات وقد تقدم ذكرها وهذه البلاد كلها من
عمالة هرمز وهي محسوبة من بلاد عمان ثم سافروا إلى هرمز وأقمنها ثلاثا وسافروا
في البر إلى كورستان ثم إلى اللار ثم إلى خنج بال وقد تقدم ذكر جميعها ثم سافروا
إلى كازي (وضبط اسمها بفتح الكاف وسكون الراء وكسر الزاي) وأقنا
بها ثلاثا .

ثم سافروا إلى جهمكان (وضبط اسمها بفتح الجيم والميم والكاف وآخره نون) ثم
سافروا منهم إلى ميسن (ضبط اسمها بفتح الميمين وبينها ياء آخر الحروف مسكنة وآخره
نون) ثم سافروا إلى بسا (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة والسين المهمل مع تشديدها) ثم
إلى مدينة شيراز فوجدنا سلطانها أبا إسحاق على ملسكه إلا أنه كان غائبا عنها ولقيت بها شيخنا
الصالح العالم مجد الدين قاضي القضاة وهو قد كف بصره نفعه الله ونفع به ثم سافرت إلى
ماين ثم إلى يزد خاص ثم إلى كليل ثم إلى كشك زرنم إلى اصهبان ثم إلى تستر ثم إلى الخويز ثم
إلى البصرة وقد تقدم ذكر جميعها وزرت بالبصرة القبور الكريمة التي بها وهي قبر الزبير بن
العوام وطحمة بن عبد الله وحليمة السعدية وأبي بكر وأنس بن مالك والحسن البصري وثابت
البيثاني ومحمد بن سيرين ومالك بن دينار ومحمد بن واسع وحبيب العجمي وسهل بن عبد الله
القتري رضي الله تعالى عنهم أجمعين ثم سافروا من البصرة فوصلنا إلى مشهد على بن أبي
طالب رضي الله عنه وزرناه ثم توجهنا إلى الكوفة فزورنا مسجد المبارك ثم إلى الحلة حيث
مشهد صاحب الزمان واتفق في بعض تلك الأيام أن وليها بعض الأمراء ففتح أهلها من التوجه

على عادتهم إلى مسجد صاحب الزمان وانتظاره هناك ومنع عنهم الدابة التي كانوا يأخذونها كل ليلة من الأمير فأصابته ذلك الوالى علة مات مناسر يعافز اذ ذلك في فتنة الرافضة وقالوا لما اصابه ذلك لأجل منعه الدابة فلم تمتنع بعد ثم سافرت إلى صرصر ثم إلى مدينة بغداد واصلتها في شوال سنة ثمان وأربعين ولقيت بها بعض المغاربة فعرفني بكاتبة طريف واستيلاء الروم على الحضراء جبر الله صدع الاسلام في ذلك

(ذكر سلطانها)

وكان سلطان بغداد والعراق في عهد دخولي إليها في التاريخ المذكور الشيخ حسن ابن عمه (س) أبي سعيد رحمه الله ولما مات أبو سعيد استولى على مملكة بالعراق وتزوج بزوجته دلداد بنت دمشق خواجة ابن الأمير الجوبان حسبا كان فعله (س) أبو سعيد من تزوج زوجة الشيخ حسن وكان (س) حسن غائبا عن بغداد في هذه المدة متوجها لقتال (س) اتا بك افراسياب صاحب بلاد اللور ثم رحلت من بغداد فوصلت إلى مدينة الانبار ثم إلى هيت ثم إلى الحديثة ثم إلى عانة وهذه البلاد من أحسن البلاد وأخصبها والطريق فيما بينها كثير العمارة كان الماشي في سوق من الأسواق وقد ذكرنا إنما لم نر ما يشبه البلاد التي على نهر الصين الا هذه البلاد ثم وصلت إلى مدينة الرحبة وهي التي تنسب إلى مالك بن طوق ومدينة الرحبة أحسن بلاد العراق وأول بلاد الشام ثم سافرنا إلى السخنة وهي بلدة حسنة أكثر سكانها الكفار من النصاري وإنما سميت السخنة لحرارة مائها وفيه بيوت الرجال وبيوت للنساء يستحمون فيها ويستقون الماء ليلا ويجعلونه في السطوح لئيرد ثم سافرنا إلى تدمر مدينة نبي الله سليمان عليه السلام التي بنى لها الجن كما قال النابغة

(بسيط) * يبنون تدمر بالصفايح والعمد *

ثم سافرنا منها إلى مدينة دمشق الشام وكانت مدة مغيبتي عنها عشرين سنة كاملة وكنت تركت بها زوجة لي حاملة وتعرفت وأنا ببلاد الهند أنها ولدت ولدا ذكرا فبعثت حينئذ إلى جده اللام وكان من أهل مكناسة المغرب أربعين دينار ذهباً هدياً فحين وصولي إلى دمشق في هذه السكرة لم يكن لي هم إلا السؤال عن ولدي فدخلت الجامع فوفق لي نور الدين السخاوي امام المالكية وكبيرهم فسألت عليه فلم يعرفني فعرفته بنفسى وسألته عن الولد فقال مات منذ ثنتي عشر سنة وأخبرني أن فقيها من أهل طنجة يقيم بالمدرسة الظاهرية فمريت إليه لاسأله عن والدي وأهلي فوجدته شيخاً كبيراً فسألت عليه وأنتسبت له فأخبرني أن والدي توفي منذ خمس عشرة سنة وأن والدة بقيد الحياة وأقت بدمشق الشام بقمه العام

والعلاء شديد والخيزر قد انتهى إلى قيمة سبع أواق بدرهم نقرة وأوقيتهم أربع أواق مغربية وكان قاضي قضاة المالكية إذ ذاك جمال الدين المسلاقي وكان من أصحاب الشيخ علاء الدين القونوي وقدم معه دمشق فعرف بها ثم ولي القضاء وقاضي قضاة الشافعية تقي الدين بن السبكي وأمير دمشق ملك الأمراء إرعون شاه

(حكاية)

ومات في تلك الأيام بعض كبار دمشق وأوصى بمال المساكين فكان المتولى لإتفاذ الوصية يشترى الخبز ويفرقه عليهم كل يوم بعد العصر فاجتمعوا في بعض الليالي وتزاحموا واختطفوا الخبز الذي يفرق عليهم ومدوا أيديهم إلى خبز الخبازين وبلغ ذلك الأمير أرغون شاه فأخرج زبائنه فكانوا حيث ما لقوا أحدا من المساكين قالوا له تعال تأخذ الخبز فاجتمع منهم عدد كثير فجلسهم تلك الليلة وركب من الغدو أحضرهم تحت القلعة وأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وكان أكثرهم براء عن ذلك وأخرج طائفة الحرافيش عن دمشق فانتقلوا إلى حمص وحماء وحلب وذكر لي أنه لم يمش بعد ذلك الا قليلا وقتل ثم سافرت من دمشق إلى حمص ثم حماه ثم المرة ثم سرمين ثم إلى حلب وكان أمير حلب في هذا العهد الحاج رطلي (بضم الراء وسكون الغين المعجم وفتح الطاء الممل وياء آخر الحروف مسكنة)

(حكاية)

واتفق في تلك الأيام أن فقيرا يعرف بشيخ المشايخ وهو ساكن في جبل خارج مدينة عنتاب والناس يقصدونه ويتبركون به وله تلميذ ملازم له وكان متجردا عزبا لازوجته له قال في بعض كلامه أن النبي ﷺ كان لا يصبر عن النساء وأنا أصبر عنهن فشهد عليه بذلك وثبت عند القاضي ورفع أمره إلى ملك الأمراء وأتى به وبتلميذه الموافق له على قوله فافق القضاء الأربعة وهم شهاب الدين المالكي وناصر الدين العديم الحنفي وتقي الدين الصائغ الشافعي وعن الدين الدمشقي الحنبلي بقتلهما معا فقتلا وفي أوائل شهر ربيع الأول عام تسعة وأربعين بلغني الخبر في حلب الوباء وقع بغزة وأنه انتهى عدد الموتى فيها إلى زائد على الألف في يوم واحد فنسافرت إلى حمص فوجدت الوباء قد وقع بها ومات يوم دخولي إليها نحو ثلثمائة انسان ثم سافرت إلى دمشق ووصاتها يوم الخميس وكان أهلها قد صاموا ثلاثة أيام وخرجوا يوم الجمعة إلى جامع الأقدام حسبا ذكرناه في السفر الأول فنف الله الوباء عنهم فأنهى عدد الموتى عندهم إلى ألفين وأربعمائة في اليوم ثم سافرت إلى عجلول ثم إلى بيت المقدس ووجدت الوباء قد ارتفع عنهم ولقيت خطيبة عن الدين بن جماعة ابن

عم عن الدين قاضي القضاة بمصر وهو من الفضلاء السكراء ومرتبته على الخطابة ألف درهم في الشهر

(حكاية)

وصنع الخطيب عز الدين يوما دعوة ودعاني فيمن دعا إليها فسألته عن سببها فأخبرني أنه نذر أيام الوباء إنه إن ارتفع ذلك ومر عليه يوم لا يصلي فيه على ميت صنع الدعوة ثم قال لي وما كان بالأمر لم أصل على ميت فصنعت الدعوة التي نذرت ووجدت من كنت أعهد من جميع الأشياخ بالقدس قد انتقلوا إلى جوار الله تعالى رحمهم الله فلم يبق منهم إلا القليل مثل المحدث العالم الإمام صلاح الدين خليل بن كيكلي العلاءي ومثل الصالح شرف الدين الخثي شيخ زاوية المسجد الأقصى ولقيت الشيخ سليمان الشيرازي فأضافني ولم أبق بالشام ومصر من وصل إلى قدم آدم عليه السلام سواه .

ثم سافرت عن القدس ورافقتي الواعظ المحدث شرف الدين سليمان الملياني وشيخ المغاربة بالقدس الصوفي الفاضل طاحه العبد الوادي فوصلنا إلى مدينة الخليل عليه السلام وزرناه ومن معه من الأنبياء عليهم السلام ثم سرنا إلى غزة فوجدنا معظمها خاليا من كثرة من مات بها في الوباء وأخبرنا قاضيهما أن العدول بها كانوا ثمانين فبقى منهم أربع وأثنى عدد الموتى بها انتهى إلى ألف ومائة في اليوم ثم سافرنا في البر فوصلنا إلى دمياط ولقيت بها قطب الدين النفسواني وهو صائم الدهر ورافقتي منها إلى فارسكور وسمود ثم إلى أبي صير (بكسر الصاد المهمل وياء وراء) وزلنا في زاوية لبعض المصريين بها

(حكاية)

وبينما نحن بتلك الزاوية إذ دخل علينا أحد الفقراء فسلم وعرضنا عليه الطعام فأبى وقال إننا قصدت زيارتكم ولم يزل ليلته تلك ساجدا ورا كما ثم صلينا الصبح واشتغلنا بالذكر والفقير بركن الزاوية فجاء الشيخ بالطعام ودعاه فلم يجبه فضي إليه فوجده ميتا فصلينا عليه ودفعناه رحمة الله عليه ثم سافرت إلى المحسلة الكبيرة ثم إلى نحارارية ثم إلى أبيار ثم إلى دمنهور ثم إلى الاسكندرية فوجدت الوباء قد خف بها بعد أن بلغ عدد الموتى إلى ألف وثمانين في اليوم ثم سافرت إلى القاهرة وبلغني أن (١٢ - رحلة - ثاني)

عدد الموقى أيام الوباء انتهى فيها إلى واحد وعشرين ألفا في اليوم ووجدت جميع من كان بها من الشايخ الذين أعرفهم قد ماتوا رحمهم الله تعالى

(ذكر سلطانها)

وكان ملك ديار مصر في هذا العهد الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وبعد ذلك خلع عن الملك وولى أخوه الملك الصالح ولما وصلت القاهرة وجدت قاضى القضاة عز الدين ابن قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة قد توجه إلى مكة في ركب عظيم يسمونه الرجبي لسفرهم في شهر رجب وأخبرت أن الوباء لم يزل معهم حتى وصلوا إلى عقبة أيلة فارتفع عنهم ثم سافرت من القاهرة إلى بلاد الصعيد وقد تقدم ذكرها إلى عيذاب وركبت منها البحر فوصلت جدة ثم سافرت منها إلى مكة شرفها الله تعالى وكرما فوصلتها في الثانى والعشرين لشعبان سنة تسع وأربعين ونزلت في جوار أمام المالكيه الصالح الوالى الفاضل أبى عبد الله محمد بن عبد الله المدعو بخليل فصمت شهر رمضان بمكة وكنت أعتزم كل يوم على مذهب الشافعى ولقيت من أئمة من أشياخها شهاب الدين الحنفى وشهاب الدين الطبرى وأبا محمد الياقضى ونجم الدين الأصفونى والحرأزى وحبجبت تلك العام ثم سافرت مع الركب الشامى إلى طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزرت قبره المسكرم زاده الله طيبا وتشريفنا وصليت فى المسجد الكريم طهره الله وزاده تعظيما وزرت من بالبقيع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ولقيت من الأشياخ أبا محمد بن فرحون ثم سافرنا من المدينة الشريفة إلى العلا وتبوك ثم إلى بيت المقدس ثم إلى مدينة الخليل صلى الله عليه وسلم ثم إلى غزة ثم إلى منازل الرمل وقد تقدم ذكر ذلك كله ثم إلى القاهرة وهناك تعرفنا أن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين أبا عنان أيده الله تعالى قد ضم الله به نشر الدولة المرينية وشفى ببركته بعد اشتغالها بالبلاد المغربية وأفاض الاحساس على الخاص والعام وغمر جميع الناس بسابغ الانعام فتشوقت النفوس إلى المثلول ببابه وأملت لثم ركابه فعند ذلك قصدت القدوم على حضرة العلية مع تذكارة الأوطان والحنين إلى الأهل والخلان والمحبة إلى بلادى التى لها الفضل عندى على البلدان

بلادها نيظت على تمامى وأوو أرض مس جلدى تراها

فركبت البحر في قرقورة ابعض التونسيين صغيرة وذلك في صفر سنة خمسين وسرت حتى
نزلت بجربة وسافر المركب المذكور إلى تونس فاستولى العدو عليه ثم سافرت في مركب
صغير إلى قابس فنزلت في ضيافة الأخوين الفاضلين ابني مروان وابني العباس ابني مكي
أميري جربة وفارس وحضرت عندهما مولد رسول الله ﷺ ثم ركبت في مركب إلى
سفاقس ثم توجهت في البحر إلى بليانة ومنها سرت في البر مع العرب فوصلت بعد مشقات
إلى مدينة تونس والعرب محاصرون لها

(ذكر سلطانها)

وكانت تونس في إيالة مولانا أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب
العالمين علم الأعلام وأوحد الملوك الكرام أسد الآساد وجواد الأجواد القانت
الأواب الخاشع العادل أبي الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب
العالمين ناصر دين الاسلام الذي سارت الأمثال بحجوده وشاع في الاقطار أثر
كرمه وفضله ذى المناقب والمفاخر والفضائل والمآثر الملك العادل الفاضل أبي
سعيد ابن مولانا أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين قاهر
الكفار ومبيد مبادئ آثام الجهاد ومعيدها ناصر الإيمان الشديد السطوة في
ذات الرحمان ، العابد الزاهد الراكع الساجد الخاشع الصالح أبي يوسف ابن
عبد الحق رضى الله عنهم أجمعين وأبقى الملك في عقبهم إلى يوم الدين ولما وصلت
تونس قصدت الحاج أبا الحسن الناميلى لما بينى وبينه من مودات القرابة والبلدية
فانزلنى بداره وتوجه معى إلى المشور فدخلت المشور الكريم وقبلت يد مولانا
أبي الحسن رضى الله عنه وأمرنى بالعودة فقمعدت وسألتى عن الحجاز الشريف
وسلطان مصر فأجبتة وسألتى عن ابن تيفراجين فأخبرته بما فعلت المغاربة معه
ولادتهم قتله بالاسكندرية ومألتى من اذاتهم انتصارا منهم لمولانا أبى الحسن
رضى الله عنه وكان فى مجلسه من الفقهاء الامام أبو عبد الله السطى والامام أبو
عبد الله محمد بن الصباح ومن أهل تونس قاضيا أبو علي عمر بن عبد الرفيق
وأبو عبد الله بن هارون وانصرفت عن المجلس الكريم فلما كان بعد العصر
استدعانى مولانا أبو الحسن وهو ببرج يشرف على موضع القتال ومعه الشيوخ

الجللة أبو عمر وعثمان بن عبد الواحد التنالفي وأبو حسون زيان بن أمريون العلوي وأبو زكرياء يحيى بن سليمان العسكري والحاج أبو الحسن الناميسي فسألتني عن ملك الهند فأجيبته عما سألتني

ولم أزل أتردد إلى مجلسه الكريم أيام إقامتي بتونس وكانت ستة وثلاثين يوما ولقيت بتونس لاذك الشيخ الامام خاتمة العلماء وكبيرهم أبا عبد الله الابلي وكان في فراش المرض وباحثن عن كثير من أمور رحلتني

ثم سافرت من تونس في البحر مع القطلانيين فوصلنا إلى جزيرة سردانية من جزر الروم ولها مرسى عجيب عليه خشب كبار دائرة به وله مدخل كأنه باب لا يفتح إلا بأذن منهم وفيها حصون دخلنا أحدها وبه أسواق كثيرة ونذرت لله تعالى ان خلصنا الله صوم شهرين متتابعين لأننا تعرفنا أن أهلها عازمون على اتباعنا إذا خرجنا عنها لياسرونا

ثم خرجنا عنها فوصلنا بعد عشر إلى مدينة تنس ثم إلى مازونة ثم إلى مستغانم ثم إلى تلمسان فقصدت العباد وزرت الشيخ أيامدين رضى الله عنه ونفع به ثم خرجت عنها على طريق مدرومة وسلكت طريق آخذقان وبنت بزاية الشيخ ابراهيم ثم سافرنا منها فبينما نحن بقرب أزغنغان إذا خرج علينا رجلا وفارسان وكان معي الحاج ابن قريعات الطنجي وأخوه محمد المستشهد بعد ذلك في البحر فعز منا على قتالهم ورفعنا علمنا ثم سالمونا وسلمناهم والحمد لله ووصلت إلى مدينة تازي وبها تعرفت خبر موت والدتي بالوفاء رحمها الله تعالى .

ثم سافرت عن تازي فوصلت يوم الجمعة في أواخر شهر شعبان المسكرم من عام خمسين وسبع مائة إلى حضرة قاس فثلت بين يدي مولانا الأعظم الإمام الأكرم أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين أبي عثمان وصل الله علوه وكبت عدوه فأنستني هيئته هيبة سلطان العراق وحسنة حسن ملك الهند وحسن أخلاقه حسن خلقه ملك اليمن وشجاعته شجاعة ملك الترك وحلمه حلم ملك الروم وديانته ديانة ملك تركستان وعلمه علم ملك الجاوة وكان بين يديه وزيره الفاضل ذو المسكرم الشهيرة والمآثر السكينة أبو زيان ابن ودرار فسألتني عن الديار المصرية إذ كان قد وصل إليها فأجيبته عما سألتني وغمرني من إحسان مولانا أبد الله تعالى بما أعجزني شكره والله ولي مكافأته وألقيت عصي التسيار ببلاذه الشريفة بعد أن تحققت بفضل الانصاف أنها أحسن البلدان لأن الفواكه بها متيسرة والمياه والاقوات غير

معتزده وكل لإقليم يجمع ذلك ولقد أحسن من قال (بحث)

الغرب أحسن أرض ولى دليل عليه

البدر يرقب منسه والشمس تسعى إليه

ودراهم الغرب صغيرة وفوائدها كثيرة وإذا تأملت أسعارهم مع أسعار ديار مصر والشام ظهر لك الحق في ذلك ولا ح فضل بلاد المغرب فاقول أن لحوم الاغنام بديار مصر تباع بحساب ثمان عشرة أوقية بدرهم نقرة والدرهم النقرة ستة دراهم من دراهم المغرب وبالمغرب يباع اللحم إذا غلا سعره ثمانية عشر أوقية بدرهمين وهما ثلث النقرة وأما السمن فلا يوجد بمصر في أكثر الاوقات والذي يستعمله أهل مصر من أنواع الادم لا يلتفت اليه بالمغرب ولأن أكثر ذلك العدس والحمص يطبخونه في قدور راسيات ويجعلون عليه السيرج والبسلا وهو صنف من الجلبان يطبخونه ويجعلون عليه الزيت والقرع يطبخونه ويخلطونه باللبن والقاقاس يطبخونه وهذا كله متيسر بالمغرب لكن أعنى الله عنه بكثرة اللحم والسمن والزبد والعسل وسوى ذلك وأما الخضرة فهي أقل الاشياء ببلاد مصر وأما الفواكه فأكثرها بجلبوبة من الشام وأما العنب فإذا كان رخيصا يبيع عندهم ثلاثة أرطال من أرطالهم بدرهم نقرة ورطالهم ثنتا عشرة أوقية وأما بلاد الشام فالفواكه بها كثيرة إلا لأنها ببلاد الغرب أرخص منها ثمتان فان العنب يباع بها بحساب رطل من أرطالهم بدرهم نقرة ورطالهم ثلاثة أرطال مغربية وإذا رخص ثمنه يبيع بحساب رطلين بدرهم نقرة والاجاص يباع بحساب عشر أواق بدرهم نقرة وأما الرمان والسفرجل فتباع الحبة منه بثمانية قلووس وهى درهم المغرب وأما الخضرة فيباع بالدرهم النقرة منها أقل مما يباع في بلادنا بالدرهم الصغير وأما اللحم فيباع فيها الرطل منه من أرطالهم بدرهمين ونصف درهم نقرة فإذا تأملت ذلك كله تبين لك أن بلاد المغرب أرخص البلاد أسعارا وأكثرها خيرات وأعظمها مرافق وفوائده ولقد زاد الله بلاد المغرب شرفا إلى شرفها وفضلا إلى فضلها بامامة مولانا أمير المؤمنين الذى مد ظلال الأمن في أقطارها وأطلى شمس العدل في أرجائها وأفاض سبحانه الاحسان في باديتها وحاضيتها وطهرها من المفسدين وأقام بها رسوم الدنيا والدين وأنا أذكر ماعايلته وتحفة من عدله وحله وشجاعته واشتهاله بالعلم وتفقهه وصدقته الجارية ورفع المظالم

(ذكر بعض فضائل مولانا أيده الله)

أما عدله فأشهر من أن يسطر في كتاب فمن ذلك جلوسه للمشتكين من رعيته وتخصيصه يوم الجمعة للمساكين منهم وتقسيمه ذلك اليوم بين الرجال والنساء وتقديمه النساء لضعفهن فتقرأ قصصهن بعد صلاة الجمعة إلى العصر ومن وصلت توبتها نودى باسمها ووقعت بين يديه السكر يمتين يكلمها دون واسطة فإن كانت متظلمة عجل انصافها أو طالبة إحسان وقع إسعافها ثم لما أصيب العصر قرئت قصص الرجال وفعل مثل ذلك فيها ويحضر المجاسم الفقهاء والقضاة فيرد إليهم ما تعاق بالاحكام الشرعية وهذا شئ لم أر في الملوك من يفعله على هذا التمام ويظهر فيه مثل هذا العدل فإن ملك الهندعين بعض أمرائه لأخذ القصص من الناس وتلخيصها ورفعها إليه دون حضور أربابها بين يديه وأما حليته فقد شاهدت منه العجائب فإنه أيده الله عفا عن الكثير ممن تعرض لقتال عساكره والمخالفة عليه وعن أهل الجرائم السكار التي لا يعفو عن جرائمهم إلا من وثق بربه وعلم علم اليقين معنى قوله تعالى والعافين عن الناس قال ابن جرير من أعجب ما شاهدته من حلم مولاه أيده الله أني منذ قدومي على باب السكير بهم في آخر عام ثلاثة وخمسين إلى هذا العهد وهو أوائل عام سبعة وخمسين لم أشاهد أحداً مراً بقتله إلا من قتله الشرع في حد من حدود الله تعالى قصاص أو حرابة هذا على اتساع المملكة واتساع البلاد واختلاف الطوائف

ولم يسمع بمثل ذلك ما تقدم من الأعصار وفيما تباعد من الاقطار وأما شجاعته فقد علم ما كان منه في المواطن السكرية من الثبات والاقدام مثل يوم قتال بني عبد الوادي وغيرهم ولقد سمعت خبر ذلك اليوم ببلاد السودان وذكر ذلك عند سلطانهم فقال هكذا ولم إلا فلا

قال ابن جرير لم يزل الملوك الاقدمون تتفاخر بقتل الأساد وهزائم الاعادي ومولانا أيده الله قتل الأسد عليه أهون من قتل الشاة على الأسد فإنه لما خرج الأسد على الجيش بوادي النجارين من المعصورة بحوز سلا وتحامته الابطال وفرت أمامه الفرسان والرجال برزاليه مولانا أيده الله غير محتفل به ولا متهيّب منه فطعمته بالرمح ما بين عينيه طعمته خربها صريعا للبيدين وللقم وأما هزائم الاعادي فإنها اتفقت للملوك بثبوت جيوشهم وإقدام فرسانهم فيكون حفظ الملوك الثبوت والتحرّض على القتال وأما مولانا أيده الله فإنه أقدم على عدوه منفردا بنفسه السكرية بعد علمه بفرار الناس وتحققه أنه لم يبق معه من يقاتل فعند ذلك وقع الرعب في قلوب الاعداء وانهمزوا أمامه فكان من العجائب قرار

الأمم أمام واحد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين وما هو إلا ثمرة ما يمتن به أعلى مقامه من التوكل على الله والتفويض اليه وأما اشتغاله بالعلم فهيها هو أيده الله تعالى يعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح ويحضر لذلك أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم وحديث المهبطي عليه السلام وفروع مذهب مالك رضي الله عنه وكتب المتصوفة وفي كل علم منها له القدح المعلى يحلو مشكلاته بنور فهمه ويلقى نكته الرائقة من حفظه وهذا شأن الأئمة المهتدين والخلفاء الراشدين .

ولم أر من ملوك الدنيا من بلغت عنايته بالعلم إلى هذه النهاية فقد رأيت ملك الهند يتذاكر بين يديه بعد صلاة الصبح في العلوم المعقولات خاصة ورأيت ملك الجاوة يتذاكر بين يديه بعد صلاة الجمعة في الفروع على مذهب الشافعي وكنت أعجب من ملازمة ملك تركستان لصلاتي العشاء الآخرة والصبح في الجماعة وقيام رمضان والله يختص برحمته من يشاء

قال ابن جزى لو أن عالما ليس له شغل إلا بالعلم ليلا ونهارا لم يكن يصل إلى أدنى مراتب مولانا أيده الله في العلوم مع اشتغاله بأمور الامة وتديره لسياسة الاقاليم الغائبة . ومباشرته من حال ملوك ما لم يباشره أحد من الملوك ونظرة بنفسه في شكايات المظلومين ومع ذلك كله فلا تقع بمجلسه الكريم مسألة علم في أي علم كان إلا جلا مشكلها وباحث في دقائقها واستخرج غوامضها واستدرك على علماء مجلسه ما فاتهم من مغلقاتها ثم سما أيده الله إلى العلم الشريف التصوفي ففهم إشارات القوم وتخطى بأخلاقهم وظهرت آثار ذلك في تواضعه مع رفعتة وشفقته على رعيتة ورفقه في أمره كله وأعطى الآداب حظا جزيلًا من نفسه فاستعمل أحسنها منزعا وأعظمها موقعا وصارت عنه الرسالة الكريمة والقصيدة اللتان بعثهما إلى الروضة الشريفة المقدسة الطاهرة روضة سيد المرسلين وشفيع المذنبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبهما بخط يده الذي يخجل الروض حسنا .

وذلك شيء لم يتعاط أحد من ملوك الزمان لإنشائه ولا رام إدراكه ومن تأمل التوقيعات الصادرة عنه أيده الله تعالى وأحاط علما بمحصلاتها لاح له فضل ما وهب الله لمولانا من البلاغة التي فطره عليها وجمع له بين الطبيعي والمكتسب منها وأما صدقاته الجارية وما أمر به من عمارة الزوايا بجميع بلادها لإطعام الطعام للوارد والصادر

فذلك ما لم يفعله أحد من الملوك غير السلطان أتابك أحمد وقد زاد عليه مولانا أيده الله بالتصدق على المساكين بالطعام كل يوم والتصدق بالزرع على المستترين من أهل البيوت .

كان ابن جزى اخترع مولانا أيده الله في السكرم والصدقات أمورا لم تخطر في الأوهام ولا اهتمت اليها أنسلطين فنها لإجراء الصدقات على المساكين بكل بلد من بلاده على الدرهم ومنها تعيين الصدقة الوافرة في جميع البلاد أيضا ومنها كون تلك الصدقات خبزا مخبوزا متيسرا للانتفاع به وكسوة المساكين والضعفاء والعجائز والمساكين والملازمين للمساجد بجميع بلاده وتعيين الضحايا لهؤلاء الأصناف في عيد الأضحى والتصدق بما يجتمع في مجانب أبواب بلاده يوم سبعة وعشرين من رمضان إكراما لذلك اليوم الكريم وقيامما بحقه وإطعام الناس في جميع البلاد ليلة المولد الكريم واجتماعهم لإقامة رسمه ومنها إعتذار اليتامى من الصبيان وكسوتهم يوم عاشوراء ومنها صدقته على الزمنى والضعفاء بأزواج الحرث يقيمون بها أودهم وصدقته على المساكين بحضرته بالطنافس الوثيرة والقطائف الجياد يفتشونها عند رقادهم

وتلك مكرمة لا يعلم لها نظير ومنها بناء المرستانات في كل بلد من بلاده وتعيين الأوقاف الكثيرة لمؤن المرضى وتعيين الأطباء لمعالجتهم والتصرف في طلبهم إلى غير ذلك مما أبدع فيه من أنواع المسكاره وضروب المسائر كفا الله أياديه وشكر نعمه وأما رفعه للمظالم عن الرعية فمنها الرتب التي كانت تؤخذ بالهراقات أمر أيده الله بمحو رسمها وكان لها مجبى عظيم فلم يلتفت اليه وما عند الله خير وأبقى وأما كفه أيدي الظلام فأمر مشهور وقد سمعته أيده الله يقول لعماله لا تظلموا الرعية ويؤكد تلك الوصية .

قال ابن جزى ولولو لم يكن رفق مولانا أيده الله برعيته إلى رفعه التصنيف الذي كانت عمال الزكاة وولاة البلاد تأخذه من الرعايا لسكنى ذلك أثرا في العدل ظاهرا ونورا في الرفق باهرا فكيف وقد رفع من المظالم وبسط من المرافق ما لا يحيط به الحصر وقد صدر في أيام تصنيف هذا من أمره الكريم في الرفق بالمسجونين ورفع الوظائف الثقيلة التي كانت تؤخذ منهم ما هو اللاتق باحسانه والمعهود من رأفته وشمل الأمر بذلك جميع الأقطار وكذلك صدر من التشكيل بمن ثبت جوره من القضاة والحكام ما فيه زجر الظلمة وردع المعتدين .

وأما فعله في معاونة أهل الأندلس على الجهاد ومحافظة على إمداد الثغور بالأموال والآفات والسلاح وفته في عضد العدو بإعداد العدد وإظهار القوة فذلك أمر شهير لم يعب علمه عن أهل المغرب والمشرق ولا سبق إليه أحد من الملوك .

قال ابن حزمى حسب المتشوف إلى علم ما عند مولانا أيده الله من سداد الفطر إلى المسلمين ودفاع القوم السكافرين ما فعله في فداء مدينة طرابلس أفرريقية فإنها لما استولى العدو عليها ومد يد العدوان إليها ورأى أيده الله أن يبعث الجيوش إلى نصرتها لا يتأتى لبعده الاقطار كتب إلى خدامه ببلاد أفرريقية أن يقدروها بالمال فهديت بخمسين ألف من الذهب العين فلما بلغه خبر ذلك قال الحمد لله الذي استرجعها من أيدي الكفار بهذا النذر اليسير وأمر للحين يبعث ذلك العدد إلى أفرريقية وعادت المدينة إلى الإسلام على يده ولم يخطر في الأوهام أن أحدا تكون عنده خمسة قناطير من الذهب نزار يسيرا حتى جاء بها مولانا أيده الله مكرمة بعيدة ومأثرة فائقة قل في الملوك أمثالها وعز عليهم مثالها وما شاع من أفعال مولانا أيده الله في الجهاد لإنشائه الاجفان بجميع السواحل واستكثاره من عدد البحر وهذا في زمان الصلح والمهادنة اعدادا لا يام الغزاة وأخذ بالحزم في قطع اطماع الكفار واكد ذلك بتوجهه بنفسه إلى جبال جنانة في العام الفارط ليباشر قطع الخشب الإنشاء ويظهر قدر ماله بذلك من الاعتناء ويتولى بذاته أعمال الجهاد مترجيا ثواب الله تعالى وموقنا بحسن الجزاء .

(رجع) ومن أعظم حسناته أيده الله عمارة المسجد الجديد بالمدينة البيضاء دار ملسكة العلي وهو الذي امتساز بالحسن وانقان البناء وإشراق النور وبديع الترتيب وعمارة المدرسة الكبرى بالموضع المعروف بالقصر مما يجاور قصبة فاس ولا نظير لها في المعمورة اتساعا وحسنا وإبداعا وكثرة ماء وحسن وضع ولم أر في مدارس الشام ومصر والعراق وخراسان ما يشبهها وعمارة الزاوية العظمى على غدير الحص خارج المدينة البيضاء فلا مثل لها أيضاً في عجب وضعها وبديع صنعها وأبداع زاوية رأيها بالشرق زاوية سرياقص (سرياقص) التي بناها الملك الناصر وهذه أبداع منها وأشد إحكاما وإتقاناً والله سبحانه ينفع مولانا أيده الله بمقاصده الشريفة ويكافئ فضائله المنيفة ويدعم الإسلام والمسلمين أيامه وينصر أوليته المظفرة وأعلامه .

ولنعد إلى ذكر الرحلة فنقول ولما حصلت لي مشاهدة هذا المقام الكريم وعني فضل إحسانه العميم قصدت زيارة قبر الوالدة فوصلت إلى بلدة طنجة وزرتها وتوجهت إلى مدينة سبتة فأقيمت بها اشهر وأصابني المرض ثلاثة أشهر ثم عافاني الله فأردت أن

يكون لي حظ من الجهاد والرباط فركبت البحر من سبتة في شطى لاهل أصيلا فوصلت إلى بلاد الأندلس حرسها الله تعالى حيث الأجر موفور للساكن والثواب مذكور للمقيم والظاعن وكان ذلك أثر موت طاغية الروم الفونس وحصاره الجبل عشرة أشهر وظنه أنه يستولى على ما بقى من بلاد الأندلس للمسلمين فأخذه الله من حيث لم يحتسب ومات بالوباء الذي كان أشد الناس خوفا منه وأول بلد شاهده من البلاد الأندلسية جبل الفتح فلقبته به خطيبه الفاضل أبا زكريا يحيى بن السراج الرندى وقاضيه عيسى البربرى وعنده نزلت وتطوقت معه على الجبل فرأيت عجائب ما بيني به مولانا أبو الحسن رضى الله عنه وأعد فيسه من العدد وما زاد على ذلك مولانا أيده الله ووددت أن لو كنت ممن رابط به إلى نهاية العمر .

قال ابن جزى جبل الفتح هو معقل الاسلام المعترض شجى في حلق عبدة الاصنام حسنة مولانا أنى الحسن رضى الله عنه المنسوبة اليه وقرية التي قدمها نورا بين يديه محل عدد الجهاد ومقر آساد الأجناد والشعر الذى اقترع عن نصر الايمان وأذاق أهل الأندلس بعد مرارة الحرف حلوة الأمان ومنه كان مبدأ الفتح الاكبر وبه نزل طارق ابن زياد مولى موسى بن نصير عند جوارزه فنسب اليه فيقال له جبيل طارق وجبل الفتح لأن مبدأه كان منه وبقايا السور الذى بناه ومن معه باقية إلى الآن تسمى بسور العرب شاهدها أيام إقامتى به عند حصار الجزيرة أعادها الله ثم فتحه مولانا أبو الحسن رضوان الله عليه واسترجعه من أيدي الروم بعد تملكهم له عشرين سنة ونيفا وبعث إلى حصاره ولده الأمير الجليل أبا مالك وأيده بالأموال الطائلة والعساكر الجارية وكان فتحه بعد حصار ستة أشهر وذلك في عام ثلاثة وثلاثين وسبع مائة ولم يكن حينئذ على ما هو الآن عليه فبنى به مولانا أبو الحسن رحمة الله عليه المائرة العظمى بأعلى الحصن وكانت قبل ذلك برجا صغيرا تهدم بأحجار المجانيق فبناها مكانه وبنى به دار الصناعة ولم يكن به دار صنعة وبنى السور الأعظم المحيط بالتربة الحمراء الأخذ من دار الصنعة إلى القرمدة ثم جدد مولانا أمير المؤمنين أبو عنان أيده الله عهد تحصينه ومحسنة وزاد بها بناء السور بطرف الفتح وهو أعظم أسواره غنام وأعما نقعا وبعث اليه العدد الوفرة والأفوات والمرافق العامة وعامل الله تعالى فيه بحسن النية وصدق الانخلاص ولما كان في الأشهر الأخيرة من عام ستة وخمسين وقع بجبل الفتح ما ظهر فيه أثر يقين مولانا أيده الله وثمرة توكله في أموره على الله وبأن مصداق ما اطرده من السعادة الكافية وذلك أن عامل الجبيل الخائن الذى ختم له بالشقاء عيسى بن الحسن بن أبى منديل نزع يده المغولة

ثم استمر في قصيدته على مدح عبد المؤمن بن علي قال ابن جزى ولنعد إلى كلام الشيسخ أبي الطاعة وفارق عصمة الجماعة وأظهر النفاق وجمع في الغدو والشقاق وتعاطى ما ليس من رجاله وعمى عن مبدء حاله السيء وماله وتوهم الناس إن ذلك مبدء فتنة تنفق على إطفائها كرائم الأموال ويستعد لا تقاؤها بالفرسان والرجال فحكمت سعادة مولانا أيده الله ببطلان هذا التوهم وقضى صدق يقينه بانخراق العادة في هذه الفتنة فلم تكن إلا أيام يسيرة وراجع أهل الجبل بصائرهم وثاروا على الثائر وخالفوا الشقي المخالف وقاموا بالواجب من الطاعة وقبضوا عليه وعلى ولده المساعد له في النفاق وأتى بهما مصقدين إلى الحضرة العلية فنفذ فيهما حكم الله في المحاربين وأراح الله من شرهما ولما خمدت نار الفتنة أظهر مولانا أيده الله من العناية ببلاد الاندلس ما لم يكن في حساب أهلها وبعث إلى جبل الفتح ولده الأسعد المبارك الأرشد أبا بكر المدعو من السيادة السلطانية بالسعيد أسعده الله تعالى وبعث معه أنجاد الفرسان وجوه القبائل وكفأة الرجال وأدر عليهم الارزاق ووسع لهم الاقطاع وحرر بلادهم من المغارم وبذل لهم جزيل الإحسان وبلغ من اهتمامه بأمور الجبل المذكور فثل فيه أشكال أسواره وأبراجه وحصنه وأبوابه ودار صنعته ومساجده ومخازن عدده وأهرية زرعه وصورة الجبل وما اتصل به من التربة الحمراء فصنع ذلك بالمشور السعيد فكان عجيبياً أتقنه الصنائع إتقاناً يعرف قدره من شاهد الجبل وشاهد هذا المثال وما ذلك إلا للتشوقه أيده الله إلى استطلاع أحواله وتهمة بتخصيته وإعداده والله تعالى يجعل نصر الاسلام بالجزيرة الغربية على يديه ويحقق ما يؤمله في فتح بلاد الكفار وشت شمل عباد الصليب وتذكرت حين هذا التقييد قول الاديب البليغ المغلق أبي عبدالله محمد بن غالب الرصافي البانسي رحمه الله في وصف هذا الجبل المبارك من قصيدته الشهيرة في مدح عبد المؤمن بن علي التي أولها

(بسيط)

لوجئت نارا لهذي من جانب الطور قبست ماشئت من علم ومن نور
وفيها يقول في وصف الجبل وهو من البديع الذي لم يسبق إليه بعد وصفه
السفن وجوازاها .

حتى رمت جبل الفتحين من جبل معظم القدر في الاجيال مذكور
من شاخ الانف في سحنائه طلس له من الغيم جيب غير مزور
تمسى النجوم على تسكيل مفرقه في الجو خاتمه مثل الدنانير
فربما مسحته من ذوائبها بكل فضل على فؤديه مجرور

وإردد من ثنایاه بما أخذت منه معاجم أعواد الدهاریر
 محنك حلب الأيام أشطرها وساقها سوق حادی العیر للعیر
 مقید الخطو جوال الخواطر فی عجیب أمریه من ماض ومنظور
 قد واصل الصمت والاطراق مفتکرا یادی السکينة معمر الاساریر
 کأنه مکمد بما تعبدہ خوف الوعیدین من دك وتسییر
 اخلق به وجبال الأرض راجفة أن یطمئن غسدا من کل محذور

عبد الله قال ثم خرجت من جبل الفتح إلى مدينة رندة وهي من أمتع معاقل المسلمين وأجملها وضعا وكان قائدها لئذذاك الشيخ أبو الربيع سليمان بن داود العسكري وقاضيا ابن عمي الفقيه أبو القاسم محمد بن يحيى بن بطوطه ولقيت بها الفقيه القاضي الأديب أبا الحجاج يوسف بن موسى المنتشاقرى وأضافني بمنزله ولقيت بها أيضاً خطيبها الصالح الحاج الفاضل أبا إسحاق إبراهيم المعروف بالشندرخ المتوفى بعد ذلك بمدينة سلا من بلاد المغرب ولقيت بها جماعة من الصالحين منهم عبد الله الصغار وسواه وأقيمت بها خمسة أيام .

ثم سافرت منها إلى مدينة مريجة والطريق فيما بينهما صعب شديد الوعرة ومريجة بليدة حسنة خصبة ووجد بها جماعة من الفرسان متوجهين إلى مالقة فأردت التوجه في صحبتهم ثم إن الله تعالى عصمني بفضلهم فتوجهوا قبلي فأسروا في الطريق كما ستذكره ونخرجت في أثرهم فلما جاوزت حوز مريجة ودخلت في حوز سهيل مررت بفارس مبيت في بعض الخنادق ثم مررت بقفلة حوت مطروحة بالأرض فرأيت ذلك وكان أمانى برج الناظور فقلت في نفسي لو ظهر هاهنا عدو لاندرب به صاحب البرج ثم تقدمت إلى دار هنالك فوجدت عليه فرسا مقتولا فيبينما أنا هنالك إذ سمعت الصياح من خلفي وكنت قد تقدمت أصحابي فعدت إليهم فوجدت معهم قائد حصن سهيل فاعلمتني أن أربعة أجهفان للعدو ظهرت هنالك ونزل بعض عمارتها إلى البر ولم يكن الناظور بالبرج فربهم الفرسان الخارجون من مريجة وكانوا اثني عشر فقتل النصاري أحدهم وفر واحد وأسر العشرة وقتل معهم رجل حوات وهو الذي وجدت قفله مطروحة بالأرض وأشار على ذلك القائد بالمبيت في موضعه ليواصلني منه إلى مالقة فبعت عنده بمحسن الرابطة المنسوبة إلى سهيل والأجهفان المذكورة مرساة عليه وركب معي بالغد فوصلنا إلى مدينة مالقة إحدى قواعد الأندلس وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والفواكه رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب

ثُمَّ نِيَّةُ أَرْطَالٍ بِدَرْهَمٍ صَغِيرٍ وَرَمَانِهَا الْمَرْسِيُّ الْيَاقُوتِيُّ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَأَمَّا التِّينُ وَاللُّوزُ
فَيَسْجُلَانِ مِنْهَا وَمَنْ أَحْوَاذَهَا إِلَى بِلَادِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ وَالْيَاقُوتِيُّ أَنَّ
الْخَطِيبَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ الْوَهَّابِ بْنَ عَلِيٍّ الْمَالِقِيَّ فِي قَوْلِهِ وَهُوَ مِنْ مَلِيحِ التَّجْنِيسِ (سَرِيعُ)

مَالِقَةُ حَيِّيتٌ يَأْتِيْنَهَا فَالْفَلَكُ مِنْ أَجْلِكَ يَأْتِيْنَهَا
نَهَى طَبِيبِي عَنْكَ فِي عِلَّةٍ مَا لَطِيبِي عَنْ حَيَاتِي نَهَا

وَذِيْلَهَا قَاضِي الْجَمَاعَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِقَوْلِهِ فِي قَصْدِ الْمَجَانَسَةِ (سَرِيعُ)

وَحَصَّ لَا نَسْ لَهَا تَيْنَهَا وَاذْكُرْ مَعَ التِّينِ زِيَاتَيْنَهَا

(رَجْعُ) وَبِمَالِقَةِ يَصْنَعُ الْفَخَّارُ الْمَذْهَبَ الْعَجِيبَ وَيَجْلِبُ مِنْهَا إِلَى أَقْصَى الْبِلَادِ وَمَسْجِدُهَا
كَبِيرٌ السَّاحَةُ شَهِيرُ الْبَرَكَةِ وَصَحْنُهُ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْحَسَنِ فِيهِ أَشْجَارُ النَّارِ نَجِ الْبَعِيدَةِ وَلَمَّا
دَخَلْتُ مَالِقَةَ وَجَدْتُ قَاضِيَهَا الْخَطِيبَ الْفَاضِلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ خَطِيبِهَا الْفَاضِلَ أَبِي جَعْفَرٍ
ابْنَ خَطِيبِهَا وَلِيَّ اللَّهِ تَعَالَى أَتَى عَبْدَ اللَّهِ الطَّنِجَالِيَّ قَاعِدًا بِالْجَامِعِ الْأَعْظَمِ وَمَعَهُ الْفَقَهُاءُ وَوُجُوهُ
النَّاسِ يَجْمَعُونَ مَا لَا يَرَسُمُ قَدَاءُ الْإِسَارَى الَّذِي تَقْدُمُ ذِكْرُهُمْ فَقُلْتُ لَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي
وَلَمْ يَجْعَلْنِي مِنْهُمْ وَخَبَّرْتُهُ بِمَا اتَّفَقَ لِي بِهِمْ فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ وَبَعَثَ إِلَيَّ بِالضِّيَافَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ
وَإِضَافَتِي أَيْضًا خَطِيبِهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ السَّاحِلِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْمَعْمَمِ .

ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ بَلَشَ وَبَيْنَهُمَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ مِيلًا وَهِيَ مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ بِهَا
مَسْجِدٌ عَجِيبٌ وَفِيهَا الْأَعْنَابُ وَالْفَوَاكِهُ وَالتِّينُ كَثَلٌ مَا بِمَالِقَةٍ ثُمَّ سَافَرْنَا مِنْهَا إِلَى الْحِمَةِ وَهِيَ
بِلَدَةٌ صَغِيرَةٌ لَهَا مَسْجِدٌ بَدِيعُ الْوَضْعِ عَجِيبُ الْبِنَاءِ وَبِهَا الْعَيْنُ الْحَسَارَةُ عَلَى صِفَةِ وَادِيهَا
وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبِلَدِ مِيلٌ أَوْ نَحْوُهُ وَهَذَا لِكَ بَيْتٍ لَا سِتْجَامَ الرِّجَالِ وَبَيْتٍ لَا سِتْجَامَ النِّسَاءِ .

ثُمَّ سَافَرْنَا مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ غَرْنَاطَةِ قَاعِدَةُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَعُرُوسُ مَدِينَتِهَا وَخَارِجُهَا
لَا نَظِيرَ لَهُ فِي بِلَادِ الدُّنْيَا وَهُوَ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ مِيلًا يَخْتَرُقُهُ نَهْرُ شَنْبِيلِ الْمَشْهُورِ وَسِوَاهُ مِنَ الْأَنْهَارِ
الْكَثِيرَةِ وَالْمَسَاتِينِ وَالْجَنَانِ وَالرِّيَاضَاتِ وَالْقُصُورِ وَالْكَرُومِ مُحَدَّقَةً بِهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَمِنْ عَجِيبِ
مَوَاضِعِهَا عَيْنُ الدَّمْعِ وَهُوَ جَبَلٌ فِيهِ الرِّيَاضُ وَالْبَسَاتِينُ لَا مِثْلَ لَهَا بِسِوَاهَا قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ لَوْلَا
خَشْيَتِي أَنْ أُنْسَبَ إِلَى الْعَصْبِيَّةِ لَأَطَلْتُ الْقَوْلَ فِي وَصْفِ غَرْنَاطَةِ فَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَهُ
وَلَسَكُنَ مَا اسْتَشْهَرَ كَاشْتَهَارَهَا لَا مَعْنَى لِأَطَالَةِ الْقَوْلِ فِيهِ وَلِلَّهِ دَرُ شَيْخِنَا أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ
أَحْمَدَ بْنَ شَيْبَرِ بْنِ الْبَسْتِيِّ نَزِيلُ غَرْنَاطَةِ حَيْثُ يَقُولُ . (طَوِيلُ)

رَعَى اللَّهُ مِنْ غَرْنَاطَةِ مَتَبَوًّا يَسُرُّ حَزِينًا أَوْ يَحْجِرُ طَرِيدًا
تَهْرَمُ مِنْهَا صَاحِبِي عِنْدَ مَا رَأَى مَسَارِحَهَا بِالنَّجْلِ عَدْنُ جَلِيدًا

هي الثغر صان الله من أهلت به وما خير ثغر لا يكون برودا

(رجع ذكر سلطانها)

وكان ملك غرناطة في عهد دخولي إليها السلطان أبو الحجاج يوسف بن السلطان أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ولم القه بسبب مرض كان به وبعثت إلى والدته الحرة الصالحة الفاضلة بدنانير ذهب ارتفعت بها ولقيت بغرناطة جملة من فضلائها منهم قاضي الجاعة بها الشريف البليغ أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسني السبتي ومنهم فقيهها المدرس الخطيب العالم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البيهقي ومنهم قاضي ومنهم عالمها ومقرئها الخطيب أبو سعيد فرج بن قاسم الشهير بابن لب الجاعة نادرة العصر وطرقة الدهر أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم السلي البلمعي قدم عليها من المربة في تلك الأيام فوق الاجتماع به في بستان الفقيه أبو القاسم محمد ابن الفقيه الكاتب الجليل أبي عبد الله بن عاصم وأقمنا هناك يومين وليلة .

قال ابن جزى كنت معهم في ذلك البستان ومتعنا الشيخ أبو عبد الله بأخبار رحلته وقيدت عنه أسماء الأعلام الذين لقهم قيموا واستفدنا منه الفوائد العجيبة وكان معناه جملة من وجوه أهل غرناطة منهم الشاعر المجيد الغريب الشأن أبو جعفر أحمد بن رضوان بن عبد العظيم الجندامي ولهذا الفتى أمر عجيب فانه نشأ بالبادية ولم يطلب العلم ولا مارس الطلبة ثم انه تبع بالشرع الجيد الذي ينذر وقوعه من كبار البلغاء وصدور الطلبة مثل قوله (رمل)

يا من اختار قوادى منزلا باب به العين التي ترمقه

فتح الباب سهادى بعدكم فابعثو طيفكم يغلقه

(رجع) ولقيت بغرناطة الشيخ والمتصوفين بها الفقيه أبا على عمر بن الشيخ الصالح الولي أبي عبد الله محمد بن المحروق وأقامت أياما بزائوته التي بخارج غرناطة وأكرمى أشد الأكرام

وتوجهت معه إلى زيارة الزاوية الشهيرة البركة المعروفة برابطة العقاب جبل مطل على خارج غرناطة وبينهما نحو ثمانية أميال وهو مجاور لمدينة الثيرة الحرة ولقيت أيضا ابن الفقيه أبا الحسن على بن أحمد بن المحروق بزائوته المنسوبة للجمام بأعلى ربض نجد من خارج غرناطة المتصل بجبل السبيكة وهو شيخ المقدسين من الفقهاء . وبغرناطة جملة من فقهاء العجم استوطنوها أشبهها بملازمهم الحاج أبو عبد الله السمرقندى والحاج أحمد التبريزى والحاج إبراهيم القونوى والحاج حسين الخراسانى والحاجان على ورشيدى الهنديان وسواهم .

ثم رحلت من غرناطة إلى الحمة ثم إلى بلش ثم إلى ماقة ثم إلى حصن ذكوان وهو حصن حصين

كثير المياه والأشجار والغواكه ثم سافرت منه إلى رفدة ثم إلى قرية بنى رياح فأنزلني شيخنا أبو الحسن على سليمان الرياحي وهو أحد كرماء الرجال وفضلاء الأعيان يطعم المصادر والوارد وأضافني ضيافة حسنة ثم سافرت إلى جبل الفتح وركبت البحر في الجفن الذي جرت فيه أولا وهو لأهل أصيلا فوصلت إلى سبتة وكان قائدها إذ ذاك الشيخ أبو مهدي عيسى بن سليمان بن منصور وقاضيا الفقه أبو محمد الزجندري ثم سافرت منها إلى أصيلا وأقيمت بها شهورا ثم سافرت منها إلى مدينة سلا فوصلت إلى مدينة مراکش وهي من أجمل المدن فسيحة الأرجاء متسعة الأفطار كثيرة الخيرات بها المساجد الضخمة كمسجدها الأعظم المعروف بمسجد الكتبيين وبها الصومعة الهائلة العجيبة صعدتها وظهر لي جميع البلد منها وقد استولى عليه الخراب فما شبهته إلا ببغداد إلا أن أسواق بغداد أحسن .

وبمراكش المدرسة العجيبة التي تميزت بحسن الوضع وإتقان الصنعة وهي من بناء الإمام مولانا أمير المسلمين أبي الحسن رضوان الله عليه قال ابن جزى في مراکش يقول قاضيا التاريخي أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأوسي (بسيط)

لله مراكش الغراء من بلد وحبذا أهلها السادات من سكن
ان حالها نازح الأوطان مغترب اسلوه بالأنس عن أهل وعن وطن
بين الحديث بها أو العيان لها ينشأ التحاسد بين العين والأذن

(رجع) ثم سافرنا من مراکش صحبة الركاب العلي ركاب مولانا أيده الله فوصلنا إلى مدينة سلا ثم إلى مدينة مكناسة العجيبة الخضر النضرة ذات البساتين والجنات المحيطة بها بجائر الزيتون من جميع نواحيها ثم وصلنا إلى حضرة فاس حرسها الله تعالى فواعت بها مولانا أيده الله وتوجهت برسم السفر إلى بلاد السودان فوصلت إلى مدينة سجلماسة وهي من أحسن المدن وبها التمر الكثير الطيب وتشبهها مدينة البصرة في كثرة الثمر لكن تمر سجلماسة أطيب إرار منه لا نظير له في البلاد ونزلت منها عند الفقيه أبي محمد البشري وهو الذي لقيت أخاه بمدينة قنجنفو من بلاد الصين فيأشد ما تباعدا فأكرمني غاية الإكرام واشتريت بها الجمال وعلقتها أربعة أشهر .

ثم سافرت في غرة شهر الله المحرم سنة ثلاث وخمسين في رفقة مقدما أبو محمد يندكان المسوفي رحمه الله تعالى وفيها من تجار سجلماسة وغيرهم فوصلنا بعد خمسة وعشرين يوما إلى تعاوى وضبط اسمها (بفتح التاء المثناة والغين المعجم والف وزاى مفتوح) أيضا وهي قرية لاخير فيها ومن بجائها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة

الملح وسقفها من جلود الجمال ولا شجر بها إنما هي رمل فيه معدن الملح يحفر عليه في الأرض فيوجد منه ألواح ضخام متراكبة كأنها قد نحتت ووضع تحت الأرض يحمل الجبل منها لوحين ولا يسكنها إلا عبيد مسوفة الذين يحفرون على الملح ويتعششون بما يجلب إليهم من تمر درة وسجلامة ومن لحوم الجمال ومن أنلى المجلوب من بلاد السودان ويصل السودان من بلادهم فيحملون منها الملح ويبيع الجبل منه بأرباعين بعشرة مثاقيل إلى ثمانية ومدينة مالى بثلاثين مثقالا إلى عشرين وربما انتهى إلى أربعين مثقالا .

وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعاً ويتبايعون به وقرية تغازي على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر وأقنيا بها عشرة أيام في جهدها لأن ماءها زعاق وهي أكثر المواضع ذباباً ومنها يرفع الماء لدخول الصحراء التي بعدها وهي مسيرة عشرة لأماء فيها إلا في النادر ووجدنا نحن بهاماء كثيراً في غدران أبقاها المطر ولقد وجدنا في بعض الأيام غديراً بين تلين من حجارة ماؤه عذب فترويناه منه وغسلنا ثيابنا والسكاة بتلك الصحراء كثير ويكثر القمل بها حتى يجعل الناس في أعناقهم خيوطاً فيها الزئبق فيقتلها .

وكنّا في تلك الأيام نتقدم أمام القافلة فإذا وجدنا مكاناً يصلح للرعى رعيناه الدواب به ولم نزل كذلك حتى ضاع في الصحراء رجل يعرف بابن زيري فلم أقدم بعد ذلك ولا تأخرت وكان ابن زيري وقعت بينه وبين ابن خاله ويعرف بابن عدى منازعة ومشاتمة فتأخر عن الرفقة فضل فلما نزل الناس لم يظهر له خبر فأشرت على ابن خاله بان يكتري من مسوفة من يقص أثره لعله يجده فأبى وانتدب في اليوم الثاني رجل من مسوفة دون أجره اطلبه فوجد أثره وهو يسلك الجادة طورا ويخرج عنها تارة ولم يقع له على خبر ولقد لقينا قافلة في هاربقنا فأخبرونا أن بعض رجال انقطعوا عنهم فوجدنا أحدهم ميتاً تحت شجيرة من أشجار الرمل وعليه ثيابه وفي يده سوط وكان الماء على نحو ميل منه ثم وصلنا إلى تاسرهلا (بفتح التاء المثناة والسين المهمل والراء وسكون الهاء) وهي أحساء ماء تنزل القوافل عليها ويقسمون ثلاثة أيام فيستريحون ويصلحون سقيتهم ويملأونها بالماء ويخيطون عليها التلايس خوف الريح ومن هنالك يبعث التاكشيف .

(ذكر التاكشيف)

التاكشيف اسم لسكل رجل من مسوفة يكتريه أهل القافلة فيتقدم إلى إيوالاتن بكتب الناس إلى أصحابهم بها ليكتروا لهم الدور ويخرجون للقاءهم بالماء مسيرة أربع

ومن لم يكن له صاحب بأى الاتن كتب الى من شر بالفضل من التجار بها فيشاركه في ذلك وربما هلك التكشيف في هذه الصحراء فلا يعلم أهل اى الاتن بالقافلة فيهلك اهنا أو السكثير منهم وتلك الصحراء كثيرة الشياطين فإن كان التكشيف منفردا لعبت به واستهوتته حتى يضل عن قصده فيهلك اذا لطريق يظهر بها ولا أثر إنما هي رمال تسفيسها الريح فترمى جبالا من الرمل في مكان ثم تراها قد انتقلت الى سواء والدليل هناك من كثر تردده وكان له قلب ذكرى ورأيت من العجائب ان الدليل الذى كان لنا هو أعور العين الواحدة مريض الشافية وهو اعرف الناس بالطريق واكثرنا التكشيف في هذه السفرة بمائة مثقال من الذهب وهو من مسوفة وفى ليلة اليوم السابع رأينا ان الذين خرجوا للقائنا فاستبشرنا بذلك وهذه الصحراء منيرة مشرقة ينشرح الصدر فيها وتطيب النفس وهى آمنه من السراق والبقر الوحشية بها كثير يأتى القطيع منها حتى يقرب من الناس فيصطادونه بالسكالب والنشاب لكن لحمها يولدأ كله العطش فيتجأهه كثير من الناس لذلك ومن العجائب ان هذه البقرة اذا قتلت وجد فى كروشها الماء ولقد رأيت أهل مسوفة يعصرون السكرش منها ويشربون الماء الذى فيه والحيات ايضا بهذه الصحراء كثيرة

(حكاية)

وكان فى القافلة تاجر تلمسانى يعرف بالحاج زيان ومن عادته ان يقبض على الحيات ويعبت بها وكنت انهاء عن ذلك فلا ينتهى فلما كان ذات يوم أدخل يده فى حجر ضب ليخرجه فوجد مكانه حية فأخذها بيده وأراد الركوب فلسعته فى سبابته اليمنى وأصابه وجع شديد فسكرويت يده وزاد ألمه عشى النهار فنحز جملا وأدخل يده فى كرشه وتركها كذلك ليلة ثم تنأثر لحم أصبعه فقطعها من الأصل وأخبرنا أهل مسوفة ان تلك الحية كانت قد شربت الماء قبل اسبوعه ولو لم تكن شربت لقتلته ولما وصل اليها الذين استقبلونا بالماء شربت خيلنا ودخلنا صحراء شديدة الحر ليست كاتى عهدنا وكنا نرحل بعد صلاة العصر ونسرى الليل كله ونزوعند الصباح وتأتى الرجال من مسوفة وبردامة وغيرهم بأحمال الماء للبيع ثم وصلنا الى مدينة أى الاتن فى غرة شهر ربيع الأول بعد شهرين كاملين من سجنلماسة وهى أول عمالة السودان ونائب السلطان بها فرباحسين وفربا بفتح الغاء وسكون الواو وفتح الباء الموحدة ومعناه النائب ولما وصلناها جعل التجار أمتعتهم فى رحبة وتسكفل السودان بحفظها وتوجهوا الى القربا وهو جالس على بساط فى سقيف وأعوانه بين يديه (١٣ — رحلة — ثانى)

بأيديهم الرماح والقسي وكبراء مسوفة من ورائه ووقف التجار بين يديه وهو يكلمهم
 بترجمان على قريتهم منه احتقار لهم فعند ذلك ندمت على قدومي بلادهم لسوء أدبهم
 واحتقارهم للابيض وقصدت دار ابن بداء وهو رجل فاضل من أهل سلا كنت كتبت
 له أن يكتري لي دارا ففعل ذلك ثم أن مشرف ايواتن ويسمى منشاجوا (بفتح الميم
 وسكون النون وفتح الشين المعجم والفاء وجيم مضعوم وواو) استدعى من جاء في
 القافلة إلى ضيافته فأبيت من حضور ذلك فعزم الأصحاب على أشد العزم فتوجهت فيمن
 توجه ثم أتى بالضيافة وهي جريش انلى مخلوطا بيسير غسل وابن قد وضعوه في نصف
 قرعة صبروه شبه الجفنة فشرب الحاضرون وانصرفوا فقلت لهم ألهذا دعانا الأسود
 قالوا نعم وهي الضيافة الكبيرة عندهم فأيقنت حينئذ أن لاخير يرتجى منهم وأردت أن
 أسافر مع حجاج ايواتن ثم ظهر لي أن أتوجه لمشاهدة حضرة ملكهم وكانت إقامتي
 بأيوالاتن نحو خمسين يوما وأكرمني أهلها وأضافوني منهم قاضيها محمد بن عبد الله بن
 ينومر وأخوه الفقيه المدرس يحيى وبلدة ايواتن شديدة الحر وفيها يسير نخيلات
 يزرعون في ظلالها البطيخ وماؤه من إحسانها ولحم الضأن كثير بها وثياب أهلها حسان
 مصرية وأكثر السكان بها مسوفة ولناسها الجمال الفائق وهن أعظم شأننا من الرجال

﴿ ذكر مسوفة الساكنين بأيوالاتن ﴾

وشأن هؤلاء القوم عجيب وأمرهم غريب فأما رجالهم فلا غير لديهم ولا ينتسب أحدهم
 إلى أبيه بل ينتسب لخاله ولا يرث الرجل إلا أبناء أخته دون بنيه وذلك شيء ما رأيت
 الدنيا إلا عند كفار بلاد المليبار من الهندو أما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات
 وتعلم الفقه وحفظ القرآن وأما نسائهم فلا يحتشم من الرجال ولا يحتجبن مع
 مواظبتهم على الصلوات ومن أراد التزوج منهن تزوج لبيكنهن لا يسافرن مع الزوج
 ولو أرادت إحداهن ذلك لمنعهن أهلها والنساء هنالك يكون لهن الاصدقاء والأصحاب
 من الرجال الأجانب وكذلك الرجال صواحب من النساء الاجنبيات ويدخل أحدهم
 داره فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك

﴿ حكاية ﴾

دخلت يوما على القاضي بأيوالاتن بعد اذنه في الدخول فوجدت عنده امرأة صغيرة السن
 بديعة الحسن فلما رأيتها ارتبت وأردت الرجوع فضحككت مني ولم يدركها خجلتي وقال لي

القاضي لم يرجع انصاحي فعميت من شأنهما فإنه من الفقهاء الحجاج واخبرت أنه استأذن السلطان في الحج في ذلك العام مع صاحبه لأدري أهي هذه أم لا فلم يأذن له

حكاية نحوها

دخلت يوما على أبي محمد يندكان المسوفي الذي قدمنا في صحبته فوجدته قاعدا على بساط وفي وسط داره سرير مظلل عليه امرأة معمارجل قاعد وهما يتحدثان فقلت له ماهذه المرأة فقال هي زوجتي فقلت وما الرجل الذي معها فقال هو صاحبها فقلت له أترضى بهذا وأنت قد سكنت بلادنا وعرفت أمور الشرع فقال لي مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لاهمة فيها ولسن كنساء بلادكم فعميت من رعونته وانصرفت عنه فلم أعد اليه بعدها واستدعاني في مرات فلم أجبه ولما عزم على السفر الى مالي وبين ابوالاتن مسيرة اربعة وعشرين يوما للمجد اكرت دليلا من مسوفة إذ لا حاجة إلى السفر في رفقة إلا من تلك الطريق وخرجت في ثلاثة من أصحابي وتلك الطريق كثيرة الأشجار وأشجارها عادية ضخمة تستظل القافلة بظل الشجرة منها وبعضها لا أغصان لها ولا ورق ولكن ظل جسدها بحيث يستظل به الانسان وبعض تلك الأشجار قد استأسن داخلها واستنقع فيه ماء المطر فسكانها برى ويشرب الناس من الماء الذي فيها ويكون في بعضها النحل والعسل فيشتاره الناس منها ولقد مرت بشجرة منها فوجدت في داخلها رجلا حائكا قد نصب بها مرمته وهو ينسج فعميت منه قال ابن جزى ببلاذ الاندلس شجرتين من شجر القسطل في جوف كل واحدة منها حائك ينسج الثياب إحداها بسندادى آس والأخرى ببشارة غرناطة

(رجع) وفي أشجار هذه العابة التي بين ابوالاتن ومالي ما يشبه شجرة الاجاص والتفاح والخوخ والمشمش وليس بها وفيها أشجار تشبه الفقوس فإذا طاب انفق عن شيء شبه الدقيق فيطبخونه ويأكلونه ويبيع بالاسواق ويستخرجون من هذه الارض حبات كالفول فيقلونها ويأكلونها وطعمها كطعم الحنظل ورمما طحنوها وصنعوا منها شبه الاسفنج وقلوه بالغرق والغرق (يفتح الغين المعجم وسكون الراء وكسر التاء المشناة) وهو ثمر كالاجاص شديد الحلاوة مضر بالبيضان إذا أكلوه ويدق عظمه فيستخرج منه زيت لهم فيه منافع فمنهم من يطبخون به ويسرجون السرج ويقولون به هذا الاسفنج ويدهنون

به ويخلطونه بتراب عندهم ويسطحون به الدور كما تسطح بالجير وهو عندهم كثير متيسر ويحمل من بلد في قرع كبار تسع القرعة منها قدر ما تسعه القلة ببلادنا والقرع ببلاد السودان يعظم ومنه يصنعون الجفان يقطعون القرعة نصفين فيصنعون منها جفنتين ويتقشونها نقشاً حسناً وإذا سافر أحدكم يتبعه عبيده وجواريه يحملون فرشته وأوانيه التي يأكل ويشرب فيها وهي من القرع

والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زاداً ولا إداماً ولا ديناراً ولا درهماً إنما يحمل قطع الملح وحلى الزجاج الذي يسميه الناس النظم وبعض السلع العطرية وأكثر ما يعجبهم منها القرفل والمصطكى وتاسر غنت وهو بخورهم فإذا وصل قرية جاء نساء السودان بالنلى واللبن والدجاج ودقيق النبت والارز والفوتى وهو كحب الخردل يصنع من الكسكسو والعصيدة ودقيق اللوبيا فيشتري منهن ما أحب من ذلك إلا أن الارز يضرا كله بالبيضان والفوتى خير منه وبعد مسيرة عشرة أيام من أيوا لاتن وصلنا إلى قرية زاغرى (وضبطها بفتح الزاى والغين المعجم وكسر الراء) وهي قرية كبيرة يسكنها تجار السودان ويسمون ونجراتة (بفتح الواو وسكون النون وفتح الجيم والراء والف وتاء مثناة وتاء تأنيث) ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب الاباضية من الخوارج ويسمون صغنفو (بفتح الصاد المهمل والغين المعجم الأول والنون وضم الغين الثاني وواو) والسنيون المالكسون من البيض يسعون عندهم تورى (بضم التاء المثناة وواو وراء مكسورة)

ومن هذه القرية يجلب النلى إلى أيوا لاتن ثم سرنا من زاغرى فوصلنا إلى النهر الأعظم وهو النيل وعليه بلدة كارسخو (بفتح الكاف وسكون الراء وفتح السين المهمل وضم الخاء المعجم وواو) والنيل ينحدر منها إلى كبرة (بفتح الباء الواحدة والراء) ثم إلى زاغة (بفتح الزاى والغين المعجم) وكبرة وزاغة سلطانان يؤديان الطاعة لملك مالى وأهل زاغة قدماء في الاسلام لهم ديانة وطلب للعلم ثم ينحدر النيل من زاغة إلى تلبكو ثم إلى كوكو وسنند كرها ثم إلى بلدة مولى (بضم الميم وكسر اللام) من بلاد الليميين وهي آخر عما القمالي ثم إلى يوفى واسمها (بضم الياء آخر الحروف وواو مكسورة) وهي من أكبر بلاد السودان وسلطانها من أعظم سلاطينهم ولا يدخلها إلا بيض من الناس لأنهم يقتلونه قبل الوصول إليها ثم ينحدر إلى بلاد النوبة وهم على دين النصرانية ثم إلى دنقلة وهي أكبر بلادهم (وضبطها بضم الدال والقاف وسكون النون بينهما وفتح اللام) وسلطانها يدعى بابن كسنر الدين أسلم على أيام الملك الناصر ثم ينحدر إلى جنادل وهي آخر عما القالسودان وأول عما له أسوان من صعيد مصر

ورأيت التمساح بهذا الموضع من النيل بالقرب من الساحل كأنه قارب صغير ولقد نزلت يوماً إلى النيل لقضاء حاجة فاذا بأحد السودان قد جاء ووقف فيما بيني وبين النهر فمضيت من سوء أدبه وقلة حياؤه وذكرت ذلك لبعض الناس فقال إنما فعل ذلك خوفاً عليك من التمساح فقال بئذك وبينه ثم سرنا من كارسخو فوصلنا إلى نهر صنةصرة (بفتح الصادين المهملين والراء وسكون النون) وهو على نحو عشرة أميال من مالي وعادتهم أن يمنع الناس من دخولها إلا بأذن وكسنت كتبت قبل ذلك لجماعه البيضان وكبيرهم محمد بن الفقيه الجزولي وشمس الدين بن النقويش المصري ليكتبوا لي داراً فلما وصلت إلى النهر المذكور جرت في المعديه ولم يمنعني أحد فوصلت إلى مدينة مالي حضرة ملك السودان فنزلت عند مقبرتها ووصلت إلى محلة البيضان وقصدت محمد بن الفقيه فوجدته قد أكثر لي داراً أزاء داره فتوجهت إليها وجاء صهره الفقيه المقرئ عبد الواحد بشمعة وطعام ثم جاء ابن الفقيه إلى من الغد شمس الدين بن النقويش وعلى الزودي المراكشي وهو من الطبقة ولقيت القاضي بمالي عبد الرحمن جاءني وهو من السودان حاج فاضل له مكارم اخلاق بعث إلى بقرة في ضيافته ولقيت الترجمان دوغا (بضم الدال وواو وغين معجم) وهو من افاضل السودان وكبارهم وبعث إلى بشور وبعث إلى الفقيه عبد الواحد عرار تين من الغوتى وقرعة من الغوتى وبعث إلى ابن الفقيه الارز والغوتى وبعث إلى شمس الدين ضيافة وقاموا بحقي انهم قيام شكراً لله حسن افعالهم وكان ابن الفقيه متزوجاً ببنت عم السلطان فكانت تنقذنا بالطعام وغيره واكلنا بعد عشرة أيام من وصولنا عصيدة تصنع من شيء شبه القلقاس يسمى القسافي (بقاف والاف وفاء) وهي عندهم مفضلة على سائر الطعام فاصبحنا جميعاً مرضى وكنا ستة فأت احدنا وذهبت انا لصلاة الصبح فغشي على فيها وطلبت من بعض المصريين دواء مسهل فأتني بشيء يسمى بيندر (بفتح الباء الموحدة وتسكين الياء) آخر الحروف وفتح الدال المهمل وراء وهو عروق نبات وخطه بالانيسون والسكر ولنه بالماء فشربته وتقيأت ما أكلته مع صفراء كثيرة وعافاني الله من الهلاك ولسكني مرضت شهرين

(ذكر سلطان مالي)

وهو السلطان منسى سليمان ومنسى (بفتح الميم وسكون النون وفتح السين المهمل) ومعناه السلطان وسليمان اسمه وهو ملك بخيل لا يرجي منه كبير عطاء واتفق اني اقلت هذه المدة

ولم أره بسبب مرضى ثم صنع له طعاما برسم غداء مولانا ابى الحسن رضى الله عنه واستدعى
الامراء والفقهاء والقاضى والخطيب وحضرت معهم فاتوا بالربعات وختم القرآن ودعوا
لمولانا ابى الحسن رحمه الله ودعوا لمنسى سليمان ولما فرغ من ذلك تقدمت فسلمت على
منسى سليمان واعلمه القاضى والخطيب وابن الفقيه بحالى فاجابهم بالسانهم فقالوا الى يقول لك
السلطان اشكر الله فقلت الحمد لله والشكر على كل حال

﴿ ذكر ضيافتهم النافذة وتعظيمهم لها ﴾

ولما انصرفت بعث الى الضيافة فوجهت الى دار القاضى وبعث بها مع رجاله الى دار
ابن الفقيه فخرج الفقيه من داره مسرعاً حافى القدمين فدخل على وقال قم قد جاءك قماش
السلطان وهديته فقممت وظننت انها الخلع والاموال فاذا هى ثلاثة اقراس من الخبز وقعدة
لحم بقرى مقلوباً اغرتى وقرة فيها لبن رائب فعندما رأيتها ضحكمت وطال تعجبي من ضعف
عقولهم وتعظيمهم لهذا الشئ الخفير

﴿ ذكر كلامى للسلطان بعد ذلك واحسانه الى ﴾

واقعت بعد بعث هذه الضافية شهرين لم يصل الى فيها شئ من قبل السلطان ودخل
شهر رمضان وكنت خلال ذلك اتردد الى المشور واسلم عليه وأقعد مع القاضى والخطيب
فتكلمت مع دوغا الترجمان فقال تكلم عنده وانا أعبر عنك بما يجب فيجاس في اوائل رمضان
وقت بين يديه وقلت له انى سافرت بلاد الدنيا ولقيت ملوكها ولى ببلادك اربعة اشهر ولم
تصفنى ولا اعطيتنى شيئاً فاما أقول عنك عند السلاطين فقال انى لم ارك ولا علمت بك فقام
القاضى وابن الفقيه فردا عليه وقالوا انه قد سلم عليك وبعثت اليه الطعام فامرلى عند ذلك بدار
انزل بها ونفقة تجرف على ثم فرق على القاضى والخطيب والفقهاء ما لا ييلة سبع وعشرين من
رمضان يسمونه الزكاة وأعطاني معهم ثلاثة وثلاثين مثقالاً وثلثاً واحسن الى عند سفرى
بمائة مثقال ذهباً

﴿ ذكر جلوسه بقبته ﴾

وله قبة مرتفعة بابها بداخل داره يقعد فيها اكثر الاوقات ولها من جهة المشور طيقان
ثلاثة من الخشب مغطاة بصفائح الفضة وتحتها ثلاثة مغطاة بصفائح الذهب او هى قطعة
مذهبة وعليها ستور ملف فاذا كان يوم جلوسه بالقبة رفعت الستور فعلم انه يجلس فاذا جلس

أخرج من شباك إحدى الطاقات شرا بة تحرير قدر بطفيها مندبل مصرى مرقوم فاذا رأى الناس المندبل ضربت الاطبال والابواق ثم يخرج من باب القصر نحو ثلاثمائة من العبيد فى أيدي بعضهم القسى وفى ايدهم الرماح الصفار والدرق فيقف أصحاب الرماح منهم ميمنة وميسرة ويجلس أصحاب القسى كذلك ثم يؤتى بفرسين مسرجين ملجمين ومعهما كبشان يذكرون أنهما ينفعان من العين

وعند جلوسه يخرج ثلاثة من عبيده مسرعين فيدعون نائبه فتجاءوسى وتأتى القرارية (بفتح الفاء) وهم الامراء ويأتى الخطيب والفقهاء فيقعدهون أمام السلحدارية يمنة وميسرة فى المشور ويقف دوغا الترجمان على باب المشور وعليه الثياب الفاخرة من الزردخانة وغيرها وعلى رأسه عمامة ذات حواشى لهم فى تعميمها صنعة بدعة وهو متقلد سيفاً غمدته من الذهب وفى رجلية الخلف والمهاميز ولا يلبس أحد ذلك اليوم خفا غيره ويكون فى يده رحمان صغيران أحدهما من ذهب والآخر من فضة واستنهما من الحديد

ويجلس الاجناد والولاة والفتيان ومسوفة وغيرهم خارج المشور فى شارع هنالك متسع فيه أشجار وكل فرارى بين يديه أصحابه بالرماح والقسى والاطبال والابواق بوقاتهم من أنيآت الفيلة وآلات الطرب المصنوعة من القصص والقرع وتضرب بالسطةاة ولها صوت عجيب وكل فرارى له كنانة قد علقها بين كتفيه وقوسه بيده وهو راكب فرسه وأصحابه بين مشاة وركبان ويكون بداخل المشور تحت الطليقان رجل واقف فن أراد أن يكلم السلطان كلم دوغا ويكلم دوغا لذلك الواقف ويكلم الواقف السلطان (ذكر جلوسه بالمشور)

ويجلس أيضاً فى بعض الأيام بالمشور هنالك مصطبة تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمونها البني (بفتح الباء المعقود الاولى وكسر الثانية وسكون النون بينهما) وتفرش بالحرير وتجعل الخناد عليها ويرفع الشطر وهو شبه قبة من الحرير وعليه طائر من ذهب على قدر البازى ويخرج السلطان من باب فى ركن القصر وقوسه بيده وكنانته بين كتفيه وعلى رأسه شاشة ذهب مشدودة بعصابة ذهب لها أطراف مثل السكاكين رقاق طولها أزيد من شبر وأكثر لباسه جبة حمراء موبرة من الثياب الرومية التى تسعى المظنفس ويخرج بين يديه المغمون بايديهم قنابر الذهب والفضة وخلفه نحو ثلاثمائة من العبيد أصحاب السلاح ويمشى مشيارويدا ويكشر الثانى وربما وقف ينظر فى الناس ثم يصعد برفق كما يصعد الخطيب

المنبر وعند جلوسه تضرب الطبول والابواق والانفاق ويخرج ثلاثة من العبيد مسرعين فيدعون النائب والفرارية فيدخلون ويجلسون ويؤتى بالفرسين والسكبدشين معهما ويقف ذوغا على الباب وسائر الناس في الشارع تحت الاشجار

(ذكر تذلل السودان للملكهم وتترى بهم له وغير ذلك من أحوالهم)
والسودان أعظم الناس تواضعا للملكهم وأشد هم تذلالا له ويحلفون باسمه فيقولون منسى سليمان كى فاذا دعا باحدهم عند جلوسه بالقبة التى ذكرناها نزع المدعو ثيابه ولبس ثيابا بخلة ونزع عمامته وجعل شاشية وسخا ودخل رافعا ثيابه وسراويله إلى نصف ساقه وتقدم بذلة ومسكينة وضرب الارض بمرفقيه ضربا شديدا ووقف كالرا كع يسمع كلامه

وإذا كلم أحدهم السلطان فرد عليه جوابه كشف ثيابه عن ظهره ورمى بالتراب على رأسه وظهره كما يفعل المغتسل بالماء وكنت أعجب منهم كيف لا تسمى أعينهم وإذا تكلم السلطان فى مجلسه بكلام وضع الحاضرون عمامتهم عن رؤسهم وأنصتوا للكلام وربما قام أحدهم بين يديه فيذكر أفعاله فى خدمته ويقول فعلت كذا يوم كذا فبصدقة من علم وتصديقتهم ان ينزع أحدهم وترقوسه ثم يرسلها كما يفعل إذا رمى فاذا قال له السلطان صدقت أو شكره نزع ثيابه وترب وذلك عندهم من الادب قال ابن جزى وأخبرنى صاحب العلامة الفقيه أبو القاسم بن رضوان أعزه الله انه لما قدم الحاج موسى الونجراتى رسولا عن منسى سليمان إلى مولانا أبى الحسن رضى الله عنه كان إذا دخل المجلس الكريم حمل بعض ناسه معه قفة تراب فيترب مهما قال له مولانا كلاما حسنا كما يفعل ببلاد

(ذكر فعله فى صلاة العيد وأيامه)

وحضرت بمالى عيد الاضحى والفطر فخرج الناس إلى المصلى وهو بمقربة من قصر السلطان وعليهم الثياب الحسان وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان والسودان لا يلبسون الطيلسان إلا فى العيد ماعدا القاضى والخطيب والفقهاء فانهم يلبسونه فى سائر الايام وكانوا يوم العيد بين يدى السلطان وهم يمللون ويكبرون وبين يديه العلامات الحرم من الحرير ونصب عند المصلى خباء فدخل السلطان اليها وأصلح من شأنه ثم خرج إلى المصلى فقضيت الصلاة والخطبة ثم نزل الخطيب وقعد بين يدى السلطان وتكلم بكلام كثير وهما لك رجل بيده رمح يمين للناس بلسانهم كلام الخطيب وذلك وعظ وتذكير وثناء على السلطان

وتحريض على لزوم طاعته وأداء حقه ويجلس السلطان في أيام العيدين بعد العصر على
البنى ويأتى الساجدة بالسلح العجيب من تراكش الذهب والفضة والسيوف المحلاة
بالذهب وأغادها منه ورماح الذهب والفضة ودبابيس البلور ويقف على رأسه أربعة
من الأمراء يشردون الذباب وفي أيديهم حامية من الفضة تشبه ركاب السرج ويجلس
الفرارية والقاضى والخطيب على العادة ويأتى دوغا الترجمان بنسائه الأربع وجواربه
وهن نحو مائة عليهن الملابس الحسان وعلى رأسهن عصائب الذهب والفضة فيها أنما تبيع
ذهب وفضة وينصب لدوغا كرسي يجلس عليه ويضرب بالآلة التي هي من قصب وتحتها
قريعات ويغنى بشعر يمدح السلطان فيه ويدكر غزواته وأفعاله ويغنى النساء والجواري
معه ويلعبن بالقصى ويكون معه نحو ثلاثين من غلمانة عليهم جباب الملف والخر وفي
رؤوسهم الشواشي البيض وكل واحد منهم متقلد طبله يضربه ثم يأتى أصحابه من
الصبيان فيلعبون ويتقاهون في الهواء كما يفعل السندي ولهم في ذلك رشاقة وخفة بديعة
ويلعبون بالسيوف أجمل لعب ويلعب دوغا بالسيوف لعبا بديعا وعند ذلك يأمر
السلطان له بالاحساس فيأتى بصرة فيها مائتا مثقال من التبر ويدكر ما فيها على رؤوس
الناس وتقوم الفرارية فينزعون في قسمهم شكرا للسلطان وبالغد يعطى كل واحد منهم
لدوغا عطاء على قدره وفي كل يوم جمعة بعد العصر يفعل دوغا مثل هذا الترتيب الذى
ذكرناه

(ذكر الأضحوة في إنشاد الشعراء للسلطان)

وإذا كان يوم عيد وأتم دوغا لعبه جاء الشعراء ويسمون الجلا (بضم الجيم) وأحدهم
جلى وقد دخل كل واحد منهم في جوف صورة مصنوعة من الريش تشبه الشقشاق
وجعل لها رأس من الخشب لهاه منقار أحمر كما نه الشقشاق ويقفون بين يدي السلطان
بتلك الهيئة المضحكة فينشدون أشعارهم وذكر لى أن شعرهم نوع من الوعظ يقولون
فيه للسلطان أن هذا البنى الذى عليه جالس فوقه من الملوك فلان وكان من أحسن أفعاله كذا
وفلان كان من أفعاله كذا فافعل أنت من الخير ما يذكرك بعدك ثم يصعد كبير الشعراء على
درج البنى ويضع رأسه في حجر السلطان ثم يصعد إلى أعلى البنى فيضع رأسه على كتف
السلطان الأيمن ثم على كتفه الأيسر وهو يتكلم بلسانهم ثم ينزل وأخبرت أن هـنـد
الفعل لم يزل قديما عندهم قبل الاسلام فاستمروا عليه .

(حكاية)

وحضرت مجلس السلطان في بعض الأيام فأتى أحد فقهاءهم وكان قدم من بلاد بعيدة وقام بين يدي (س) وتكلم كلاما كثيرا فقام القاضي فصدقه ثم صدقهما (س) فوضع كل واحد منهم عمامته عن رأسه وترب بين يديه وكان الى جانبي رجل من البهزيان فقال أنعرف ما قالوه فقالت لا أعرف فقال أن الفقيه قد أخبر أن الجراد وقع ببلاذهم فخرج أحد صلحاءهم إلى موضع الجراد فهاله أمرها فقال هذا جراد كثير فأجابته جرادة منها وقالت أن البلاد التي يكثُر فيها الظلم يعثُرنا الله لفساد زرعها فصدقها القاضي والسلطان وقال عند ذلك للأمرء أتى برىء من الظلم ومن ظلم منكم عاقبته ومن علم بظالم ولم يعلمني به فذنوب ذلك الظالم في عثقه والله حسبيبه وسائله ولما قال هذا الكلام وضع الفرارية عما تمهم عن رؤوسهم وتبرؤا من الظلم

(حكاية)

وحضرت الجمعة يوما فقام أحد التجار من طلبة مسوفة ويسمى يأبى حفص فقال يا أهل المسجد أشهدكم أن مدسى سليمان في دعوتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ذلك خرج إليه جماعة رجال من مقصورة (س) فقالوا له من ظلمك من أخذ لك شيئا فقال منشاجو ايوانين يعني مشرفها أخذ منى ما قيمته ستائة مثقال وأراد أن يعطيني في مقابلته مائة مثقال خاصة فبعث (س) عنه للحين فحضر بعد أيام وصرقها للقاضي فثبت للناحر بجهته فأخذه وبعد ذلك عزل المشرف عن عمله

(حكاية)

واتفق في يوم لإقامتي بمالي أن (س) غضب على زوجته الكبرى بنت عمه المدعوة بقاساو معنى قاساعدهم المملكة وهي شريكته في الملك على عادة السودان ويذكر اسمها مع اسمه على المنبر وسجنها عند بعض الفرارية وولى في مكانها زوجته الأخرى بنجو ولم تكن من بنات الملوك فأكثر الناس الكلام في ذلك وانكروا فعله ودخل بنات عمه على بنجو بهيئتها بالمملكة فجعلن الرماد على أذرعهن ولم يتربن رؤوسهن ثم أن (س) سرح قاسامن ثقافها فدخل عليها بنات عمه يهنئنها بالسراح وتربن على العادة فشكت بنجو الى (س) بذلك فغضب على بنات عمه نفقن منه واستجرن بالجامع فعفا عنهن واستدعاهن وعادتهن إذا

دخلان على السلطان أن يتجردن عن ثيابهن ويدخلن عرايا ففعلان ذلك ورضى عنهن
وصرن يائنين باب السلطان غدو أو عشيا مدة سبعة أيام وكذلك يفعل كل من عفا عنه
السلطان وسارت قاسا تركب كل يوم في جواربها وعبيدها وعلى رؤسهم الأراب وتقف
عند المشور منتقبة لا يرى وجهها وأكثر الأمراء الكلام في شأنها فجمعهم السلطان
في المشور وقال لهم دوغا على لسانه انكم قد أكثرتم الكلام في امر قاسا وأنسا
أذنبت دنبا كبيرا

ثم أتى بجارية من جواربها مقيدة مخلولة فقييل لها تسكلى بما عندك فاخبرت أن
قاسا بعثها إلى جاحل ابن عم السلطان الهارب عنه إلى كينبر في استدعته ليخلى السلطان
عن ملكه وقالت له أنا وجميع العساكر طوع أمرك فلما سمع الأمراء ذلك قالوا ان هذا
ذنب كبير وهى تستحق القتل عليه تخافت قاسا من ذلك واستجارت بدار الخطيب
وعادتهم أن يستجيروا هنالك بالمسجد وإن لم يتمكن فبدار الخطيب وكان السودان
يكرهون منسى سليمان لبخله وكان قبله قنسى مغا وفيل منسى مغامنى موسى وكان كريما
فاضلا يحب البيضان ويحسن اليهم وهو الذى أعطى لآنى إسحاق الساحلى في يوم واحد
أربعة آلاف مثقال واخبرنى بعض الثقات أنه أعطى لمدرک بن فقوص ثلاثة آلاف
مثقال في يوم واحد وكان جده سارق جاحطه أسلم على يدى جده مدرک هذا .

(حكاية)

واخبرنى الفقيه مدرک هذا إن رجلا من أهل تلسان يعرف بابن شيخ اللبن كان قد
أحسن إلى السلطان منسى موسى في صغره بسبعة مثاقيل وثلاث وهو يومئذ صبى غير معتبر
ثم اتفق أن جاء اليه في خصوصية وهو سلطان فعرفه وادناه منه حتى جلس معه على البنى
ثم قرره على فعله معه وقال للأمراء ما جزاء من فعل ما فعله من الخير فقالوا له الحسنة
بعشر أمثالها فأنطه سبعين مثقالا فأعطاه عند ذلك سبعائة مثقال وكسوة وعبيدا وخدماء
وامره أن لا يمتطع عنه واخبرنى بهذه الحكاية أيضا ولدا بن شيخ اللبن المذكور وهو من
الغلبة يعلم القرآن بمالى .

(ذكر ما استحسنه من أفعال السودان وما استعجبته منها)

فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحدا في شئ منه
ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب
ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة إنما

يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقه ومنها مواظبتهم للصلوات والزامهم لها في الجماعات وضرهم أولادهم عليها وإذا كان يوم الجمعة ولم يكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام ومن عاداتهم أن يبعث كل إنسان غلامه بسجاده فيبسطها له بموضع يستحقه بها حتى يذهب إلى المسجد وسجاداتهم من سعف شجر يشبه النخل ولا ثمر له ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا قيد من خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه .

ولقد دخلت على القاضى يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت له ألا تسرحهم فقال لا أفعل حتى يحفظوا القرآن ومررت يوما بشاب منهم حسن الصورة عليه ثياب فاخرة وفي رجله قيد ثقل فقلت لمن كان معى ما فعل هذا اقتل ففهم عن الشاب وضحك وقيل لى إنما قيد حتى يحفظ القرآن ومن مساوئهم أفعالهم كون الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرون للناس عرايا بأدياب العورات ولقد كنت أرى في رمضان كثيراً منهم على تلك الصورة فإن عادة الفرارية أن يفطروا بدار (س) ويأتى كل واحد منهم بطعامه تحمله العشرون فما فوقهن من جوار به وهن عرايا ومنها دخول النساء على (س) عرايا غير مستترات وتعزى بناته ولقد رأيت فى ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مائة جارية خرجن بالطعام من قصره عرايا ومعهن بنات له ناهدان ليس عليهما ستر ومنها جعلهم التراب والرماد على رؤسهم تادبا ومنها ما ذكرته من الاضحوكة فى إنشاد الشعراء ومنها ان كثيراً منهم يأكلون الجيف . والكلاب والحجر .

﴿ ذكر سفرى عن مالى ﴾

وكان دخولى إليها فى الرابع عشر لجمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وخروجى عنها فى الثانى والعشرين لمحرم سنة أربع وخمسين ورافقنى تاجر يعرف بأبى بكر بن يعقوب وقصدنا طريق ميمعة وكان لى حمل أركبه لأن الخيل غالية الاثمان يساوى أحدها مائة مثقال فوصلنا إلى خليج كبير يخرج من النيل لا يجاز إلا فى المراكب وذلك الموضع كثير البعوض فلا يمر أحد به إلا بالليل ووصلنا إلى خليج ثلث الليل والليل مقمر

﴿ ذكر الخيل التى تسكون بالنيل ﴾

ولما وصلنا إلى خليج رأيت على ضفته ست عشر دابة ضخمة الخلقة فعمجت منها وظننتها فيلة

للكشرتها هنالك ثم انى رأيتها دخلت فى النهر فقلت لأبى بكر بن يعقوب ما هذه الدواب فقال هى خيل البحر خرجت ترعى فى البر وهى اغلظ من الخيل ولها أعراف وأذنان ورؤوسها كرؤس الخيل وأرجلها ك أرجل الفيلة ورأيت هذه الخيل مرة أخرى لما ركبنا النيل من تلكمكتو إلى كوكرو وهى تعوم فى الماء وترفع رأسها وتنفخ وخاف منها أهل المركب فغربوا من البر لئلا تغرقهم ولهم حيلة فى صيدها حسنة وذلك أن لهم رماحاً مشقوبة قد جعلت فى ثقبها شرائط وثيقه فيضربون الفرس منها فان صادقت الضربة رجله أو عنتقه انفذته وجذبوه بالحبل حتى يصل إلى الساحل فيقتلونه وبأكلون لحسه ومن عظامها بالساحل كثير وكان نزولنا عند هذا الخليج بقية كبيرة عليها حاكم من السودان حاج فاضل يسمى فرامغا (بفتح الميم والعين المعجم) وهو ممن حج مع (س) منى موسى لما حج .

(حكاية)

أخبرنى فرامغا ان منسى موسى لما وصل إلى هذا الخليج كان معه قاض من البيضان يكفى بابى العباس ويعرف بالذكاى فاحسن اليه بأربعة الاف مثقال لنفقته فلما وصلوا الى ميمية شكالى (س) بان الأربعة الاف مثقال سرقت له من داره فاستحضر (س) امير ميمية وتوعده بالقتل ان لم يحضر من سرقها وطلب الأمير السارق فلم يجد أحداً ولا سارق يكون بتلك البلاد فدخل دار القاضى واشتد على خدامه وهددهم فقالت له احدى جواريه ما ضاع له شيء انما دفنها بيده فى ذلك الموضع وأشارت له إلى الموضع فاخرجها الأمير وأتى بها (س) وعرفه الخسر فمضب على القاضى ونفاه الى بلاد الكفار الذين ياكون بنى آدم فاقام عندهم أربع سنين ثم رده الى بلده وانما لم ياكله الكفار لبياضه لانهم يقولون ان أكل الأبيض مضر لانه لم ينضج والأسود هو النضج بزعمهم

(حكاية)

قدمت على (س) منسى سليمان جماعة من هؤلاء السودان الذين ياكون بنى آدم معهم أمير لهم وعادتهم ان يجعلوا فى آذانهم اقراطا كبار أو تسكون فتحة القرط منها نصف شبر ويأتهم فى ملاحف الحرير وفى بلادهم يكون معدن الذهب فأكرمهم (س) واعطاهم فى الضيافة خادمة فذبجوها وأكلوها ولطخوا وجوههم وأيديهم بدمها وأتوا (س) شاكرين وأخبرت ان عادتهم متى ما وفدوا عليه ان يفعلوا ذلك وذكركل عيهم انهم يقولون

أن اطييب ما فى لحوم الأدميات السكف والثدى ثم رحلنا من هذه القرية التى عند الخليج فوصلنا إلى بلدة قرى منسا وقرى (بضم القاف وكسر الراء) ومات لى بها الجمل الذى كنت أركبه فأخبرنى راعيه بذلك فخرجت لا أنظر اليه فوجدت السودان قد أكلوه كما دبتهم فى أكل الجفيف فبعثت غلامين كنت استأجرتهما على خدمتى ليشترى لى جملا بزاغرى وهى على مسيرة يومين وأقام معى بعض أصحاب أبى بكر بن يعقوب وتوجه هو لينظرنا بميمة فأقمت سبعة أيام اضافنى فيها بعض الحجاج بهذه البلدة حتى وصل الغلامان بالجمل

(حكاية)

وفى أيام أقامتى بهذه البلدة رأيت ليلة فيما يرى النائم كأن إنسانا يقول لى محمد بن بطوطة لماذا لا يقرأ سورة يس فى كل يوم فن يومئذ ما تركت قراءتها كل يوم فى سفر ولا حضر ثم رحلت الى بلدة ميمة (بكسر الميم الأول وفتح الثانى) فنزلنا على أبار بخارجها .

ثم سافرنا منها الى مدينة تنبىكتو (وضبط اسمها بضم التاء المعلو وسكون النون وضم الباء الموحدة وسكون السكاف وضم التاء المعلو الثانية وواو) وبينها وبين النيل أربعة أميال وأكثر سكانها مسوفة أهل اللثام وحاكها يسمى قربا موسى حضرت عنده يوما وقد قدم أحد مسوفة أميراً على جماعة فجعل عليه ثوبا وعمامة وسروالا كلها مصبوغة واجلسه على درقة ورفع كبراء قبيلته على رؤوسهم وبهذه البلدة قبر الشاعر المغلق أبى إسحاق الساحلى الغرناطى المعروف ببلده بالطويجن وبها قبر سراج الدين بن السكويك أحد كبار التجار من أهل الاسكندرية

(حكاية)

كان (س) منسى موسى لما حج نزل بروض لسراج الدين هذا ببركة الحبش خارج مصر وبها ينزل (س) واحتاج الى مال فتسلفه من سراج الدين وتسلف منه امرؤه أيضا وبعث معهم سراج الدين وكيله يقتضى المال فأقام بما لى فتوجه سراج الدين بنفسه لاقتضاء ماله ومعه ابن له قلما وصل تنبىكتو أضافه أبو إسحاق الساحلى فساكن من القدر موته تلك الليلة فتكلم الناس فى ذلك وانهموا أنه سم فقال لهم ولده لى أكلت معه ذلك الطعام بعينه فلو كان فيه سم لقتلنا جميعا لسمه اقتضى اجله ووصل الوالى الى مالى واقتضى ماله وانصرف الى ديار مصر ومن تنبىكتو ركب التليل فى مركب صغير منحوت من خشبة واحدة وكنا ننزل كل ليلة بالقرى فلشترى ما نحتاج اليه من الطعام والسمن والملح وبالعطريات

وبحلى الزجاج ثم وصلت إلى بلد أنسيت اسمه له أمير فاضل حاج يسمى فر با سليمان مشهور بالشجاعة والشدة لا يتعاطى أحد النزاع في قوسه ولم أر في السودان أطول منه ولا أضخم جسما واحتجب بهذا البلدة إلى شيء من الذرة فجئت إليه وذلك يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وسألتني عن مقدمي وكان معه فقيه يكتب له فأخذت لوحا كان بين يديه وكتبت فيه يا فقيه قل لهذا الأمير إنا نحتاج إلى شيء من الذرة للزاد والسلام وناولت الفقيه اللوح يقرأ ما فيه سرا ويكلم الأمير في ذلك بلسانه فقراه حورا وفهمه الأمير فأخذ بيدي وأدخلني إلى مشوره وبه سلاح كثير من الدرق والقسي والرماح ووجدت عنده كتاب المدهش لابن الجوزي فجعلت أقرأ فيه .

ثم أتى بمشروب لهم يسمى الدقنو (يفتح الدال المهمل وسكون القاف وضم النون وواو) وهو ماء فيه جريش الذرة مخلوط بيسير عسل أو لبن وهم يشربونه عوض الماء لأنهم ان شربوا الماء خالصا أضربهم وإن لم يجدوا الذرة خلطوه بالعسل أو اللبن ثم أتى ببطيخ أخضر فأكلنا منه ودخل غلام خماسي فدعاه وقال لي هذا ضيافتك وأحفظه لئلا يفر فأخذته وأردت الانصراف فقال أقم حتى يأتي الطعام وجاءت إلينا سجارية له دمشقية عربية فكلعنتي بالعربي فبينما نحن في ذلك إذ سمعنا صراخا بداره فوجه الجارية لتعرف خبر ذلك فعادت إليه فأعلمته أن بنتا له قد توفيت فقال لي لأحب البكاه فقمالي نمش إلى البحر يعني النيل وله على ساحله ديار فأتي بالفرس فقال لي أركب فقلت لا أركبه وأنت ماش فشيننا جميعا ووصلنا إلى دياره على النيل وأتى بالطعام فأكلنا وودعته وانصرف

ولم أر في السودان أكرم منه ولا أفضل والغلام الذي أعطانيه باق عندي إلى الآن ثم سرت إلى مدينة كوكو وهي موبنة على النيل من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها فيها الأرز الكثير واللبن والدجاج والسعك وبها الفقوس العناني الذي لا نظير له وتعامل أهلها في البيع والشراء بالودع وكذلك أهل مالي وأقت بها نحو شهر وأضافني بها محمد بن عمر من أهل مكناسة وكان ظريفا مزاحا فاضلا وتوفى بها بعد خروجي عنه وأضافني بها الحاج محمد الوجدى التازى وهو من دخل اليمن والفقيه محمد الفيلالى لإمام مسجد البيضاء .

ثم سافرت منها برسم تسكدا في البر مع قافلة كبيرة للغدامسين دليهم ومقدمهم الحاج وجين (بضم الـ ووتشديد الجيم المقودة) ومعناه الذئب بلسان السودان وكان

وكان لي جمل لركوبي وناقة لحمل الزاد فلما رحلنا أول مرحلة وقفت الناقة فأخذ الحاج وجين ما كان عليها وقسمه على أصحابه فتوزعوا حملة وكان في الرقعة مغربي من أهل تادلي فأبى أن يرفع من ذلك شيئا كما فعل غيره وعطش غلامى يوما فطلبت منه الماء فلم يسمح به ثم وصلنا إلى بلاد بردامة وهى قبيلة من البربر (وضبطها بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الدال المهمل وميم مفتوح وتاء تأنيث) ولا تسير القوافل إلا في خفارتهم والمرأة عندهم في ذلك أعظم شأنًا من الرجل وهم رجال لا يقيمون ويبيتهم غريبة الشكل ويقيمون أعواد من الخشب ويصنعون عليها الحصر وفوق ذلك أعواد متشبكة وفوقها الجلود أو ثياب القطن ونسأوهم أتم النساء جمالا وأبدعن صورًا مع البياض الناصع والسمن ولم أر في البلاد من يبلغ مبلغهن في السمن وطعامهن حليب البقر وجريش الذرة يشربه مخلوطا بالماء غير مطبوخ عند المساء والصباح ومن أراد الزواج منهن سكن بهن في أقرب البلاد إليهن ولا يتجاوز بهن كوكو ولا أيولاتن وأصابني المرض في هذه البلاد لاشتداد الحر وغلبة الصغراء واجتهدنا في السير إلى أن وصلنا إلى مدينة تسكدا (وضبطها بفتح التاء المعلوة والسكاف المعقودة والدال المهمل مع تشديده) ونزلت بها في جوار شيخ المغاربة سعيد بن على الجزولى وأضافني قاضيها أبو ابراهيم إسحاق الجناقى وهو من الأفاضل وأضافني جعفر بن محمد المسوفى وديار تسكدا مبنية بالحجارة الحجر وماؤها يجرى على معادن النحاس فيتغير لونه وطعمه بذلك ولا ذرع بها إلا يسير من القمح يأكله التجار والغرباء ويبيع بحساب عشرين مسدا من أمدادهم بمثقال ذهب ومدهم ثلث المسد ببلادنا وتباع الذرة بحساب تسعين مدا بمثقال ذهب وهى كثيرة العقارب وعقاربها تقتل من كان صليبا لم يباغ وأما الرجال فقلما تقتلهم

ولقد لدغت يوما وأنا بها ولدا للشيخ سعيد ابن على عند الصبح فمات لحينه وحضرت جنازته ولا شغل لأهل تسكدا غير التجارة يساقرون كل عام إلى مصر ويحبون كل ما بها من حسان الثياب وسواها ولأهلها رفاهية وسعة حال ويتفاخرون بكثرة العبيد والخدم وكذلك أهل مال وأيولاتن ولا يبيعون المعلومات منهن إلا نادرا وبالنسبة للكثير

(حكاية)

أردت لما دخلت تسكدا شراء خادم معلمة فلم أجدها ثم بعثت إلى القاضي أبو ابراهيم بخادم لبعض أصحابه فاشترى بها بخمسة وعشرين مثقالا ثم ان صاحبها ندم ورغب في الاقالة فقلت له ان

دللتني على سواها أقلتلك فداني على خادم لعلى أغيدول وهو المغربي التادلي الذي أبى أن يرفع شيئاً من أسباني حين وقعت ناقتي وأبى أن يستقي غلامي الماء حين عطش فاشتريتها منه وكانت خيراً من الأولى وأقلت صاحبي الأولى ثم ندم هذا المغربي على بيع الخادم ورغب في الافالة وألح في ذلك فأبيت إلا أن أجازيه بسوء فعله فكاد أن يخن أويهم لك أسفا ثم أقلته بعد .

(ذكر معدن النحاس)

ومعدن النحاس بخارج تسكدا يحفرون عليه في الأرض ويأتون إلى البلد فيسكبونه في دورهم ويفعل ذلك سبيدوم وخدمهم فإذا سكبوه نحاساً أحمر صبغوا منه قضباناً في طول شبر ونصف بعضها رفاق وبعضها غلاظ فتباع الغلاظ منها بحساب أربعائة قضيت بمشقال ذهب وتباع الرفاق بحساب ستمائة وسبعائة بمشقال وهي صرفهم يشترون برقاقها للحم والخطب ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح ويحملون النحاس منها إلى مدينة كوبر من بلاد الكفار وإلى زغاري وإلى بلاد برنوا وهي على مسيرة أربعين يوماً من تسكدا وأهلها مسلمون لهم ملك اسمه ادريس لا يظهر للناس ولا يكلمهم إلا من وراء حجاب .

ومن هذه البلاد يوقى بالجواري الحسان والفتيان بالثياب المجسدة ويحمل النحاس أيضاً منها إلى جو جرة وبلاد الموريتين وسواها .

(ذكر سلطان تسكدا)

وفي أيام إقامتي بها توجه القاضي أبو ابراهيم والخطيب محمد والمدرس أبو حفص والشيخ سعيد بن علي إلى سلطان تسكدا وهو بربري يسمى ازار (بكسر الهمزة وزاي والفاء وراء) وكان على مسيرة يوم منها ووقعت بينه وبين التسكر كرى وهو من سلاطين البربر أيضاً منازعة فذهبوا إلى الإصلاح بينهما فأردت أن ألقاه فاكترت دليلاً وتوجهت إليه وأعلمته المذكورون بقدومي فجاء إلى راكباً فرسا دون سرج وتلك عادتهم .

وقد جعل عوض السرج طائفة حمراء بدية وعليه ملحفة وسراويل وعمامة كلها زرق ومعه أولاد أخته وهم الذين يرثون ملكه فقمنا إليه وصالحناه وسأل عن حاله ومقدمي فأعلم بذلك وأنزاني بيت من بيوت اليناطين وهم كالوصفان عندنا وبعث برأس غنم مشوى في السفود وقعب من حليب البقر وكان في سوارنا بيت أمه وأخته فجاءتا الينا وسلمتا علينا وكانت أمه تبعث لنا الحليب

بعد العتمة وهو وقت حليبهم ويشربونه ذلك الوقت وبالخسود وأما الطعام فلا يأكلونه ولا يعرفونه وأقامت عندهم ستة أيام وفي كل يوم يبعث بكباشين مشويين عند الصباح والمساء وأحسن الى بناقة وعشرة مثاقيل من الذهب وانصرفت عنه وعدت الى تسكدا

(ذكر وصول الأمر الكريم الى)

ولما عدت الى تسكدا وصل غلام الحاج محمد بن سعيد السجلماسي بأمر مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين أمر الى الوصول الى حضرته العلية فقبلته وامثلته على الفور .

واشتريت جملين لركوبى بسبعة وثلاثين مثقالا وثلاث وقصدت السفر الى توات ورفعت زاد سبعين ليلة اذ لا يوجد الطعام فيما بين تسكدا وتوات انما يوجد اللحم واللبن والسمن يشتري بالاثواب وخرجت من تسكدا يوم الخميس الحادى عشر لشعبان سنة أربع وخمسين فى رفقة كبيرة فيهم جعفر التواتي وهو من الفضلاء ومعنا الفقيه محمد بن عبد الله قاضى تسكدا وفى الرفقة نحو ستائة خادم فوصلنا الى كاهر من بلاد السلطان السكر كرى وهى أرض كثيرة الأعشاب يشتري بها الناس من برايرها الغنم ويقعدون لحما ويحمله أهل توات الى بلادهم ودخلنا منها الى برية لاعمارها بها ولا ماء وهى مسيرة ثلاثة أيام .

ثم سرنا بعد ذلك خمسة عشر يوما فى برية لاعمارها بها الا أن بها الماء . ووصلنا الى الموضع الذى يفترق به طريق غات الآخذ الى ديار مصر وطريق توات وهناك احساء ماء يجرى على الحديد فإذا غسل به الثوب الأبيض اسود لونه

وسرنا من هنالك عشرة أيام ووصلنا الى بلاد هكار وهم طائفة من البربر ماشعون لاخير عندهم ولقينا أحد كبارهم خبث القافلة حتى غرموا له أثوابا وسواها وكان وصولنا الى بلادهم فى شهر رمضان وهم لا يعتبرون فيه ولا يعترضون القوافل واذا وجد سراقها المتاع بالطريق فى رمضان لم يعرضوا له وكذلك جميع من بهذه الطريق من البربر وسرنا فى بلاد هكار شهرأ وهى قليلة النبات كثيرة الحجارة طريقها وعرو ووصلنا يوم عيد الفطر الى بلاد براير أهل لثام كهؤلاء فأخبرونا بأخبار بلادنا وأعلمونا أن أولاد خراج وابن يعصم وخالقرا وسكنو تسابيت من توات تخاف أهل القافلة من ذلك ثم وصلنا الى بواد (بضم الباء الموحدة) وهى من أكبر قرى توات وأرضها رمال وسبخا وتمرها كثير ليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على ثمر سجلماسة ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت

وإنما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب وأكل أهلها التمر والجراد وهو كثير عندهم
يختزنونه كما يختزن التمر ويقاثلون به ويخرجون إلى صيده قبل طلوع الشمس فإنه
لا يطير إذ ذلك لأجل البرد وأقمنا بيوتا أياما في قافلة ووصلنا في أوسط ذى القعدة
إلى مدينة سجلماسة وخرجت منها في ثاني ذى الحجة وذلك أو ان البرد الشديد ونزل
بالطريق ثلج ولقد رأيت الطرق الصعبة والثلج الكثير بينخاري وسمرقند وخراسان
وبلاد الأتراك فلم أر أصعب من طريق أم جنينة ووصلنا ليلة عيد الأضحى إلى
دار الطمع فأقمنا هنالك يوم عيد الأضحى ثم خرجت فوصلت إلى حضرة فارس
حضرة مولانا أمير المؤمنين أيده الله فقبلت يده الكريمة وتيمنت بمشاهدة وجهه
المبارك وأقمنا في كنف احسانه بعد حلول الرحلة والله تعالى يشكر ما أولانيه
من جزيل احسانه وسابغ امتنانه ويديم أيامه ويمتع المسلمين بطول بقائه وههنا
انتهت الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . وكان
الفراغ من تقييدها في ثالث ذى الحجة عام ستين وخمسين وسبعمائة
والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى



(قال ابن جزى)

انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ أبى عبد الله محمد بن بطوطه اكرمه الله ولا يخفى على
 ذى عقل أن هذا الشيخ هو رجال العصر ومن قال رجال هذه الملة لم يبعد ولم
 يجعل بلاد الدنيا للرحلة واتخذ حضرة فارس قرا ومستوطنا بعد طول جولا نه الا
 الماء لما تحقق أن مولانا ايدته الله اعظم ملوكها شأنا وأعمهم قضايل واكرمهم احسانا
 وأشدهم بالواردين عليه عناية وأتمهم بمن ينتمى الى طلب العلم حماية فيجب على مثلى أن
 يحمدا لله تعالى لأن وفقه في أول حاله وترحاله لاستيطان هذه الحضرة التى اختارها
 هذا الشيخ بعد رحله خمسة وعشرين عاما انها لنعمة لا يقدر قدرها ولا يوفى شكرها
 والله تعالى يرزقنا الاعانة على خدمة مولانا أمير المؤمنين ويوق علينا ظل حرمة
 ورحمته ويحزيه عنام عشر الغرباء المنقطعين اليه أفضل جزاء المحسنين * اللهم
 وكما فضلت على الملوك بفضيلتى العلم والدين . وخصصته بالحلم والعقل
 الرصين فمد لملكه أسباب التأييد والتسكين وعرفه عوارف
 النصر العزيز والفتح المبين وأجعل الملك فى عقبه
 الى يوم الدين . وأره قرّة العين فى نفسه
 وبنيه وماله ورعايته يا أرحم الراحمين
 وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا
 محمد خاتم النبيين . وامام
 المرسلين والحمد لله
 رب العالمين

﴿ وكان الفراغ من تأليفها فى شهر صفر عام سبعة وخمسين وسبعمائة ﴾

(يقول مصححه العبد الفقير * الراجي عفوره القدير)

حمدا لمن شرح صدور الأجلة الألباء . لاستكشاف مافي الاصقاع من العادات
وجميل الأنباء . وصلاة وسلاما على من أطلعه الله على كان . وأرسله الى
الثقلين من انس وجان . وبعد فقد تم طبع هذا السفر المشتمل على معرفة
عوائد الاقطار المسمى (تحفة النظار * في غرائب الأمصار * وعجائب
الاسفار) تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف
بأبن بطوطه رحمه الله . وذلك بمكتبة حضرة الوجيه الفاضل
الحاج مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى
بشارع محمد علي بمصر المحمية . وقد وافق التمام أوائل
شهر رجب المعظم من عام ١٣٧٧ هجرية عليه
وعلى آله وأصحابه أتم صلاة
وأزكى تحية
آمين

(فهرست الجزء الأول من كتاب رحلة ابن بطوطة)

صحيفة	صحيفة
٦١ ذكر ارباض دمشق	٢ خطبة الكتاب
— « قاسيون ومشاهده المباركة »	٧ ذكر سلطان تونس
٦٢ « الربوة والقرى التي تواليها »	٩ « أبواب الإسكندرية ومرساها »
٦٣ « الأوقاف بدمشق وبعض فضائل أهلها وعوائدهم »	— « النار »
٦٥ « سماعي بدمشق ومن أجازني من أهلها »	— « عمود السواري »
٦٩ طيبة مدينة رسول الله ﷺ وشرف وكرم	١٠ « بعض علماء الإسكندرية »
— ذكر مسجد رسول الله ﷺ	٢٠ « مسجد عمرو بن العاص »
وروضته الشريفة	٢١ « قرافة مصر ومزاراتها »
٧٠ ذكر ابتداء بناء المسجد الكريم	— « نيل مصر »
٧٢ « المنبر الكريم »	٢٢ « الأهرام والبرابي »
٧٣ « الخطيب والإمام بمسجد رسول الله ﷺ »	٢٣ « سلطان مصر »
— « خدام المسجد الشريف والمؤذنين به »	٢٤ « بعض قضاة مصر وأمرائها »
٧٤ « المجاورين بالمدينة الشريفة »	٢٥ « علماء مصر وأعيانها »
٧٥ « أمير المدينة الشريفة »	٢٦ « يوم المحمل بمصر »
— « بعض المشاهد الكريمه بخارج المدينة الشريفة »	٣٣ « المسجد القدس »
٨٠ « مدينة مكة المعظمة »	— « قبة الصخرة »
— « المسجد الحرام »	٣٤ « ذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف »
٨١ « الكعبة المعظمة الشريفه زادها الله تعظيما وتكريما »	— « بعض فضلاء القدس »
٨٢ « الميزاب المبارك »	٥٢ « جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية »
	٥٦ « الأئمة بهذا المسجد »
	— « المدرسين والعلماء به »
	٥٧ « قضاة دمشق »
	٥٨ « مدارسها »
	٥٩ « أبوابها »
	٥٩ « بعض المشاهد والمزارات بها »

صحيفة	صحيفة
١٠٣ ذكر عاداتهم في شوال	٨٣ ذكر الحجر الأسود
١٠٤ » إحرام الكعبة	— » المقام الكريم
— » شعائر الحج وأعماله	٨٤ » الحجر والطاف
١٠٦ » كسوة الكعبة	— » زمزم المباركة
— » الانفصال عن مكة شرفها الله	٨٥ » أبواب المسجد الحرام وما دار به من المشاهد الشريفة
١٠٩ » الروضة والقبور التي بها	٨٦ » الصفا والمروة
١١٠ » تقيب الأشراف	٨٧ » الجبانة المباركة
١١٤ » مدينة واسط	— » بعض المشاهد خارج مكة
١١٥ » » البصرة	٨٨ » الجبال المطيفة بمكة
١١٦ » المشاهد المباركة بالبصرة	٩١ » اميرى مكة
١٢١ » ملك اينج وتستر	— » أهل مكة وفضائلهم
١٣٠ » سلطان شيراز	٩٢ » قاضى مكة وخطيبها وإمام الموسم وعلمائها وصلحائها
١٣٣ » بعض المشاهير بشيراز	٩٤ » المجاورين بمكة
١٣٧ » مدينة الكوفة	٩٨ » عادة أهل مكة في صلواتهم ومواضع أئمتهم
١٣٩ » مدينة بغداد	٩٩ » عاداتهم في الخطبة وفي صلاة الجمعة
١٤١ » الجانب الغربى من بغداد	١٠٠ » » في استهلال الشهور
— » الجانب الشرقى منها	— » » في شهر رجب
١٤٢ » قبور الخلفاء بها ، وقبور بعض العلماء والصالحين	١٠١ » عمرة رجب
١٤٣ » سلطان العراقين وخراسان	١٠٢ » عاداتهم في ليلة النصف من شعبان
١٤٥ » المتغلبين على الملك بعد موت السلطان أبى سعيد	— » » في شهر رمضان المعظم
١٤٨ » مدينة الموصل	
١٥٠ » سلطان ماردين في عهد دخولى إليها	

صفحة	صحيفة
١٩٧	ذكر سلطان برصى
٢٠١	» » كرى بولى
٢٠٣	» » قسطمونية
٢٠٧	» » العجالات التى يسافر عليها
	حضرة السلطان محمد اوزبك
	بهذه البلاد
٢١٢	» » السلطان محمد اوزبك خان
٢١٤	» » الخواتين وترتيبهم
٢١٥	» » الخاتون الكبرى
—	» » التى تلى الملكة
٢١٦	» » الثالثة
—	» » الرابعة
—	» » بنت السلطان المعظم اوزبك
٢١٧	» » ولدى السلطان
—	» » السفر إلى مدينة البلغار
—	» » أرض الظلمة
٢١٨	» » ترتيبهم فى العيد
٢٢١	» » السفر إلى القسطنطينية
٢٢٤	» » سلطانها
٢٢٦	» » المدينة
—	» » الكنيسة العظمى
٢٢٧	» » المانستارات بها
٢٢٨	» » الملك المتهرب جرجيس
٢٢٩	» » قاضى القسطنطينية
—	» » الانصراف عنها
١٥٥	ذكر سلطان جزيرة سواكن
١٥٦	» » حلى
١٥٨	» » اليمن
١٦٠	» » مقدشو
١٦٣	» » كلوا
١٦٦	» » التنبول
١٦٧	» » النارجيل
١٦٨	» » سلطان ظفار
١٦٩	» » ولى لقيناه بهذا الجبل
١٧٢	» » سلطان عمان
١٧٤	» » هرمز
١٧٦	» » لار
١٧٧	» » مناص الجواهر
١٨٠	» » سلطان العلایا
١٨١	» » الأحمية القتيان
١٨٢	» » سلطان أنطاكية
١٨٣	» » اكريدور
» »	قل حصار
١٨٥	» » لأذق
١٨٦	» » ميلاس
١٨٧	» » اللارندة
١٩١	» » بركى
١٩٥	» » مغنيسية
» »	برغمة
١٩٦	» » بلى كسرى

صحيفة	صحيفة
٢٤٧ ذكر سلطان هراة	٢٣٣ ذكر أمير خوارزم
٢٤٨ « حكاية الرافضة	٢٣٥ « بطيخ خوارزم
٢٥٥ « تمة هذا الجزء	٢٣٧ « أولياء التتر ، وتخريبهم بخارى
٢٥٦ تذييل	وسواها
	٢٣٩ « سلطان ما وراء النهر

تمت فهرست الجزء الأول

فهرست الجزء الثانى من كتاب رحلة ابن بطوطة

صفحة	صفحة
٢٢ ذكر السلطان ناصر الدين ابن السلطان شمس الدين	٢ الخطبة
٢٣ » السلطان غياث الدين بلبن	ذكر البربد
٢٤ » السلطان معز الدين بن ناصر الدين	٤ » السكر كدن
٢٥ » السلطان جلال الدين	٦ » السفن في نهر السند وترتيب ذلك
٢٦ » السلطان علاء الدين محمد شاه الخلاجى	٧ » غريبة رأيها بخارج مدينة لاهنرى
٢٧ » أبنه السلطان شهاب الدين	٩ » أمير ملتان وترتيب حاله
٢٨ » السلطان قطب الدين ابن علاء الدين	» من اجتمعت به في هذه المدينة من الغرباء الوافدين على حضرة ملك الهند
٢٩ » السلطان خسرو خان ناصر الدين	١١ ذكر أشجار بلاد الهند وفواكهها
٣٠ » » غياث الدين تغلق شاه	١٢ » الحبوب التي يزرعها أهل الهند ويقتاتون بها
٣٢ » مارامه ولده من القيام عليه فلم يتم له ذلك	١٣ ذكر غزوة لشاه هذا الطريق وهى أول غزوة شهدتها ببلاد الهند
٣٣ » مسير تغلق إلى بلاد السكونى وما اتصل بذلك إلى وفاته	١٤ ذكر أهل الهند الذين يحرقون أنفسهم بالنار
٣٤ » السلطان أبى المجاهد محمد شاه ابن السلطان غياث الدين تغلق شاه ملك الهند والسند الذى قدمنا عليه وذكر وصفه إلى آخر ما ذكر	١٦ ذكر وصف مدينة دهلى
٣٥ » أبوابه ومشوره وترتيب ذلك	١٧ » سور دهلى وأبوابها
— ذكر ترتيب جلوسه للناس	» جامع دهلى
٣٦ » دخول الغرباء وأصحاب الهدايا إليه	١٨ » الخوئين العظمين بخارجها
٣٧ » دخول هدايا عماله إليه	١٩ » بعض مزارتها
	» بعض علمائها وصلحاتها
	٢٠ » فتح دهلى ومن تناولها من الموك
	٢١ » السلطان شمس الدين للمش
	٢٢ » السلطان ركن الدين ابن السلطان شمس الدين
	٢٣ ذكر السلطنة رضىة

صحيفة	صحيفة
٣٧ ذكر خروجه للعديد وما يتصل بذلك	٣٧
٣٨ » جلوس يوم العيد وذكر السير الأعظم والمبخر العظمى	٣٨
٤٠ » ترتيبه إذا قدم من سفره	٤٠
— » ترتيب الطعام الخاص	—
— » » » العام	—
٤١ » بعض أخباره في الجود والكرم	٤١
٤١ » » إلى عطائه آخر ما ذكر	٤١
٤٣ » عطائه لشيخ الشيوخ ركن الدين	٤٣
٤٣ » » للواء اعظم الترندي ناصر الدين	٤٣
٤٤ » » لعبد العزيز الأردويكي	٤٤
٤٤ » » لشمس الدين الأندكاني	٤٤
٤٤ » » لعبد الدين الشنكاري	٤٤
٤٤ » » للقاضي محمد الدين	٤٤
٤٤ » » لبرهان الدين الصاغري	٤٤
٤٤ » » لحاجي كاوان وحكاياته	٤٤
٤٥ » قدوم ابن الخليفة عليه وأخباره	٤٥
٤٩ » تزوج الأمير سيف الدين غدا باخت السلطان	٤٩
٥٠ » سجن الأمير غدا	٥٠
٥٢ » حكاية في تواضع السلطان وأنصافه	٥٢
— » اشتداده في إقامة الصلاة	—
— » اشتداده في إقامة أحكام الشرع	—
٣٣ » رفعه للمغرم والمظالم وقعوده لإنصاف المظلومين	٣٣
— » إطعامه في الغلاء	—
٥٤ » قتله لثلاثمائة وخمسين رجلا في ساعة واحدة	٥٤
— » تعذيبه للشيخ شهاب الدين وقتله	—
٥٥ » قتله للفقيه المدرسي عفيف الدين الكساني وقيمهين معه	٥٥
٥٦ » قتله أيضا لفقيهين من أهل السند كانوا في خدمته	٥٦
٥٦ » ذكر قتله للشيخ هود	٥٦
٥٧ » سجنه لابن تاج العارفين وقتله لاولاده	٥٧
٥٨ » قتله للشيخ الحيدري	٥٨
— » » لطوغان وأخيه	—
— » » لابن ملك التجار	—
٥٩ » ضربه لخطيب الخطباء حتى مات	٥٩
— » تخريبه لدهلي ونفي أهلها وقتل الأعمى والمقعد	—
— » ما افتتح به أمره أول ولايته من منه على بهادر بوره	—
٦٠ » ثورة ابن عمته عليه وما اتصل بذلك	٦٠
٦١ » ثورة كشلوخان وقتله	٦١
٦٢ » ذكر الوقعة بجبل قراجيل على جيش السلطان	٦٢

صحيحة	صحيحة
٧٥ « وصولنا لدار أم السلطان وذكر فضائلها	٦ ذكر ثورة الشريف جلال الدين ببلاد المعبر ، وما اتصل بذلك من قتل ابن أخت الوزير
٧٦ « الضيافة	٦ « ثورة هلاجون
— « وفاة ابنق وما فعلوا في ذلك	٦ « وقوع الوباء في عسكر السلطان
٧٨ « إحسان السلطان والوزير إلى في أيام غيبة السلطان عن الحضرة	٦ « الإرجاف بموته وفرار الملك هوشنج
— « العيد الذي شهدته أيام غيبته	٦ « ما هم به الشريف إبراهيم من الثورة ومآل حاله
٨٩ « قدوم السلطان ولقائنا له	٦ « خلاف نائب السلطان ببلاد التلنك
٨٠ « دخول السلطان إلى حضرته ، وما أمر لنا به من المراكب	٦ « انتقال السلطان لنهر الكنك وقيام عين الملك
— « دخولنا إليه ، وما أنعم به من الإحسان	٧٠ « عودة السلطان لحضرته ومخالفته على شاه كر
٨٢ « عطاء ثان أمر لي به ، وتوقفه مدة	« فرار أمير بخت وأخذه
٨٣ « طلب الغرباء ما لهم قبلي ومدحى للسلطان وأمره بخلاص ديني وتوقف ذلك مدة	٧١ « خلاف شاه أفغان بأرض السند
٨٤ « خروج السلطان إلى الصيد وخروجه معه وما صنعت في ذلك	« خلاف القاضي جلال
٨٦ « الجمل الذي أهديته له إلى آخر ما ذكر	٧٢ « خلاف ابن الملك مل
٨٧ « ذكر الجملين اللذين أهديتهما له	« خروج السلطان بنفسه إلى مدينة كنباية
٨٨ « خروجه وأمره لي بالإقامة بالحضرة	٧٣ « قتال مقبل وابن الكولى
	٧٤ « الغلاء الواقع بأرض الهند
	« وصولنا إلى دار السلطان عند قدومنا وهو غائب

صحيفة	صحيفة
٨٩ ذكر ما فعلته في ترتيب المقبرة	— « ترتيب طعامه
— « عادتهم في إطعام الناس في الزلازل	١١٢ « الفلفل
٩٠ « خروجي إلى هزار أمروها	١١٣ « سلطان مدينه فاكنور
٩١ « مكرمة لبعض الأصحاب	— « « « « « منجرو
٩٢ « خروجي من محلة السلطان	١١٤ « « « « « جرفتن
— « ما هم به السلطان من عقابي ،	١١٤ « الشجرة العجيبة الشأن التي
وما تداركني من لطف الله	بازاء الجامع
— « انقباضني عن الخدمة وخروجي	١١٥ « سلطان مدينه قالكوط
عن الدنيا	١١٦ « مراكب الصين
— « بعث السلطان عني وإياي	١١٧ « أخذنا في السفر إلى الصين
٩٣ « ما أمرني به من التوجه إلى	ومنتهى ذلك
الصين في الرسالة	— « القرقة والبقم
— « السبب في بعث الهدية للصين ،	— « سلطان مدينه كولم
ومن بعث معي وذكر الهدية	١٢٢ « توجهنا إلى الغزو وفتح
٩٥ « غزوة شهدناها بكون	سندابور
— « محقق بالأسر وخلصي منه ،	١٢١ « أشجارها
وخلصي من الشد بعده على يد	١٢٢ « أهل هذه الجزائر وبعض
ولي من أولياء الله تعالى	عواندهم وذكر مساكنهم
١٠٠ ذكر أمير علابور واستشهاده	— « نساها
١٠٢ « السحرة الجوية	١٢٥ « السبب في إسلام هذه الجزائر
١٠٥ « سوق المغنين	١٢٦ « سلطنة هذه الجزائر
١٠٧ « سلطان مدينة قدهار	١٢٧ « أرباب الخطط وسيرهم
١٠٨ « ركوبنا البحر	— « وصولي إلى هذه الجزائر وتنقل
— « سلطان مدينه قوقه	حالي بها
١١٠ « « « « « هنور	١٢٩ « بعض إحسان الوزير الى

صحيفة	صحيفة
١٤٩ « الشيخ جلال الدين	١٣٠ « تغيره ولأ أردته من الخراج
١٥١ « سلطان البرهنكار	ومقامى بعد ذلك
١٥٢ « « الجارة	١٣١ « العيد الذى شاهده معهم
— « دخولنا إلى داره وإحسانه إلينا	— « تزوجى وولايى القضاء
١٥٤ « إنصرافه إلى داره وترتيب	١٣٣ « قدوم الوزير عبد الله بن محمد
السلام عليه	الحضرى الذى نفاه السلطان شب
— « ذكر خلاف ابن أخيه وسبب ذلك	الدين إلى السويدوما وقع بيني ونيه
١٥٥ « ذكر اللبان والكافور والعود والقرنفل	١٣٣ « إنفضالى عنهم وسبب ذلك
١٥٦ « سلطان مل جاوة	١٣٤ « النساء ذوات الثدى الواحد
— « عجيبه رأيها بمجلسه	١٣٦ « سلطان سيلان
١٥٧ « هذه المللكة	١٣٧ « « مدينه كنكار
١٥٩ « الفخار الصينى والدجاج	— « الياقوت
— « بعض من أحوال أهل الصين	١٣٨ « « القروذ
١٦٠ « دراهم الكاغذ الذى بها يتعاملون	— « « العلق الطيار
— « التراب الذى يوقدونه مكان الفحم	١٣٩ « « جيل سرنديب
— « ماخصوا به من أحكام الصناعات	« « القدم
١٦١ « عاداتهم فى تقييد مافى المراكب	١٤١ « « سلطان بلاد المعبر
— « عاداتهم فى منع التجار عن الفساد	١٤٣ « « وصولى إلى السلطان غياث الدين
١٦٢ « حفظهم للمسافرين فى الطرق	— « « ترتيب رحيله وشئيع فعله فى
١٦٧ « الأمير الكبير قرطى	قتل النساء والولدان
١٧٠ « سلطان الصين والخطا المقلب	١٤٣ « ذكر هزيمة الكفار وهى من أعظم
بالتان وذكر قصره	فتوحات الإسلام
١٧١ « خروج القان لقتال ابن عمه وقتله	١٤٥ « « وفاة السلطان وولاية ابن أخيه
١٧٣ « رجوعى إلى الصين ثم إلى الهند	١٤٦ « « سلب الكفار لنا
« « الرخ	١٤٨ « « سلطان بنجالة

صحيفة	صحيفة
١٩٩ » جلوسه بالمشور	١٧٣ » أعراس ولد الملك الظاهر
» تذلل السودان للمكهم وتربيمهم	١٧٤ » سلطان ظفار
له وغير ذلك من أحوالهم	» » بغداد
٢٠٠ » فعله في صلاة العيد وأيامه	١٧٨ » » القاهرة
٢٠١ » الأثخوكة في إنشاد الشعراء	١٧٩ » » مدينة تونس
للسلطان	١٨٢ » بعض فضائل مولانا أيده الله
٢٠٤ » ما أستحسنه من أفعال السودان	١٩٢ » التكميف
» سفرى عن مالى	١٩٤ » مسوفة الساكنين بايوالاتن
» الحيل التى تكون بالنيل	١٩٧ » سلطان مالى
٢٠٩ » معدن النحاس	١٩٨ » ضياقتهم النافهة وتعظيمهم لها
» سلطان تكدا	» كلامى للسلطان بعد ذلك
٢١٠ » وصول الأمير الكريم إلى	» وإحسانه إلى

تمت فهرست الجزء الثانى